مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية
Abdulaziz Saud Albabtain Cultural Foundation
تأسست سنة Founded in 1989

معجم البابطين

لشعراء العربية في بلاد الهند

المجلد الأول

أ ر

د. عبدالله القثم

الكويت

2021

معجم البابطين

لشعراء العربية في بلاد الهند

الإخراج الداخلـي

الأمانة العامة للمؤسسة

ردمـك: **978 - 9921 - 704 - 31 - 0**

رقـم الإيـداع: **0818 - 2021**

الطبعة الأولى 2021

حقـوق الطبع محفوظـة

مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية

هاتف: 22415172 (965+) - فاكس: 22455039 (965+)

www. albabtaincf.org / info@ albabtaincf.org

التصـــديـــر

عزيزي القارئ..

يسعدنا في «مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية» أن نضع بين يديك «معجم البابطين لشعراء العربية في بلاد الهند» من تصنيف الدكتور عبدالله القتم الأستاذ بكلية الآداب بجامعة الكويت، والذي أخذ منه وقتًا طويلًا حتى استوى على سوقه.

شعراء هذا المعجم الشعري يختلفون مَواطِنًا وأصولًا، ويلتقون في محبتهم ومشاعرهم وأحاسيسهم تجاه اللغة العربية والدين الإسلامي الحنيف، فمنهم من هاجر من بعض الأقطار العربية واستقر في مدن شبه القارة الهندية، ومنهم من كان آباؤه وأجداده قد هاجروا من أقطار الوطن العربي، أو بعض البلدان الأخرى قبل قرون عديدة، وبعضهم من تلك البلاد أصولًا، إلا أنهم جميعًا قرؤوا الشعر العربي ونهلوا من الثقافة العربية الأصيلة فتشرّبوا بها، وأجادوا الكتابة بها، ونظموا الشعر على نهج الشعراء العرب القدامى منهم، والمحدثين حبًّا في هذا الشعر، أما الذين هاجروا منهم من الوطن العربي فقد أخذهم الحنين إلى بلدانهم وأهلهم في ديارهم الأصلية، فعبّروا عن عواطفهم ومشاعرهم بما نظموه، (وبعض من هذا الشعر، في الحقيقة، غير دقيق في وزنه، وفيه اختلالات عروضية كثيرة، وهو أقرب إلى الشعر الملحون لا الموزون).

والمعاجم التي أصدرتها «مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية» سابقًا اشتملت على عدد كبير من هؤلاء الشعراء بعد أن اخترنا نماذج محددة من أبياتهم الشعرية السليمة التي وردت في المصادر المختلفة واستبعدنا الأبيات والقصائد التي شابها اختلالات.

أما هذا المعجم فقد اشتمل على النماذج الشعرية كما هي بقصد أن يُطلع القارئ على هذا الشعر كما هو والمليء بالمشاعر والأحاسيس والعواطف، بقطع النظر عن مدى سلامته العروضية، واستقامته النحوية، فيكفي هؤلاء الأشخاص أنهم شعراء عروبيو الهوى، يعشقون اللغة العربية، ويعتزون بتعلمها، وينظمون بها مع تمكنهم من لغات البلاد الهندية التي يقطنونها، ويعيشون على أرضها.

أشكر الأستاذ الدكتور عبدالله القتم على هذا المجهود الكبير الذي بذله في تصنيف هذا المعجم، راجيًا في الوقت نفسه أن نكون بإصداره قد وضعنا هذا التراث الشعري لشعراء تلك البلاد الهندية بين أيدي أبنائنا محبي الشعر ومتذوقيه.

والله ولـــي التوفيـــق،،،

رئيس مجلس الأمناء

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت في ٩ من رمضان ١٤٤٢ هـ
الموافق ٢١ من إبريل ٢٠٢١ م

****

إهـــــداء

إلى أفضل وأبلغ من نطق بالضاد

فسارت لغته بين الدول والعباد

إلى رسول اللّه محمد ﷺ

أهدي هذا الجهد

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين. أما بعد:

فإنَّ اللغة العربية لغة انتشرت في كثير من البلاد غير العربية، وقام مؤرخو الأدب العربي ونقاده بالكتابة عن شعراء العربية في البلاد العربية، أو من البلاد القريبة منهم؛ مثل فارس وخراسان وبلاد الترك، غير أن هناك شعراء خارج الوطن العربي لم يتم التعرف عليهم، أو الكتابة عنهم، ومن هذه البلاد البعيدة عن موطن اللغة العربية بلاد الهند، ذات الحضارة العريقة، التي حوت مجموعة من الشعراء، نظموا قصائدهم ومقطوعاتهم باللغة العربية، وهم على امتداد تاريخ الهند الإسلامي، وعلى الرغم من أنهم غير عرب، وتعلموا اللغة العربية في بلادهم إلا أنهم برعوا في النظم العربي.

وهذا البحث يدور حول هؤلاء الشعراء، الذين غفل مؤرخو الأدب العربي عنهم، ولم يتطرقوا إلى وجودهم، أو الإشارة إلى قصائدهم، على عكس ما تناولهم هؤلاء المؤرخون من علماء العربية في هذه البلاد البعيدة ممن كتب في اللغة العربية، أو الأمور الدينية.

جمعت في هذا البحث ثلاثمئة شاعر، وسافرت إلى الهند عدة مرات لالتقاط ما تم نشره عن هؤلاء الشعراء، من مصادر عربية مخطوطة، أو مطبوعة، كما تم ترجمة بعض المعلومات من المصادر الهندية، لغة (الأردو)، وهنا أود أن أشكر صديقي الأستاذ البروفيسور سيد جهانغير، الأستاذ بجامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية بحيدرآباد، الدكن الهند، على المساعدة الجليلة التي قدمها لي من حيث المصادر، وبعض المخطوطات، والأطروحات العلمية، كما سافرت إلى معرض القاهرة الدولي للكتاب، ومعرض أبوظبي للكتاب، ومعرض البحرين للكتاب بحثًا من المصادر.

كما تلقيت مجموعة من الكتب من مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ومن ضمنها كتب عن الثقافة العربية في الهند، بوساطة أخي الدكتور حمد بن ناصر

الدخيّل، وكان ذلك خلال أكثر من ثلاث سنوات، وكان الهدف أن أضع شعراء العربية في هذه البلاد بين أيدي قراء العربية ليعرفوا مدى مساهمة شعراء هنود في النظم العربي، وكيف تعلم هؤلاء اللغة العربية وبرعوا بها، ونظموا قصائدهم عبرها.

دخول العربية إلى البلاد الهندية

دخول العرب ولغتهم إلى البلاد الهندية لم يكن دفعة واحدة، ولم يكن مصاحبًا للفتح الإسلامي للهند، بل بدأ نزوح بعض العرب إلى الهند منذ العصر الجاهلي، ولكنه أصبح بوتيرة أكبر بعد السيطرة على أجزاء من الهند، وبخاصة القسم الغربي من الهند، والساحل الغربي منها.

سيكون حديثنا عن فترات مختلفة من عصور دخول العربية إلى الأراضي الهندية، ومدى اهتمام الحكام والعلماء بهذه اللغة العربية:

العصر الجاهلي:

حركة الملاحة والتجارة في بحر العرب والمحيط الهندي قديمة قدم وجود الإنسان على سواحل هذا المحيط، وقد أطلق بحر العرب على الجزء الغربي من المحيط الهندي، لكثرة الملاحة العربية فيه، ومن ثم التجارة مع الهند والبلاد الشرقية، كالملايو والصين وإندونيسيا، وأدى ذلك إلى نشوء علاقة بين الشعوب والدول المطلة على سواحل البحر والمحيط، أي بين العرب والهنود.

بدأت التجارة بين الشعب العربي في الجزيرة العربية والهنود منذ مئات السنين، واستوطنت بعض الأسر العربية الهند، وبعض الأسر الهندية جزيرة العرب، ومع تبادل التجارة بدأ الاستيطان لكلا الجانبين؛ ففي البحرين القديمة استوطنت جماعات من الهنود؛ مثل: الزط والسبابجة والأحامرة والأساورة، وغيرهم، وقد استوطن بعض الهنود من الزط والميد سواحل الشام كذلك، وكان للأساورة قوة اقتصادية وسياسية، على السواحل من العراق إلى اليمن. [1]

ولا شك أن هؤلاء الأقوام قد استقر بعضهم عند العرب، وامتزجوا بهم بالمصاهرة، ورجع بعضهم إلى ديارهم ونقلوا معهم بعض عادات العرب، والبعض الآخر لم ينقطع عن الذهاب إلى وطنه، والعودة إلى ديار العرب، لذا كانت الصلات بين العرب والشعر الهندي مستمرة لقرون عديدة.

(١) عبدالله القتم، شعراء البحرين وشعرهم في العصر الجاهلي (الكويت: مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت ٢٠٠٥م) ص ١٦. عبدالرحمن بن عثمان الملا، تاريخ هجر (الأحساء: مكتبة التعاون الثقافي ١٩٩٠م) ج١: ٣١.

وجاء في بعض أشعار العرب قول الشاعر عبدالله بن عوهم: [1]

ويـغـنـي الـــزط عـبـدالـقـيـس
وتـكـفـيـنـا الأســـــاورة المـزونـا
فـجـئـنـا بـحـي وائـــل وبـلـفـهـا
وجـــاءت تمـيـم زطـهـا والأســـاور

وقول الشاعر الأخنس بن شهاب:

لُكيزٌ لـها الـبحـران والـسيف كله
وإن يـأتـهـا بـأسٌ مـن الـهـنـد كـارب

وفي المقابل كانت بعض الأسر العربية استوطنت الهند منذ العصر الجاهلي، وكان الساحل الغربي للهند وجنوبها محطات للتجار العرب، ولهم تواجد في بعض مدن تلك المناطق، وهي مناطق تبادل التجارة مثل: بومباي، وكيرلا، وأندرا، وكرنتك، وإلى العصر الحديث حيث أن الهنود من أصل عربي موجودون في كثير من الولايات الهندية.

كانت بلاد العرب تفتقر لبعض الاحتياجات، تسدها من منتجات الهند، فهم في حاجة إلى الأخشاب لبناء سفنهم وبيوتهم، وكذلك في حاجة إلى أنواع من الأغذية والتوابل، مثل: جوز الهند وتمر الهند، والكافور والقرنفل، ومن الأدوية الجافل والأطريفل، كما استورد العرب الصندل والمسك والعود، وغيرها، وفي المقابل يحتاج الهنود إلى البخور العربي، واللبان والصمغ والتمر، واللؤلؤ والجواهر والمرجان، وبعض منتجات البلاد العربية، لذا كانت التجارة الطريقة المعتادة في التبادل التجاري.

التجارة مع الهند قديمة جدًا، ولعبت الجزيرة العربية دورًا كبيرًا في التجارة مع الهند، وكانت أيضًا معبرًا لتجارة مصر زمن البطالمة، ثم اليونان، وكانت لهم محطات تجارية في البحر الأحمر، وكذلك جزيرة سقطرى وعدن، وبعدهم الرومان الذين اعتمدوا على قوتهم، ووصلوا إلى الهند من موانئ مصر وإيلات، وهكذا كانت التجارة مع الهند، في تبادل للبضائع، والتعامل مع الجاليات المختلفة. [2]

(١) محمد رفيق بن محمد علي، تطور اللغة العربية في تاميل نادو (مخطوط) .

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٦م) ط٢، ج ١+٢+٣ في هذه الأجزاء معلومات كثيرة حول العلاقة بين الهند والعرب، من التجارة والسكان.

ومن آثار الهند في سواحل الجزيرة العربية وجود كلمات هندية في لهجات سواحل الخليج العربي، وإلى الزمن الحاضر منها:[1]

الكلمة	معناها	ملاحظات
أجار	المخلل	وفارسية أيضًا
برصات	هياج بحر الهند نتيجة للعواصف	الأصل- برساد
بنكه	مروحة كهربائية	
بيذان	اللوز	وبالفارسي باذان
بيمه	التأمين	وفارسية أيضًا
تاوة	صفيحة سميكة من الحديد للخبز	تاوى بالهندي
تنديل	مراقب العمال وملاحظهم	
جودري	بساط من الليف الخشن	
جشمه	نظارة	وفارسية
دشداشة	لباس الرجل في الخليج	بالهندي= دلداشة
كاري، قاري	جيم قاهرية+ الدراجة الهوائية	
نوا	جديد	
همب	منجة	

هذه بعض الكلمات الهندية المستعملة في دول الخليج العربي، وهناك أيضًا كلمات عربية في لغات الهند، وخاصة لغات جنوب الهند، وغربها؛ ملبار وتاميل نادو، ونتج عن ذلك لغة بين العربية والتاميل تسمى، الأورو.

(١) خالد سالم محمد، قاموس الكلمات الأجنبية في اللهجة الكويتية (الكويت: المؤلف ٢٠٠٩م) انتقاء بعض الكلمات الهندية في لهجة الخليج العربي.

العصر الإسلامي:

بعد انبثاق الدين الإسلامي في الجزيرة العربية زاد اهتمام العرب بالهند، كما ازداد شغف الهنود لمعرفة هذا الدين الجديد، والذي نقل أخباره التجار العرب، والسياح، وهناك روايات ينقلها المؤرخون في كتبهم، بعضها من زمن رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، والبعض الآخر من زمن الخلفاء الراشدين، ولا نعرف مدى صحتها، ولكن ننقلها كما هي:

ومن ضمن الروايات؛ أن أهل سرنديب (سيلان) أرسلوا بعثة دينية إلى المدينة على عهد رسول الله- عليه السلام- ولكنها لم تصل في حياته. ورواية أخرى تقول بأن أحد ملوك جنوب الهند أرسل هدية لرسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- وفيها زنجبيل، فطعم منه وأطعم أصحابه، ورواية أخرى تقول بأن بعض صحابة رسول الله ذهبوا إلى الهند، أو ذهاب بعض ملوك الهند إلى المدينة وأسلموا، وهذه روايات لا نعلم مدى صحتها، ولكنها تشير إلى الصلات التجارية والاجتماعية بين العرب والهنود، [1]

من الروايات التي ذكرها المؤرخون، أن وفدًا من العرب زار جنوب الهند والتقى بالملك جيرن برومالن وتحدثوا معه عن الإسلام، لذا رغب هذا الملك في اعتناق الإسلام، وكان التجار العرب يأتون إلى غرب الهند وجنوبها بقصد التجارة، ولكن بعد الإسلام بدأوا ينشرون الإسلام، وقاموا بالمصاهرة مع الهنود، فاعتنق كثير منهم الإسلام.

وبدأ المسلمون يبنون المساجد والمدارس، في سواحل الهند الغربية والجنوبية، ثم أخذوا يدخلون إلى داخل الهند لنشر الإسلام، قبل وصول طلائع الفتح العربي للهند بقيادة محمد بن القاسم الثقفي، الذي فتح غرب الهند (باكستان حاليًا) سنة ٩٢هـ، الموافق ٧١١م، واستمر الفتح العربي الإسلامي في غرب الهند لحوالي مئتي سنة، ولم يدخل إلى العمق الهندي.

انتشر العرب المسلمون في جنوب الهند وغربها قبل دخول العرب المسلمين في السند، وكانت لهم مواطئ قدم في بعض المدن مثل كاليكوت والمليبار وميناء كيركري، ومعظم ولاية تاميل نادو، وبومبي، وغيرها من المواضع والمدن الأخرى.

(١) أحمد زبير، أسرة الشيخ صدقة الله أبا وخدماتها الدينية والثقافية (مخطوط) ص ٨.

دخل الإسلام إلى الهند من ثلاث طرق:

أولا: جنوب الهند وغربها، وكان على زمن رسول الله والخلفاء الراشدين، وذكرنا بعض المواضع التي انتشر فيها الإسلام في السواحل الغربية والجنوب الهندي.

ثانيا: الفتح العربي بقيادة محمد بن القاسم الثقفي، زمن الحجاج بن يوسف الثقفي، حيث دخل السند سنة ٩٢هـ، الموافق ٧١١م، وتمركز في مدن السند والملتان وميناء ديبل، كراتشي.

ثالثًا: عن طريق الحدود مع أفغانستان والترك في الشمال الغربي من الهند.

ومن هذه المواضع دخلت اللغة العربية، وأصبحت اللغة الرسمية للإدارة الإسلامية في السند، غير أن الصوفيين أدوا دورًا كبيرًا في تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي للمتحولين إلى الدين الجديد بالنسبة للهنود، وقد انتشرت المساجد والمدارس والتكيات في غرب الهند وجنوبها، وكلها تعلم قواعد الدين الإسلامي، ولذا نشأت لغة جديدة، هي لغة الأردو، وتعني لغة الجيش، وهي خليط من اللغة العربية والفارسية والهندية، مستعملة الحروف العربية وما أضيف لها من الحروف الفارسية، كما استعارت حروف من اللغة الهندية.

الدولة الغزنوية:

كان الفتح العربي للهند قد توقف عند منطقة السند (باكستان حاليا) منذ ٩٢هـ، الموافق ٧١١م، لأنَّ فاتح السند، محمد بن القاسم، قد عاد إلى الكوفة، ومن جاء بعده لم يحاول التوغل داخل الهند حتى جاء السلطان سبكتكين وأسس دولة الغزنويين، وتوسع في سيطرته على ما جاوره من البلدان، ثم خلفه ابنه محمود ابن سبكتكين الغزنوي، وأكمل السيطرة على كل البلاد التي كانت تشملها دولة السامانيين، واستمر في الزحف شرقًا حتى سيطر على شمال الهند سنة ٣٨٨هـ، الموافق ٩٩٨م، ودخل إلى دلهي، واتخذ من لاهور عاصمة له، وعين نائبًا له فيها.

وفي عهد محمود الغزنوي، الذي امتدت دولته من شمال الهند إلى العراق، رحل أبوالريحان البيروني إلى الهند، وجمع معلومات مهمة لكتابة حول الهند، وكان محمود محبًا للعلم والعلماء، وفي

معيته عددٌ من العلماء والشيوخ، وبنى مسجدًا كبيرًا في قنوج، بعد فتحها، كما أسس مدرسة فيها، وخلفه ابنه مسعود، وكان مثل أبيه يحب العلم والعلماء، لذا صنف البيروني كتابًا باسم «القانون المسعودي»، نسبة إليه، كما صنف أبومحمد الناصحي كتاب «الفقه المسعودي».

كانت لغة الغزنويين والأتراك الفارسية، كما كانت اللغة الرسمية لديهم أيضًا، فانحسر مد اللغة العربية، ولكن العلماء المسلمين أصروا على الكتابة والتحدث باللغة العربية، كما أنهم كانوا عماد المدارس والمساجد في الأراضي المفتوحة، وكان محمود يهدم معابد الهنود ويبني المساجد والمدارس.

استقطب محمود وابنه مسعود مجموعة من العلماء، والشعراء، وكان البلاط الغزنوي يجمع علماء من أمثال البيروني، والناصحي، وقد جعل أبوالقاسم أحمد بن حسن وزير محمود الغزنوي المكاتبات الرسمية باللغة العربية، بدلاً من الفارسية، وبرز منهم أبوالفضل بن طيفور، مصنف كتاب «عين المعاني في تفسير القرآن الكريم»، ومحمد بن نوح الغزنوي مصنف كتاب «أصول الفقه الغزنوي» .

كان الأمير محمود يستدعي كل من له علم في البلاد الأخرى، ويرسل من يأتيه بالعلماء والشعراء، ومنهم البيروني، والفردوسي، والدقيقي، وغيرهم، وكان السلطان مسعود يعطي ألف درهم عن كل بيت من الشعر يقوله الشعراء، وكان في هذا العصر أيضًا أحمد بن الحسين البيهقي، وله من المصنفات: السنن الكبير، والسنن الصغير ودلائل النبوة والسنن والآثار، مناقب الشافعي، ومناقب ابن حنبل، وغيرها، وكان كاتب السلطان محمود، هو أبوالفتح علي بن محمد البستي الكاتب والشاعر.

وعاش في هذا العصر مؤرخ الدولة الغزنوية أبونصر محمد بن عبدالجبار العتبي، الذي عينه محمود الغزنوي كاتبًا مع أبي الفتح البستي، وكان من أشهر أدباء العصر بديع الزمان أحمد بن الحسين الهمذاني، مبتدع المقامات، وكذلك الشاعر عبدالواسع الجبلي، وكان يؤم بلاط الغزنويين الشعراء والأدباء ويحصلون على مكافآت مجزية، وكان العصر مملوءًا بالحركة العلمية والثقافية، فإلى جانب الفتوحات التي قام بها محمود الغزنوي كان الجانب الثقافي يحيط بالبلاط الغزنوي،

في كل من غزنة ولاهور، خاصة مع تقريب العلماء والأدباء وبناء المساجد والمدارس، وكان العصر عصر تقدم وازدهار. [١]

الدولة الغورية:

بلاد الغور وسط أفغانستان، منطقة جبلية وعرة، استعصت على الفاتحين، ولكنها دخلت في الإسلام بعد جهد جهيد، لأنها تسيطر على ممرات جبلية، منها ممر خيبر الشهير، وممر بولان، وشن القادة المسلمون هجمات عدة دخلت المنطقة على إثرها في الدين الإسلامي، وكوّن الغوريون إمارة سرعان ما توسعت لتحتل مكان الدولة الغزنوية، وأخذت هذه الإمارة تتوسع وبخاصة عندما حكم شهاب الدين محمد الغوري، الذي قام بدور كبير في التوسع شرقًا حتى سيطر على دلهي واتخذها عاصمة له.

أحس الملك بنارس بخطر السلطان شهاب الدين فأعد جيشًا من مليون مقاتل، وسبعمئة فيل، وجرت معركة انهزم فيها الملك بنارس، وسيطر شهاب الدين على ملكه حتى وصل إلى البنغال (بنغلادش)، وحتى حدود الصين، وكان ملكًا عظيمًا، واتخذ من دلهي عاصمة له، فشهاب الدين الغوري أول سلاطين المسلمين في الهند.

تتماثل شخصية شهاب الدين محمد الغوري بشخصية محمود الغزنوي، من حيث الفتوح، ونشر الدين الإسلامي، وتشجيع العلم والعلماء، فتم بناء كثير من المساجد والمدارس، وكان من أهم العلماء في هذا العصر الإمام فخر الدين الرازي، وكذلك الشيخ معين الدين الجشتي، الذي كان داعية ونشر الإسلام في منطقة أجمير، ومنها انطلق إلى بلدان كثيرة في الهند.

كان للإمام فخر الدين الرازي مكانة كبيرة عند شهاب الدين الغوري، وغياث الدين الغوري، وكانا يكرمانه ويحترمانه، وكان شهاب الدين كثير الإنفاق على العلماء ودور العلم والمساجد، وبعد سيطرة شهاب الدين على بنارس بنى مدرسة ومسجدًا كبيرًا، وبلغت المدارس والمساجد في دولة الغوريين الآلاف، يؤمها العلماء والأدباء[٢]

(١) ياسر عبدالجواد المشهداني، تاريخ الدول الإسلامية في آسيا (عمان: دار الفكر ٢٠١٠م) ص ٧١.
(٢) ياسر عبدالجواد المشهداني، تاريخ الدول الإسلامية في آسيا ص ١٠٥.

عصر السلاطين:

تأسست في مدينة دلهي خمس سلطنات، وأصبحت دلهي عاصمة التقدم والتطور في الهند، برز في هذه السلطنات مجموعة من العلماء والشعراء، وكانت هذه السلطنات قوية في بدايتها، ولكن الواحدة منها تواجه الأزمات والحروب والمحن، فتسقط وتأتي سلطنة أخرى أقوى لتحل محلها، وهي:

أولاً: المماليك:

تم افتتاح دلهي سنة ٥٨٨هـ، الموافق ١١٩١م، على يد محمد الغوري واتخذها مقرًا للسلطنة، وعين عليها أحد مماليكه الأكفاء، وهو قطب الدين أيبك، وتفرغ هو لفتح مناطق أخرى، ولكنه توفي في إحدى المعارك، فاستلم السلطنة قطب الدين أيبك، وهو أول من وضع نظامًا سياسيًا للمسلمين في الهند.

وأتى بعده شمس الدين إلتمش، الذي أسس مجلسًا للشورى يتكون من أربعين شخصًا، وأمر كل مظلوم أن يلبس ثوبًا مصبوغًا حتى يعرفه السلطان وينصفه من ظالمه، وقام بإخضاع الثائرين على حكم دلهي، وأكمل فتح شمال الهند كله، وبعد وفاته تولى ابنه ركن الدين فيروز، وكان ضعيفًا محبًا للهو واللعب، فانتخب القادة رضية الدين بنت إلتمش سلطانة عليهم لمدة أربع سنوات، وواجهت تمردًا ضدها، وانتهت حياتها في إحدى المعارك مع الخصوم.

تولى السلطنة بعد رضية أخوها الأصغر ناصر الدين محمود بن إلتمش، الذي نادى برفع الظلم وأظهر العدل والكرم، وكان ورعًا وراغبًا في الخيرات، وكان يقتات من نسخ القرآن الكريم وبيعه. وأتى بعده غياث الدين بلبن، الذي كان من خيار السلاطين ويصل المشايخ بالهبات، ويزور المقابر، وكان عادلاً، وقد بنى دارًا أسماها دار الأمن لكل من يشعر بالخوف والظلم، وينصف كل من دخلها. وانتهت هذه الأسرة بعد وفاته، إذ لم يخلفه وريثًا، فاختاروا حفيده، معز الدين فائق أبار، ولكنه كان لاهيًا صغير السن، وانتهت الأسرة التركية، إذ جاء جلال الدين الخلجي من بعدها، وهو من الأفغان.

برز في هذه السلطنة الشيخ حسن بن محمد الصاغاني، صاحب كتاب «العباب الزاخر واللباب الفاخر» وهو في عشرين مجلدًا، وكذلك كتابه «مشارق الأنوار النبوية في صحاح الأخبار المصطفوية»، وله كتب أخرى باللغة العربية، والشيخ محمد بن الحسن النيسابوري، مصنف كتاب «تاج المآثر» في تاريخ الهند، وكان في زمن السلطان إلتمش.

ثانيًا: الأسرة الخلجية:

اعتلى السلطنة جلال الدين فيروز شاه الخلجي، وكان متسامحًا، وبعد وفاته تسلم السلطة أقوى رجاله وهو السلطان علاء الدين الخلجي، وكان عليه أن يحمي السلطنة من هجمات المغول، وفي الوقت نفسه كان يتوسع في الفتوح حتى دانت له البلاد من البنغال إلى البنجاب، وأخضع أراضي الدكن، وتمكن من أغلب الهند.

ولما كبر سن علاء الدين أوكل قيادة الدولة إلى قائده كافور، ولما توفي علاء الدين استبد كافور بالسلطة، فقد أجلس صبيًا على السلطة واستبد هو بالأمر، وانغمس بالملذات، فضاعت هيبة الدولة، واستغل الأمر ناصر الدين خسرو، وكان هندوسيًا، يظهر الإسلام فعاث الهندوس فسادًا، حتى استنجد الناس بحاكم لاهور، الأمير غياث الدين تغلق، الذي قبض على السلطة، وانتهى عصر الخلجيين.

وعاش في هذا العهد الشاعر خسرو بن سيف الدين الدهلوي، وكان من أفضل الشعراء العرب في هذا العصر، وله كتاب «إعجاز خسروي في البدائع ومحسنات الكلام»، وله أيضًا كتاب «أفضل الفوائد» .

وكان الشيخ عمر بن إسحاق الغزنوي من كبار المؤلفين بالعربية، منها «شرح الهداية» في الفقه، وشرح «بديع الأصول» لابن الساعاتي، وشرح تائية ابن الفارض، وغيرها من المصنفات. وعاش في زمن فيروز شاه الشيخ محمد بن المبارك الكرماني، صاحب كتاب «سير الأولياء» في أخبار المشايخ الجشتية.

ثالثًا: أسرة التغلقيين:

أسس غياث الدين تغلق شاه هذه الأسرة، ودام حكمها حوالي قرن من الزمان، (٧٢٠-٨١٣هـ، الموافق ١٣٢١-١٤١٣م)، وقد اتبع السلطان غياث الدين إدارة إسلامية في تقسيم البلاد إلى أقاليم، عليها نائب، أو أمير، وقام السلطان بافتتاح عدة مناطق وضمها إلى سلطنته، ويحكم كل منطقة أمير إقطاعي، بدلاً من الراتب، وكانت هناك نزاعات بين هؤلاء الأمراء.

استلم السلطنة محمد تغلق شاه بعد اغتيال والده في احتفال بالنصر الذي حققه والده، وقد وصف ابن بطوطة الحادث المدبر لاغتيال غياث الدين، وتاريخ هذه الفترة يعتمد على وصف ابن بطوطة للحوادث، ومدة حكم السلطان محمد تغلق سبع وعشرون سنة، وقد اعتنى بدلهي ومدن الأقاليم الشمالية والشرقية، وكذلك عنايته بالبنغال، وكان من أعماله منح العبيد والمماليك فرصًا للعمل والإنتاج، واختار الأكفأ منهم في أعمال إدارية، كما طور ديوان البريد: كما اعتنى بالدواوين الأخرى، وبخاصة ديوان بيت المال، وكان السلطان يهب العلماء الهدايا والهبات.

استطاع السلطان محمد تغلق القضاء على المتمردين في بعض الأقاليم، ولكنه واجه حملة عسكرية كبيرة من قبل تيمورلنك، وبعد معارك طاحنة استطاع تيمورلنك القضاء على حكم التغلقيين سنة ٨١٣هـ، الموافق ١٤١٠م.

وعاش في هذا العصر بعض الفضلاء ومنهم الشيخ محمود بن محمد الدهلوي، وله كتاب «إفاضة الأنوار في إضاءة أصول المنار».

رابعا: أسرة السادة الخضر خانيون:

أدت الفتن الداخلية في دلهي ووسط الهند إلى بروز أسرة السيد، وأسسها خضر خان السيد سنة ٨١٣هـ، الموافق ١٤١٠م، وكان خضر خان قد ساعد تيمورلنك في زحفه على دلهي، لذا كان نائبًا عن تيمورلنك في حكم دلهي، وقام بالقضاء على المنشقين والمتمردين على حكم دلهي، وبعد وفاة خضر خان جاء ابنه مبارك شاه وسار على نهج سياسة أبيه، وقضى على تمرد أحد الحكام الهندوس، وبعد وفاته حكم دلهي ابنه محمد شاه السيد، ولكن لم يستطع القضاء على المناوئين فانتهت الأسرة وبرزت أسرة أخرى.

وكان الشيخ أبوالفتح بن العلاء الكالبوي قد عاش في هذا العصر، وصنف كتبًا منها: التكميل في النحو، والمشاهدة في التصوف، وكذلك القاضي إبراهيم بن فتح الله الملتاني، وقد ألف «معارف العلوم العربية في تعريفات العلوم والفنون».

خامسا: اللوديون:

كان مؤسس هذه الأسرة بهلول اللودي حاكمًا لولاية سرهندي، فقام بإخضاع المدن القريبة من ولايته، وكان السلطان عالم شاه آخر سلاطين السادة، وكان ضعيفًا أسقطه بهلول واستولى على سلطنة دلهي، وكوّن بهلول إدارة قوية في دلهي تتبعها الأقاليم، وأوجد منصب الوزير، والعارض، أي قائد الجيش، ومشرف ديوان الرسائل، وأمير العدل والصدر، أي مشرف الشؤون الدينية، وشملت السلطنة اثنين وثلاثين مقاطعة في عهد إبراهيم اللودي. وانتهت الأسرة إلى الضعف، ثم الانهيار.[1]

وهناك سلطنات وحكومات خارج سلطنة دلهي، منها:

أمراء البنغال وسلاطينها (٥٩٩-٩٨٤هـ، الموافق ١٢٠٢ - ١٥٧٦م)

دولة جونفور الشرقية (٧٩٦-٩٠٥هـ، الموافق ١٣٩٤-١٥٠٠م)

دولة مالوه (٨٤٠ - ٩٣٧هـ، الموافق ١٤٠١-١٥٣٠م)

دولة غجرات (٧٩٩-٩٨٠هـ، الموافق ١٣٩٦-١٥٧٢م)

دولة خانديش (٨٠١-١٠٠٨هـ، الموافق ١٣٩٩-١٥٩٩م)

قامت في الدكن حكومات ودول أخرى.

اللغة العربية في هذه السلطنات:

على الرغم من سيادة اللغة الفارسية فترة من الزمن، ثم زاحمتها اللغة التركية إلا أن اللغة العربية سرعان ما استردت مكانتها بفضل سلاطين وأمراء وعلماء اهتموا بها بصفتها لغة الدين الإسلامي؛ فهي لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، وكانت المدارس والمساجد تدرّس القرآن الكريم باللغة العربية، وكذلك الحديث الشريف، ثم يترجم باللغة المحلية، أو الفارسية.

(١) ياسر عبدالجواد المشهداني، تاريخ الدول الإسلامية ص ١٣٢.

عاش في هذه العصور مجموعة من العلماء والأدباء والشعراء، وقد تم ذكر مئات منهم في هذا الكتاب، ومنهم: أبوعلي شرف الدين القلندر، والشيخ أحمد ابن يحيى المنيري، ومولانا عالم بن العلاء الأندربتي، والشيخ عبدالله بن محمد الدهلوي، والشيخ محمد بن محمود الباني بتي، ومولانا فخر الدين الهانسوري، ومولانا نظام الدين الظفر آبادي، والقاضي أحمد بن عمر الدولة آبادي، والشيخ أشرف جهانغير السمناني، وله مختصر النحو وله شروح على بعض الكتب العربية، وغير هؤلاء عشرات العلماء والأدباء والفنانين والشعراء.

سادسًا: امبراطورية المغول (الأتراك):

ظهير الدين محمد بابر: (٩٣٣-٩٣٧هـ/ ١٥٢٦-١٥٣٠م)

كان والد بابر حاكمًا على سمرقند، فلما توفي آل الأمر إلى ظهير الدين بابر، الذي قام بالتوسع وسيطر على مدن أفغانستان، ووصل إلى حدود السند، وكانت الهند تغلي من الاضطرابات وحركات الانفصال، فقام عدد من أمراء الهند المسلمين والهندوس بطلب من بابر للقدوم إلى الهند، فلبى النداء ودخل الهند، وبدأ عصر امبراطورية المغول.

استولى بابر على البنجاب، وأخذ يستعد لدخول دلهي، فنشبت معركة بين جيش إبراهيم اللودي، المتكون من مئة ألف مقاتل، وجيش بابر حوالي اثني عشر ألف، ولكن الدائرة دارت على جيش إبراهيم، وانتصر بابر ودخل دلهي سنة ٩٣٣هـ، الموافق ١٥٢٦م، لتكون عاصمته، وبسبب وفاته سنة ٩٣٧هـ، الموافق ١٥٣٠م لم يستطع وضع نظام للحكم، وترك وصية لابنه همايون تبين سياسته.

السلطان نصيرالدين محمد همايون شاه: (٩١٣-٩٦٣هـ، ١٥٠٧-١٥٥٥م)

هو السلطان نصير الدين محمد همايون، تولى السلطنة بعد وفاة أبيه، وعين إخوته أمراء للأقاليم، وواجه بعض الثورات، ولكنه قضى عليها باستثناء حاكم البنغال، شير شاه، الذي تغلب عليه وفر إلى أفغانستان، ومنها إلى بلاد فارس مستنجدًا بالشاه طهماسب الذي ساعده واسترد حكم الهند، وحكم شير شاه خمسة عشر عامًا.

استطاع أن يحتل بلدات أفغانستان، ثم يدخل إلى الهند ويهزم عدوه، وكان يقرب السلطان العلماء، وكان يؤدي الصلاة بوقتها، ولكن في يوم سمع الأذان فذهب مسرعًا إلى المسجد لأداء الصلاة، ولكنه تزحلق فمات سنة ٩٦٣هـ، الموافق ١٥٥٥م.

السلطان جلال الدين محمد أكبر شاه (٩٦٣-١٠١٤هـ/ الموافق ١٥٥٥-١٦٠٥م)

استلم السلطة وهو في الثالثة عشرة من عمره، وحكم لمدة خمسين سنة، واستطاع أن يتوسع في ملكه ويشمل أفغانستان، وجميع شمال الهند والبنغال، وبلغ عدد الولايات ثماني عشرة ولاية تحت سيطرته، وفرض روح التسامح بين المسلمين وغيرهم، واعتمد على كفاءة الشخص، مهما كان دينه، وفرض احترام العقائد، وألغى بعض الضرائب على غير المسلمين، ومنع ذبح الحيوانات للتقرب.

دعا السلطان أكبر إلى الزواج من غير المسلمين، وعمل على إنهاء العصبيات الدينية، وعين أحد الراجوات قائدًا للجيش، وارتقى أحد الراجوات إلى منصب الوزير الأول، وقام بترتيب مناصب الدولة بحسب كفاءة الشخص، وأوجد منصب الوكيل والوزير وصاحب الديوان، ومنصب مير بخشي، مسؤول عن مرتبات الجنود، كما أوجد منصب خان سامان، المسؤول عن البلاط السلطاني.

أما شؤون العدل بحسب الأحكام الشرعية، فكان منصب قاضي القضاة، وكذلك المحتسب، وهو يراقب الناس وسلوكياتهم، ويمنع البدع والجرائم، وهناك أيضًا الشرطة والمفتي، والقائد العام للجيش، ثم مسجل وقائع الديوان الرسمية.

في سنة ٩٨٣هـ، ١٥٧٥م أنشأ السلطان أكبر دار تجمع المفكرين من السنة والشيعة، ويناقش معهم المذاهب بغية التقريب بينهم، وتوحيد الإسلام بمذهب واحد، ثم دعا الديانات الأخرى، وأخذ يطرح الأسئلة عليهم، لذا لجأ إلى ابتداع مذهب الإلهي، ووضع له بعض الصفات والقوانين، التي لم ترض أحدًا بالكامل، وكانت الخلافات بين الأديان أشد من الماضي.

آمن بفكرته بضعة آلاف بهدف التقرب من السلطان، وعمل بعض الإصلاحات، ولكن لم ينتشر مذهبه، وفي أواخر حياته عاد إلى الإسلام، وهدم ما كان بناه وانتهى مذهبه، وكان هدفه توحيد الهند تحت راية واحدة لمذهب واحد.

السلطان نور الدين محمد جهانغير: (١٠١٤-١٠٣٧هـ/ ١٦٠٥-١٦٢٨م)

استلم الحكم بعد وفاة أبيه، غير أنه واجه تمرد بعض حكام الأقاليم، ومنهم ابنه خسرو، حاكم البنغال، ولكن السلطان استطاع القضاء على تلك التمردات، واستطاع السلطان جهانغير أن يستولى على هضبة الدكن، وأخذ حصن كنجا، وقد استعصى على فيروز شاه وعلى السلطان أكبر، وقد تمكن من الاحتفاظ بمناطق وأقاليم أبيه.

السلطان شهاب الدين محمد شاه جهان: (١٠٣٨-١٠٦٩هـ/ ١٦٢٨-١٦٥٨م)

تولى السلطنة شهاب الدين شاه جهان بعد وفاة أبيه، وقام بتوطيد حكمه في إقليم الدكن، وقضى على تمرد فيه، واتخذ من أغرا (أكرا) عاصمة له، وحاول العدل بين الرعية وساوى بين المسلمين والهندوس، واستطاع القضاء على آخر ما تبقى من قواعد الدين الإلهي، وأرسل الهبات السنوية للحرمين الشريفين، وقام بعدة إصلاحات دينية، واجتماعية.

السلطان محيي الدين محمد أورنك زيب عالمكير: (١٠٦٩-١١١٨هـ/ ١٦٥٨-١٧٠٧م)[١]

أعظم سلاطين الهند تولى السلطنة سنة ١٠٦٩هـ/ ١٦٥٨م، كان أورنك زيب منذ طفولته قويًا شجاعًا، ويذكر المؤرخون أنه عندما كان في الرابعة عشرة من عمره تعلم الفروسية، وكان يشاهد صراع الفيلة، فأحد الفيلة هاجم أورنك زيب، فقام بطعن الفيل بخنجره، مما أدى إلى غضب الفيل وعاد مهاجمًا، ولكن الصبي سل سيفه وهاجم الفيل مما أدى إلى هروب الفيل، فقام أبوه وعانقه وهنأه على هذه الشجاعة النادرة.

وقد تولى السلطة بعد محاربة إخوته، وانتصر عليهم، وعلم ما يضمره والده له من عزله، لذا قام بخلع والده وسجنه في قلعة أكرا، وكان دمث الأخلاق، وليس كما كان إخوته من الفساد واللهو، وكان كريمًا عادلاً متمسكًا بأحكام الشرع، وحاول غير المسلمين الانفصال عن السلطنة، ولكن أورنك زيب حاربهم وهزمهم، وهدم معابدهم، وفرض عليهم الجزية، التي كانت قد أسقطت عنهم، واستطاع ضم كل الأراضي الهندية، سوى بعض الأراضي التي سيطر عليها البرتغاليون.

كان أورنك زيب متعبدًا، يتلو القرآن الكريم، ويؤدي الصلوات والصيام، وكان متشددًا في تحريم الخمر والميسر، وأمر بترميم المساجد، وعين فيها الأئمة والمؤذنين والخطباء، وأشاع بين الناس

(١) صاحب عالم الأعظمي الندوي، السلطان أورنك زيب عالم كبير، القاهرة، دار الآفاق العربية، ٢٠١٥، معظم تاريخ الهند.

محبة الدين والتقيد بأخلاقه، وقلص عدد غير المسلمين في الإدارة الحكومية، وكانت وصيته عند موته ألا يزيد كفنه عن خمس روبيات، وينفق ما لديه من مال وهو(٣٠٠) روبية على الفقراء، وتوفي سنة ١١١٨هـ/ ١٧٠٧م.

بعد وفاة السلطان عالمكير بدأ الصراع بين الأبناء، فقد كان أورنك زيب متزوجًا من أربع نساء، ولديه ذرية ذكور يتصارعون على الحكم، مما أدى إلى طمع القوى الأخرى في حكم الهند، وانفصلت بعض الولايات، وبدأت سيطرة شركة الهند الشرقية البريطانية، وكان آخرهم السلطان بهادور شاه الثاني الذي خلعه الإنجليز بعد فشل ثورة الهنود ضد الشركة البريطانية سنة ١٨٥٧م. (١)

حضارة المغول في الهند:

تركت سلطنة المغول، أو الأتراك حضارة عظيمة في الهند تمثلت في المباني العظيمة، والمساجد والقلاع، واهتم السلاطين بتطوير المدن، وأوجدوا مدنًا جديدة، وشيدوا فيها المساجد والمدارس والأسواق التجارية، وكل مهنة لها سوقها، كان الإمبراطور أكبر مهتمًا ببناء القصور والقلاع، وأحضر من الآستانة بعض المهندسين لتصميم القصور بما يتناسب مع فكرته في توحيد الأديان، وامتزج الفن الهندي بالإسلامي، ولكن معظم المباني التي شيدها اندثرت، ولم يبق منها سوى القليل.

كان عصر شاه جهان مميزًا في فن العمارة، فقد أحب زوجته ممتاز محل، وكان لها نشاط اجتماعي كبير في مساعدة النساء الهنود، ومساعدة الفقراء، وتزويج الفتيات، وكان السلطان شاه جهان معجب بنشاطها، زيادة على حبه لها، وقد توفيت أثناء ولادة آخر أبنائها، فشيد السلطان أجمل قبر في العالم، وأحضر للبناء، مهندس فارسي وفرنسي وإيطالي لبناء ضريح زوجته المحبوبة، فكان تاج محل من أبدع المباني في العالم، كما قام السلطان شاه جهان ببناء مدينة جديدة، وهي مدينة نيودلهي (دلهي الجديدة)، وبنى فيها القلعة الحمراء.

كان يعمل في البناء اثنان وعشرون ألف عامل، واستغرق بناء تاج محل اثنين وعشرين عامًا، وبرز كأجمل المباني التاريخية على الإطلاق. أما أورنك زيب فلم يهتم بعمارة القصور والقلاع،

(١) ياسر عبدالجواد المشهداني، تاريخ الدول الإسلامية في آسيا ص ١٩٣.

ولكنه كان مشغولاً بالحروب، وكان سلوكه دينيًا خالصًا، ومن أتوا من بعده كانوا ضعافًا، وبينهم صراعات وتنافس على السلطة، فلم يهتموا بالبناء والتشييد،

علماء العصر المغولي:

كان سلاطين الدولة يشجعون العلم والعلماء، ويبنون المدارس والمساجد، ويوظفون الأئمة والمؤذنين، والمدرسين، ويجزلون لهم العطاء والهدايا، ويكافئون المجتهد منهم بتأليف الكتب وشروح الكتب والتعليقات عليها، فبرز مجموعة من العلماء والشعراء والأدباء في هذا العصر، منهم:

- **الشيخ بابر شاه التيموري، الذي كتب الوقائع البابرية، وهي أخبار بابر، وله رسائل في علم العروض، وله كتاب في الفقه الحنفي، وتوفي سنة ٩٣٩هـ، الموافق ١٥٣٢م.**
- **الشيخ ركن الدين السندي، ألف شرح الأربعين، وله شرح على خلاصة الكيداني، وتوفي سنة ٩٤٩هـ، الموافق ١٥٤٢م.**
- **مولانا غياث الدين الهروي، ألف خلاصة الأخبار في أحوال الأخيار، وهو كتاب في التاريخ من بداية الخلق، وملوك العجم، وتاريخ الأمويين والعباسيين، وله أيضًا، دستور الوزراء، وتوفي سنة ٩٤٤هـ، الموافق ١٥٣٧م.**
- **الشيخ عبدالقدوس الغنغوهي، له تعليقات على في شرح الصحائف في الكلام، وشرح على عوارف المعارف، وله كتاب أنوار العيون وأسرار المكنون، وتوفي سنة ٩٤٤هـ، الموافق ١٥٣٧م.**
- **مولانا عبدالأول الجونفوري، ألف، فيض الباري شرح صحيح البخاري، وله منظومة المواريث، وله رسالة في تحقيق النفس، وله مختصر السير، وتوفي سنة ٩٦٨هـ، الموافق ١٥٦٠م.**
- **الشيخ محمد غوث الغواليري، ألف الضمائر والبصائر في التصوف، وله بحر الحياة، في الجوغية والسياسية طوائف هندية، وله كنز الوحدة في أسرار التوحيد، وتوفي سنة ٩٧٠هـ، الموافق ١٥٦٢م.**
- **الشيخ محمد بن عاشق الجرياكوتي، ألف، التفسير المحمدي، وله الجواهر العربية في الفنون الأدبية، وله أيضًا، حاشية التلويح في الأصول، وله، الكوكب الدري، توفي سنة ٩٧٢هـ، الموافق ١٥٦٤م.**

- الشيخ إبراهيم بن محمد الملتاني، ألف معدن الجواهر، وتوفي سنة ٩٧٢هـ، الموافق ١٥٦٤م.
- الشيخ علي بن الحسام الدين المتقي، ألف كنز العمال، في الحديث الشريف، وله البرهان في علامات المهدي، لخصه من العرب الوردي في أخبار المهدي للسيوطي، وتوفي سنة ٩٧٥هـ، الموافق ١٥٦٧م.
- الشيخ عبدالعزيز الدهلوي، شرح الحقيقة المحمدية للشيخ وجيه الدين العلوي الغجراتي، وله الرسالة العينية في الرد على الغيرية للشيخ عبدالملك ابن عبدالغفور، وتوفي سنة ٩٧٥هـ، الموافق ١٥٦٧م.
- الشيخ نظام الدين الكاكوروي، ألف المنهج في أصول الحديث، وله المعارف، وشرح الملهمات القادرية، في الحقائق، توفي سنة ٩٨١هـ، الموافق ١٥٧٣م.
- الشيخ محمد حسين اليزدي، ألف شرح شمائل الترمذي، وله منظومة في الشمائل، وتوفي سنة ٩٨١هـ، الموافق ١٥٧٣م.
- الشيخ حسن بن أحمد الكجراتي، ألف تفسير القرآن الكريم، وله نزحة الأرواح، توفي سنة ٩٨٢هـ، الموافق ١٥٧٤م.
- المفتي جمال الدين بن نصير الدهلوي، ألف شرح العضدية، وشرح أنواع الفقه، وشرح مفتاح العلوم للسكاكي، وله حاشية على شرح الجامي على كافية ابن الحاجب، توفي سنة ٩٨٤هـ، الموافق ١٥٧٦م.
- الشيخ محمد طاهر البتني، ألف مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، وهو في مجلدين، وله تذكرة الموضوعات، وله أيضًا المغني في أسماء الرجال، توفي سنة ٩٨٦هـ، الموافق ١٥٧٨م.
- الشيخ عبدالله السلطان فوري، ألف كشف الغمة، وله منهاج الدين، شرح العقيدة الحافظية، وله أيضًا رسالة في تفضيل العقل على العلم، وتوفي سنة ٩٩٠هـ، الموافق ١٥٨٢م.
- الشيخ محمد بن أحمد النهروالي، ألف كتاب، الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، وله البرق اليماني في الفتح العثماني، وهو في فتح اليمن، وله أيضًا منتخب التواريخ، في التراجم، وله تمثال الأمثال النادرة، وتوفي سنة ٩٩٠هـ، الموافق ١٥٨٢م.

- **الشيخ محمد بن أحمد الفاكهي، ألف شرح مختصر الأنوار، في المذهب الشافعي، رسالة حول آية الكرسي، رسالة في اللغة العربية، وله كتاب باب السلاطين، وتوفي سنة ٩٩٢هـ، الموافق ١٥٨٤م.**

- **مولانا عالم الكابلي، ألف تعليق على شرح المقاصد، وله حاشية على المطول وتوفي سنة ٩٩٢هـ، الموافق ١٥٨٤م.**

- **الشيخ نظام الدين البدخشي، ألف حاشية على شرح العقائد في إثبات الكلام، وله إيمان التحقيق والتصديق، وتوفي سنة ٩٩٣هـ، الموافق ١٥٨٥م.**

- **الشيخ داؤد بن حسن الكشميري، ألف العقدية الجلالية والرسالة العالية، وله ورد المريدين، وشرحه دستور السالكين، وتوفي سنة ٩٩٤هـ، الموافق ١٥٨٦م.**

- **الشيخ رحمة الله السندي، ألف كتاب المناسك، وله تلخيص تنزيه الشريعة، عن الأحاديث الموضوعة، لشيخه علي بن محمد الخطايب، وتوفي سنة ٩٩٤هـ، الموافق ١٥٨٦م.**

- **مولانا وجيه الدين الغجراتي، ألف حاشية على تفسير البيضاوي، وله حاشية على أصول البزدوي، وحاشية على هداية الفقه للمرغيناني، وله شرح التجريد للأصفهاني، وشرح العقائد للتفتازاني، وله شرح على رسالة على القوشجي، وتوفي سنة ٩٩٨هـ، الموافق ١٥٩٠م.**

وكان هؤلاء العلماء يتحدثون ويكتبون باللغة العربية، ويدرسونها لتلاميذهم، ويؤلفون بها كتبهم، ويعتزون بها.

عصر الاستعمار البريطاني: (١٨٥٧-١٩٤٧م)

احتل البرتغاليون بعض سواحل الهند الغربية والجنوبية، واضطهدوا السكان، فما كان من الهنود إلا الثورة على البرتغاليين وطردهم من معظم الأراضي الهندية، ولكنَّ البريطانيين أسسوا شركة تجارية، وهي «شركة الهند الشرقية البريطانية»، وأخذت تمارس نشاطها التجاري، ولكنها توسعت في الاستيلاء على الأراضي بحجة التجارة، وحماية التجارة، فكان حكم بريطانيا للهند بصورة غير مباشرة، وفرضت تلك الشركة قوانينها على المناطق المحتلة من الهند، مع سوء التصرف والتمييز، مما أدى إلى أن يقوم الهنود بثورة عارمة ضد الإنجليز سنة ١٨٥٧م.

استطاعت بريطانيا بقوتها العسكرية إخماد الثورة، وخلع آخر سلاطين المغول، وهو السلطان محمد بهادر الثاني، وأخذوه أسيرًا مع عائلته، وفي الطريق قام الجنود الإنجليز بإطلاق النار على أولاده الثلاثة فقتلوهم، وقطعوا رؤوسهم، فلما كان وقت غداء السلطان وضعوا رؤوس أبنائه مغطاة على الطاولة فلما كشف الغطاء وجد رؤرس أبنائه!!! وقد كانت مصيبة كبرى أصابت ذلك الرجل العجوز، وبذلك أنهت بريطانيا حكم السلاطين، وبعدها صدرت مراسيم بريطانية باعتبار الهند مستعمرة بريطانية رسمية منذ ذلك التاريخ.

كانت الهند تعيش تحت ظل قيادة هندية، ولو كانت اسمية، إلا أنهم بعد انتهاء القيادة الإسلامية، واجهوا الخوف من ضياعهم، ونهاية الإسلام في هذا البلد، كما حدث بالأندلس، لذا عقد العلماء كثيرًا من الاجتماعات، والمشاورات، والمؤتمرات، واهتدوا إلى طريقة لحفظ الدين، وحفظ أنفسهم في بلادهم.

بدأ العلماء يخططون لحفظ دينهم، وحفظ لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، فيبدأ الطفل في الدراسة المنزلية، إن أمكن، أو الذهاب إلى الدروس المسجدية، فقد تحولت المساجد إلى مراكز لتعليم القرآن وحفظه، وحفظ الحديث الشريف، ويتعلم أيضًا اللغة الفارسية والعربية فضلاً عن لغة الأردو، ثم الذهاب إلى المدارس الدينية، أو الكليات الإسلامية.

فكّر العلماء في الدراسات العليا، فقرروا إنشاء الجامعات، والكليات، والمكتبات، والمراكز العلمية الأخرى، فتم تطوير المدارس الصغيرة لتصبح مدارس كبيرة، والمدارس الكبيرة أصبحت كليات، وتم إنشاء كليات لتتحول إلى جامعات، بل فكر العلماء في إنشاء جامعات لتخريج المدرسين الأكفاء في اللغة العربية والدين الإسلامي، فكانت الجامعات الأولى في القرن التاسع عشر.

كلية دار العلوم ديوبند:

أسس هذه الكلية الشيخ محمد قاسم النانوتوي سنة ١٢٨٣هـ، الموافق ١٨٦٦م، ومع الشيخ بعض العلماء أمثال: الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ محمد يعقوب النانوتوي، والشيخ محمود الحسن الديوبندي، والمفتي عزيز الرحمن، والشيخ حسين أحمد المدني، وغيرهم من العلماء.

تمتد الدراسة في الكلية إلى احدى عشرة سنة، ويدرس فيها «المنهج النظامي، الذي وضعه الشيخ نظام الدين، مؤسس «فرنكي محل» في مدينة لكناؤ، والدراسة فيها باللغة العربية، وبعدها يحصل الطالب على شهادتها، التي تعترف بها الجامعات الأخرى، ومنها الأزهر الشريف.

كان هدف المؤسسين حماية مكتسبات الإسلام، والحفاظ على لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، (اللغة العربية)، ووضعوا أهدافًا لدار العلوم:

تعليم الكتاب والسنة على المستوى العالي، بجميع ما يتعلق بهما.

تخريج علماء ضالعين في العلوم، حريصين على خدمة الإسلام.

مكافحة البدع والخرافات، ومقاومة جميع القوى المعادية للإسلام.

عرض الإسلام عرضًا عصريًا، يستسيغه العوام من المسلمين.

تدريس جميع العلوم والفنون باللغة العربية، لأنها لغة الإسلام الرسمية.

استمرت الدار في التوسع، ووضعت أقسامًا علمية لكل فن من الفنون الإسلامية، وكان للدار مجلس استشاري يضم تسعة عشر من كبار علماء الهند، ومنذ بداية افتتاح الدار توافد عليها الطلاب من جميع أنحاء الهند، وبعد استكمال دراستهم أصبحوا الدعاة إلى الدين الإسلامي، وتخرج من الدار آلاف من العلماء الصغار الذين أصبحوا كبارًا بزيادة علمهم وثقافتهم. [1]

استاءت بريطانيا من انتشار أفكار ديوبند في الهند، فأرسلوا المبشرين المسيحيين لتنصير المسلمين، كما خلقت فتنة القاديانية، فتصدى رجال دار العلوم لهؤلاء يفندون آراءهم، ويصدونهم عن التمكن من السيطرة على أفكار البسطاء من المسلمين، لذا أصبحت تلك الدار مكانًا لتحصين المسلمين من الانحراف، وعمر الجامعة أكثر من مئة وخمسين سنة، وتخرج منها الآلاف، وما زالت قائمة بواجبها.

(١) عبدالحليم الندوي، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند (دلهي: الجامعة الملية الإسلامية ١٩٦٧م) ص ١.- محمد عبيد الله الأسعدي القاسمي، دار العلوم ديوبند (ديوبند: أكاديمية شيخ الهند ٢٠٠٠م) أجزاء متفرقة من الكتاب، وهو كبير الحجم، أكثر من ثمانمئة صفحة.

جامعة علي كره الإسلامية:

أسس الجامعة السير سيد أحمد خان، وقد كانت مدرسة أفتتحها سنة ١٨٧٥م، باسم «مدرسة العلوم» للمسلمين، ولكنها تحولت إلى كلية المسلمين الشرقية سنة ١٨٧٧م، ثم أصبحت «جامعة علي كره الإسلامية» سنة ١٩٢٠م على غرار الجامعات الإنجليزية، ونجح السير سيد أحمد في استقطاب المسؤولين في الهند، والمساعدات من حكومة الولاية، وتبرعات من شخصيات مشهورة.

بدأت الجامعة تتوسع في إنشاء الكليات المختلفة، والأقسام العلمية المتعددة، وكان يوجد بها قسم للطب اليوناني، ويسمى بالطب العربي، وفي سنة ١٩٦٢م تم إنشاء كلية الطب البشري العصري، وكان بها أيضًا الكلية الدينية: وبها قسم العلوم الدينية على مذهب أهل السنة، وقسم آخر على مذهب الشيعة، لتحقق الجامعة الوحدة الإسلامية، وبها مسجد لجميع طوائف المسلمين.

تم إنشاء مكتبة جامعية عامة، هي مكتبة مولانا آزاد، التي تضم آلاف الكتب العربية والمخطوطات، منها: حوالي عشرة آلاف مخطوط باللغة العربية، مع أكثر من ذلك من الكتب العربية المطبوعة، فضلاً عن الكتب باللغات الأخرى، وكتب العلوم الحديثة، بلغات متعددة، منها: الفارسية، والإنجليزية ،والأردو، والهندية.

وظف السير سيد أحمد خان كل ما يملك من مال وجهد في سبيل إنشاء جامعة عصرية، بعد أن زار بريطانيا سنة ١٨٦٩-١٨٧٠م، وتعرف على بعض الجامعات، الإنجليزية والأسكتلندية، وعرف نظام الدراسة بها، وبدأ يخطط للتعليم في الهند، لذا كان همه إنشاء جامعة على غرار أكسفورد وغيرها، وأصبحت جامعته من أقدم الجامعات في الهند، وأكثرها شهرة، وتضم علماء وأساتذة من الهند وإنجلترا، وتخرج فيها آلاف من الشباب الهندي. [١]

ندوة العلماء، لكناؤ:

ساء علماء المسلمين الهنود انحسار تعليم اللغة العربية في الهند، فعقدوا ندوة بمدرسة فيض غلم بكانفور، بدعوة من الشيخ محمد علي المونكيري، سنة ١٣١٠هـ، الموافق ١٨٩٢م، وقرر المجتمعون

(١)جامعة عليكره، مجلة المجمع العلمي العربي الهندي (عليكره: المجمع العلمي العربي الهندي ٢٠١٧م) المجلد السابع والثلاثون، العدد الأول، أجزاء من عدة مقالات من العدد. محمد صلاح الدين العمري، المنتقى من مقالات سيد أحمد خان (عليكره: جامعة علي كره ٢٠٠٧) ص٧.

إنشاء جمعية إسلامية باسم «ندوة العلماء»، وقد تم تأسيسها سنة ١٣١١هـ، الموافق ١٨٩٣م، وكانت هذه الجمعية نواة جامعة ندوة العلماء، وطاف أعضاء الجمعية في أنحاء الهند يشرحون أهداف الجمعية، وما تتطلع إليه من تقدم وعلم ومعرفة، وكانت العربية أساس الدراسة.

قامت ندوة العلماء على أربع نقاط:

- إعداد جيل يدرك مدى خطورة الأوضاع الراهنة، التي تمر بها الهند.
- وضع منهج تعليمي يتكفل بتحقيق مطالب العصر.
- رفع الخصومات المبنية والمستمرة على المذاهب الفقهية.
- نشر دعوة الإسلام في أرجاء المعمورة.

حرص المؤسسون على نشر الوعي الديني بين المسلمين، وكان القرآن الكريم أساس الدرس، واللغة العربية مادة التدريس في معظم المقررات الدراسية، وكانت الفارسية اللغة الرسمية في الهند، ولكن دراسة اللغة العربية جاءت لحفظ القرآن الكريم والحديث الشريف، وتم تقسيم الدراسة إلى أربعة أقسام، والقسم الرابع وضعه الشيخ نظام الدين، وسارت عليه المدارس والمعاهد الإسلامية، وكان يعرف باسم «المنهج النظامي»، وتم حذف المناهج السابقة.

قامت ندوة العلماء بالتركيز على دراسة اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم، والحديث الشريف، ووضعت في المنهج الدراسي الدراسة الأدبية، وتخلت عن النصوص الجامدة، فكان يدرس ديوان المتنبي، ومقامات الحريري، وبعض المعلقات الجاهلية، كما زادوا من جرعة الأدب العربي في الخطابة والكتابة والصحافة.

استطاعت ندوة العلماء استقطاب بعض علماء العربية العرب، من أمثال: الشيخ محمد بن الحسين الخزرجي، والدكتور محمد تقي الدين الهلالي، والشيخ محمد الطيب المكي، والأستاذ محمد العربي الهلالي، ومن خلال هؤلاء الأدباء العرب انطلقت رياح الأدب العربي، وبرع في الأدب العربي من الهنود الشيخ أبوالحسن الندوي، والشيخ مسعود عالم الندوي، والأستاذ محمد ناظم الندوي، والشيخ عبدالرحمن الكاشغري، وألف هؤلاء كتب الدراسة الأدبية في ندوة العلماء.[١]

(١) عبدالحليم الندوي، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند ص ٣٤.

الجامعة الملية الإسلامية:

انشقت جماعة من الطلبة من جامعة علي كره الإسلامية، وأنشأوا هذه الجامعة، وبدأت بالخيام في علي كره سنة ١٩٢٠م، ووضع حجر الأساس لها العلامة محمود حسن الديوبندي، وبعد فترة نقلها الحكيم محمد أجمل خان إلى دلهي وهو من زعماء حركة الاستقلال، وكان ينفق عليها من جيبه، ومن بعض التبرعات الأهلية.

وضعت الجامعة لها منهجًا، وعينت أقسامها العلمية، وتبدأ الدراسة بها من مرحلة الروضة، ثم الابتدائية، وبعدها الثانوية قبل الدراسة الجامعية، وفيها معاهد متخصصة في العلوم الريفية، وجميع الطلبة لهم سكن داخلي في حرم الجامعة.

بعد الحصول على الشهادة الثانوية يسجل الطالب في الجامعة للحصول على الشهادة الجامعية (ليسانس)، ومدة الدراسة ثلاث سنوات، وبعد الشهادة الجامعية يدرس الطالب سنة واحدة في كلية التربية، وبعد استقلال الهند تكفلت الحكومة الهندية بمصاريفها، وكانت جهود الدكتور ذاكر حسين في إدارة الجامعة مميزة، ولكنه ترك الجامعة لمهام أخرى، فقد عين نائبًا لرئيس الهند، وكان قد ارتقى بها كثيرًا، ودعم قدراتها وطورها، مع بعض الأساتذة البارزين.

كانت مصاريف الجامعة شاقة تحصل عليها من تبرعات تجار الهند المسلمين، وكانت ميزانيتها حوالي عشرين ألف روبية، ولكن بعد أن تكفلت الحكومة بمصاريفها أصبحت ميزانيتها مليون ومئتي ألف روبية، وزادت أقسام الجامعة. [١]

الجامعة الناظمية:

أسس هذه الجامعة السيد ناظم سنة ١٣٠٨هـ، الموافق ١٨٩٠م، لتكون جامعة خاصة للشيعة في مدينة لكناؤ، ولها هيئة إدارية من العلماء والمحامين والأساتذة، وتنقسم الجامعة إلى قسمين، أولا: المدرسة، لتهيئة الطلبة للجامعة. ومدتها تسع سنوات، ويتناول الطالب دراسة اللغة العربية وحفظ القرآن الكريم، والمسائل الدينية.

(١) عبدالحليم الندوي، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند ص ٨٩.

ثانيًا: الجامعة، ويشمل منهجها دراسة القرآن والحديث، واللغة العربية والتفسير والفقه وأصوله، والعقائد، والنحو والصرف والأدب العربي، والتاريخ الإسلامي، ومدة الدراسة فيها إحدى عشرة سنة، ويتخرج حاملاً شهادتها، ومتخصصًا في الدراسة الإسلامية بجميع قنواتها.

تمنح الجامعة ثلاث شهادات: شهادة القابل، أي الشهادة العالمية. وشهادة الفضيلة. وشهادة ممتاز الأفاضل، وهي شهادة التخصص في العلوم الشرعية. وبعد ذلك يدرس الطالب منهج اللغات الشرقية، ويؤدي الامتحان في احدى الجامعات: جامعة الله أباد، وجامعة لكناؤ، وجامعة علي كرة الإسلامية.

وللجامعة نظام داخلي، توفر الجامعة السكن والأكل والدراسة للطالب، وبها مقر للتدريب على الخطابة، أو الصحافة، أو كتابة المقالات والكتب، فهي الجامعة الأولى في الهند التي توفر للطالب جميع احتياجاته. [1]

الجامعة السيفية:

أسسها السيد طاهر سيف الدين في بداية القرن العشرين في مدينة بومبي، وتتكون من ثلاثة أقسام: ١- القسم الابتدائي. ٢- القسم الثانوي. ٣- القسم العالي. ويدرس الطالب فيها اللغة العربية، وعلوم القرآن الكريم والحديث الشريف على مذهب البهرة، والفقه وأصوله، والتاريخ الإسلامي، والعهد الفاطمي، وتاريخ الهند، كما يدرس الطالب الرياضيات، والاقتصاد، والسياسة، ودستور الهند.

التعليم بالمجان في جميع المراحل، وكذلك المعيشة والسكن، وفي الجامعة مركز للتدريب على المهن المختلفة، وتهيئ الجامعة للطلبة زيارة بعض الدول العربية، للحج أو الزيارة، للاستزادة المعرفية،

يتبع الجامعة معاهد عصرية بحسب المناهج المعروفة، من دراسة الفنون والتكنلوجيا، لذا تم بناء معهدين للتعليم الفني والتكنلوجي، وكان المؤسس ينفق على الطلبة المحتاجين في أنحاء الهند بغض النظر عن ديانتهم، أو مذهبهم، وله أوقاف تهتم بالمحتاجين من الطلبة.

الجامعة النظامية:

أسس هذه الجامعة الشيخ محمد أنوار الله سنة ١٢٩٢هـ، الموافق ١٨٧٥م، في مدينة حيدرآباد، الدكن، التي كانت تحت سلطنة النظام شاهي، وحصل على تأييد ومساندة مير عثمان علي خان، وقد وضع المؤسسون أهدافًا لها:

(١) عبدالحليم الندوي، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند ص ٦٣.

- دراسة العلوم الإسلامية، من قرآن وحديث، وسيرة وتفسير، وفقه وأصوله، وعلم العقائد والكلام، واللغة العربية وآدابها، والبلاغة والبيان، والتاريخ الإسلامي، والجغرافيا والعلوم العصرية.
- الدعوة إلى التمسك بالشريعة الإسلامية، والأخلاق النبوية، وصيانة الشعائر الإسلامية من الانحرافات.
- نشر العلوم الإسلامية، والمحافظة عليها، وبث الوعي الإسلامي، وإزالة الجهل والخرافات، وإقامة المجتمع الإسلامي.
- إعداد البحوث العلمية في مجالات العلوم الإسلامية.

تنقسم الدراسة إلى أربعة أقسام: الابتدائية والمتوسطة والثانوية والجامعية، تمتد الدراسة الابتدائية والمتوسطة إلى ثماني سنوات، ويدرس الطالب القرآن الكريم، واللغة العربية، والنحو والصرف وآداب اللغة العربية، والأردو والفارسية، والفقه، والتاريخ والجغرافيا والحساب وعلم المدنية، وفي المرحلة الثانوية يدرس بتعمق المواد السالفة لمدة سنتين.

في المرحلة الجامعية والتي تمتد إلى ست سنوات، وتنقسم إلى ثلاث مراحل: العالمية، والليسانس الفضيلة، والماجستير الكمال، ويدرس الطالب المواد السالفة بتعمق أكثر، إلى جانب البلاغة والبيان، والإنشاء والترجمة، والمنطق والفلسفة، ثم يدخل مرحلة البحوث العلمية، وتحضير رسالة الماجستير. [1]

الجامعة العثمانية:

تم إنشاء الجامعة العثمانية، نسبة إلى المير عثمان علي خان، سنة ١٩١٨م، وقامت حكومة حيدرآباد بتجهيز الجامعة بكل ما تحتاج إليه، من مبانٍ ومعدات، وخدمات أخرى، وهي تضم واحدة وستين كلية في مختلف التخصصات العلمية، واعتمدت لغة الأردو لغة رسمية للتدريس، فتم إنشاء قسم لترجمة المواد من الإنجليزية إلى الأردو، وتم إلحاق «دائرة المعارف العثمانية» بها، فهي دائرة النشر والتوزيع للعلوم الشرقية، ولديها آلاف من المخطوطات العربية، تلك الدائرة التي أسست سنة ١٨٨٨م، ويرأسها رئيس قسم اللغة العربية.

(١) نشرة أصدرتها الجامعة النظامية بمناسبة مرور مئة وخمس وعشرين سنة على إنشائها. وتحتوي على تاريخها، ومناهجها، ومعلومات عنها.

في احدى زياراتي لدائرة المعارف العثمانية سألت كبير المصححين أبا بكر الهاشمي- رحمه الله- عن عدد المخطوطات العربية في حيدرآباد. فقال: يوجد حوالي خمسين ألف مخطوط باللغة العربية، وبعضها يرجع تاريخه إلى القرن الثاني الهجري، ولكن بعضها غير مكتمل، ينقصها بعض الأوراق.

تتكون الجامعة من واحد وستين كلية، وتشمل جميع العلوم والفنون والآداب، وتدرس اللغة العربية، وتمنح الماجستير والدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، وعدد الطلبة فيها يفوق المئة ألف طالب في جميع التخصصات العلمية والأدبية.

تطور تدريس اللغة العربية كثيرًا بعد فشل الثورة الهندية سنة ١٨٥٧م، لذا انبثقت المدارس والجامعات والمعاهد والمساجد بغرض تدريس اللغة العربية، وحفظ القرآن الكرين، والحديث الشريف، ولجأ أصحاب المراكز والمشرفون عليها إلى وضع اللغة العربية في أول اهتماماتهم التدريسية. (١)

دائرة المعارف العثمانية:

أسس عماد الدين سيد حسين البلغرامي، ومولانا محمد أنوار الله خان العمري، وملا عبدالقيوم هذه الدائرة سنة ١٨٨٨م، لتقوم بحفظ ونشر التراث الإسلامي العربي، من القرن السادس الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري، وقامت الدائرة بتحقيق نفائس المخطوطات العربية ونشرها، وعمل بها مجموعة من المحققين، والباحثين المشهود لهم بالدقة والكفاءة في التحقيق، ولا تزال الدائرة تعمل.

كان العمل قديمًا مملاً ومتعبًا، حيث يتم صف حروف الكلمات يدويًا، هكذا رأيتهم في أول زيارة لي للدائرة سنة ٢٠٠٠م، ولكنها الآن تستخدم الكمبيوتر في الكتابة والتحقيق، فضلاً عن الأجهزة الحديثة في الطباعة. (٢)

وقام نفر من الأساتذة الهنود بإنشاء مكتبات، وجمع المخطوطات العربية، والاهتمام بها وتحريرها ونشرها، كما فعلت دائرة المعارف العثمانية، والجامعات الإسلامية، التي تحتفظ بمجموعات كبيرة من المخطوطات العربية، وهي موجودة في سبعة وعشرين مركزا، تشمل المكتبات والجامعات، وبعض المكتبات الخاصة، ومن أشهر المكتبات في الهند:

(١) Osmania university: hand book1999-2000، معلومات من تلك النشرة خاصة لكلية الآداب في الجامعة العثمانية.
(٢) دائرة المعارف العثمانية، نشرة خاصة عن الدائرة صدرت سنة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

مكتبة رضا في رامبور:

التي تأسست سنة ١٢٠٨هـ، الموافق ١٧٩٤م، وكانت تحت رعاية نواب السيد حامد علي خان بهادر، حاكم رامبور، والذي افتتح مبناها الجديد سنة ١٨٩٢م، وتضم آلاف المخطوطات العربية، ولها فهارس مطبوعة.

مكتبة خدا بخش في بتنا:

أسسها السيد خدا بخش، وجمع كثيرًا من المخطوطات العربية والفارسية حتى وفاته سنة ١٨٧٦م، وأوصى ابنه بالاهتمام بها، فقام الابن بتزويدها بكثير من الكتب المطبوعة والمخطوطة، وأصبحت مكتبة عامة يرتادها القراء، وبها حوالي تسعة آلاف مخطوط باللغة العربية، كما أخبرني أمينها العام الأستاذ حبيب الرحمن، وقد اطلعت على نفائس المخطوطات العربية التي كانت بحوزة المكتبة.

المكتبة الناصرية في لكناؤ:

مكتبة ضخمة للتراث العربي الإسلامي، وتضم آلاف المخطوطات العربية، ولكنها مهملة لقلة العناية بها، ولم تقم الحكومة المحلية بالمساعدة في حفظ هذا التراث الكبير، وقد أسسها السيد العلامة ناصر حسين في القرن التاسع عشر. (١)

والخلاصة: أن هذه المراكز العلمية آلت على نفسها تنمية اللغة العربية ونشرها في أرجاء الهند، حفاظًا على الدين الإسلامي من الضياع، وخاصة بعد انتشار المبشرين بالمسيحية إثر انهيار الثورة الهندية سنة ١٨٥٧م، ثم ظهور القاديانية، مذهب خلقه الإنجليز لإضعاف قوة المسلمين الذين كانوا يحكمون معظم أرجاء الهند، وإلغائهم لسلطنة المغول في الهند.

تحولت آلاف المساجد إلى مدارس، وتوسع الهنود في إنشاء المدارس، والكليات والجامعات، والمعاهد الإسلامية بغرض بث اللغة العربية وآدابها، كما جمعوا التراث العربي الإسلامي في مكتبات وجامعات، وحتى في المتاحف، كما في المتحف الوطني الهندي، في دلهي، ومتحف سلار جنك في حيدرآباد الدكن، ولا يزال الأساتذة الهنود يهتمون بنشر العربية في أصقاع الهند.

****

(١) عبدالحليم الندوي، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند ص ١٣٦- وغيرها.

١

إبراهيم بن صالح الهندي

٠٠٠ - ١١٠٠ هـ / ٠٠٠ - ١٦٨٨ م

• هو الشيخ صارم الدين إبراهيم بن صالح الهندي[١]، كان والده من البانيان (منطقة هندية) الذين نزلوا صنعاء، وأسلم في عهد أئمة اليمن، وتعلم العربية، حيث ولد إبراهيم ونشأ وتربى على حب العلم والأدب، وله ديوان شعر كبير، فيه الضعيف والمتوسط والقوي، ويغلب على شعره الجيد، وهو من أعلام القرن الحادي عشر الهجري،

• ولد إبراهيم في صنعاء، وتعلم بها اللغة والدين، ونظم الشعر، ومدح أئمة اليمن، وأغلب مدائحه في الإمام المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد، ومدح الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم وكذلك مدح ابنه علي بن المتوكل.

• لما آلت الخلافة إلى الإمام المهدي صاحب المواهب وفد الشاعر إليه، وكانت بينهما جفوة، وجاءه مستشفعًا بالقرآن الكريم، فقال له المهدي: قبلنا الشفيع، ولكن لا أراك بعد اليوم، فتغيب عنه، ولازم العبادة، وحج ولكنه توفي إثر عودته من الحج، وزيارة رسول الله في المدينة، وذكر أنه توفي سنة ١١٠٠هـ، الموافق ١٦٨٨م.

• أغلب شعره جيد، ذكره الشوكاني، وقال عنه: كان أشعر أهل زمانه، وله ديوان شعر كبير، ويتشبه بأبي الطيب المتنبي في مدحه وحماسته. وقال عنه: صدر الدين علي المدني: «لم يزل يصدح ويمدح، ويقدح ويكدح، حتى عبَّ عبابه، وخلص من القشر لبابه، وشعره مجمع بين الرقة والجزالة، فهو عرين أسد وكناس غزالة. «من فائق قصائده قوله:

نَعَمْ ما لربات الحُجولِ ذمامُ
وما لعهودِ الغانياتِ دوامُ
أغرّ إلى م البرقُ عندك خلبُ
وحتام سُحب الوصلِ منك جَهامُ
تقلص ظل من وفائك سابغ
ظليلٌ وعاد الري وهو أوامُ
تخذت القِلى والصد والبعد حسبة
مللت ولا أن الملال سلامُ
وتلك لعمري في الحِسان سجيةٌ
وللشيح في إلمامهنَّ لزامُ
ولكنه في حقهنَّ مميدحٌ
وحلال أما في الرجال حرامُ
قصارى جمال الغيد وجدٌ ولوعةٌ
لها بين أثناء الحشا ضرامُ
تعصيت حتى ما لمضناك حصة
من الوصل إلّا من رناك سهامُ
حسبت بأن الحسن باقٍ وربما
غدا نبعه يا غرّ وهو تمامُ

(١) علي صدر الدين المدني، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ص ٤٧٧. محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (بيروت: دار المعرفة د.ت.) ج١ ص١٦. عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة النواظر (حيدرآباد: الهند: دائرة المعارف العثمانية ١٩٩٠م) ط٣ ج٥ ص٥ . خير الدين الزركلي، الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٤م) ج١ ص ٤٣.

وكل شباب بالمشيب مروعٌ
وإن لم يرعك الشيب راع حِمامُ

ألم تعلمي أنَّ المحاسن دولةٌ
يزول إذا زالت جوى وغرامُ

ولو دامت الدولاتُ كانوا لغيرهم
رعايا ولكن ما لهنَّ دوامُ

إذا ازددت بعدًا أو أطلت تجنبًا
رحلت وجسمي لم يذبه سقامُ

وما فضل رب السيف أن فتكت به
جفون كليلات المضاء كهامُ

أينصبنَ لي من هُدبهنَّ جآلة
وهل صيد في فخ الغزال همامُ

ولي همةٌ لا توطئها صبابة
وحزم فتى بالخسف ليس يسامُ

وعزمة ندبٍ لا يذل فؤاده
وجانب حُرّ لن تراه يضامُ

همامي في نهدٍ أقب مطهم
إذا القوم في نهد المليحة هاموا

ولم يك عندي غير كتبٍ نفيسة
تروق وإلا ذابل وحسامُ

ولي قلم كالصِّلِ أما لعابه
فَسمٌّ وأما نفثه فمدامُ

وإن رامني الدهر الخؤون بحادثٍ
فلي من أمير المؤمنين عصامُ

• ويستمر الشاعر في تعديد جوانب المدح لإمام اليمن إسماعيل المتوكل على الله، ويتشبه بأبي الطيب المتنبي في مديحه لسيف الدولة الحمداني. وله أيضًا قصيدة في مدح المهدي لدين الله بن السيد أحمد بن الحسن، يقول فيها:

دعِ العزَّ وقم بالله مجتهدا
وابشرْ فعقدُ الهَنا باليُمن قد نضدَا

وامدد يدًا منك للرضوان بيعتها
إنَّ الخلافةَ قد مدّت إليك يدا

إن يمض بعد محاق بدرها فلقد
طلعت في أفق الإسلام شمس هدا

إن يغمدوا في قراب الرَّمس مرهفها
فإنَّ مرهفك الهندي ما غمدا

هزت إليك بنود طالما خفقت
على اللواء لواء بالثنا عُقِدا

فانهض بأعبائها العظماءِ نهضةً من
يهدي حد نزايا مجده أحدا

قم واعتصم بعُرى الجبار ملتفتًا
إلى رضاء ودع من قام ومن قعدا

أنت الذي رمز الجفر الخفي لنا
من الحقيقة ما في سره جحدا

هل تجحد الشمس أن الشمس واضحة
هل يجحد البحر من البحر قد وردوا

لدعوة القائم المهدي قد وضحت
طرق الرشاد وعادت مهيفًا جددا

صدر الخلافة مثلوج ببيعته
من بعدما كاد يشكو النث والكمدا
فخلِّ عنك بنيان الطريق وجُزْ
بهديه الجادة العظمى تصب رشدا
عنت له رؤساء الدين وابتدرت
لما دعا وغدا الاجماع منعقدا

- وهكذا يعدد الشاعر مكانة المهدي لدين الله، ويثني عليه بأفضل الكلمات، وأقوى الأساليب، مع حسن التنسيق والتناسق بين الألفاظ والمعنى المراد، وهي قصيدة طويلة، وكلها تدور حول ذلك الأمير.

- وله أيضًا قصيدة يحرض بها المهدي على حسم الخلافة فيقول:

هل الرسل الأذبل وهرابُ
وهل غيرُ بيضِ المرهفاتِ كتابُ
ولا خاطب إلا على منبر الطلا
غزارة فضل واضح وخطابُ
صفيحة ماض لا صحيفة راقم
طلاها وهل يتلو السيوف قرابُ
أجبها أمير المؤمنين وافتها
فقد سالت والمشرفية جواب
ترى ما عسى الأقوام يبغون دونما
دعوت إليه إنَّ ذا لَعُجابُ
هو الفضل إلا أن تقام شريعةٌ
وتأمن سبل الهدى وشِعابُ
وهل غيرُ فرقانِ النبي محمدٍ
وسنّته الغَرا فأين ذهابُ
ترى وجبت بالنص فيهم القاسم
لفَرطِ اشتياقٍ عند ذاك يجابُ
بلى دون ما ظنوه كل تنوفة
سجالف لم يصل بهنَّ ذئابُ
هو البر إلا أنهم وسعوا به
مسالك ما يرجون منه فخابوا
وأطروا به إطراء عينِ مشرع
وما ليس يرضي الشرع فيه سبابُ
على أنه الخير الخشوع تعبدًا
أمن بعد محراب يكون حرابُ
لقد خدعوه واستلانوا فناءَهُ
ومال به غي بهم وشبابُ
وقد يخدع الحر الكريم سجية
إذا راوغته أسرة وصحابُ
دعوت إلى الدنيا بما يظهرونه
إلى طلب الأخرى وذام مذابُ
وعن من يرجو رضا الله فتنة
تثار وهل إلا إليه إيابُ
فحقق ذوي التقميص يا قاسم العلى
فثم ذئابٌ فوقهنَّ ثيابُ
أجلك قدرًا أن تصيخ لرأيهم
فقد وقدت حربٌ وثار لهابُ
لقد أحسنوا أمر التفرق فيكم
وجالوا بدهماءِ الثراء وجابوا
وشَقّوا عصا الإسلام والدين جامعٌ
وأنتم على سر النبي صِلابُ

وقد رقش الأقوال منهم عصابةٌ
وللـه ديـن مـا عـليـه حـجـابُ
أعد نظرًا في أمرهم متيقظًا
تجد قيعة فيها الخليج سرابُ
ويا أيها المهدي الإمام أصح لها
فما بعدها للناصحين خطابُ
واحرص على هذي الخلافةِ إنها
العروسُ وما غيرُ الدماء خِضابُ
في طالما حالت بحقن دمائهم
ولكن رؤوس أينعت ورقابُ
ترامـوا على حب الرئاسة غرة
وثم مواب دونها وهضابُ

• والقصيدة أطول من هذا الجزء المنقول، فهي ثمانون بيتًا، وهي تحرض المهدي لدين الله بحسم خلافته، وتعيين وليًا للعهد، ويعدد مزايا أفراد أسرة الحكم في اليمن، وشيمهم وما يتمتعون به من قدرات.

• يتمتع الشاعر بنفس طويل، والقصائد عنده تتوف على الخمسين بيتًا وأكثر، وقد تشرب المعجم اللغوي، وبرزت قدرته الفنية في النظم الطويل، والأفكار التي تتدفق أمامه، ولا يستطيع كبح جماحها، استخدم بحور الشعر التقليدية، مع قوة السبك وتناسق بين اللفظ والمعنى، وأطلق العنان لخياله فصنع الصور الفنية البسيطة والمعقدة، يطاوله الفكر الثر، والألفاظ المتدفقة، وكان شاعرًا لا يشق له غبار. وكان لديه القوافي الذلل، أو النفر، ويتصرف بها كيف يشاء من حيث وضع الألفاظ المناسبة في تراكيبه الصحيحة، ويملأ بها القوافي في القصائد الطويلة.

• وله أيضًا مقطعات كثيرة تتم على الفن الشعري الذي يتمتع به، مثل قوله:

أشبه ثغره والقات فيه
وقد لانت لرقّته القلوبُ
لآل قد نبتن على عقيق
وبينهما زمردة تذوب

• ومن مقطعاته في مليح يسبح في ماء، يقول فيه:

وأبيضَ عاينتُهُ سابحًا
في لجةٍ للماء زرقاءِ
فقلت هذا البدر في لجة
أم ذا خيالُ الشمس في الماء

• هم الإمام بدخول المسجد للصلاة، وصادف أن وقع قنديل من السقف، فتشاءم الإمام من ذلك، وكان الشاعر حاضرًا فقال ببديهة:

لا تعجبوا إذ غدا القنديلُ منكسرا
فما عليه أهيل الفضل من حرجِ
رأى الإمام كشمس عند مطلعها
وعن شمس الضحى لا حظ للسرجِ

• للشاعر صارم الدين إبراهيم قدرة كبيرة في النظم، وله استعداد ذهني وفني لنظم مئات الأبيات، بقدرة عجيبة ألهمها الله له، وأفكار متدفقة كجدول ماء لا يقف عند حد،

ويتمتع بحس قوي، ومتانة في صنع الجمل والتراكيب اللغوية، ويتبع الكلمات بصفات تقويها وتسندها لإبراز المعنى، وإقناع السامع والقارئ بفنه وفكره، وانظر إلى عباراته وجمله، لا تجد تكرارًا، ولا تشعر بالملل وأنت تقرأ أبياته، فكل بيت له معنى مختلف عن سابقه، وإن كانت الفكرة واحدة.

- وقد قيل إنه توفي سنة مئة وألف، أو قبلها بقليل، أي حوالي ١٠٩٩هـ.
- ذكر صاحب الأعلام أنه توفي سنة ١١٠١هـ، الموافق ١٦٩٠م، ولم يذكر أحد من المؤرخين سنة مولده، لذا لا نعرف سنين حياته، وما ذكر عنه سوى ذلك فقط.

****

إبراهيم عباس النجفي

١٢٩٥ - ٠٠٠ هـ / ١٨٧٨ - ٠٠٠ م

- هو السيد إبراهيم بن عباس بن إبراهيم بن حيدر بن عباس بن علي بن عبدالقادر النجفي الرضوي[١]، وتنتهي سلسلة نسبه إلى الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب، ولد في إحدى القرى التابعة لحيدرآباد- الدكن- سنة ١٢٩٥هـ الموافق ١٨٧٨م، وكان أبوه رجلا ورعا وأحد معلمي المدرسة النظامية، ودرس إبراهيم على يدي أبيه، وعلى أيدي مجموعة من معلمي المدرسة النظامية في حيدرآباد، وأصبح السيد إبراهيم بعد ذلك أستاذًا في هذه الجامعة، وزامل كبار أساتذتها.
- أصل هذه الأسرة من النجف في العراق، ونزح جدهم الأكبر السيد حسن قبل أكثر من مئتي سنة، حيث ولد الأبناء والأحفاد وأبناء الأحفاد، ولا تزال الأسرة مستقرة في تلك المدينة، فأصل السيد إبراهيم عربي، والولادة والنشأة هندية عربية، وكذلك نجله السيد طاهر، وهو أحد أساتذة الجامعة النظامية أيضًا.
- استقى السيد إبراهيم الأدب العربي من العلامة سناد الملك سيد علي آغا، وسمع الحديث عن الشيخ عبدالرحمن السهارنفوري، وأخذ العلوم والفنون من المنقول والمعقول عن أساتذة أجلاء، فبرع في التفسير والحديث، والفلسفة والتاريخ والتصوف والفقه، وكان شاعرًا مجيدًا، وأخذ طريقة التصوف من الشيخ شاه جمال الدين القادري، وكان طويل القامة نحيف الجسم، خفيف الصوت وعذب المنطق، بالإضافة إلى أنه كريم النفس، وكان همه العلم والثقافة.
- عمل فترة في تدريس اللغة العربية وآدابها في دار العلوم في حيدرآباد، وكان متقنًا لعلوم اللغة والبلاغة فذاع صيته

(١) عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة النواظر (حيدرآباد الهند، دائرة المعارف العثمانية ١٩٩٠م) ط٣ ج٥ ص٥. جعفر الهلالي، معجم شعراء الحسين (بيروت: ٢٠٠م) ج٢ ص٣٦٩. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين (الكويت: مؤسسة البابطين ٢٠٠٨م) ج١ ص ١٤٤.

في جميع الهند، واكتسب شهرة كبيرة في علوم العربية، وفنون القول الشعري والنثري، بل كان الطلاب يحضرون إلى بيته لتلقي علوم العربية على يديه.

- مكانته العلمية في البحث والدراسة أدت إلى أن تستقدمه الجامعة العثمانية، وكان رئيسها ألما لطفي، ودعاه لترجمة مقالة من الأوردو إلى اللغة العربية، فقال الشيخ إبراهيم: أتريد الترجمة شعرًا أو نثرًا؟ فترجمها شعرًا، فقال الرئيس: أنت يا أستاذ إبراهيم حري لمقعدي هذا !!! فأنت الأديب الشاعر بلا شك. وقال عنه أستاذ القسم العربي بجامعة أكسفورد الدكتور مارغوليت: ما رأيت أستاذًا في الهند ضليعًا باللغة العربية أفضل من الأستاذ إبراهيم.

- له عدة مؤلفات منها:
  - **قصيدة لامية الدكن؛ وتتكون من ٢١٣ بيتًا من الشعر العربي.**
  - **شرح لامية العرب للشنفرى الأزدي.**
  - **شرح الشواهد؛ في النحو.**
  - **تحشية وإعراب كتاب الفائق للزمخشري.**
  - **التلخيص من شرح الشواهد.**
  - **تفسير سورة التين، وسورة قريش.**
  - **معالم النور.**
  - **ديوان شعر كبير يضم ١٢٠٠ بيت من الشعر العربي.**

- بالإضافة إلى تفوق السيد إبراهيم باللغة العربية وآدابها فقد كان شاعرًا مجيدًا، يمتاز شعره بروعة الألفاظ، مستخدمًا علم المعاني والتشبيه والاستعارة، وما يمتاز به من صدق اللهجة، والابتعاد عن حواشي الألفاظ، والبعد عن التعقيد. ومن أشهر قصائده قصيدة لامية الدكن، وهي قصيدة طويلة، في مديح لرسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، ولأهل بيته الطيبين، وصحابته المنتجبين يقول فيها:

ألاحت سُليمى في البراقع تِرفلُ
أو الشمس تَجري في الغمام وتذألُ
وما الشمسُ إلا رشحةٌ من جمالها
وما البدرُ إلا ظلُّها المتمثلُ
ديارٌ لها باقٍ مدى الدهر روحُها
وليسَ لها فيما تقادم أولُ
يُنير السما والأرضَ سبحاتُ وجهها
ومن فرعها يسجو الظلام المذيلُ
لعزتها تعنو وجوهٌ أعزةٌ
سجودًا وتفنى في سناها وتضألُ
إذا ابتسمت هزّت بطيب ابتسامها
رهينًا بقفر لم يكد يتزعلُ
تأرج من أنفاس ريحان قدسها
نسيم حياة في النفوس تغلغلُ
ترى من مُحيّاها ذُكاء تبلجت
ومن ثغرها بَرقًا بدا يتهللُ
ومن لحظ عينيها نُصيب مقابل
الكرام سيوف لا تكل وأنصل
بسيف دلال في حريم حوائها
تُحلُّ دماء المغرمين وتقطلُ

يسيل دمًا وادي حماها وكل من
نحا نحوها في جلهتيه مقتَّلُ
تريق دم الهُيّام وهي بنفسها
تدري ما أراقت من دماهم وتعقلُ
يذيب فؤاد المستهام جِمالُها
وكلّ معنًّى في هواها مُضللُ
وأيُّ فؤاد يستقر لومضةٍ
وقد دكّ منه طور سينا وأجبلُ
وأنَّى يقاسي من تسلى عن الهوى
بلاء يقلب المستهام توكّلُ
حظيرة سلمى لا أنيس بسُوحها
وما أن بها إلّا لعنقاء موئلُ
على أنها في كل مرآة وجهها
على ما اقتضتها للعيون تمثلُ

• يستمر الشاعر في النسيب محتذيًا شعراء العرب القدامى في بدايات قصائدهم، ثم يأتي الشاعر إلى الغرض من القصيدة وهو مدح رسول الله، وأهل بيته، ثم لا ينسى صحابة الرسول وخاصة الخلفاء الراشدين.

• يقول في قصيدته «لامية الدكن» عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم:

وإنّي لمشتاقٌ لقاها وإنما
وراء الورى عرشٌ استواها ومعقلُ
فإن رمتَ مغناها ومخدعَ سرِّها
فَلُذْ بالذي يهدي إليها ويُوصلُ
ومَن سرُّها في عينه وفؤاده
ومن حسنها في وجهه يُتأملُ
توسل به والجأ إليه وإنما
ينالُ المرامَ مَن به يتوسلُ
وما هو إلّا المصطفى سيدُ الورى
محمد الهادي النبي المبجّلُ
تقدّم قبلَ الكائنات وجوده الّـ
ـمسبح لله العلي المحمدلُ

• ولا ينسى الشاعر سيرة رسول الله– صلى الله عليه وآله وسلم– من البعثة والإسراء والهجرة، ولم يترك شيئًا من سيرته إلا وذكره في قصيدته هذه، يقول:

بليلٍ سرى نحو العلى ليرى بها
خرائد آيات وما ليس يعقلُ
وصلى بجمع الأنبياء ليعرفوا
إذا أنهم أتباعه حين أرسلوا
ورقّاه فوق العرش من قد سرى به
إلى حيث ما للنطق في الوصف مقولُ

• وعاد بذكر الصحابة الكرام، ويعدد أفضالهم في نشر الإسلام، وما قاسوه من اضطهاد الكفار لهم، ولكنهم ثبتوا على الحق بقوله:

ملابسهم تقوى الإله ودينهم
لهم ولمن يأتي قفاهم مكملُ
إذا ركبوا لم يستقرّ لباسهم
أُسودُ الشرى شمُّ المناخر بُسَّلُ

هم الذاكرون اللهَ سرًا وجهرةً
وما أن لهم إلّا إليه نتعزّلُ
أتاحَ لهم فتح الأقاليم فاستووا
عليها ونالوا ما أرادوا وخوَّلوا
فأمكَنَهم من أرض كسرى وقيصرٍ
وأوطأهم ما لم تطأ قبلُ أرجلُ
فإن تسأل الأقوام عنهم فإنهم
قريشٌ وأنصارٌ على الناس فُضّلوا
صحابةُ خير المرسلين ومن به
تنارُ ظلام الليل والليلُ أليلُ

• ولم ينسَ الشاعر الخلفاء الراشدين فيبدأ بذكر أبي بكر- رضي الله عنه- بقوله:

تولى بإجماعٍ مِن الناس أمرهم
شديد القوى منهم هُمامٌ مجلجلُ
أبوبكر الصديق من سبق الورى
إلى ذروة الإسلام يسمو ويرفُلُ
تقدمهم بالأمر من حيث إنه
إذا عُد أهل المجد في الناس أولُ

• وعن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- يقول:

وولّى أمور الدين من كان فيهم
شديدًا بأعباء الخلافة يحملُ
فساسَ بلاد الله وارتعدتْ به
فرائصُ من في الأرض ضلوا وضألوا
لقد فتح الله البلاد بسيفه
وأمكنه منها بما ليس يهملُ

• ثم يتطرق إلى الخليفة عثمان بن عفان- رضي الله عنه- بقوله:

فولى ذو النورين عثمان بعده
وقام بما قاما وما كان يكسلُ
ولم يكُ جبارًا عنيدًا ولا كمن
إذا رامه الأعداءُ بالشرّ يفشلُ

• وعندما يأتي إلى الإمام علي بن أبي طالب- عليه السلام يقول:

إمامُ الهدى صنو النبي وسره الـ
ـموقرُ في حوبائه المتزملُ
قد انكشفت أعيان غيب لعينه
يشاهد فيها نفسه ويسجلُ
رضيع لبان العلم من أزل له
إلى أبد في نقطة العلم منزلُ
وباب علوم الدين في عين سالكٍ
إلى الله منه إذ يراقب ندخل

• ولم ينس الحسنين سبطي رسول الله فيذكرهما في قصيدته اللامية بقوله:

وقام بأمر الله في الخلق من له
به اعتصام أو عليه التوكلُ
أتت نحوه تشتاق خَود خلافة
تجر إليه ذيلها وترفلُ
إلى الحَسن السامي سَنام مفاخر
وأصفى كرام من كرائم ينسل

• ثم يذكر الإمام الحسين، فيقول:

أخوه الحسين المجتبى عند ربه
إمامُ البرايا قطبُها المتأصِلُ
وبايعه الأبدال أهل ولاية
عُميُ العيون في الورى عنه ذُهّلُ
ولم يرضَ إلا أن يموتَ مُكرّمًا
شهيدًا وأمر الله بلاغ مؤجلُ

• وللشاعر قصائد أخرى فيها تمجيد الله سبحانه وتعالى، ويذكر رسول الله دائمًا، وأهل بيته وصحابته الكرام، ولم يكتف شاعرنا بالقصائد الطويلة، بل إنه ينظم حتى للأطفال لطلب العلم فيقول:

أيها الطلاب قوموا
باعتزامٍ للمعالي
واطلبوا العلم فإن الـ
ـعلمَ زينٌ للرجال
واطلبوا العز دوامًا
باتحادٍ واتصال
واعلموا أن شتات الـ
ـقوم عنوان الزوال
واحذروا الكذب دوامًا
والزموا صدق المقال

• برع هذا الشاعر في نقل سيرة رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم، كما نقل سيرة الخلفاء الراشدين والسبطين الشهيدين، فأحسن النقل والنظم، وكان أمينًا على الأخبار الواردة في حق هؤلاء الأفذاذ، وتعددت موضوعاته الشعرية حتى أنه نظر إلى أطفال المدارس تشجيعًا لهم على طلب العلم، والاستزادة منه، ويلاحظ مدى قدرة الشاعر على صياغة قصائده بحسب الموضوعات، فعندما يتحدث إلى الأطفال يكون مختلفًا عما يناقش الكبار، فهو بحق شاعر مفلق جدير بالدراسة.

****

أبوالرحمة محمد الفيئي

١٣٢٢ - ١٣٦٣ هـ / ١٩٠١ - ١٩٤١ م

• ولد أبوالرحمة محمد بن محيي الدين الفيئي[١] سنة ١٣٢٢هـ، الموافق ١٩٠١م، بكليكوت في ولاية كيرلا- غرب الهند- وقد أتى جده الثالث إسماعيل من الجزيرة العربية، واستوطن المليبار، كان أبوه عالما في الأمور الدينية، تعلم الشيخ أبوالرحمة العلوم الإسلامية، والقراءة والكتابة، ثم التحق بدروس المساجد، المعروفة في الهند في ذلك الوقت، ثم يمم تجاه مدراس ودخل الكلية الجمالية. وبعد وفاة أبيه كفله خاله، علي مسليار بن محيي الدين، قائد الثورة المليبارية سنة ١٩٢١م.

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا، ص ١٦٨

- اسم الفيئي ترجمة عربية لاسم العائلة (Paramban)، وبعد وفاة أبيه كفله خاله علي مسليار بن محيي الدين، الذي بث فيه الثقافة الإسلامية، فكان بارعًا باللغة العربية، وأتقن فنونًا متعددة،

- عمل الشاعر مدرسًا في عدد من الجوامع، ثم التحق مدرسًا بالكلية العربية بوازكات، ولكن بعد فترة من العمل توفي في سنة ١٣٦٣هـ، الموافق ١٩٤١م. وصنف كتبًا عديدة، ونظم قصائد كثيرة، ولكن معظم مؤلفاته لم تنشر، ومن مؤلفاته:
  - **الفرائد وغرائب شتى.**
  - **تحذير الناس من شر الوسواس.**
  - **تعليقات الفيئي.**
  - **أردو منشي.**
  - **تحنيك البنات والبنين.**
  - **المسك المعطر في مدح الرسول المطهر.**
  - **نفحة الباري في مناقب الشيخ زين الدين البخاري.**
  - **وهناك بعض الكتب الأخرى المخطوطة.**

- عمل معلمًا في المدرسة الصلاحية في تاميل نادو، سنة ١٩٢٩م، ولكنه كان يتوق إلى الاستزادة من العلم، لذا التحق «بالباقيات الصالحات»، وهذه كلية دينية، وحصل على شهادتها سنة ١٩٣٣م، وعمل بعد ذلك معلمًا في عدد من المساجد، ثم التحق بالكلية العربية، دار العلوم بوازكات، معلمًا للعربية، ولم يمتد به العمر طويلاً فقد فارق الحياة سنة ١٣٦٣هـ، الموافق ١٩٤١م، وكان له من العمر إحدى وأربعون سنة.

- من غرائب نشر أشعار هذا الشيخ أن المجلات الأوردية تنشر قصائده على الرغم من اختلاف اللغة، وكانت له مراسلات شعرية مع بعض أصدقائه في أنحاء الهند ممن يجيد الشعر ويتذوقه، وهو أول من بث الشعر الحديث في كيرلا، وكانت له القدرة على النظم في عدة موضوعات، مثل: الوجدانيات والرسائل والتهاني والمديح والرثاء بالإضافة إلى مراسلاته الشعرية.

- تتميز قصائد الشاعر بأسلوبها الجيد، وغزارة المعنى، وبها عاطفة نبيلة، وخيال رائع، بالإضافة إلى عروبتها الواضحة، ويحتفظ ابنه رحمة الله بجميع الأشعار، ولكنها لم تنشر بعد، واتخذ الشاعر من رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- قدوة ونبراسا، فطفق يمدحه ويصف عصر الرسول قبل بعثته فيقول:

صلاةُ اللهِ ربِّ العالمينا
على خير الخلائقِ أجمعينا
به ضاء الوجودُ وكان قبْلاً
ظلامًا خالصًا للناظرينا
ومنها شركهم بالله خلقًا
ووأدٌ للبناتِ مجاهرينا
فكم وَأدوا بناتٍ باكياتٍ
وما رقّت قلوبُ الوالدينا

- وكان العرب في الجاهلية قبائل متحاربة، تسود بينهم

الصراعات على الماء والكلأ، فجاء الإسلام لينقذهم من تلك الحالة إلى الحرية وقيادة العالم، وكان رسول الله- صلى الله عليه- مثالاً للقائد إلى الرفعة والسمو بأخلاقه وتعامله والثبات على الحق، وهذا الشاعر كرس هذه القصيدة ليعدد فضائل محمد بن عبدالله- عليه أفضل الصلاة والسلام. فقال:

وكاد الكون يخلو من أناسٍ
فأرسل ربُّهم نورًا مبينا
إلى أن ضاء ما عجزت شموسٌ
وأقمارٌ أضاءته سنينا
إلى إخلاص توحيد دعاهم
أبى تقليد نهج الجاهلينا
وذاك الدين نظمهم بسلك
نفيس فاق نظم الناظمينا
فكانوا إخوةً ومن قبل كانوا
أشداءَ الخصومةِ مهرقينا

• ويذكر صحابة رسول الله، الذين كانوا من حوله، فيرشدهم، ويعلمهم فقال:

لطه لازموا لا مثل ظلٍّ
لشيء بل كمثل العاشقينا
فما بخلوا عليه لا بمالٍ
ولا روح فكانوا مفتدينا

• ويصور أخلاق رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- فيقول:

وكان العفو شيمته وحِلم
فأحلم منه ما في الغابرينا
وهذا سيفه لا من حديدٍ
به دانت رقاب الكابرينا
أقروا أنه الهادي الأمين
سوى المحروم من المتكبرينا
ولا عين ترى ملكًا وفقرًا
لمرء جومع إلّا الأمينا

• صدرت في الهند عدة مجلات وجرائد باللغة العربية، بقصد نشر ثقافة الإسلام، وتعلم اللغة العربية، فانبرى شاعرنا يرحب بصدور احدى تلك المجلات واسمها: الضياء، فقال فيها:

تعالوا كي نرحب بالهناء
مجلتنا الشهيرة بالضياء
يباركها الإله بكل خير
دواما وهي تحمي من بلاء
لها كم طال للهند انتظار
ولا هي عن جرائد بالخلاء
وما أدراك ما ذلك الضياء
مغاز كاللآلي في الغلاء

• للشاعر عدة رسائل شعرية أرسلها لأصحابه، الذين يبادلونه المشاعر نفسها، وهو يعمل في كلية، وجرت العادة عندهم أن يتوقف التعليم في شهر شعبان ويغادر الطلبة والأساتذة الكلية استعدادًا لصيام شهر رمضان

في مدنهم وبين أسرهم، وشعر الشاعر بخلو الكلية من أصحابه وطلبته، فقال:

أتـانـي بـتـقـديـر الإلـــه بـرجـعـة
إلـى الـبـاقـيـات الـصـالـحـات نـزولُ
تمـتـعـت فـيـهـا بـالأخـلاء وصـلـة
فـخـلـتُ ســـرورًا أنـهـا سـتـزولُ
فـمـا كـنـت أدري قـبـل شـعـبـان مـا
الأسـى بـفـرقـة خـلان أتـى وعـويـل
فـلـمـا دنـا شـعـبـان يـفـرق شـملهم
تمـنـيـت أنـي لـم يـكـن لـي خـلـيـل
لأهـل الـحِـجَـا فـيـه ادّكـار وعـبـرةٌ
بـــأن دُنـــانـــا نـــزلـــة ورحـــيـــلُ

• اندلعت ثورة في مليبار ضد الحكومة الهندية البريطانية سنة ١٩٢١م، وكان خاله علي مسليار قائد هذه الثورة، فحبست الحكومة الشاعر، فأرسل رسالة إلى أستاذه يقول فيها:

إني وغيري هم في البلد قد ثبتوا
أبـدانـنـا لا قـلـوب فـي المـسـراتِ
مـراقـبـيـن مـتـى نـصـر الإلـــه لـنـا
عـلـى الـعـداة فـيـا طـوبـى لـزوجـاتِ
فـكـم نـسـاء وأولاد لـقـد أضـحـوا
كـالأرمـلات وكـالأيـتـام حـيـرات
كـم مـن مـسـاجـدَ قـد صـارت محرقةً
بـلا أذان ولا درس جـمـاعـات
كـم مـن مـخـدرة كـانـت مـعـيـبـة
مـزنـيـة الجـنـد أنـواعًـا ذلـيـلات

• وفي هذه الرسالة يصف ما عملته الحكومة الهندية البريطانية من تنكيل بالشعب وإيذائهم. وهذا الشاعر تأثر كثيرًا بفراق الأصدقاء والأحباب، فانبرى يرثيهم بقصائد تنم عن حب دفين في قلبه لهم. ففي قصيدة رثاء لأحد أساتذته، وهو العلامة محمد عبدالجبار، وكان صدر المدرسين في كلية الباقيات الصالحات، وكانت وفاته فاجعة للشاعر فبكاه طويلا، وفاضت قريحته بهذه الأبيات، التي يظهر فيها لوعته وحزنه. يقول فيها:

استرجعوا فدموعُ العين مدرارُ
تحمي السطورَ فللأقلامِ تكدارُ
تبارك الله تجري منه أقضيةٌ
في البعض صفوٌ كما في البعض أكدار
عن العيون فلا تسأل تسيل دمًا
أما القلوبُ فنارٌ فوقَها نار
ويحا لدهر جريء لم يبالِ إذا
يهم أمرًا بشيء وهو غدار
يا شمس ما لي أراك الآن طالعةً
من بعد أختك غابوا حينما ساروا

• دأب الشاعر على رثاء مجموعة من أساتذته والعلماء في الهند، فعندما توفي أحد العلماء؛ وهو الشيخ أنور شاه الكشميري، وكان واسع العلم متبحرًا في أمور العقائد، وملمًا بالتفاسير والحديث، رثاه بقوله:

تـراه لـدى الـتـدريـس أيّ فنونها
كـصَـيِّـبِ غـيـثٍ بـالـفـرائـد يمطرُ

أو الشمس خفت بالكواكب قابه
ضياها ولم لا وهو بالعلم أنور
أو البحر والرواد يسقون ريهم
يزيد لهم شوقًا ولا هو ينفر
أديب عريق لو رآه معرب
تحير من آدابه يتحير

• ومن مراثيه المشهورة رثاؤه لوالده، ولخاله علي بن محيي الدين، وغيرهم من أصحابه وأقاربه، فمن رثائه لوالده، ومعلمه الأول يقول فيه:

فقدي لوالِديَ الروحِيَ والبدنِ
معلمي لكلام الله يبتدرُ
أبي فعلمني القرآنَ والكُتبا
في الباقيات به قد كنت أفتخرُ
في العالمين قليل مثله هِمما
في الدين لم يخشَ لوم الناس يحتذرُ
قد عاش حرًا أبي رفا لأهل دنا
فلم يداهن لهم فكأنه عمرُ

• يبدو تأثره الكبير بوالده، ويراه أفضل الناس في الدنيا، فهو والده ومعلمه ومربيه ومهذبه، فلا عجب أن يصفه بمثل هذه الصفات. ولهذا الشاعر قدرة أيضًا على تخميس القصائد المشهور مثل القصيدة المشهورة التي مطلعها:

إليك يارب قد وجهتُ حاجاتي
وجئت بابكَ يا ربي بِرَغْباتي

• فقال في تخميسه:

أدعوكَ يا ربّ أقبَل لي مُناجاتي
سِواك من لي أيا من حاز بهجاتي
عليك وكلت أمري ربّ حاجاتي
إليك يا ربّ قد وجهت حاجاتي
وجئت بابك يا ربي برغباتي
كنت الرحيم لمن يفشي الذمار به
هنت السماء العلى مع ما يمور به
زانت الجنان لمن فاق العمير به
أنت العليم بما يجري الضمير به
يا عالم الغيب علاّم الخفياتِ

• تعددت موضوعات شاعرنا أبوالرحمة الفيئي وكانت كلها تنم عن اتصاله بمن حوله، وتأثره به، فلم يبتعد عن محيطه المدرسي، أو الأسري فهو يمدح الأصحاب والأقارب، ويرثيهم، ويرى أنهم جزء من حياته.

• وهذا الشاعر لم يطل به العمر فقد فارق الدنيا وهو في الثانية والأربعين، ولكنه خلف وراءه علمًا وأدبًا، قبل أن يترك شيئًا لأولاده وأهله، وكان بحق قد حفر اسمه من بين شعراء العربية في الهند.

****

أبوالفضل بن عبدالقادر

٠٠٠ - ١٣٨١ هـ / ٠٠٠ - ١٩٦٢ م

- هو الدكتور سيد أبوالفضل بن سيد عبدالقادر، ولد في حيدرآباد[1]، واسمه هو كنيته، وكذلك أسماء إخوانه، سيد أبوالحسن، وسيد أبوالقاسم، وسيد أبوالعارف، وسيد أبوطالب، درس العلم في حيدرآباد في دار العلوم الشرقية، وبعدها إلى كلية المدينة الرسمية، ثم دخل الجامعة العثمانية وتلقى العلوم والفنون، وحصل على درجة الماجستير في الأدب العربي، ثم واصل طريقة وكتب بحثًا عن ديوان ابن حجر العسقلاني: صححه وحققه وعلق عليه، ونال عليه درجة الدكتوراه.

- ألف كتابًا جامعا لتاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي والأموي، والعصر العباسي، وله مقالات كثيرة في الأدب العربي، وهو شاعر بلغة الأردو واللغة العربية، وطلبت مجلة «التنوير» منه كتابة مقالة له لنشرها في المجلة، فكان رده بأبيات باللغة العربية يقول فيها:

طلبتَ وهددتَ لكتب رسالة
وتعلمُ أني لا جواد رهانِ
عرضتُ سَقامي وما قبلت أذاعها
ولم يخفِ منك باطني وعياني
عزمتُ، نظرتُ ثم فكرت أكثر
فيا ليت شعري قدرتي لبيانِ
وما غادر الكتاب غرضًا لرميتي
فمن أين أجني نضرة الريحانِ
وليس بديعًا كل ما تحت شمسنا
فهل أجترئ من فوق بالطيرانِ
وليس نصير لي إلى ما تريده
ومما أريد ليس في سلطاني
فدعني أخي من طُلبةٍ لا أطيقُها
وحاشاك تقذفني إلى الخذلاني
وعدتُكَ وعدًا أن أنمق مقالةً
إذا أُلهِمْتُ يومًا من الرحمنِ

- شاعر متمكن من أدوات النظم العربي، بحر خليلي وقافية موحدة، وأسلوب واضح وجيد للاعتذار، وقد مزج بين اللفظ والمعنى، واختار الألفاظ المعبرة عن الفكرة، وكان سهلاً ميسورًا، واستعمل خياله في صنع بعض الصور الفنية، ولكن كان واقعه أكبر من خياله، وتظهر بعض ملامح الموسيقا في بعض أبياته من السجع والمحسنات، وله قدرة على النظم والتعبير عن الأفكار، ولكن المصدر لم يطلعنا على قصيدة أخرى، لذا يظل الحكم النقدي قاصرًا.

****

(١) محمد سلطان محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي ص ٤١١.

أبوالفيض الناكوري

٩٥٤ - ٠٠٠ هـ / ١٥٤٧ - ٠٠٠ م

- «الشيخ الفاضل العلامة أبوالفيض بن المبارك الناكوري[١]، قوة في الحدس، وسلامة الفكر، وحلاوة المنطق، والبراعة في الإنشاء، الذي لم يكن له نظير في الشعر، والعروض والقافية واللغة والتاريخ، والإنشاء والطب، هكذا وصفه العلامة الشيخ عبدالحي بن فخر الدين الحسني في كتابه، ولد بمدينة آكرا سنة أربع وخمسين وتسعمئة من الهجرة، الموافق ١٥٤٧م.

- تعلم أولاً على يد والده، ثم أخذ فنون العربية على يد الشيخ حسين المروزي، ولكنه عشق الشعر وتفنن فيه، وخاصة في الحكمة والعربية، وانتهى من تعلم علوم عصره وهو في الخامسة عشرة من عمره، ودعاه السلطان أكبر بن همايون التيموري بمدينة أكبرآباد مع والده، وكان ذلك في سنة ٩٨١هـ، الموافق ١٥٧٦م، وأهدى له كتابًا في تفسير آية الكرسي، وأهداه مرة أخرى كتابه في تفسير سورة الفتح، فلقي عند السلطان أكبر حظوة، فترقى حتى أصبح وزيرًا، وصنف كتبًا تدل على مقدرته العلمية والأدبية، مثل:

- **موارد الكلم، غير المنقوط في الأخلاق.**
- **ترجمة ليلاوتي، في الحساب والمساحة.**
- **مركز أدوار، نلدمن، مزدوجتان على نهج مزدوجتي النظامي الكنجوري.**
- **لطيفة فيضي، مجموعة رسائل جمعها ابن أخته نور الدين محمد بن عبدالله الشيرازي.**
- **تباشير الصبح، ديوان شعر، به تسعة آلاف بيت.**
- **سواطع الإلهام في تفسير القرآن.**
- **جمع ٤٣٠٠ كتاب من النوادر، وأغلبها مخطوطات بخطوط أصحابها.**

- على الرغم من هذه الدراسات والكتب المؤلفة إلا أنه يرمى بالزندقة والإلحاد، وهذه تهمة كل من يأتي بفكر مختلف عن الجماعة، ويشرخ بأفكار وآراء تعارض ما سارت عليه معظم الأدباء والعلماء، فكم من العلماء من رمي بهذه التهم!!

- قال عنه عبدالقادر بن ملوك شاه البدايوني في كتابه المنتخب: «إنه كان مخترع الجد والهزل، والعجب والكبر والحقد، وقد جمع فيه من الخصال غير المرضية ما لم يجتمع في غيره من النفاق والخبث والرياء والبلاء وحب الجاه والرعونة».

- اجتمع في هذا الشاعر أوصاف متعارضة، وآراء متضادة، ولكنه لم يكن كما وصفه المعارضون له فقد قال في التوحيد:

(١) عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٥ ص٢٧ . جمال الدين الفاروقي وآخرون، أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية ص ٧٥ .

الحمد لملهم الكلام الصاعد
هو المحمود أولاً والحامد
ما وحده موحد إلا هو
والله إلهكم إله واحد

• وكان هذا الشاعر له مواقف مشرفة من الرسول الكريم محمد- صلى الله عليه وآله وسلم- حيث أنه لم يدرك علة قومه العلماء، فقد صلى على رسول الله محمد محمود أحمد ومسماه أسعد، محدد حدود الحلال والحرام، ومسدد مصاعد الإسلام، هكذا هو رأيه في الله- سبحانه وتعالى ورأيه برسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام، ولكن من عدم فهم فكره وتطلعاته يرميه بالزندقة والإلحاد.

• ومن شعره في المديح قوله:

صاحَ صاح الحمام حول كمامِ
دور وردٍ أدرْ صواع مدامِ
لاح دار الحمل وحال الحول
دار كأس المدام رأس العامِ
أدرد الروح أملحاح الدوح
روح الروح احمرار مدامِ
اللعاع اللعاع وهو مروم
المدام المدان وهو مرامِ
لمع صد المدام أسحارا
هادم الهم صارم الأوهامِ

• كتب مقدمة لتفسيره للقرآن الكريم بقوله:

ألواحُ سحر أم طلسم مكرّمُ
لأسرار روح للسواطع ملهمُ
لسحرٌ حلال والسطوع طلسمه
وما هو سحر أو طلسم محرمُ
صراح لأصل الأصل طرس مطهر
سواد لكل الكل علس مطهمُ
وما العلم إلا وهو أصل لكلمه
لإعلام أسماء العوالم آدمُ
إمام همام للكلام مؤوَّل
صلاح سداد للسلام مسلَّمُ
مدار مراد للمدارك مطرح
ملاك كلام للمعالم معلمُ
كلام كمال للأكامل مسلك
صراط سداد للأكارم أسلم
مآل كلام للمدارس أعود
دعاء سماء للصوامع محرم
حسام سماح للصارم أسطع
لواء ولاء للمعارك أحكم
سماء سعود السر للروح مصعد
ودأماء أسرار السناء مطحرم
دعاء حصار الحول والطول موطد
عماد أساس الأمر والعدل محكم
لإعلاء أعلام الصوالح أصلح
لإدراء آلاء المكارم مكرم

لبرسام طلاح الوساوس مصلح
لكلم سهام الوهم والصرع مرهم
دواء سمو للوسام مطلَّس
كساء علو للكرام موسم
لكحل عروس الحلم والدرك مرود
لسطر سطور الروح والعمر مرسم
لكأس حساء الصحو والسكر سكر
لسطح سماء العلم والروح سلم
مراصد ألماح وعاها مهلهل
مصادر أرواح حماها مطلسم
طوالعُ آمالٍ لها السطع أكملُ
مطالعُ أسحارٍ لها اللمعُ أدومُ
لحوراء علو الطهر حال دلالها
لسمط وصدرٍ أو سوار ومعصم
ألا هو للأرواح صرح ممردُ
ومت هو للأوهامِ درعٌ مردم
سواطع إلهامٍ مكارم سؤدد
مراحم إرسال هو الله أرحمُ
عواطلُ أعراسٍ حُلاها دلالها
سلاح لها سدلاً سدوس مهم
وها كل لوحٍ سطروه مكرمًا
ركام وداماء السواطع أكرمُ
ومدلولها المعهودِ مما أراده
لكسر لهام الوهم طرًا عرمرم
ولو طار ملاكِ الكلام مطاره
لرد وما كل الأعاور أعصمُ
محرره الله درّ كلامه
لأطلع سر الله للعلم عالمُ
لأدركه كدٌّ وصدر موسع
وأسعده همٌّ وساد مصممُ
وأمهله العمر الطهور المسارع
وساعده الدهر الحصور المحصرمُ
له هرول الأحلام لوعًا وولولوا
له طأطأ الأعلام طوعًا وطرسموا
لعمري علم الكل مطموس علمه
مآل أمورِ السر الله أعلمُ

• القصيدة طويلة، وكلها من هذا النوع من الألفاظ والاشتقاقات، فهو متمكن من اللعب بالألفاظ، ولكنه يرى أن تفسيره لا يماثله أحد من المفسرين، وهذا يدل على تضلعه في أفانين اللغة العربية، وفي أواخر القصيدة يقول :

ولو طار مُلّاك الكلام مطاره
لردّ وما كل الأعاور أعصم
محرره «الله» در كلامه
لأطلع سر الله للعلم عالم
لأدركه كد وصدر موسع
وأسعده همٌّ وساد مصمم

لعمرك علم الكل مطموس علمه

مآل أمور السر الله أعلم

- مثل هذه الألفاظ والأسلوب المخالف لما سار عليه المفسرون لا بد أن يتهمه من لا يعرف طريقته بالانحراف عما درج عليه المفسرون قبله، ولما فهمه من يدعي العلم والمعرفة بكتاب الله، فهو شاعر وكاتب ومفسر للقرآن الكريم على غير منوال الأقدمين، وقد تحرر منهم ومن أساليبهم في الكتابة والتفسير، وفهم التعاليم القرآنية بوجه مختلف عن الآخرين.

- يبدو أن أبا الفيض مغرم بالتلاعب بالألفاظ، وكما عرف الشاعر مسلم بن الوليد في العصر العباسي، جاء هذا الشاعر بشكل أكبر، وطريقة غير تقليدية لسبك الشعر، وصياغة ألفاظه المترادفة والمتعارضة، ومتجاورة الألفاظ، في شكل جناس كامل وناقص، وطباق واستعارة، فالمعجم اللغوي بين يديه يقلبه كيف يشاء، ويستخرج منه ما تقارب من الألفاظ واشتقاقاتها، كلمات وحشية نادرة، صعبة النطق والكتابة، ولكنها تؤدي غرض الشاعر من حشد تلك الكلمات في أبياته الشعرية، لتبدو غريبة، وما هي بغريبة، ولكن عدم استعمالها عند الناس تركها مهملة، وكأن الشاعر يذكر الناس بهذه الألفاظ الغريبة.

****

أبوالنعمان عبدالرحمن آزاد

١٢٩٥ - ١٣٥٦ هـ / ١٨٧٨ - ١٩٣٧ م

- ولد أبوالنعمان عبدالرحمن آزاد[١] بن عبدالرزاق سنة ١٢٩٥هـ الموافق ١٨٧٨م في بلدته مئو، درس على يد والده الحافظ عبدالرزاق، وعلمه العربية قراءة وكتابة، كما تعلم الفارسية أيضًا، والنحو والصرف، ثم انتقل إلى غازيبور، لاستكمال دراسته، فتتلمذ على يد الشيخ محمد فاروق الجرياكوتي، والشيخ عبدالله الغازيبوري، والشيخ عبدالرحمن بقا الغازيبوري، ثم التحق بمدرسة جامع العلوم، وأكمل دراسته بها، وكان من شيوخه؛ حكيم الأمة الشيخ أشرف علي التهانوي، والشيخ أحمد حسن الكانفوري.

- بعد انتهاء دراسته سافر إلى دلهي لدراسة الحديث الشريف، ولازم السيد نذير حسين الدهلوي، وحصل على الإجازة في الحديث، فاكتسب العلوم النقلية والعقلية، وبدأ في التدريس بمدرسة عربية في بلدة درنغا، ثم ارتحل إلى كلكتا ليمارس التدريس في مدرسة دار الهدى.

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء (لكنؤ- الهند: المؤلف ٢٠١٠م) ط١ ص ٢٤٩ . مؤسسة عبدالعزيز البابطين، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين (الكويت: مؤسسة البابطين ٢٠٠٨م) ج١ ص ٦٠٥ .

• ضرب الطاعون بلدته مئو، وتوفي كثير من الناس، فغادر ابناه كلكتة، وكذلك أخواه، لذا اضطر إلى العودة لبلده، ولكنه واجه هذه المحنة بكل شجاعة، وساعد أهل بلدته، وبدأ يدرس ويؤلف فيها، ولم يخرج من بلدته بعد ذلك، فقام بشرح قصيدة البردة لكعب بن زهير (بانت سعاد)، وفسر القرآن الكريم، وبحر الفرائض، وترجم طبقات ابن سعد.

• كان من ضمن اهتماماته نظم القصائد العربية، وكان مقلاً، فمن قصيدة يرثي بها الحافظ عبدالمنان المتوفى سنة ١٣٣٧هـ الموافق ١٩١٨م، قال فيها:

ارغبْ هُديت لربكَ الرحمن
فلهُ البقاءُ وكلُّ شيءٍ فانِ
ذو قدرة مازال يفعل ما يشا
لو كان يُسأل وهو ذو سلطانِ
النفس إن رضيت قضاء مليكها
ربحت وإلا فهي في خسرانِ
الناس قد فقدوا ذكيًا فاضلاً
متفردُ الأمثالِ والأقرانِ
قد كان بحرًا في العلوم أصولها
وفرعها مدرسًا لا ثاني
أثنى عليه الناس خيرًا كلهم
وأولئك الأشهاد للرحمنِ
قد عاش في الدنيا تقيًا زاهدًا
متمسك الأخبار والقرآنِ
فالله يرحمه ويُكرم نُزله
وأحله فضلاً بخير جنانِ
أتاه رب العالمين بفضله
ما يشتهيه بجنة الرضوانِ
لما سألت الناس عام وفاته
قالوا له الفردوس خير مكانِ

• يبدو من شعره أنه متمكن من اللغة العربية وعروضها، ولديه مقدرة على التعبير بكل جدارة عن رثاء العالم الذي اختطفه الموت، غير أنه شاعر مقل، لم نعثر على قصائد كثيرة له، أو أنه لا يحتفظ بقصائده فضاع منها أغلبها، أو ربما كانت حياته لا توفر له الوقت الكافي لنظم القصائد، ولم يكن متكسبًا في شعره، ويأتي شعره حيثما تتهيأ له الفرصة للنظم، ولا يوجد شيء غير عادي في حياته سوى وباء الطاعون، وقد توفاه الله سنة ١٣٥٦هـ الموافق ١٩٣٧م.

****

أبوبكر بن محيي التامرشيري

١٣٤٣ - ١٣٩٧ هـ / ١٩٢٢ - ١٩٧٧ م

• ولد أبوبكر بن محيي الدين التامرشيري في احدى قرى تامرشيري[١] سنة ١٣٤٣هـ، الموافق ١٩٢٢م، تلقى علومه الأولية في بلدته، ثم التحق بحلقات المساجد، لحفظ القرآن الكريم ودراسة اللغة العربية، ثم التحق بدار العلوم بوازكات، ومن أساتذته الشيخ عبدالقادر الفضفري، والمولوي محمد قطب، وكنيت أحمد المولوي، رئيس جمعية العلماء، ثم عمل مدرسًا بجامع كدفور وأندونا القريبة من بلدته، وأمضى ستا وعشرين سنة في التعليم، ولكنه توفي سنة ١٣٩٧هـ، الموافق ١٨٧٧م.

• كان أبوبكر شاعرًا، وكان يراسل أصحابه، ويعبر عن حبه لهم، ويصف فترة من حياته معهم، وأشعاره موجودة عند أبنائه، وله مؤلفات منها: السيف المسلول، في ذكر حياة الرسول.

• له قصيدة يذكر بها سنين حياته أيام الشباب، ثم قدوم الكهولة، وشيء من حياته، يقول فيها:

تجـــاوزتُ لـعـمـرِ الـكـهـلِ حـقًّـا
وأيـقـنـتُ مـنَ الـدنـيـا الـفـراقَـا
بـــدا الـشـيـب بمـفـرقـي قـلـيـلاً
وظـهـر الـعـجـز فـي الـسـهـر طـويـلا
وبـــاقـــي الـعـمـر أغـتـنـم لشكر
بـــــأوراد صـــــلاة أو بـذكـر
بـآنـاء الـنـهـار والـلـــيـالـي
فـوفّـق يـا إلـهـي لـلـوصـول

• وفي قصيدة له يذكر فيها أحد الأصدقاء يقول فيها:

قـد كـنـتَ فـينـا كـالـطـبـيـب لـعـلـةٍ
وإنـــي رغـبـت إطـاعـةً لِـنـداكـا
إنـــي تـبـعـتـك كـل حـــال يـا أخـي
مـع تـرك شـركـانـي وطـلـب رضـاكـا
قـد أخـمـدت شـوق الـسـراج لقلبي
وتجـهـز الأنـــف لـشـمِّ يـداكـا
إنـــي رأيـتـك فـي المـنـام وأن لـي
جـسـدًا ضـعـيـف لانـعـدام شـذاكـا

• كان لرسول الله مكانة عظيمة عند شعراء الهند، فمعظم شعرائها نظموا قصائد في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- والشاعر أبوبكر نظم قصيدة في مدح الرسول قال فيها:

لـولاك لـم تـوجـد الأفـلاكُ مـن عدم
كنّا عن الحقِّ محجوبينَ بلا علمِ
أنـت الـسـراجُ المنـيـر شـافـعُ الأممِ
صـلـى عـليـك يـا رسـول الـلـه وسـلـمِ

• عندما يفقد شاعر أحد أبنائه، يعبر عن مشاعره وحبه لهذا الولد، وهذا ما حدث لشاعرنا، فقد رزء بفقد أحد أنجاله، كما حدث لشاعر العرب أبي ذئيب الهذلي الذي فقد أبناءه،

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر في كيرلا ص ٢٧٢

في العصر الإسلامي، فانبرى شاعرنا يعبر عن مكنون قلبه، ولوعة الحزن بادية في كلمات شعره، لأن ذلك الولد يتمتع بخصال حميدة، فيقول في قصيدته يعاتب الدهر:

فإن الدهرَ بي أغرى جهارًا
مصائب تقلق اللب المتينا
بأن قد نال مختطفًا بشبلي
وليس رأي التعطف والحنانا
ولم ينظر إلى رثي وبي
ومغتربي رماه الله عينا

• ويتحدث عن سلوك الولد وأخلاقه الكريمة، وشمائله الحميدة، فيقول:

شمائلُهُ أرقُّ مِن الزلالِ
وشيمتُه كنوز الفاضلينا
سريرته أشفُّ من الزجاج
وسيرتُه تزيد له بيانا
قريحتُه أَحَدُّ من الحسامِ
وهمته بها يعلو الزمانا
دليل للحيارى في الصحارا
وبدر في الدياجي مستبينا

• على الرغم من قلة ما وصل إلينا من شعره إلا أنه عبر في هذه المقطوعات عن مكنونات قلبه، وفاضت أبياتًا وأشعارًا يذوب لها الصخر، وهنا نتذكر رثاء أبي ذؤيب الهذلي في رثائه لأبنائه، وشاعرنا عبر عن لوعته، وأخذته سيرة الولد ووصف سريرته بالصفاء، مشبها تلك بالزجاج.

• المصادر التي تحدثت عن هذا الشاعر قليلة، ولم تنقل كثيرًا من أشعاره، وإنما هي مقطعات بسيطة، لذا لا يكون الحكم صحيحًا على شعر الشاعر، وخاصة أنه لم يتطرق إلى معظم الموضوعات الشعرية، ولم نحظ بقصائد طويلة لنرى قدرته على التفوق والابداع.

****

أبوبكر بن محيي الفرمدفي

١٣٤١ - ٠٠٠ هـ / ١٩٢٢ - ٠٠٠ م

• هو أبوبكر بن محيي الدين الفرمدفي[١] ولد الشاعر أبوبكر في قرية فرميدافو إحدى القرى بولاية كيرلا سنة ١٣٤١هـ، الموافق ١٩٢٢م، درس المبادئ الأولى في مدرسة القرية، ثم التحق بحلقات المساجد وتخرج منها، ثم التحق بالكلية العربية دار العلوم بوازكات، وحصل منها على شهادتها «أفضل العلماء» سنة ١٩٤٩م، فالتحق مدرسًا في جامع فرفنغادي، ثم التحق بالمدرسة العالية بننمندا سنة ١٩٥١م، وتقاعد عن التدريس سنة ١٩٧٧م. ولا نعرف شيئًا عن وفاته.

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا (كاليكوت: جامعة كاليكوت ٢٠٠٣م) ص ٢٨٨.

• أعجب الشاعر باللغة العربية أيما إعجاب، ورآها فتاة عربية من نسل عدنان، وتصور أنها عذراء فتنت عقول محبيها، ونظم الشاعر هذه القصيدة الرائعة، يذكر فيها مزايا اللغة العربية من إعجازها وفصاحتها، ورونقها من قلب فنان محب للعربية وفنونها، وقال فيها:

فأتتْ لنا البُشرى بقرب وصالِها
ولقاءِ عاشقها بكل فؤادِ
بُشرى تَعِمُّ العالمينَ بأنها
عربيةٌ عذراءُ وذات ودادِ
بهرت عقول الأدب عند جمالها
بفصاحةٍ تعيي نُهى النقادِ
وبلاغة تدع الأجانب عالةً
في أنها هي ربة لعبادِ
وعلت على الأكفاء فهي فريدةٌ
لا لا يفضُّ ختامها لمعادِ
كم من جبابرة لسحر بيانها
خضعت وكم دانت ملوك بلادِ

• تجري في الهند زيارات يقوم بها العلماء في شتى أنحاء الهند لإلقاء محاضرات وتنبيه الولايات الأخرى على نشاطات أعداء الإسلام، أو حث الناس في الولايات الأخرى على العمل الجاد لخدمة اللغة العربية، والدين الإسلامي، وقد زار السيد عبدالحق ناظم الكلية المحمدية بمدراس، بتاريخ ١٦/ ١٣٢٦/١١هـ، الموافق ١٩٠٨م، ويطلب الشاعر من الزائر أن ينبه المسلمين لغفلتهم ونومهم، وأن يحثهم على النهوض، فقال شاعرنا:

دارُ العلومِ تيقَّظِي وتنبَّهي
وتَنظّري مَن ذا أتاكِ مُرحبا
فإلى متى هذا الرقود وقد أتى
دهر عليك على الخمول تقلبا
بل مسلمو المليبار عرفوا ما بلا
صار ذوو الجهل الجهيل مركبا
فتسفّلوا للطبقة السفلى ولم
يجدوا سواكم للرقي مسببا

• لا يترك الشاعر مناسبة رحيل العلماء دون أن ينظم قصيدة رثاء، لما لهم من مكانة عند الأساتذة والطلبة، فعندما توفي المصلح الكبير الشيخ محمد المولوي، الذي قام بثورة الحركة الإصلاحية في مليبار، وكان الشاعر ينتمي إلى هذه الحركة، فرثاه الشاعر بقوله:

يدورُ الدهرُ يبدي الباسماتِ
ويخفي في النواجِذِ مبكياتِ
بعض بها فتوكا بالنفوس
كذئب بالشياه القاسيات
زجرتني عن مديحك غير أني
أرى لي حق ذكرى خالصات
فتلك مآثر تبقى تغني
بأعلى صوتها لك مادحات

• هو شاعر اجتماعي يتحين فرص العلاقات مع الأصدقاء لينظم فيهم شعرًا، فصادف أنه تأخر عن الإجابة على رسالة من صديق فكتب إليه يقول:

ولو كان إثمًا تـرْكُ قصدي لكم كما
وعـدتُ فلـي أن لا أراك عـقـابُ
سـوى نـظـر وجـه منـكم لا فـدا له
فـمـهـلاً خـلـيـلـي لا يمـتـنـي عـقـابُ
وعـذري لا تـلـقـوا وراء ظـهـوركم
فـإنّ اعـتـذارًا فـي الـذنـوب مـتـابُ

• شاعر ذو ثقافة دينية إسلامية، ولكنه يرى أن المسلمين لا يتبعون تعاليم الإسلام، لذا ساءه واقع المسلمين، فانبرى يحلل واقعهم، وينصحهم فقال لهم:

نـسـوا الإخـاء فشلّ الـلـه عرشَـهم
ولـم يـكـن مـنـهـمُ لـلـعـقـد حـلاّلُ
فـأيـن قـرطـبـة حـمـص وأنـدلـس
دول الـعـلـوم لـهـا الأمـثـال مـحـوال
ألـقـوا نـصـائـح ديـن بـالإخـار ورا
ظـهـر فـفـاز بـهـا بـرطـن وإيـطـال

• نهر شاليار الجاري بجانب دار العلوم بوازكات، وكان الشاعر طالبًا في تلك الكلية، وكان الطلاب يغتسلون على شاطئ ذلك النهر مع زملائه، فنظم أبياتًا حول ذلك الحدث، فيقول:

تـخـلـى واحـــدٌ مـنـا إلـيـهـا
فـألـقـتـهـا كـلامًـا يـسـتـطـابُ
ولـــولا نـــظـــرةٌ مـنـا إلـيـهـا
لـنـادتـه وكـــان لـــه إجـــاب
وهـــم بـهـا بـلا ريـب وهـمـت
بـه وهـي المـثـال لـهـا الـغـراب

• على الرغم من شعره الموجه إلى الأمة الإسلامية، لكنه كان حريصًا على تهذيب الشباب، والأطفال حتى لا يقعوا في الرذائل، أو يتورطوا في حبائل الشيطان، فيصور شاعرنا حديثًا بين شاب وأمه، يقول الشاب:

أيـــا أمـــــاه يـــا أمـــاه
آه يـأتـيـنـي شـيـطـانُ
خُـذيـنـي ثـم ضُـمـيـنـي
فـإنـي مـنـه حـيـرانُ
تـصـيـح لخِـيـفـةٍ مـنـهـا
نـسـاءٌ ثـمّ صـبـيـانُ

• فتجيبه الأم الحنون بقولها:

أيـــا ولـــدي ويـــا كـبـدي
هـو الـشـيـطـان إنـســان؟
فـــلا تـــرهـــب بـلـى لـكـن
بـشـرب الخـمـر سـكـران
فـمـن بـشـرب فـشـيـطـان
مـــن لا فـــهـــو إنـــســان

• هكذا يحاول الشاعر تربية الجيل الجديد، وتهذيبه للابتعاد عن شرب الخمور، حتى لا يجره ذلك أيضًا إلى رذائل أخرى.

- ذكرت أن الشاعر اجتماعي، يتحين المناسبات لينظم القصائد في جميع المناسبات الاجتماعية، والتربوية، فالشاعر قوي الملاحظة، وسريع الاستجابة للحدث، لذا كانت قصائده تمثل حالاته التي هو عليها وقت نظم القصيدة، وهذا لا شك شيء جيد، وبداعة جميلة وتفاعل قوي مع الأحداث، وشعره بسيط وقوي، ولم يتعمق في استخدام الأسلوب المعقد، والتراكيب الملتوية صعبة الفهم والإدراك.

****

أبوبكر بن محيي الكالكوتي

٠٠٠ - ٠٠٠ هـ / ٠٠٠ - ٠٠٠ م

- هو القاضي أبوبكر بن محيي الدين بن علي الكالكوتي[١] ولد في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، ولا نعرف بالضبط سنة ميلاده، وهو من أسرة قضاة كاليكوت، درس اللغة والأدب، وكان شاعرًا، وتعلم على يد أبيه، وعلى يد أخيه محمد بن محيي الدين الدراسات الأولى، ثم درس الإسلام والفقه حتى أصبح قاضيًا، وكان ضليعًا بالتاريخ الإسلامي، وماهرًا في الفنون المختلفة، وعميقًا في المعلومات الاجتماعية والإسلامية، وكان مستشارًا للملك السامري في بعض الأمور السياسية، وكان الشاعر الملباري (معين) كوتي فايديار (١٨٥٧-١٨٩١م) يتردد إليه للاستفادة منه في تاريخ المسلمين، لأنه يكتب بعض الأناشيد الإسلامية.

- تفرق المسلمون إلى فرقتين، ولكل فريق قاض خاص بهم، وكان القاضي أبوبكر يحاول أن يوحد الناس، ويقربهم من بعضهم، ولم ينجح الشاعر في مسعاه.

- للشاعر أبوبكر قصيدة تسمى» الهمزية»، وهي في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-وتضم ثمانية وخمسين بيتًا من الشعر العربي، يقول فيها:

أزكى الثناءِ لمن أنبَا بإسراءِ
أسرى بعبدهِ ليلاً كل إسراءِ
باهَى به الرسلَ والأملاك بالطربِ
باهى المحيا فمنه كل أبهاءِ
به النهار بشكس حر ذا عجب
بدر وعرش وكرسي كل لمعاء
تُجْلَى بمدحتهِ القلوبُ إذ هدأتْ
تغيرًا بصدى جرم وشنعاء
تطيب راح الهوى ريحانها وغدت
تجارة لذوي شوق وأهواء
زين الوجود وعين الجود من برز
زاوية العرش ذا شرب بإجلاء

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا (كيرلا، الهند: جامعة كاليكوت ٢٠٠٣م) ص ١٠٣

زَرعُ المحبةِ في حشوي لكم غرز
زاد من النور لي في جنح ظلماء

• يتشوق الشاعر إلى زيارة رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ليرى الروضة الشريفة، ويناجي ربه بها، يتصور الشاعر أن له رسالة يرسلها إلى رسول الله، تحملها الريح الصبا، ويصور بها النبي -عليه السلام- بأبدع تصوير، كما فعل شعراء العرب، فنظم تلك القصيدة التي تحتوي على واحد وأربعين بيتًا، وفيها يقول:

بمِسْكِ المحبةِ طَيبتُهَا
بكافورِ شوقٍ عليها نُثِرْ
وعطّرْتُ صُندوقَها بالشجا
ومفتاحُها ذِكرُ خيرِ البشرْ
وناديتُ ريح الصَّبا عندما
هبت بهيجان عزم السفرْ
إلى ربع ليلى وجيرانها
وزوارها عند وقت السحرْ
وأودعتها عندها مرسلاً
فقلت احمليها بلا منتظرْ
وأدى بها عندها بلّغي
سلامي عليها عسى أن تسرْ
عنيت بها ربع نور الهدى
وزين الوجود سِراج أغرْ

• كان والده أول أستاذ له، فتعلم على يديه الدين واللغة بداية، لذا إلى جانب الأبوة هناك جانب آخر هو التعليم، لذا كانت وفاة الأب مصيبة كبيرة له، ويصف أباه بأنه أديب ولبيب وحكيم، ويرى أنه فخر لبلده لماليبار، لذلك نظم قصيدة رثاء في والده بلغت ثمانين بيتًا، يقول فيها:

أهل الكتابة والشعراء والخطبا
في جنبه خضعت رقاب كلهمِ
ذو هيبةٍ ووقارٍ والسكينة ذو
مجدٍ أديب لبيب صاحب الحكمِ
بزَّ القضاةَ وتاج للمليبار
زرن للمجالس بل في كل قطرهم
كذاك يجلس للرحمن في مسجد
المثقال فوق سرير واعظ الأمم
فيملأ الناس حول الشيخ قد جلسوا
كأنما الطير حلّ فوق رأسهم
له لسانٌ فصيح حلوٌ منطقُهُ
جَهوري الصوت يبدو منه بالنظم

• يرى في أبيه قائد وملهم وخطيب، وله جمهور يحتشدون حوله لمعرفتهم مكانته العلمية والأدبية، وشاعرنا يرى في بعض الأساتذة والعلماء صنوًا لأبيه، لذا نراه يراسل العلماء في بعض الدول، منها الرسالة التي أرسلها شعرًا إلى أحمد دحلان في مكة المكرمة، يقول فيها:

سلامٌ من فقير كلّ وقتٍ
دوامًا كالرياح المرسلاتِ

على أم القُرى وديارِها مع
جميع الساكنين بحامياتِ
وكعبة والمصلى والمقام
وحجر والحطيم وذي العلاتِ
وميزان وملتزم وركن
وسائر مستحبات الدعواتِ
سلامًا فائحًا نشرًا وبشرًا
كريم المسك فوق العابقاتِ
وفاق جماله فوق الجمان
بحسن وسط نحر الناعماتِ
سناء ثراء أشرف بدر تم
ضياء في النجوم الزاهراتِ
وأبرد من زلال الماء لعطشٍ
وأحلى العسْلِ ذوقُ الحالباتِ

• يقدر الشاعر الأصدقاء، وخاصة من يتذوق منهم الشعر العربي، لذا نراه يراسل أصدقاءه بالأشعار، على الرغم من تكلف بعض تلك الأشعار، ففي بعضها صنعة، وحشو عير مستساغ، وعند النظر إلى أبيات هذا الشاعر فهو ناظم لألفاظ عربية، فهناك قصور في استعمال البلاغة العربية من تشبيه واستعارة وكناية، وأسلوب راق في التعامل مع الحرف العربي، ولكنه نظم ما يعتقد أنه جيد من وجهة نظره.

• الشعر ترابط المعاني، وتنسيق للألفاظ ومناسباتها لبعضها، مستخدمًا أسلوبًا فيه التشويق، والتنظيم البديع للأبيات، فينجذب القارئ، أو السامع فيهتز طربًا، ويطلب من الشاعر إعادة ما قرأ من أبياته، فللشعر روح ومبنى وبيان، فيصنفه النقاد على أنه مفلق ومطبوع.

****

أبوبكر رمضان الشالياتي

٨٣٤ - ٨٨٥ هـ / ١٤٢٩ - ١٤٨٠ م

• هو القاضي فخر الدين أبوبكر بن رمضان بن موسى [١] بن إبراهيم بن محمد، وهو من أصل عربي، قدم أجداده شرف بن مالك، ومالك بن دينار، وابن أخيه مالك ابن حبيب مع أحد ملوك الهند، الذي كان قد أسلم، واستقرت الأسرة في كيرلا- غرب الهند- وبنوا مساجد في مدن كثيرة غرب الهند، ونشروا اللغة العربية، وكان ذلك في حوالي القرن الثاني للهجرة.

(١) مصادر ترجمة الشاعر: - محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند (الهند: معهد الدراسات الإسلامية ٢٠٠٧م) محمد سلطان محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي (حيدرآباد- الهند: الجامعة النظامية ٢٠٠٥م). الشيخ جعفر الهلالي، معجم شعراء الحسين (بيروت: مؤسسة أم القرى ١٣٨٠هـ ش). مؤسسة البابطين، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ٢٠٠٨م. مركز عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الثقافة العربية في الهند (الرياض: مركز الملك عبدالله، ٢٠١٥م.

• ولد القاضي أبوبكر سنة ٨٣٤هـ، الموافق ١٤٢٩م، وتعلم العربية والمبادئ الإسلامية من أبيه القاضي رمضان بن موسى، ترك القاضي أبوبكر شالياتي إلى الحجاز، للدراسة والاستزادة من العلوم الإسلامية، ثم عاد إلى وطنه، وأخذ يلقي دروسه في الجامع الكبير في كاليكوت، فعرفه الناس واجتمع حوله الطلاب ينهلون من علمه وثقافته.

• برع الشاعر في التخميس، فخمس أشهر القصائد العربية، وخاصة ما يتعلق منها برسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وما يتطلبه التخميس من قدرة على ضبط المعنى والوزن والقافية، والأسلوب وما يتناسب مع القصيدة المخمسة من روح القصيدة وبيئتها، فقد نظم «الوردة الذكية في تخميس قصيدة البردة» للإمام البوصيري، المتوفي ٧٠٤هـ/ ١٢٩٥م. وألقيت هذه القصيدة في مجلس علم ضم مجموعة من العلماء والصالحين، ولم يكن متصنعًا في تخميسه، أو متكلفًا لألفاظها، لذا وجدت التشجيع والاستحسان من الحضور. فقال فيها:

رفقًا بنفسكَ يا مَن بات ذا ألمِ
كم ذا التأوه في بحلولك الظلمِ
ما لي أرى حمرةً في الخد كالعنمِ
أمِن تذكرِ جيرانٍ بذي سلم
مزجت دمعًا جرى من مقلة بدم
أمْ فاح طيب عهود ثم جازمة
أمْ ناح وُرقٌ بأشجان ملازمة
أم لاح أنوار ليلى في منادمة
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
وأومض البرق في الظلماء من إضَمِ

• ويصف العشق والغرام في قوله:

العشقُ نارٌ ونارُ العشقِ تضطرمُ
لا الدمع يطفي ولو كالغيث ينسجمُ
يا أهل طبع سليم ما به سقم
أيحسب الصبُّ أن الحب مُنكتم
ما بين منسجم منه ومضطرب
حل الغرام لنا في سائر الملل
يميس صاحبُه في أفخر الحُللِ
بُشراك يا ذا الضنا والوجد والعلل
لولا الهوى لم ترقْ دمعًا على طللٍ
ولا أرقت لذكر البان والعَلمِ

• بما أن بردة البوصيري في مديح رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- لذا صاغ شاعرنا في تخميس البردة بما يشعر به تجاه الرسول بقوله:

الله أكبر ما أحلى شمائلَهُ
بالحِلم جمَّله بالعلم كمَّلَهُ
من ذا الذي في الورى يحصي فضائله
فإن فضل رسول الله ليس له
حدٌّ فيعرب عنه ناطقٌ بفم

• أما وصفه للقرآن الكريم فيقول:

حارت عقولُ البرايا في غوامضِها
وكلُّ بليغ عن تعارضها
وكلما شقشقت أفواه ناقضها
ردت بلاغتها دعوى معارضها
رد الغيور يدي الجاني عن الحرم

• ولم يترك الشاعر أبوبكر بردة كعب بن زهير- رضي الله عنه- حتى خمسها بما يليق بمقام رسول الله، وزاد عليها مما جال في خاطره، وحبه لرسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وقد جاءه صديق رأى إشارة وبرهان فحواها أنه مأمور بتخميس قصيدة كعب، وبدأ فيها بالنسيب كما فعل الصحابي كعب بن زهير. فيقول في: «راحة الفؤاد في تخميس بانت سعاد» :

كيف السبيل إلى نيل الوثوق بها
في كلّ آنٍ لها شأن يصاحبُها
الله أكبر حرنا في تقلبها
فما تدوم على حال تكون بها
كما تلون في أثوابها الغول

• ويذكر صحابة رسول الله بقوله:

النور باقٍ وقد غابت شموسهم
ففي رضى الخالق ارتاضت نفوسهم
هم الهُداة فلا يشقى جليسُهم
شُمُّ العَرانين أبطال لبوسهم
من نسج داود في الهيجا سرابيل

• أبى هذا الشاعر إلا أن يجاري كبار شعراء العرب ممن مدح رسول الله -عليه السلام- فاختار أجود بردتين لتخميسهما بما يليق بمقام الرسول العظيم، ويلقي ما في فكره من حب واحترام وتقدير للرسول، وأتى بما يناسب البردتين محتذيًا طريقتهما في نظم القصائد، فكان بحق شاعر له قدرات كبيرة على النظم وتتبع خطوات البردتين.

****

أبوبكر محمد المدفتوري

١٣٢٨ - ١٤١٢ هـ / ١٩١٨ - ١٩٩١ م

• هو سي. بي. أبوبكر بن كنج محمد المدفتوري[١]، ولد سنة ١٣٢٨هـ، الموافق ١٩١٨م، ودرس الابتدائية في قريته، ثم التحق بدروس المساجد لدراسة الدين الإسلامي واللغة العربية، وبعد ذلك التحق بالكلية العربية روضة العلوم بمنجيري سنة ١٩٤٥م، وحاز على شهادتها أفضل العلماء، ثم عمل مدرسًا فيها ١٩٤٧م، ولنباهته أصبح عميدًا للكلية سنة ١٩٧٣م، بعد وفاة العميد أبي الصباح الأزهري، ولكنه تقاعد بعد ذلك، وجاءته المنية فلم تمهله أكثر من ذلك، وانتقل إلى رحمة الله سنة ١٩٩١م.

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص٢٦٣

• كان شاعرًا يتذوق شعر المتنبي وشوقي وغيرهما، ولكنه لم يحتفظ بكثير من أشعاره، وما تبقي إلا القليل من قصائده، منها قصيدة نظمها في هجاء حكومة كيرلا الشيوعية سنة ١٩٥٩م، فقد أسفرت الانتخابات بفور الحزب الشيوعي، ولكن كثير من الناس رفض النتيجة، وتخيل الشاعر كيرلا كفتاة عذراء، لذا عمدت الحكومة المركزية بإلغاء الحكومة الشيوعية، وهذه القصيدة يوضح فيها الشاعر موقفه من تلك الحكومة، فيقول:

موتوا بغيظ أيها الوزراءُ
باتت ولايةُ كيرلا العذراءُ
صارت مطلقة ثلاثًا حينما
زادت عليها صِبغةٌ حمراء
جئت إليكم في الشباب لعلها
ظنت بأنكم لها أكفاءُ

• ويتخيل الشاعر أن ولاية كيرلا حزينة، وهي في مشقة بهؤلاء الوزراء، فقال:

ضاعت محاسنُها وقلّ جمالُها
بوزراء دستورها الشحناءُ
عادت تعضّ على اليدين ندامةً
تجري الدموع كأنها خنساء
ضاقت بها ذرعًا وطال أنينها
حتى تجمع حولها الرؤساء
يا ويح للوزراء أنَّ زمانهم
ولى وما للظالمين بقاء

• يصف الشاعر كيف عانى الناس من شرطة تلك الحكومة، التي قابلت تحركهم بالرصاص فسقط عدد من المتظاهرين قتلى وجرحى، فقال:

القاتلي الحبلى بغير جريمة
وجنينها أكفانها الأحشاء
ذاك الجنين أطل قبل ولادةٍ
نظرًا إلى ما يصنع الوزراء
فاختار عيشًا في حشا أمّ له
في القبر حتى تحشر الأحياء

• كانت فكرة الشاعر أن معظم الناس ترفض حكومة شيوعية، وهم في بلد ديمقراطي، وغرّتَ الناس دعاية الحزب الشيوعي، ففاز في الانتخابات، ولكن اتضح أن هذه الحكومة تريد نشر الشيوعية في كيرلا، لكن الناس لم يرق لهم ذلك، فثاروا ضدها، مما أدى إلى أن تقوم الحكومة المركزية بإلغاء نتيجة الانتخابات.

• وفي قصيدة رثاء للشيخ محمد المرحوم، عميد كلية أنصار العلوم للبنات، ورئيس كلية اللغات الشرقية بجامعة كاليكوت، قال فيها:

خرجوا بنعشك والدموعُ تسيلُ
ولكل ماش أنة وعويلُ
حفروا ضريحك في التراب كأنما
حفروا الفؤادَ وأنت فيه نزيلُ

• وبعد وصف المتوفى بصفات تليق به، أظهر الشاعر تفجعه وحزنه على الأستاذ المتوفى بقوله:

أنّى لنصبر والأسى يتجدّدُ
تمضي بغمٍ بكرة وأصيلُ
أنوار كالخنساء تذرف دمعها
أسفًا عليه وللبنات عويلُ
صبرًا على سوء القضاء وُمّرهِ
إنَّ التصبر في البلاء جميلُ

• وفي قصيدة رثاء أخرى نظمها في أستاذه، الشيخ أبي الصباح الأزهري، الذي درس في الأزهر، وانتقل إلى رحمة الله سنة ١٩٧٢م، يقول فيها:

متى عَنّا وقد طال الزمانُ
أيا أستاذ ينقطع الأنانُ
ولم أرَ قبله حدثًا يوارى
صباحًا لا يغيبه المكانُ
ونذكر شيخنا في كل يومٍ
صباحَ مساء لا يبقى أوانُ
وبعدَ الموت في ذكرى يعيشُ
وعيشُ المرء في ذكرى أمانُ

• كان الشيخ أبوصباح قد أسس كلية فاروق، والكلية العربية روضة العلوم، فيذكرها ويقول:

فأسسَ روضةً فيها صباحُ
فصارت ربوةً فيها جنانُ
تقوم معاهدٌ جنبًا لجنبٍ
وأبنية يضيق بها المكانُ
ترى كليةَ فاروق فيها
تعانق روضة لهما جنانُ

• ثم يذكر مجيئه من القاهرة حيث الأزهر الشريف، فيقول:

أتى من أزهر بتراث نيلٍ
وإصلاح وأفكار تصانُ
وفيه همة الشيخ الإمام
جمال الدين جمّله البيانُ
أتى والجاهليةُ والجمودُ
كفرسيْنِ وبينهما رهانُ
ظلام الجهل قد أرخى سدولا
على الإسلام كان به الهوانُ

• يذكر الشاعر فضائل هذا الشيخ الأزهري، الذي عمل ليل نهار في سبيل نشر العلم بتأسيس المعاهد ومراكز التعليم، فموته خسارة للعلم والعلماء.

• نظم الشاعر قصيدة يهنئ بها صدور مجلة «البشرى» في ولاية كيرلا، فوقف يصفها، ويهنئ الناس بصدورها فقال فيها:

بشرى لكل محبِّ العلمِ والأدبِ
ذا زفّتِ البشرى في زيها العربي
غادة في طرفها حور
سحر القلوب لها نوع اللعبِ
كأنها روضةٌ للعلم دانيةٌ
قطوفها وبها الأنهار للأدبِ
لو نال يوسف البشرى لأرسلها
بدل القميص إلى يعقوب ذي الكربِ

- لا أعلم ما هي الظروف التي كانت عند هذا الشاعر حتى فقد معظم أشعاره ولم يحتفظ بها؟ ومصدر شعره لم يذكر لنا لماذا فقدت أشعاره، لكنه يبدو أنه يسجل ما يمر عليه من بعض الأحداث شعرًا، مثل رثاء أساتذة، أو مناسبة للتهنئة، أو غير ذلك، ولكنه عبر بطريقته عما يعتلج في خاطره من محن وأفكار.

- قصيدة أخرى ينظمها الشاعر في رثاء أستاذ آخر، هو الدكتور عبدالغفور، رئيس جمعية تعاليم المسلمين، يظهر فيها أسفه على وفاته، يقول فيها:

نم في ضريحك آمنًا يا باني
للمجد صرحًا لا يرى لك ثاني
قد كنت تسهر في حياتك حسبة
في خدمة الأرواح والأبدانِ
قد كنت تدفع بالدواء منيّةً
جاءت لثأرٍ منك قبل أوانِ
أبقيت يا دكتور ذكرًا باقيًا
في صفحة الزعماء والشجعانِ
نبهتَ قومَك من عميق سباتهم
بالسعي والإرشاد والإعلانِ
كانت لدعوتِك الدوية رنةٌ
قد أثرت في السمع والأذهانِ

- سؤال يلح عليَّ هو؛ لماذا لم يسجل أحد أشعار هذا الشاعر؟ من أصدقائه أو من تلاميذه، أو من المهتمين بالشعر؟؟؟ إذا لم يكن هو مهتمًا بشعره وتسجيله، أو تكليف أحد الناس بتقييده.. !!!

****

أبورشيدة أبوبكر الحكيم

١٣٣٤ - ١٤١٣ هـ / ١٩١٥ - ١٩٣ م

- أبورشيدة أبوبكر الحكيم [١].

- ولد في قرية تابعة لأريكوت بولاية كيرلا سنة ١٣٣٤هـ الموافق ١٩١٥م، وتعلم المبادئ الإسلامية وحفظ القرآن من أمه، ثم التحق بالكلية العربية دار العلوم بوازكات، ثم انتظم بالدروس المسجدية، وراق له دراسة الطب القديم، وحصل على شهادة الكلية في الطب اليوناني، كما كانوا يسمونه، ما نسميه الطب العربي، فعين طبيبًا في دار للأيتام، وحصل على الشهادة العالية في اللغة العربية سنة ١٩٦٠م، فأصبح معلمًا في دار الأيتام، ثم تقاعد من العمل سنة ١٩٧٥م.

- كان أبورشيدة شاعرًا منذ الصغر، ولكنه لا يسجل قصائده فضاع معظمها، وما بقي إلا القليل منها، وهو

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ٢٤٦ .

يحب العربية، وينتمي إلى جماعة «أنصار لغة الضاد» وقد نظم قصيدة في مؤتمر عقده اتحاد معلمي اللغة العربية سنة ١٩٧٦م، وفي هذه القصيدة تحريض لمعلمي اللغة العربية على نصرتها والدفاع عنها، قال فيها:

بشرى لكم أنصار لغة الضادِ
طوبى لكم أعوان دين رشادِ
كنتم حيارى لا ترون مؤانسًا
يعوي الذئاب عليكمُ بأوادِ
كنتم أرانبَ في جوار قيانة
كنتم وعاءَ مزابلٍ كرمادِ
تهوي بكم ريح العداوة من شَيا
طِين التهند عابدي أندادِ

- ويطلب من المعلمين هجر السياسيين، وعدم التحدث إليهم فيقول:

هجرًا جميلاً للسياسيين والز
عماء شرهم كضر جراد

- في سنة ١٩٧٥م أعلنت حكومة الهند حالة الطوارئ، وتم سجن مجموعات من النشطين السياسيين ومنهم بعض رجال الدين المسلمين، وبما أن الشاعر مرتبط ببعض رجال الدين، لحبه لهم، لذا انبرى الشاعر لهجاء الحكومة الهندية قائلاً:

ضاقت محابس هند بعد ما وليت
بالمسلمين وأشياخ وأوتاد
آلاف دار لسكان المدائن قد
أبادها بغتة من دون إعداد

- ولم يستمر الوضع على ما هو عليه، بل حصلت انتخابات في الهند وسقط حزب المؤتمر الهندي، برئاسة أنديرا غاندي، وفاز الحزب المنافس، حزب جاناتا، فخرج زعماء المسلمين من السجون، وعمت الفرحة، فقال الشاعر ينشد قصيدته:

تبارك اللهُ ما زاغت مشيئتُهُ
كلا جلالته دومًا بمرصادِ
فبدّلَ اللهُ قومًا وفق سُنتهِ
وفرّج الغمَّ عن جمع وأفراد

- تزوج الشاعر من إحدى القرى، ولكن حدث بينه وبين بعض سكان القرية خصومات في بعض الأمور، فنظم قصيدة يهجو بها هؤلاء القوم، وقد ألقيت هذه القصيدة في احتفال نظمه اتحاد معلمي العربية سنة ١٩٧٨م، قال يخاطب زوجته:

أرحيم هبي سكبي العبرات
مما تردى الناس في الويلاتِ
أوما رأيت القوم حولَك ترتعي
أعيانهم أرجاء منهيات

- ينظر الشاعر لهؤلاء الناس وهم يقطعون الأخشاب دون السؤال لمن هذه الأخشاب التي يقطعونها ويبيعونها لصالحهم، فيقول:

خشبان أجيال جوار ديارهم
حل لديهم غير مكرهاتِ
فهم اللصوص الماهرون سجية
وهم الثعالب واقب الظلماتِ

وزعيمهم وخطيبهم وعميدهم
كل يبيع الدين باللقماتِ
ولنهب أموال الضعيف خديعة
أيباعه يهدي العميد العاتي
هجروا من القاموس كلمات المكا
رم والمحاسن غير مفهوماتِ

- ويهجوهم الشاعر لما يرى من أنهم يستحمون في النهر القريب منهم، فلرجال القرية مسابح، ومسابح نساء القرية قريبة من مسابح الرجال، لذا نراه يستنكر هذا الوضع غير الإسلامي، فيهجوهم بقوله:

أولا ترونَ رجالهم ونساؤهم
متزاحمين مغاسلاً لعراةِ
متوهبون بظاهر الأقوال بل
متدينون بشِرْعةِ الطاغوت
وثمانِ ركعاتِ القيام بليلةٍ
رمضانُ يكفي عندهم لنجاةِ

- يستنكر الشاعر الخروج على تعاليم الإسلام، ويرى أن ذلك ضلال، وفهم هؤلاء للإسلام فهم خاطئ، ويرون أن صلاة القيام في رمضان، وهي ثماني ركعات، تنجيهم من العذاب، وتحصنهم من انتقام الله سبحانه وتعالى.

- يعدد الشاعر بعض الأعمال المنافية لمبادئ الإسلام وقيمه، فهو يهجوهم على عدم الاهتمام بمعرفة الحرام والحلال في تصرفاتهم، ولقد أيقن الشاعر بأن تعاليم الإسلام كل متكامل، ولا ينفع الإتيان بالحرام، ويجبه، في ظنهم أن بعض الأعمال الأخرى الحسنة تنجي المسلم من العقاب.

- يبدو أن الشاعر يعي تعاليم الإسلام، ويحكم على تصرف الأفراد بناء على فهمه لتلك التعاليم السمحة، ويتفاعل مع سلوكيات المجتمع، وينظم القصائد طبقًا لما يراه مخالفًا لتعاليم الإسلام التي يمارسها المجتمع، فهو شاعر متعدد الموضوعات الشعرية، وله قصائد بمناسبات اجتماعية، وغيرها، ويستعمل أسلوبًا بسيطًا حتى يدرك العامة مغزاه، وينبه الناس لخطورة المعاصي، أو الخروج على تعاليم الإسلام، نظم في الرثاء والتهنئة، وفي الهجاء والوصف، وكانت مراسلاته مع الأصدقاء شعرية، مما يدل على مقدرة كبيرة في اتقان العربية، ومعرفة المعجم العربي بكل اقتدار.

****

أبوسلمى جمال الدين

١٣٣٠ - ١٣٨٥ هـ / ١٩١١ - ١٩٦٥ م

- هو أبوسلمى محمد جمال الدين بن كنج أحمد كوتي[١]، المولود في قرية كيزال، ولاية كيرلا، سنة ١٩١١م، درس المرحلة الابتدائية، ثم انتظم في دروس المساجد، وبعدها انتقل إلى معهد دار السلام في عمرآباد وتخرج حاملا

(١) ويران محمد جمال الدين، الشعر العربي في كيرلا، ص ٢٢٤

شهادته. وعمل معلما في المدارس المدنية النظامية، وتنقل في عدة معاهد وكليات؛ منها: المدرسة العالية بأدفنا، وكلية روضة العلوم بفاروق، ومدرسة نور الإسلام، وبعد عشرة مع زملائه الأساتذة انتقل إلى رحمة الله في سنة ١٩٦٥م.

- كان شاعرنا ملمًا باللغة العربية والإنجليزية، وكان يكتب مقالات وأشعار وينشرها في الصحف والمجلات، وكان داعية للتيار السلفي، وله طريقة خاصة للتأثير على سامعيه، ودعوتهم للسلفية، وكان يراسل أحد أصدقائه شعرًا، بل معظم مراسلاته بالشعر العربي، وكان يتمسك بالتقاليد القديمة في قصائده، ولكنه لم يكن يعتني بتنقيح أشعاره. وقال عن نفسه: «كنت متشوقًا بالشعر العربي منذ صغري، ولكني فهمت الشعر ما هو؟ لما رأيت أشعار الشاعر أبي ليلى، وكنا نتراسل بالشعر كثيرًا، بل جميع مراسلاتنا كانت بالشعر».

- يتحسر الشاعر على حال المسلمين في عصره، وما آل إليه وضعهم، فيبكي لتلك الحالة المزرية التي عليها المسلمون، فيقول:

غارَ النجوم ولا صباحٌ يظهرُ
وانبثَّ في الأرض الظلامُ الأكبرُ
وبدت نوائبُ لو أصيب بها السما
لرأيتَ كلَّ نجومِها تنتثرُ
وابيضّ عيني بالعويل وبالبكا
وانساب منها سيل دمع يغمرُ
ألَبستِ زيّ تشوه من بعدِ ما
قد كنتِ أجمل ما يَرى من ينظرُ

- يتساءل الشاعر كيف تحول المسلمون من قيادة العالم إلى هذا الواقع المزري؟ كان الأولون يتمسكون بالقرآن والسنن، فسادوا العالم، ولكن خلف من بعدهم بخلف أضاعوا تلك القيم، وتركوا الكتاب والسنة وراء ظهورهم فصاروا أذلة بعد عز، وشوّهوا صورة الإسلام النقي، واتبعوا الشهوات، فيصف واقعهم بقوله:

لما ثكلتهمُ أتى من بعدهم
خلفٌ أهانوا كِلْمَتي واستحقروا
صبغوا بأسود وجنتي فتخيلت
للناظرين قبيحة تستقذرُ
ورواتب عقدوا لرقص وغنا
يصوتون بصيحة تستنكر
ومحافل اتخذوا لضرب دفوفهم
فيها لتقطيع الجوارح خنجر

- ويدعو أبناء المسلمين لتخليصهم من هذا الواقع المرير، فيقول:

هل من غيورٍ في بَنيَّ اليومَ لاسْـ
ـتِنقاذِ والدة تستنصرُ
هل من كَمِيٍّ فيكمُ في عرقهِ
يجري دماء أبٍ أبِيٍّ يفخرُ

- إن كان الشاعر يرى هذا الوضع في الهند فكيف هو الوضع في سائر العالم الإسلامي؟!.

• كان الشاعر أبوليلى محمد بن ميران من أقرب الناس إليه، وكانا يتراسلان شعرًا، ففي قصيدة أرسلها لأبي ليلى يقول في مطلعها:

حصلتُ على مَرقومكُمْ إذ أتانيا
فأسبلَ دمعي بعضَ ما كان حاويا
ومُذْ ذقتُ مُرّ البينِ أيام بينِكم
أبِيتُ أذوق الوصلَ منكم لياليا

• وكان الشاعر أبوليلى قد أرسل رسالة إلى أبي سلمى يخبره فيها أنه يعاني من الحمى، فقال شاعرنا:

وحُمّى أبي ليلى أذابت حُرورها
لِحاظي أبي سلمى فكانت بكائيا
ولو أنني من ذلك الدمع كاتبًا
سطورًا لكان الخطُّ يحمرُّ داميا

• هذه العلاقة الطيبة بين الشاعرين انقطعت بوفاة أبي ليلى، فحزن الشاعر لفراق صديقه الحميم، وعبر عن حزنه بهذه الأبيات، ووقف ليلقيها على مسامع المؤبنين فلم يستطع أن يكملها لفرط حزنه وبكائه على صديقه الذي رحل، قال فيها:

أبا ليلى أتأتي بعدُ فينا
ولو بعد الشهور أو السِّنينا
فكم لي من حكايات إليكم
وكم خبرٍ خبأت لكم كمينا

• وكان أبوليلى في مكة حين وفاته، فيذكر شاعرنا ذلك بقوله:

دُفِنتَ نزيلَ أصحابٍ كرامٍ
فصِرتَ لهم زميلاً أو قَرينا
حَيِيت وكنت أشرفنا جميعًا
ومُتّ فكنت أشرف ميتينا
علوٌ في الحياة وبعد موتٍ
لمن إحدى العجائب أن يكونا

• اهتم كثير من الهنود باللغة العربية، وأصدروا مجلات وجرائد باللغة العربية، وشجعوا الناس على تعلم العربية، وقراءة المجلات العربية، وقد صدرت مجلة في كيرلا باسم» البشرى» سنة ١٩٦٣م، فقام الشاعر يهنئ بصدور المجلة، ويصور نفسه عاشقًا لها، وكان ينتظرها منذ زمن، يقوله فيها:

أتدرينَ الجور المكنون فيّا
وتوقاني إلى هذا اللقيّا
فكم ركبًا سألتهم شجيّا
أفتش عنكِ تفتيشًا جليّا
وكم ليلٍ سهرتُ به شكيّا
أقاسي حُرقة الملهوف حيّا
هَبِي لي منك إقبالاً وفيّا
ومدى الثغر ألثمه هنيّا
عشقتك يا ذه البشرى مليّا
ولم ترَ الوجود الخارجيّا

• لم يكن أبوسلمى شاعرًا فقط بل كان راويًا أيضًا، فقد كتب روايتين: هما رواية «زينب» ورواية «نفيسة» وضمنهما أشعارًا ومقطوعات، فهما روايتان شعريتان، وكان أبوسلمي وحيدًا في هذا الفن القصصي العربي في الهند.

• يتحلى الشاعر أبوليلى بنفس طويل في كتابة الشعر، فهو مغرم بنظم الشعر الغربي، فكثير من مراسلاته يصيغها بأسلوب شعري، وكأنها كتابة عادية، والشعر عنده طبع، ليس فيه تكلف أو صنعة في معظم أشعاره، وهذا دليل بتعلقه باللغة العربية أولاً، ثم بنظم الشعر ثانيًا، لذا نظم في معظم الموضوعات الشعرية، واستعمل الألفاظ العربية بقدرة عالية، وهذا دليل آخر على حبه للغة.

****

أبوعطاء السندي

٠٠٠ - ١٦٠ هـ / ٠٠٠ - ٧٧٦ م

• أبوعطاء السندي[1].

• اختلف في اسمه الحقيقي، ففي الأغاني أفلح بن يسار، وعند ابن قتيبة مرزوق، مولى عنبر بن سماك بن حصين الأسدي، كان أبوه من السند، وولد أفلح في الكوفة في بدايات القرن الثاني الهجري، وهو من مخضرمي الدولتين، مدح الأمويين، ولم يحظ عند العباسيين بشيء، ذلك لمدحه للأمويين، وكان في لسان أبي عطاء لثغة ولكنة أعجمية.

• للشاعر غلام فصيح اسمه: عطاء فتكنى به، فكان لا يحسن نطق بعض الحروف العربية، وكان يروي شعرَه لعطاء، فيلقيه نيابة عنه، ادعى مواليه بأنه رق لهم فكاتبهم على أربعة آلاف درهم، فأتى إلى الحُر بن عبدالله القرشي، حليف قريش، فقال فيه:

أتيتك لا من قرب هي بيننا
ولا نعمة قدمتُها أستثيبُهَا
ولكن مع الراجين أن كنت مَوردًا
إليه بُغاة الدين تهفو قلوبُهَا
أَغِثنِي بسِجْل من نَداك يكفّني
وقاك الردى مُردُ الرجال وشيبُهَا
تسمى ابن عبدالله حُرًّا لوصفه
وتلك العلا يعنَى بها من يصيبها

• فأعطاه أربعة آلاف فأداها في مكاتبته.

• كان أبوعطاء فيه لكنةٌ ولَثغةٌ، فأتى سليمانَ بنَ سليم وأنشده:

أعوزتني الرواة يا ابن سليمٍ
وأبى أن يقيم شعري لساني
وغَلا بالذي أجمجمُ صدري
وجفاني بعجمتي سلطاني

(١) عبدالقادر بن عمر البغدادي، خزانه الأدب، ت: عبدالسلام هارون (القاهرة: الهيئة المصرية ١٩٧٩م) ج٩ ص٥٤٥. جمال الدين الفاروقي، أعلام المؤلفين باللغة العربية في البلاد الهندية ص ٢٧. محمد الكتبي، فوات الوفيات (بيروت: دار صادر ١٩٧٣م) ج١ ص٢٠١. أبوالفرج الأصفهاني، الأغاني، ت: عبدالأمير المهنا (بيروت: دار الفكر) ج ١٧ ص ٣٢٧. عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ١ ص١٥.

وازدرتني العيونُ إذ كان لوني
حالكًا مُجتوى من الألوان
فضربتُ الأمور ظهرًا لبطنٍ
كيف أحتال حيلة للساني
وتمنيت أنني كنت بالشِّعْـ
ـرِ فصيحًا وبان بعض بناني
ثم أصبحت قد أنخت ركابي
عند رحب الفناء والأعطان
فإلى من سواك يا ابن سليمٍ
أشتكي كُربتي وما قد عناني
فَاكفِني ما يضيق عنه رُواتي
بفصيحٍ من صالحِ الغلمانِ
يُفهم الناس ما أقول من الشعـ
ـر فإنَّ البيان قد أعياني
ثم خذني بالشكر يا ابن سليم
حيث كانت داري من البلدانِ

• فأمر له بوصيف بربري فصيح، فسماه عطاء وتكنى به، وروَّاه شعره، فكان يلقي شعره على الممدوح. وكان أبوعطاء من شعراء الدولة الأموية ومادحيهم، وشهد حرب بني أمية مع العباسيين، ولم يحظ عند العباسيين بمكانة، ومدح أبا جعفر المنصور، ولكنه لم ينل منه شيئًا، وقال له المنصور: ألست القائل في عدو الله الفاجر نصر بن سيار:

فاضت دموعي على نصرٍ وما ظلمتْ
عينٌ تفيضُ على نصرِ بن سيارِ
يا نصر من للقاء الحرب إن لقحت
يا نصر بعدك أو للضيف والجارِ
الخندفي الذي يحمي حقيقته
في كل يوم مخوف الشر والعاري
والقائد الخيل قُبّا في أعنتها
بالقوم حتى تلف القار بالقارِ
من كل أبيضَ كالمصباح من مضرٍ
يجلو بسنته الظلماء للساري

• وهي أبيات طويلة. وقال له المنصور: والله لا أعطيك بعد هذا شيئًا أبدًا، فخرج من عنده، وقال عدة قصائد يهجوه بها منها:

يا ليت جورَ بني مروانَ عاد لنا
وليت عدل بني العباس في النارِ

• وقال في هجاء بني هاشم:

بني هاشمٍ عودوا إلى نَخَلاتِكم
فقد قام سِعر التمر صاعًا بدرهمِ
فإن قلتم رهطُ النبي وقومُهُ
فإن النصارى رهطُ عيسى بنِ مريمِ

• وكان الشاعر قد ذم بني أمية حرصًا على نيل جوائز العباسيين، فقد قال:

إن الخيار مِن البَريّة هاشمٌ
وبنو أميةَ أرذلُ الأشرارِ

وبنو أمية عودهم من خروع
ولهاشم في المجد عود نضار
أما الدعاة إلى الجنان فهاشم
وبنو أمية من دعاة النار

• كان أبوعطاء مع يزيد بن عمر بن هبيرة وهو يبني على شاطئ الفرات، فأعطى أناس كثيرة، ولم يعطه شيئًا، فقال:

قصائدُ حكْتهُنَّ ليومِ فخرٍ
رجعن إليَّ صفرًا خاليات
رجعن وما أَفَأْنَ عليَّ شيئًا
سوى أني وُعدتُ الترهاتِ
فيا عجبًا لبحر بات يسقي
جميعَ الخلق لم يبللْ لهاتي

• فقال له يزيد: وكم يبلل لهاتك يا أبا عطاء؟. قال: عشرة آلاف، فأمر يزيد ابنه بدفعها إليه، فقال يمدحه:

أما أبوك فعين الجود تعرفه
وأنت أشبه خلق الله بالجودِ
لولا يزيدُ ولولا قَبلَهُ عمرُ
ألقت إليك معد بالمقاليدِ
ما ينبت العود إلا في أرومتهِ
ولا يكون الجَنى إلا من العودِ

• يتميز أبوعطاء بالبديهة، وسرعة الإجابة، فقد روي أن حمادًا الراوية أنشد أبا عطاء بيتًا من الشعر قال:

إذا كنت في حاجة مرسلاً
فأرسل حكيمًا ولا توصهِ

• فقال أبوعطاء بئس ما قال، فرد عليه حماد: وكيف تقول أنت؟ قال:

إذا أرسلت في أمر رسولاً
فأفهمه وأرسله أديبًا
وإن ضيعت ذاك فلا تلمه
على أن لم يكن عَلم الغيوبا

• جاء أبوعطاء إلى سليمان بن مجالد ليمدحه، فقام راوية أبي عطاء ليلقي قصيدة المدح في سليمان فقال:

فما فضلت يمينُك من يمين
ولا فضلت شمالُك عن شمال

• فقرأها بالرفع، فغضب أبوعطاء وقال لراويه: ويلك فما مدهته إذًا!! إنما هزوته، يريد: فما مدحته إذًا إنما هجوته، ثم أنشد أبوعطاء:

فما فَدلت يمينَك من يمين
ولا فَدلت شمالَك من شمال

• وكاد الحضور يضحكون ولكنهم آثروا الصمت خوفًا منه.

• دخل ضيف إلى أبي عطاء فأتاه بطعام، وأتاه بشراب، وجلسا يشربان، فنظر أبوعطاء إلى الضيف ينظر إلى جاريته، فأنشد يقول:

كَل هنيئًا وما شربتَ مريئًا
ثم قم صاغرًا وأنت ذميمُ
لا أحب النديم يومض بالطَّرْ
فِ إذا خلا لعرس النديمُ

• لما توفي يزيد بن عمر بن هبيرة، الذي قتله أبوالعباس السفاح سنة ١٣٢هـ، رثاه أبوعطاء بأبيات منها:

ألا إنّ عينًا لم تجد يوم واسطٍ
عليك بجاري دمعها لَجمُودُ
عشية قام النائحات وشقّقت
جيوب بأيدي مأتم وخدودُ
فإن تمس مهجور الفناء فربما
أقام به بعد الوفود وفودُ
وإنّك لم تبعد على متعهد
بل كلُّ من تحت التراب بعيدُ

• كانت لأبي عطاء علاقة وطيدة بنصر بن سيار، والي الأمويين على خراسان، فلما توفي سنة ١٣١هـ رثاه، بقوله:

إذا المرءُ لم يطلب معاشًا لنفسه
شكا الفقر أو لام الصديق فأكثرا
وصار على الأدنين كَلًّا وأوشكت
صلات ذوي القربى له أن تتنكرا
فَسِرْ في بلادِ الله، والتمس الغنى
تَعِشْ ذا يسارٍ، أو تموتَ فَتُعذَرا
وما يدرك الحاجات من حيث تبتغي
من الناس إلّا من أجدَّ وشمرا
ولا ترض من عيش بدون ولا تنم
وكيف ينام الليلَ من كان مُعسِرا

• ساءت علاقة أبوعطاء بعنبر الأسدي فقال قصيدة فيه، يقول فيها:

إذا ما كنتَ مُتخذًا خليلاً
فلا تَثِقنْ بكل أخي إخاءِ
وإن خُيّرت بينهم فألصق
بأهل العقل منهم والحياءِ
فإنّ العقل ليس له إذا ما
تُذُوكِرتِ الفضائل من كِفاءِ
وإنَّ النوكَ للأحساب غول
به تأوي إلى داء عياءِ
فلا تثقنْ من النوكى بشيء
ولو كانوا بني ماء السماءِ
كعنبر الوثيق بناء بيت
ولكن عقله مثل الهباءِ
وليس بقابل أدبًا فدعه
وكن منه بمنقطع الرجاءِ

• ومن شعره الحماسي قوله:

ويومٍ كيومِ البعث ما فيه حاكمٌ
ولا عاصم إلا قَنا ودروعُ
حبست به نفسي على موقف الردى
حفاظًا وأطراف الرماح شروع
وما يستوي عند الملمات إن عرت
صبور على مكروهها وجزوع

• بعث إبراهيم بن الأشتر ببيتين لأبي عطاء، وطلب منه أن يضيف إليهما بيتين من رويهما وقافيتهما، والبيتان هما:

وبلدة يزدهي الجِنان طارقها
قطعتها بكناز اللحم مُعتاطَهْ
وهنًا وقد خلّق النسران أو كربا
وكانت الدلو بالجوزاء مُنتاطهْ

• فأجابه أبوعطاء بقوله:

فانجاب عنها قميص الليل فابتكرت
تسير كالفحل تحت الكور لطّاطهْ
في أَيْنُقٍ كلما حثَّ الحُداةُ لها
بَدت مناسِمُها هوجاء حطّاطهْ

• قرض أبوعطاء الشعر العربي صغيرًا، على الرغم من عجمته ولكنه، ولكنه كان سريع البديهة، وكان أشد الشعراء عارضة وتقدمًا، ولكن نقاد الأدب لم يعطوه حقه من الشهرة، ولا نعلم لم أهمل هذا الشاعر الكبير، فقد نظم في معظم الموضوعات الشعرية؛ من مديح وهجاء ووصف ورثاء، وحماسة وغيرها، وكان مطبوعًا يرتجل بعض الأبيات في مواقف معينة، وقد يكون ابتعاد النقاد عنه بسبب عجمته، أو ميله لبني أمية، والمؤرخون في العصر العباسي.

• الشاعر أبوعطاء السندي شاعر مطبوع، غير متكلف ولا متصنع، وكان سريع الرد، يجري الشعر على لسانه كالنثر، ولا يعجز عن نظم أبيات في المواقف المختلفة، واستعمل الألفاظ السهلة، وأسلوب أيسر بحيث تصل كلماته إلى السامع بشكل عادي مفهوم لا غموض فيه ولا تعقيد.

****

أبوليلى محمد بن ميران

١٣٣٢ - ١٣٧٠ هـ / ١٩١٣ - ١٩٥٠ م

• هو أبوليلى محمد بن ميران[١]، ولد بقرية بولكل من محافظة ملابرم بولاية كيرلا سنة ١٣٣٢هـ الموافق ١٩١٣م، تعلم على يد جده العلوم الدينية، ثم دخل المدرسة الابتدائية، وبعد ذلك واصل دراسته في المدرسة المحمدية العالية، وهي أول مدرسة عالية للمسلمين، حيث تخرج سنة ١٩٢٣م، ثم التحق بكلية تربية المعلمين في كاليكوت، وانتقل إلى عدة مدارس حتى بدأ التدريس في مدرسة المنار، وتعلم عدة لغات وخاصة اتقانه للغة العربية.

• لم يقتنع الشاعر بوظيفة مدرس، بل سعى لأن يكون أكبر من ذلك، فهو يتقن عدة لغات، وكان خطيبًا مفوهًا، ومترجمًا قديرًا، وكاتبًا ومصلحًا اجتماعيًا، لذا ترك

(١) جمال الدين الفاروقي وآخرون، أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية ص ٣٠٩. ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ١٢١

التدريس إلى العمل الاجتماعي، وانخرط في العمل السياسي من خلال رابطة المسلمين في مليبار، وكان أمينها المساعد، وكان رئيس التحرير المساعد لجريدة الرابطة «جندركا»، وطورها لتكون جريدة يومية، وسعي من خلال عمل في متابعة دراسته العالية، فحصل على شهادة الباكلوريا من كلية برنان بتلشيري، وهنا عاد إلى مجال التدريس، وساهم في إصدار مجلة المرشد.

- وبهذه المناسبة نظم قصيدة يهنئ فيها إصدار الجريدة، ينعى بها سوء حال المسلمين، فيقول:

كم من خلائقَ يشركونَ بربهم
حتى تفطّرَ قلبُ كلِّ موحِّدِ
إن كان شرك الجاهلية في دعا
صنم من الصخر المتين المقددِ
فرجالُنا يدعونَ غير الله من
ماتوا وباتوا في تراب ملحدِ
هجروا الكتاب وهدي خير الأنبيا
وعليهم استولى كلام مقلدِ
الأمر المعروف فيهم مبعد
ومقرب كل القؤول المفسدِ
علماؤهم أشرار من في الأرض بل
عند الثرائد أهل ناب أحددِ
إن كان صاحب بدعة أو زاعم
لنبوة أو سادن في مشهدِ
يدعونهم يسعوا إليهم مثل ما
يسعى الفراش إلى سراج موقدِ
أسرت عقولهم الحماقة والهوى
والجهل يقضي بينهم كالسيدِ
يبدون أيقاظًا وهم غافون فالـ
أيام تمضي والليالي تحتدي

- وعدت حكومة الهند البريطانية الهند بالاستقلال التام خلال الحرب العالمية الثانية، فانضمت الهند إلى جانب بريطانيا أملا في الاستقلال، وخدم شاعرنا في الجيش البريطاني وكيلاً للدعاية العربية، ثم أصبح مراقبًا في المطبعة العسكرية، وبعد انتهاء الحرب لم تف بريطانيا بوعودها، فاستقال الشاعر من العمل مع البريطانيين، ورجع إلى كيرلا سنة ١٩٤٥م.

- انضم مرة أخرى إلى مجلة المرشد، ثم ذهب إلى مدراس، واستقر هناك، وكان يعاني من مرض السل، فتعالج في أحد مستشفياتها، ثم عزم على الرحيل إلى باكستان، ودعا زوجته لمرافقته ولكنها فضلت العيش في الهند مع أهلها، وفي باكستان عمل مترجمًا في سفارة المملكة العربية السعودية في كراتشي، إلى جانب قيامه بدوره أمينًا عامًا في جماعة مسلمي مليبار بكراتشي.

- اشتد عليه المرض فاستقال من العمل، وأراد العودة إلى الهند بعد أداء فريضة الحج، وفي مكة التقى بزميل له، والذي كان يعمل سفيرًا لباكستان في مصر، وساعده لدخول المستشفى ولكنه توفي قبل أن يرى موطنه مرة أخرى وكان ذلك في ١٨ يوليو سنة ١٩٥٠م.

• شاعر عربي عظيم في بلاد لا تتحدث العربية، ولكنه استطاع أن يبرز في معظم موضوعات الشعر، فله قصائد قي المديح والهجاء والرثاء والمراسلات الشعرية، وفي كلها جيد، ففي مناسبة زواج صديقه، عمر بن أحمد البلنكوتي، قال فيها على طريقة القدماء:

أنـــخِ المـطـيّـةَ أيـهـذا الحـــادي
قـد صـرت للـمـيـقـات فـي المـيـعـادِ
أنضيتَ نضوك من متابعة السّرى
يـطـوي فـدافـد رسـلـه وأوادي
فـانـزل فـهـذا مـنـتـهـاك بـلـغـتـه
وذر المـخـافـة مـن نـفـاد الـــزادِ
ذهـب الـسـراب وطـالمـا أدركـتـه
فـجـذ الـشـراب وأنـت فـي الـــورّادِ
وارتح من التعب الشديد وأنت في
نـــادي الـسـرور فـيـا لـه مـن نـادِ
عـرس بمدحـتـه الـطـيـور صـوادح
وبـهـا مـلائـكـة الـسـمـاء تـنـادي
أبـشـر فـتـاة جـاء يـدخـل خـدرهـا
عـمـر الـبـلـنـكـوتـي بـاسـتـعـدادِ
ولـبـاسـهُ الـتـقـوى فـيـسـحـب ذيـلـه
مـن خـلـفـه أنـى يـــروح ويـغـادي

• وقد دعي لحفل جمعية العلماء الذي عقد سنة ١٩٢٤م، ولكنه لم يستطع الحضور فكتب قصيدة اعتذار عن عدم الحضور بقوله:

تحـيـة لـكَ خـيـر الـنـادِ تـشـفـعُ في
قـبـولِ عـذري بـه ذنـب الـغـيـاب مُـحـي
تحـيـة زانـهـا الإخـلاص وامـتـزجـت
بـشـوق قـلـب كـئـيـب غـيـر مـنـشـرح
شـوقـي لإشـراك أحـبـابـي الـحـظـيـظـة بـالـ
حـضـار فـي قـرة الأبـصـار والـفـرح
لـيـت تـسـخـر لـي ريـح فـتـحـمـلـنـي
أو لـيـتـنـي لـي جـنـاح أكـبـر الـلـقـح

• كان هذا الشاعر إذا دعي إلى حفل ولم يستطع الحضور لمانع يمنعه، يرسل رسالة اعتذار، ولكنها رسالة شعرية، يلوم فيها نفسه ويتهمها بالنفاق، ويظهر حبه للحضور، فيقول في حفل دعي له:

أيـا شـوق قـلـبـي لاشـتـراك مـحـافـلٍ
فـــؤادي بـهـا كـل الأحـايـيـنِ عـالـقِ
ليحبسني عنها امتهاني وبيئتي
وتعتاق نفسي عن حضوري عوائق
مـطـيـع لـحـالـي كـل أعـضـاء حـبـي
وقـلـبـي مـطـيـع أمـر شـوقـي فـسـابـق
لـقـد حـالـت الأقـطـار بـيـنـي وبـيـنـكـم
بـعـاد المـدى والـراسـيـات الـشـواهـق
أحـــنُّ إلـــى جـمـعـيـة الـعـلـمـا كـمـا
تحـنّ إلـى وصـل الـقـطـيـع الـربـائـق
فـيـا إخـوتـي إنّـي شـريـك وحـاضـر
بـروحـي إذا مـا فـرق الـجـسـم فـارق

وقيدني الأحكام أحكام دولة
حولي أمور كلهن مضائق
رفاقي كلا إنّ شوقي خالص
وإنّي لصب للديانة وامق
فإن تعلموا عذري عذرتم وجدتم
ويشهد ربي أنَّ قلبي لصادق

• كانت له مكاتبات شعرية مع بعض أصدقائه، فعندما استقر في مدراس كتب إلى صديقه أبي سلمى أبياتًا يذكر فيها أيامًا عاشها معه، فيقول:

ألا يا جمالَ الدينِ كنتَ هناءَنا
وبيّضتَ أيامًا لنا ولياليَا
بأنفسِ علمٍ أو ألذِّ فكاهةٍ
تحدث أخبارًا وتروي قوافيا
فيا ليتها لم تمض ومضة بارق
وطالت بنا حتى ننال الأمانيا
لسانك ما أحلاه لله دره
فكم ردَّ حيرانًا وكم سر ناديا

• وهكذا الشاعر يجد في المواقف الإنسانية مع أحبابه وأصدقائه بعد فراقهم، ولكنه وفي لهم ويتذكر جلساته، وسمراته معهم، ويعدد مواقفهم الإنسانية عندما يتعرضون للمحن والكوارث، فقد هبت عاصفة هوجاء على مليبار وحدثت سنة ١٩٤١م، ودمرت كثيرًا من البيوت، وسببت خسائر عظيمة في البلاد، فوقف يصف تلك العاصفة، يقول فيها:

طمتْ علينا بلايا اللهِ ليلتَها
ريحٌ عقيمٌ وماءٌ بات ينهمرُ
كأنما صب لعن المرسلين معا
نوح وهود على قوم فما الوزر
تلك العواصف أعيت كل واصفها
وظنها الناس نفخ الصور وانذعروا
دَويّها يملأ الآذان صلصلةً
كما ينبذ من تيارها الحجر
ثارت كذلك طول النيل عاتية
لا شيء تلقاه إلّا مسه البتر
تنهار أبنية المثرين واهية
والدور تنسف والأشجار تنقعر
فانساب يجرف ما الإنسان زارعه
ويجعل البر بحرًا حين يغتمر
وحل نار مع الإعصار محرقة
ما كان يقوى على إطفائها المطر
ترمي شرار كشهبان فما شجر
ينجو من الريح إلّا أجّه الشرر
والموت منتهز إذ ذاك فرصته
فبات يفتك بالإنسان يهتصر
أضحى البرايا يسبون الزمان وهم
يدعوه ويلاً فلا صار يصطبر
ترى جنانهم الألفاف خاوية
على العروش وهم يحصون ما خسروا

كـأن أشـجـارهـا أبـطـال مـعركة
فتلى وأجسادهم في أرضها نشر

• أبدع الشاعر في وصف تلك العاصفة الهوجاء التي اجتاحت بلدته، فلم يترك لا الشجر ولا البشر ما وصف حالهم، ولا خسائرهم في تلك العاصفة، ثم ينظر إلى أصحابه وأهل بلدته، وما هم عليه من حال متغيرة، فيقول:

صبرًا جميلاً فيا إخـوانُ لا جزعًا
هـذا بـلاءٌ مـنَ الجـبـارِ مـختـبرُ
وكيف لا يغضب الرحمن إن نسيت
صـفـاتـه وهـو قـهـارٌ ومـقـتـدرُ
وكـيـف لا وقـد ارتـد الـبـلاد إلـى
ظلـم عظيم فما الإحسان منتظر
يموت ذو البؤس إملاقًا ومسغبة
إذ الـغـنـي أكـول مـسـرف حكر
لـم يشكر الـنـاس آلاء الإلـه وقد
ألـهـاهـم المـال والأولاد والـنـفر
فأحسنوا واخضعوا لله يـا أمما
ذاقـوا الـبـلاء ولا يمسكم البطر
جودوا بما لم يصب من مالكم تلف
فـإنـه مـن عـطـاء الـلـه ينجبر
والدهر شطران لا تنسوهما أبدًا
فـالحـزن منتظر إذ يـسـرف الأثـر
فيا رحيم الـذي نـحـن الـعـباد له
أنـت الجـواد فـزدنـا نـعـمـة تفر
والطف بنا ربنا واغفر لنا وقنا
جـمـيـع مـا أنـت لـلـفـجـار تـدخـر

• حقيقة لم يترك الشاعر هذه الكارثة تمر دون أن يصفها، ويطلب العون والمساعدة لأبناء بلده، ويشيد بالإخوان لاتباع تعاليم رب العباد، فهي كارثة تريد التعاون والعون والمساعدة من الله العلي القدير، ولا ينسى واجب المقتدرين في مساعدة المحتاجين.

• عندما تحل بالأمة مصائب وكوارث نجد شاعرنا ينبري بتسجيل رأيه، وموقفه من تلك المصائب، وإذا كانت المصيبة كبيرة، فلا بد لشاعرنا إلا أن يعزي الأمة بذلك المصاب الجلل، وعندما توفي مؤسس باكستان، محمد علي جناح، وكان الشاعر مؤيدًا لخطوات جناح، وترك بلدته والتحق بباكستان، وكانت له مع المؤسسة مواقف، وتبادل للآراء، فرثاه أبوليلى فقال:

كيف السلو وفي الأكباد أجراحُ
ومـن تـأمـلـهـا الأحـشـاء تـنـصـاحُ
لـلـه دَرُّكَ يـا عـيـنـي فـلا تـدعـي
قطرًا من الدمع إلا وهو سحساحُ
يـا عـاذلاً جـاء يلحاني على جزعي
إليك عني فلي في القلب أبـراحُ
أم كيف تعذلني إن كُنيتني صدقت
فـإن حـظـي أبـولـيـلـى وأتـراحُ
لـو كـنـت تـعـلـم كقلي أي حادثة
كـرت عـلـيـنـا فـلا تـلـقـاك أفـراحُ

وإنما في فؤادي من عظيم جوى
لا تنسيَنّها من الصهباء أقداحُ
أصابت الأمة السمحاء جائحة
تكاد من هولها تردى وتجتاحُ
مات الذي لو أتاح الله عنه فدى
لفوديت أنفس منا وأرواحُ
القائدُ الأعظمُ الحامي ذمار بني الـ
إسلام والـدُ باكستان جناحُ
أعجب به رجلاً طالت تراجمه
تضيق عنهن أوراقٌ وألواحُ
ومدحه ليس يستقصي روايته
حتى القيامة وصَّاف ومداحُ
رأى بني دينه في الهند ليس لهم
راعٍ وهم في أوادي التيه طواحُ
كأنهم في سفين بين عاصفةٍ
هول وليس على السكان ملاحُ

• ولدى الشاعر عدة مرثيات لأصدقائه، أو لعلماء في الهند وخاصة كيرلا، وهنا يصعب تعداد من رثاهم الشاعر، ولكنه من جانب آخر نظم قصيدة هجاء وحيدة، هجا بها بلدة ترونغادي، لأنه وجد بها انحراف بعض الناس عن سلوك الطريق القويم، فهجاهم على الرغم من كرهه للهجاء إلا أنه وجد أن هؤلاء يفسدون الناس بانحرافاتهم فيقول:

ويلاً لأهل ترورنغادي يا واها
ويلاً لمن حلَّهَا أو رامَ سكناها
ما كان أتعسَها ما كان أنحسَها
ما كان أيأسها ما كان أشقاها
عجبتُ كيف نجتْ من رجفةٍ أخذت
أهلَ القرونِ التي ظلت بطغواها
فإنها قرية أخلاقها فسدت
إبليس سيدها الراعي ومولاها
السحت مأكلها والخمر مشربها
واللعب مكسبها والبغي ملهاها
تفوق في البخل أنطاكية منعت
قرى نبيين جاعا حين جاءاها
أسواقها لا ترى إلّا ممالأة
بضائع الزيف لا يشرون إلاها
قومٌ قدِ انتزع الله المكارمَ من
أخلاقهم فَعُدوا للوحشِ أشباها
لا يطمعون سوى الدنيا ولذتها
ولا يرومون إلا الأكل والباها
هم البهائمُ إلا أنهم بشرٌ
شكلاً ونطقًا وأعضاء وأفواها
ولا إله لهم إلا النقود فلا
يأتون من نسك إلا لزلفاها
سل عن عبادتهم سل عن عدالتهم
سل عن مروءتهم لا قط تلقاها
قد حط بينهم الذل الرحال فلا
ترى لهم في الورى عزا ولا جاها

لم يعرفوا أبدًا يوم المعاد ولم
يدروا عواقب من لم يتقِ الله
سفينةٌ مرفأ الأموال غايتُها
وباسم قارونَ مجراها ومرساها
ليس عادة من كانت خليقته
بخلاً فلا يصل المسكين حدودها
ما كنت أهجُو بشعري مذ عنيت به
قومًا ولست من المبدين أسناها
حتى سكنت ترورنغادي فانبجست
عين الهجا في فؤادي من سحاياها
ماذا جنيتُ من الآثام في عمري
حتى أعذب في الدنيا بسُكْناها

- من خلال هذه النماذج من شعر أبي ليلى يتضح أن له باعا طويلاً في قرض الشعر العربي، فقد تناول معظم موضوعات الشعر، وأجاد بها، فلم يترك موضوعاته للنظم فقط بل كان لفطنته وخياله اليد الطولى في نظمه للقصائد، فلا عجب أن يمدحه المادحون، لم يخرج شاعر آخر في كيرلا في مستواه الشعري، وقدرته على استخدام الألفاظ وتوظيفها في قصائده، غير أن حياته القصيرة نسبيًا لم تمكنه من نظم الشعر في موضوعات أخرى مثل الغزل، ولقد كان شاعرًا من طراز فريد في البلاد الهندية.

****

أبومحفوظ المعصومي

١٣٥٠ - ١٤٣٠ هـ / ١٩٣١ - ٢٠٠٩ م

- أبومحفوظ الكريم المعصومي[1].
- ولد أبومحفوظ بولاية بيهار سنة ١٩٣١م، تلقى دروسه الأولى على يد والده الشيخ محمد أمير حسن، وكذلك عن أخيه الدكتور محمد صغير حسن، فعرف النحو والصرف العربي واللغة الفارسية، كما تتلمذ على عدة مشايخ في المدرسة العالية بكلكتا، وأكمل دراسته العليا سنة ١٩٤٢م، وحصل على شهادة الفضيلة.
- تربى أبومحفوظ في بيت علم وأدب، فجده كان عالمًا كبيرًا في الأمور الدينية، ووالده محمد أمير كان عالمًا أيضًا ومدرسًا للدراسات الإسلامية، وأخوه الأكبر نال درجة الدكتوراه من جامعة أكسفورد (بريطانيا)، فهذا الأستاذ محاط بمجموعة من الأهل كلهم علماء، كما تلقى العلم من الشيخ المفتي عميم الإحسان، وعن العلامة السيد ولايت حسين البيربومي، فلا غرو أن يخرج أبومحفوظ وحيد عصره في الدراسات والتحقيقات العلمية، إلى جانب الشعر.

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء (كلكية . الهند: مثار أحمد ٢٠١٠م) ص ٣٤٥ . جمال الدين الفاروقي، وآخرون، أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية (دبي: مركز جمعة الماجد ٢٠١٣م) ٤٦٧ . مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية، الثقافة العربية في الهند (الرياض: ٢٠١٥م) ص ٣٥٧.

- عمل الأستاذ أبومحفوظ في التدريس في المدرسة العالية بكلكتا، ثم محاضرًا للتاريخ والثقافة الإسلامية، وبعد ذلك أصبح أستاذًا للتفسير والحديث، ثم دخل جامعة عليكرا ونال شهادة الليسانس سنة ١٩٦٧م، وحصل على الماجستير سنة ١٩٦٩م، وفي عام ١٩٧٧م منحته الحكومة الهندية شهادة تقدير، وحصل على جائزة رئيس الجمهورية سنة ١٩٩١م لخدمة اللغة العربية في الهند.

- لهذا الأستاذ عدة تحقيقات للمخطوطات العربية منها:
  - **قصيدة خالد بن صفوان المسمى «العروسة».**
  - **شرح الألفيات لابن الأنباري.**
  - **مسألة ضعف الذاكرين والمتفكرين لعبدالرحمن السلمي «القول المسموع بين الكوع والكرسوع».**
  - **أرجوزتان للسيد مرتضى الزبيدي.**
  - **نسب قريش للزبير بن بكار (لم يطبعه).**
  - **كتاب التعليقات والنوادر لأبي عي الهجري (لم يطبعه، ولكن طبعه الشيخ حمد الجاسر في السعودية).**

- وله أيضًا استدراكات على بعض المؤلفين وعلى كتبهم، في علوم الحديث والتاريخ والفلسفة واللغة والأدب والقانون منها:
  - **المحدث الفاضل بين الراوي والواعي للرامهرمزي، على طرز سير أعلام النبلاء.**
  - **ذكرى العلامة عبدالعزيز الميمني .**
  - **طرز اللآلي وسمطها الغالي حول ديوان حميد بن ثور الهلالي.**
  - **روائع نادرة في شعر جميل بثينة.**
  - **نفاضة الجراب: حول ديوان ابن الدمينة.**
  - **ديوان بشر بن خازم الأسدي.**
  - **ديوان ابن مقبل.**
  - **الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي.**
  - **بحث عن شاناق الطبيب الهندي.**
  - **نسب قدامة بن جعفر.**
  - **بحث عن الفيلسوف الشيرازي (ملا صدرا).**
  - **أشعار أمير خسرو، والشاعر ميرزا غالب.**

- وهناك أيضًا مقالات علمية كثيرة منها باللغة العربية، ومنها باللغة الإنجليزية وله خطب، ومحاضرات في موضوعات متعددة في التاريخ والأدب العربي، هذا بالإضافة إلى قدرته على نظم الشعر العربي، وله قصائد ومقطعات متعددة، منها:

- عندما توفي فقيد الأمة السيد أبي الحسن علي الندوي نظم الشاعر قصيدة رثاء، يقول فيها:

تبكي الإمامَ علومُ الدينِ والعملُ
تبكي الهُمام قلوبُ الناس والمقلُ
يبكي الإمامَ الهُمامَ الفردَ كلُّ شجٍ
راضٍ بكل قضاءِ اللهِ مبتهلُ
تبكي الإمامَ الهمام الفرد ماهدرت
وُرقُ الحَمام إلى جرعاتها تنل
تبكي أبا حسن الندوي ساقيةً
ثراهُ سحبٌ بإذن الله تبتهل

دار العلوم تبكي وندوة أهـ
ل العلم ما درسوا علمًا به عملوا
بالله أسرته تنمي مسلسلة
إلى (علي) وب (الزهراء) تتصل
هذا سمي علي في مكارمه
هذا كنى علي لؤلؤ خضل
هذا الذي جاء من أجلّ بني حسن
خَلقًا وخُلقًا ووصالاً بمن يصل
أثنى عليه شيوخ الدين وهو فتى
بحسن سيرتهم ما عاش يزدمل
فجاء جماع أنواع الفضائل في
شخص وحيد بفضل الله يشتمل
من (رأى بريلي) إلى أقصى المشارق
والمغارب أعتز أني راح يرتجل
قد كان غرة وجه (الهند) نيّره
منها استضاء السنا الأقوام وانتحل
سبحان دين الهدى طابت خطابته
لم يستقم دونها علم ولا عمل
بالعربية من تنميقه كتب
للأوردية من تحبيره حلل
مؤلفات له مشحونة غررًا
بها المجامع طول الدهر تحتفل
أصغى إليه قحاح الغرب إذ سمعوا
مغزاه وهو بفصحى الضاد يرتجل
تجسست دعوة الإسلام فانقلبت
تدعى(عليا) به العلياء تكتملُ
الله أعطاه فضلاً واسعًا ويدًا
ذوّادةً عن حمى الإسلام لا تشل
ما عاش، عاش بحبل الله معتصمًا
وبالأحاديث لم يلحق به كلل

• أسس محمد خدا بخش مكتبة عامة في بتنا (شرق الهند) وكان مغرمًا بجمع الكتب والمخطوطات العربية والإسلامية، ولكنه كان سنة ١٨٧١م طريح الفراش، فأوصى ولده بتحقيق حلمه في إنشاء المكتبة العامة، وهي أكبر مكتبة تضم آلاف المخطوطات العربية، وقام الشاعر بنظم قصيدة في ذكرى الراحل خدا بخش، يقول فيها:

خزانة بانكي فور للنسخ العزّ
أتت غرة زهراء في جبهة الدهرِ
خدا بخش خان الفرد، جماع ذخرها
على ذروة المجد استوى نابهِ الذكرِ
تسامى على الأقران في فعلاته
سقى الله مثواه بمنهمر القطرِ
جزاه إله الخلق عنا مثوبة
مباركة، طول الأصائل والبكر
فلم يلف، أي والله هيمان مثله
بأعلاق زبر يقتنيها مدى الدهر
أحب الثقافات القويمة مغرمًا
بأسفارها من كل قطر إلى قطر

تصدى لجمع الكتب وهي روائع
لأهل النهى فوق اليواقيت والدر
بهمته تشدو، يد الدهر، داره
بأبلغ ما في الوسع للشاعر المطري
كفى أهل بيهار بأن يتفاخروا
بها ومبانيها العظام بلا نظر
تحبيهما الدنيا وأول «مجمع»
بكلكتا قد حياهما بحلى الشعر
قلائد شعر» آسيوي» زهتها
بأبهى لغات الأرض ضادية النجر
أحاول أن أدعى خدا بخش خانيًا
إذا اجتمعوا للسبق في حلبة الفخر
تُطاوعني الفصحى إذا رمت وصفه
فقد جئت في الفصحى صريع بني فهر
لقد طال تكلفي بآيات مجده
وبيض أياديه وبالنسخ الغر
ولم أنس «بيدارا» وأعوانه معًا
إذا قمت صداحًا بمستوجب الشكر
حكوا أنجمًا زهراء وذاك خلالهم
حكى القمر الساري معَ الأنجم الزهر

• أصدر الشيخ سعيد الأعظمي كتابًا باسم «شعراء الرسول» وانتشر بين أساتذة وطلاب ندوة العلماء في لكنؤ، فنظم شاعرنا قصيدة بهذه المناسبة، يقول فيها:

زوّدينا حَمائمَ الأطلالِ
بأفانينِ سجعِكِ المتوالي
شعراء الرسول من زُمر الصحْـ
ـب كرام النفوس غرّ المعالي
شعراء الرسول ما فوقهم من
شعراء مصاقع الأقوالِ
شعراء الرسولِ أكرم بهم من
صدقٍ في فعالهم والمقالِ
شعراء الرسول أعظم بهم من
كرماء فطاحل الأبطالِ
شعراء الرسول أنصار دين
الله جهرًا في السر والأعمال
لم يشبْ عندهم جفاءٌ ولو كان
قليلاً ولا قذى الأوحالِ
شعراء الرسول في واقع الأمر
وحرّ القريض عقد اللآلي
اللآلي الرطاب أصدافها الصدق
والإخلاص ثم حسن الفعالِ
قد غذاها الإيمان بالله والرسل
وآيات ربنا ذي الجلال
إنَّ أصحاب خاتم الرسل جاءوا
أي ورب الورى بسحر حلال

جـبـتُ بـالـلـه يـا سـعـيـد وعـــورًا
وَوهْـدَانًـا دون الـوجـى فـي مجال
قد ختمت الفصحى الكريمة من عهد
طـويـل بـــلا ونـــي واعـــتـــلالِ
لـك فـي مـعـرض الـصـحـافـة في
الفصحى يـراع لم يشكُ أدنى كلال
لك في معرض الخطابة في الحقّ
لـســان لـــم يـــرم بـاضـمـحـلال
أنـا بـالـلـه مـعـجـبٌ بـثـرى أرضـك
مـــأوى الـلـيـوث والأشـبـــالِ
يـا سـعـيـد الـرحـمـن! كـم أعظميًا
فـــقـتـــه بـــارعًـــا عـــديم المـثـال

• أستاذ ومؤلف وباحث ومحقق للتراث العربي، وهو شاعر، هذا هو أبومحفوظ الكريم المعصومي، من العلماء القلائل في الهند الذي برع في اللغة العربية، وألف فيها، بل وحقق مخطوطات باللغة العربية، ودقق فيما كتبه العرب أنفسهم من مؤلفات، وراجع مؤلفات أخرى، حتى أن الهند تفتخر به، ويمنحه رئيس الجمهورية الهندية جائزة خدمة اللغة العربية، وتلك الجائزة تمنح سنويا لاثنين من الأساتذة الهنود ممن خدما اللغة العربية تدريسًا وتحقيقًا وتأليفًا.

****

أجمل محمود الدهلوي

١٢٨٤ - ١٣٤٦ هـ / ١٨٦٧ - ١٩٢٧ م

• هو الطبيب محمد أجمل بن الحكيم محمود خان الدهلوي[1]، معروف باسم «حاذق الملك»، ولد في دلهي سنة ١٢٨٤هـ، الموافق ١٨٦٧م، حفظ القرآن الكريم، ودرس العلم عند الشيخ صديق أحمد الدهلوي، والشيخ عبدالحق المفسر، والمولوي عبدالرشيد الرامبوري، والميرزا عبدالله بيك، وآخرين، وقرأ بعض كتب الطب على يد والده، ثم من أخيه الحكيم عبدالمجيد خان، وكان معهما يتعلم الطب، حتى حذق المهنة، ثم أخذ يدرّس في مدرسة أسسها أخوه في سنة ١٣٠١هـ، الموافق ١٨٨٣م.

• طلبه النواب (الأمير) حامد علي خان من رامبور، وعينه رئيس الأطباء، وفي رامبور مكتبة ضخمة وفيها كثير من المخطوطات العربية، فقام الحكيم أجمل بوضع أول فهرست عربي لها، واستقر في رامبور مدة طويلة، ثم رجع إلى دلهي ليقوم مكان أخيه في المستشفى، وأسس مدرسة لتعليم الولادة، وأسس أيضًا مستشفى للنساء، ثم سافر على العراق، وزار الأضرحة هناك سنة ١٣٢٣هـ، الموافق ١٩٠٥م، وشكل مؤتمرًا للأمور الطبية، وعاد

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٠٧.

لـزيارة الـدول العربية سنة ١٣٣٨هـ، الموافق ١٩١٩م، ولقبته الحكومة البريطانية الهندية بلقب «حاذق الملك» سنة ١٣٢٥هـ، الموافق ١٩٠٦م، نظرًا لخدماته الطبية، ومكانته العلمية في الأوساط الهندية.

- خلال الحرب العالمية الأولى انضمت تركيا إلى المحور الألماني، وكانت بريطانيا ضدها فقد دخلت الحرب ضد المحور، والهند تابعة للتاج البريطاني، فقام المسلمون الهنود باحتجاج ضد الحكومة البريطانية، فما كان من الطبيب أجمل إلا أن أرجع اللقب البريطاني والجوائز، فلقبه الناس بعد ذلك «مسيح الملك»، واشتهر به.

- ساهم الطبيب أجمل في الحركة الوطنية الهندية، وعمل على تحرير بلاده من الاستعمار البريطاني، واشترك مع زعماء الهند، مهاتما غاندي وأخرين، في عمل كونغرس وطني، وفي سنة ١٣٤٤هـ، الموافق ١٩٢٥م، سافر إلى أوروبا، ثم زار البلاد العربية ؛ سوريا وفلسطين ومصر، وخلال عمله في المستشفى كان يمر على المرضى ويلاطفهم، ويوفر الرعاية لهم.

- ومن أموره الوطنية التعليمية أنه رأس ندوة العلماء مرتين، وله اطلاع كبير على الكتب العربية، إلى جانب تصنيف بعض الكتب، منها:
  - **رسالة في الطاعون.**
  - **رسالة في النحو.**
  - **رسالة في تركيب الأدوية ودرجاتها.**
  - **المحاكمة بين القرشي والعلامة وحاشيتها.**
  - **اللغات الطبية والمحمودية.**
  - **مقدمات اللغات الطبية.**

- ومع هذا الكم من المؤلفات إلا أنه ينظم قصائد باللغة العربية ومنها:

سـعـادٌ سَـافـرت وبـقـيـت وحـدي
أقـاسـي نـارَ هـجـرٍ وابـتـعـادِ
وكـنـا فـي الحـديـقـة فـي اجـتـمـاعٍ
قـضـيـنـا بـعـد ذلـك بـانـفـرادِ
فغابت شمسها في الغرب حتى
بـهـت وعـيـنـاهـا صـادت فـؤادي
كـأنـي ذات لـيـل فـي مـنـامـي
طـويـل الـفـرع مـجـتـمـع الـودادِ

- على الرغم من قلة هذه الأبيات إلا أن شاعرنا الطبيب أجمل يجيد النظم بالعربية، ويمتلك الألفاظ العربية المناسبة للمعنى المقصود، مع سبك الأبيات وتناسق اللفظ والمعنى، وله خيال واضح لعمل صورة شعرية لطيفة، يفتقر لها بعض شعراء الهند، واختار اسمًا عربيًا لمحبوبته «سعاد»، ويبدو أنه قد حفظ كثيرًا من قصائد الشعر العربي، فانعكس ذلك على أشعاره، ولكن لاتوجد قطعة أخرى لهذا الشاعر الطبيب، فالمصدر لم يطلعنا على غير هذه المقطوعة. وانتقل الشاعر الطبيب إلى رحمة الله سنة ١٣٤٦هـ، الموافق ١٩٢٧م.

****

أحمد الشعراني الترورنغادي

١٣٠٩ - ١٣٨٢هـ / ١٨٨٩ - ١٩٦٣م

• ولد الشيخ أحمد في احدى قرى ترورنغادي[١]، ولاية كيرلا، سنة ١٣٠٩هـ، الموافق ١٨٨٩م، ودرس المرحلة الابتدائية، ثم انضم إلى دروس المساجد عند الشيخ يوسف الفضفري، وعمل بعد ذلك مدرسًا بأحد الجوامع، واستمر في التدريس نحو ثلاثين سنة، وتوفي سنة ١٣٨٢هـ، الموافق ١٩٦٣م.

• له مؤلفات وأشعار متفرقة، ومن مؤلفاته: «إسعاف الخليل في أحكام صلاة العليل»، وترجمة القطبية، وله أشعار ضاع معظمها، لعدم كتابتها أو طبعها، له قصيدة يرد فيها على الحركة الإصلاح، والقصيدة تحتوي على أربعة وأربعين بيتًا من الشعر العربي، وهي قصيدة يرد بها على الحركة الإصلاحية في الهند، ويذكّر ببداية الإسلام، ويثني على مجلة «البيان» التي تبنت الفكر السلفي، ويشبهها بسيف يقطع البدع، يقول فيها:

هل ترجعُ الأزمن اللائي مضينَ على
سلامةِ الدينِ والدنيا معَ العقلا
كانوا الغياثَ على ريب الزمان لنا
ورأيهم مثل سهمٍ في العويص جلا

• ثم ينبه الشاعر الناس من الاستماع إلى الإصلاحيين، ويطلب الفرار منهم كما تفر من الأسد، فهو ضد الحركة الإصلاحية، فيقول:

يا صاحِ لا تغترَّ بهذه الفرق
كانوا شياطين إنس فاتني الجهلا
وفِرّ منهم كما تفرُّ من أسدٍ
واحذر مجالسَهم في وعظهم مثلا

• وبعد ذلك يتجه إلى مجلة البيان، التي أخذت على عاتقها محاربة الحركة الإصلاحية، ويقول فيها:

مجاهدًا صائلاً بسيفه فإذا
كل العدا هاربًا من صولة وجلا
لما أتى للوغى قد سلَّ صارمَهُ
لم يبقَ من أحدٍ إلّا وقد عجلا
فغلَّ شوكتَهم وقلَّل العَددا
وبدّل الشمس منهم قطع الأجلا
مثل الصواعقِ تُردي من تمرّ به
أو كالشهاب أتى قد أحرق الجبلا
لو كنت شاريه بوزنه خشبا
لكنت في العقد مرباحًا ومشتملا

• هذه نظرة الشاعر إلى الحركة التي بدأت في القرن التاسع عشر، وكان يقودها السيد أحمد خان. ونظم الشاعر الإمام إسماعيل المقري قصيدة أعجبت الشاعر

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ١٩٦.

فقام بتخميسها، وهي قصيدة تحتوي على اثنين وأربعين بيتًا من الشعر، يقول فيها:

ألا أيها المضرور مع صحب سفلة
أيا كاسلاً عن فعلِ فرضٍ ونَفْلَةِ
أيا مستحقًا في الوجوهِ لتفلةٍ
«إلى كم تُعادي في غرورٍ وغفلة»
«وكم هكذا نوم إلى غير يقظة»
فَشمِّرْ على جِدٍ تفكر بحسنكا
على أيّ أحوال تكون برمسكا
وقل بتبيين عن الكتم اسمكا
«أأنت صديق أم عدو لنفسكا»
«فإنك ترضيها بكل عجيبةٍ»

- يذكر الشاعر الدنيا ويذمها، وإنها تضحك للناس لتوقع بهم في المهلكات، ويحذر من رفض كلامه، ويقول:

ولا تغترّ فيها بجودة ساحة
ولا تمرحن فيها بحسن فصاحة
ولا يرفضن قولي فخير فصاحة
«ولا تغتبط فيها بفرحة ساعة»
«فتعود بأحزان عليك طويلة»

- ويختتم الشاعر قصيدته متضرعًا إلى الله بقوله:

وأسبل علينا برد فضلك إذ بنا
أتى يوم موت واقصرن يوم حدبنا
ولا تسألنا عن فضول وكذبنا
«إلهي اهدنا فيمن هديت وخذ بنا»
«إلى الحق نهجًا في سواء الطريقة»

- من خلال بعض كلمات هذه النماذج من شعره يبدو تأثره بألفاظ القرآن الكريم، والأحايث الشريفة، فقد نصح الناس بالاستبصار والتيقن من السلوك الشخصي، وكان ناصحًا لهم على الرغم من استعماله بعض الألفاظ الأخرى التي تنفر الناس من التيار الإصلاحي، ولا يقبل سوى الرجوع إلى ما كان عليك به السلف الصالح من قيم وأخلاق، وهذه الكلمات البسيطة التي استخدمها في شعره تدل على بساطة فكره، وقربه من الناس، فهو أب ناصح بحسب ما يعتقد أنه الحق، ولم يظهر عليه الخيال، أو التصنع في إيجاد الصور الفنية في الشعر.

****

أحمد الواعظ الكشميري

١١٩٧ - ١٢٩٢هـ / ١٧٧٣ - ١٨٧٥م

- هو الشيخ أحمد الواعظ الكشميري[1]، ولد في كشمير سنة ١١٩٧هـ، الموافق ١٧٧٣م، درس العلوم الأولى في كشمير على يد المفتي الأعظم غلام الدين الجامعي، ومولانا نور الدين، ثم أراد الاستزادة من العلم فتوجه

(١) محمد مظفر حسين الندوي، مساهمة أهل كشمير في اللغة العربية والأدب (لكنؤ. الهند: المكتبة الندوية ٢٠٠٤م) ص ٣٣٧. محمد مظفر حسين الندوي، أماثل كشمير (سري نجر. الهند: بيت الحكمة الندوية٢٠٠٤) ص ١٨٥.. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٤٥.

إلى داخل الهند وحضر سماع علماء الهند الكبار، ودرس الحديث عند الشيخ إسحاق الدهلوي، وأكمل دراساته هناك، ثم رجع إلى كشمير، وبدأ التدريس في سرينيغار، وكان يعظ الناس، فأحبوه وقدروه.

- ألف الشيخ أحمد مجموعة من الكتب وصلت حوالي المئة كتاب ورسالة، ومن هذه الكتب:
  - العين الجارية في شرح أربعين القارية.
  - تحفة الصمدانية.
  - أنفع الوسائل في جواب خمس مسائل.
  - هدية الهمدانية.
  - السراج الوهاج في شرح حديث ليلة المعراج.
  - الماء المعين في شرح الأربعين.
  - شرح الكبريت الأحمر.
  - شرح الأوراد الفتحية.
  - التعليق على صحيح البخاري.
  - شرح ثلاثيات البخاري.
  - تخميس القصيدة الخمرية.
  - شرح شمائل الترمذي.
  - شرح هداية النحو.
  - رسالة قرة العين، في شرح بعض الأحاديث.
  - تنبيه الغافلين، حول صلاة آخر جمعة من رمضان.

- من خلال هذه الدراسات يعتبر الشيخ أحمد من المحدثين ومن الفقهاء، وهو أديب وشاعر وواعظ ومحدث، فقد جمع كل ذلك، وكان ينظم القصائد العربية والفارسية، وكان أهل كشمير يقدسون الشيخ عبدالقادر الجيلاني، لذا استطاع الشيخ أحمد أن ينظم قصيدة تمجد عبدالقادر الجيلاني حيث بدأ القصيدة في ذكر رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – يقول:

بأصناف المحامد أحمد اللهْ
على تحسين حالي كل حالِ
نبيٌّ سيدُ الرسلِ الكرامِ
حبيب الحق حقًا ذو الجمالِ
كفى في نعته أثني عليه
وصلى ربّ العرش ذو الجلالِ
من أشياعه محتاج إليه
سليمان كسلمان بلالِ

- ويبدأ بعد ذلك في مدح الشيخ عبدالقادر الجيلاني بقوله:

وشيخي شيخُ أشياخٍ عظامِ
غياثي غوث أغواث عوالِ
إمام الطريقة والحقيقة
وشيخ الشرع في علم وحالِ
وشيخُ الكلِّ في أرض سماء
شمير في الأسافل الأعالِ
هادي الناس في شرق وغرب
وعرب أعجم يمن شمالِ
كريمُ النفس ذو حسب عليٍّ
وذو نسب من الأنساب عالِ
للكونين والثقلين قطبٌ
وللسبطين سبط خير آلِ

حسيني وحسني سنّي
أبًا أمًا ومن عم وخالِ
وأكرم به كريم ذو كرامة
من آباء كرام في انتحالِ
هو المهدي من الله إلينا
هدي منه لأصحابِ الضلالِ
على يديه قد تابت ألوف
أولو فسق ورفض واعتزالِ
وأسلم خمسمائة كالنصارى
يهود ذو جهود وافتعالِ
وقطاع بصدق قلب تابوا
إذ بدا عندهم صدق المقالِ
ولم يرضعْ رضيعًا شهر صومٍ
كيوم الشك إذا غمّ الهلالِ
ولم يأكل ولم يشرب ثلاثًا
من الأعوام في صوم الوصالِ
وذا في حين ميعاد لخضرٍ
ودورانه ببيد والجبالِ
وقام الليل دهرًا كل ليلهْ
بختمه وهو للقرآن تال
وصلى الفجر مع طهر العشاء
بنصف العمر من غير اختلال
ولم يشغل بلا أمر الرسولِ
بإرشاد ووعظ كالبعال
لأَصْغَى وعظه سبعون ألفا
من الأطراف أصناف الأهال
إليه قد أتوا من كل فجّ
رجالاً راكبي خيل البغال
وأعطى مئة ميثاق وعهد
أمانًا من زوال وانعزال
وساق الناس سوقًا بالسلاسل
إلى جنات ذات عدن كالجبال
عرى وتقى لنا تلك السلاسل
وليست ذات فصم وانفصال
وأوثق به وقلبي موثق به
فثق به دع طريق الاحتيال

• ويستمر الشاعر في عرض حياة الشيخ عبدالقادر فيقول:

ظلال الله فينا أولياؤه
وجودك فينا خير الظلال
وكهف لليتامى والأيامى
وللمظلوم والمسكين ثمال
أغث من نزع شيطان ومكره
بنا في حال نزع وارتحال
أغثنا حين يبلونا بقبرٍ
نكير منكر عند السؤال
أغثنا يوم لا يجزى حميم
ولا يغني موال عن موال
أغثنا حين المرور من صراط
فلا نزلق على رحضٍ مزال

أغـث واشـفـع لإدخـــال الجـنـان
أغــث وارفـــع إلـــى غــرف جـلال

• والشاعر لا ينسى نفسه في هذه القصيدة الطويلة التي تتكون من أكثر من مئة بيت، لذا يريد أن يصل إلى هدفه من الشفاعة، فقد عدد مزايا الشيخ عبدالقادر الجيلاني، بل وأعطاه كثير من الصفات التي هي لرب العالمين، ولكن قد يرى أن تلك الشخصية ما هي إلا وسيلة للوصول إلى العفو والغفران من الله رب العالمين ويقول:

ولـــي نـفـس كـنـعـم فـي نـعيم
جـمـاح قـد عُـقـل مـن ذا الـعـقـال
وأرجـــو يـــوم حـشـر لا أسـاق
بـــأغـــلال إلـــى ويـــل نـكـال
قـد اسـتـعـلـى عـلـى أعـلـى مـقام
عـلـى رجـلـه عـلـى رأس الـرجـالِ
وطـأطـأت الـــرؤوس كـم رأسًـــا
خـضـوعًـا عـنـد إجـــلال الجـــلالِ
بـجـاهـه ربـنـا شَـفَّـعـة فـيـنـا
وأرضِـــه وأرضَ عـنـا مِـن زوالِ
شـفـاعـة جـده يـــومَ الحـسـابِ
لـنـا ارزق وأعـفُ عن سوء الفعالِ
وثـبّـتـنـا عـلـى الإســـلام واخـتـم
عـلـى الإيمـــان حـــالَ الانـتـقـالِ
بـحـقِّ الأحـمـد المـخـتـار أرحـم
عـلـى شيـخٍ ضعيف ذي انكسالِ
عـلـى خـيـر الـبـريـة صـلِّ وسلـم
وآلـــه ثـم صـحـب بـالـسـؤالِ

• هـذه قصيدة بلغت تسع ومئة بيت من الشعر العربي، ذكر فيها حياة السيد عبدالقادر الجيلاني، ومكانته بين الناس، وعبادته، ثم بين الشاعر حياته وضعفه، ثم طلب شفاعته وشفاعة جده رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم،

• اعتقد الناس في كشمير أن لديهم شعرة من شعرات رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ويحتفظون بتلك الشعرة في مكان مدينة سرينغار، في مكان يسمى» حضرت بل»، ويتبركون بها ويقدسونها، وخاصة في موعد ميلاد الرسول، لأن الشعرة من مخلفات الرسول – صلى الله عليه وآله وسلم – وهذا شاعرنا الشيخ أحمد ينظم قصيدة حول تلك الشعرة يقول فيها:

قد بدا شمس النبوة ضحو الآثار الشريف
قد حكى الإعجاز حقًا فحوى الآثار الشريف
يا سكارى الحب روموا صخو الآثار الشريف
بالبدن والروح صيروا محو الآثار الشريف
أيها العشاق سيروا نحو الآثار الشريف

قد نأى منكم منازل حبّكم وزيادة
قد تجلى للقلوب الوالهة أنواره
إن يفتكم لقيها لامح آثاره
فيه إنزال السكينة كالمدينة للآسف
أيها العشاق سيروا نحو الآثار الشريف
إن نأى منكم بيت الحرم منكم وزمزم والحطيم
إن نأى منكم أرض المدينة مرقد الحب الكريم
إن نأى أم القرى مكة مولده الفخم
إن نأى البطحاء ومروة والصفا ومنى وخيف
أيها العشاق سبروا نحو الآثار الشريف
فيه من أشعاره شعر شريف طيّب
ممطر البركات في العلوين سحاب صيّب
مرجع للأولياء منهم رجال غيّب
محضر الأملاك حقًا لم يزل منهم حفيف
أيها العشاق سيروا نحو الآثار الشريف

• وهكذا يستمر الشاعر في بيان حبه وتقديسه لآثار رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – والقصيدة طويلة جدًّا، وكلها على هذا النمط من النظم، ثم يقول:

يحضر الناس لديه كل شيخ وصبي
في ربيع الأول في يوم ميلاد النبي
في جمادى الثانية رمضان شهر الرجب
هي ربيع المؤمنين في الربيع والخريف
أيها العشاق سيروا نحو الآثار الشريف
ثم في ذي الحجة يأتون إليه مرّتين
في الربيع والرجب يأتون فوق الكرتين
ناظري آثار وجهٍ قد رأى الله مرتين
أيها العشاق سيروا نحو الآثار الشريف
أقسم الرحمن في القرآن بقوله والضحى
إنه قسم عظيم من محيّا المصطفى
واتل والليل إذا يغشى وكذا وإذا سجى
لم يقع في غير كفّ شعرة من شعراته
من أكف الحاضرين طالبي بركاته
مقتنى آثاره في ابتغاء مرضاته
كان كل في امتثال الأمر له مثل الوصيف
أيها العشاق سيروا نحو الآثار الشريف

• ويعدد الشاعر أوقات زيارة تلك الشعرة في مولد النبي – عليه السلام – والإسراء والمعراج، وفي رمضان وفي ذي الحجة عندما يحلق رسول الله شعره، ويستمر الشاعر على تلك الوتيرة في قصيدة طويلة، فهي حوالي ١٦٥ بيتًا من هذا الشكل، فيرى الشاعر أنه يؤدي واجبًا دينيًا نحو رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فحب رسول الله متمكن من قلبه، فنظم هذه القصيدة الطويلة.

• ومدح رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – بقوله:

قد أبان الإله من مجدك
حسبنا الله يا رسول الله
أنت من أعجز الورى كله
كنه معناه يا رسول الله
من تعدى لعدة إحسانك
كيف أحصاه يا رسول الله
إنما أنت رحمة مهداة
نعمة الله يا رسول الله
لا يخف خائفا من الأهوال
صرت ملجاه يا رسول الله
حنَّ جذع وإنَّ من بعدك
وافراقاه يا رسول الله

• يتمتع هذا الشاعر بنفس طويل، وتتمدد الفكرة بشكل كبير، حتى يستنفد كل ما لديه من قول، لذا لجأ إلى تكرار بيت من أبياته بعد كل أربعة أبيات، ليجدد العهد بأن ما يقوم به هو الحفاظ على الآثار النبوية المقدسة، ولم يترك أي فكرة تدور حول هذه الشعرة إلا أوردها، معتمدًا على بعض الأحاديث النبوية، بغض النظر عن ما إذا كان هذا الحديث صحيحًا أو ضعيفًا، ولكن يغرمه حب رسول الله – عليه أفضل الصلاة والسلام –.

****

أحمد أمين بن فضل الله

٠٠٠ – ٠٠٠ هـ / ٠٠٠ – ٠٠٠ م

• هو الشيخ أحمد أمين بن الشيخ محمد فضل الله بن محمد صادق الأزهري[1]، ولد في إحدى قرى ولاية كيرلا، وأبوه العالم محمد فضل الله، تلقى تعليمه الأولي ومبادئ الإسلام من أفراد أسرته، وتعلم اللغات : الأوردية والعربية والفارسية والتاميلية من بعض أفراد أسرته، ثم التحق بالكلية العربية بجامعة دار السلام في عمرآباد حتى تخرج فيها، ثم قرر الذهاب إلى شمال الهند لاستكمال دراسته العليا، ولكنه لم يستطع الذهاب، بسبب الاضطرابات هناك، فبقي في مدراس، وعمل في مدبغة للجلود، وعينه خاله مديرًا للمدبغة، ولكنه لم ينجح في العمل.

• عاد إلى بلده وتم يعيينه مدرسًا في الكلية العربية بجامعة دار السلام، غير أنه تعلم فنون التجارة في المدبغة، ولم يستمر في التدريس، فافتتح دكانًا لبيع الجلود، ولكن حبه للأدب والشعر جذبه لنظم القصائد، واستلم مجموعة من الكتب ودواوين الشعر، وطلب منه الشيخ الحافظ

(١) ورقة حصلت عليها من بحث عن الأدب في مدراس، ولا أعرف الباحث، لكنه تحدث عن مجموعة من العلماء ومنهم شاعرنا هذا. ص ٨٨ .

عبدالواحد أن يعود إلى جامعة دار السلام، فعاد للتدريس مرة أخرى.

- أخذ الشيخ ينظم القصائد في موضوعات متعددة، حتى لقبه الأساتذة والطلبة بشاعر الجامعة، ومن أشعاره: مناجاه ربه بقوله:

لك الشكر لك الحمد لك النعماء والمجد
ألا يا مالك الملك لأمن الواحد الفرد
أتوب إليك يا ربي
بجدواك تعمدني
أتيتك غافر الذنب فقدك سائر العجب
مقرًا بالغوايات رجوتك دافع الكرب
أتوب إليك يا ربي
بجدواك تعمدني
ذنوبي قد أحاطتني خطاياي أبادتني
لقد بلت بي النفس بشهوات أضلتني
أتوب إليك يا ربي
بجدواك تعمدني

- وهكذا يمضي الشاعر في تعداد خطاياه، ويطلب من الله سبحانه أن يغفر له ذنوبه التي تاب منها. الشيخ أحمد أمين يتفاعل مع أحداث بلده، وله معارف كثيرة من العلماء، فلما توفي الشيخ غضنفر حسين شاكر رثاه بقصيدة قال فيها:

جودي على الأستاذ عيني عَبْرةً
ممزوجةً بدم الفؤادِ المقتصدْ
ما بال عيني دمعها يتحدّرُ
على الخد مثل اللؤلؤ المتوقد
تبكي الأراضي والسماواتُ العلى
وعيونُ ما في الكون دون تجلد
هذا الذي يبكيه كل خليفة
من صف عشاق النبي محمد
إنا فقدنا الشاكر الحبرَ الذي
قد كان لظمآن عذب المورد
فقدانه فقد الأديب الكامل
بحر العلوم الزكي المتورد
وهادي الطلاب قصد سبيلهم
من لابن فضل الله بعدك مرشدي
صبري مجامرة لقبر غضنفر
يا رحمة الله العلي الأمجد
يا ربنا اغفر كل ذنب ما أتى
واجعل له المثوى جنان وزبرجد

- كل من كان شاعرًا هنديًا لا بد له من مدح خير البرية رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- وكأن ذلك تقليدًا يتبعه هؤلاء الشعراء، فهم يتبركون بالثناء على رسول الله، ويطلبون منه الشفاعة يوم القيامة، وهذا شاعرنا لم يشذ عن تلك القاعدة فقال في رسول الله :

رسولٌ أتانا بخُلْقٍ خليقْ
نبيٌّ أتانا بوجهٍ طليقْ
دليلٌ هدانا سواءَ الطريق
بشيرُ الجنان نذير الحريقْ

فدته الكرام واهن المعاني
فدتْهُ الكنوزُ وغرُّ اللآلئ
نصلي عليه طوال الليالي
فصلوا عليه عداد الرمال
نجومٌ أحاطت ببدرٍ منيرْ
أضاءت دياجي نون صريرْ
حِمام لباغي فساده وظلم
كرضْوَى تجاه العدى وثبيرْ
ألا إنهم خير من في الأرض
لجيش الفساد كبيض مواضي
صحابُ الرسول فُيوض الغمامِ
زهور الجنان ربيع الرياض

• ويستمر الشاعر في مدح صحابة الرسول -رضي الله عنهم- وهذا الشاعر وجد نفسه في جامعة تلقى فيها العلوم المختلفة، ثم أصبح أستاذا بها، فله أساتذة فيها، وله أيضًا طلبة، فيرى أن هذه الجامعة دليل فخر له، لذا نراه يمدحها ويحث طلابها على الفخر بها، فيقول:

سبحان من كانت لهُ
هذي العَوالمُ حامدهْ
ثم الصلاةُ على الذي
دارى عداه العائدهْ
تسمو إلى قِممِ العُلى
دار السلام الماجدهْ
قد نورت أنوارها
ما جاورته وافدهْ
حصلت بها طلابها
تبغي العلوم الراشدهْ
تدعو إلى الدين الذي
عفى الأمور الفاسدهْ
خريجها كالشمس في
فلك العلوم الخالدهْ
ربِّ احفظْهَا دائمًا
من العيون الحاسدهْ
يا أيها الخريجُ نم
واهدِ البرايا الحاقدهْ
عن كل رشد واهتد
قصد السبيل الراشدهْ
واسلكْ سبيلَ محمد
تلقَ المكارمَ حامدهْ
واختر لنفسك أُسوةً
في كل نفس راشدهْ

• شاعرنا رسم لشعره طريق الهداية والسلام، فهو في جامعة دار السلام، يفتخر بها، ويرثي الموتى من علمائها، ويرى فيها مكانًا لا يصل إليه أي معهد، أو أي جامعة أخرى، فكان ولاؤه لهذه الجامعة، وأحبها من كل قلبه، فأصبحت مدللته، وعلى الرغم من قلة شعره إلا أنه عبر عن محيطه بكل إخلاص وتفان.

• شعر شاعرنا سهل بسيط، يستخدم الألفاظ السهلة، والعبارات المفهومة من الجميع، وخاصة أن كثيرًا من الطلاب لا يحسنون العربية كما يجب، ولا يلجأ إلى

التعقيد والتصنع، فهو شاعر متمكن يلقي قصائده على تلاميذه وزملائه، فيريدها سهلة ميسورة الفهم والإدراك.

****

أحمد بن الحسن الغنوجي

١٢٤٦ - ١٢٧٧ هـ / ١٨٣٠ - ١٨٦٠ م

• هو الشيخ أحمد بن الحسن بن علي الحسيني البخاري القنوجي[١]، ولد سنة ١٢٤٦هـ الموافق ١٨٣٠م، كان أحد العلماء البارزين في العلوم العربية والحديث، تلقى العلم في بلدته، ثم على يد مشايخ زمانه، منهم: الشيخ عبدالجليل الكوئلي، والشيخ عبدالغني بن أبي سعيد الدهلوي، كان ذكيًا نابهًا، قرض الشعر في موضوعات متعددة، ذهب للحج سنة ١٢٧٦هـ، الموافق ١٨٥٩م، وعند عودته ذهب إلى مدينة بزودة، بولاية كجرات، غرب الهند، ومكث لفترة قصيرة عند الشيخ غلام حسين القنوجي، ولكنه المرض داهمه هناك وتوفي سنة ١٨٦٠م، وله من المصنفات «الشهاب الثاقب» حول الاجتهاد والتقليد.

• كان الشاعر يجيد النظم في اللغتين العربية والفارسية بشكل ممتاز، وله قصائد طويلة قلما ينظم مثلها شعراء الهند، منها قصيدة يتحدث بها عن القيم فيقول:

يُعاقُبني بؤسُ الزمانِ وخفضُهْ
وأدّبني حربُ الزمان وسِلمُه
وما المرء إلا نهبُ يوم وليلة
تُلمُّ به شهبُ الفناء ودهمُه
يعلله برد الحياة يمسُّه
ويغترُّه رَوح النسيم يشمُّه
ألا إنّ خيرَ الزاد ما سدَّ فاقةً
وخير بلادي الذي لا أجمّه
وإنَّ الطوى بالعزّ أحسن يا فتى
إذا كان من كسب المذلة طعمه
وإني لأنهي النفسَ عن كل لذةٍ
إذا ما ارتقى منها إلى العِرض وصمه
وأعرضْ عن نيل الثريا إن بدت
وفي نيله سوء المقام وذمه

• هذا شاعر عميق الفكرة، فيه قوة الشباب وحكمة الشيوخ، أرى في شعره الغزلي قمة النضج والعفاف، فلم يكن إلا محبًا صادقًا، عزة نفس وإباء، مع حرصه على إخراج ما في قلبه من محبة خالصة، فيقول في قصيدة له:

تذكّرتُ أيام الصِّبا والليالي
بغمٍّ أرقَّ الشوقُ منك القوافيا
إذِ العيشُ أشهى ما يكون من المنى
وأطيبُ لذّات تسوء الأعاديا

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٧ ص٢٣ . معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج٢ ص٢٧١

إذِ الربيعُ ربيع الخزرجية آهلٌ
بعينٍ كآرامٍ ألفْنَ المغانيا
مُخضَّرة الأطراف ريّقة اللمى
رقاق الثنايا بهكنات غوانيا
وجارت بخلف الوعد بعد وفائه
وضنت بما يعري الوشاة الأساعيا
كأن لم يكن بين الحبيب وبيننا
عهود ولم ترع العهود المواضيا
فإني فتى أرعى العهودَ لصاحبي
وإن لم يكن للعهدِ منه مُراعيا

• يتميز هذا الشاعر بروح كبيرة، وفكر يضاهي تفكير شعراء العرب الكبار، والغزل عنده له رونق وحلاوة، وفي كل قصيدة فيها أسلوب عربي رصين، يتميز عن القصيدة الأخرى، غير أن نقاد العرب لم يبحثوا عن مثل هذا الشاعر، انظر إلى هذه القصيدة التي يقول فيها:

لسلمى أرانا الله مولاي دارها
عوالم حسن ما رأينا ديارها
فإن لها بدرًا يسمى جبينها
وإنّ لها شمسًا تسمى عذارها
إذا غطت الوجنات أقبل ليلها
إذا كشفت عنها رأينا نهارها
هممت بثدييها فمرت فنلتها
فما خير نخل قد مُنعنا ثمارها
فقالت ألا ما كلُّ سوداءَ تمرةٌ
تبسم عن درٍّ يصفنَ بحارها

• إنّ هذا الشاعر المبدع، ينظم كل قصيدة مخالفة للأخرى، وتتميز بشيء جديد، فنراه يعبر عن حبه بألفاظ مختلفة عن قصيدة أخرى يعبر فيها عن حبه، ففي قصيدة له غزلية أيضًا يقول فيها:

يا مَن أذاب هواهُ القلبَ بالأسفِ
روحي فداك إلامَ السعي في تلفي
الروحُ في قلقٍ والجسمُ في حُرَقٍ
والجفنُ في أرقٍ والعينُ في سرفِ
يا نسمةً نفست لازلت ناعمة
قرَّت عيونكِ أصغي لحظةً وقفي
يا هل تعود ليالٍ بالحمى سلفت
أضاءها بدرُ وجهٍ صينَ عن كلفِ
كيف السبيل إلى سلمى وجارتِها
والجسمُ يوشك أن يفنى من القضفِ

• وينظم قصيدة أخرى في الحب والغزل فيقول:

ألا يا نسيم الروضِ بلِّغ تحيَّتي
إلى من حياتي عندهُ أو منيَّتي
لقد عمَّت البلوى لي اليوم والنوى
وما طابَ حالي من عمومِ البليةِ
تجدُّ لي الأحزانُ في كلِّ ساعةٍ
وما فزتُ منها حيثُ جدّت بلذَّةِ
تقول رجالٌ للزمانِ تغيُّرٌ
وما في بليّات النوى من تفاوتِ

• هذا الشاعر ينافس شعراء العرب في فن التصوير المبدع، ورقة الألفاظ المعبرة عما يشعر به من لوعة الحب، وفي قصيدة له يذكر وادي العقيق، مع أن هذا الوادي بعيد عنه فيقول:

لسلمةَ في وادي العقيقِ مرابعٌ
تراها كأمثال العقائقِ تلمعُ
وما لمعت من حيث عزت سلامها
ولكن لما أجرته مني المدامعُ
كأنّ بعيني ممطرًا فهو واقف
وفي وجهها برقٌ فما زال يلمعُ
ألا يا نسيم اكشف كمام عذارها
فقد طال ما جارت عليَّ المقانع
أيا حُسنَ شَعرٍ قد يغطي خدودها
فديتك من ليلٍ به البدرُ يلمعُ

• تغنى شعراء العرب بنسيم الصبا، وذكروه كثيرًا في قصائدهم، فهي ريح باردة نسبيًا، فلما تهب على الإنسان يشعر بالراحة والسعادة، وتغزل بها شعراء آخرون، ووصفوا ريح المحبوبة كريح الصبا، وشاعرنا هذا الهندي سار على منوال شعراء العرب في الترحيب بريح الصبا، فقال في قصيدة له:

نسيم الصبا واف سُحيرًا مُطيَّبا
فقلتُ له أهلاً وسهلاً ومرحبَا
كأنَّك أنفاسُ المسيح بعينها
فأحييتَ صَبًّا لم ينلْ قطُّ مطلبا
فديتك يا نعم الصبا خيرَ مقدمٍ
فكلّ حَمامٍ حين أقبلتَ رحبا
تحاكي لك الأغصان بالوجدِ راقصًا
تضاهي لك الأطيارُ بالسجع مطربا
وتنفخُ في الأشجارِ روحًا تُميلها
فيا لك ما أزهاك صنعًا وأعجبا
أهَلْ جئتَ من تلك الرّبى برسالة
فإنّ الصَّبا نعم الرسولُ لمن صبا

• يمزج الشاعر فن الوصف بالغزل، ويستخدم الأنواء في رسم صورة جذابة، يحاكي بها حبه وعشقه، ويتحدث مع الجماد، وهو ما يسمى الأنسنة، وكأن الجماد له شعور إنسان، ففي قصيدة له يخاطب الغيم فيقول:

أغيمٌ بدا من جانب النجد هامعٌ
أم انهملت منك العيون الدوامع
ونار تلظت في فؤادك أشرقت
أم البرق في قلب السحائب يلمعُ
أمنهدمٌ هذي القصور لبليها
أم انشقت الأحجارُ إن كنتَ تجزعُ
أتنحبُ من كرب النوى وبلائه
أم الرعدُ من فوق الغيوم يُقعقعُ

• يسقط الشاعر ما في نفسه على الغيوم، وكأنه غيمة تعبر عن نفسها، ولكنه الشاعر الذي وجد في الغيمة ما يسقط عليها ما يشعر به.

- عبر الشاعر عن كل أحاسيسه، وشخص ما في نفسه عبر الجماد، فشبه وأحسن التشبيه، ووصف وأحسن الوصف، وتغزل وأحسن الغزل، وأرى أن هذا الشاعر لم يأخذ حقه من الشهرة والذيوع، ربما لصغر سنه، أو لأن معظم أشعاره غزلية، وعادة شعراء العربية في الهند، يجعلون من شعرهم أداة للدعوة الإسلامية، أو رثاء أقطاب الحركة الإصلاحية، أو في التعليم، وعلى الرغم من أن شاعرنا درس الدراسات الدينية، وعرف ما بها من أمور الشريعة إلا أنه عبر عن ذاته، وخلجات قلبه فأهمله نقاد الأدب في الهند.

- عندما وصف الشاعر أحد النقاد بأن قال بأنه أحد العلماء البارزين في العلوم العربية فقد صدق في قوله، ومن يقرأ قصائد هذا الشاعر فلا يشك في عروبته، أو استقامة لسانه في اللفظ العربي على الرغم من أنه عاش كل حياته في بلاد غير عربية، وأثبت أنه جدير بنشر العربية الفصحى بين تلامذته وأصدقائه.

- الشاعر أحمد بن الحسين القنوجي شاعر عربي فحل، له ما لشعراء العرب من قوة الأسلوب، وسلاسة التعبير العربي الفصيح، لديه صور بلاغية جميلة، واختيار للألفاظ متناسق مع بعضها، فهو شاعر غزلي، عبر بكل صدق عن مشاعره الجياشة، كما له عزة نفس تطغى على مشاعره فيبدو حكيمًا عزيزًا حتى وإن ضغط على قلبه ومشاعره.

****

أحمد بن علي البسكري

٩٣٩ - ١٠٠٩هـ / ١٥٣٢ - ١٦٠٠م

- هو الشيخ الفاضل شهاب الدين أحمد بن علي بن أحمد المالكي البُسكري[1] الهندي الكجراتي، تعلم على يد والده المبادئ الأولى، ثم على يد الشيخ عبدالقادر العيدروس وغيرهما، ولم يذكر أحد تاريخ ولادته، ولكن كانت وفاته في الثالث عشر من ربيع الثاني سنة ١٠٠٩هـ، الموافق ١٦٠٠م، وله من العمر حوالي سبعين سنة، ومن ذلك نعرف أن ميلاده كان سنة ٩٣٩هـ، الموافق ١٥٣٢م تقريبًا.

- قال عنه العلامة عبدالقادر العيدروس في كتابه «النور السافر» الشيخ أحمد من أهل العلم والصلاح، متبعًا للكتاب والسنة، سالكًا على نهج السلف الصالح، متصفًا بالعفاف قانعًا بالكفاف، لا يرى في أكثر الأوقات إلا مشغولاً بمطالعة، أو كتابة، مظهرًا للجمالة، له جملة مصنفات منها: «رسالة في القهوة».

- قيل: وله قصائد ومقطعات، فمن شعره قوله:

أقسمتُ بالله ما حالتْ مودتكُم

يومًا ولا حلتُ عن عهدي وميثاقي

(١) محمد المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، بيروت: دار صادر (د. ت) ج١ ص ٢٤٣. عبدالقادر بن عبدالله العيدروس، النور السافر في أخبار القرن العاشر (بيروت: دار صادر ٢٠٠٦) ط٢ ص ٥٥٥ - ٥٧٠. عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج٥ ص ٥٩.

ولا تنفستُ أنفاسًا أردِّدُهَا
إلّا وفي ضمنها دمعي وأشواقي
وقد لُسعتُ بحيَّات الفراق ولم
أجد لذاتيَ ترياقًا ولا راقي
غير الدعاء بأنَّ الله يجمعنا
في سُوحه كرمًا من غير عوَّاقِ

• وضمن رسالة أرسلها لأحد أصدقائه بمكة المشرفة يقول فيها:

وحياةُ من حَلَّ الحَطيم وزمزمَا
والمروَتينِ ومَن بذاك الوادي
ما حلتُ عن حُبيكم ولو أنني
حاولتُ ذاك لما أطاع فؤادي

• وفي قصيدة أخرى يترقب قدوم شهر رمضان قال فيها:

إذا العشرونَ من شعبانَ وافت
تهيَّأ للصِّيامِ وللقيامِ
ولا تكسل عن الطاعات فيه
فهذا الوقتُ وقتُ الاغتنامِ
فشهرُ الصومِ قد وافاكَ حقًّا
بكلِّ المكرُمات على الدوامِ

• نظم الشيخ جمال الدين محمد بن عبداللطيف الجامي قصيدة مطلعها:

لمن حلل الكرامة مستحقهْ
لمن أدى لباس الفقر حقهْ

• فعارضها الشيخ أحمد البسكري فقال:

تبسم فاتني يومًا ببرقه
فذابت مهجتي وازددتُ عشقه
وحيرني وصيرني ذليلاً
وأشعل في الفؤاد وقيد حرقه
فقلتُ له ترفقْ بي وسرْ بي
طريف آلاء قد أضحوا أرقه
ولا تمنعْ عُبيدك من وصالي
ولا تقطعْ بفضلك قطُّ رزقه
فألوى معرضًا يبدي دلالاً
على من زاد من جفنيه دفقه
يواصل صده في كل حين
ويمنع رفده وكذاك نطقه
فلما أن تمادى في صدودي
وأدمى مقلتي والعظم دقه
وصرتُ مولَّها صبًّا كئيبًا
حزين القلب من بعد وشقَّه
ثنيتُ عنان شكواي إلى من
حباه الله مغربه وشرقه
إمام العصر قطب الوقت حقًّا
وأعلمه وأفضله وأفقه
هو الحبر الإمام ونجل شيخ
ومن نال العلوم بلا مشقه
هو الفخر المعظم من تجلى
بكل المكرمات وحاز سبقه
مُرقّي السالكين إلى مقام
بأدنى نظرة منه وحدقه
رعاه الله ما أحلا وأغلا
جواهره وهذا الدر نطقه

لكم ولآلكم بين البرايا
ويحميه من الأسوا ورفقه
بحق محمد ما نار بدر
وما لمعت بذاك الخيف برقه
كذاك الآل والأصحاب طرًّا
وما ظهر السحاب وجاد ودقه

• هذا شاعر فنان، يعرف كيف يدير حوارات الكلام شعرًا رائقًا، وله في تخميس بعض القصائد الشهيرة مكانة كبيرة، فيخمس قصيدة مشهورة بقوله:

توسل بالنبيّ وبالوصي
وبالحسنين والشهم الزكيّ
وكم لله من فضل وفيٍّ
«وكم لله من لطف خفيٍّ»
«يدق خفاء عن فهم الذكيّ»
إليه توجّهي في كل دهر
عليه توكلي في كل أمر
فكم من شدة ذهبت وفقرٍ
«زكم يسرٍ أتى من بعد عسرِ»
«ففرّج كربة القلب الشجيّ»
فشكرًا للذي فلق الصباحا
فكم من أزمة عنّا أزاحا
وكم همٍّ تعاظم ثم راحا
«وكم أمر تساء به صباحا»
«ويأتيك المسرة بالعشيِّ»
إلى كم يا جهولُ تزيد لومًا
وما لك لا تفيق الدهرُ يومًا
دع الأوطانَ يا خلّي وقوفًا
«إذا ضاقت بك الأحوالُ يومًا»
«فثق بالواحد الفرد العليّ»
إذا ضاقَ الفضاءُ وكل رحب
عليك بكل حادثة وخطب
ولم تجد الحبيب وكل صحب
«توسل بالنبيِّ فكل صعب»
«يهون إذا توسل بالنبيِّ»
إذا لم تلق بالإخوان منعًا
وضاق القلب بالأهوال ذرعًا
توسل بالنبيِّ تنال نفعًا
«وبالصديق والفاروق جمعًا»
«وذي النورين والمولى عليِّ»
زمانٌ فيه للأعداء أمرُ
وجم فيه للآلام قهرُ
فكن يا قلبُ ثبتًا فيك صبرُ
«ولا تحزن إذا ما ضاق صدرُ»
«فكم لله من لطف خفيّ»

رويـــدك يـا زمـــانُ فكـم تـعـنّـتْ
فروحـي نحن وادي الخيف حنَّتْ
ونفسي نحو خير الرسل أنَّتْ
«عليه صلاة ربي ما تغنَّتْ»
«حـمـامـاتٌ عـلـى ورقٍ رويّ»

• خمس الشاعر قصيدة مشهورة: «يا من يرى ما في الضمير ويسمع» بأبيات مناسبة تحاكي القصيدة الأم، ويضفي عليها من فكر الشاعر، وقوة حدسه ما يثري القصيدة الأم حيث يقول:

يـا مـن لديه العبدحقًا يخضعُ
والـروح منه والجـوارح تضرعُ
يدعوك عند الكرب فضلاً تدفع
«يا من يرى ما في الضمير ويسمع»
«أنـت المـعـد لـكـل مـا يـتـوقـع»
إنـي تـعبت من الذنوب وثقلها
هـي كالجبال فلا أطيق لنقلها
فَـامـنُنْ عليَّ بمحوها وبغسلِها
«يـا مـن يـرجَّـى لـلشدائد كلها»
«يـا مـن إلـيـه المشتكى والمـفـزعُ»
يـا ربِّ بالفرقان ثم بلم يكن
هـوِّ عـلـيَّ الحـادثـات لكي تهن
ها عبدك العاصي يحقق لا يظن
«يـا من خـزائـن ملكه في قول كن»
«أمـــنن فـإن الخـيـر عـنـدك أجـمـع»
يـا ربِّ طاعاتي إليك قليلةْ
يـا ربّ أوزاري عـلـيَّ ثَـقيلةْ
مـا لـي مـلاذ لا ولا لـي حيلةْ
«ما لي سوى فقري إليك وسيلةْ»
«وبـالافـتـقـار إلـيـك فـقـري أدفـع»
كـفُّ الـسـؤال حـقـيـرةٌ وذليلةْ
وبضاعة التقوى لدي قليلةْ
وعـوائـد الإفـضـال منك جزيله
«ما لي سوى قرعي لبابك حيلةْ»
«فـلـئـن رددت فـأيّ بـابٍ أقـرعُ»
يـا رب عـبـدك يشتكي من سقمه
يـا رب مـن يـرجـو لـشدة غمّه
إن أنـت لـم تـدفـع عظيم ملمةٍ
«فمن الذي أدعو وأهتف باسمه»
«إن كـان فـضـلـكَ عـن فـقـيـرك يمـنـعُ»
يـا ربِّ هـذا العبدأصبح راجيًا
عـفـوًا عن الماضي وما هو آتيا
وتكون عندي في القيامة راضيًا
«حاشا لجودك أن تُقنِّط عاصيا»
«الـفـضـل أجـــزل والمـواهـب أوسـع»

• وللشاعر مراث لبعض الأصدقاء، ومنهم الشيخ أحمد بن محمد الحضرمي با جابر، في قصيدة طويلة حوالي المئة بيت، يذكر في أولها:

زم المطيَّ بحملة يا ساري
عن أن يسير بأسوأ الأخبار

• ويستمر في نظم القصيدة ويذكر صاحبه فيقول:

حق البكاء على الذي حاز العلى
سهر الليالي والنجوم سواري
أعني الشهاب الجاسري فإنه
قد كان خِلاًّ خالصًا مُختاري

• تفنن الشاعر بعرض قدراته، وفنه الشعري، واستخدم معظم موضوعات الشعر، كما أنه طرق معظم قوافي الشعر وأوزانه، ففي قصيدة له يقول فيها:

تدارك أيها الساقي نُفوسًا
ترقت والهموم إلى التراقي
بنغمة شادنٍ توحي يداه
إلى الأوتار آيلت اشتياقي
فقم نملأ صحائفنا سرورًا
بشرب والتزامٍ واعتناقي

• يبدو أن الشاعر يستمع إلى فن الغناء، ويطرب لسماع الصوت الشجي، لذا أرى أن بعض أشعاره يتغنى بها المطربون، وهو فنان يجيد نظم القوافي، وكذلك يحب سماع شعره يردده الآخرون، ومن خلال هذه النماذج أرى أن الشاعر دقيق الإحساس، مرهف الحس، يتميز بالذهن اللماح، وقوة الاستجابة.

****

أحمد بن علي الشيرازي

٠٠٠٠ - ١٠٨٢هـ / ٠٠٠٠ - ١٦٧١م

• هو شهاب الدين، أحمد بن علي بن قاسم الشيرازي المكي[1]، أصل العائلة من شيراز، ولكنها استوطنت الحجاز، ولكن الملا علي، والد أحمد، ضاقت به الحال فسافر إلى الهند واستوطنها، والابن شهاب الدين أحمد ورد إلى حيدرآباد سنة ١٠٧٤هـ، الموافق ١٦٦٣م، ونظم قصيدة مدح بها والده نظام الدين علي، ولكن لم نعرف مكان ولادة شهاب الدين أحمد، ومتى كانت ولادته، ولكنه توفي في الهند حوالي سنة ١٠٨٢هـ، الموافق ١٦٧١م، على وجه التقريب.

• وصف صاحب «سلافة العصر» شهاب الدين أحمد بقوله: «شهاب طلع في سماء المكارم بدرًا، وشرح لاقتناء المعالي والمآثر صدرًا، فملك أعنة المحاسن، وورد من مناهلها عذبًا غير آسن، إلى أدب لم يقصر في مداه عن غاية، ونظم رفع به للقريض راية، ومكارم شيم وأخلاق، هي من نفائس الذخائر أعلاق، معسول ذوق الإخاء والمروّة، عالي قناة الوفاء والفتوة، مع صفاء باطن وظاهر، وشعره جزل

(١) علي صدر الدين بن أحمد نظام الدين المدني الحسيني، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر (القاهرة: الخانجي الكتبي ١٣٢٤هـ) ط١ ص ١٨٢. محمد سعيد الطريحي، ملوك حيدرآباد (الكوفة: أكاديمية الكوفة ٢٠٠٥م) ص ١٦٩.

الألفاظ حلو المعاني، أثبت منه ملحًا عامرة الأبيات آهلة المعاني. «ففي قصيدة قالها عندما ورد حيدرآباد مادحًا أحمد نظام الدين، والد صاحب السلافة، يقول فيها:

سقى الله ربعًا بالأجارعِ من نجدِ
وحَيّا الحَيا وادي الأراكةِ والرندِ
مغان بها كان الزمان مساعدي
بأفنانِ بشر من أسرته يبدي
وريم إذا ما لاح ضوء جبينهِ
بفرع حكى ليل التباعد من هند
أرانا محيا كالغزالة في الضحى
أو البدر في برج التكامل والسعد
له مقلةٌ وسناء ترشق أسهمًا
تصيبُ الحشى قبل الجوارحِ والجلدِ
وثغرٌ إذا ما ضاء في جنح دامسٍ
توهمتُ درًا قد تنضد في عقد
يدير به ظَلمًا كأن مذاقه
جنا الطلع أو صرف السلاف أو الشهد
وتالعِ جِيد ما الغزالة إن عطت
بمنعرج الجَرعاء طالبة الورد
وصعدة قدٍّ إن نقل غصن النقا
يقول لنا هيهات ما ذاك من ندي
وردف تشكي الخصر أعباء ثقله
فناء به حتى تضاءل عن جهد
فلله هاتيك الليالي التي خلت
وعوّضت عنها بالقطيعة والبعدِ
وأصبحتُ والأحشاء يذكو لهيبها
أليف النوى حلف الجوى دائم السهد
أروح وأغدو واحدًا بين أضلعي
لهيب جوى لم يخل يومًا من الوقد
أعض بناني حسرة وتأسفًا
وأندب عصرًا لم أبت خاليًا وحدي
وأرسل دمعًا كالغمام إذا همى
فهيهاتَ أن يغني التأسُّفُ أو يجدي
إلى الله أشكو جورَ دهر إذا عدا
على المرء حاجاه بألسنة لُد
وقائلة والعيس يزعجها النوى
وعبرتها كالطل يسقط في الورد

• هكذا يبدأ الشاعر قصيدته على رأي الأقدمين بالنسيب، فيصف المحبوبة بهذه الأوصاف الجميلة، التي لا وجود لها في عالم الواقع، ولكنه الحب الذي شغف قلبه فسطر تلك الكلمات في وصف المحبوبة، ثم يأتي على ذكر والده بقوله:

لبئس المنى أن تقطع البيد بالسرى
وترحل عن وادي المحصب للهندِ
فقلت لها واللهِ ما القصدُ منيةٌ
ولا نيلُ سؤلٍ من عروض ومن ند
ولكن لأقضي شكر سالف نعمة
مشيدة الأركان بالأب والجد
لا كرم مولى ألبست يده الورى
مطارف نعماء تجل عن الحد

مبيد العدا رب الندى غوث صارخ
ملاذ لأهل الأرض بل غاية القصد
مليكٌ غذَى در المكارم والنهى
ونِيطت به العلياء وهو على المهدِ
مليك غدا الأملاك طوع يمينه
يشير إليها بالصدور وبالورد
مليكٌ إذا ما حال في حومةِ الوغا
تَدرّعَ جلباب البسالة عن سرد
مليك أباد المال إلا صبابة
مخافة أن تخلو يداه من الرفد
مليك هو الندب الهمام الذي غدا
نظام الدين لله ذو الحل والعقد
به افتخرت آباؤه الصيد في العلى
إذا افتخر الأبناء بالحسب العدِّ
فلولاه لم يأمن نزيل ولا غدا
مليك يجر الذيل في عيشة رغد
ألست تراه وهو مشتجر القنا
هزبرًا له غاب من السمر الملد
ألست تراه وهو يستلب العدى
نفوسهم والحرب واربة الزند
ألست تراه والأسود حواجم
يذود حماه بالمطهّمة الجرد
إلى أن أعاد الجيش والسيف مغمد
وذلك بالرأي المسدد والسعدِ
فشكرًا لهُ قد ألبس الملك حلةً
مطرزةً بالبيض حالية المجدِ
فدونكها يا نجل طه خريدة
تميس اختيارًا من مديحك في برد
تهنأ بعيد النحر والسعد والعلا
ونحر عدو لم يزل واغل الحقد
فلازلت منصورًا مدى الدهر ناصرًا
كريم المساعي في وعيدٍ وفي وعد

• كان صاحب السلافة قد اتصل بالشاعر وطلب منه قصيدة ليسجلها في كتابه، فأرسل له قصيدة يقول فيها:

لا ورب العيس تستقري الفجاجا
ما أرى لي من ضنا الحب علاجا
لا ولا يجدي سؤالي قائلاً
ما على حاديهم لو كان عاجا
كيف يرجو البرء صبٌ مغرم
كلما لاح له ركبٌ تلاجا
يسكب الدمع فإن هبّتْ له
نسمةٌ من حيهم زاد انزعاجا
يا أخلّائي بجرعاء الحمى
ما لصافي وردنا عاد أجاجا
وليالي بمنى قضيتها
مع نديم لم يكن في الحب داجا
ومليح كغزال ناعس
يخجل الأقمار حسنًا وانبلاجا

فسعى في شتنا دهر ثنى
بيننا من فادح البين رتاجا
فَتناؤوا وتبدلت بهم فتية
حادت عن الحق اعوجاجا
غير فرد لوددادي حافظ
لم يزل ورد تصافيه مجاجا
باذخ المجد على ذي العلى
من به ألبست العلياء تاجا
وغدت أقلامه ناشرة
ذكر من قد قوّضوا الدنيا اندراجا
فخر عين الملك مجدًا وسنا
وبه ذكر الأولى زان وراجا
سيد تنميه أسباب العلا
للمعالي وهو يُنميها نتاجا
تهرع الخلق إلى أعتابه
عنق السير بكورًا وادّلاجا
لا تبال هول دجن هالك
إن رأت من وجهه الباهي سراجا
دام فردًا في المعالي راقيًا
ما انثنى غصن به ورقٌ تناجا

• وأرسل الشاعر قصيدة لصاحب «سلافة العصر» يقول فيها:

أبا حسن لا يزال سعدُكَ عاليا
وجدُّك مسعود ونجمك ثاقبا
ولا زلت في العلياء تجني ثمارها
لديك وتحوي في المعالي الأطايبا
أتاني قريض منك قد جرّ ذيله
على الأطلس الأعلى وفاق الكواكبا
يشير إلى خلّ تغير وده
وأصبح من بعد التصافي محاربا
أبى الله أن يثني عنان وداده
ولو أمطرت سحب الغوادي قواضبا
ولكنه يا مفخر العرب امرؤ
تجرع من هذا الزمان مصائبا
فجرد عزمًا للتجافي عن الورى
وأصبح منحازًا عن الخلق جانبا
فصبرا لهذا الدهر إنّ صروفه
لعمرك تبدي من قضاها عجائبا
سيصفو شراب مر دهر مكدرا
ويرضي محب الظل حينا مغاضبا
فإنّ ضميري لا يزال منازعًا
بأنك ترقى في المعالي مراتبا
مراتب تسمو للسماكين رفعة
تقود بها خيل الفخار جنائبا
فذلك عندي عن تقيّ مكرم
صدوق إذا ما قال لم يلف كاذبا
وما زلت أرعى قوله في مواطن
فألفيته ثبت المقالة صائبا
ودم راقيا في المجد أرفع رتبة
تبيد الأعادي أو تنيل الرغائبا

• نشأة الشاعر في البلاد العربية ردحًا من الزمن أكسبته الروح العربية في النظم، واستطاع أن يوظف الألفاظ والعبارات توظيفًا عالي القوة والسبك، وكان وجوده في الهند قد أثرى الساحة الأدبية بكثير من قصائده المميزة، واستفاد منه شعراء العربية في الهند كثيرًا.

****

أحمد بن كنج الكدفتوري

١٣٣٥ - ٠٠٠٠هـ / ١٩٢٦ - ٠٠٠٠م

• ولد الشيخ أحمد بن كنج أحمد الكدفتوري[١] في كدفتور القريبة من تلشيري بولاية كيرلا، سنة ١٣٣٥هـ، الموافق ١٩٢٦م، درس الابتدائية في المدارس، ثم التحق بدروس المساجد، وبعد ذلك دخل الكلية العربية دار العلوم بوازكات سنة ١٩٤٤م، ثم التحق بالكلية العربية مدينة العلوم بفلكل سنة ١٩٤٩م، وبعد الدراسة عمل معلمًا بمدرسة ماداي ومدرسة المبارك العالية بتلشيري حتى تقاعد سنة ١٩٨١م، ولكنه يعمل ناظرًا للكلية العربية نصرة الإسلام بكدفتور.

• عمل في تأليف الكتب الدراسية للمدارس المدنية لمدة خمس سنوات، وكان مشهورًا بنظم القصائد في كل المناسبات، وله قصائد في مديح ورثاء العلماء والزعماء في الهند وخارجها، وغيرها، وكان يعرف بأنه شاعر محترف لكثرة أشعاره، وكتاباته الشعرية ونشرها في المجلات والجرائد، وأسلوبه سهل وبسيط فذاع صيته، وتقبل الجمهور.

• مجلة «البشرى» مجلة عربية تصدر في ولاية كيرلا، حازت على اهتمام قراء العربية، ومن هؤلاء شاعرنا الذي مدحها بقوله:

أعظمْ بقدرِ مجلةٍ عربيةٍ
في أرض كيرلا فديت بكُماةِ
بشرى بمجلة لن تحكي لنا
غيثًا مريعًا يخرج الثمراتِ
أو لُجةٍ يُستخرجُ المرجانُ من
أعماقِها ونفائسُ الدرّاتِ
فمعِ الهنا والبشر دومي بيننا
ما غرّد القُمريُّ بالنغماتِ

• يا له من وصف لمجلة، حازت على ثقة الناس في هذا البلد، وشاعرنا درج على تهنئة كل ما له صلة باللغة العربية، أو التعليم، فهو أستاذ التعليم ووضع المناهج الدراسية، فيمدح مدرسة نور الإسلام فيقول:

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا، ص ٢٩٦.

فيضوعُ منه المسك في مَرِّ الصَّبا
من معصميك يلوح نورُ شآمِ
ويزين متنك فاحمٌ مسترسلٌ
في فيك ريقٌ فاق فوق مُدامِ
تالله أنتِ مليحة ونسيبةٌ
ولقد سحرت عيون كل أنامِ

• للقرآن عند المسلمين مكانة كبيرة، فهو كتاب الله المقدس، الذي أفحم كفار قريش، وتحداهم بالإتيان بسورة مثله، وقام الدارسون منذ فجر الإسلام يستنبطون بلاغته، ومعجزاته، وصنفوا الكتب والمذكرات في محتواه، وشاعرنا هذا قام بوصفه ومدحه، فيقول فيه:

تالله لم ترَ قطُّ عينٌ مثلَهُ
وبمثله لم تسمعِ الآذانُ
قُرّاءهُ يجدون فيه طراوةً
لم يخلق القرآن عوض زمان
يعلو ولا يعلى لعمري إنه
نورٌ من الرحمن والبرهان
وإذا هم نبذوه خلف ظهورهم
ضُرِبت عليهم ذلّة وهوانُ

• ولاية كيرلا، في غرب الهند، ولاية جميلة، وذات طبيعة جذابة، ساحرة، وهي مقصد للسياح والزائرين، والشاعر من هذه الولاية يقف متعجبًا من جمال الطبيعة فيها فيقول:

وحديقة بسّامة أزهارُهَا
تتقبلُ الزوارَ مع بشرٍ حلا
فيكِ الزروع فكأنها هي كسوة
من سندس خضر كسيت تجملا
كم من جنان فيكِ تؤتى أكلها
من تحتها الأنهار تجري سلسلا
نشتاق ماءكِ فهو أحلى مشربًا
وجناك نهوى فهو أحلى مأكلاً

• هذا الوصف الجميل لبلده كيرلا يدل على تعلق الشاعر ببلدته، ويراها أفضل بقاع العالم، ولا يلام في ذلك فقد سبقه شعراء آخرون في وصف بلادهم، وكما قال الشاعر العربي:

وطني لو شغلت بالخلد عنه
نازعتني إليه في الخلد نفسي

• كان للشاعر أصدقاء كثيرون، في الهند وغيرها، وخاصة من الحركة الإصلاحية في الهند، ففقدت الحركة التجديدية أحد زعمائها، هو كي. أم. مولوي، فتألم الشاعر ونظم قصيدة يرثي بها هذا الزعيم بقوله:

ومصلحو كيرلا من نوره اقتبسوا
به لهم منهج الإصلاح قد بانا
لقد رأى شجر التوحيد أذبله
أيدي الخرافة أوراقًا وأغصانا
فالشيخ أرواه إرواءً وشيده
حتى غدا شجر التوحيد ريانا

وصار ذا خضرة ذا نظرة بهجا

وزاهيا يخرج الأثمار ألوانا

- حركة الإصلاح الإسلامية في الهند أثمرت مدارس وجامعات ومعاهد عالية، ووصل فيها بعض المسلمين لمراتب عالية في الدولة، ولازالوا يتقدمون الخطى، على الرغم من العوائق الكثيرة.

- فرح كثير من المسلمين بإنشاء «رابطة العالم الإسلامي»، وكان هدفها جمع كلمة المسلمين، وتوحيد صفوفهم أمام الغزو الثقافي والفكري، وهذا ما أثلج صدر شاعرنا فقام يحيي هذه الرابطة على طريقته في التحية شعرا، فقال:

واهًا لرابطة بمكةَ واها

فبعالم الإسلام عمَّ ضياها

قد أشرقت كالكوكب الدريّ في

أم القرى فيها أضاء ثراها

شعّت أشعتُها إلى كل الدنا

فبها استنارت أرضعا وسناها

- من الكليات الرائدة في كيرلا، كلية فاروق، وتم فيها افتتاح قسم للغة العربية، ثم أصبح رئيس القسم عميدًا للكلية، فقام الشاعر يمدحه فيقول:

كلية فاروق الكبرى

هي نورٌ من رب الشّعرى

فمخرجة من كل أخي

شرف بثقافته الطّهرى

- ويأتي إلى الممدوح ليقول له:

أنت ابن جلا فمثيلك لم

تلدِ الدنيا إلا نزرا

بحر القرآن دخلتَ فقد

أخرجتَ نفائسَهُ فخرا

كلية فاروق الكبرى

فلقُ الرحمنِ لها فجرا

فطلعت عليها شمس سنا

شمسًا ما أزيدها بهرا

إن جاز الكِبرُ لإنسان

لأجار الله لك الكبرا

- هذا هو أستاذ التعليم، وإخلاصه فيه، فكل زاوية من زوايا التعليم كان له صوت ورأي، يحب العلم والعلماء، ويقدر المعاهد والمدارس والجامعات، فكلها تصب في بوتقة واحدة، هي حب العلم والتعليم.

- يتميز الشيخ أحمد في قصائده بتتبع أحداث المسلمين، فيشاركهم أفراحهم وأحزانهم، ويرى في ذلك واجب عليه تأديته، فهو شاعر اجتماعي، وطني مسلم غيور، وظف شعره لخدمة قضايا المسلمين، فمدح ورثى ووصف ونصح، وكان مثالاً للأستاذ المخلص في أدائه، والمربي الفاضل، مخلص أمام مسؤولياته.

****

أحمد بن محمد الجوهري

٠٠٠٠ - ١٠٦٩هـ / ٠٠٠٠ - ١٦٥٨م

• هو الشيخ أحمد بن محمد بن علي الجوهري المكي الهندي[١]، ولد في مكة، وتعلم بها، وبرز في العربية والشعر، ونظم قصائد رائعة في أمور شتى، وفي بداية شبابه رحل إلى الهند، وبعد خمس وعشرين سنة شده الحنين إلى مكة، ولكنه شاهد ما لم يكن متوقعًا فقد تغيرت الحال، وجار السلطان، فذهب إلى فارس، لعله يجد المأوى، ولم يستقر هناك فعاد إلى الهند وبقي طيلة حياته بها حتى توفاه الله سنة تسع وستين وألف (١٠٦٩هـ) من الهجرة النبوية الشريفة، ما يوافق سنة ١٦٥٨م، ودفن هناك.

• يتمتع الشيخ أحمد بشعر جميل، في قوته وأسلوبه وطريقة صنعه، فعندما رست به السفينة على ساحل الهند الغربي مهاجرًا تاركًا بلاد العرب قال:

شبّهتُ أمواج بحر الهندِ حين رست
بـه السفائن من هندٍ ومن صينِ
بأسطرٍ فوق قرطاس قد اتسقتْ
والسفن فيها علامات السلاطين

• وفي قصيدة له موجهة إلى، والد صاحب سلافة العصر، السيد أحمد نظام الدين الحسيني، ويبدأها بالنسيب، كما تعود الأقدمون، فيقول فيها:

كلما غنّت على الدوحِ الحَمامْ
هيَّجَتْ أشواقَ قلبي المستهامْ
ذكرته ساجعات المنحني
وربى نجدٍ وهاتيك الخيام
وليالٍ ما صفا لي بعدها
طيبُ العيش ولا صافي المدام
حيث لا أصغي لعذل راتعًا
في ميادين التصابي والغرام
حيث لي شغل بربات الخبا
عن شرابٍ وطعامٍ ومنام
حيث ما لي شافع إلّا الصَّبا
في الهوى إن عزَّ من هند المرام
لست أنسى ليلة إذ أقبلت
تلقني ببشر وابتسام
قلت يا هند إلى من أشتكي
تقض عهد من حبيب لا يرام
فاستشاطت ثم قالت جذلاً
هل وفت حسناء قبلي بالذمام
ثم أبدت عتبًا يا ليته
طال لما طاب في ذاك المقام

(١) علي صدر الدين المدني، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ص ١٩٢. محمد المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ج١ ص ٣٢٧. عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٥ ص ٦٦.

فاعتنقنا واشتكينا ما بنا
ولدمع العين في الخدِّ انسجام
هل ترى من بعدهم لي عوض
غير حزن وبكاء وسقام
فاسقني خمرًا لأطفي حرقي
وأروّي حر قلبي والأوام

• ثم يتوجه إلى الممدوح بقوله:

وانشدَا شعرَ الذي ألفاظُهُ
تزدري بالدرِّ من حُسن النظامْ
أحمد بن السيد المعصوم من
عن مداه قصرت كل الكرام
مذ نشا قرت به عين العلا
وارتضته بعلها قبل الفطام
حاز علمًا في صباه وافرًا
لم يجزه عالمٌ في ألف عام
خلق كالروض وافاه الصبا
غب ما باكره صوب الغمام
هاشميٌّ نسلُ طه أحمدٌ
ليس فخر فوق ذا للأنام
زرع الفضل له في مهجتي
روض ودٍّ مثمرٍ زهر الكلام
التفات منه أقصى مطلبي
إنما الدينار مطلوب الطعام
فله لا زال مدحي دائمًا
طربًا ينشد في خاص وعام
فكرتي قاصرة عن مدحه
فلهذا عجلت بالاختتام

• والشاعر رجل غزل، ويحب الغزل ويصف المحبوبة أيما وصف، فهو عاشق ولهان مستهام، لا يترك لفظًا يقربه من وصف الحب إلا استعمله في قصائده، ففي قصيدة يقول فيها:

سلامٌ على وادي العقيقِ ورَنْدهِ
وعزّ ليالية وسالفِ عهدهِ
فلي فيه ظبي صائد كل ضيغمٍ
أغار عليه بين كثبان نجده
إذا الشمس غابت في مغارب أفقها
بدا لك بدر من فواحم جعده
يعلك من فيه شراب له شذا
كنفحة روض عند تفتيح ورده
أرى الدعصَ يربو كي يشاكل ردفه
وغصن النقا ينمو لتشبيه قدّه
وبدر الدجى يزهو إذا قيل مثله
ويطوي حديث المسك مع نشرِ برده
ويعلو مقام النجم إن قلت إنه
كمِبْسمِه الوضاحِ أو درّ عقده
غدوتُ أُجيلُ الطرفَ في روضِ حُسنه
فعدتُ وقلبي في وثَاقٍ بوجده
فمن لي بقلب مثل قلبي بعد ما
أضيع زمانًا في مَهامِه بعده

يقولون لي في الحب هل لك رتبةٌ
فقلتُ لهم أعلا الذرى لي بسعده
فما العشق إلا من كرام عشيرتي
وما الحُسنُ إلا من نوابعِ جندهِ
وما القطر إلا من تقاطر أدمعي
ولا البرق إلا من حشاي ووقده
فقولوا له إني صريعُ لِحَاظهِ
وإني عليلٌ مذ نبئت بفقده
عسى أن يرضى بلثمي كفّهِ
إذا هو لم يسمح بتقبيل خده
سلام عليه بكرة وعشية
وإن لم يفه تيهًا عليّ برده
فقد لذّت من شوقي إلى غير منصفٍ
بحضرةِ من لاذ الأنامُ بمجده
فما سائلي إلّا على جودِ أحمدٍ
ولا قائلٍ إلا بإعلان حمده
يلوح سناءُ الفضل من درّ لفظهِ
ويظهرُ قدر النصلِ من قطعِ حدّه
يَحارُ بسيطِ البحر في وسعِ علمهِ
ويقْصُرُ فهم الحبرِ عن نيل قصده
يصولُ على أسدِ العرين بنفسهِ
ويثني عنان الجيش ماضي فِرنْدهِ
جزيل العطايا يسبق القولُ فعلَهُ
كريم السجايا غيرُ مُخْلِفِ وعْدهِ

فلا زلتُ أهدي للمسامع وصفَهُ
وأقطفُ زهرَ القول من روض ورده

• ماذا ترك هذا الشاعر من وصف المحبوب لغيره من الشعراء الغزلين؟؟!!، يبدو أن معظم شعر هذا الشاعر في فن الغزل، فمن رقيق شعره قوله:

ما شمت برقًا سرى في جنح معتكرٍ
إلّا تذكرتُ برق المبسمِ العطِرِ
ولا صبوتُ إلى خلٍّ أسامرُه
إلا بكيتُ زمان اللهوِ والسَّمر
شُلّت يد للنوى ما كان ضائرها
لو غادرتنا نقضي العيش بالوطر
في خِلسةٍ من ليال الوصل مسرعةٍ
كأنما هي بين الوهن والسَّحَر
لا نرقب النجمَ من فقدِ النديم ولا
نستعجل الخطو من خوفٍ ولا حذر
وأهيفُ القدِّ ساقينا براحَتهِ
كأنه صنم في هيكل البشر
منعمين وشمل الأُنسِ منتظمٌ
يربو على نظم عقدٍ فاخر الدُّرر
فما انتهينا لأمر قد ألمَّ بنا
إلّا وبُدّل ذاك الصفو بالكدر
لا در در زمان راح مختلسًا
من بيننا قمرًا ناهيك من قمر
غزال أنسٍ تحلى في حُلى بشرٍ
وبدر حسن تجلى في دجى شَعَر

وغُصْنُ بانٍ تثنّى في نقا كفلٍ
لا غصن بان تثنى في نقا مدر

كأنّ ليلي نهاري بعد فرقتهِ
مما أقاسي به من شدة السهرِ

يا ليت شعري هل حالت محاسنُهُ
وهل تغير ما باللحظ من حَور

فإن تكن في جِنان الخلد مبتهجًا
فاذكر معنى الأماني ضائع النظر

وإن تأنسْتَ بالحُورِ الحِسان فلا
تنسَ الليالي التي سَرّتْ معَ القِصَرِ

• هذا شاعر فحل، له من الأشعار الكثير، وذكر أن له مقاطيع سمَّاها «لآلئ الجوهري» ذكرها المحبي في خلاصة الأثر، كما ذكرها علي صدر الدين المدني في «سلافة العصر»، ثم ذكر بعضها عبدالحي بن فخر الدين في «نزهة الخواطر»، ومن هذه اللآلئ قوله:

كيف أسلو مَن مُهجتي في يديهِ
وفؤادي وإن رحلت لديهِ

إن طلبتُ الشفاءَ من شفتيهِ
جاد لي بالسقامِ من جفنيه

إن حلف السُّهاد عين رأته
وجنت ورد جنتي خديه

كلما رمت سلوة قال قلبي
لا تلمني في ذا العكوف عليه

لستُ وحدي متيم في هواهُ
كل أهل الغرام يصبو إليه

• وقال أيضًا من تلك اللآلئ:

جرحَ اللحظُ خَالَ خدِّ غلامٍ
فضحَ البانَ قدُّهُ باعتدالِهْ

فإذا ثار طاعنًا لفؤادي
قال خذها من طالبٍ ثارَ خالِهْ

• هذا الشاعر فنان، يصور اللحظات الجميلة في حياته، ولقطات يتصورها تصويرًا فنيًا جميلاً، فصوره عجيبة، وألفاظه رقيقة، وأسلوبه مفعم باللقطات الجميلة، والتناسق بين الألفاظ وحركات المحبوب، فهو فعلاً مصور بارع للمواقف واللحظات الجميلة التي تمر على الشاعر.

• على الرغم من عيشته في الهند، واتخاذها وطنًا له، إلا أن الشاعر يذكر بعض المواقف في مكة المكرمة، فيقول:

تذكرتُ إذ جاء الحجيجُ بمكةٍ
فنحن وقوفٌ ننظر الركب مُحْرِما

فصرتُ بأرض الهند في كل موسم
يجدد تذكاري لقلبي مأتما

• للشاعر جملة من القصائد فيها حكمة وكرم وعفة وغيرها من السلوك الطيب، وعاش بين الناس، وعرف سلوكياتهم، وقيم الإسلام من النخوة والسؤدد، والإخلاص في العمل،

غير ذلك من أخلاق يحث عليها الإسلام، فمن أقواله في لآلئه قوله:

لا تجهلنَّ قدرًا لنفسك إنها
علوية ترقى لما هو شبهها
والنفس كالمرآة يصقلها الغنا
قسرًا ويظلم بالمعاصي وجهها

• وقال أيضًا في الكرم:

في المنع والإعطاء كن راضيًا
واستقبل الكل بوجه الرضا
فالخيرُ للعارف فيما جرى
ورب منع كان عين العطا

• وقال أيضًا في صنف الرجال:

إذا لم تكن ناقدًا للرجالِ
وصاحبتَ مَن لآلهِ تعرفُ
فخالفْهُ في بعض أقوالهِ
فإنكَ عن خلقهِ تكشفُ

• ومن حكمه وأقواله المأثورة قوله:

جانب اللهوَ والبطالة واحذرْ
من هَوى النفس إن أردت السعادهْ
واعبدالله ما استطعت بصدقٍ
مطلب العارفين صدق العباده

• وقال أيضًا من لآلئه:

إذا مضت الأوقات من غير طاعةٍ
ولم يك محزونًا فذا أعظم الخطبِ
علامة موت القلب أن لا ترى به
حراكًا إلى التقوى وميلاً عن الذنب

• ومن أقواله الحكمية قوله:

في المنع والإعطاء كن شاكرًا
واستقبلِ الكلَّ بوجه الرضاءْ
فالخير للعارف فيما جرى
ورب منع كان عينَ العطاءْ

• زمن أقواله الغزلية قوله:

ولقد سقتنا البابلية إذ رأت
أنا نحدثها لسبر حسنها
خمرًا أدارتها العيون فأذهبت
منا العقول ولم تفارقْ دنها

• وقال أيضًا:

وظبي نافر مما رآهُ
يذلُّ لحسنهِ الملكُ المهيبُ
عرفت مزاجه فانقاد طوعًا
ومن عرف المزاج هو الطبيب

• ومن ذلك أيضًا قوله:

لما بدا البدرُ يجلو
دجى الظلام وأسفَرْ
ذكرت وجه حبيبي
والشيء بالشيء يذكر

• علمت تجارب الحياة هذا الشاعر فنظم درر أقواله في مجموعة «لآلئ الجوهري» وبحق هي لآلئ، وما اخترت بعضها إلا لكثرتها وتنوعها، فهي مجموعة فيها عدة موضوعات، أو لآلئ يستأنس القارئ بها، ويأخذ

منها ما يشاء، ليطبقها على نفسه ففيها تربية للنفس، ومعاملة للناس الآخرين، ولم يكن الشاعر متصنعًا، ولا متكلفًا لأشعاره، ومقطعاته، بل هو على سجيته وعفويته، وانطلاقه في النظم يأتي بسهوله، وكأنه يتحدث إلى شخص قريب من قلبه.

****

أحمد حسين الرسولبوري

١٢٨٨ - ١٣٥٩ هـ / ١٨٧١ - ١٨٤٣ م

- ولد الشيخ أحمد حسين بن عبدالرحيم بن جمال الدين بن بهاز بن كهيدو الحنفي في رسولبور[١] سنة ١٢٨٨هـ، الموافق ١٨٧١م، تعلم المرحلة الأولى في بيته، ثم درس اللغة العربية والفارسية على يد الحافظ الشاه نظام الدين في قرية سريان، ثم تعلم على يد أخيه الأكبر عبدالعليم بمدرسة جشمة رحمة في غازيبور، وبعدها قرأ تلخيص المفتاح والمعلقات السبع على يد الشيخ محمد فاروق جرياكوتي، ثم ذهب إلى جونفور ودخل مدرسة الإمامية الحنفية، وتزود بالعلوم المختلفة والصحيحين وحواشي بحر العلوم وغلام يحيى، وقرأ الهداية والجلالين، وغيرها من الكتب الدراسية.

- درس بعمق اللغة العربية والأدب على يد الشيخ محمد طيب العرب المكي، وتعلم في رامبور الطب وعلم الأدوية والعلاج على يد الحكيم محمد حسين خان، ونال إجازة الطب، وحرص على دراسة الرياضيات والفلك حتى برع في ذلك، ثم في سنة ١٣٢٦هـ، الموافق ١٩٠٨م بايع سيد ضياء الدين على الطريقة الصوفية، ثم عمل في التدريس بمدرسة مظاهر العلوم في بنارس، ثم بالمدرسة الإمامية في دكا ناظرًا ورئيسًا لمدة أربع سنوات.

- استمر في التدريس سبعًا وثلاثين سنة في عدة مدارس، وخلال هذه الفترة عمل في التأليف والكتابة، فمن مصنفاته:

  - **سمط الفرائد في شرح القلائد من الفوائد لملا محمود الجونفوري.**
  - **وملتقى الأبحر للشيخ إبراهيم الحلي.**
  - **حاشية قصيدة البردة.**
  - **شرح قصيدة الفرزدق.**
  - **حاشية سلم العلوم.**
  - **حاشية مسلم الثبوت.**
  - **التحصيل والتكميل.**
  - **كتاب الفروق في اللغة.**

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج٢: ١٠٧. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص٢٣٨.

- شرح الصدور، بالأردو.
- تحفة الأحياء في فضيلة المدينة ومناقب سيد الشهداء،
- أحسن الميراث في هداية الأحياء للأموات، للشيخ أحمد عثمان.

- الشيخ أحمد حسين شاعر، وله قصائد ومقطعات شعرية، وعندما توفي أستاذه الشيخ الحافظ الشاه نظام الدين، نظم قصيدة مطلعها:

ذكرى لمن واروه بالقيعانِ
متصدع قلبي من الأشجانِ

- ثم يضيف إلى ذلك:

هيهات أعفى الدّهر أبلى رسمها
وجفت عليها نائبات زمانِ
وغدا حذوق الناس حلّ سفيههم
وحكى القرود مناطق الإنسانِ
ورأوا فلول العود سيفًا باترى
ورأوا أجبانًا مفتدى الشجعانِ
ضرب الجلاجل أيقنوه عبادة
والكفر قد سموه بالإيمانِ
ويبايعون لئامهم علمًا بهم
أرسطا طاليس واللقمانِ
آذانهم صم وأعينهم عميٌ
وقلوبهم عمهٌ من الطغيانِ

- ينقل رأيه في عصره، وكيف الناس تعيش على الدعاية والإعلان، وينصرف معظمهم عن تلمس الحق والحقيقة، ويعظمون أناس ليسوا بعظماء، ويحتقرون آخرين من العلماء، وهذه النظرة موجودة في كل العصور، ويتذمر الشاعر من عصره، وفي جميع العصور قليل من الناس من يقدر العلم والعلماء، وله مقطوعة، أو قصيدة أخرى يقول فيها:

وأخبرني ريحُ الصَّبا عن جنابكمْ
بما زال أحزاني وزادَ سروري
فأصبح صدري فاسحًا بعد ضيقه
وأصبح قلبي فارهًا بوفورِ
ونبّأ الأحباء بعد طول لقائهم
كروحٍ سرى في ميت بعد دهورِ
نسيم الصبا إن زرتهم بلغي لهم
تحيّة من قد قام بعد نشورِ

- يحمل الشاعر أفكارًا جيدة، ويمتلك القدرة على النظم العربي، استخدم بحور الشعر، وقواف ذلل، ولديه الألفاظ المعبرة عن الفكرة، استعمل خياله في صنع بعض الصور البلاغية الفنية، ولكن ينقصها الجمال اللفظي، وحلاوة الموسيقى في الشعر، وإن حاول استخدام بعض السجع والمحسنات، ولكنها ضائعة في خضم الأفكار، فهو قد ركز على الفكرة وقلل من النظر إلى جمال الأسلوب، ورقة

الكلمات، ولكن هو يحاول أن يجد الأسلوب الذي يرتضيه القارئ.

- وله قصيدة ينقصها بعض موجبات النظم، وهي أقرب إلى النشيد المدرسي، يقول فيها:

خـــرجـــتُ فـــي المـــيـــدانِ
يـــومًـــا مـــن الأشـــجـــانِ
أســـلـــو هـــمـــوم قـلـبـي
تـــشـــبـــثـــت بـــلـــبـــي
وســـلـــبـــت ســـــروري
وأفـــلـــت بـــــدوري
أبـــلـــت ثـــيـــاب فـــكـــري
وازدحـــمـــت بـــنـــكـــري
مـــراتـــع الحـــيـــوانِ
بـــل فـــســـحـــة الإنـــســـانِ
نـــبـــاتـــهـــا مـــخـــضـــره
وبـــعـــضـــهـــا مـــحـــمـــره

- أظن أن الشاعر قد نظم هذه القطعة للمدرسة التي يعمل بها، فهي تخلو من أدوات النظم المنظم، وهي رجز سهل، وتختلف عما نظمه سابقًا، ولكن للشاعر قدرة أكبر من هذه القطعة التي لا تنسجم مع ما نقل عنه من أنه من أشعر شعراء أهل شرق الهند. وانتقل الشاعر إلى رحمة الله تعالى سنة ١٣٥٩هـ، الموافق ١٨٤٣م.

****

أحمد حسين القلعداري

١٣٤١ - ٠٠٠ هـ / ١٩٢٣ - ٠٠٠ م

- ولد الدكتور أحمد حسين القرشي[1] في قرية «قلعدار» بكجرات سنة ١٣٤١هـ، الموافق ١٩٢٣م، درس على يد والده العلوم الإسلامية، من فقه وأصوله، وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بجامعة بنجاب، وحصل على شهادة «منشئ فاضل» سنة ١٩٤٥م، ثم استكمل دراسته ليحصل على البكالوريوس عام سنة ١٩٦٠م، ولم يتوقف بل واصل طريق العلم فحصل على بكالريوس في التعليم العام سنة ١٩٦٢م.

- أصر أحمد حسين على الترقي فحصل على الماجستير في الفارسية سنة ١٩٦٢م، ثم الماجستير في الأردو سنة ١٩٦٣م، وبعدها حصل على شهادة الماجستير في اللغة العربية سنة ١٩٦٤م، وواصل طريقه فحصل على الدكتوراه في الأردو، ثم الدكتوراه في العربية سنة ١٩٧٩م.

- بدأ الدكتور أحمد حسين العمل في التدريس بمدارس حكومية مختلفة، ثم اتجه للتعليم الجامعي فعمل في كلية

(١) حامد أشرف همداني، الشعر العربي في باكستان (قسم التأليف والترجمة، جامعة البنجاب ٢٠١٢م) ص ١٥.

العلوم الحكومية في كجرات، ثم في الكلية الحكومية في زميندار بكجرات، وبقي سنوات بها ثم تقاعد من العمل.

- استطاع الدكتور أن يبني مكتبة كبيرة تضم آلاف الكتب المختلفة، ولها سمعة حسنة عند الناس، وضم بها مخطوطات كثيرة، بلغت الآلاف إلى جانب آلاف الكتب المطبوعة، وكان شاعرنا الدكتور يتحدث باللغات: العربية والأردو والفارسية والبنجابية، ويقرض الشعر بهذه اللغات المختلفة.

- أنتج الدكتور عدة مؤلفات منها:
  - **إسهام علماء لاهور في الأدب العربي في القرن الحادي عشر.**
  - **تذكرة شعراء العربية في باكستان.**
  - **شعر العرب في كجرات.**
  - **تحقيق ودراسة نقدية لكتاب» عيار الشعر لابن طباطبا.**
  - **تاريخ تمدن كجرات.**
  - **ترجمة قصيدة البردة.**
  - **ترجمة معاني القرآن الكريم.**
  - **ذكرى السلف، بالأردو.**

- طبع له ديوان شعر باسم «حمد ونعمت» سنة ١٩٩٤م، وبه شعر عربي، ولكن شعره العربي فيه خلل من ناحية الوزن والقافية، ومن أشعاره العربية قوله:

سبحان الله أحسن خالقينا
من المعدوم في الموجود جئنا
ويرزق كلنا في كل حين
بأنواع اللذائذ رازقينا
فيحيي الميت لمن يشاء
لكل الأمر حقًا غالبينا
فمن يهديه ليس له مضل
ومن يضلله ليس له معينا
وبحمد أحمد بكمال عجز
وإياك كل نعيد ونستعينا

- بهذه الكلمات البسيطة والساذجة نظم شاعرنا هذه القطعة، التي تخلو من شعرية الشاعر، وروح الشعر، فلا جمال لفظي، ولا خيال شاعر، وهذه عبارة عن رص لكلمات عربية تأثر بالقرآن الكريم. وله قصيدة أخرى حول وصف القرآن الكريم يقول فيها:

ضياء الشمس ضوء لصنف حال
ونور القمر في جوف الليالي
وفيه هداية نور مبين
لكل جهالة القهر الضلالِ
جميع العلم في القرآن لكن
تقاصر عنه أفهام الرجالِ

- شعر الدكتور لا يرقي إلى مستواه العلمي، وهذه كلمات ليس فيها روح الشاعر، ولا ثقافته العالية، بل هو نظم لألفاظ، ليس فيها شعر حقيقي، على الرغم مما يبدو احتفاظه بالقافية الموحدة والبحر الخليلي.

****

أحمد خان الرامبوري

١١٩٨ - ١٢٩٠ هـ / ١٧٨٣ - ١٨٧٣ م

• هو الطبيب أحمد خان بن محمد ناصر خان الأفغاني الرامبوري[١]، ولد في رامبور سنة ١١٩٨هـ، الموافق ١٧٨٣م، درس المرحلة الابتدائية في بلدته، ثم تعلم العربية على يد المولوي رستم علي، والمولوي محمد مبين اللكناوي، وأساتذة آخرين، ودرس الطب والحكمة على يد الطبيب المشهور السيد أكبر علي النجيب آبادي، وكان طبيبًا ماهرًا، ومدرسًا للطب قديرًا، وكان يحفظ الكتب الطبية، وكان أيضًا الطبيب الخاص للنواب أحمد علي خان بهادر.

• ومع مهارته في الطب إلا أنه أتقن اللغة العربية، وكتب بها شعرًا ونثرًا، وهو يشبه الدكتور إبراهيم ناجي المصري الذي كان طبيبًا ممارسًا للطب، إلا أن هوايته كتابة الشعر، ولكن أغلب كتبه في الطب وباللغة الفارسية، وبعض هذه الكتب يضمنها أشعاره العربية، ومن مؤلفاته:

- **الطب السعيدي.**
- **رسالة جوب جيني.**
- **رسالة في ماء الجبين.**
- **رسالة في خواص الأدوية.**

• ولأنه تتلمذ على يد الشيخ قدرة الله شوق في تقريض الشعر في اللغة الأردية، وقد مدح النواب محمد سعيد، يقول فيها:

عميمُ الخلق بالقلب السليمِ
سعيدُ العصر عن طبعِ الحليمِ
أمير بن الأمير بن الأمير
يقوي الدين من عضد القويمِ
فمن نواب صاحب مالك الملك
مماثله بعد وبالعديمِ
جواد عادل حسن شجاع
سخيٌّ شاكرُ النعم الكريمِ
فبرء الساعة حتى ترى به
يحيي كلَّ نفسٍ من سقيمِ
متين العقل في الدين المعلى
قسيم المال بالطرق الرحيمِ
خبيرٌ هادل سعد شريفُ
رزين الفكر بالعلم الحكيمِ
نقول لا نرى في الدهر شكٌّ
شفيق الخلق عن وجود العميمِ
شرابٌ طاهرٌ شرب الحبيب
فحاسده سقى ماء الحميمِ
مع الأولاد والأحفاد جملة
فنهفو الذنب عن فاخر أثيمِ

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٤٣.

- طبيب وشاعر، الطب مهنته، والشعر هوايته، فهو في الاثنين جيد، وفي السبك قائد، وفي المديح راشد، وقد استخدم النظام القديم في نظم الشعر معتمدًا على عروض الخليلي، مع تمكن من المعجم اللغوي العربي، وسهولة اللفظ، مع تناسق المعنى معه، وأسلوبه سلس واضح، والغرض كان مديحًا للأمير، فلا بد من أن يكون سهلاً معروفًا.

- بالنظر في هذه الأبيات يظهر بعض الكلمات الطبية في شعره، منها طرق الرجيم، وشراب، برء، سقم، فهو حكيم طبيب، تغلب على أبياته المهنة، ولكن شعره ليس بالدرجة القوية في ألفاظه، أو في أسلوبه وتعبيراته، نظمه يخلو من الخيال الشعري، بل يستخدم الألفاظ القريبة من فهم الممدوح، في بساطتها وعفويتها، ولا يوجد نماذج أخرى لشعره، وقليل من النقاد الهنود ومؤرخي الأدب من ذكر أشعاره، أو تحدث عن حياته وأدبه.

- له قدرة على النظم بالأردو واللغة العربية، لأن أستاذه كان ينظم بالأردو، فاقتبس منه النظم في العربية، ولا يوجد غموض، أو معاضلة في هذه القطعة الشعرية، ولكن الخيال قليل، وتظهر في قصيدته بعض الكلمات الطبية منها: طرق الرجيم، وشراب، وبرء، وسقم، فتدخل في شعره دون قصد، ولم نر نماذج أخرى من شعره على الرغم من قدرته الشعرية والفكرية والقدرة على النظم العربي.

****

أحمد رضا خان البريلوي

١٢٧٣ - ١٣٣٥ هـ / ١٨٥٦ - ١٩١٦ م

- هو أحمد رضا بن تقي علي الأفغاني الحنفي[١]، ولد ببلدة بريلي سنة ١٢٧٢هـ الموافق ١٨٥٦م، تعلم على يد والده، وتلقى منه كثيرًا من المعارف الدينية، وخاصة في الفقه والأصول، ولازمه فترة طويلة، وانتهى من تحصيله العلمي وهو ابن أربع عشرة سنة، ثم ذهب إلى الحج والتقى بمشايخ الحرمين الشريفين فأعجبوا بسعة حفظه، ثم رجع إلى الهند وصنف ودرس وعاد إلى الحجاز، والتقى بعلماء آخرين، وألف رسائل فقهية هناك وأجاب على بعض أسئلة السائلين، ثم رجع إلى الهند، وألف رسائل وجلس للإفتاء.

- كان متشددًا جدًا، ومعارضًا شديدًا لمخالفيه، وأكثر العلماء تكفيرًا لمن خالفه، وأصبح زعيم التكفيريين في الهند، ولم يكن متسامحًا مع أحد، وكفّر من لا يوافقه على عقيدته وتحقيقه، وكان ضد أي حركة إصلاحية،

(١) عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ٤٢ . مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية ج٢ص ٦٠٠ .

وفي سنة ١٣١١هـ، الموافق ١٨٨٣م، انعقدت ندوة حضرها مجموعة كبيرة من علماء الدين الهنود بقصد توحيد كلمة المسلمين، وإصلاح ذات البين بين علماء الطوائف، وحضرها أحمد رضا، وخرج منها وقرر محاربتها وأصدر صحيفة أسماها «التحفة الحنفية لمعارضة ندوة العلماء»، تلك الندوة التي أنتجت جامعة ندوة العلماء في لكنؤ.

- لم يكتف هذا الرجل بتكفير ندوة العلماء، وألف مئة كتاب ورسالة في الرد على علماء لكنؤ، وذهب إلى علماء آخرين في عموم الهند واستصدر منهم آراء وضمنها كتاب أسماه «إلجام السنة لأهل الفتنة»، ثم عمد إلى تكفير علماء ديوبند أمثال: الإمام محمد قاسم النانوتوي، والعلامة رشيد أحمد الكنكوهي، والشيخ خليل أحمد السهارنفوري، ومولانا أشرف علي التهانوي، ونص على كفرهم، وقال «من شك في كفرهم وعذابهم فقد كفر» .

- كان كثير المطالعة والتأليف، فقد قيل أنه ألف خمسمئة رسالة وكتاب، وأكبرها «الفتاوى الرضوية» في عدة مجلدات، وكان شديد المعارضة، ومعجب بنفسه وعلمه، قليل الاعتراف بمعاصريه ومخالفيه، شديد العناد والتمسك برأيه،. ومع ذلك كان له باع طويل في الرياضة والهيئة والنجوم والتوقيت، وله ديوان شعر فيه قليل أغلبه في الوعظ والمدائح النبوية والأدعية. قال في قصيدة له:

الحمد للمتوحّدِ
بجلاله المتفرّدِ
وصلاة مولانا على
خير الأنام محمدِ
والآل أمطارِ الندى
والصّحب سُحْب عوائدِ
لا هُمَّ قد هجم العدا
من كل شأوٍ أبعد
في خيلهم ورجالهم
معْ كل عادٍ معتدِ
اللهُ مولانا ولا
مولى لعاثٍ معتدِ
قُرآننا قربانُنا
واللهُ أقربُ شاهدِ

- وله قصيدة بعنوان «رن الحمام» يقول فيها:

رنَّ الحمام على شجون البان
يا ما أميلحَ ذكْرَ بيض البانِ
تبكي دمًا وتقول في أسجاعها
الله يُضحك سنَّ من أبكاني
سَحَرَتْنِيَ العَينا بلحظة طرفها
مَن لي برُقْيةِ سامرٍ فتّانِ

ولَّـت ومـا والـت فـوالـت عبرتي
لـمَ لا أهـيـم إذا الحـبـيـب جفاني
يـا أهـلَ سـهـلِ أسْـهـلـوا بخيامكم
وذروا أنـا الأحـــزان لـلأحـزانِ
بـه يـا رضَـا يـا بـنَ الـكـرام الأتقيا
يـا عـرسَ دوحِ الـعـلـمِ والإتـقـانِ

• توفي الشيخ سيد محمد عمر الحسيني القادري، وكان عالمًا كبيرًا وله مكانة كبيرة عن العلماء وعند الناس، فأنشد شاعرنا قصيدة في رثائه يقول فيها:

ألا سقى اللـهُ قـبـرًا صـوبَ غـاديـةٍ
وجـاد بـالجـودِ جـودًا وهـو هـمّـارُ
قـبـرًا ثـوى بـثـواب الـلـه فـيـه عمر
مـعـمـور نـور الـهـدى لـلـديـن عـمّـارُ
نجـلٌ لـغـوثِ الـبـرايـا سـيـد سـنـدٌ
بـالـغـوث مـعـتـرفٌ بـالـغـيـبِ مِـدرارُ
بـاللـطـفِ معتصمٌ بـالـرأف مبتسمٌ
بـالـعُـرفِ مـتـسمٌ بـالـعَـرف مِعطارُ
سـر أسـرّ لـه فـي الـسـر أسـرارُ
بـرٌّ أبـرَّ لـه فـي الـبـر أبـرارُ
ربـح لآل هـدى حـربٌ لآل رجـى
بـحـرٌ لـسـيـلِ نـدى حـبـرٌ بـل أحـبـارُ
عـلـمٌ وحـلـمٌ وسـلـمٌ فـي تـقـى ونقى
سـيـادة سُـؤدد فـضـل وإيـثـارُ
بـقـدرة الـلـه تمـت قـادريـتـه
فـزادهـا الـقـدرُ والمـقـدار أقـدارُ
وعـاد حـبـه حـب الحـب فـي خـلـده
كـجـنـة الخـلـدِ أزهـارٌ وأنـوارُ
حَـمـاهُ عـن كـلِّ ضـيـر مـن يـقـال له
حـامـي الحـقـيـقـة نـفّـاعٌ وضـرّارُ

• قصيدة تلاعب الشاعر فيها بالألفاظ ليبين قدرته على النظم، والمعرفة اللفظية والأسلوبية، فهو شاعر متمكن، استعمل خياله ليصنع صورًا فنية متراكبة من ألفاظ متقاربة، مع الحفاظ على البحر العروضي، والقافية الموحدة، وظهرت موسيقاه في السجع والمحسنات البديعة.

• شعره فيه سهولة وبساطة في التعبير، ولا يتعمق في المعاني، وصوره الفنية بسيطة وقليلة، وهو واضح التعبير، استخدم الألفاظ السهلة والمعاني القريبة من قلبه، ربما كان للتعصب والتزمت دور في نظم الشعر، فشعره قليل، ولكن تراكيبه سهلة ميسورة، ومع هذا التشدد إلا أن له شعر رقيق، ربما داعب قلبه، وأخرج ألفاظًا مختلفة عن التزمت والتشدد في الفقه والأصول.

****

أحمد شهاب الدين البيشاوري

١٢٦٠ - ١٣٤٩هـ / ١٨٤٤ - ١٩٣٠م

- هو السيد أحمد بن شهاب الدين أجاق[١]، ولد في بيشاور سنة ١٢٦٠هـ، الموافق ١٨٤٤م، تلقى علومه الأولى في بلدته، ثم دروسًا مختلفة من الفقه والتفسير والعلوم الدينية، وتعلم الفارسية والعربية على يد الملا هادي السبزواري، وبعدها عمل في التدريس، وتنقل بين الهند وأفغانستان وإيران.

- للشاعر سيد أحمد ديوان باللغة الفارسية يحتوي على آلاف من أبيات الشعر الفارسي، كما له مئات من أبيات الشعر العربي، وهو شاعر متمكن من اللغتين، ولديه قدرة كبيرة على الاختيار اللفظي، والبحور التقليدية، هو شاعر تقليدي، يستعمل البحور العربية القديمة، وقوافي مختلفة.

- له قصيدة غزلية، ينحو بها طريقة شعراء العصر العباسي والأموي في التشبيب، يقول فيها:

لمنِ المُتيّمُ في الهوى يَتَفجَّعُ
فإليكَ منكَ المشتكى والمفزعُ
بيضاءُ تُبغضني وتَقلي حلتي
وأحبُّها وأحبُّ ما هي تصنعُ
لم يَفْشُ في الأوطانِ كامنُ سِرِّه
لولا يَنُمُّ على العميدِ الأدمعُ
فبما أذود العينَ عنكَ فإنها
أبدًا إليكَ زمام نفسيَ ينزعُ
يا غُصنةَ التفاحِ ليني لحظةً
فمُنايَ منك ثلاثةٌ أو أربعُ
أنا في غمارِ الشجو يُغرقني الهوى
والعاذلي بالعَبرتينِ يُشنِّعُ
فليصرمِ الأدوارَ أو فليجْرِ في
حركاتها فَصْدًا وإلّا أجزَعُ
أعيا الأُساةَ جراحةٌ لفؤاده
نَجْلاً ومهما آسها تتوسَّعُ
فبما أُسلّي القلبَ عنكَ فإنهُ
طَلقٌ جَموحٌ في الهوى لا يَظْلعُ
مَحَّضْتُهُ نُصحًا فقالَ مُجاوبًا
ألمن تقولُ فإنني لا أسمعُ
صلْ أحي أو أقطعْ أمتْ في حسرةٍ
فإليكَ أمري - يا فديتُكَ - أجمعُ
إنّي لأجبُنُ إذ يُنازعني الهوى
وإذا يُناضلني الكُماةُ فأسجعُ
قد ساقني نحو الحمى فإذا بدتْ
بالجانب الشرقيِّ منك الأربُعُ
فثَوى هنالك ثم قالَ مُغَاضبًا
أنا ساكنٌ هَنَّا فَرُحْ لو ترجعُ

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم شعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٣: ٦٣٦.

وأفنيتُ ما لي في الوصالِ وسيلةً
إلا الهوى وهي الشفيعُ الأشفعُ
لو كان بيني والهوى لُجَجُ اللظى
غمَّرْتني فيها ولا أتكعكعُ
فلْيَلْمحِ الفلقُ المنيرُ بلحظةٍ
فإلامَ في غسق الغياهبِ أجزعُ

• قصيدة رائعة، وفن جميل، وأسلوب راقٍ ينظمه هذا الشاعر المفلق، المعبر عن الحب الكامن في أعماقه، أطلق العنان لخياله، وأبرز فنه الشعري على أفضل ما يكون النظم الغزلي، وله قصيدة أخرى في مدح رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم –، يقول فيها:

تهلّلَ المُزنُ عن نوْءٍ سماكيٍّ
فاصبِحْ نداماكَ بالرطلِ العراقيِّ
دُر بالزجاجِ فقد ناحَ الصباحُ على الـ
ـليلِ الدَّجوجيّ بالصوتِ الدَّجاجيِّ
كأنهُ أشهبٌ قد كان جُلِّلَ في الـ
ـمُمَسَّكِ اللُّحمَةِ المسْوَدِّ الأسْديِّ
فجاءَ فارسُهُ حتى يُسَرِّجهُ
فاستلَّهُ عن صفيقِ النَّسْجِ مِسكيِّ
فلاحَ مصقولُ مسلولٍ يمانيّةٍ
مثلَ السنانِ على رأس الرُّدَينيِّ
فَضَوَّأ الليلُ للساري وأبصرَتِ الـ
ـعشواءُ قصدًا سويًّا غيرَ مَلْويِّ
كأنَّ إبريقها غَيمُ الربيعِ علا
فانشَقَّ في الصَّبِّ عن برقٍ يمانيِّ
وقد يُرى برقُها النجديَّ من كَثَبٍ
والبدرُ ممتحِقٌ وجهَ التهاميِّ
تخالُ منها حريقَ النارِ قد سَطَعا
وما تمرَّسَ بالجِرْمِ النُّحاسيِّ
يظلُّ من كانَ مغشيًّا عليهِ بها
فَيخْطَفُ البرقُ منها سُكْرَ مغشيِّ
لم يحتجب خارج البيتِ الظَّليل على
نواظرِ الشَّربِ منها جِسمُ مَرئيِّ
من كَفِّ لؤلؤةٍ ما كَنَّها صدفٌ
في مخزنِ الحلقِ من قَطْرٍ سَحابيِّ
قد صادف النظرُ البدريُّ منه على
مُستَقْوِسِ الخَطِّ في وجهٍ كَدُرِّيِّ
فلم يزل يتمنى البدرُ مذ زمنٍ
أن لم يكن فاقدَ الشكلِ الهلاليِّ
مَجلُوَّةٌ أبدعَتْ صنعًا عَوارضُهُ
وما جَلاها بمسواكٍ أراكيِّ
فهل سمعتَ بياقوتٍ تفتَّق من
جُمانةِ البحرِ أو نَوْرِ الأقاحيِّ
كأنَّ منه خيالاً بالخيالِ أتى
فشدَّني في حبالِ السبي من حيِّ
سَخِّنْ بها بَرْدَ ليلٍ قد عُريتُ به
يا من يُشابِهُ ساقًا ساقَ برديِّ

زُمَّـتْ جِـمـالُـهـمُ ضّـمَّـت رِحـالُـهـم
مـن فـوقِ مَـهْـريّـةٍ مـنـها ومَـهْـريِّ
زانـوا كـزَيْـنِ أنـاسٍ يـومَ عـيـدِهـمُ
ظُـهـورَ عـيـديّـةٍ مـنـها وعـيـدِيِّ

• أشـار الـشـاعـر إلـى رحـلـة الإسـراء والمـعـراج دون أن يذكرهما، ويحدث عن رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - دون ذكرهم، فـلأول مـرةٍ يكون المديح دون أسماء، بل وردت بعض الصفات الغامضة، واستعمل التورية في نظمه، وأشعل نار خياله وأبرز مبتغاه بكلمات غير صريحة، وبأسلوب عبقري فني بلاغي مفهوم وغير ذلك، فكيف تسنى له تلك الجمل والعبارات التي تعني كل شيء عن الإسراء من غير أن يفصح، بكلمات مباشرة إلى الحدث.

• وللشاعر العبقري قصيدة أخرى، لا تقل غرابة وحنكة فنية بلاغية عن سابقتها، يقول فيها:

قد صحتُ من عجبٍ رأيتُ فصيحوا
رشـأً يـُـكـلِّـمُ والـكـلامُ فصيـحُ
أوَليسَ يُعجِبُ ريمٌ «وجْـرَةَ» ناطقًا
ونـسـيـبُ شـعـرٍ صـاغـهُ ومـديـحُ
يبدي على العشّاق سرّ ضميرهم
فـي لحـنِهِ الـتـعـريـضُ والـتـصـريـح
قد قلتُ حين سمعتُ منهُ كلامَه
أغـذاءُ ذا الـرّشـأ الأغـنّ الشّـيـحُ
بـل قـد غَـذَتـهُ بمـا جَـنـتـهُ بكفِّها
حـوراءُ فـي روضِ الجـنـانِ تـروحُ
روحٌ تمـثَّـلَ نـافـخًـا فـي جيبها
فـاتـت بمـا وضـعـتـهُ وهـو مسيـحُ
أقصِر فقد شغلَ الفؤادَ عن الهوى
داءٌ عـيـاءٌ ضُـمِّـنَـتْهُ جُـنـوحُ
إن تَكْتُمَنْهُ كتَمتَ نـارًا في الحشا
أو تُـبْـدِيَـنْـهُ فـبـالـهـلاكِ تَـبـوحُ
فـكـانَ قـلـبُـكَ قـد تجـزّأ مـن جَـوًى
فـي كـلِّ جُـزءٍ قـد سـرى تـبـريـحُ
تُلْفي إذا مـا الـلـيلُ يُـلْـقي سِـدْلَـه
منـها الحَـمـائـمُ فـي حـشـاكَ تـنـوحُ
مـا كُـنَّ يـنـدُبْـنَ الـهـديـلَ وإنمـا
شـجـوٌ عـظـيـمٌ نـابـهـنَّ صـريـحُ
مـن أجـلِ هـذا فـي الـفـؤادِ مـنـاحـةٌ
فـي كـلِّ لـيـلٍ والـفـؤادُ جـريـحُ
لا تَـطْـمَـعَـنْ إروادَ دهـرٍ إنَّـه
إلّا عـلـى الـقـومِ الـلـئـامِ جَـمـوحُ
فَلْتحْبِسِ الأجفانَ أن يُذْرى على الـ
ـخـديـنِ مـنـك دمـوعـهُـنَّ سُـفـوحُ
يـا قـلـبُ لـم أعـهـدكَ فيما قد مضى
مـن ريْـبَـةٍ خِـلـوًا وأنـتَ صـحـيـحُ

• شاعر غير تقليدي، وإن تبع الشعر العربي القديم، من بحر عروضي وقافية ذلل، ولكن فكره، وخياله الواسع أوجد قصيدًا غير تقليدي، صنع من خيالة صورًا فنية

بلاغية غير تقليدية، واستطاع أنسنة الجمادات كالزهور وغيرها، وأنطق المعقولات وغير المعقولات، وأتى بما لم يؤد أحد من الشعراء، واستخدم النمط القديم، مثل سائر الشعراء، ولكنه اختلف معهم في طريقة صناعة الأبيات.

- كان أسلوبه جيد في سبك الكلمات المعبرة عن الفكرة بجانب بعضها، فلم يصرح بما فيها من أفكار تبدو غامضة، ولكنها جلية لمن فهم النص، وكان سبكه عظيمًا للأبيات، ومتناسقًا بين اللفظ والمعنى، أما الجرس الموسيقي فقد بدا واضحًا من خلال الموسيقا الداخلية والخارجية، وكان عماد ذلك السجع والمحسنات البديعية، وتوافق الألفاظ مع بعضها.

- ثقافة الشاعر سيد أحمد عميقة الجذور، قرأ الفقه والأدب، ووازن بين الفلسفة والتاريخ، واعتمد على الروايات، ولكنه لم يذكرها، وترك الفهم للقارئ، ليعرف الفكرة، وحولياتها، فأسقط الفهم المباشر، وترك الطريق للعلماء والمثقفين لرؤية الأفكار التي نظم بها القصيدة، وكان الغزل والنسيب ما يميز قصائده في البدايات خاصة، ويتسلسل إلى الفكرة دون المباغتة في الطرح، وهو شاعر غلب عليه الفكر الحر، والخيال الخصب، والثقافة العميقة.

****

أحمد عبدالقادر الكوكني

١٢٧٢ - ١٣٢٠هـ / ١٨٥٥ - ١٩٠٢م

- العلامة الشيخ أحمد بن عبدالقادر الشافعي الكوكني[1]، قيل: إن جماعة من قريش خرجت من المدينة المنورة في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي، خوفًا منه، وركبت الجماعة البحر فوصلت إلى ساحل بحر الهند (المحيط الهندي)، الساحل الغربي للهند، وسكن بعض أفرادها مدينة كوكن، وهي مدينة على الساحل الجنوبي الغربي للهند، فنسبوا إليها، وعرفوا بالنوائط.

- ولد الشيخ أحمد في النصف من شعبان سنة اثنتين وسبعين ومئتين وألف (١٢٧٢هـ)، الموافق ١٨٥٥م، وأسماه والده على اسم أحد السادة الحضارمة، وكان يسكن عند أبيه، قرأ القرآن منذ الصغر فظهرت عليه الفطنة والذكاء، وكان معروفًا بالكرم والسخاء، درس على يد الشيخ آدم الدهشني، ومختصرات الفقه على يد الشيخ محمد علي الكوكني، وغيره من العلماء، وطلب العلم والمعرفة حتى تفوق على قرنائه، وقرأ المنطق والحكمة، والأصول وعلم الكلام، والطب على يد الشيخ عبدالله

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج٨ ص ٢٢. معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج٢ ص ٧٦٥. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١٠٦.

البدايوني، والقاضي محمد علي المهري الشافعي، والشيخ عبدالحميد باعكظة الخطيب، وغيرهم كثير من العلماء في عصره.

- اشتد عليه مرض في ظهره، فكان يعاني منه كثيرًا، وكان جلوسه وقيامه والمشي صعب عليه، مع ذلك كان يقابل الناس بالابتسام، ويقابلهم بالخلق الحسن، والروح الطيبة، ويتحمل التدريس والنصائح، وشهد بفضله بعض العلماء ومنهم السيد علوي السقاف، شيخ السادة العلويين في الحرم الشريف، وقال عنه: لو لم يكن لنا قصد في دخول الهند والخروج من مكة إلا زيارة الكوكني لكفى ذلك.

- يتمتع الشاعر بقوة التعبير، وسلاسة الألفاظ، وجودة التراكيب، فقد نظم كثيرًا من القصائد في موضوعات شتى، ففي قصيدة نبوية ينحو بها نحو بردة البوصيري، يقول فيها:

يا شوقُ بَلّغ إلى جيرانِ ذي سلمِ
سلامَ صبٍّ سليم الهمِّ والألمِ
واستمطرنْ من ندى ألطافهم شَبِمًا
يُطفي لظى لاعجٍ في القلب مضطرِم
وقل لهم أرسلوا طيفًا فطيفُهمُ
روح المحبين يُحيي ميِّت النسم
من لي به وسهادي ظلَّ يمنعهُ
أو بالكرى وهو مدفوعٌ ببينهم
لولاهمُ ما كلأتُ الليل مكتئبًا
أرعى النجوم حليفَ الوجد والسَّقم
ولا جرى دمعُ عيني كالعقيق على
ذكر العقيق وذكر البانِ والعلَم
لولا اضطرابُ فؤادي من مَياسِمهم
ما زاده خفقانًا بارقُ الظُّلم
ولا صبا القلب أو هاج البكا وصَبًا
إن هبَّ ريحُ جرت من رقمتَيْ إضَمِ
يا لائمي وشرابُ الحبِّ أسكرني
لو ذقتَ لذّةَ كأسِ الحبِّ لم تلم
ألستَ تعلم أنَّ العذل في مهج الـ
ـعشاقِ يفعلَ فعل الزيت في الضَّرَمِ
أعان شوقي جوًى قد شبَّ في كبدي
وخانني في الهوى صبري ومعتزمي
هوًى سرى في دمي قِدْمًا فلا عجبٌ
إن ضنّ عيني بدمعي وهو عين دمي
والدّهرُ لم يكفهِ أني الجريح بهِ
حتى رماني بداءٍ غيرِ منحسم
لم يصفُ لي مَشربٌ في عيشتي أبدًا
فمِّمَ عُوفيتُ بالآلام والنِّقم
ضاعت بضاعتيَ المزجاةُ صفوتُها
وما اكتسبتُ سوى حِمْلٍ من التّهم
يا ليت شعري لِمَ الخلّاقُ أنشأني
ألتَّحسُّرِ والآلام والندم
هبني ذنوبيَ قد جَمَّتْ أليس لها
من الرسولِ شفيعٌ رحمة الأمم
محمدٌ بهجةُ الدارين نورهما
سرُّ الوجود وعين الجودِ الكرمِ

• أليست هذه قصيدة رائعة تعادل قصيدة «البردة» للبوصيري، فكل هذه العبارات والألفاظ الموحية، والأسلوب الرائع في مدح رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - والصور البلاغية قد أتت في مكانها الصحيح فجملت الأبيات، وأعطتها رونقًا جميلاً ومعبرًا.

• عندما بلغ الشاعر الأربعين من العمر، وبرز انتشار الشيب في رأسه شعر بأن فترة الشباب قد ولت، ودخل في الشيخوخة، وكأنه يحاكي العباسي صالح بن عبدالقدوس في قوله:

ذهب الشبابُ فما له من رجعةٍ
وأتى المشيبُ فأين منه المهربُ؟

• وشاعرنا يتمثل تلك الأبيات، ويحاول أن يصف حاله في هذه الدنيا، وما يقاسيه فيها، فيقول:

تَوَلّى شبابُ العمر والرأس أشيبُ
عليه سلامي كلما جنَّ غيهبُ
مضت من سنيك الأربعون مشيعةً
فيا خيبةَ الآمال إذ لاتَ مكسبُ
نشرتَ من الأسباب والحرصُ غالبٌ
بساطًا طواه القدر والقدرُ أغالبُ
مضت في هموم أشمئزُّ لذكرها
فهل من بقايا العمر لي بعد مرغبُ
جناحيَ قد قُصَّت ورجلي تقيَّدتْ
وما لامرئٍ عما قضى الله مهربُ
أحنُّ إلى دار الحبيب ودونها
ألوفُ جبالٍ دونها الشمُّ أقربُ
وبالي وبَالي منذ حالي تَحوّلت
وعقلي عِقالي منذ ذا القلب قُلَّبُ
عتبتُ الليالي في معاناتيَ الجوى
وأنت خبيرٌ أنها ليس تعتبُ
أردت من الأيام ما ليس عندها
مُدامٌ بلا غشٍّ وخِلٌّ مهذّبُ
لحا الله ذي الدنيا دماءٌ طلابها
لها مشربٌ عذبٌ فيا بئسَ مشربُ
إلامَ أقاسي من زماني شدائدًا
وحتى متى يمتدُّ لي ذا التقلُّبُ
وتبعد عني كالثريّا مطالبي
ويقرب مني كلُّ ما لستُ أطلبُ
يُساورني دهري فهل أنا قُوتهُ
تَساوُرَ صقرٍ بلبلاً وهو يُطربُ
كأنَّ بني حواءَ أمثال لعبةٍ
عليها بناتُ الدهر تلهو وتلعبُ
وقد ضاقَ صدري من همومٍ تراجعت
على أنها من وسعة الدهرِ أرحبُ
تسلسل أمراض ودور نقائصٍ
وعكس أمانٍ حيثُ يصدق يكذبُ
ولي من زمان وامتداد زمانتي
حياةٌ غدت ثقلاً بها الظهرُ أرحبُ
على فرشٍ ذات القتاد تقلّبي
ونار الغضَا بين الجوانح تلهبُ

أحـــاولُ تـعـديـلَ المـــزاج ودونــه
تـغـالب ميل الطلع والطبع أغلبُ
وقـد زعـمـوا المـرطـوبُ يكثر نومُه
فما بـال عيني وهـي بالدمع أرطبُ
ولــو عــرض لـم يـبـق دون محـلـه
فـأين سقامي حلَّ والجسم أغيبُ

• بعد هذا الوصف لحاله، ومرضه يقول:

وقــال طـبـيـبـي مـا لـدائِـكَ حيلةٌ
خـلا عـنـد قـانـون الشفاء المجربُ
فلو كـان ربـي عـاجـزًا كنتُ واجمًا
وجـوم مـنـادي الـلات حـين يخيبُ
ولـكـنَّ ربّـي قـال ادعــونِ أستجب
فَـأدعـوه حـتـى يـسـتـجـيبَ وأنـدبُ
ولـسـتُ بـيـعـقـوبٍ فـأصـبرُ صبرَهُ
ولـو كـنـتُ أيـوبًـا لـمـا كـنـت أنـحـبُ

• هذه هي اللوعة والألم من مرض لم يجد له دواء، فيضرع إلى الله أن يشفيه مما به، وليس له حيلة إلا التوجه إلى العلي القدير لإنقاذه من مرضه، ولكن الشاعر غلب عليه الوجع وتوفي في مرضه هذا.

• هل يشك نقاد الأدب العربي في شاعرية هذا الشاعر الهندي؟! لقد عبر الشاعر عن صدق محبته لعلماء الهند، فهو يتأثر كثيرًا عندما يخطف الموت أحدهم، ونراه يعبر بلوعة من الحزن والأسى بكلمات وأسلوب قوي عن تلك المحبة، وصدق مشاعره تجاههم، فلما انتقل إلى الرفيق الأعلى أحد مشايخه نظم قصيدة ضمنها مكانة ذاك العالم، وبفقده ضاع جزءًا من العلم، يقول فيها:

الـلـهُ أكـبـر كـادَ الخـيـر يـنـعـدمُ
فالموتُ أفضل ما في الخلق يخترمُ
كـلا ولا حـي يـنـجـو مـن مـخـالـبِهِ
سيـانِ عـنـدَ المـنـايـا الـقـرمُ والـقـزمُ
ما لي أرى الأرضَ تبقى وهي تنقصُها
جُـزرٌ ومـد لـبـحـر الـهـول مُـلـتـطمُ
أرى الـلـيـالـيَ والأيـــامَ سَـوّدهـا
سـودُ الـنـوائـب حتى بِيضُها ظُلَمُ
يا ماشيًا فوق وجه الأرض ذا مَيَلٍ
مـا تـحـت رجـلـك إلّا أعـظـمٌ رِمَمُ
يـا ظـامئًـا ليس يـروي ظَـمْـأهُ شَبِمٌ
لـقـد وردْتَ سـرابًـا وهـو مضطرمُ
كن حيث شئتَ فلا تنفكُّ من حُـرَقٍ
مـادام روحـك فـي الأعـضـاء تحتدمُ
لـحـا المـهـيـمنُ ذي الـدنـيـا وطالبَها
فـي بـعـدهـا نـكـدٌ فـي قـربـهـا تُـهَـمُ
والـعـمـرُ لـحـظـةُ عـيـنٍ لا قـرارَ لها
ومـا مضى مثل ما لـم يمضِ مغدم

جئنا بُكيًّا ورحنا حاسرين على الـــ
ـــهاماتِ يُلقى عليها التُّرب والرُّجُم
وللـزمـان غـلـوٌّ فـي تـلاعـبـهِ
يبني فيهدم ما يبنيه أو يضم
أين الصناديدُ من فُرسٍ ومن عربٍ
لم ينجُ دارا ولا صخرٌ ولا هَرِم
أين الذي شيّد الأهرام يحسبها
تحميه من مُهرماتِ دونها حُطَم
سل هل تنبِّئُ عن أنبائها سبأً
أو هل تخبِّرُ عن آرامها إرم
وليسألِ القلعةَ الحمراء طارقُها
كم من دموعٍ جرت فيها وطُلَّ دم
عفا الديارَ ديار العلم قاطبةً
قحطُ الرجال وأيمُ اللهِ قد عدموا
في غُدوةٍ شفعت صبحَ القيامة من
نعيٍ تَزلزلَ منه الشُّمَّ الأكَمُ
رزءٌ تدارك منه الدين منسلمًا
وقد وهت عروةُ الإسلام تنفصمُ

• في سنة ١٨٨٣م انعقدت ندوة لمعظم علماء المسلمين في الهند، وكانت أهداف الندوة توحيد صف المسلمين بين جميع الطوائف، واحترام بعضهم لبعض، ونتج عن هذه الندوة قيام جامعة ندوة العلماء، التي مقرها مدينة لكنؤ، وشاعرنا كان من المتحمسين للإصلاحيين، فنظم قصيدة لندوة العلماء يقول فيها:

عفا ديارَ علوم الدين قاطبةً
نسجُ الدبور وأرياحٌ جرت نِقَما
يا للمدارس أضحت وهي دارسةٌ
يا للمكاتب تبكي العلم والعُلَما
أما سمعتم بكاها وهي صارخةٌ
صراخَ ثكلى على مولودها اخترما
هذي المشاعر ضيمُ الدهر عطّلها
وردَّ واردها غيظًا وما كظما
هذي الشعائر لم تُبقِ الصروفُ بها
مقدارَ عُشْر العشير الوزنَ والقيما
وارحمتاه لأرض الدين ينقصها
ريبُ المنون ممدًّا سيلَها العَرِما
وارحمتاه لدينٍ قلَّ عصبته
من كل حامٍ حماه راسخٍ قدما
وارحمتاه لدين لات عدته
فمد بالنهب أيدي عصبها الخصما
وارحمتاه لدين قلَّ نادبه
وا للرجال وواسيفاه وا قلما
يا للبقية صونوا الدين تنتصروا
لصونكم ويرّد المجد والحَشما

إنّــي مـحـذركـم مـن وقـع واقـعـةٍ
يمسي الوليدُ لديها هيبة هرما
ألا خــذوا حـذركـم فـي كـل آونـةٍ
فما اتقى النار إلّا كيِّس حزما
ووثـقـوا عـروة الإســلام أوهـنـها
تـفـرق فـيـكـم قـد حـلَّ مـخـترمـا
هـذي خـلافـاتكـم كـم شخصت بكم
وسفهت عرب الإسـلام والعجما
ألـيـس أكـمـل هــذا الـديـن ربكـم
أمـا أتمَّ عليكم فضله النعما
يا ليت شعري ففيما ذا اختصامكم
ومـا الـذي بـعـده تـرضـونـه حكما
كم ذا التـنـازعُ ريـح الـعز أذهبها
كم ذا التشاجرُ ريحًا أثمرَ السدما
كم ذي الفتاوى وكم تكفير إخوتكم
كـم ذا الشـتـائـم واذلاه واندمـا
هـذا الـذي فـتـر الإســلام نهضته
هـذا الـذي قصر الإعـزام والهمما
هـذا الــذي حـيـر الأحـــرار تـرقـيـة
هـذا الـذي غير الأخـلاق والشيما
اللـهَ اللـهَ كـونـوا أصـدقـاء كما
كـانـت مـعـاشـرة أسـلافـنـا الـقـدمـا
اللـهَ اللـهَ إن كـنـتـم لـهـم خـلفًا
فتبايعوهم مع الإحسان لا جرما
وثـقـفـوا أود الأحـاديـث تـربـيـة
حتى تقوم بهم شوق الكمال نمى
ضيعتموهم إذا الأقـوام غيركم
حازوا الفنون وفاقوا في النهى حكما
غـدًا سـيـسـألُ كـل عـن رعـيـتـه
فـمـا جـوابـكـم يـا مـعشر العلما

- بعد فشل ثورة الهند ضد الاستعمار البريطاني سنة ١٨٥٧م، وجد المسلمون أنفسهم في ضياع وتفرق، وتفشت بينهم الخلافات بين الطوائف فجاءت ندوة العلماء لتوحد الصفوف، وتنبذ الخلافات، وتضع منهجًا يساير العصر ولا يتخلى عن ثوابت الإسلام، أو يتخلى عن الشريعة الإسلامية فظهرت جامعات وكليات تخدم الدين الإسلامي، وفي الوقت نفسه تدرس العلوم الحديثة.

- تأثر الشاعر باللغة العربية وبشعراء العرب الكبار، وسار على نهجهم، وطريقة بناء القصيدة العربية، فظهر في قصائده أثر القرآن الكريم والشعر العربي من خلال تتبع ألفاظه وأساليبه اللغوية، وكان بحق مسايرًا للشعر العربي، وإن كان بعيدًا عن الوطن العربي، ولكنه حفظ أشعار العرب، ففاض بكل هذه القصائد الرائعة.

****

أحمد محمد التهانيسري

٧٣٢ - ٨٢٠هـ / ١٣٣١ - ١٤١٧م

• هو أحمد بن محمد التهانيسري[١]، أحد شعراء الهند المفلقين، ولد في دلهي، حوالي سنة ٧٣٢هـ، الموافق ١٣٣١م، وتعلم العلوم الإسلامية واللغة العربية، وهو أحد تلاميذ القاضي عبدالمقتدر الشريحي الكندي الدهلوي (٧٠١ - ٧٩١هـ) أحد شعراء الهند البارزين، ولازم الشيخ عبدالمقتدر فترة من الزمن حتى صار نسخة أخرى منه، في التضلع في العلوم العربية والدينية، وتعلم شاعرنا الفقه والأصول واللغة العربية، وأخذ الطريقة الصوفية عن الشيخ نصير الدين محمود الأودي، وخرج من دلهي في فتنة الأمير تيمور سنة ٨٠١هـ، وكان الأمير تيمور يريد استصحابه إلى سمرقند، فأبى وذهب إلى كالبي، واستقر هناك إلى وفاته سنة ٨٢٠هـ، الموافق حوالي ١٤١٧م.

• هو شاعر متمكن من إجادة الشعر العربي الفصيح، يستخدم ألفاظ الشعراء العرب الأقدمين، ويسير على منوال الشعراء الذين مدحوا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - فهو تلميذ عبدالمقتدر الدهلوي، صاحب لامية الهند المشهورة، وقصيدته الدالية المحتوية على واحد وأربعين بيتًا من الشعر العربي تدل على مقدرته الفائقة في نظم الشعر العربي، ألفاظها وتراكيبها وأساليبها في قمة الرقي اللفظي، فلا فيها حشو الكلام، ولا وحشي اللفظ، ولم يستعمل النادر في الألفاظ، لذا فقد نظم تلك القصيدة في مدح رسول الله إذ يقول فيها:

أطارَ لبِّي حنينُ الطائرِ الغردِ
وهاجَ لوعةَ قلبي التائه الكمدِ
وأذكَرتني عهودًا بالحِمى سلفت
حمامةٌ صدحت من لاعج الكبدِ
باتت تؤرِّقني والقوم قد هجعوا
ما بين مضطجعٍ منهم ومستندِ
ما زار طرفيَ غمض بعد بُعدكمُ
ولا خيال سرور دار في خلدي
ليت الهوى لم يكن بيني وبينكم
وليت حبلَ ودادي غيرُ منعقدِ
كانت مواسمُ أيامٍ وغرتها
ولت سراعًا على ولم تعدِ
عشنا بها وعيون البين راقدة
والقلب في جذل والدهر في رقد
والهم منصدِعٌ والكرب مندفعٌ
والجِد مرتفع كالأنجم السعد
والشعب ملتئم والعهد منهزم
والشمل منتظم لم يرم بالبدد
حتى استهل غراب البين فارتحلوا
عند الصباح وشدوا العيس بالقتدِ

(١) عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٣ ص ٦. جمال الدين الفاروقي، أعلام المؤلفين بالعربية ص ٤٥. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ١٦١.

من كلِّ هوجاء مِرقالٍ عَذافرةٍ
خطَّاب مفصلة وضَّاع مكرمة

تبدي النشاط على الإعياء والنجد
دفَّاع مظلمة عن كلِّ مضطهدِ

كأنه لم يكن بين الحمى أنس
العدلُ سيرتهُ والفضلُ طينتهُ

إلى اللوى وكأن الحي لم يفد
والبذلُ شيمته في الوجد والوبدِ

صاروا أحاديثَ تروى بعدما ملأوا
يا أفضلَ الناس من ماض ومؤتنف

مسامع الدهر بالألفاظ كالشهد
وأكرمَ الخلق من حُرٍّ ومن عبدِ

بقيتُ فردًا وراح الناسُ كلهم
أفديك بالروح والقلب المشوق معًا

كالسيف يبقى بلا أغماده الفرد
والنفس والمال والأهلين والولدِ

لا عيشَ بعد لَيلات اللوى رغدًا
قد عاقني البعد عن مرماي يا سكني

ولا وصول إلى ذاك الحمى يبدي
وطال شوقي إلى لقياك يا سندي

خَلِّ الأحاديثَ عن ليلى وجارتِها
ويا حياتي ويا روحي ويا جسدي

وارحل إلى السيد المختار من أدد
ويا فؤادي ويا ظهري ويا عضدي

وليس في الدين والدنيا وآخرتي
ما لي إليك بقطع البيد من قبلٍ

سوى جنابِ رسول الله معتمدي
وليس لي باصطبار عنك من مدد

برٍّ رؤوفٍ رحيمٍ سيدٍ سندٍ
وهل تَخِبّ بنا خوصٌ مرجمةٌ

سهل الفناء رحيب الباع والصفد
نحو الحجاز ونحو البان والنجد

رب الندى والجِدى والصالحات معًا
وهل أسامر فيها أهلَها سحرًا

طفلاً وكهلاً وفي شبّ وفي مرد
وهل أجرُّ بها الأذيال من بُرَد

بالعلم مكتنفٌ بالحلم متصفٌ
أرجو الوفادة في أرضٍ حللتَ بها

باللطف ملتحفٌ بالبر متّسدِ
يا لهْفَ نفسي إذا ما كنت لم أفدِ

بالخلق مشتملٌ بالرفق مكتمل
عطفًا عليَّ ورفقًا بي ومكرمةً

بالحق متصلٌ بالصدق منفرد
فليس غيرك يا مولاي ملتحدي

بالشرع معتصمٌ للدين منتقم
واشفع إلى الله لي في أن يثبطني

في الله مجتهد بالله مقتصد
عن الهوى وذوي الدنيا وعن سدد

بالفقر مفتخر بالزهدِ مشتهرِ

بالشكرِ متزر بالحمدِ متزرِ

يـا ربِّ صـلّ وسـلـم دائـمًـا أبـدًا
عـلـى الـنـبـيّ نـبـي الـحـق والـرشـدِ
مـحـمـد أحـمـد الـهـادي لأمـتـه
إلـى الـصـراط صـراطٍ غـيرِ ملتحدِ
وصـحـبـه وذويـه الـطـاهـريـن ومـن
أحـبـهـم شـغـفًـا فـي الـغـيـب والـعـتـدِ
مـا لاح بـرقٌ ومـا سـحَّ الـغـمـامُ عـلى
رُبـى الـفـلا فـكـسـاهـا حـلـة الـقـتـدِ
وأعـبـق الـروض بـالأزهـار مونقة
ممـطـورة بـحـبـى فـي بـاكـر بـرد
ومـا تـغـرد غـرّيـد عـلـى فـنٍ
غـضّ الأرومَـةِ مُـخـضّـل وملتبد

- قصيدة طويلة رائعة تفنن بها هذا الشاعر في وصف رسول الله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم – وعبر عن شوقه بأرق الكلمات وأفضلها، ولم يترك شاردة ولا واردة في فكره وعقله إلا وسطرها في هذه القصيدة.

- لم أستطع الحصول على نماذج أخرى لقصائد شاعرنا، ولكن هذه القصيدة تنم عن مقدرة كبيرة في نظم الشعر، ويبدو أنه قد حفظ كثيرًا من الشعر العربي القديم، لذا انعكس ذلك في قصيدته هذه، وملازمته للشيخ عبدالمقتدر الدهلوي فترة من الزمن أكسبته معرفة كبيرة في اللفظ العربي وصياغة النظم دون معاضلة أو تقعر في الكلام، أو الغموض الذي يحيط ببعض القصائد العربية.

- اتبع الشاعر في نظم هذه القصيدة ما درج عليه شعراء العرب، وتلاميذهم من شعراء الهند، الذين تربوا على تقليد شعراء العرب الأقدمين؛ فمن النسيب إلى الرحلة إلى الممدوح، ثم طلب الشفاعة من رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

****

أحمد مصطفى الكوباموي

٠٠٠٠ – ١٢٣٤هـ / ٠٠٠٠ – ١٨١٨م

- هو الشيخ أحمد بن مصطفى بن خير الدين بن خير الله العمري الكوباموي[1]، ولد في مدينة كوبامؤ، ويعرف أيضًا بالقاضي أحمد المجتبى، ومشهور باسم مصطفى علي خان، كان من العلماء البارزين في المنطق والحكمة والشعر، قرأ العلم على يد مجموعة من العلماء، وحفظ القرآن في ريعان شبابه، وسافر إلى مدراس سنة ١٢٠٠هـ، الموافق ١٧٨٥م، وعمل في التدريس في مدرسة بمدراس، ثم عاد إلى بلدته ومارس التدريس في المدرسة نفسها، ثم غادر إلى مدراس سنة ١٢١١هـ، الموافق ١٧٩٦م، التي تأسست في كوبامؤ، وأخذ يتنقل بين مدراس وكوبامؤ،

(١) عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٧ ص ٣٦. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٣ ص ٢٣٥.

ولكن عندما توفي قاضي القضاة محمد مستعد خان المدراسي حل محله في القضاء.

• كان القاضي أحمد رجلاً وقورًا، وعالمًا صالحًا متواضعًا، حسن الخلق وحسن المحاضرة، يحفظ كثيرًا من الشعر العربي والفارسي، وله ديوان باللغة الفارسية، كما له قصائد باللغة العربية، ومعظم شعره العربي في الحكمة، والنصيحة للناس، ففي قصيدة له يقول فيها:

تغيرتِ المودةُ في الرجالِ
وشاع الحقدُ في أهلِ الكمالِ
قد انهدمتْ بأمطار الرزايا
مقاصيرُ المروءة والنوالِ
وإن في الدهرِ ذا شرفٍ ومجدٍ
سوى محكومِ ربّاتِ الحِجالِ
فليس الآن يا نفسُ اكتسابٌ
يعاون ما عدا شَدَّ الرحال

• نظرة الشاعر القاضي إلى نوعية من الرجال الذين يتغيرون بحسب مصالحهم، أو تحت ضغوط الكبار. وعلى النوعية نفسها يتحدث في قصيدة أخرى عن أحد الأصدقاء فيقول:

جنى دهرٌ عليَّ وأيّ جانِ
رجوت الرفقَ منه وقد أذاني
وبعَّدني عن الأترابِ بعدًا
وبالغ في هواني وازدراني
ولفظني بأرضٍ ليس فيها
قريبٌ أو أنيس أو وِزاني
وما لاقيتُ من اثنين إلا
وكلّ منهما يتحاسدانِ

• يبدو أن شاعرنا يتألم من بعض معارفه وأصدقائه، حتى وهو من عائلة محترمة، وله من الأقارب ما لا يعرف عددهم، فهم لهم صولة وجولة، وكأنه يدافع عن نفسه أمام من يريد التعرض له بسوء، فيقول في قصيدة له:

أتقتلني بحبك يا حذامِ
ومثلي لا يعنف بالكلامِ
أما تدري بأبائي وربي
أولئك أهل مجد واحترامِ
صوارمهم حتوف للأعادي
أياديهم حياة المستهامِ
ولاة في بلاد العز جمًا
حماة للجناةِ عن الغرامِ

• هذا رجل مهذب لا يتطاول بأعنف الكلمات وأشنعها على من يعاديه، أو يحط من قدره، ولكنه يذكر المتمادي في غيه بأن وراءه من يستطيع أن يلجمه ويخرسه، ولكن الشاعر يأبى إلا التذكير فقط، ويتصور الشاعر أنه من

الظلمة، وقد ارتكب كثير من الخطايا والذنوب، وينتظر رحمة ربه، وهذا أيضًا ينطبق على من يعاديه!! فيقول:

ظَلَمْتَ وكنتَ من الظالمينا
ترحّم يا ولي المؤمنينا
أضعتَ العمرَ في كسب الخطايا
وصرتَ بما اكتسبتَ به رهينا
أطعتَ النفسَ حينًا بعد حينٍ
وإنَّ النفسَ شرُّ الحاكمينا
أنختَ النوقَ في بيداء غَيٍّ
ولم أسمع لوعظ الواعظينا
فإن جازيتني شرًّا بشرٍ
فعدلٌ منك رب العالمينا
وإن جاوزتَ عن ذنبي فعفو
وفضل ربنا فضلاً مبينا

• عاش هذا الشاعر عيشة غنية بالقيم والمبادئ السامية، فلم يجرح أحدًا على الرغم من تعرضه للإهانة من بعض الناس، فكان حكيمًا منطقيًا يتمتع بأسلوب رزين، وألفاظ معبرة عن خلجات صدره، فجاء شعره متناسقًا، لا يذهب إلى الحوشيات من الألفاظ، أو يلجأ إلى سقط الكلام. وانتقل إلى رحمة الله سنة ١٢٣٤هـ، الموافق سنة ١٨١٨م.

• هذا الشاعر القاضي يتمتع برزانة وهدوء عظيمين، فقد تعرض لهجوم بعض الناس عليه، لكونه قاضيًا، وحكمه قد لا يعجب البعض من الناس فلا يستطيعون الانتقام منه إلّا بالهجاء، ولكنه يرد عليهم بالحكمة وطول البال، فهو مهذب وصاحب مبادئ، لا ينزل إلى مستوى العامة، مهما بالغوا في عدائه، والحكم على سلوكه من خلال ما نظم من أشعار، وهي شواهد على أخلاقه العالية.

****

أحمد نظام الدين معصوم

١٠٢٧ - ١٠٨٦هـ / ١٦١٨ - ١٦٧٥م

• هو السيد نظام الدين أحمد بن محمد معصوم[1] بن أحمد نصير الدين بن إبراهيم بن سلام الله بن مسعود بن محمد بن منصور، وينتهي نسبه إلى محمد بن زيد الشهيد بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، ولد في الطائف سنة ١٠٢٧هـ، الموافق ١٦١٨م، حفظ القرآن صغيرًا، وأخذ الفقه من الشيخ شرف الدين البافقيه، ودرس الحديث عند الشيخ نور الدين الشامي، وتلقى العربية من الشيخ علي المكي، ودرس المنقول والمعقول، ثم برع في اللغة العربية وفنونها.

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٥: ٦٧. - علي صدر الدين المدني، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ص١٠. محمد سعيد الطريحي، ملوك حيدرآباد ص ٦٩. محمد المحبي، خلاصة الأثر ج١: ٣٤٩. محمد الشوكاني، البدر الطالع ج١: ٩٨.

• قدم إلى الهند سنة ١٠٥٣هـ، الموافق ١٦٤٣م، وكان عمره حوالي خمس وعشرين سنة، وتزوج ابنة السلطان عبدالله قطب شاه الحيدرآبادي، فحظي بمكانة كبيرة عند السلطان، الذي خلع عليه الهدايا والأملاك، وجاءه الشعراء والأدباء يمدحونه، ويتقربون إليه، وكان ذلك مدة حياة السلطان، ولكن السلطان الجديد أبو الحسن اضطهده وسجنه حتى توفي في سجنه سنة ١٠٨٦هـ، الموافق ١٦٧٥م.

• في تاريخ الأسرة أن أحد الأجداد، علي أبو سعيد النصيبيني انتقل للعيش في شيراز، ولكن من أحفاده من عاد إلى مكة، وهو محمد بن معصوم، وهو والد المترجم له، أحمد نظام الدين بن محمد معصوم، الذي ولد في الطائف، والذي هاجر إلى الهند وقضى معظم حياته فيها.

• أتقن فنون العربية والأدب وتمكن من نظم الشعر صغيرًا، ومن أشعاره، قصيدة يقول فيها:

مثيرُ غرامِ المستهامِ ووجْدهِ
وميضٌ سرى من غورِ سَلْعٍ ونجدهِ
وبابٌ بأعلى الرقمتيْنِ التهابه
فظل كئيبًا من تذكر عهده
يحنُّ إلى نحو اللوى وطُويلعٍ
وباناتِ نجدٍ والحجازِ ورندهِ
وضال بذات الضالِ مرج غصونه
تفيّأه ظبيٌ يميس ببرده
كثيرُ التجني ذو قوامٍ مهفهف
صبيح المحيّا ليس يوفي بوعده
يغارُ إذا ما قستُ بالبدرِ وجهه
ويغضبُ إذا شبَّهتُ وردًا بخده
مليحٌ تسامى بالملاحةِ مفردًا
كشمس الضحى كالبدرِ في برج سعده
ثناياهُ برقٌ والصباحُ جبينه
وأمّا الثريّا قد أنيطت بعقده
فمن وصله سكنى الجنان وطيبها
ولكن لظى النيرانِ من نارِ صده
تراءى لنا بالجيدِ كالظبي تالعًا
أُسارى الهوى من حكمه بعض جنده
روى حسنه أهل الغرامِ وكلهم
يتيه إذا ما شاهدوا ليل جعده
يعنعنُ علم السحرِ هاروت لحظه
ويروى عن الرمان كاعب نهده
مضاء اليمانيات دون لحاظه
وفعل الرديناتِ من دون قده
إذا ما نضى عن وجهه البدر حجبه
صبا كل في نسكٍ ملازم زهده
ورأى محيّا قاصرًا عنه كل من
أراد له نعتًا بتوصيفِ جده
هو الحسنُ بل حسن الورى منه مجتدي
وكلهم يعزى لجوهر فرده
وما تفعل الراح العتيقة بعض ما
بمبسمه بالمحتسي صفو وده

• شاعرٌ فنان ومبدع، تنهال الكلمات بين يديه وتنساب من فكره، فيصنع الصور الفنية البديعة، لنرى أبياته في مليح اعتل طرفه، يقول:

يـــا جـــوهـــرًا فَـــــردًا عـلا
مـــن أيـــنَ جـــاءك ذا المـــرضْ
وعـــــــــلامَ طـــــرفـــــك ذا
المـــريـــضُ أعـــلَّـــه هـــذا المـــرض
هـــا قـلـبـي المـعـهـود نـصـبٌ
لـــلـــنـــوائـــبِ يـرتـــــكـض
فـاجـعـلـه يـــا كـــل المـنـى
بـــــدلاً لمـــا بـــك أو عـــرض
فـمـذ اعـتـلـلـتَ أخـــا المـهـا
فـي الـطـرف مـا طـرفـي غمض
فـاسـلـم مـــدى الأيـــــامِ يـا
ذا الحُـسـن مـا بـــرقٌ ومـض

• ترك الشاعر السيد أحمد لخياله الواسع أن يبتكر الأفكار ويصنع منها قصائد ذات بهجة وحلاوة، وقدرة على النظم الجميل، وهذا ما دفع هذا الشاعر أن ينظم قصيدة يمدح بها ختنه، السلطان عبدالله قطب شاه، ويبدأها بالنسيب على عادة شعراء العرب القدامى، يقول فيها:

سلا هل سلا قلبي عن البان والرندِ
وعـن أثَـلاتٍ جـانـب الـعـلَـمِ الـفـردِ
وعـن سَـمَـرات بـالـنـقـا وطـويـلـع
وعـن سـلـمـات بـالأجـارع أو نـجـدِ

• ويذكر الحسان والغيد، ودلهن ودلالهن، ويصف قوامهن وعيونهن، وما إلى ذلك، ثم يبدأ في مديح السلطان، فيقول:

بـكـلٍّ تـداويـنـا ولـم يـشـف مـا بـنـا
على أن قـرب الـدار خيرٌ من البعدِ
بلى ليس بعد الدار يا صاحِ ضائرًا
إذا كـان عـبـدالـلـه مـنـتـجـع الـوفـدِ
شهنشاه شاه قطب شاه مليكنا
ووالـي ولاة الأمـر مشرعة الرفدِ
مليكًا سما فرع السماكين راقيًا
إلـى رتـبـة عـلـيـاء ذات عـلـى نـهـدِ
مليكًا لدى العلياء تعنو لبأسه
أسود الشرى هيهات ما صولة الأسدِ
مليكًا إذا ضـاقَ الـزمـانُ توسعت
خلائقه الحسنى فجاءت على قصدِ
وقـام مـقـام الجـيـش إسـفـار وجـهـهِ
فـلا مقطب سومًا ولا هـو بالصلدِ
ويـشـمـل كـلَّ الـعـالـمـين نـوالـه
فيوسعهم جـودًا يـنـوف على العدِّ
إذا شئتَ أن تحصي فواضل كفه
فذلك شيءٌ ضاق عن حصره جهدي
لـه عـيـبـة قـد ألـبـس الـلـه وجـهـه
بـهـاءً ونـورًا شاهدين على السعدِ

• ويستمر الشاعر معددًا صفات السلطان وشمائله، والقصيدة طويلة تتضمن ثلاثة وثمانين بيتًا، ويختتم مديحه بالدعاء للسلطان، فيقول:

بحق الرسول المصطفى من كنانة
محمد الهادي إلى جنة الخلدِ
وآلٍ له خير البرايا فبدؤهم
أبو حسن الكرار والخاتم المهدي
عليهم صلاة الله ما هبَّ شمأل
على سمرات الجذع فالبان فالرندِ

• قصائد الشاعر متعددة، والطويلة منها كثيرة، وفي مجملها قصائد ذات شأن، وهو ينتقل من موضوع إلى آخر، ففي قصيدة له متشعبة الفنون، أرسلها إلى الشاعر عيسى النجفي، يقول فيها:

ذلك البانُ والحمى والمصلّى
فقفِ الركبَ ساعةً نتملّى
واسألنه برقةٍ وخضوعٍ
عن فؤادي يا صاحبي أين ضلا
وإذا ما تراءت الربرب العين
بجرعاء لعلع فالمعلى
فاحذرن أن تصاد يا صاحِ أو أن
ترمينَّك العيونُ سهمًا وفصلا
إنَّ عهدي بها حديثًا لتصطاد
سودًا حسنًا وغنجًا ودلّا
فانجُ من سهمها سليمًا وحاذر
إنَّ في تلكم المحاجر نبلا
غير أنّي بها سجيس الليالي
واجدٌ والمحبُّ لا يتسلّى
ثم لي بين حاجر وزرودِ
ظبيات أوانس تتجلّى
خِلن ظبيَ الكناس منها
إن تراءت علمت هاتيك أحلى
مع أني أكادُ أوهم منها
بظباء عواطلٍ لا تحلى
خوفُ ساعٍ من الوشاة رقيبِ
قصده أن يبدد اليوم شملا
فبنفسي على مَعزَّة نفسي
وبمالي ما جلَّ منه وقلّا
خُرّد قد نزلنَ أكنافَ وجٍّ
وسكن المثناة حزنًا وسهلا
وبها اصطفن بل وربعن أيضًا
قاطنات سفح الأخيلة ظلا
من لقيم إلى المليساء
فالهضبة فالوهط فالأصيحر نزلا
غادياتٍ من أم خيرٍ إلى الجا
لِ إلى الهرم فالعقيق المحلا

• وبعد أن عدد بعض الأراضي والأماكن في الطائف، حيث كانت ولادته، ثم يقول:

زمنٌ باسمٌ وعيشٌ رضيٌّ
وحبيبٌ مواصل لأن يملا
زمنٌ والشباب غضٌ نضيرٌ
والتهاني به تواصل وصلا
والسرورُ الوفي إذ ذاك عبدٌ
طائعٌ يحفظ الذمامِ والا

والأحباب هنَّ أتراب ودي
زينبٌ مع سعادٌ ثمة ليلى
أتهادى من بينهنَّ بوجدٍ
وغرامٍ لم أنتحل عنه ذهلا
مولعًا بالمها وغزلان
نعمان وأرآم مكة فالمصلى
مغرم بالجآذرِ العين من أهل
حجاز وما حوى ذاك خلا
لقد بتُّ بعدهنَّ حزينًا
نائي الدار مولعًا أتصلى
حرُّ نار البعاد من بعد بعدي
عن ربوعٍ بها الكواعب يجلى
فلذا العين تسكب الدم دمعًا
والفؤاد الحزين لا يتلى

• وهكذا يسرد لصديقه كل ما يعانيه من ألم المحبة والعشق، وفي نهاية قصيدته يخاطب صديقة ليقول له:

أيها الكامل الأديب الذي حاز
من المجدِ في السهام المعلى
واستمع صوت مزهر ورباب
وكمنج وبربط مستهلا
كل شهر بمثل ذاك وحاذر
من ملالٍ فالأريحيُّ لن يملا
وبنظمٍ يصوغه فاق كعبًا
وزهيرًا وذا القروح وجلا
ولبيدًا والأعشيينِ وعمرًا
وحبيبًا في الشعر قد فاق كلا
هاكَ يا صاحبَ المزايا قريضًا
من محبٍّ يراك للود أهلا
ذاكرًا إلفه القديم ودهرا
وزمانًا بالرقمتين تولّى
واستمع يا أديبُ نفثة صبٍّ
موجع القلبِ جسمه عاد ظلا
ليس يسليه عنهم قط شيءٌ
غير أني بالشعر أبرد غلا

• قصيدة أبدع بها الشاعر، وأخرج كل ما في ذكرياته أيام الشباب، بالإضافة إلى خياله الواسع، وصنع صورًا خيالية، أو وهمية في علاقاته ورؤيته لذلك الزمان الذي انتهى، وهو الآن يواجه واقعه، فهل يعود؟؟

• السيد الشاعر أحمد نظام الدين نظم في معظم الأغراض الشعرية، وفي النسيب نظم قصيدة، يقول فيها:

سلا بطنَ مروٍ والغميم موزّعَا
متى اصطافَها ظبيُّ النقَا وتَربَّعا
وهل حلَّ من شرقيها أرض هجلةٍ
وهل جادها مزن فسالَ وأمرعا
سقى تلك من نوءِ السماكين بكرةً
سحائبُ غيثٍ مربعًا ثم مربعا
تظل الصبا تحدو بها وهي سجمٌ
وتنزلها سهلاً وحزنًا وأجرعا

فتلك مغان لا تزال تحلها
خدلجة الساقين مهضومة المعا
ربيبة خدر الصون والترف الذي
يزيد على بذل الليالي تمنعا
تروّت من الحُسن البهي خدودها
وقامتها كالغصن حين ترعرعا
قطوفُ الخُطا مثل القطا حين ما
مشت تقوم بأرداف يحاذين لعلعا

• طرق السيد أحمد موضوعات الشعر، فمن شعره ما نظمه في الزهد، وهو الأمير الذي تحت يديه كل ما يتمنى، ففي قصيدة له في الزهد، يقول فيها:

نصل الهوى عن قلب ذي الوجدِ
وسلا المتيم عن لقا هندِ
وعدتُ عن الآرامِ منيته
وغدت غوايته إلى رشدِ
وتبدل التقوى عن الأهوا
ل رجا ثواب الله ذي المجدِ
ونضا الصبا عن غوايته
فاستقبل الأيام بالزهدِ
فتراه لا يصبو إلى دعدِ
كلاّ ولا منها إلى وعدِ
لكن ثنى نفسًا مولهةً
عن كلِّ أمرٍ مهلكٍ مردي
أضنتْهُ ذكرى أزمنٍ سلفت
بالجرع أو بالبان من نجدِ

• وأما شعر الحماسة فله به شأن، حيث إنه كان وزير السلطان عبدالله قطب شاه، فنظم قصيدة يقول فيها:

فَمَن مبلغٍ عنا نزارًا ويَعرُبا
أولئك قومٌ أرتجيهم لما بِيَهْ
حماةٌ كماةٌ قادةٌ في الوغى
ضَراغِمُ يومَ الروعِ تلقاكَ ضارِيه
بهاليلُ في البأساءِ يوم تناضلٍ
إذا ما التقى الجيشانِ فالعارُ آبيه
ثيابهم من نسج داود أسبغت
ووجوههم تحكي بدورًا بداجيه
سموًّا لدراك المجدِ والثأر والعلى
ورووا قناهم من دم كل طاغيه
وساروا على متن الخيول وسوَّروا
بذي شطبٍ عضب وسمراء عاليه
عليَّ لهم لم يبرحوا في حفاظه
مدى الدهر والأزمان عنه محاميه
فهم سادة الأقوامِ شرقًا ومغربًا
وبرًا وبحرًا والقروم المباهيه

فـلا غـرو إن كـان الـنـبـي محـمد
إلـيـهـم لينمي فـي جـراثـيـم ساميه
بـه افتخروا يـوم الفخار وقوَّضوا
بـنـاء الـعـلـى عـن كـل قـومٍ مضاهيه

• يتميز الشاعر ابن معصوم بقدرة كبيرة على النظم، ويختار ما يوافقه من بحور الشعر العربي، والمعجم اللغوي بين يديه، فيصنع الأبيات من فكر رجل متمرس، وقادر على تحدي كل بحر وكل قافية صعبة، ومعظم القوافي؛ الذلل منها والحوش تحت يديه وفكره، فلا يستعصي عليه أي بحر ولا أي قافية.

• لقد جال الشاعر في الموضوعات المختلفة، واستطاع أن ينظم فيها جميعًا، كما كان لسبك الأبيات رنة موسيقية تجعل القصيدة لها رونق، وجمال أخاذ، ففي خياله سعة من الفكر استطاع أن يبني صورًا بلاغية فنية، تعزز فكره وتبرز تطلعاته، فلا غموض في شعره، ولا إشكال في صنع قصائده، وكان في مستوى كل الأحداث المشكلات الاجتماعية والسياسية، وله مراسلات شعرية، وإجازات لغوية، فهو متمكن من أدوات النظم بكل حرية، فهو مالك لناصية البحور واللغات المختلفة.

****

أختر شاه خان أمروهي

١٢٩٠ - ١٣٦٥هـ / ١٨٧٣ - ١٩٤٥ م

• هو الشيخ محمد أختر بن شاه خان حبيب بن شاه خان محمد[1]، ولد في مدينة أمروهة سنة ١٢٩٠هـ، الموافق ١٨٧٣م، درس في مدينة دهولبور، حيث والده يعمل، وتلقى دروسه الأولى، واللغات الفارسية والأردو والعربية، ثم التحق بدار العلوم ديوبند، وتلقى العلم على علمائها، وبرع في اللغة العربية والعروض، وبعد تخرجه عمل في تصحيح الكتب في مكتبة مجتباني في ميرته، ثم التحق بالتدريس في مدرسة إمداد الإسلام، واستمر في عمله فترة طويلة، وله قصائد عربية، يقول في رثاء شيخه:

هـنـيـئًـا شـربُ كـاسـاتِ الأمـانـي
لـشـيـخِ الـهـنـدِ مـقـدامِ الـزمـانـي
سـراجِ الـسـالـكـين ومـقـتـداهـم
إمـامِ الـعـصـرِ مـقـدامِ الأوانِ
طـلـيـق الـوجـه مُـرضـي الـسـجـايـا
سـحـابِ الـلـطـف دأمـاء الجـنـانِ
تـبـحّـر فـي الـحـديـثِ وصـار شيخًا
وسـاد ذوي الـتـفـاسـيـر المثـانـي

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم شعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٥: ٥٣٥.

فكان وجوه أقطاب المعالي
وكان جنانه بحر المعاني
وكان له جبينٌ مثلَ بدرٍ
وأسنان تلألأ كالجمانِ
وأخلاق غدت كالمسكِ طيبًا
لترويح الأقاصي والأداني
وأعلام العلوم تفيض منها
ينابيع المعاني والبيانِ
وقاسى في سبيل الله جدًا
فأمسى كاملاً في الامتحانِ
وزلزل عزمه الماضي مهيبًا
غدا الحق المؤيد والمعاني
وفاز مجاهدًا فوزًا عظيمًا
بتصديقٍ ثويٍّ بالجنانِ
فلما فاض عين العم فاضت
وفي الخضراء يبكي الأزهرانِ
فطاب ثراه ميمونًا بوردٍ
من الفردوس لا من جلسانِ
وصار مزاره روضًا بروحٍ
مِن الله الكريم المستعانِ
ولقني السنين له إلهي
لشيخ الهند عيد في الجنانِ

• قصيدة رثاء لا تخلو من المبالغة في تعديد صفات المتوفى، وإن كان شيخنا متألم من فقده لشيخه، فقد أعطاه من الصفات الكثير، واستخدم الشاعر الطريقة القديمة في النظم، لم يزد عما ذكره غيره في ذكر مناقب المتوفى، فلا يوجد خيال، ولا صور فنية، ولكن أسلوبه سهل، واستخدم الألفاظ المناسبة في مثل هذه القصائد، ولا غموض في فهم النص الشعري، وقد حافظ على الوزن والقافية، ولم يأت بجديد في الرثائية لأستاذه، سوى ما هو معروف.

****

إدريس محمد الكاندهلوي

١٣١٨ - ١٣٩٤ هـ / ١٩٠٠ - ١٩٧٤ م

• هو محمد إدريس بن محمد إسماعيل بن محمد أحسن بن محمد إسحاق ابن أبي القاسم بن المفتي إلهي بخش[1]، ولد في قرية كاندهلة، قرب دلهي، سنة ١٣١٨هـ، الموافق ١٩٠٠م، حفظ القرآن صغيرًا، ثم التحق بمدرسة أشرفية بتهانه بهون، وبعدها درس في مدرسة مظاهر العلوم الثانوية، وبعد ذلك ذهب إلى ديوبند، ليدخل كلية دار العلوم ديوبند.

• وبعد تخرجه عمل مدرسًا في المدرسة الأمينية بدلهي سنة ١٩٢١م، وبعدها عمل في دار العلوم، ثم غادر دلهي

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم شعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٥: ٥٣٧. حامد أشرف همداني، الشعر العربي قي باكستان ص ٢٢١.

ليذهب إلى حيدرآباد، واستفاد من المكتبة الآصفية لكتابة بعض مصنفاته، ثم عاد إلى دار العلوم، وبعد تقسيم الهند ذهب إلى الباكستان، وتولى مشيخة الجامعة الإسلامية، ثم عمل أستاذًا للتفسير في الجامعة الأشرفية.

- له عدة مصنفات منها:
  - شرح مقامات الحريري.
  - أحكام القرآن في سورة (ق).
  - تفسير معارف القرآن. ٧ مجلدات، بالأردو.
  - تحفة القاري لحل مشكلات البخاري.
  - التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح.
  - سلك الدرر شرح تائية القضاء والقدر.
  - تفسير معارف القرآن، بالأردو. سيرة المصطفى.
  - تحفة المسلم بمقدمة صحيح مسلم.
  - الباقيات الصالحات، شرح حديث «إنما الأعمال بالنيات».
  - سيرة المصطفى.
  - الخلافة الراشدة.
  - كتب في العقيدة الإسلامية: عقائد الإسلام وأصوله، وعلم الكلام.
  - له كتب ورسائل أخرى في العقائد، ومجموعة من القصائد العربية.
- شاعر في المناسبات، ينظم بحسب المناسبات الاجتماعية، وله قصيدة في رثاء الشيخ العلامة الشاعر محمد أنور شاه الكشميري، يقول فيها:

سلامٌ على حفظِ الكتابِ وسنّةٍ
وحفظٍ وضبطٍ بعد شيخٍ مُبجّلِ
أريد به نور الهداية «أنور»
كبدرٍ مبين في دجى الليلِ أليَلِ
فقد كان إعجازًا لدين نبينا
كمثلِ البخاري أو كمثل ابنِ حنبلِ
وكان إمامًا حافظًا ومحدثًا
إليه انتهى شدُّ المطايا وأرحلِ
وقد كان فردًا حافظ العصر جامعًا
معارف أعلامِ الهدى والتفضلِ
بكى عالم الإسلام طُرًّا وأعولا
لخطبٍ جليلٍ قد أناخ بمنزلِ
بكاهُ مقامُ الدرسِ والوعظ حاسرًا
بكتهُ نواحي الأرضِ والفلك العلي
فقد كان رمحًا سمريًا مثقفًا
لمثل مسيح القاديان المخبلِ
وأبيض هنديًا لكل «مسيلمٍ»
وكل مناغٍ في نبوة مرسلِ
تُوُفّيتَ يا رأسَ التقى وتركتَنِي
لفقدكَ أرويه بدمعٍ مسلسلِ
شرحتَ لنا الآثارَ إذ هي أشكلت
وفسرت آياتِ الكتاب المفضّلِ
وعُطر أفق الأرضِ من عَرفك الشطي
يباري شذاه روح مسكٍ ومندلِ
عليك سلام الله يا قبرَ «أنور»
ورحمته تترى كودقٍ مجلجلِ

بفضلِكَ أَمولَى الورى قل لروحهِ
أيا روحَ عبدي هذه الجنة ادخلي

- يتفجع الشاعر لفقد الشيخ أنور شاه الكشميري، ذلك العالم الجليل، الذي قل نظيره في الهند، لذا لا عجب أن يرثيه أكثر من شاعر، وخاصة من كان قريبًا منه، ومن تلاميذه، ولكن الرثاء عمل جليل في حق العلماء الطيبين كان لهم دور في إحياء مآثر الأمة. وشاعرنا تأثر أيما تأثر بوفاة الشيخ أنور، استخدم بحر من البحور القديمة، مع قافية ذلل، وألفاظ مناسبة للرثاء، مع تعديد فضائل المتوفي.

- ليس في الرثاء خيال، أو صور بلاغية، فهو يتحدث عن شيخ توفي، ويحتاج الرثاء إلى لغة واقعية، معبرة عن الموقف الحزين للشاعر، والقصيدة جيدة السبك، قوية العاطفة، فيها تمجيد وتكريم للمتوفي، وتناسق بين اللفظ والمعنى، وهذه القصيدة جيدة من حيث الوزن، والقافية.

- يحمد الشاعر الله سبحانه وتعالى في قصيدة، يقول فيها:

لكَ الحمدُ والتقديسُ والمجدُ كلُّهُ
تباركتَ يا ربّ السماواتِ والثرى
لك الكبرياءُ والخلق والأمر كلُّهُ
تعاليتَ ما أولاك بالحمد أجدرا
لك الفضلُ والنَّعماء والشكر كله
فنعماك جلّت أن تعد وتحصرا
ومن ذا الذي يحصي ثناء ومدحة
وإن بالغ المثني وأكثر أكثرا
ولو أنّ ما في الكون من كل كائن
لسان يديم الحمد كان مقصرا
رضيتُ بك الإله ربًا ومالكًا
وبالمصطفى الهادي رسولاً مبشرا
وبالملة البيضاء دينًا وشرعةً
عسى أَرِدَنَّ يومَ القيامةِ كوثرا
وبالمسلمين إخوة ومرافقا
وبالكافرين بغضًا وتنفرا
وأسألك اللهم تعجيل رحمةٍ
فمن جوهر التعجيلِ عبدك خمَّرا

- وهكذا يتابع الشاعر ما يرجوه من الله سبحانه وتعالى، ولكنه لم ينس رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - حيث تحدث عن الإسراء والمعراج بقصيدة يقول فيها:

ألا ليت شعري هل يقولنّ مقولي
قصيدًا بإسراء النبي المبجّلِ
فسبحان من أسرى بليلٍ بعبده
إلى المسجد الأقصى إلى عرشه العَلِي

تمطى براقًا خطوة مد طرفه
كبرق وليس البرق منه بأعجلِ
وصادف فيها الأنبياء ينظرونه
وقد جمعوا للشاهد المتوكلِ
فلاح كبدرٍ في الكواكب كاملٍ
فيا لاحتفال للكواكب مخجلِ
وقال له الروحُ الأمينُ تقدّمنْ
وأمَّ جميع الرسل يا خير مُرسلِ
فأنتَ إمامُ الأنبياءِ خطيبهمْ
ومصباحهم في كل نادٍ ومِحفلِ
وصلَّ بأملاكِ السماء ليقتدوا
يستمعوا القرآنَ خيرَ مرتّلِ
ومنها إلى السبع السماوات قد سما
فنادتْهُ خزانُ الجنانِ المجللِ
على الطائر الميمون يا خير قادمٍ
وأهلاً وسهلاً بالمعالي تفضلِ
رأى الآيةَ الكبرى وما شاء ربه
رأى جنة المأوى وما لم يخيّلِ
دنا فتدلّى قابَ قوسين أو أدنى
وأكرم بالإيحاء سبحان مفضلِ

• ويورد الشاعر ما ثبت صحيحًا من صفات الله سبحانه وتعالى، وكيف وصل رسول الله - عليه أفضل الصلاة والسلام - إلى سدرة المنتهى، ورأى ما رأى من العالم، ثم عاد إلى الأرض، ويسرد الشاعر قصة الإسراء بكاملها، وما ثبت من الأقوال في السنة النبوية.

• أنشأ الشاعر قصيدة طويلة على غرار شعراء العرب، وسأل نفسه لماذا لا يكون لديه قصيدة طويلة؟! فنظم قصيدة «سلك الدرر شرح تائية القضاء والقدر»، التي تتضمن مئة وخمسين بيتًا من الشعر العربي، وقد قال الشيخ: «بينما كنتُ في خلوتي إذ تذكرتُ تلك القصائد لعلماء مصر والشام فأردتُ أن أقول مثلما قالوا، وأصول مثلما صالوا.» يقول في القصيدة:

أُسَبّحُ للهِ العظيمِ بحمدهِ
وأَشْكُرهُ في كلِّ سرٍّ وجهرَةِ
وأهدي سلامي للعبير المفتتِ
لمن خصّهُ المولى بختم النبوةِ
مع الآلِ والصحبِ الكرامِ جمعهم
وسائر أهل الله أهل السريرةِ
هو الله ربُّ الكونِ لا ربَّ غيرهُ
هو الخالق الباري بمحض المشيئةِ
وخالق صانعٌ وخالقٌ صنعة
وفيه حديث مسند عن حذيفةِ
وأعمالنا مخلوقة كذواتنا
كما جاء في التنزيل في غير آيةِ
ولو لم تكن أسباب شر لتعطلت
وماتت كثير من خلال حميدةِ

كصبرٍ وحلم واحتمال مكارهٍ
وتخليص مظلومٍ وتنفيس كُربةِ
ولو لم يكن فسق لما وجد التقى
ولا سعدت نفسٌ بحسن الإنابةِ

• هذه القصيدة نموذج لقصيدة أراد بها الشيخ تقليد الشعراء الآخرين، فهي تمجيد لله، وبيان للحكمة وأسبابها، وقد أبدع فيها، ولكن يبقى في مضمار الشعر الديني، ولم يخرج من ذاك النطاق، لذا كانت أشعاره تقليدية، ومحصورة في نوع واحد من الموضوعات، فهو قليل الخيال، وفيها وصف قديم للإسراء والمعراج، وتحميد الله كما سبق للشعراء أن نظموا به.

• استعمل طرق الشعراء العرب القدامى، وحافظ على القافية الذل الموحدة، وأتى ببعض التشبيهات، وبعض السجع في أبياته، ولم يكن مبتكرًا لصور بلاغية وفنية، فكان شاعرًا تقليديًا، ولكن تشيع في قصائده العاطفة الإسلامية، والخوف على الأجيال الجديدة، وذكر أساليب بعض الشعراء، وكان الرثاء لشخصية إسلامية، وفيها تعداد لمآثره، وما يتمتع به من أخلاق كريمة، وكان عاديًا في ذلك، وقد غلب على بعض أبياته الطابع العلمي الإسلامي.

****

إسحق إبراهيم القنوجي

٠٠٠٠ - ٠٠٠٠هـ / ٠٠٠٠ - ٠٠٠٠م

• هو المولوي إسحق بن إبراهيم القنوجي[1]، المولود في مدينة قنوج، ولم يعرف تاريخ ميلاده، ولا تاريخ وفاته، ولكنه معروف بفنون الأدب وعلومه، تعلم في البداية في مدينته، ثم رحل إلى ديوبند لتحصيل العلوم الدينية واللغوية، فالتحق بمدرسة عربية وحصل على إجازة التفوق هناك، ثم يمم شطر بهوبال وصاحب النواب صديق حسن خان، وحصل على منصب حاكم ولاية بهوبال وضواحيها.

• كان شاعرًا قديرًا، وأديبًا بارعًا، ولكنه ينظم شعره بين فترة وأخرى، ولا يستمر كثيرًا في نظم الشعر، ربما في بعض المناسبات الاجتماعية، لم أعثر على قصيدة أخرى غير التي رأيتها في مصادر الترجمة، ومن ذلك قوله في مدح نواب صديق حسن خان والنواب شاه جهان بيكم، يقول فيها:

بشرى ففردوس النشاط قدِ ازهرا
واهتزّ عنقود المنى فَتنوّرا
والأرض كالأطلال مخصبة خضرة
فإذا تشمس عاد يومًا مقمرا

(١) عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ٥٠. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٩٠.

ما أطيب الأحياء أزكى ما زهت
يا للشباب يشق أعراق الثرى
وكأن آفاق السماء عشية
محمرة في عكس ورد أحمرا
وترى الشقيق حبابة محمرة
مقلوبة بثت بجر أخضرا
والبيض لو قلبت ظهور قبيعها
درر فرائد في الزمرد نشرا
وكأن عاجلة المسرة أثرت
إنَّ الثريا كالأقاح تكثرا
أبت الثمار غصونه فمجنها
وكذا لأويرق والمعادن أثمرا
سال النُّضَار على الجداول حقبة
لا بد للأشجار أن تتنضرا
سيقانها مصفرة فكأنما
ذهب سبيك قد نمى فتشجرا
هذي الرياض وما ذكرت كأنها
وجه الحبيب برائقًا وزواهرا
ما للحدائق أخرجت أثقالها
تشكو طلاها الياسمين وعبهرا
ماذا السؤال عن الرياض تضوّعت
أو ما ترى جوّ السماء معطرًا
يا صاحبي لا بأس إن لم تطلع
إن تلك إلا عن حديق لمن ترى
روض الكواعب كلها روض المنى
روض الغواني اللابسات غدائرا
الفاترات المحدقات كحيلة
الناعمات الرافلات تبخترا
الحاجبات وجوههنّ مدللا
والمبديات من الجمال مشاعرا
والفاحم الوجف الأثيث كمدجن
متساحم قد غم روضًا أزهرا
وكأن شمس ضممت وراءها
مخروط ظلّ الأرض فهو كما ترى
فهي الليالي لو تراه مدبرا
وهو النهار أو الذكاء مُنَوّرا
تعس الجوى مستأصلاً بالي وقد
أفنى الهوى مهجًا فما لي لا أرى
ومع الحزين من الكآبة إذ جرى
يعتل ما يلهي الطبيب فلو درى
همل الدموع كنظم درّ هالك
شوقًا لنظم مباسمًا نفت الكرى

• مع شديد الأسف لم أجد فيما قرأت عن الشاعر أي قصائد أخرى له، مع أن ما ذكر أنه شاعر، وهو كذلك ولكن لا يوجد قصائد أخرى له، وشعره جيد، متبعًا أوزان الأقدمين، ولم يكن مشهورًا بين شعراء الهند، والمصادر التي ذكرته تنقل بعضها من بعض، وبنفس العبارات تقريبًا.

• هذا شاعر جيد اللفظ والمعنى، صور واقع هو فيه، وبذل أدق المعاني في التصوير بألفاظ مناسبة ومتناسقة مع المعنى المراد، ولم يكن معقدًا في أسلوبه، ولم يستعمل

الألفاظ الوحشية والنادرة، فكانت ألفاظه رقيقة وواضحة، وأسلوبه سهل وبسيط، غير أني أرى أن المؤرخين الهنود قد أهملوه، ولم يتحدثوا عن شعره إلا القليل منهم، بما لا يكفي للتعبير عن مستوى شعره الفني.

****

إسحق علي الهزاروي

١٣٠٨ - ١٣٨١ هـ / ١٨٩٠ - ١٩٦٢ م

- هو محمد إسحاق بن محمد علي[١]، ولد في مانسهره هزار سنة ١٣٠٨هـ، الموافق ١٨٩٠م، درس المراحل الدراسية في بلده، وتعلم العلوم الدينية على أيدي الشيخ الحافظ رمضان البيشاوري، والشيخ الحافظ عبدالمنان، ثم عمل مدرسًا للعلوم الشرعية واللغوية لمدة خمس عشرة سنة، ثم عينه أمير «إمب» قاضي القضاة في بلده، وكان يمارس التعليم والقضاء، وخلال ذلك ينظم بعض القصائد.

- له بعض المصنفات منها:
  - **إقامة الحجة على من أنكر الإفطار بعد العدة.**
  - **تذكرة الحقائق. في الرد على القاديانية.**
  - **رسالة جو مولانا عبدالسحبان قاضي كهلابتي.**

- شاعر تقليدي، وله قصائد مختلفة، منها يقول في مدح الشيخ بير مهر علي:

مِن أيِّ شيءٍ لدمع العين فَيْضَانُ
والنفسُ في قلقٍ والقلبُ ولهانُ
نعم أتى طيفكم ليلاً فأيقظني
لذاك دمعٌ جرى والقلبُ حيرانُ
وكيف أسلو ووسط القلبِ مسكنكم
أنتم لعين العُلا والمجد إنسانُ
قد حُزتم كلَّ ما للناس من شرفٍ
كالبحر أنتم وكل الناس عطشانُ
وكاملُ الخلقِ ذو الألطاف جامعُها
مستبشرُ الخدِّ طلقُ الوجه جَذْلانُ
علّامة العصر ذو العرفانِ ذو ورعٍ
وجيّد العقلِ فرد الدّهرِ يقظانُ
ذاك الذي اسمه الممجود «مهر علي»
شمس النجابةِ للمخلوق برهانُ
في العلمِ فقتم فلا شخص يماثلكم
ولم يضاهكم في الفضل أقرانُ
فزتم بمرتبة للعزِّ جامعةً
فليفتخر بكم في الناس إخوانُ
عشتم بعيش هنيءٍ دائمًا أبدا
ما مسكم يا كريم النفس حدثانُ

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم شعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج١٥: ٥٤٢. حامد أشرف همداني، الشعر العربي في باكستان ص ٢١٨.

يـؤمّـلُ الخـيـرَ إسـحـاقٌ بدعوتكم
قاضي التناول «فليخزيه» رحمانُ

• قصيدة مديح جيدة السبك وعالية المعاني، مزج الشاعر بين حلاوة اللفظ، وجزالة العمل الفني، استخدم أدوات المديح من محبة وإخلاص، ورفعة وعدل وكرم، أفاضها على الممدوح فجاءت كما يريد، وله قصيدة أخرى مشابهة للتي سلفت، وهي في المديح أيضًا، يقول في مديح السيد نذير أحمد:

لقد سمِعتْ مني الخلائقُ ذكركم
كمالكمُ يا من أعزُّ وأرفعُ
زِمامُ قضاءٍ في يدي أمره
تعلّقَ بي والناسُ تأتي وترجعُ
فؤادي مشتاقٌ حضور جنابكم
وإن شاء ربي فالإرادةُ أسرعُ
فروحي وريحاني وما لي ومهجتي
فِداكَ ملاذي ليس دونك مطمعُ
وإنّك أعلى رتبةً وشرافةً
وأعلمهم ممن يقولُ ويسمعُ
يُشارُ إليكم بالبنانِ تكرُّمًا
وفي الدّهرِ ذكراكم تسيرُ وتسرعُ
فلا يصل المخلوق وجه كمالكم
لأنك من فضل الإله مرفّعُ
وفيك براعاتٌ وفيك رشاوةٌ
وفيك كراماتٌ وفيك تخشُّعُ

• يتميز هذا الشاعر بجمال أسلوبه، ورقة ألفاظه، وسبك جيد للقصائد، وتظهر المحبة لديه في القصيدة، فالشوق وحب الرؤية متلازمان للمحبة، والشاعر يبذل مهجته وماله فداءً للمحبوب، ويصور تلك المشاعر بأجمل الكلمات وأفضلها في قياسات الحب. وله أيضًا قطعة أخرى يقول فيها:

فخر الكرام أمين الناس أفضلهم
صدر الورى زين الزمان تفردا
اجعل إلهي دين حقٍّ في الورى
بجهاده حقًا ويبقى سرمدا
قد شبَّ دينُ اللهِ عند كهولةٍ
لما أتى فلذاك صار مؤيدا
خلَّفت في التدبير كلَّ مخلفٍ
والظلم ممن قد أتى وتفنَّدا
نطق الزمانُ بفضله كن راحما
سمْحًا كريمًا في الخلافة أوحدا
أوتيتَ فضلَ الله ليس نظيره
كن شاكرًا متشرعًا نعم الهدى
ولسانُ مدحٍ عن بيانك قاصرا
قد جاء نطقي في المديحِ مقصدا
قد قاله قاضي التناول اسمه
إسحاق بعد محمد يا مقتدى

• هذا الشاعر مميز في ألفاظه وعباراته، شعره سلس، سهل الأخذ، سبكه جيد، ونضارته واضحة، شاعر موهوب، مبدع، استخدم بحور الشعر العربي القديمة،

وكانت قوافيه من الذلل، وسهلت مهمة بناء القصيدة، تناسقت ألفاظه ومعانيه، وصنعت جملاً جميلة، والقوافي متحركة، غير مقيدة.

- كان لخيال الشاعر دور كبير في صنع الصور الفنية البلاغية، فكانت القصيدة عبارة عن قطعة متمايزة، ومتناسقة الأركان، كان جانب منها واقعي، والجانب الآخر خيالي غني، وأسلوبه عاطفي عقلاني وواقعي، لم يرتفع إلى السماء، ولم ينزل إلى الحضيض، فكان متوازنًا في صناعته الفنية، فالشاعر رجل فنان، وكان من المميزين من شعراء الهند.

****

إسماعيل بن المفتي

١٢٥٣ - ٠٠٠٠هـ / ١٨٣٧ - ٠٠٠٠م

- هو الشيخ المولوي إسماعيل بن المفتي وجيه الدين المرادآبادي[1]، ولد في مرادآباد سنة ١٢٥٣هـ، الموافق ١٨٣٧م، وورد لكهنؤ، ودرس عند علمائها، حتى تخرج، وأتقن العربية والفارسية، وتولى القضاء في لكنهؤ، ثم بعثه الشاه نصير الدين الحيدر، حاكم أوده (حكم محلي) سفيرًا له في إنجلترا، ومكث سنوات طويلة وتزوج من فتاة أوروبية، لذا لقبوه باللندني.

- كان أديبًا بارعًا بالعربية والفارسية، وله عدة مؤلفات منها: حاشية على شرح التهذيب لليزدي، وحاشية على هداية الحكمة للميبذي، وحاشية على تشريح الأفلاك للعاملي، وشرح مقامات الحريري، في اللغة الفارسية، وشارك في وضع معجم «تاج اللغات» في سبع مجلدات، مشاركا الشيخ أوحد الدين البلغرامي، والسيد علي نقي الزيدبوري، والمفتي سعد الله المرادآبادي، وكتب إسماعيل لندني مقدمته، وضمنها أبياتًا من الشعر العربي، وكان تصنيف هذا المعجم في عهد نصير الدين الحيدر، لذا كانت قصيدته المقدمة في مدح ذلك السلطان، ونظم هذه القصيدة مقتفيًا طريقة الشاعر الجاهلي «امرؤ القيس» وضمنها بعض كلماته، يقول فيها:

خليليَّ عُوجَا عن شمال العَقَنقلِ
وحُطَّا رحالَ العِيس في عضد عوكلِ
فندعو رباعًا لا تجر دعاءنا
لما قد عفت من سجم غيم مظللِ
عفا الله أهضابًا سعت في خرابها
فباتت طلولاً بادرات التعطلِ
ألا عُوجا في العوج روحي فداكما
فمهلاً ورفقًا بالكثيب المؤملِ

(١) عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج٧ ص ٦٣. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص١١ مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم شعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج٣ ص ٥٣٧.

فتلك رباع عطلت عن أهيلها
(قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)
أيا سائق الأظعان إن كنت محسنًا
إلى مغرم صاب عديم التوسل
فألثث حماك الله عن مسقط الردى
(بسقط اللوى بين الدخول فحومل)
ولله أيام غضار مضين في
غضور وجمدان وحومة جندل
لحى الله دهرًا بات في النجد داهرًا
فنكد عيشًا مخضلاً بالتفتل
وخرب دارًا بعد دار بضيمه
ولم يبقَ دارًا يا بدارة صلصل
ودار بدارات فشغر سُوحُها
عن الأهل يا ويلاً لدهر محول
أقول لبرق لائح من أبيرق
لك الخير يا برق الأبيرق أمهل
كبيتٍ لقد أوريت زندي فجاءةً
وألعجت نارًا في الحشا المتفلّلِ
وكان رجائي منك إرواء غلتي
فلجّت بعكس من رجاء مسول
نضيت على السيف في الليل طاغيًا
أما خفت من شهمي وعوني وموئلي
عميد الورى غوث الخلائق كلهم
ثمال اليتامى ملتجا كل أرمل

• هذه القصيدة في مقدمة المعجم اللغوي المسمى «تاج اللغات»، وهذا لا شك مقدرة كبيرة في نظم الشعر العربي، وخاصة أن الشاعر يريد أن يظهر مقدرته الشعرية مع زملائه في صنع هذا المعجم.

• نظم الشاعر مرثية في زوجته التي انتقلت إلى رحمة الله، وكان هو بعيدًا عنها في سفر، ولم يحضر جنازتها، فهاله ذلك فنظم قصيدة طويلة تناهز الخمسين بيتًا من الشعر العربي، أظهر فيها حبه ولوعته لفراقها، ويدعو الله لها بالرحمة والغفران، فيقول فيها:

لحَا اللهُ دهرًا قد رماني بغربةٍ
وطولِ صدودٍ لاح لي بعد قُربَةِ
إلى الله أشكو من زمان يجورني
هو الله مولانا إليه لشكوتي
إذا سرنا يومًا أساء بنا غدًا
وألقى علينا شدّة بعد شدّة
إذا فرحت أنا همومي فعاد بي
مصرًا بضيم لحظة بعد لحظة
إذا رمتُ شكلاً أولاً وانتظمته
رماني بضرب أول ذا نتيجتي
ولي من صعوبات النوائبِ مَبلغٌ
كثيرٌ فلا يحصى بِعدٍّ وعدّةِ
إذا زال هم ناب هم منابه
وهذا لشأني في نوائب سفرتي
ولولا همومي ألحقتني من الأسى
لما بِنت من آلي وأهلي وأسرتي

ولا سيما من ربَّني وهو والدي
فزاولت في كل الفنون ودرسها

ولا سيما أمي وشقّي وشقَّتي
ومارستها في كل يوم بليلة

إلام فؤادي ذائب بفراقكم
فأصبحت بحرًا زاخرًا في جواهر الـ

وحتّام أبكي من صدود وفرقةٍ
ـعلوم وأمواجي أفكار فطنة

فشمرت للأسفار ذيلي مكابدًا
وأمسيتُ طودًا شامخًا من نفائس الـ

خطوب كروب قد جفتني بسطوةٍ
ـفنون ومن رأي طرف ذروتي

تحملت كلاّ من رخاء وزعزع
وإني أنا شمس العلوم وبدرها

تقلبت في شأني رخاء ويؤسةٍ
وقطب درايات ومركز دُربة

بليتُ بغم وانتياب من النوب
كلامي شفاء للغواية إذ جرت

ولا زلت أطوي بلدةً بعدَ بلدةٍ
وقولي قانون النجاة بجملة

فجربت أقواما وفحصت أمرهم
كنايات تقريري رموز إلى النهى

وأدركت شأن الناس في كل إمرةٍ
إشارات تحريري عيون لحكمة

فجالستُ كلاً من شريف وماجد
ولكن دهرًا سدّ بابي بأقفل

وطالت بهم دهرًا عهودي وصحبتي
فهل فتح باب سدَّ لي تحت قدرتي

ومازحتُ كلا من ذكي وحازم
ولا غرو إن أرخى الزمان زمامه

وفي ذاك قد ضيعت وقتي وفرصتي
إليَّ فإني أهل ذاك لعظمتي

ونادمت كلا من أمير ومترفٍ
إذا ما أريد الشيء يأتي بضده

ونضرتهم طُرًّا ببشري ونُضرتي
ولم يأت طورًا ما يوافق منيتي

ووافقت كلا من كريم وذي ندى
فما لي نقص من هموم تهمني

ضربت على أبواب كل بصكةٍ
وما لي محيص من شدائد نقمتي

ولاقيت كلا من أريب وحاذق
فهل لي على الأرضين من صارخ يغيـ

يحل بفكر صائب عضل عقدتي
ـثني رحمة فيما عرت من مصيبتي

فما ألمعيٌّ فاق إلا وزرته
وهل لي من أوب إلى بلدة لها

نديمًا له مستيقنًا كل نكتة
صعود وفي بعدي عنها لشقوتي

فما أوحدي حاز كل فضائل
وتلك التي قد مسّ جلدي ترابُها

ونلت به إلا ولي منه حصتي
وفيها لمن جِيدي نيطت تميمتي

وتلك هي الأرض التي طاب ماؤها
وراق هواها فهي طابت كطيبة
ويكفي لها مجدًا وفخرًا ورفعةً
ثواءُ أبي فيها وأمي وإخوتي
فهم في حِماها كالنجوم إذا بدت
وهم في رباها كالشموس المضيئة
فَرقّاهُمُ المولى إلى المرتقَى العلى
وصان حماهم من طروق البلية
ولا زال في خضلٍ حدائق مجدهم
بماء رضاء ساح في بحر رحمة
إلهي لئن أوليتني جملة الجدى
فما راحتي إلا بِلُقيا عشيرتي
ولقياهم عندي رياض من المنى
ووصلتهم لي نعمة بعد نعمة
إذا سرتَ يا ريحُ الصبا نحو موطني
ولاقيتَ من رهط هناك وجيرتي
فاشرر إليهم ما ترى من أسى
وحيّ لهم عني بعظمى تحيتي
وسلهم أيا رهطي هل غاب عنكم
ضجيعي وكمعي بل فؤادي ومهجتي
إذا حنَّ قُمريّ على غصن أيكةٍ
بكيت بكى الثكلى بذكرى حبيبتي
ورجعت ألحاني على ذكر عهدها
فجاوبت ورقَاء على البان حنَّتِ
ورددت أصواتي وجد هاجني
فهيجت أحزان الحمام بنوحتي
وهل ينفع الترديد من بعد بينها
ومن بعد ما راحت إلى دار تربة
سقى الله مثواها وطاب ثراؤها
وأدخلها في سُوح روضاتِ جنة
على الله تكلاني هو البر للورى
والله حولي وهو رب البرية

- كانت هذه القصيدة في رثاء زوجة الشاعر، ولكنه جمع فيها كل خبراته العملية ولقاءاته مع أنواع كثيرة من الرجال، واكتسب معرفة وعلمًا كثيرًا حتى أصبح خبيرًا في كثير من الموضوعات المختلفة، ولم يترك أي فكرة وردت عليه إلا وسجلها بنظمه، ثم يتذكر أيام صباه، ويذكر والديه، وإخوته وقرنائه ورهطه، ومن عاش معهم في سنين حياته، وأخيرًا يترحم على فقيدته زوجته التي كان لها تأثير كبير في حياته، وآلمه بعده عنها حين وفاتها، قصيدة تقطر دمًا، ولوعة حزن أصابته فلم يملك إلا الدعاء لتلك السيدة التي فارقته، وقد كانت له نعم الزوجة الصالحة، ويظهر ذلك من تعلقه بها، وألمه لفراقها.

- هذا شاعر عربي فصيح، استطاع أن يثبت وجوده بين شعراء الهند العظام، فقد استقى من دواوين الشعر العربي الكثير من الألفاظ دلالة على حفظه للمعلقات، والشعر العربي القديم، وشاعر بهذه المقدرة على النظم لا شك في إبداعه، وبلاغته وحبه للغة العربية، وكانت لغته سليمة وفصيحة ومعبرة، فهو بحق أحد فحول الشعر العربي في الهند.

• لا علم لي عن سبب إحجام النقاد العرب عن البحث عن شعراء غير عرب بمثل هذه القدرة اللغوية والفنية في نظم الشعر العربي، وكيف لم تصل أخبار مثل هذا الشاعر إليهم، مع أنه قد عاش في القرن التاسع عشر، ولكن ربما بعد الهند عن الوطن العربي هو السبب في ذلك.

****

أشرف علي الحسيني

١٢٨٠ - ١٣٤٩ هـ / ١٨٦٣ - ١٩٣٠ م

• هو السيد أشرف بن السيد علي بن أشرف الحسيني الشمسي[١]، ولد في حيدرآباد - الهند سنة ١٢٨٠هـ، الموافق ١٨٦٣م، تعلم المبادئ الأولى على يد والده وأخيه الأكبر، وكان معلمه ومربيه الأول سيد نصرت المهدوي، فأحسن تعليمه وتهذيبه، ثم التحق بالمدرسة المحمدية، وقرأ فيها كتب الفقه والمنطق والفلسفة والأدب والبلاغة، ثم تعلم اللغة الفارسية.

• في سنة ١٣٠٤هـ الموافق ١٨٨٧م عقد احتفال لتوزيع الشهادات على المتفوقين وكان أشرف من بينهم، ولبس العمامة والخلعة، وأنشد قصيدة باللغة العربية، أثرت في الحضور كثيرًا، وخاصة أن كثيرًا من العلماء حضروا ذاك الاحتفال، وكان السيد أشرف ذا خلق عظيم، وله محاسن كثيرة.

• عمل السيد أشرف معلمًا في دار العلوم بحيدرآباد، ثم عمل بالقسم الفارسي في الجامعة العثمانية، بحيدرآباد، وانتخب عضوًا للجنة الدراسات العربية والفارسية في الجامعة، وخلال عمله ألف مجموعة من الكتب العربية والأردوية، ونظم كثيرًا من القصائد باللغة العربية والفارسية، وأجاد بهما.

• ألف عدة كتب باللغة العربية، منها:

- **لوامع البيان في تفسير القرآن.**
- **تنوير الدراية في شرح أصول الرواية.**
- **اللوامع المشرقة في كشف شرح الوحدة المطلقة، في التصوف.**
- **توضيح الكلام.**
- **القول الأظهر في شرح الفقه الأكبر.**
- **ألواح الذهب في شرح معدن الأدب.**
- **تقرير الفوائد في تحرير العقائد.**
- **الفوائد في المنطق.**
- **كشف المنطق.**
- **القول الأسلم في تلخيص السلم.**
- **تلخيص الشفاء.**

(١) محمد سلطان محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي في العهد الآصفجاهي، (حيدرآباد: الجامعة النظامية ٢٠٠٥م) ص ٣٧٣. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٨ ص ٥٥..

• وله أكثر من ثلاثين كتابًا باللغة الأردية، وله مقالات علمية نشرها في المجلات الهندية، أما شعره العربي فنجد فيه شخصيته المتواضعة، وتقواه، ويستخدمه في عمل الخير، ونظم شعره في المديح والوصف والبيان والاعتذار، والهجاء، ويتميز بالصراحة والوضوح، وعدم التكلف. فمن قصائده قوله:

تعودتُ دهرًا بالعنادِ الكرائبِ
فَأعيا فؤادي ازدحامُ المصائبِ
يضجُّ فؤادي كالرواعد ضجّةً
وتمطر عيني مثل عين السحائبِ
وبرجاء قلبي في قتام حوادثٍ
تضوء كنجم في الليالي الغياهبِ
حوادث أيام لقلب معذبٍ
كظلمة ليل للنجوم الثواقب
وليس غريبًا إن جرى ماء ديمة
فعيني كمُزن من دم القلب ساكب
ولو صار عظمي في الرزيات أثمدا
توطنت يومًا في عيون الحبائب
وليس يرى في القبح آثار حسنه
ولا يطلع الصعقاء بين المغارب
وغادرت أهل الصدق في اقتداهم
وطاوعت في الآثار قول الكواذب
تمسك بقرآن وقول محمدٍ
وسائر بنور في الظلام الغياهب
هو الشمس في أوج النبوة والهدى
هو النور في العلياء فوق الكواكب
تبصر صديقي! قول شمسي فتعتبر
إذا كنت ترنو غائرًا في العواقب

• يذهب شاعرنا إلى مخاطبة نفسه فيما جرى له من مواقف حزينة تركته يعاني من حرقة القلب، فتسيل دموعه حسرة على ما فرط في أيامه السالفة، ولكنه يلجأ إلى القرآن الكريم، وإلى رسول الله طالبًا المعونة في إنقاذه مما هو فيه، ولا ينسى أن رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – له أحاديث وتوجيهات تنقذ الإنسان مما فيه.

• قدرة الشاعر على النظم العربي يدفعه إلى تخميس بعض القصائد المشهورة، ومن ذلك تخميسه لقصيدة الشاعر الفرزدق في مدحه للإمام علي بن الحسين، زين العابدين:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم

• فقال في تخميسته:

هذا الذين تشهد الأكوانُ عظمته
هذا الذي يرفع الرحمن درجتَهُ
هذا الذي يكرم الأفلاك خطوته
(هذا الذي تعرف البطحاء وطأته)
(والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرمُ)
جحجاح جمع كرام فائض الكرم
فياض فيض كثير هامر النعم
هذا سري قريش سيد الأمم
(هذا ابن خير عباد الله كلهم)
(هذا التقي النقي الطاهر العلم)

البيت يسعى إليه مع كرامته
إليه يركن ركن مع جلالته
فلم يبال مطافًا في صحابته
(يكاد يمسكه عرفان راحته)
(ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم)
إن كان في قلبكم من حبه قلق
وفي فؤادكم من وجهه خفق
تشوّفوا نحو قرم زانه خلق
(في كفه خيزران ريحه عبق)
(من كف أروع في عرنينه شمم)
هذا الذي مظهر الأنوار نسمته
ينبوع مكرمة في الخلق خلقته
مولية من فيوض الله دوحته
(منشقة من رسول الله نبعته)
(طابت عناصره والخيم والشمم)

- تبدو هنا قدرة الشاعر الهندي على تتبع القصائد العربية كبيرة، حيث يتناغم مع الأصل، ولا يخرج من سلطة النص الشعري، بحيث يؤدي إلى تنمية النص بمفهومه وقدرته.

- واجه الشاعر مجموعة من المتعصبين، والمستكبرين، ممن لا يتمتع بخلق الشاعر، ولا سجاياه، فضاق بهم ذرعًا ونظم قصيدة في هؤلاء يقول فيها:

لا يفهمُ المعنى المرادُ بلفظهِ
بافصاح ألفاظ بغيرِ تجمجمِ
يشين على إبراز بحث محقق
ويرمي على إظهار قول مسلّمِ
أميط كمثل الرجس من روضة الهدى
وطرد عن ندوات خير معظم
ولم يسطع الإقبال نحو كرامةٍ
كوصب عيا دون الروابي ملوّم
صغير ذرافات إذا جاء باحثًا
كبير جماعات إذا لم يكلم
فمن كان في صف الأداني مؤخرًا
فما كان من بين الأقاصي يُقدّم

- ويلتفت إلى أحد المدّعين ليقول له:

حديثك تسويل وقولك باطل
كلامك مشحون ورأيك أسقم
ترد صلاة نصصت في كريمة
بقول فصيح معرب غير معجم
دماغك مختل وفهمك أعرج
بيانك مجهول لسانك أبكم
إذا كنت في ترديد قول قبلته
وإن كنت في تصريح أمر فتكتم
أبلت عباد الله نحو ضلالة
بتطيير أقوال سخيف مذمم
فهذا جزاء العلم إن كنت عالما
وهذا جزاء الفهم إن كنت تفهم
ونقضت حكما من كتاب منزل
وإن كان من عند الإله متمم
ذرى فوق علياء التشامخ والعلا
بكبر وبطر لا بخلق مكرم

• فهذه الطريقة التي واجه بها الشاعر مجموعة من المتعصبين، الذين لا علم لهم، بل يريدون المساس بسمعة الشاعر، وما علموا أنه عالم بأمور الدين والدنيا، ورد عليهم، وخاصة طويل اللسان منهم ردًا مفحمًا أخرسهم جميعًا.

• تنوعت قصائد هذا الشاعر، وتعددت موضوعاته، وله قدرة على النظم في كل ما همه من أمور الحياة، ولم ينس نفسه وقلبه، فقد نظم قصيدة عبر بها عن شغاف قلبه، ويقول فيها:

تـذكّـر قـلـبـي رسـم دارَ الأحـبـةِ
إذا كانت الـورقـاءُ فـي الرَّبـع غنَّتِ
شمول كؤوسي لا تكون سوى الهوى
كفي خمر أعيان العذارى لنشوتي
ولـس عـجـيـبًا أن يـضـرم فـؤادهـا
وأسـمـار عشق بـين شـعـري أكنّت
نـوائـر أفـكـاري حـدائـق خـاطـري
فـحـمـرات آمـالـي ريـاحـين روضـتـي
ويـقـنـص غـزلان المضـامـين فكرتي
إلـى أنـس الإدراك مـالـت طبيعتي
وأوثـقـت فـي قـيـد المحـبـة واثـقًـا
فلست مجازًا من قعودي ومشيتي
وتـخـتـلـه حـتـى تـقـيَّـد فـي الـهـوى
كما صـادت الميسا بـفـود وخصلةِ

• لدى الشاعر كثير من القصائد، ولا أستطيع نقلها كلها، ولكنه إنسان يتعرض لبعض المشكلات، لذا يطلب المساعدة والعون، إما من الناس القادرين، أو من الله الوهاب، وقد يرسل الله لك من يساعدك في محنتك، وهذا شاعرنا يطلب معونة من الله العزيز القادر، فيقول:

بكَ المجدُ مسرورٌ لك الدّهرُ مُسعِدُ
لأنَّـك مـن عـنـد الـرحـيـمِ مُـؤيـدُ
ويـنـجـح لـلأعـيـان عـونـك دائـمًـا
كما ينفع الأعيان في الخلق إثمد
يعبق كالمشموم في الخلق خلقه
وآراؤه كالشمس في الناس توقد
فـإنـك ذو يـسـر مـن المـال والـثـرا
وإنـي لـذو عسر عن الخير مبعد
ولـو شبَّ من نـار الجـوائـح جمرة
لـذاب بـحـر الـقـلـب طـود وجـلـمـد
أخـيـل فـي نـدوات عـلـم كـأنـنـي
مـهـذب أنـواع الـكـمـال ومـوجـد
إذا كنت في تحقيق علم رأيتني
كـأنّـي عـلـى أفـنـانِ عـلْـمٍ مُـغـرّدِ
فيا محسنًا مع حكمتي ودرايتي
فـإنـي فـي الـدنـيـا خـنـيـع مطرد
ترحم فتنظر نحو شمسي فتعتبر
يـذلـل مـن ثـقـل المـرازي مسعّد

• كان الملك مير محبوب علي خان نظام الملك، ملك حيدرآباد، في دولة الآصفجاه، حين لبس العمامة، واجتمعت الناس والعلماء الكرام في مسجد مكة حيدرآباد، وهذا دليل على تمكنه من العلم، وقف الشاعر يلقي قصيدة يقول فيها:

إن لـم أنـاغِ بـنـاهـدٍ عـيـنـاء
لـم يـبـدِ شـعـري صـورةً حسناء
عـبـرات عـيـنـي فـي الـزيـال صبابة
تـرى عـلـى الأمـطـار والأنـواء
الـيـوم صـيـد بـالحـبـال مـقـيد
مـن كـان مـنـا حـابـلاً لـظـبـاء
جثمان صبّ في النوائب والبلى
مـثـل المـتـين يـطـيـر فـي الأهـبـاء
قـل لـلـصـبـيـحـة رحـمـة لمتيم
لا تـقـدمـي بـغـلالـة سـوداء

• وفي نهاية القصيدة يتوجه الشاعر إلى ربه، فيقول:

وأدمْ عـلـيـنـا ظـلـه وجـلالَـهُ
مـا ضـاء نـور الشمس فوق سماء
فـأفـضْ عـلـيـنـا فـيـضـةً ونـوالـه
مـا فـائـض الأمـطـار والأنـواء
نـور أضـاء بـنـونـه وبـنـاتـه
مـا در وجـه الشمس في الأضواء
يـا مـرجـعـي رحـمًـا عـلـى متذلل
والـفـضـل عـنـدك أصـغـر الأشـيـاء
جـدي أشـد خـصـومـة لجريمتي
لـيـذيـب قـلـبـي فـي لـوي وجـوائـي
وإذا دعـوت لسح فيض ضارعًا
فـأنـا الـنـزيـل بـزمـرة الـضـعـفـاء
رحـمـا عـلـى شمسي بفضل دائم
يـذيـب قـلـبـي لـوعـة الـبـرحـاء

• لا شك أن الشاعر الشمسي له قدرات كبيرة في نظم الشعر العربي، وموضوعاته تمس نفسه والواقع الذي يعيشه، فهو مرآة لذاته ولمجتمعه، وشعره بسيط مفهوم لكثير من الناس في مجتمعه، وخاصة من يتقن اللغة العربية، استخدم الخيال في بعض أبياته، وسرد الواقع ببعض الأبيات الأخرى، فأجاد التعبير في الوصف، وفي التخميس، وغير ذلك.

****

أصغر علي الكاكوردي

١٢٨٦ - ١٣٧٤هـ / ١٨٧٠ - ١٩٥٣م

• هو العلامة أصغر علي روحي[1]، ولد بولاية كجرات، غرب الهند، سنة ١٢٨٦هـ، الموافق ١٨٧٠م، تعلم على يد والده أولاً ثم أساتذة عصره، وبعد ذلك ذهب إلى لاهور حيث التحق بالكلية الشرقية بلاهور، وتتلمذ على أيدي أساتذة الكلية، فظهر منه النبوغ باللغة العربية واللغة الفارسية، كتب عدة كتب، ومقالات أخرى، منها:

- الجلاء والوفاء.
- شرح الأسماء الحسنى.

(١) محمد صدر الدين الندوي المدني، المدائح النبوية في الهند ص ٣٨٧ حامد أشرف همداني، الشعر العربي في باكستان ص ١٧.

- تجليات ما في الإسلام.
- أمير الكلام من كلام الإمام.
- سيطرة الإسلام على النصارى.
- العروض والقوافي.

- نظم شعرًا عربيًا متأثرًا بشعراء العرب القدامى، فكان يبدأ قصائده بالنسيب على عادة شعراء المعلقات العربية القديمة، وقد نظم قصيدة في مدح رسول الله - صلى عليه وآله وسلم - يقول في بدايتها:

بنفسي أنتِ ليسَ لكِ الوفاءُ
إلى ماذا التجافي والجفاءُ
رحلت وما رحيلكِ عن تراضٍ
ولكن ملّنا منكِ الثواءُ
كبرقٍ خُلّبٍ وعدو وصل
كريحٍ قلّبٍ، حسنٌ وماءُ
لقد نادى بفرقتنا غراب
فراع القلب بالبين النجاء
كأنَّ القلب مني يوم بانت
كريشاتٍ تطير بها الخلاء
دعا ذكر الشباب إلى التصاب
وهل عند الصباح لي المساء
بباب هال نفسي ذو شجونٍ
وكّلت ناقتي وهي السقاء
وما في العيش خير ترتجيه
ولا فيما اكتسبت لك البقاء
سألتُ الدَّهرَ عما أرتجيهِ
فقال إليك ما هذا الهراءُ
فدع حب الغواني وهو عيٌّ
ودع الغيَّ يخدعه الدواءُ

- هذه المقدمة الغزلية درج عليها شعراء الهند المتمكنون من النظم المتقن الصحيح، وقدرة كبيرة في استخدام اللغة العربية في أشعارهم، ثم يلتفت إلى رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ويذكر القرآن الكريم. بقوله:

ولكن حب نجل هاشمي
أتيح له من الرب الثناءُ
عطايا لا يمِنُّ بها علينا
فنشكر من له عنه الغناءُ
أتيت بما يحار الفكر فيه
له في الابتداء له انتهاءُ
كتابٌ ناطقٌ بالوحي حقًا
بآياتٍ فهنَّ لنا الشفاءُ
بألفاظ تناوبها المعاني
عجائبها فليس لها انقضاءُ
كتاب لا يداخله ارتيابٌ
ولا في جزم معناه ارتياء
كتاب قد بدا شمسًا وبدرًا
تجلى منه نور أو ضياءُ

- ثم يخاطب رسول الله - عليه أفضل الصلاة والسلام - بقوله:

سموتَ إلى المكارم والمعالي
سبقت وقد تلاك الأنبياءُ
وقد كنت اقتديت بهم جميعًا
فسبقتهم جميعًا لا مراءُ
بلغت مكانة ما لم تَرُمْهَا
ملائكةُ السماءِ الأصفياءُ
ومن في الناس أفصح منك لفظًا
وأبلغ منك معنى يستضاءُ
شمائلُ تستميلُ بها قلوبًا
فتأنسُ بالخطاب فما تضاءُ

• وأخيرًا لا ينسى الشاعر النظر إلى واقع المسلمين من التخاصم والتناحر، وسوء الخلق، والابتعاد عما جاء به القرآن الكريم من فضائل، وانتشار الفساد في المجتمعات الإسلامية، وقسوة قلوب المسلمين على بعضهم، وانتشار البذاءة في كل شيء من الخير والشر، فأين نحن؟!! فيقول:

تفسّدتِ النفوسُ فلا تبالي
كتاب الله نخل أو آلاءُ
تفرَّد كل ذي رأي برأي
وإنَّ الرأي في الدنيا الغثاءُ
ولا يأتون خيرًا ما استطاعوا
ولا يألون شرًا ما أساءوا
قلوب صخرة أو من حديد
وألسنة حصائدها رغاءُ
إذا الناس لم يألوا فسادًا
فعالمهم وجاهلهم سواءُ

• حقًا عرف الشاعر كيف ينظم قصيدة في مدح رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – فقد استخرج صفات رسول الله طالبًا الاقتداء بها، بعد أن درس واقع المسلمين، وكيف أن هناك بون شاسع بين ما يتحلى به رسول الله، ما يمارسه المسلمون في هذا القرن؛ من فساد للدين، وما الدين عندهم إلا لقلقة لسان، وحركات للصلاة دون مغزى الصلاة، فهو يريد من المسلمين الانتباه لواقعهم، وما هم فيه من فساد للراعي والرعية.

• وله قصيدة نظمها للنصيحة يقول فيها:

أيا نومانُ ما لكَ لا تتوبُ
جنون الناس في الدنيا ضروبُ
أتطمعُ في رغيد العيش شيخًا
بكاء شجٍ على ما لا يؤوبُ
شبابك قد مضى والشيبُ يبكي
فكيفَ تراهُ وهو لك الرهوبُ
وربّك لا ترى ربًّا سواهُ
تحاولها فما يجديك «توبوا»
إذا لم تنهَ نفسَكَ عن ذنوبٍ
يخادعنا بأشكالٍ تنوبُ
وإنَّ حياتنا الدنيا كغولٍ
وتسخطنا بما لا نستطيبُ
فرضينا بحال نرتجيهِ
نخافُ اللهَ وهو لها رقيبُ

تمـــرّدت الـنـفـوسُ فـلا تـراهـا
وفـيـمـا يـنـقـضـي هـــمٌّ وحـــوبُ
إذا غـلـبـت عـلـى نـفـسٍ هـواهـا
فـلـيس لـهـا مـن الـتـقـوى نـصيبُ
مضى زمـن الصبا يـا ليت شعري
مـتـى هـبَّ الـشـمـالُ أو الجـنـوبُ
لـيـوم تـشـخـص الأبـــصـــارُ فيه
يـحـاسـبـنـا مـهـيـمـنـنـا الحـسـيـبُ
دواعـي الـنـفس لـيس لـهـا ارتـداعُ
ولـكـن الـتـقـى نـعـم الـرقـيـبُ

• قصيدة رائعة من هذا الشاعر الفحل، ونصيحة تكتب بماء الذهب، ولعل الشباب ينظرون إليها بعين التفحص والاتباع، وتأتي من رجل عالم وخبير في الحياة، وله تجربة طويلة مع الأحداث والناس. وله قطعة غزلية يبين فيها براعته في النظم بكل موضوعات الشعر العربي، يقول فيها:

مـــررتُ بـربـعِ سلمى مستجيبًا
لـشـوقٍ هـــاجَ فـي قـلـبـي نـحـيـبـاَ
ويـــومـــي لا أرى سـلـمـايَ فـيـهِ
لـيـومٌ يـجـعـل الـولـدان شِـــيـبـا
أعـــالـــجُ مـــا بـقـلـبـي وهـــو داءٌ
عـضـــــالٌ لا يـكـلـفـنـي طـبـيـبـا
لـقـد سـهـرت طـوال الـلـيـلِ عيني
تجـــودُ بـدمـعـهـا بـــدمٍ مشوبا

• وله أيضًا قصيدة أخرى رائعة في فكرها ونظمها، من هذا الشاعر الفنان، وهي بعنوان: طوبى لقومٍ جاهدوا، يقول فيها:

ألا إنَّ خـيـرَ الـقـولِ قـولُ مـصـادقٍ
يـحـبُّـكَ فـي ديـــن الإلـــه مُـرافـقِ
أحـقّ حـيـاة المـرء بـالـذكـر لـلـورى
لـمـا يـتـحـارى فـي سـبـيـل الـخـلائـقِ
وما نحتُ في الدنيا تصيدُ نفوسنا
بـفـخ الـهـوى إلّا كـبـلـةُ الـنـقـانـقِ
ومـا نـال عـهـدي قـط مـن يستخفني
كما لـم ينل عهدي خـدود العواتقِ
ومـــا أنـــا إلّا كـالـفـراتِ لـشـاربٍ
عـلـى أنـنـي مـلـحٌ أجـــاج لـبـاصـقِ
فـتـعـسًـا لـعـيـشـي مـا أمـــرَّ لـديـده
إذا ما جنيتُ الشوك جني الشقائقِ
أتـيـتُ رغـيـد الـعـيـش فالنكدُ زارنـي
فـررتُ من البلوى فعادت مضائقي
إذا المـرءُ لـم يـسـلـكْ مـسـالـكَ رشـدهِ
فـسـوفَ يـرى يـبـلـى بـشـر المـزالـقِ
فطوبى لـقـومٍ جـاهـدوا فـي صـلاحهِ
هـنـيـئًـا لـهـم روحـــات ريّـــا الـحـدائـقِ
ولا سيما قـومٌ أبـى النقص حمُّهم
فـهـم عـاقـلـو رأس الجـبـالِ الشواهقِ

- شاعر متمكن من اللغة العربية ومن بحور الشعر والقوافي المختلفة، ثم الإجادة التامة في النظم، والقوة في سبك الأبيات، وتناسق الألفاظ والمعاني، وأسلوب تنافس أعظم شعراء العرب، وقد تشرب اللغة والنظم، ووهبه الله الموهبة الفنية العالية فصنع قصائد رائعة المعنى والمبنى، استخدم بحور الشعر العربي، والقوافي الذلل، واستعمل خياله الواسع فصنع صورًا فنية بلاغية رائعة، وبنى جملاً وأتى بأسلوب فخم لينتج تلك القصائد الجميلة، فقد ظهرت موسيقاه الداخلية والخارجية.

- لا شك أن هذا الشاعر لديه قدرة لغوية كبيرة في تتبع آثار الشعراء العرب القدامى، في بداية القصيدة وينظر إلى ما بدأ به الشاعر كعب بن زهير من النسيب وهو يلقي قصيدته «البردة» أمام رسول الله، فيقتفي أثره وينظم قصيدته على ذلك المنوال، وقد درج بعض شعراء الهند في مديح رسول الله على هذا المنوال، تقليدًا لكعب بن زهير، أو تقليدًا لبردة البوصيري، وقد استطاعوا أن يسايروا قصائد مدح الرسول - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم -.

- وله قصائد أخرى لم يتسع المقال لذكرها. وانتقل إلى رحمة الله سنة ١٣٧٤هـ، الموافق ١٩٥٣م.

****

إظهار الحق الأمروهي

١٣١٦ - ١٣٨٣ هـ / ١٨٩٨ - ١٩٦٤ م

- ولد محمد إظهار الحق سهيل بن عبدالحق في أمروهه[1] سنة ١٣١٦هـ، الموافق ١٨٩٨م، تلقى دروسه الأولى في مدينته، ثم أكمل دراسته في دار العلوم بأمروهه، بعدها سافر إلى مراد آباد، ودابهيل، وديوبند لطلب العلم، وكان من أساتذته: الحافظ عبدالرحمن الأمروهي، ومولانا فخر الدين، ومن السيد محمد أنور شاه الكشميري، ومولانا حسين أحمد المدني، وبعد ذلك اشتغل بالتدريس في عدة مدارس، ثم عين أستاذًا في المدرسة الثانوية بمدينة كجرنواله، ثم في سراي سدهو.

- ترك العمل في التدريس سنة ١٩٤٥م، وعمل خطيبًا في المسجد الجامع بمدينة توبه تيك سنك، ثم افتتح مدرسة للتعليم باسم؛ المدرسة الإسلامية العربية، وعمل بها حتى توفاه الله سنة ١٣٨٤هـ، الموافق ١٩٦٤م.

- صنف كتابين هما:
  - **نباهة المتيقظ، تعليق على كتاب «كفاية المتحفظ».**
  - **عجائب القرآن، تفسير لم يتم.**

(١) حامد أشرف همداني، الشعر العربي في باكستان، ص ٢٣٢.

• للشاعر إظهار الحق قصائد بلغة الأردو، واللغة الفارسية، واللغة العربية، ومن شعره العربي قوله في مدح رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – يقول:

أرسلتَ فينا من رسولٍ هاشمي
خير البريّةِ كلِّها بكمالِ
والله أين البدر من وجه النبي
في قرة ونضارة وجمالِ
عرق كريحان الفراديس العلى
والله أين المسك مسك غزالِ
صلوا عليه وسلموا تسليما
إنَّ الصلاةَ عليهِ عين جمالِ
وعلى حسين سبطه وعلى الحسن
سادات أهل الخلد خير عيالِ
وعلى رفيقِ الغار خيرِ سحابةٍ
وعلى رفيقِ القبر بعدَ وصالِ
عمر بن الخطاب أمير المؤمنين
صهر الرسول وصاحب الإجلالِ
وعلى الخليفةِ صاحبِ النُّورينِ
وعلى أخيه البطل سيد آلِ
وعلى الصحابة كلهم والتابعينْ
وعلى بني الأعمام والأخوالِ
صلى الإله على النبي المجتبى
وعلى من اتبع الهدى بخصالِ

• الشاعر إظهار الحق لم يأتي بجديد، استخدم بحرًا عروضيًا، وقافية موحدة، ومشاعر المحبة لرسول الله وسبطيه وصحابته، ومن أتى بعدهم، ولكنه كان ناظمًا لمعلومات معروفة لجميع المسلمين، ولم يظهر في شعره الخيال الشعري، ولا صور فنية، ولم يبدع في صنع أبياته، وظل تقليديًا لم يحاول الخروج عن تلك الدائرة.

****

إعجاز أحمد السهسواني

١٢٨٤ – ١٣٨٢هـ / ١٨٧٧ – ١٩٦٣م

• هو إعجاز أحمد بن عبدالباري بن سراج أحمد الحسيني النقوي السهسواني[1]، ولد سنة ١٢٩٤هـ، الموافق ١٨٧٧م، في قريته سهسوان، درس في قريته المبادئ الأولى، ثم رحل إلى بهوبال، وقرأ التوضيح والتلويح، ومسلم الثبوت وتفسير البيضاوي، على العلامة بشير السهسواني، ودرس النحو والصرف وكتب اللغة، ثم درس الحديث النبوي، وعاد إلى قريته، ومكث بها فترة.

(١) عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٨ ص ٦١. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم شعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٣ ص ٦٠٢. محمد ثاقب الندوي، مجلة المجمع العلمي العربي الهندي، (عليكره: جامعة عليكره، العدد ٣٨، ٢٠١٨ – ٢٠١٩ ص ١٤٦.

- سكن بعد ذلك بسولي، للدراسة ثم ولي تدريس العربية والفارسية في مدرسة بدايون، وبعدها أصبح نائب العميد في كلية فيض آباد، واستمر في عمله هذا ستا وعشرين سنة حتى تقاعد سنة ١٣٦٤هـ، الموافق ١٩٤٤ن، ثم استقر في وطنه يقرأ ويكتب، وينظم الأشعار في العربية والفارسية والأردو، وله دواوين باللغات الثلاث، وظل ينظم القصائد إلى حين وفاته سنة ١٣٨٢هـ، الموافق ١٩٦٣م.

- صنف شاعرنا عدة كتب منها:
  - تسلية الفؤاد بترجمة بانت سعاد، قصيدة كعب بن زهير.
  - توقيع الفرد في تذكار أدباء الهند.
  - رشحات الكرم في شرح فصوص الحكم، للفارابي.
  - الدراري المضيئة.
  - نقد وانتقاد.
  - تذكرة شعراء سهسوان.
  - ديوان شعر عربي.
  - ديوان شعر بلغة الأردو، سحر وإعجاز.
  - ديوان شعر باللغة الفارسية، قند بارسي.

- ومن ديوان شعره العربي قصيدة يصف بها معاناته في طلب العلم، والسعي للمعرفة، يقول فيها:

قد جبتُ في طلب العلوم مفاوزًا
ومهالكًا كالهائم المتشوق
كم من أذى وسط الفلاة سئمته
فلقيتُ آمالي بوجه مشرق
غرَّتني الدنيا كثيرًا بالغنى
وتركتها سخطًا لظاهر رونق

- فقد عانى كثيرًا في طلب العلم، فهو بين ثلاث لغات يجيدها وينظم أشعاره بها، فكان يوفق في اختيار اللغة التي سينظم قصيدته بها. فيرى في الغزل جزءًا من شبابه وحياته، ويذكر المحبوبة وهي تغادر البلد إلى بلد آخر فيصف رحيلها وتعلقها به، ولكن لا تريد أن يعرف أحد العلاقة القائمة بينهما. فيقول في قصيدة له:

ولا أنسى سُليمى يوم سارتْ
بها الأجمال طائعةَ الزمامِ
أتتني كي تودعني فقامت
تعضُّ بنانَها والطرف دامي
وغير وجهها وشك التنائي
وأوجع قلبها روع انصرام
فأومت باللحاظ حذارَ واشٍ
وفي زفراتِها حُرَقُ الغرام

- ما السر في تعلق المحبوبة به، على عكس العادة من تعلق الشاعر بالفتاة التي يحبها، والشاعر هنا يصف شعور المحبوبة عند رحيلها، ولكنها تكتم ذلك، وتخرج آثار المحبة وأسف الفراق. وللشاعر أصدقاء كثيرون، وهم مختلفون في طباعهم وثقافتهم، ومنهم المجد العامل لمستقبله، ومن الكسول الذي لا يريد التقدم وتطوير ذاته، وشاعرنا ينصح بعضهم بالعمل وترك الكسل، فيقول:

يهوى الفتى لذّةَ الدنيا ويأملُهَا
ولا نصيبَ له منها سوى الألمِ
تبًا لدار فَناءٍ لا بقاءَ لها
ولا مصير لأهليها سوى العدم
فهب من رقدة الغفلات نل فرصًا
فليس ينفع بعد الفوت من ندم

- شهرة هذا الشاعر بالأردو أكثر من شهرته في اللغتين العربية والفارسية، ولكنه مجيد فيهما، ويدل شعره على تمكنه من اللغة العربية، وبراعته في نظم الشعر العربي، فهو أستاذ نابه وناصح لتلاميذه وأصدقائه، وعلى الرغم من قلة ما اطلعنا عليه من مقطعات شعره إلا أنه يعطي فكرة عن أسلوبه ولغته السليمة، وألفاظه المعبرة عما يجيش في صدره من أفكار وآراء يخدم بها مجتمعه.

- يحتل الشعر إعجاز مكانة جيدة بين شعراء لغة الأردو، ولكن حظه من اللغة العربية قليل، ومن كتب عنه قليلون، وحتى بين الكتاب الهنود الذين كتبوا عن الشعر والشعراء في الهند، قبل التقسيم وبعده، ولولا ما كتبه عبدالحي الحسني لما عرفه أحد في الوطن العربي.

****

إعزاز علي الأمروهوي

١٣٠٠ - ١٣٧٢هـ / ١٨٨١ - ١٩٥٢م

- هو الشيخ محمد إعزاز علي بن محمد مزاج علي بن حسين علي بن خير الله بن مبارك عليبن جمال الدينبن كمال الدين، وهو من سكان مدينة أمروهه، الأمروهوي[١]

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٨٣. محمد صدر الحسن الندوي المدني، المدائح النبوية في الهند (أورنكآباد، الهند، معهد الدراسات الإسلامية ٢٠٠٧م) ص ٣٨١.. عبدالرحمن النرني، علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث (ديوبند: أكاديمية شيخ الهند ١٩٩٨م) ص ٢٠١. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٥ ص ٥٦٥.

الديوبندي، ولد سنة ١٣٠٠هـ، الموافق ١٨٨١م، في مدينة بدايون، القريبة من مدينة مرادآباد، درس المبادئ الأولى في مدينة شاهجهانفور، حيث عمل والده، ثم سافر إلى ديوبند للدراسات العالية، فالتحق بدار العلوم، ومكث سنة واحدة ثم غادرها إلى ميرت، وعاد إلى دار العلوم في ديوبند، وقرأ صحيح البخاري، والجامع الترمذي، وسنن أبي داود، والهداية وتفسير البيضاوي، على شيوخ دار العلوم، وحصل على إجازتها بالعلوم والفنون واللغة العربية.

- بعد أن تخرج الشيخ عمل مدرسًا في ولاية بيهار، ثم في ولاية أترابرايدش، وبعد ذلك عاد إلى ديوبند سنة ١٩١١م، ليعمل مدرسًا في كلية دار العلوم، التي تخرج فيها، ومنها انتقل إلى حيدرآباد ليعمل قاضيًا، ثم عاد مرة أخرى إلى ديوبند سنة ١٣٤٠هـ، الموافق ١٩٢١م، ليعمل قاضيًا ومفتيًا، بعد عمل في أنحاء الهند دام أكثر من أربعين عامًا، اكتسب خلالها شهرة واسعة، وعرف بلقب شيخ الفقه والأدب، حتى أتاه أجله سنة ١٣٧٢هـ، الموافق ١٩٥٢م، وكان قد ناف عمره على السبعين سنة.

- كان الشيخ إعزاز متحليًا بالصفات الحميدة، متواضعًا، بعيدًا عن الرياء، يحب العلم والمعرفة والأدب، متصفًا بالأمانة والصدق، ولا يخاف في الحق لومة لائم، وينقل علمه ومعرفته لغيره من زملائه وتلاميذه، ومن تلاميذه كثير من العلماء والشيوخ المشهورين في الهند، له مؤلفات وحواشي في الفقه واللغة؛ منها:

- كشف الإيهام والغوامض وقيدًا للأوابد والشوارد.
- حاشية على نور الإيضاح، وعلى كنز الحقائق وعلى شرح المقامة.
- تصحيح أخطاء الكتب المطبوعة في الهند.
- حواشي على ديوان المتنبي.
- حواشي على ديوان الحماسة.

- من قراءة حواشيه على دواوين الشعر العربي يدل على ضلوعه باللغة العربية، وقد نشر شعره وملاحظاته في مجلات الهند العربية والأردية، وعند قراءة شعره يلاحظ القارئ مدى إلمامه بلغة الضاد، وتبحره فيها، علمًا وبلاغة، وكان حافظًا لكثير من الشعر العربي، وخاصة الشعر العباسي، وكان الكتاب رفيقه في سيره دائمًا، فنظم قصيدة يعبر بها عن حبه للكتاب، يقول فيها:

أُلامُ على التجنّبِ والتخلي
فقلتُ أجيبهم هذا شعاري
لقد طوّفتُ في الآفاق دهرًا
وطفتُ القفرَ والبيدَ الصحاري
وجرَّبتُ البلادَ من عليها
ومـيَّزت الصغار من الكبارِ
فإني لم أجد أحدًا نصوحًا
يقيني من وقوعي في عوارِ
ولا يغتابني إن غبتُ عنهُ
ولا يؤذي إذا هو في جواري
رأيتهم عدوّي في البلايا
وأحبابي إذا أنا ذو يسارِ
ولكن الكتاب كتاب علم
سميري في الليالي والنهارِ
يواسيني إذا هجمت همومي
ويُؤنِسني إذا أنا في الدمارِ
خليلي في الهواجس والرزايا
أنيسي مؤنسي حامي الذمار
طريفي تالدي وولي أمري
أحَبُّ ذخائري وكذا ضماري
يدافع عسكر الأحزان عني
ويهدُّئني إذا أنا في السهار
به سُكري إذا ما شئت خمرًا
ومنه إفاقتي وبه خماري
فهلاّ أيها اللوامُ لمتم
خليّ القلب من قطف الثمار
ثمار فنون علم باجتهادي
وتقريب لما يدريه دارِ
خشوعي أطيب الحالات عندي
وإعزازي لديهم فيه عاري

- بعد هذه القصيدة هل يستطيع أحد أن يلوم صاحب الكتاب على انقطاعه عن أحبابه وأصدقائه؟؟!! وعندما زار الأمير عثمان علي خان ديوبند، وكان الأمير قد أسس الجامعة العثمانية في حيدرآباد، الدكن، كما أنشأ دائرة المعارف العثمانية، وأنشأ دور العلم، وكان يحب العلم والعلماء، فوقف شاعرنا يمدح الأمير ويثني على أعماله، بقوله:

عثمان عثمان قد ضاءت به الدكن
كلا وربي أضاء الأرضَ والزمنْ
زال المخلوف والأهوال من دكن
وعمها الروحُ والريحانُ والأمنْ
عثمان مأوى لقوم ما لهم من سكن
وملجأ لغريب ما له وطنْ
غوث الأرامل إذ باتت تسهرها
الصروف من دهرها والذل والفتنْ
فهذه الدولة الغراء ماطرة
على البرية جودًا ما له ثمنْ

- عرف الشاعر مكانة الأمير عثمان في العلم والأدب، فما أوجد من مراكز علمية تفخر بها الهند إلى اليوم، والشاعر ودار العلوم إذ تحتفي بهذا الأمير إنما تحتفي بالعلم والمراكز العلمية التي أوجدها هذا الأمير.

- الشاعر الهندي، بشكل عام، يرى أن قيمته الشعرية لا تكتمل إلا بمدح رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - فمديح الرسول محمد غاية كل شاعر باللغة العربية، ففي قصيدة نظمها الشاعر في مدح رسول الله - عليه السلام - يقول فيها:

رسول الله جئتك مستعيذًا
عليك صلاة ربي والسلامُ
كئيبًا مستغيثًا مستعينًا
على نفس تضيم ولا تضامُ
غريبٌ جاء من أرضٍ غريبٌ
وليس له رفاق أو نُدامُ
ومسّتهُ البلايا والرزايا
يقلبهُ البساط فلا ينامُ
له قلب ولا تحصى مناهُ
له ندم وليس له كلامُ
رغبتُ إلى المعاصِ موبقاتٍ
وألهاني من الدنيا حطامُ
معاصٍ قد حَوت ساعاتِ عمري
فلا يخلو قعود أو قيامُ
صحائف سيئاتي أقدمتني
إلى من يستغيثُ به الأنامُ
رسول الله خذ بيدي فإني
جريح لا لجرحته التئامُ
وإنك خير من ركب المطايا
فبدرك ليس يدريه اللئام
علوت مكانة من مدح نفس
عصي خائب فيما يرامُ
رسول الله جئتك مستجيرًا
وربّي مستجيرك لا يضامُ
رسول الله جئت إليك ضيفًا
وحق الضيف تعرفه الكرامُ
قدمت إليك مسكينًا فقيرا
وزاد النفس آثام عظامُ
مريض أقلقتهُ شؤون نفس
وقد أيست مداووه وقاموا
رسول الله ملتجئًا حزينًا
حضرت وفي الفؤاد ثوى ضرامُ

رسـول الـلـه فـارحـمـنـي فـإنـي
غـريـب هـائـم ولـى الـهـيـامُ
أغـثـنـي يـا رسـول الـلـه إنـي
لمـغـبـون وقـنّـطـنـي الـعـظـامُ
مـلاذي أنـت إن هـجـم الـلـيـالـي
وحـين قـتـالـهـم أنـت الحـسـامُ
وأنـت أبـرهـم وأرقّ قـلـبًـا
وأرعـاهـم إذا رقـدوا ونـامـوا
وأنـت رسـولـهـم جِـنًّـا وإنـسًـا
وأنـت لمـن عـلـى الأرض الإمـامُ
وأفضل من مشى في الأرض هونا
وأعـظـم مـن يـعـزره المـقـامُ
وأجـود مـن ريـاح مـرسـلات
إلـى جـدواك إن نـظـروا وشـامـوا

• عبر الشاعر في هذه القصيدة عن حبه لرسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – بكل قوة واقتدار، وكان أسلوبه بسيطًا وألفاظه سهلة لا تعقيد فيها، وقد توسل برسول الله ليغفر الله له ما ارتكبه في سنين حياته، وإقرار منه بالذنوب التي تهتك العصم، وجاءت هذه القصيدة في زيارته لقبر رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – في المدينة المنورة، فأرى دموع الندم في ألفاظه، وبين ثنايا السطور التي سطرها في مدح رسول الله، وهو جدير بهذه الصفات التي ذكرها الشاعر.

• زار ديوبند شخصية سياسية كبيرة، فوقف المفتي ينشد قصيدة تهنئة لهذه الزيارة الميمونة لهذه الشخصية الكبيرة، فقال فيها:

لاقـتْ مـريـضَ الـبُـعـد والـهـجـرانِ
قـلـقًـا كـئـيـبًـا دائـم الخـفـقـانِ
وتـرحـمـت لمـا رأتـنـي صـاحـب
الآلام والأسـقـام والأحـزانِ
قـالـت أيـا إعـزاز أخـبـر بـالـذي
يـقـضـي عـلـيـك بـحـلـه المـلـوان
بمن ابتليت وحب من يسطو على
خـبـيـك حـتـى صـرت كـالـولـهـان
فـبـكـيتُ ثـم أجـبـتُـهـا يـا مـن تغا
فـل عـن قـتـيـل الحـب والـهـجـران
ذكـراك يـا بـدر الـبـدور رواءه
وشـقـاء لـقـيـاك لا حـسـان
رفـقًـا بـقـلـب تـائـه مـتـغـرب
عـن سـائـر الأحـبـاب والأوطـان
تستفسرين نوائبي ومصائبي
ذقـتُ الـشـدائـد كـلـهـا بـزمـانِ
لـولا أشـعـة دار عـلـم فـي الـزمـان
لـصـار خـلـق الـلـه كـالـسـكـران
دار الـعـلـوم عـلـوم رب الـعـالمـين
كـدرّة غـرّاء فـي الـتـيـجـان

• احتضنت دار العلوم في ديوبند الشاعر تلميذًا ثم أستاذًا، ويرى أن هذه الكلية لها فضل عليه، ومكانها كبير عنده فنظم قصيدة فيها يقول:

دار العلومِ بفيضها المدرار
فاقت ضياء الشمس نصف نهارِ
باقٍ على مرّ الزمان لأهله
من فيضها الهطّال بحرٌ جارِ
من جاء يستسقي بحار فيوضها
يُسقى بها عَللاً بفتح الباري
زادت على شمس السماء وبدرها
نورًا فليس معارض ومبارِ
عادت تضيء وليلها كنهارها
وتميز الأبرار من فجارِ
تدعو إلى غفران رب غافر
وتصير ترسًا من عذابِ النارِ
شهدت ملائكة الإله بفضلها
ودعت لها الحيتان تحت بحارِ
روض حكت جنات عدن تحتها الـ
أنهار للأخيار لا الأشرارِ
ريًا قرنفلها، يفوق هبوبها
هبّ النسائم أول الإبكارِ
وتضوّع الأكوان من نفحاتها
فكأنها زهرٌ من الأزهارِ
يحيي الأراضي كلها تهتانها
كانت سهولاً أو من الأوعارِ
إن زرتها ما زرت إلا روضةً
أُنُفًا من القرآن والآثارِ
يُتلى كتابُ الله فيها دائمًا
وحديث أحمد سيد الأبرارِ
شاهدتها فرأيتها مملوءةً
من طائعٍ خَشِعٍ مِنَ القهّارِ
فاغفر إلهي من بناها مخلصًا
تأسيسها كبناء بيت الباري
ومدرسوها كلهم إلا أنا
مثل النجوم هداية للساري
شبانها شبان زهد والتقى
وشيوخها غرٌّ من الأنوارِ

• بهذه الألفاظ العذبة، والكلمات الطيبة، والعبارات المتناسقة يشدو هذا الأستاذ بكليته، وبزملائه ويضعها في مكان لا تصل إليه أعرق الجامعات في العالم، وكان مبالغًا في وصفها، لأنه منها، ولكن هناك من يعارضه في هذه النظرة العالية لهذه الكلية.

• من خلال هذه الأبيات القليلة التي ذكرت هنا نستطيع القول بأن للشاعر قدرة كبيرة للتعبير عما يقصد من أفكار، فتعبيره جيد، وأسلوبه واضح، واختياره للألفاظ، في معظمها، مناسب للفكرة التي يراها، فمدحه لرسول الله، أو ترحيبه بأحد الزائرين استعمل ألفاظًا تناسب المقام، فكان مدح رسول الله مختلف عن الترحيب بالزائر،

وهو وشاعر متمكن من المعجم اللغوي العربي، مما يدل على دراسته العميقة للألفاظ والتراكيب العربية.

****

أفضل محمد فقير

١٣٥٥ - ١٤١٤ هـ / ١٩٦٣ - ١٩٩٣ م

- ولد الشيخ محمد أفضل فقير[١] في مدينة جك دهيدو، مدينة نارك مندي، الهند، سنة ١٣٥٥هـ، الموافق ١٩٣٦م، تعلم في مدينته المراحل الأولى، ثم ذهب إلى المدرسة الحكومية بشاه بور، ودرس علوم الدين واللغة على يد محمد عبيد الله، ودرس الأدب والشعر، ثم التحق بجامعة البنجاب وحصل على الماجستير في اللغة الفارسية، وتعلم اللغة العربية وفنونها، فقرأ دواوين الشعر العربي، وحفظ كثيرًا منها.

- كان الشيخ محمد أفضل محاضرًا للغة الفارسية وآدابها، لمدة خمس سنوات، وكان يجيد اللغات الأردية والفارسية والعربية، وله كتب ومصنفات باللغات الثلاث، منها:

- **ديوان جان جهان، أردو.**
- **ديوان عطاء محمد عليه السلام، أردو.**
- **ديوان باس اعتبار، فارسي.**
- **ديوان آب ورنك، قصائد باللغات الثلاث.**
- **كتاب مقدمات فقير، مقالات.**
- **كتاب العروض.**
- **ديوان شآبيب الرحمة باللغة العربية.**
- **ترجمة كتاب «صد ميدان» إلى الأردو.**

- الشاعر محمد أفضل شاعر صوفي، وظف شعره للاتجاهات الصوفية في المحبة والزهد، والمدائح النبوية، وتمجيد الإله وطلب الغفران والعفو، وغير ذلك، واستعمل في شعره العربي الدوبيت الفارسي، الذي هو أربعة وعشرون وزنًا، وكان ابن الفارض قد استعمل بعضها، فمن قصائده يقول في إحداها:

سبحانه وتعالى ذاك معبودُ
إذِ المواجيدُ تفنى وهو موجودُ
ربُّ السماواتِ والأرضِ استعان به
أهل الرشادِ فمنه النصر موعودُ
الخوض في كنهه يستلزم الضررا
تفكّر المرء في الآلاء مسعودُ
إذا حقيقته في النفس ثابتة
فينفع العبدمن مولاه تحميدُ
في ذاته أبديٌّ لا شريك له
وفي الصفاتِ معَ الأسماء محمودُ

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم شعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج١٥: ٥٦٧. حامد أشرف همداني، الشعر العربي في باكستان ص ٢٣٤.

فكيفَ يُهدى إلى إدراكه بشرٌ
إذ لا انتهاء له والفكر محدودُ
يغمّد الناس بالنعمى وحين عصى
عبدٌ تجاوز عنه جوده الجودُ
ويمسك الطيرَ في جو السماء إذا
لهنَّ من لطفه فيها الأغاريدُ
تطيعه الشمس من أتباعه القمر
والليلُ شاهده والفجرُ مشهودُ
يحافظ الخلق من أمرٍ يصيبهم
فمن لوازم ذات الحق تسهيدُ
توفير ألطافه دهرًا يحيط بنا
في النزل روحٌ وفي الترحال تزويدُ
وأنقذ الناس من جهلٍ يفرقهم
بالمرسلين أتاهم منه توحيدُ
إنَّ المنيبُ قريبٌ من عنايته
إذا اليؤوس من الغفران مبعودُ
أنقى الخلائقِ عند الله أكرمُهم
تفضّلت بهداهُ الحُمر والسودُ
على البرية أن يخشوا إلههم
من خشية الله تنشق الجلاميدُ
وأسأل الحق تطييبًا بمستطري
للطيبات إلى الرحمن تصعيدُ
بعبده حين يرضى يرفع الحجبا
له كنوز العطايا والمقاليدُ
ما للفقير إلهي خالص العمل
الحزن مرتعه والعجز مجهودُ
يدعوك بالمصطفى من ظلّ رحمته
على الرؤوس إلى الآباد ممدودُ

• قصيدة الإنسان العادي، الذي لا يعرف من هو الله، وذلك الإنسان الذي يخوض في ذات الله، وهو لن يصل إلى شيء، وفي قصيدة أخرى يدعو الناس إلى التفكر في العبادة، وشكر الخالق على نعمه وآلائه، فيقول:

ألا إنَّ الخيرَ في الحمدِ يُجمعُ
وبشرى القبول حامد الربِّ تتبعُ
ولا ريب أنَّ الله يبسط رزقه
رؤوف بعبدٍ إذ من الرزق يمنعُ
وإنهما لصورتا لطفِ ربّنا
وفيضانه من ساحةِ الفكر أوسعُ
وتوفيق شكرٍ نعمةٌ فوق نعمةٍ
فبالنعم المولى الشكورُ يُمتَّعُ
ويهدي إلى اللهِ المنيب ويجتني
يزيّنُ للكفارِ ما كان يصنعُ

• أسلوب جميل، ودعاء متين، وتقرب إلى الله عظيم، بالطرق الصوفية يرى الشاعر أن التفكر في حال الدنيا، وإنها خلقت للإنسان، ويجب عليه أن يتفكر فيما خلق الله، ويحمده لأن في الحمد باب الرزق الحلال، وله قصيدة طويلة فائية، وهي بالطريقة نفسها، يقول:

نَجَوْنا بذكر الحقِّ من كلّ زخْرُفٍ
على ما فقدنا الدّهرَ لم أتأسَفِ
وعاجلةٍ تُرضي بها النفس فتنةً
وإذ لا تقيها المهلكات وما تفي

فطوبى لمن بعد الهداية زادها
وأخلص في دينٍ ولم يتعجرفِ
وعند البلايا إذ تطاول بأسُها
إلى الله يأوي دائمًا كلُّ أعجفِ
ويسأله كل العبادِ فإننا
بغفرانه يوم القيامة نكتفي
وأحسنُ زادٍ للفقيرِ مديحهُ
إذا هو في البلوى كحرزٍ مُكنُّفِ
ومازال فكري في اتباعِ أوامرٍ
وقد غلبت قلبي مخافةُ مُتلفِ
وكنتُ لإخلاص العبادة ساعيًا
ليخرجني من حسرةِ المتلهفِ
ألمَّ عليَّ الهمُّ فانكشف الدجى
سمعت نداء الملهم المتلطفِ
حبيب إمام الخائفين محمدٍ
مقدم جيش المرسلين ومُقتَفِ
شريعته للخلقِ تبشير رحمةٍ
فيحفظها الرحمن من كلِّ مُقصفِ
ستُبعثُ مقبولاً رضيًّا بنعمتهِ
وإن تأتِ من أقصى البلادِ تُشرَّفِ
حوى كلّ تعظيم العظام صعودهُ
تعزز جبريلُ الأمين بمردف
يرافقه صدقًا فألقى بسدرةٍ
إليه اعتذار البائس المتخلفِ
لقد كرَّم الله البرايا إذا لها
قسيم العطايا للهداية يصطفي

يزيدُ سكينات القلوبِ انجلاؤها
فمن يلقِ بالنفس لدى الريبِ يُجرفِ
بليلةِ فوزٍ بالنهايات سرُّه
خطاب الوصال قبله لم يشنّفِ
مفتحةِ الأبوابِ من مكرماتها
لكلّ أثيمٍ مفرطِ النفس مُجنفِ
يلاطف أبصار الحزينِ حضوره
ليانعه تنوير وجه المُضيِّفِ
منزّلة الأنوارِ فيها تباركت
بصبح بمعراج الرسول مُعرّفِ
فبالخلق الأسمى في معرض الهدى
يقاسي رزايا الناس كالمتعطفِ
بباصرة رأى جلالة ربه
وفي قلبه سعادة المتكيّفِ
فيا حسرتي مما تقوّل بعضهم
لمن يتَّبعه منكم يُتخطَّفِ
وكذبت اليهودُ من إفكهم به
وما صدَّقوا الرسول مصداقَ مُصحفِ
يُروّي عروق السالكين عُذيبها
يداوي بفيضها كشاحة مدنفِ
فويل لمن بالمبصرات مخاصمٌ
متى يأته نور الهدايةِ يَصدفِ
بيُمنِ رسول الله في الذكرِ أثبتت
ألوهية المذكور والغيرُ ينتفي

وقد قتلوا الهادين من قبلُ بالهدى
وما اتبعوا الأحكامَ غير التحرُّفِ
فيا ساعة فيها النبي وصحبه
بأكرمهم يحيون قربًا وأرأفِ
بخلّته الصدّيق يحمدُ سرمدا
وحاز به الفاروق سطوة منصفِ
ومعرفة الرحمن من معجزاته
إذا انفجرت منها عيون التصوّفِ
وأشجعهم يوم الضرابِ رسولهم
وأغلبهم عزمًا على كلِّ مجحفِ
وأعظمهم رعبًا وشوكةً عسكرٍ
وأجودهم بذلاً وثروة معتفٍ
وما كتبت أسيافهم في كتائبٍ
على وجنات الدّهرِ لم يتجفّفِ
وهم كرماءُ الله في الناس أمسكوا
مُعدّ الجنان وعدهُ غير مخلفِ
هم طردوا عنه السهامَ تحملاً
إذا نَبَلَ السّعد النبيل كمسعفِ

• قدرة كبيرة للشاعر على النظم العربي السليم، على الرغم من أن مواضيعه واحدة إلا أن نظمه فيه حلاوة القصيد، ودقة المعاني، وسبك المفردات مع المعنى، قرأ الشعر العربي بكل أنواعه، واختار الألفاظ بدقة وأودعها بحور الشعر العربي، ليخرج لنا قصائد ذات معنى دقيق، وأسلوب متميز في المديح الإلهي، أو النبوي، ويمتلك قوة التمكن من ضبط الخيال القليل الذي أداه في قصائده، ولكنه استولى على مشاعر القراء، أو السامعين له.

• نظم الشاعر الدوبيت على النظام الفارسي، وهو أربعة وعشرين بيتًا، ومن نظمه الدوبيت العربي يقول:

(أ)

محبوب المولى ساد الأسلافا
كالخير حوى جزاؤه أضعافا
بالنعت لمن والاه استكرام
قد كان الرحمن له وصّافا

(ب)

في سيرته شارع الهدى سلطان
من لا معها تلألأ العرفان
لا تبلى من تداول الأيام
من يستمسك بها له البرهان

(ج)

الدين ومن يلزمه بالأدب
ما خاب من اهتدى به في المطلبِ
لم تستكمل مكارم الأخلاق
إلّا بشريعة الرسول العربي

(د)

من إرشادات سيد الأبرار
يجرى نهر الهدى إلى الأمصار

لم يشرب من سائغها الظمآن

إلّا استغنى عن إحراق النارِ

(هـ)

ما جاء المصطفى به في الناسِ

زاد الأخرى وأقوم الأساس

في الدهر بلطفه ارتجاء اليسرى

في الحشر به استرداد الإبلاس

(و)

العين إلى رؤيته تشتاق

للفكر إذا ينعته الأذواق

للروح وما يمسكه بالأمر

في عقل رسول الله استغراق

• استخدم القوافي الذلل، فسهلت أمامه الكلمات، وصنع منها أبياتًا جميلة، على الرغم من كون الموضوع واحدًا إلا أنه فاق شعراء آخرين في المديح النبوي، لم يأت بجديد في المديح، ولكنه ركز على الأثر النفسي، والجمالي للقصيدة، نقل واقع حال فترة وجود رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - بين أصحابه فوصف موقفه ومواقفهم معه، فما ميز نظمه طريقة الأسلوب والسبك للألفاظ والجمل.

****

إقبال أحمد الأعظمي

١٣٤٨ - ١٣٩٩ هـ / ١٩٢٩ - ١٩٧٩م

• هو الشيخ إقبال أحمد بن محمد إسحاق العمري الأعظمي[1]، ولد في مباركفور في أعظم كره سنة ١٩٢٩م، تعلم المرحلة الابتدائية في بلدته، ثم التحق في جامعة فيض عام ليدرس العلوم العربية وفنونها، ودرس على يد شيوخ الجامعة، وبعد ذلك سافر إلى مدراس للتعليم الحديث، واللغة والأدب، ثم التحق بجامعة دار السلام في عمرآباد، وحصل على شهادتها سنة ١٣٦٠هـ، الموافق ١٩٤١م، وحصل على شهادة العالمية سنة ١٩٤٣م، وشهادة الفاضل سنة ١٩٤٥م، من هيئة الاختبارات في العربية والفارسية، وفاز بشهادة المنشئ سنة ١٩٤٤م من المدرسة العالية» مصباح العلوم في الله آباد.

• استطاع الحصول على شهادة ليسانس الآداب من جامعة علي كره سنة ١٩٤٩م، وحصل على الماجستير في التاريخ سنة ١٩٥١م، كما حصل على شهادة الماجستير في التاريخ من أيل. بي عام ١٩٥٤م، وحصل على شهادة ماجستير أخرى في اللغة العربية من جامعة علي كره، وبعد أن أتم دراساته وتهيّأ للعمل ذهب إلى بومبي فعمل في مصنع

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٣٣٠.

لحوالي سنتين، ثم تحول إلى التدريس بحصوله على وظيفة مدرس في جمعية الإسلام سنة ١٩٥٥م، وبعد فترة اختار العمل في المتحف القومي بدلهي، وبعد أن أنشأ له مسكنا في دلهي أصبح من سكانها، مع عائلته، ولكنه قبل تقاعده من الوظيفة أصبح ابنه جاويد إقبال مكانه في المتحف القومي، ولكنه فارق الحياة في ١٧ من ديسمبر سنة ١٩٧٩م.

- ألف كتابًا اسمه «سبحة الباري من درر صحيح البخاري» وكان هذا العمل الذي قام به درة أعماله، بذل فيه كل جهده ووضع حواشيه وفهرسته وتنظيمه فلما فرغ منه وافته المنية.

- كان الشيخ إقبال أحمد يتقن اللغات العربية والفارسية والأردو والإنجليزية، وكان ينظم أشعاره بالأردو والفارسية والعربية، وينشر تلك القصائد في مجلة «دار السلام»، وكان لديه ديوان شعر بالعربية والفارسية، وفيه قصائد مدح للعلماء وزعماء المسلمين في الهند، وله ديوان شعر باسم: الخليفة الخامس، ومن هذا الديوان:

يـوم الحـوامـل واضـعـات حملها
ولـتـذهـل مـن أمـهـم رضـعـاء
وهـم سـكـارى نـظـرة لـكـنَّـهـم
لـيـسـوا كـذا بـل صـادهـم رهـبـاء
إنّـي إذا خـوّان دهـرٍ خـانـنـي
فـي نـائـبـات صـخـرة صـمّـاء
الـلـه وفـقـنـا لـصـلـواتٍ عـلـى
خـيـرِ الـورى طـلـعـت بـه الجـوزاء

- شاعر قدير في هذه الأبيات القليلة، ولا يوجد لدي أبياتًا أخرى لقلة المصادر التي بيدي، لذا فالحكم في شعر هذا الشاعر غير دقيق، ولا تعبر بالضرورة عن مجمل شعره.

****

أكمل الدين البدخشي

١١٥٧ - ١٢٣١هـ / ١٧٤٤ - ١٨١٥م

- هو الميرزا أكمل الدين بن عادل خان بن ملك محمد خان البدخشي[١] بن خواجة أحمد البسوي التركستاني، ولد في بدخشان، يعتقد أن تاريخ ميلاده في سنة ١١٥٧هـ، الموافق ١٧٤٤م، أتقن حفظ القرآن الكريم، ودرس الدراسات الدينية المختلفة، مثل الفقه وأصول الفقه، والتفسير والحديث الشريف، ثم ذهب إلى الهند في عهد السلطان أكبر، وأصبح موظفًا حكوميًا مسؤولاً عن أكور كشمير، وقد كان بايع خواجه حبيب الله الكاني الصوفي.

(١) محمد مظفر حسين الندوي، مساهمة أهل كشمير في اللغة العربية والأدب العربي ج١: ٢١٥.

- للشاعر أكمل الدين مصنفات منها:
  - ديوان مخبر الأسرار، من تعابير خواطره.
  - كتاب بحر العرفان، يحتوي على ستين ألف بيت من الشعر.
  - شرح قصيدة البردة لكعب بن زهير.
- براعة الشيوخ الهنود في اللغة العربية تكمن في شرح القصائد العربية المشهورة، والنظم باللغة العربية يدل على تبحره في الأدب العربي، ومن خلال ديوانه «مخبر الأسرار» له قصيدة في مدح رسول الله، يقول فيها:

صاحِ صاحَ الحمامُ حول كمامِ
دَوروَردٍ أدِرَ صواع مُدامِ
لاحَ دار الحمل وجال الحوال
دار كأس المدام رأس العام
أوردَ الروح أملحاح الدّوح
روح الروح احمرار مدام
اللعاع اللعاع وهو مروم
المدام المدام وهو مرام
لمع مدَّ المُدام أسحرا
هادمُ الهمّ صادم الأوهام
لحساء المُدام المكمّل
خلَّ حلاً وللعوام حرام
روّح أهل الولاءِ مسراح روح
دار أهل المدام دار سلام
مطلع الراح كلها ملح
لملاح مع المدام سلام
لطماح لهم كوحط رماح
وأحاح لهم ككلم سهام
هم لأهل الولاءِ أعداء
ولهم وصلهم أهمّ مهام
ما سواهم مكدَّر الأرواح
ما عداهم محرك الأعلام
دلُّهم كالطموح للكردوس
لمحهم كالطموح للأرام
لهم الجدل ما لهم عدل
وهل روع لعدى الأحكام
وهو كامل محمد اسمه
طوّل الله كرمه وأدام
أكمل العصر اسمه الأسعد
مع اسم المصور العلام
واسع العلم أكرم العلماء
مسعد العلم مصعد الأعلام
هامر الملك أمر العالم
ساعد العلم صاعد الأعلام
أكمل الدّهر أكرم الكرماء
كامل الحدس حامل الالهام

لامــع الــرمــح مــالــع الــصــلــدام
سـارع السـهـم مـاصـع الصمصام
حـــال حـــرد طـــحـــوره أكّـــال
حـــال مـصـع حـسـامـه لـهـام
رهـــط أهـــل الـــدعـــاء أدعـــوه
ســرمــدًا بــالــســلام والاكـــرام

• يستعمل الصوفية لغة لا يفهمها معظم الناس، فقد حشد في قصيدته هذه النادر من الألفاظ، والوحشي من الكلمات، ليدلل على حفظه للمعجم اللغوي العربي، وليظهر براعته في استخدام الألفاظ غير المألوفة، ولكنه قد حافظ على النسق العربي في النظم، من حيث البحر الخليلي، والقافية الموحدة، وغاص في أعماق فكره، وترك الحبل على غاربه في اختيار الألفاظ المعبرة عما يريد.

• الشاعر أكمل الدين صوفي المذهب، والصوفيون لهم لغة خاصة يفسرونها برأيهم، ولا يستطيع أحد غيرهم تفسير المقصود من الكلمات، لذا يتعرض بعض الصوفية للسجن والقتل، لعدم فهم الناس لألفاظهم وتعبيراتهم، وهذا الذي ينطبق على شاعرنا، الذي وافته المنية بعد أن أكمل الخامسة والسبعين من عمره، أي في سنة ١٢٣١هـ، الموافق ١٨١٥م.

****

ألطاف حسين حالي

١٢٥٣ - ١٣٧٢هـ / ١٨٣٧ - ١٩١٥م

• ولد الخواجة ألطاف حسين بن أيزد بخش الأنصاري[١] في مدينة باني بت، قريبة من دلهي، سنة ١٢٥٣هـ، الموافق ١٨٣٧م، ودرس في مدينته، وحفظ القرآن الكريم، ثم درس العلم على يد إبراهيم حسين الأنصاري، الذي علمه النحو العربي، وكتب المنطق، ثم ذهب إلى دلهي، وقرأ عند مولانا نواز علي الدهلوي، وعاد إلى بلدته سنة ١٨٥٤م، فقرأ العلم على يد المولوي قلندر، والمولوي محب الله، والشيخ عبدالرحمن الأنصاري، وغيرهم.

• بعد ذلك ذهب إلى مدينة جهانغيرآباد، وتقرب من النواب مصطفى خان الدهلوي، وصاحبه مدة، وأخذ فنون الشعر من أسد الله خان غالب، سافر إلى لاهور للتدريس، ثم عاد إلى دلهي وعمل في التدريس إلى سنة ١٣٠٩هـ، الموافق ١٨٩١م، وحصل على راتب من آسمان جاه الحيدرآبادي، فاعتزل في بيته للكتابة والتأليف، والمساعدة في حركة التعليم الحديث التي يتزعمها السيد أحمد خان.

(١) عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ٦٥. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم شعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٤ ص ١٥٣. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١٥٦.

• استطاع الشيخ ألطاف حسين أن يؤلف مجموعة من الكتب، والمقالات باللغة العربية والأردو والفارسية، وأن ينظم قصائد شعرية، فمن هذه الكتب:

- **حياة جاويد، سيرة السيد أحمد خان بن المتقي الدهلوي.**
- **حياة سعدي، سيرة الشاعر الفارسي سعدي الشيرازي.**
- **ياد كار غالب، سيرة أسد الله خان غالب الدهلوي.**
- **ترياق السموم في الذب عن الملة الإسلامية.**
- **مجالس النساء.**
- **شكوة هند.**
- **مقدمة في الشعر.**
- **المد والجزر في الإسلام، المعروف بمسدس حالي، هي منظومة شعرية بلغة الأردو، ذكر فيها ظهور الإسلام، وما له من فضل على الإنسانية، وذكر بعثة رسول الله، وصور شخصية محمد - عليه السلام - أبدع تصوير، وذكر آل البيت والصحابة، والعرب وما لهم من فضل في إحياء العلوم والحضارة، وذكر ما نكب به المسلمون في العصر الحديث من انحطاط في الأخلاق، والانصراف عن معالي الأمور إلى توافهها، وما ابتلى به المجتمع الإسلامي من ضياع الهمة فصوره تصويرًا دقيقًا.**

• نظم الشيخ ألطاف الشعر بالأردو، وله ديوان شعر، كما أنه نظم باللغة العربية واللغة الفارسية، وكان رقيق الشعر، ودقيق المعاني، وله نظرة في نقد الشعر، واستطاع الاقتباس من الأساليب العصرية في النقد والتاريخ، ولكنه كان متألمًا لما أصاب المسلمون من ضعف وتكاسل، قام الحافظ يعقوب بجمع شعره العربي، وأصدره في ديوان، له قصيدة في مدح رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، يقول:

ألا هي ذكاء العلوم تنور
تضيء القلوبَ وفيها تدورُ
وقد أشرق البدرُ شرقًا منيرا
ينار غياب لنا والحضور
قد اخضر منك جنان الجنان
أحاطت به الرحمة والسرور
سقينا شرابًا طهورًا ببحرك
وأنهاره جرن والنحور
ونورت في هذه الأرضَ نورًا
تجلت شهور به والدهور
وأنواره ما بها الاقتباس
تنور شموس بها والقمور
قد اقتبس الطالبون اقتباسًا
قلوب أضاءت به والصدور
وهذا رسول الإله بحق
على نعمة الله عبدشكور
واستغفر الله من كل إثم
فإني أثيم وعبدحقير
وربي كريم رحيم حليم
رؤوف وكيل عفو غفور

• ومن شعره أيضًا قصيدة بعث بها إلى شيخه: شاه عبدالغني، في المدينة المنورة، يقول فيها:

هوى الحُور بلوى كل حبرٍ ونادبِ
وفتنة قسّيسٍ وزلة راهبِ
وهزم لمنصور وفتح لخاذل
وعزّ لمغلوب وذلٌّ لغالبِ
وما من نساء الحيّ للعز مخلص
بلمح قد استأسرنَ أهل التجاربِ
وليس بداءٍ كاد يشفي سقيمه
صبابة قلبي بالعذارى الكواعبِ
قد اختطفت لبي وروعي مليحةٌ
بلطف مُدار لا بعبس معاتبِ
مُعطّلة الآراء من غير رقية
مُقتّلة الأحشاء لا بالمضاربِ
وصاحبة العشّاق لا في مكارة
وكاذبة الميثاق لا بالمراقبِ
لفي نظرة منها وغمز ولمحة
بلاء لذي ورع إلى الله تائبِ
وكم من حياء دونها وتصخب
وحسنٍ من التقوى وخوف العواقبِ
عجبنا لما خرّ موسى صعقة
ولكن رأينا عند كشف الجلائبِ
ذهبنا لتلهيها بنا عن مشاغل
فجاءت وألهتني عن الأشغال بي
أشدّ بلاءً وصلها من فراقها
إذا كان عند الوصل خوف المراقبِ
أراقب وقت الوصل من غيرِ موعدٍ
أصدّق في إقدامها قول كاذب

أليلايَ ما أغناكِ عن شأن مولع
له أنت في دنياه قصوى المأربِ
تناسيتُ في ذكراكِ علمًا وحكمةً
وأنضيتُ أيامًا إليها ركائبي
ذهبتِ بصبري يوم أقدمتِ في الحمى
نزلت وما أنزلت حمل المراكبِ
شغلتِ بلحظٍ قلبنا عن مشاغلٍ
صرفت برمزٍ قصدنا عن رغائبِ
يغشى على أبصارنا منك جلوةٌ
كأنّك في الأستار من غير حاجبِ
عتابكِ حلوٌ في المذاق فعاتبي
وضربكِ حتى للرقاب فضاربي
ودونك قلب العاذلين بنظرةٍ
لكِ الدَّينَ عند العاشقين فطالبي
أحباي لا شكوى حزين فربما
تُهيّج للأصحاب رنة صاحبِ
ذرونـي وقلبي بالرزايا فإنه
مصائب أخرى ذكرُ تلك المصائبِ
لقد قلَّ عوني في أمورٍ كثيرةٍ
كأني غريبٌ بين خلٍّ وقاربِ
ولي من موال إنما أنا بينهم
بمنزلة الكرار بين النواصبِ
وفيم إلى سلمى وصولي فإنني
ضللتُ سبيلي في ضياء الكواكبِ
لأصبحَ يوم البين كالليل مظلمًا
كأنّ صباحي قطعة من غياهبِ

كما أظلمت «دلهي» بتغريب كوكبٍ
مضيء علة عرب عن الهند عازبِ
عروف غزير العلم هادٍ ومُرشدِ
جليل المساعي مستفيض المناقبِ
صبورٍ على البلوى شكور على الله
نفورٍ من الدنيا إلى الحقِّ راغبِ
مَدار كمال مقتدى كل كامل
محطّ رحال منتهى كل طالبِ
إذا ما قضى عدلٌ صدوق إذا روى
مصيبٌ إذا أفتى، إذا قال صائب
وحيد الورى «عبدالغني» الذي له
أوائل مرآةٍ لكشف العواقبِ

• يتمتع هذا الشاعر بقدرة كبيرة على النظم باللغة العربية، على الرغم من أنه شاعر بلغة الأردو، وله قصائد أيضًا باللغة الفارسية، معنى ذلك أن قدرته في النظم بثلاث لغات لهي قدرة إبداعية عظيمة، وله قصيدة أخرى في الحب، بعد أن فارق أحبابه في دلهي، ليعمل في لاهور، يقول فيها:

هل من يبلغ عن محصور «لاهور»
عن مبتلى فيه بعد الكور بالحورِ
إلى ديارٍ بها سلمى وأهليها
إن لم يكن في زمان البين من خبرِ
هل فيكم من يواسي حائرًا أسفا
بما مضى من دوام القرب والزورِ
ولم يزل حدثان الدهر يزعجني
يومًا بنجدٍ ويومًا كنت في غورِ
لكنني راسخ في حبكم قدمي
فلن أحوّل عن طور إلى طورِ
إني أحبُّ وأهوى أن ألاقيكم
إن لم يكن نحوكم مسعايَ أو سَيري
إني أراني وقد أنضيتُ من نصبٍ
بحيث لم أبقَ أن أمتاز عن غيري
وإذا رأيت قضاء الله محتكمًا
رأيتَ نفعي طوى فيما يرى ضَيري
أرجو من الله بعد العسر ميسرةً
إمّا على مهلةٍ ما أو على فورِ

• يبدو أن الشاعر ألطاف يغمره الغزل، ويأخذ بلبه وقلبه، ولا نعرف متى نظم هذه القصيدة، هل كانت في فترة الشباب، حيث الصبابة والعشق، أو أنه خيال جاء متأخرًا في فترة الشيخوخة، فقد انتقل إلى رحمة الله سنة ١٣٧٢هـ، الموافق ١٩١٥م، فكان سنه حوالي ثمانية وسبعين، أي أنه كان شيخًا كبيرًا، ولكن شعره سهل دون تعقيد، وأسلوبه منسجم مع حياته وتطلعاته، وكانت ألفاظه وتراكيبه متناسقة المعاني، وصوره الشعرية جميلة، دون غوامض، أو تصنع بغيض، لذا لا عجب أن يكون شيخ الفقه والأدب.

****

إلهي بخش الكندهلوي

١١٦٢ - ١٢٤٥ هـ / ١٧٤٨ - ١٨٢٩ م

• هو الشيخ إلهي بخش بن محمد عبدالقادر بن محمد شريف بن أبي سعيد القادري الصديقي الكاندهلوي[١]، ولد في قرية كاندهلة، القريبة من دلهي، سنة ١١٦٢هـ، الموافق ١٧٤٨م، كان والده معلمه الأول قرأ عليه الرسائل المختصرة، وتعلم الخط، وتتلمذ على يد الشاه عبدالعزيز الدهلوي، وتابعة على الطريقة الصوفية، وتعلم الطب عن طريق والده وجده، درّس العلوم الدينية، ثم أصبح مفتيًا في بهوبال، ولقبه كان «مفتي إلهي بخش».

• له عدة أبحاث منها:

- شرح الأرجوزة للأصمعي.
- جوامع الكلم، في الحديث.
- أحوال رواة البخاري.
- حد البصائر في عد الكبائر.
- له رسائل في الصلاة لدفع النوائب. ورسالة في أسماء البدريين. ورسالة في أحوال العلماء.

• هو فقيه وشاعر، نظم قصيدة معارضًا قصيدة كعب بن زهير «البردة»:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم إثرها لم يجز مكبولُ

• وبدأ القصيدة كما بدأها كعب، وأسماها قصيدة «ناضت سعاد» يقول فيها:

ناضت سعاد فبالي الآن مجزولُ
مضيع خلفها لم ينجُ محبولُ
ولا سعاد صباح الرحل إذ ذهبت
إلّا أرجُّ خفير العين مخبولُ
مشقاءُ جانية ردفاءُ ذاهبة
لا يُنتمى وقص فيها ولا طول
تُبدي الأسنة ذا حسن إذا ضحكت
كأنها مشرب بالخمر مغمول
قرت بذي شنب من سيل مدحلة
ثاوي الجنادل أمسى وهو مرسولُ
تَذري الغبارَ الصبا عنه وكثّره
من سحب ساحية سوّدتها ويل
أجمل بها شيمة لو لمحةً ثبتت
في قولها ولو أن الوعظ معمولُ
لكنها شهلةٌ أركان فطرتها
خلّبٌ وخدّبٌ وتسويلٌ وتأويلٌ
فما تقوم على شأن تحس بها
كما تبدل في هيئاتها الغول

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم شعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٤ ص ٤٦٠. عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة ال خواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٨ ص ٦٤.

ولا تثبت بالقول الذي وعدت ... كأنها قيسٌ مُوقيها ومنخرها

إلّا كما توثق القطر المناخيلُ ... من أنفها ومن الخدين سجّيلُ

فلا يسرنَّك ما سلت وما ملت ... تجر نحو جريد الشيص ذا عقصٍ

منها المواعيد أوهام وتخييلُ ... في حلمة لم تخوّلها العزاهيلُ

غدت أكاذيب عرقوب لها شبهًا ... كوماء في شحمتيها للعريف بها

وما أقاويلها إلا المطاحيلُ ... حسنٌ بديعٌ وفي اللحيين تعديلُ

أسلو وأطمع أن تبدي محبتها ... تسري برجل خشيفٍ وهي سابقة

ولا يظنّ بحينٍ منك تخويلُ ... ضوامرٌ وقعهنَّ النقع تقليلُ

بانت سعاد بمصرٍ لا توصله ... حمر العجارات يلقين الصفا حَيَدًا

إلّا المطايا الكريمات الهذاليلُ ... لم يحمهنَّ صعودُ الحقفِ تكليلُ

ولن تهم به إلا عرندسةٌ ... كأنَّ قلب أياديها متى هرعت

فيها مع العي إجفال وتمعيلُ ... وقد تلمَّع كالماءِ العواقيلُ

ترنو السحيق بطرف طائف طرف ... حينًا يصير به الحيتان محترقًا

متى تسعّر سجيلٌ وعاقولُ ... كأنَّ ظاهرها بالحر مطحولُ

خذلٌ مُعنَّقها هبلُ معقلها ... وقال بالركبِ هاديهم وقد طفقت

في نظرها عن كرام النوق تبجيلُ ... سود العنادل يركلن الصفا ميلوا

رقباءُ فطحاءُ هذلولٌ مجملةٌ ... وسط الظهيرة أيدي هضبلٍ أسفِ

في جنبها عِظَمٌ في الجيد ترفيلُ ... صاخت فساعدها ثكلى بها عولُ

وجسمها من رخام لا يخدشه ... صرَّخة ليّنة العضدين لات لها

قملٌ بظاهرة الجنبين مخلولُ ... لما رثى ولدها الراثون تعطيلُ

عهلٌ عتيقٌ أنيقٌ من عثمثمةٍ ... تنجو العذارَ بأظفارٍ وملبسها

وأمها أختها يلّاءُ خشليلُ ... مخرقٌ في أياديها شماليل

يأتي الذبابُ عليها ثم يجدله ... أجاب كل صديق كنتُ أطعمهُ

عنها فليقٌ وأكفالٌ طرابيلُ ... لأتركنَّك قلبي منك معتولُ

فقلتُ ولوا طريقي لا وفاءَ لكم
فكل ما شاء الفعالُ مجعولُ
أخبرتُ أنّ نبيَّ الله هدّدني
والكظمُ خُلقُ رسول الربّ مجبولُ
لقد حضرتُ حبيب الله ملتجئًا
والصفحُ لطف رسول الله مبذولُ
صفحًا وقاكَ الذي أولاك معجزة
علياءُ فيها تحاريم وتحليلُ
لا تفتكنّي بفوهات السعاة ولم
أجرم ولو نُسبت لي الأباطيلُ
فقد أقمتُ بنادٍ لو أقيم به
أعي وأنظر ما لو ينظر الفيلُ
لصارَ يرجفُ إلا أن يساعده
من النبيّ بأمر الربّ تعويلُ
حتى حضرتُ بنفسي لا أشاجره
في جنب ذي غزوات جوده النيلُ
وذا لأخوف ما بي إذ أقاوله
وقد عزيت بجرمٍ وهو مندولُ
من باسلٍ من عفرني الليثُ موطنه
في وسط تجرة تيهٍ فيهِ غُملولُ
يسطو فيُشبع أشبالاً فطعمتها
قلبُ الأناسي ممضوعٌ ومتلولُ
متى يواثب مِثلاً لن يجور له
أن يثمل المثلُ حيًا فيه تصويلُ
منه تبيت وحوش العيص جائعة
ولا تُحجّي بواديه الرابيلُ
ويستديم بمعناهُ أولو عُكنٍ
مرمّل الطمر والأوصال مخبولُ
إنَّ النبيَّ لنور يُستنار به
مؤثل من حسام الربّ مصقولُ
في حفلة من كرام قال أعدلهم
بوسط كعبة إذ ما آمنوا عيلوا
عالوا وما زلّ ممراضٌ ولا نكبٌ
صف القتال ولا جمّ زفافيلُ
أسمى الخياشيم شجعان ملابسهم
أدراع داود أفراد هراطيلُ

- ما هذه القدرة اللغوية لهذا الشاعر؟؟؟ أعاد نظم قصيدة كعب بن زهير، بألفاظ وتعابير جديدة قديمة، قدرة على استعمال المعجم اللغوي العربي، استخرج من بطون الكتب كل الألفاظ النادرة والحوشية وسطرها في هذه القصيدة، ولم يتخلى عن الوزن ولا القافية، وأيضًا المعنى، فجاءت لتصب شيئًا جديدًا على قصيدة» بانت سعاد» وكأنها قصيدة جديدة، اعتذر كعب لرسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – ومدحه، فجاء شاعرنا يمدح الرسول بالأبيات نفسها مع تغير الألفاظ والتعابير، فما الصفة التي نطلقها على هذا الشاعر؟!!

- قدرة الشاعر الفائقة على الاحتفاظ بالوزن والقافية لقصيدة كعب في قدرة عظيمة لا يستطيعها شاعر آخر،

حتى شعراء العرب لم يقم أحد بمثل هذا العمل الخارق للعادة. والقدرة اللغوية له فاقت كل قدرات الشعراء، فكيف تأتَّى له ذلك، إلا من خلال دراسة معمقة للمعجم اللغوي العربي.

****

أمير رضا حسن خان

١٢٣٦ - ١٢٦٦ هـ / ١٨٢٠ - ١٨٥٠ م

- هو المولوي أمير رضا حسن خان الكاكوروي[١].
- ولد سنة ١٢٣٦هـ، الموافق ١٨٢٠م، يبدو أن صاحب مرجع الترجمة اشتبه عليه الأمر في تاريخ مولده، فقد وضع سنة ١٢٤٦هـ، الموافق ١٨٣٠م، كتاريخ ميلاده، وفي الصفحة المقابلة قال عن شرح قصيدة الشاعر: أنه ابن تسع وعشرين سنة، فالصحيح أنه ولد سنة ١٢٣٦هـ، الموافق ١٨٢٠م، وهكذا يكون أقرب إلى الحقيقة، تعلم في بلده، ثم سافر إلى كلكتا عند والده، سنة ١٢٦٢هـ، الموافق ١٨٤٦م، وهناك استكمل دراسته، وأتقن الأدب العربي والأدب الفارسي.
- درس علومه الأولى من أساتذة عصره، وبعد دراسته بدأ يؤلف ويكتب، وينظم الأشعار، وهو في حوالي العشرين من عمره، ومن مؤلفاته:
  - **قصيدة أنموذج الكمال، وهي قصيدة على روي بردة البوصيري سنة ١٨٤٧م.**
  - **كتاب مطارح الأذكياء، مسائل في علوم شتى.**
  - **نفحة الهند وريحانة الرند، من جزءين؛ في الأول شرح قصيدة لامية العجم للطغرائي، التي شرحها الصفدي. وفي الجزء الثاني: يشتمل على خمسة أبواب؛ الباب الأول: حكايات ولطائف. والباب الثاني: لطائف الأشعار. والباب الثالث: تلخيص كتاب سبحة المرجان لغلام آزاد البلغرامي. والباب الرابع: في تلخيص كتاب سلافة العصر لابن معصوم. والباب الخامس: في الرسائل البديعة.**
  - **التحقيقات الدقيقة. وهي عدة حواشي لكتب معروفة.**
  - **التوضيح المزيد في فضح يزيد.**
  - **الدر المنظوم في تحقيق العلم والعلوم.**
  - **غاية الأدب في شرح لامية العرب.**
  - **معاطاة الكؤوس في شرح العروس.**
  - **نكهة الهند والعنبر في تعصير سلافة العصر.**
  - **وهناك رسائل وكتب صغيره له.**
- للشاعر القدرة الكبيرة في نظم الشعر باللغتين العربية والفارسية، ومن شعره العربي، قصيدة في والدته التي رحلت عنه بعد مرض عضال، وهذه القصيدة تنبع من روحه وفكره وعاطفته، ولم يجد في التعبير عن فقده

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١٦.

لوالدته سوى هذه الألفاظ القوية التي تفيض عاطفة وحبًا، يقول فيها:

يا للأعزةِ ساروا في التباشيرِ
فاسودَّ يومي كأحداق اليعافيرِ
نحن الجسومُ هم الأرواح فارتحلوا
وخلفونا كأمثالِ التصاوير
من لي بإبراء أمراض زمنت بها
راح الطبيبُ المداوي بالتدابيرِ
الدّهرُ مديد العنون حيث طوى
بساط عافيتي طي الطوامير
لا يحملُ الصخر أنارا تلك في كبدي
فكيف يحملها سلك الأساطير

- شدة اللوعة والأسى تبدو في كلماته، وعمق الفكرة استصحبت معها تلك الكلمات المعبرة عن الحزن والألم الذي أصاب نفسه، ففاضت في ذهنه تلك الأبيات الحزينة.

- كان الملك نصير الدين حيدر، ملك أوده في الهند، أحد الرجال الذين يشجعون العلم والعلماء، وله سمعة طيبة في عصره، لذا كان لهذا الملك مكانة عمد الشاعر، فما كان منه إلّا أن نظم قصيدة يسربها ذلك الملك، يقول فيها:

الفقرُ في القصرِ كالغفرانِ في الذللِ
والعجز في العزّ كالكتمان للخللِ
اصبر على مهلكات الدّهرِ مؤتلفًا
فالصبرُ أفضل للإتيان بالجذلِ
لا تفترنَّ على ما جاء من نشط
إنَّ النشاطَ بها يأتي على الدّخلِ
والقلبُ منكدر وأسفًا على عتوّ
والعينُ باكيةٌ للقفرِ والأتلِ
كيفَ السبيلُ إليها قد أحاط بها
أسد المعارك أبطال بني ثغلِ
وحولها قد غدت مسكونة معها
بيضٌ وسمرٌ وسهمُ الأعين النجلِ
رأيتها بغتة والليلُ في ظُلَمٍ
والحرس في كسل والناس في شغل
عجبتُ من وردها القاني وقلتُ لها
قد أحضر الليلُ من لا خاف بالأقل
فقالت اذهب فإني لست أسمعه
ولستُ أخشى من الاكثار والملل

- هذا شاعر متمكن جدًا من اللغة العربية والنظم بها، أبيات شعره تدل على مقدرة كبيرة في قرض الشعر، وإحساس بالألفاظ والتراكيب اللغوية، ومؤلفاته باللغة العربية تدل على دراسة معمقة للغة، بما فيها من بلاغة وصور بلاغية وغيرها من التراكيب الفنية، يطلب الشاعر الصبر على ما يحب، فالصبر على المكاره، والصبر على ما يحب، وشاعرنا عندما التقى بتلك الفتاة، وأراد التقرب منها فلم يستطع ذلك لوجود من يحميها منه، أو من نظراته لها. ولكن لم أر غير هاتين القطعتين له مع إنه نظم قصائد كثيرة، كما يدعي جامع المعلومات عنه.

• مدح الملك نصير الدين حيدر ليس كمدح رجل عادي، بل جعل فيه شيئًا من الغزل، كي يلامس قلب الممدوح، وجاء بألفاظ يحس القارئ أنها مقصودة للغزل، ولكنه وضعها ليجعل الممدوح يتذوَّق الجمال الفني للقصيدة، وينفعل معها، ويستجيب لمقاصد الشاعر من وضع تلك العبارات المليئة بالحب والعاطفة.

****

أمين أحمد المدراسي

١٣٤٥ - ٠٠٠٠هـ / ١٩٢٧ - ٠٠٠٠م

• هو الشيخ أمين أحمد بن فضل الله المدراسي[١]، ولد في مدينة وانمباري سنة ١٣٤٥هـ، الموافق ١٩٢٧م، بعد إتمامه الدراسة الابتدائية التحق بجامعة دار السلام بعمرآباد سنة ١٩٤٠م، وتخرج فيها بحصوله على شهادة الفضيلة، فتم تعيينه بالجامعة نفسها سنة ١٩٤٩م، ولكنه عمل بالتجارة وظل يمارسها حتى اشتاقت نفسه للعلم، فعاد إلى جامعة دار السلام وعمل أستاذا فيها سنة ١٩٦٤م.

• كان الشيخ يدرّس الفقه والأصول، ويدرس كذلك اللغة العربية وآدابها، وهو شاعر وله قصائد كثيرة في مدح رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ومنها هذه القصيدة التي يقول فيها:

رسولٌ كريمٌ جميلُ الشِّيمْ
جزيلُ العطايا كثيرُ النِّعمْ
حليف المعالي رفيع الهمم
نظيف الثياب حلي الكلم
أضاءت طليعة وجه النبي
دياجير كون ضرير دجي
تفور ما حول أمّ القرى
ببدرٍ منيرٍ نقيٍّ وضي
نصلي على ذي العلى والكرم
نبي البرايا شفيع الأمم

• وله قصائد أخرى في مدح رسول الله، منها هذه القصيدة حيث يقول:

رسولٌ أتانا بخلْقٍ خليقْ
نبيٌّ أتانا بوجهٍ طليقْ
دليل هدانا سواء الطريق
بشير الحنان نذير الحريق
فدته الكرام وأهل المعالي
فدته الكنوز وغرّ الليالي
نصلي عليه طوال الليالي
فصلوا عليه عداد الرمال

(١) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص٤٣٤.

نجـــوم أحـــاطـــت بـــبـــدر مـنـيـر
أضـــــاءت ديـــاجـــي كـــون ضـريـر
حِـمـــام لـبـاغـي فـسـاد وظـلـم
كـرضـوى تجـــاه الـعـدى وثـيـر
ألا إنـــهـــم خـيـر مـــن فـــي الأرض
لجـيـش الـفـسـاد كـبـيـض مـواضـي
صـــحـــاب الـــرســـول فـيـوض غـمـام
زهـــور الجـنـــان ربـيـع الـريـاضـي
دعـــاة الأنـــــام إلـــى كـــل بـر
هـــداة الأمـــــام إلـــى كـــل خـيـر
نـهـاة لـهـم عـن قـبـيـح الـفـعـال
بـغـيـةِ رضـــا الـلـه فـي كـل أمـر

• من خلال بعض هذه النماذج من شعر هذا الشاعر يدل على بساطته في طرح أفكاره وآرائه، ولم يتعمق في الأفكار، أو يتفلسف في طرحها، فهو واضح الألفاظ والأسلوب، لم يستعمل الألفاظ النادرة، ولا تعقيد الأسلوب بحيث يحتاج الناقد إلى فترة طويلة في تفسير كلامه، أو شرح الفكرة، لذا كان معظم شعره في مدح رسول الله – صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم. ففي قصيدة له يقول فيها:

ما إن وددتُ أحدًا سواك روحي فداك أمي فداك
قلبي إليك ظمآن حبي نالت يداي جدوى فداك
لمتَ شعث القوم الذين كان الشقاق يمتد فيهم
ما إن وجدنا خير الهدى يا خير البرايا بعد هناك
يا أيها المبعوث المعظم يا خاتم الأنبياء المكرم
يا سيد الكونين المفخم صلى عليك الله وسلم
تحمل من غير كدّ ما لم يزره متن الصحارى
وزر اليتامى كلّ الأيامى يا ذا الحياء مثل العذارى
ما إن بعثت إلا رسولاً يحوي مزايا كل رسول
نسخًا لما في أيدي اليهود نسخًا لما في أيدي النصارى
من كان عند الله الجليل للمذنبين خير الشفيع
في كل يوم صلوا عليه أعداد خلق الله البديع
يا معشر الإسلام عليكم انغامه مفقود المثال
فيا حاكم سر الحياة فيما نهاكم موت الجميع

• عندما توفي الشيخ غضنفر حسين شاكر، أحد أعمدة جامعة دار العلوم، بعمرآباد، وقف شاعرنا يرثيه بقوله:

جـودي على الأسـتـاذ عيني عشرة
ممـزوجـة بـدم الـفـؤاد المقتصد
مـا بـال عـيـنـي دمـعـهـا يـتـحـدّرُ
عـلـى الجَـدِّ مـثـل الـلـؤلـؤ المـتـوقدِ
تبكي الأراضـي والسماوات العلى
وعـيـون مـا فـي الـكـون دون تجلد
هـــذا الـــذي يـبـكـيـه كـل خـلـيـفـة
مـن صـف عـشـاق الـنـبـي مـحـمـد
إنّـا فـقـدنـا الـشـاكـر الـحـبـر الـذي
قـد كـان لـظـمـآن عـذب المـورد

فقدانه فقد الأديب الكامل
بحر العلوم الزكي المتورد
صيري مجاورة لقبر غضنفر
يا رحمة الله العلي الأمجد
يا ربنا اغفر كل ذنب ما أتى
واجعل له المثوى جنان زبرجد

- يخلو الشاعر مع نفسه وربه، ويناجي ربه بكلمات تصدر من قلبه، يشكر ربه ويطلب عفوه، فيقول:

لك الشكر لك الحمد لك النعماء والمجد
ألا يا مالك الملك لأنت الواحد الفرد
أتوب إليك يا ربي
بجدواك تعمدني
أثبتك غافر الذنب فقدك سائر العجب
مقرًا بالغوايات رجوتك دافع الكرب
أتوب إليك يا ربي
بجدواك تعمدني
ذنوبي قد أحاطني خطاياي أبادتني
لقد بلت بي النفس بشهوات أضلتني
أتوب إليك يا ربي
بجدواك تعمدني
دموع العين تنسكب مذاق العيش يغترب
وعيد النار يفز عني نظام القلب يضطرب
أتوب إليك يا ربي
بجدواك تعمدني

- يبدو أن هذا الشاعر مقل، ليس لديه كثير من القصائد، يتبع السجع أكثر من الوزن والقافية، ودرج على استعمال الألفاظ السهلة، المهم عنده الفكرة التي ينظم بها، وفي معظمها مديح للرسول ﷺ عليه أفضل الصلاة والسلام – لا يوجد تعقيد في كلامه، ولا يوجد فلسفة في نظمه، ويريد الوصول إلى السامع، أو القارئ بأسهل الطرق، وخاصة أنه في بلاد غير عربية، ومن يعرف العربية قليل منهم، ومن يميز الصحيح أقل القليل، فهو عارف بقوة الجمهور الذي يستمع إليه.

****

أمين الدين الكاكوروي

١١٦٤ – ١٢٥٣هـ / ١٧٥٠ – ١٨٣٧م

- هو الشيخ أمين الدين بن حميد الدين بن غازي الدين بن محمد غوث الكاكوروي[1]، ولد سنة ١١٦٤هـ، الموافق ١٧٥٠ تقريبًا، درس على والده اللغة العربية نحوها وصرفها، وقرأ عليه «الفرائض الشريفية» و«خلاصة الحساب» و«مختصر المعاني» وقرأ كتب اللغة والنحو على أيدي أساتذة آخرين، ثم سافر إلى شاهجهانبور وقرأ

(١) عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٧ ص ٨٥. محمد صدر الدين الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٢٣٩.

«منار الأصول» و«شرح السلم» ثم سافر إلى سورت وقرأ كتبًا أخرى على شيوخها، وبعد ذلك سافر إلى الحجاز سنة ١١٨٧هـ، الموافق ١٧٧٣م، مع أستاذه أبي سعد بن محمد ضياء الشريف الحسني، ودرس في مكة على بعض شيوخها، ثم سافر إلى المدينة المنورة ومكث بها ستة أشهر، ودرس عند أبي الحسن ابن محمد صادق السندي، وقرأ عليه «مقدمة ابن الصلاح» و«صحيح البخاري» و«المصابيح»، وأجازه الشيخ، وبعد ذلك ذهب إلى الطائف، وأقام بها زمنًا، ثم عاد إلى الهند وقد تشبع من الدراسة العربية والممارسة اللغوية.

- بعد أن رجع الشيخ أمين إلى الهند ذهب إلى مدراس مع شيخه أبي سعد، ولازمه وحصل واتبعه على الطريقة النقشبندية، واستخلفه الشيخ أبو سعيد، ورجع إلى كاكوري، وتولى الشياخة فيها. حتى توفي في سنة ١٢٥٣هـ، الموافق ١٨٣٧م. نظم بعض الأشعار العربية، ولكنه مقل جدًا ولم يجمعها في ديوان بل هي مبثوثة هنا وهناك، عند بعض الأصدقاء، أو الصحف، ومن شعره قوله:

سبحان ربي قد وصلت بطيبةٍ
بعد اشتياقي أن أزور بتربةِ
لأحمد المختار أرسل خاتمًا
للأنبياء نحو البرية كافةِ
قد زرتُ أرجو أن أكون مُشفَّعًا
عند الغني ذي الأقدار ورفعةِ
إذْ جاء في الأخبار قالَ لزائرٍ
من زار قبري وجبَتْ شفاعتي

- بمثل هذه الكلمات البسيطة يعبر الشاعر عن حبه لرسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يطلب شفاعة الرسول من خلال حديث متواتر عن زيارة قبر رسول الله – عليه السلام – غير أن الشاعر غير مشهور في أوساط شعراء الهند، وقلة شعره أخرته، ولم يقم بنشره عبر صحف الهند العربية، لذا غاب عنه الإعلام العربي الهندي، على الرغم من صدق مشاعره، وكثرة ما كتب وألف من كتب.

****

أمين غلام الكشميري

١٣٥٩ - ١٣٩٠ هـ / ١٩٤٠ - ١٩٧١ م

- ولد الشيخ محمد أمين بن غلام[1] محمد الصائغ في سرينغار، كشمير سنة ١٣٥٩هـ، الموافق ١٩٤٠م، درس على يد الشيخ محيي الدين الكاملي، فحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالكلية الشرقية، فدرس عند الشيخ قاسم شاه البخاري، ومولانا محمد يوسف الوترهلي، ومولانا غلام حسن القاضي، وحصل على شهادة المولوي سنة ١٩٥٢م،

(١) محمد مظفر حسين الندوي، أماثل كشمير ص ٤١٩.

ثم شهادة المولوي العام سنة ١٩٥٤م، وشهادة الفاضل من جامعة كشمير سنة ١٩٥٦م.

- درس اللغة العربية والنحو والصرف، ثم حصل على شهادة الأديب الفاضل من جامعة عليكره سنة ١٩٥٨م، بعدها عمل محاضرًا في الكلية الشرقية بسرينغار، ثم ترك الوظائف وافتتح مطبعة لطباعة الكتب العربية الإسلامية، اتبع الشاعر الواجدي منهج التصوف على الطريقة النقشبندية، ثم كان مناصرًا للشيخ عبدالله، أسد كشمير، الذي كان يريد إلحاق كشمير بالهند، فلما توفي جواهر لال نهرو رثاه الشيخ محمد أمين بقوله:

أفنيتَ يا دهرُ قرْمَ الهند من حسَبِ
وأدنيتنا غمرات الهمِّ من غضبِ
وشمّرت ريب الحادثات ذيولها
على الهندِ علت رزءها كل مندبِ
أشجأتنا وغصبت عنّا رفاقة
وعتمت عنّا مطربا أي مطربِ
رياح رياض الهندِ هبّت إلى السماء
فمحا عن الأرض ذوق الحُسن والأدبِ
رنيتُ إلى نهرو ورميتَ قلوبنا
سهامًا ظلَّنا صيد الجرحِ والضربِ
وإنَّ الذي أرثه كان جوهرًا
أم الورد من روض الرفاهة والرحبِ
فيا ليت يا نهرو تراجع إلى الدنا
وتراجع لنا أمطار عيش ومرحبِ
قربتنا الدنيا الجديدة في الرقي
وسيّرتنا في كل شرق ومغربِ
هديت أناس الهندِ بالجد والبكاء
إلى معاليَ لم تعبر ولم تُجبِ
تهدمت البنيان للهند إذ مضى
وسارت صراخ الرزء من كل جانبِ
تجلى غمامُ الجو بعد ظلاله
وحامت ورى في كل روض ومرحبِ
دلائل القلق المجروح شاهدة
على البلية نابتنا مع الكربِ
هو الورد باكره النسيم فصاغه
وشاحًا مُحلى بالجواهر والدهبِ

- على الرغم من كونه رجل دين ولكنه لم ينس وطنيته، ويرثي أحد زعماء الهند ممن كان له مكانة كبيرة في استقلال الهند وكفاحها ضد المستعمر البريطاني.

- الشاعر أمين متمكن من النظم العربي، فله قدرة على استخدام البحور العربية، وإلمام تام بالألفاظ العربية، فقد استعمل ما يتناسب مع المعنى، فألفاظه وطنية، تناسب الرثاء لرجل وطني، وله قدرة على إثبات الجرس الموسيقي، وشيء من الخيال، ولكن يدخل في ما يناسب الموقف، ولكن ما لدينا فقط هذه القطعة المعبرة عن إحساس الشاعر بالوطنية، ولم نر أي قصائد أخرى له.

****

إنشاء الله بن ماشاء الحسيني

٠٠٠٠ - ١٢٣٥هـ / ٠٠٠٠ - ١٨١٩م

- ولد الشيخ إنشاء الله بن ماشاء الله الحسيني[١] اللكناوي في بلدة «مرشد آباد» وتعلم بها، ثم ذهب إلى دلهي مع أبيه، وتعلم على مشايخها، وأتقن اللغات: التركية والعربية والفارسية والهندية والأفغانية والبنجابية، فكان موسوعيًا لغويا.

- في دلهي تقرب من شاه عالم، ثم ذهب إلى لكناؤ وتقرب إلى سليمان شموه بن عالم شاه، وأصبح من ندمائه، ثم تقرب من أمير «أوره» وحظي بمكانة عنده لفترة، ثم غضب عليه الأمير وطرده، وكان شاعرًا جيدًا، وله أشعار بكل تلك اللغات التي أتقنها، ومن شعره العربي قوله:

سكت الحبيبُ متانة
بقيَ التلذذُ ساريا
جلساؤه يستحسنون
ويزعمون محاكيا

- بيتان لطيفان، ولكن المصدر لم يزودنا بغير هذين البيتين، ويبدو أنه شاعر جيد، حافظ على الوزن والقافية، وفي البيتين موسيقا، وفيهما خيال الشاعر، ولكن الحكم يبقى قاصرًا لعدم وجود نموذج آخر له.

****

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٧: ٨٨.

أنوار الحسن الشيركوتي

٠٠٠٠ - ١٣٩٧هـ / ٠٠٠٠ - ١٩٧٦م

- ولد مولانا محمد أنوار الحسن أنور بن أحمد حسن في شيركوت[٢]، غير معروف تاريخ الميلاد، تلقى المراحل الأولى في قريته، ثم ذهب إلى ديوبند سنة ١٩٢٠م، ودرس في دار العلوم وتخرج سنة ١٩٢٨م.

- كان الشيخ أنوار الحسن قد تتلمذ على أيدي؛ الشيخ أنور شاه الكشميري، والشيخ أحمد شير الهزاروي، ومولانا محمد رسول خان، والمفتي عزيز الرحمن، ومولانا أصغر حسين، ومولانا مرتضى حسن، ومولانا شبير العثماني، وحصل على الشهادات» مولوي فاضل» و«منشي فاضل» و«أديب فاضل» من جامعة بنجاب، وحصل على البكالوريوس من جامعة بنجاب سنة ١٩٤٨م، ثم الماجستير في لغة الأردو سنة ١٩٥٠م، ثم عمل في التدريس في عدة مدارس وكليات، وبعدها عمل مدرسًا للغتين الفارسية والعربية في الكلية الإسلامية بمدينة فيصل آباد.

- للشاعر عدة مصنفات منها:
  - **تجليات عثماني، سيرة الشيخ شبير أحمد عثماني.**
  - **حياة إمداد، حياة الشيخ إمداد الله التهانوي.**

(٢) حامد أشرف همداني، الشعر العربي في باكستان ص ٢٤٧.

- أنوار قاسمي، حياة الشيخ محمد قاسم النانوتوي.
- روح رمضان، في آداب الصيام.
- كتاب سيرة الرسول، بالفارسي.
- سيرة يعقوب ومملوك، ترجمة لحياة الشيخ محمد يعقوب النانوتوي، ووالده.
- ترجمة حياة الشيخ ذو الفقار علي.
- وهناك مؤلفات أخرى.
- أنوار النجوم، ترجمة لكتاب قاسم العلوم للشيخ النانوتوي.
- أنوار الشهادة، ترجمة لكتاب نور العين في مشهد الحسين للإسفراآيني.

- كان شاعرنا يقرض الشعر في اللغات: الفارسية، والأردو، والعربية، وله قصيدة في الأخلاق، يقول فيها:

يا صاحبي أعرضْ عنِ الأشرارِ
عشْ دائمًا أبدًا مع الأخيارِ
وحلاوة الخلق العظيم حلاوة
مذاقها في أطيب الأثمارِ
ولنعم نور جبين مرءٍ صالح
يهب الإله لمن من الأخيارِ
ظهر الفساد بما كسبنا كلنا
علناً وجهرًا في ضياء نهارِ
ذهب الحياء فعامل ما تشتهي
إنَّ الحياةَ لحافظ الأبصارِ
وزماننا زمن الضلالة كلها
إلّا الذين لهم هداية باري
إنَّ السعادة والهداية والتقى
لكرامة من منعمٍ غفّارِ
علمٌ صحيحٌ ثم عملٌ صالحٌ
نور على نور من الأنوارِ

- شاعر ناظم بكلمات عظيمة، ودعوات صالحة للناس للسير على هدى الله ورسوله، ويدعوهم على ترك الفساد والسوء، والجد في عمل الخير والصلاح، فهو داعية خير، ومرشد إلى طريق السعادة والهداية.

- نظم الشاعر هذه القطعة الخالية من روح الشعر، مع محافظته على البحر العروضي والقافية الموحدة، ولكن لا خيال فيها، ولم يصنع صورًا فنية، وخلت القطعة من الجمال سوى جمال المعاني وأسلوبه سهل الفهم، والفاظه متناسقة مع المعاني، وهو متمكن من نظم الشعر العربي، ولكن الاقتصار على قطعة واحدة لا يعد شعرًا يقاس عليه، لذا يظل الحكم قاصرًا. وتوفي سنة ١٩٧٦م.

****

أنور شاه الكشميري

١٢٩٢ - ١٣٥٢هـ / ١٨٧٥ - ١٩٣٣م

- هو العلامة محمد أنور شاه بن معظم شاه الحسيني الحنفي الكشميري[1]، فقيهًا وعالمًا بالحديث الشريف،

(١) عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٨ ص ٨٠. محمد مظفر حسين الندوي، أماثل كشمير، ص ٢٥٩. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص٢٣٠. محفوظ أحمد، الفوائد المنتقاة من أمالي أنور الكشميري، المقدمة.. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم شعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج٤ ص ٧٢٨.

ولد سنة ١٢٩٢هـ، الموافق ١٨٧٥م، حفظ القرآن الكريم على يد والده، وتعلم اللغة الفارسية والعربية وهو ابن ست سنوات، على يد الشيخ غلام محمد، ثم سافر إلى بكلي سنة ١٣٠٥هـ، الموافق ١٨٨٧م وقرأ المنطق والفقه والأصول، وفي سنة ١٣٠٧هـ، الموافق ١٨٨٩م ذهب إلى ديوبند ودرس العلوم عن شيوخ ديوبند، وبعد تخرجه أصبح في خدمة الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، فأخذ العلوم الشرعية والفيوض الباطنية، وبعدها ذهب إلى دلهي ليصبح رئيس المدرسين في المدرسة الأمينية العربية.

- تشرف بزيارة الحرمين الشريفين سنة ١٣٢٣هـ، الموافق ١٩٠٦م، ودرس هناك الحديث الشريف، وبعد العودة أسس مدرسة «فيض عام» واشترك في حفلة تخرج في كلية ديوبند، فتم تعيينه مدرسًا فيها، يشرح صحيح مسلم وسنن أبي داود دون ترتيب، ثم أصبح رئيسًا لهيئة التدريس فيها، فكان يدرس صحيح البخاري، وسنن الترمذي، ثم بعد ثلاث عشرة سنة انتهت إليه رئاسة تدريس الحديث في الهند كلها.

- كان رئيس الهيئة التدريسية في كلية دار العلوم بديوبند، ولكن في سنة ١٣٤٥هـ، الموافق ١٩٢٧م وقع خلاف مع بعض الأعضاء فترك دار العلوم، وعمل في الجامعة الإسلامية «بدابيل» وعمل بتدريس الحديث إلى سنة ١٣٥١هـ، الموافق ١٩٣٢م، ووافته المنية ١٣٥٣هـ، الموافق ١٩٣٤م.

- كان الشيخ أنور عضو جمعية علماء الهند، وسكرتيرها التنفيذي، وكانوا يقاومون الاستعمار البريطاني، وتولى الرد على القاديانية، وألف كتابًا بذلك أسماه «خاتم النبيين»، ومن مؤلفاته:

- **فيض الباري على صحيح البخاري.**
- **حاشية على فتح القدير لابن الهمام.**
- **حاشية على الأشباه والنظائر لابن نجيم الحنفي.**
- **حاشية على صحيح مسلم.**
- **عقيدة الإسلام في عيسى - عليه السلام.**
- **انكار الملحدين في ضرورات الدين.**
- **نيل الفرقدين في رفع اليدين في الصلاة.**
- **مشكلات القرآن.**
- **العرف الشذي، إفاداته حول سنن الترمذي. فيض الباري، إفادات حول صحيح البخاري.**
- **فصل الخطاب في مسألة أم الكتاب.**
- **بسط اليدين لنيل الفرقدين.**
- **حاشية على سنن أبي داود.**
- **حاشية على سنن ابن ماجه.**
- **الإتحاف لمذهب الأحناف.**
- **سهم العيب في كيد أهل الريب.**
- **كشف السر عن مسألة الوتر.**

- وكان الشيخ أنور يقرض الشعر، وعلاقته بالقلب والعاطفة، وله قصائد عديدة باللغة العربية، ومجموع ما خلفه من أبيات يبلغ ١١٥٥ بيتًا من الشعر العربي الفصيح. وكان يحفظ خمسين ألف بيت من الشعر العربي، له قصيدة

طويلة تقرب من أربعمئة بيت أسماها: «ضرب الخاتم على حدوث العالم»، ونظم قصيدة هدفها مدح رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – وهي قصيدة طويله تبلغ سبعة وأربعين بيتًا، يقول فيها:

بَــرقٌ تــألّــقَ مَـوهِـنًـا بـالـوادي
فـاعـتـادَ قـلـبـي طـائـفَ الأنجـادِ
أسفًا على عهد الحمى وعهاده
تـولّـى عـلـى الإبــراقِ والإرعــادِ
رهــم تــنــاوحَ تــارةً ديم لـهـا
حـتـى غـدا الأيــام كـالأعـيـادِ
هبَّ النسيمُ على الربا فتضاحكت
بـشـرى الـعـمـيـد عـراهـا الجـادي
لـعـبن صـبـاهـا والـشـمـال وتـارة
لـعـب الـغـصـون بـعـطـفـهـا المـيـاد
سنح الظباء فكاد يهلك مغرمًا
حـور الـعـيـون وعـطـفـة الأجـيـاد
وأكــاد أشــرق بـالـدمـوع إذ بـدا
هـجـر فـتـبـكـي الــورق بـالإسـعـاد
أسقي التلول وأستحث ركائبي
وجــدًا عـلـى الـتـأويـب والإسـاد
تـهـيـامـي الإتــهــام هـمـي هـمـه
نـفـت الـكـرى عـنـي عـلـى إسـهـاد
لـلـه درّ صـحـابـة ألـفـيـتـهـم
ديم الـنـدى لـلـمـجـتـدى والجـادي
فـرق الـصـديـع عـلـى مـنـائـر رفـعـة
سـرج الـرشـاد عـلـى ذرى الأطـواد
وأبـرهـم قـلـبًـا وأطـهـر ضـئـضـئًـا
وأقــل تـكـلـفـة نجــوم الــنــادي
أنــا فـي أمــان مـن دآدئ حـيـرة
ولــي اهــتــداء بـالـنـبـي الـهـادي
شمس الضحى بدر الدجى صدر العلى
عـلـم الـهـدى هـو قــدوة الـقـادي

• هـذه كانت مقدمة القصيدة، ثم ينظر إلى رسول الله بقوله:

مولى الورى وبشيرهم وشفيعهم
وخـطـيـبـهـم فـي مـشـهـد الأشـهـادِ
مــن سـيـد عـبـدالإلــه وحـمـده
وحـبـيـبـه وخـلـيـلـه الحـمّـادِ
سهل العريكة أكرم العرب الألى
خـيـر الـعـبـاد وخـيـرة الـعـبَّـادِ
خير الورى بيتًا وأخير محتدًا
ونـبـيـهـم مـن مـعـدن مـنـطـادِ
خـتـم الـنـبـوةَ والـرسـالـةَ إنـهـا
بـدئـت بـه خـتـمـت بـه لمـعـادِ
العاقب الماحي وأكثر تابعًا
والـقـاسـم المـبـعـوث لـلإرشـادِ
والأفـصـح الأمــي أصـدق لـهـجـة
ممـن تـكـلـم بـالـلـسـان الـضـادي
سـهـر المـهـيـمـن عـبـده ورسـولـه
بـشـرى مـحـيـاه حـيـاة الـصـادي

ومفخم فخم تهلل وجهه
ضحكًا كضحك البدر إذ هو بادِ
الأبلج الأقنى الأزج ورحمة
للعالمين وأجود الأجواد
وافت بطيبة داره ولملكه
بالشام مكة موعد الميلاد
ولرعيه سار مسيرة أشهر
ولذكره باق على إحماد
وافى شهيدًا منذرًا ومبشرًا
من ربه بالوعد والإيعاد
فلواءه ومقامه مع حوضه
يوم التنادي للوسيلة شاد

• بعد أن تحدث الشاعر عن شخصية رسول الله - عليه السلام - نظر إلى ما أحدثه في مجتمع العرب، فقال:

قد جاء والدنيا على ظلماتها
والجهلُ والبؤسُ على أعتادِ
فأضاء كالبدر المنير ووجهه
نورٌ مبينٌ في ظلام دآدي
فتحت به غلف القلوب وبصرت
عمي العيون بسنة وسدادِ
قد أيَّد التقوى وشيَّدَ أمرها
بقواعد التأييد ذات عمادِ
ومكارم الأخلاق مهد والهدى
أضحى على علم رفيع ضادِ
وبوجهه تستنزل البركات من
فوق السماء فأيده بأياد
وبه النجاة وعصمة من أزمة
وبه حياة طيبة لبلاد
فلخير هدى هديه ولدينه
دين الإله علا لدى الإسناد
قامت به غرّ الوجوه عصابة
شم الأنوف وصفوة الأعضاء
كانوا من الأبرار والأطهار والـ
أخيار والأنصار والأنجاد
ثم اهتدى بمنارهم سعداؤهم
سعدوا وكانوا وفقوا لرشاد
حتى تأذّن دهرهم بمضيهم
والدهر أرود ذو صروف عادِ
فمضى الخيار فلا ترى آثارهم
فكأنهم كانوا على ميعادِ
لا يهتدي للخير إلّا خير
وبمعزل عنه أخ الإنكاد
هذا ولا يبقى سوى الملك القدي
مِ وكل شيء رائح أو غاد

• ثم يختم قصيدته بهذه الأبيات:

قف نبكِ أطلالاً وهَتْ أركانُها
أخنى عليها الدهر بالمرصادِ
يا ربما أرثي الطلول فما هنا
داعٍ ولا متسمع إنشادي

سبحان من صرف الأمور وما أتت
غير عليه على مدى الآبادِ
ثم الصلاة مع السلام على النبـ
ـي وآلـه مع صحبه الأمجادِ

• قاوم علماء الهند الاستعمار البريطاني، حين حكمهم للهند، فقامت الحكومة الهندية البريطانية باعتقال مجموعة من الناشطين المسلمين، وكان من هؤلاء الشيخ محمود الحسن الديوبندي، فنفته الحكومة البريطانية الهندية إلى جزيرة مالطا سنة ١٩٢٠م، وتوفي هناك، فلما جاء الخبر بوفاة الشيخ نظم الشاعر الشيخ أنور قصيدة رثاء في ذلك الشيخ المجاهد، وقال في بداية رثائه:

قفا نبك من ذكرى مزار فندمعا
مصيفًا ومشتى ثم مرأى ومسمعا
قد احتفه الألطاف عطفًا وعطفةً
وبورك فيه سريعًا ثم مربعا
وقد كان دهرًا ثم دهرًا طريقتي
طريقة غرٍّ ثم أولى فأوقعا
يجاوبني دار وجار على البكا
ولم أرَ إلّا باكيًا ثم موضعا
وإن كان مما ليس يشفى ويشتفي
بشيء ولكن خلِّ عينيك تدمعا
نهضتُ لأرثي عالمًا ثم عالما
حديثًا وفقهًا ثم ما شئت أجمعا

• يعدد الشاعر مكانة الشيخ محمود، ويحسبه إمام الهدى والصلاح، ويرى مكانته عند الناس، فيقول:

كبيرًا ينادي في السماوات أمةً
إمام الهدى شيخًا أجلّ وأرفعا
ومولى الورى محمودهم وحميدهم
ومسندهم فيما روى ثم أسمعا
وبلغ عنه شاهدًا ثم غائبا
أمانة رب عنده ثم أودعا
ومهما تصدى للحديث وفقهه
أعاد رياض الدين أخصب أمرعا
مصابيحه مشكاة صدر وفيضه
من ألسنة البيضاء حتى تضلعا

• ويستمر الشاعر في عرض فضائل المتوفى، وكيف استفاد الكثيرون من علمه، ولم يكن يخشى أحدًا سوى الله سبحانه وتعالى، ويقول:

وأصحابه ألف فأزيد منهم
حديثًا وفقهًا هل أردت فتسمعا
وقام إمامًا في زمان مخادعٍ
على قدم كالطود أرسى وأوقعا
وقام بأمر الله في كل حالة
فيخشاه إن لم يخش حصنًا ممنعا
فسبحان من أتاه علمًا ونشره
وأعطاه حلمًا ما أطاب وأطوعا
إذا جئته وافيته متهللاً
كبدر مبين من جبين وأوسعا

• يقوم الشاعر بوصف أستاذه الشيخ محمود، وماذا استفاد منه شخصيًا، وكيف كان أستاذًا له مبرزًا، فيقول:

نعم قد وسعت العلم والعلم ميت
ولو كان حيًا ضقت حتى تصدعا
وكان حشا أذني درًا وحكمةً
فتخرج من عيني دمعًا مرصعا
معارف معروف وآداب حاتم
أذكره حتى يقول فأسمعا
أزور محياه وأصغي لقوله
أصادف نورًا أو سرورًا فأرجعا
فوافيت دهرًا ثم دهرًا بمنيّتي
وألفيت عمرًا ثم عمرًا ممتعا
إلى أن قضى نحبًا وأوفى بنذره
فلم أر غير الله للمرء مفزعا

• ويستمر الشاعر في نعيه بقوله:

فمن للهدى والهدى والعلم والتقى
وما مطمع إلّا أرى الأمر أسرعا
يضيق نطاق في المراثي لحقها
وثم مجال كيفما شئت فاصنعا
بكيتُ إمامًا أو وليًا لربه
وإن شئت حقًا فالفضائل أجمعا
بكته سماء ثم أرض كلاهما
وعين وقلب قاسيان فأوجعا
ولما حسبتُ العام عند قضائه
وجدتُ وكان الله قدر مسمعا
سقى الله مثواه كرامة ربعه
وكان غدا لي شافعًا ومشفعا

• نظم الشاعر هذه القصيدة الطويلة في رثاء شيخه محمود الحسن الديوبندي، اعترافًا بفضله ومكانته عند مسلمي الهند، وجهاده ضد الاستعمار البريطاني، وحبًا لهذا الأستاذ القدير في علمه وورعه وتقواه، وبهذا قام الشاعر بالتعبير عن أسف الأمة الهندية على رحيل هذا العالم الفذ، الذي جمع بين العلم والعمل السياسي.

• كانت جمعية علماء الهند تعقد مؤتمرات في بعض أنحاء الهند، وقد تم عقد مؤتمر في مدينة «كيا» في سنة ١٣٤١هـ، الموافق ١٩٢٢م، حضر المؤتمر لفيف من رجال العلم والأدب من جميع أنحاء الهند، فوقف شاعرنا يلقي قصيدة نظمها بشكل خاص لهذا المؤتمر، يقول فيها:

المُلْكُ لله الرفيع الشأنِ
ذي الطول والتصريف في الأزمانِ
كم من بعيدٍ قرّبته هباته
ومنى رجونا ما لهنَّ تدان
غيرُ الزمانِ وإنها عِبرٌ متى
دارت على اليقظان والوسنانِ
فبقدرة خير وشر لازب
وبأمره يتقلب الملوانِ
وقضاؤه في أرضه وسمائه
خفضًا ورفعًا كفة الميزان
نفعٌ وضرٌ يبتغيه مؤمل
وهما لمن قد حي يبتغيانِ
كل له وإليه يرجع كله
غيض وفيض ناله الثقلانِ

ولربما خال أمرئ عسرًا له
وبعسره هذا له يسران
فالكون تحت لوائه ورضائه
وله الغنى في كل شأن شان
وله البقاء وما عداه فهالك
سبحانه الباقي وكل فان
ولربما أخفى لقوم هلكهم
حتى عتوا في الشر والطغيان
ولربما أبدى لقوم نعمة الـ
إيمان والإسلام والإحسان
أو ما ترى لما عدت عن طورها
غدارة اليونان والبرطاني
حتى غدوا لا يؤمنون لربهم
وتنصلوا من خلقة الإنسانِ
فازداد شرٌّ في البسيطة منهمُ
ما كان يحكي منذ جَنكِزْخان

- وهكذا يبدأ القصيدة ثم يعرج على انتصار الأتراك في أوروبا، ولكن هذا الشاعر المتمكن من لغة العرب وفنون الشعر لا ينسى المديح، وخاصة لمن له فضل عليه في استقاء العلم والمعرفة، فيقوم بمدح شيخة رشيد أحمد الكنكوهي، ونقتطف من قصيدته قوله:

قفا يا صاحبي عن السِّفاري
بمرأى من غرار أو بهاري
يسير بنشرها نفحات أنس
وريٍّ عند محيٍ من قطارِ
يفيض لروحها شرحات قدس
حياة للبراري والقفار
وقد عادت صباها من رباها
بأنفاس يطيب بها الصحاري
فيسري في قلوب الصحب وجدٌ
بأطراف الحديث لدى اعتبارِ
أطيبُ لنشره نفَسا ونفسا
فأروى من روايات الكبارِ
أتابعهم ويمليني دموعي
حديثي عن شيوخي لادّكارِ
أجلّهم أبجلهم مقامًا
أبو مسعودهم جبل الوقارِ
لقد فرع الورى عملاً وعلمًا
مكارم ساعدت كرم النّجارِ
إمام قدوة عدل أمين
ونورٌ مستبين كالنهارِ
فقيد حافظ علمٌ شهيرٌ
كصبح مستنير هدي سار
إليه المنتهى حفظًا وفقهًا
وأضحى في الرواية كالمدار
ففي التحديث رحلة كل راوٍ
وفي الأخبار عمدة كل قاري
فقيه النفس مجتهد مطاع
وكوثر علمه بالخير جار
وأحيا سنة كانت أميتت
وإذ وضح النهار فلا تمار

وأصبح في الورى صدرًا وبدرًا
منيرًا دارئًا حلك التواري
وآية رحمة فضلاً وفيضًا
عبابًا مستطابًا للقواري
وغرة دهره علمًا ودينًا
طراز زمانه مثل النضار
يقوم لشكره آثاره في
مدارس أو مساجد كالدراري
متى ما جاد جود قام شكرًا
له العزمات من بادٍ وقارِ
وأما فضله ذوقًا وحالاً
ففرد فيه لا أحد يجاري
فرحمة ربه أبدًا عليه
وطاب ثراه من رضوان باري

- لقد مدح الشاعر أنور أستاذه بما يليق من صفات العلم والأدب والمعرفة في صنوفها، وأركانها، فهذا هو البر والوفاء لصاحب الفضل، والأستاذ مقدر من تلاميذه، وإن قسى عليهم أحيانًا، ولكن المصلحة فوق كل اعتبار، فالشيخ أنور عرف حق أستاذه عليه ومدحه بهذه الألفاظ المعبرة عن وجدانه وحبه له.

- الفقيه والأديب والمحدث الشيخ أنور الكشميري قمة في العطاء والوفاء والمسؤولية الأدبية مع جميع الناس، ومن خلال قراءة شعره يتضح مدى قدرته الشعرية، ومدى حفظه لأشعار العرب، فقد لاحظت بعض تعابير شعراء العرب الكبار، واستعمالاته لبعض عبرات شعراء العرب، مما يدل على حفظه للشعر العربي، فانعكس على تفكيره وهو ينظم القصيدة تلو القصيدة.

- سلامة اللغة عند أنور بديعة، والأسلوب القوي الذي يستعمله في كل قصيدة، وكذلك استخدامه لقوافي متعددة وبحور مختلفة كل ذلك يصب في قدرته اللغوية والأسلوبية، لذا أرى أن يقوم بعض النقاد العرب بدراسة قصائده وإذاعتها بين الجمهور العربي. وانتقل الشيخ أنور شاه الكشميري إلى رحمة ربه سنة ١٣٥٢هـ، الموافق ١٩٣٣م.

****

أوحد الدين البلغرامي

كان حيًّا عام ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م

- هو أوحد الدين بن علي أحمد العثماني البلغرامي[1]، ولد ونشأ في بلغرام، وغير معروف تاريخ الميلاد، وتعلم فيها المبادئ الأولية، ثم رحل في طلب العلم فقرأ على مولانا الشيخ حيدر علي بن عناية علي الحسيني، وغيره من العلماء، صنف عدة مؤلفات، منها:

(١) عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٧ ص ٩٠. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج٤ ص ٧٤٩.

- روضة الأزهار، في فنون شتى.
- مفتاح اللسان، في الأساليب والأمثال العربية.
- تذكرة شعراء العرب.
- شرح على قصيدة البردة لكعب بن زهير.
- شرح على ديوان المتنبي.
- شرح على مقامات الحريري.
- نفائس اللغات، في المفردات الهندية والفارسية.
- أنوار الربوبية، في الأمور العامة والأغراض الذاتية وتعريفاتها.

• عده المؤرخون من كبار العلماء، وله مكانة مرموقة بين المثقفين الهنود، بما ألف من كتب، وما نظم من قصائد كثيرة، ونظم شعره في موضوعات شتى، ولكن يغلب عليه الغزل، وأسلوبه شيق، ويختار ألفاظه بعناية حتى تناسب الفكرة التي ينظم بها شعره، ومنها هذه القصيدة الغزلية التي يقول فيها:

طالت لويلات النَّوى
تَلف المشوَّق بذي الحفا
يا قاتلي بلحاظه
لحظي لبعدكَ ما عفا
جد لي بحسنك قبلة
إنّي أرى فيها الشفا
زاد الهيام مع العنا
وضرام قلبي ما انطفا
والجسم ذاب من الضنى
والدمع باح بما اختفى
فإلى متى هذا الجفا
يا متلفي ما قد كفى
أطلق أسيرَ محبةٍ
فارحم وكن متعطّفا
أنا في هواك متيمٌ
فاسمح وكن لي مسعفا

• معظم ما قرأت من قصائد هذا الشاعر غزلية، فهو صب عاشقٌ متيمٌ، تجري الكلمات على شفتيه وكأنها الماء الزلال، فيعبر عن ذاته بألفاظ موحية جميلة، لها رونق موسيقي عذب. وفي قصيدة له يقول فيها:

ميّاسةُ القدِّ ما ماست وما خطرَتْ
إلّا وقلبي بحبل الودّ قد أسرَتْ
نشوانةٌ من رحيق الحسن قد سفكت
دمي بمقلتها عَمْدًا وما حذرت
كأنها غصنُ بانٍ صيغ من ذهبٍ
في خَدّها روضةٌ أنوارها زهرت
خَريدةٌ ما رنت إلّا ومقلتُها
حسامُ لحظٍ على عشاقها شُهِرت
الله الله كم جورٍ على دَنِفٍ
أظنُّ طينتها بالجورِ قد خُمرت
جسمي تردَّى ثياب السقم مذ بَعُدت
عنّي وبالقلبُ نارُ الشوقِ قد سُعِرت

لا تسألوا عن دموعي يا أحبَّتنا
يومَ الوداعِ من العَينين كيف جرت
بحرٌ تموَّجَ بالياقوت في مُقَلي
أم ممطراتٌ بأجفاني قد انحدري

• تعبير رائع من رجل شفه العشق حتى أخذ كل همه ووجدانه، بلغ من نظمه لهذه القصائد الغزلية أعلى درجات المحبة والذوبان في المعشوق، وكانت كلماته صور فنية تداعب خيال القارئ، ويتمنى لو أنه صاحبها، فهذا الشاعر عبر بأسلوب راث عن الصبابة والعشق ما عجز عنه كثير من الشعراء.

• يستمر الشاعر في عرض أسلوبه في نظم شعر الغزل، ولا نعرف أكان ذلك حقيقة أم لا؟!! لأن ما عندنا من معلومات عن حياته قليل جدًا، ولم تذكر المصادر سوى بضعة أسطر عن دراسته وحياته، وفي قصيدة له يقول:

بدا فغارت نجوم الليل في الأفق
وماس فاختطف الأغصان في الورقِ
لا غرو إنَّ قتل العشاق ناظرة
فكم سبا مهج الآساد بالحدق
وأسوء حظي وحالي مذ شغفت به
فالجسم في ألم والقلب في قلقِ
لولا مناه بقتل الصب ما لبست
خدوده حلة من حمرة الشفقِ
يا لائمي لا تلمني في هوى رشأٍ
ذرني فقلبي أسيرٌ غيرُ منطلقِ
الوجهُ صبحٌ بليلِ الشَّعرِ مُستتر
يَفوق حُسنًا ضِياء البدرِ في الغَسقِ

• وصف الشاعر محبوبته بهذه الصفات الجميلة، وتأثير ذلك الوصف على الشاعر، فهو غارق في حبها، ولا رأي للائميه، حيث أن قلبه متعلق بها، ولا فائدة من ذلك اللوم، أو حتى العتاب.

• وفي قصيدة غزلية أخرى يقول الشاعر:

يا سائقَ الظعن قل لي أنت ما الخبر
أأنزلَ الركب حيثُ الرّيمُ والعفرُ
أما مَرَرت بحيّ فيهِ لي رشأ
تكلف الشّمسَ أن تَحكيه والقمرُ
غصنٌ رطيبٌ رشيقٌ زانَه هَيفٌ
تَمس إلى وَجهِها لم يُمكن النظر
مُذ بانَ عَنّي لم تدرِ الكَرى مُقلي
أرعَى النّجومَ ودَمعُ العَين منهمرُ
من لي بِهِ وَهو ظَبيٌّ جلَّ منشِئه
يَسلُّ لَحظًا لقَتلي ثُم يَعتذرُ
بدرٌ إذا ما بَدا فالشَّمسُ في خَجَلٍ
أو ماسَ فالغُصن في الأوراقِ يستترُ
وافى إليَّ فسرَّ القلبُ حِين دَنا
وصدَّ عني فَزادَ الهمّ والكدرُ

- هذا شاعر الغزل في الهند، قصائده تحكي غرامه وصبابته وعشقه، فهل هو مجنون بني عامر، أو قيس بن ذريح، أو توبة بن الحمير؟؟ فقد نظم هذا الشعر الغزلي متتبعًا غزليات العرب، ومقتفيًا آثارهم، فعبر عن حبه بهذه الألفاظ العذبة، والصور الفنية الجميلة التي صور بها المحبوبة فأبدع التصوير، وفاق شعراء العرب في ذلك، فهل كان كل حفظه من الشعر العربي غزليًا فقط؟؟ فلا أظن ذلك!! أو أن شعر الغزل قد طغى على لبه وفكره فصاغ قصائده على منوال شعراء الغزل العربي.

- قراءة في أشعار هذا الشاعر يتضح مدى حفظه للكلام العربي، ومعرفته بالتصرف في التعابير والألفاظ العربية، بحيث أجاد في النظم والتعبير، وأسس مدرسة شعرية جديدة في الهند، وهذه المدرسة تقوم على نظم قصائد الغزل فقط، وليس كما درج عليه شعراء آخرون من أن النسيب في بداية القصيدة فقط!!

- الشاعر أوحد الدين البلغرامي شاعر فريد في نظمه، وأسلوب النظم عنده، فقد تأثر أيما تأثير بالشعر العربي، ويبدو أنه حفظ شعر المتنبي، وشعر كعب بن زهير وغيرهما، وأراد منافسة العرب في لغتهم وأسلوبهم في نظم القصائد، وهذا شيء جديد عند شعراء العربية في الهند. وكان حيًا سنة ١٢٥٣هـ، الموافق ١٨٣٧م.

****

باقر بن أبي الحسن اللكناوي

١٢٨٦ - ١٣٤٦هـ / ١٨٦٩ - ١٩٢٧م

• هو الشيخ محمد باقر بن أبي الحسن الحسين[١]، ولد في مدينة لكناؤ سنة ١٢٨٦هـ، الموافق ١٨٦٩م، والده كان مدرسه الأول، وسافر إلى العراق لطلب العلم، وتعلم هناك الفقه والأصول، ثم عاد إلى الهند، وحصل على درجة الاجتهاد من حسين آباد، لكناؤ، وأصبح رئيسًا لأعضاء هيئة التدريس في الجامعة السلطانية.

• صنف عدة كتب وحواشي، منها:

- القول المصون في فسخ عقد المجنون.
- حواشي على الكتب الدراسية.
- حواشي على والرسائل الفقهية.

• على الرغم من موقعه العلمي الفقهي إلا أنه يقرض الشعر، وله عدة قصائد باللغة العربية منها:

حنانيكَ لا تسأل رسومَ المنازلِ
أبتْ صُمُّهَا رجعَ الجوابِ لسائلِ
تصَامَمْنَ حتى لا يجبن متيمًا
وإن مات وجدًا بين تلك الجنادلِ
وما هي لو ردت جوابًا لمدنفٍ
بشافية منه وحبيب البلابل
رويدك من يسأل طلولاً دوارسًا
محاها البلى يحصل على غير طائل
ولو كلَّمَت يومًا ربوعًا تَكلمت
منازل طفٍّ يا لها من منازلِ
منازل قدس طيب الله تربها
وقدسها من كل رجس وباطل
مناخ لوفادٍ وحصن لخالفِ
مطاف لحجاج وري لناهلِ
وروض لذي لب وماء لظامئ
وبرء لذي سقم وكنز لعائل
سلام على تلك الربوع وأهلها
سلام حبيب للحبيب المواصل
ربوع متى ذكر مقامي بأرضها
وعهدي بأيّامٍ مضين قلائل
تحرك متى ما أجن من الأسى
وداء دفين في شغافي فيّ داخل

• يبدو أن الشاعر نظم هذه القصيدة خلال وجوده في النجف وكربلاء، حين كان يتلقى العلم في العراق، لذا نراه أيضًا ينظم قصيدة في مدح أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب، عليه السلام، حيث يقول فيها:

صحا القلب عن حب الحِسان العواتقِ
وأصبحت في شغل عن اللهو عانقِ

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٠٤.

أأبغي وصال البيض والشيب شامل
كفى وازع عنهن شيب المفارق
وصار نهار الشيب في ليل عارضي
وحلق غربان الشباب الغرانق
وجربت هذا الناس حتى مللتهم
فلم أرَ فيهم من صديق موافق
ولم ألق منهم غير وغدٍ ماكر
ولم ألق منهم غير خب مماذق
يجاذبني العلياء قوم سفاهة
وهيهات أين النجم من كف رامق
وكم أشقوني فانثنيت مكرما
وأثر عودي في النبال الرواشق
وأعيت قناتي أن تلين لغامر
وما ثوب مجدي بالدثور الشيارق
وما وجد الأقوام ذيلي مدنسًا
لدن رمقوني بالعيون الروامق
وما أنا إلا البدر في الليل طالعًا
وهم كالكلاب العاديات الزواعق
فقل للأولى أمُّوا اللحاق ألا اربعوا
على ظلعكم لا تنحضوا في المزالق
وقل للعدى موتوا بغيظ نفوسكم
فما الفضل إلا للكرام المعارق
ونحن ورثنا المجد عن كل ماجدٍ
وآباءِ صدق كالشموس الشوارق
بَهاليل أزوال تناخ ببابهم
صدور الأماني أو صدور الأيانق
وكل فتى تعشو إلى ضوء ناره
ثمال اليتامى موئل للدرادق
ربيع اليتامى ينعش الناس سيبه
إذا اخلفت قطر الغيوم الدوافق
طويل عماد البيت أبلج لم يزلْ
لدن شبّ حتى شاب مأوى لطارق
وأبيض ميمون النقيبة ماجد
خلائقه مسك لعرنين ناشق
وكل لبيب بالطعان حزور
طويل نجاد السيف حامي الحقائق
وكل فتى لا يرهب الطعن قلبه
محشش لنار الحرب في كل مأزق
ذريني أنهل مالاً ينال من العلى
بكف طويل الباع أبلج حاذق

- وضع الشاعر بعض صفات الإمام علي دون ذكر اسمه، وكان الشاعر قوي الألفاظ، سهل الأسلوب، دون أن يتقعر في الكلام، أو يستعمل النادر من الألفاظ، فكان موفقًا في طرح أفكاره، كما أنه رد على منتقديه بكل قوة، حتى يسكتهم، فهو شاعر نذر نفسه للدراسات الدينية، ولا يريد الدخول في مهاترات البعض من الناس.

- كان الشاعر يتنقل بين الهند والعراق، وتلقى علومه في البلدين، واكتسب خبرة كبيرة في معاشرة العلماء من البلدين، لذا لا عجب أن ينال ثقة رجال العلم ورجال الدولة فيتم تعيينه رئيسًا لهيئة التدريس في الجامعة السلطانية، غير أن ميله للأدب أنتج بعض القصائد والأشعار التي تعبر عن فكره وآرائه العلمية والعاطفية. وانتقل الشاعر إلى رحمة الله سنة ١٣٤٦هـ، الموافق ١٩٢٧م.

****

باقر بن علي الحسيني

١٢٦٥ - ١٣٢٩هـ / ١٨٤٨ - ١٩١١م

- هو السيد باقر حسين بن السيد محمد علي بن السيد هاشم الحسيني[١]، ولد في نصيرآباد سنة ١٢٦٥هـ، الموافق ١٨٤٨م، تعلم على يد أبيه، وارتاد مدرسة السردار حسن خان، ثم ذهب إلى كربلاء، العراق للدراسة سنة ١٨٧٩م، وأكمل دراسته في العراق، ثم عاد إلى الهند، وأخذ يتنقل بين العراق والهند.

- يتقن اللغة العربية ولغة الأردو، وله أشعار باللغتين، وله مؤلفات منها:
  - المنظومة الاعتقادية.
  - والمنظومة المرجانية.
  - منظومة في فن الشعر.
  - منظومة في الوجود والماهية.
  - منظومة في الحكمة.

- له ديوان شعر (مخطوط) ولكن ينشر بعضه في كتب الآخرين، فمن قصائده في العلم يقول:

أفتتح المقالَ بعد البسملَهْ
بحمدِ خيرِ منعمٍ والشكر لَهْ
مقتديًا فيه بما قد أنزلَهْ
مُتَّبِعًا لقول من قد أرسلهْ
مُصلّيًا على النبيّ الرحمه
مُبَيّنِ الرشادِ هادي الأمه
وآلِهِ الأطهارِ أهلِ العصمه
خزّانِ علمه كنوزِ الحكمه
وبعدُ فالعلمُ طويلٌ سُلّمُهْ
مرتفعُ المقامِ عالٍ عَلَمُه
سامقةٌ أفلاكُه وأنجمُهْ
طوبى لمن سمتْ به همُمُه
وإنّ علمَ الفقهِ في العلومِ
لكونه من أشرف العلوم
كالقمر البازغ في النجومِ
وقد رُوِي فيه عن المعصوم
ما حصرهُ يُفضي إلى الإطنابِ
يكفيكَ ما فيه من الكتاب

- السيد باقر له قصائد كثيرة، وبها أنواع من الموضوعات الشعرية، واستعمل قوافي متعددة، منها قصيدة في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - يقول فيها:

كانتِ الناسُ قبلَهُ تعبدُ الطا
غُوتَ ربًّا وجِبتَ فيهم إلهْ

(١) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة (بيروت: دار التعارف ١٩٨٦م) ج٣ ص٥٣٨. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج١٥ ص. ١٤٥. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١٤٠.

ونبي الهدى إلى الله يدعو
هم ولا يسمعون منه نداه
سَلْه لما هاجت عليه قريش
من وقاه بنفسه وفداه
مَن سِواه لكلِّ وجهٍ شديد
عنه قد ردنا كلا من سواه
لو رأى مثله النبي لما وا
خاه حيًّا وبعده وصّاه
قام يوم الغدير يدعو ألا من
كنتُ مولى له فذا مولاه
ما ارتضاه النبي من قبل النفـ
ـس ولكنما الإله ارتضاه

• وهذه قصيدة طويلة، يظهر بها مراحل تطور الدعوة الإسلامية، وشعر هذا الشاعر كثير منوع، ففي مجال الغزل يقول في قصيدة له:

ورق الهنا صدحت على أغصانها
وتجاوبت بالبشر في ألحانها
والروض من نعمان باكره الحيا
وسرى النسيم الغض في نعمانها
فطفقتُ أقطف من ورود رياضها
وأشم نشر الشيح من كثبانها
ولقد مررت على ملاعب رامةٍ
فَتَشوّقتْ نفسي إلى جيرانها
وبعثتُ طرفي في رياض المنحنى
فرأى فنون الغنج من غزلانها
ومطاعة فينا الفؤاد يجيبها
لو أنها أومت له ببنانها
قد أرسلت فوق المتون غدائرٌ
الله في العشاق من ثعبانها

• في شعره الغزلي له صور بديعة، ولقطات خيالية رائعة، فهو شاعر له خيال خصب، يستطيع خلق الصورة الفنية الجميلة حتى كأنه رسام من الفن التشكيلي. وله قصيدة غزلية أخرى يقول فيها:

بزغتْ فلاحَ البشر من طلعاتِها
والسعدُ مكتوبٌ على جبهاتِها
بيض كواعب في شتيت ثغورها
قد كان للعشاق جمع شتاتها
وافت كأمثال الظباء وبينها
ذات الدلال دلالها من ذاتها
نجدية بدوية أجفانها
سرقت من الآرام لحظ مهاتها
نشرت على أكتافها وفراتها
شمس سمات الحسن دون سماتها
كالبيض في سطوتها والسمر في
وخزاتها والريم في لفتاتها
سلّت صحيفة مقلة وسنانة
حتى رأينا الحتف في صفحاتها

• شاعر ظريف فنان استطاع أن ينقل لنا عمق تفكيره، ولغته الفنية باستعمال الألفاظ الموحية، واختيار البحور السهلة يعبر فيها عن مكنون قلبه، وعاطفته، ويدل ذلك على عمق

ثقافته، وحبه للعلم والأدب، فوظف ثقافته العربية في صنع تلك القصائد الرائعة التي صور بها الجمال بأبدع الصور. وتوفي في سنة ١٣٢٩هـ، الموافق ١٩١١م.

****

باقر مرتضى المدراسي

١١٥٨ - ١٢٢٠هـ / ١٧٤٥ - ١٨٠٥م

- هو محمد باقر آغا بن مرتضى الشافعي الويلوري المدراسي[١]، وهو من النوائط الذين نزحوا من البصرة إلى جنوب الهند في القرن السادس الهجري، ولد شاعرنا في بلدة ويلور سنة ١١٥٨هـ، الموافق سنة ١٧٤٥م، تلقى دروسه الأولى على يد والده وعمه، الشيخ حبيب الله، ثم على يد أبي الحسن الويلوري، سافر بعد ذلك إلى «ترجنابلي» حيث تلقى العلم على يد الشيخ ولي الله، بعدها أخذ يطالع كتب الفقه والكلام وكتب الحديث والتفسير، حتى تأهل للتدريس والفتوى، وكان في حوالي العشرين من العمر.

(١) عبدالحي بن فخر الدين البلغرامي، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٧ ص ٩٣. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٢٠٩. جمال الدين الفاروقي وآخرون، أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية ص ١٩١.

- كان سريع الحفظ وكثير المطالعة، وعندما يحضر المجالس كان يناقش، ويناظر الكبار، وأكسبه ذلك سمعة وصيتًا مما أدى بالأمير نواب محمد على الكوباموي بمدراس أن يعينه في ديوان الإنشاء، ثم جعله الأمير معلمًا لولده، وقربه الأمير وأقطعه أرضًا إيرادها أكثر من أربعة آلاف روبية، فأصبح من ندماء الأمير.

- كان من ذكائه وفطنته أن نقل العلوم الدينية من العربية إلى الهندية، فسهل ذلك على الدارسين، وكان له اليد الطولى في النحو والصرف واللغة العربية، وكان مبرزًا في علم التوحيد والعقائد وعلم الكلام، وأنتج عدة مصنفات منها:
  - **تنوير البصر والبصيرة في الصلاة على البشير النذير.**
  - **نفائس النكات في إرساله عليه السلام إلى جميع المكونات.**
  - **القول المكين في ذراري المشركين.**
  - **الشمائل في نظام الرسائل.**
  - **الدر النفيس في قول محمد بن إدريس.**
  - **النفحة العنبرية في مدح خير البرية.**
  - **له مقامات على منوال مقامات الحريري.**
  - **ديوان «تلك عشرة كاملة» قصائد على طراز المعلقات.**
  - **ديوان شعر آخر في الغزل والنسيب.**
  - **له مؤلفات أخرى باللغة الفارسية، ومؤلفات باللغة الهندية.**

- وكان شاعرنا يقرض الشعر باللغات الثلاث: العربية والفارسية والأردية، وفي اللغة العربية نظم الشاعر كثير من القصائد في مدح رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - منها:

محمدٌ خيرُ مَن تجلَّى
بحليةِ الحُسنِ والرداءِ
هو الرؤوف الرحيم يرجو
نداهُ كالطائعِ المعادي
بفوح من خلقه شميم
يعطر العشبَ كالجسادِ
يلوح من وجهه ضياءٌ
يصيّر الشمس كالسوادِ
إذا حبا أصبحت غيوث
لفيض جدواه كالصوادي
أمدَّ أنفاسه البرايا
فأيقظهم من الرقادِ
وأسلمتهم من البلايا
وأنقذتهم من الفساد
وأكرمتهم بعيد هون
وقرَّبتهم من البعادِ
عليك تسليم ربنا ما
أتى نسيم الحمى بحادي

• نظم الشاعر قصيدة في مدح رسول الله، متخذًا من طريقة الشعراء القدماء طريقًا في مديح رسول الله – عليه السلام، يقول في مقدمتها:

أأومضَ البرقُ من تلقاءِ منعرجٍ
أمن اِنْجَلى ثغرُها البسّام بالبلجِ
شكوت من صدغِها حالي لطرّتها
هربت من عقرب جهلاً إلى غنجِ
في طرفها حمرة الصهباء من خلدي
ومن سويدائه ما فيه من دعج
سلّت عليَّ حسام اللحظ فاتكة
وأغمضت عن دمي المطلول بالغنج
لاحت نهارًا فأضحى من ندى خجل
حرًّا لهجيد كليل مقمر ثلجِ
سرت بداج فخال الناس غرتها
صبحًا ومالوا إلى الإطفاء للسرج

• بعد هذه المقدمة الغزلية الجميلة، التي فاق بها شعراء الغزل الغرب، من حيث التصوير الفني البلاغي للأبيات، ثم يتجه لمدح رسول الله فيقول:

محمد كشف الأشجان نفحته
وأنقذت كل محزون من الحرجِ
عادت قلوب العدى من صدع دعوته
ما بين منصدع منها ومنزعج
من سيفه كلّ غبراء قد انعكست
شكل الفتوح يرى منها بلا عوجِ
دعا الأنام فأرقاهم برحمته
من الحضيض إلى عالٍ من الدرجِ

• يبدو واضحًا أن الشاعر فنان في المديح النبوي، تميز بالذوق الرفيع، والحس العالي، والتصوير الفني الراقي، والخيال الخصب، واستخدامه للألفاظ المعبرة التي تعطي أبيات الشعر رونقًا جميلاً، كما أنه عدد قوافيه، وبحور الشعر، فأدى ذلك إلى أنه مبتكر فنان في المديح النبوي، وهذا يدل على عبقرية فذة في نظم الشعر العربي، وله

قصيدة أخرى في المديح النبوي، يقول فيها:

كنزُ العلومِ محمدٌ في سرّهِ
صارت عقولُ الرسل مثل حرّاسِ
قام الملائكةُ في فناء جلاله
متأدبين كهيئة الأغراس
إن بان معناه كما هو شأنه
لم يبقَ شكٌّ فيه للنسناس
أبدى طريق الحق فصل خطابه
فبحا الأنام به عن المسماس
وأفاض ضوء هداية برهانه
في ظلمة الطغيان للشمّاس
من فاز منه بالحمايةِ لم يخفْ
كسفينة من بطشه الهرماس
يا من خيال جماله في مهجتي
يبدو على العلاتِ كالوسواس
ما عشت أصرف في مديحك فكرتي
وأجيد في تحبيره أنفاسي

• وله أيضًا قصيدة أخرى في مدح سيد الكونين محمد رسول الله يقول فيها:

محمدٌ شَرّفَ الأكوانَ بعثتهُ
ودينه نسخ الأديان كالدولِ
في آخر العصر أبدى من هدايته
برقًا وكان سناهُ أولَ الأولِ
تقدّم الكل معناه ومنظره
أبان للناس فحوى آخر العللِ
لولاه لم يكنْ موجودًا إلى أبد
لأجله خلق الإنسان من عجلِ
أتى بوحي بديع معجز ظهرت
آياته الغرّ بالتفصيل والحمل
كم جدَّلت كلمات الله من جدل
في شأته وأمالته عن الجدلِ
من لم يقابله بالإذعان قابله
بالمشرفية والعسالة الذبلِ
تهزّ في قلبهم كالشوق خاطرة
تحول في صدرهم كالميل في المقل
كأنها النهر والأكباد صادية
تجر عنه فأرواها من الغللِ
طارت قلوب العدى من بأسه فرقًا
كالأرض ضاقت عليهم فسحة الأجلِ

• عاش هذا الشاعر حياة مطمئنة، يكتب الكتب النافعة للناس، وينظم الأشعار ليرضي نفسه، لأنه يجد أن من حقه أن يرى نفسه مطمئنة قانعة بما كتب له. وهو شاعر له نظرة في الحياة، ويرى الجمال نعمة من الله، لذا نراه ينظم في الغزل وغيره من الموضوعات الشعرية، ففي قصيدة نظمها في الغزل يقول فيها:

في كاظمةٍ أو ذي سلَمِ
قد ضلَّ فؤادي بالسُّدُمِ
كالريح يجزل بمسرحه
كالنار يلوح على علم

بالدمع يحكي غادية
بالزفرة يشبه بالضرم
قد أبصر فيها بهكنة
بالنجوم زرتُ بالمبتسم
لو زاجه غرتها شمس
لغدت أسفًا رهن الندم
لو شافه طرتها قمر
لتحير في جنح الظلم
لله قساوة مهجتها
لا تحسب كالخنساء دمي
مرّت وأصارتني جنفًا
كالأثر طريحًا في اللقمِ
لا أدري أين محلتها
فبقيت حسيرًا كالوحمِ
لا تنظر قطُّ إلى أسفي
لا تسألْ حالي في الألمِ
آغاه تناهت حيرته
أدركه إلهي بالكرمِ

• شاعر فنان ومتمكن من اللغة والبلاغة، نظم شعرًا على معظم القوافي، وله قصيدة أخرى غزلية يقول فيها:

قد صيّرني الهوى جُذذًا
يا ليتني متُّ قبل هذا
ما أفعل لا أجد لاهي
في صخر فؤادي نفاذا
في فرعك قد خفيت لكن
من طرفك لا أرى ملاذا
أربيت على الحديد طبعًا
بالقطع وإن حكيت لاذا
إن كنت رضيت عن صدودي
أدركت من النوى لذاذا

• اختيار حرف الذال ليكون قافية لقصيدة تلك هي المقدرة على النظم، فهذه القافية صعبة، وهي من قوافي «الحوش» والقصائد التي نظمت في الشعر العربي قليلة لصعوبتها، ولكن شاعرنا غامر باستعمال هذه القافية ليدلل عن مقدرته، وخاصة استعملها في الغزل، وطبيعة الغزل الوضوح وسهولة الوزن والقافية، وكان لاستعماله للألفاظ موفقًا بدرجة كبيرة.

• الصور بدت جميلة، وفيها خيال غير عادي، وخاصة عندما نظم قصيدة يحاكي بها الشعراء القدامى في بدايتها، فقد بدأ بالنسيب في مقدمة لمدح رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم، فكانت صوره جديدة في التفكير الشعري عند الشعراء، ولكنه كان ميسورًا في نظمه، ولم يلجأ إلى التعقيد أو الغموض. وتوفي سنة ١٢٢٠هـ، الموافق ١٨٠٥م.

****

باقر يوسف الموسوي

كان حيًّا ١٤١٣هـ / ١٩٩٢ م

• هو السيد محمد باقر بن السيد يوسف الموسوي[١] المرجع الشيعي، ولد السيد باقر في كشمير، ولم نعرف تاريخ ميلاده، ولا أي معلومات أخرى عنه، فقد رفض الإدلاء بأي معلومات للدكتور مظفر، ولكنه تعلم الفارسية والعربية، ونظم الشعر فيهما، نظم قصيدة بناء على طلب الحكيم جلال الدين الغازي، المتوفي سنة ١٤١٣هـ، الموافق ١٩٩٢م. يقول فيها:

بشعرِكَ يا ذا الفضلِ فِكْرِي تَنَوَّرا
كما الشمسُ في حُجْبِ الغياهبِ أسفَرا
أثارَ العواطفَ في حَشَايَ وإنما
غريزي إلى نظمِ القصيدةِ حوَّرا
يُنيرُ سراج الفكر بعد انطفائه
به لمعةٌ كالبرقِ تبدو تنوَّرا
[و] لَفْظٌ بأسلوبٍ رصينٍ كأنَّهُ
قراضةُ تِبرٍ للّحاظ تصوَّرا
[و] شعرٌ أزاحَ الترحَ عند وصوله
وأصفَى محيط الفكر ما قد تعكَّرا
فَلله درّ فصاحةٍ قد تساجلت
غيومًا من الياقوتِ والذّرّ ممطرا
تبارك فيضٌ لعالم عمَّ فضلهُ
تعبق في نادِ الفضيلةِ عبهرا
تفوح حدائق بهجة من نسيمهِ
وناهيك أكنافٍ له مُتعطّرا
وكالحصّ يرفلُ في مروجٍ أنيقةٍ
يباهي زهورًا للربيعِ تبهّرا
ولا غروَ إن جاد السماء بماطر
يغادر أفنان الحديقة مزهرا
ففي الدّهرِ للفيضِ السماوي رشحةٌ
بها في هيولي الطبعِ تظهرُ جوهرا
ولقد شكوتُ من الزمانِ فإنه
خون لفة حدثانه متطورا
أرى دولة الأوغادِ في كلّ بقعةٍ
وكم من نبيلٍ انزوى متستّرا
يقاس الكوارث مبسمًا ذا شكيمةٍ
صليبًا بما عانى على الرزء أصبرا
يباري دراري النجم في غمراته
له معرجٌ في الفكر لا يتحدّرا
وكم من جهولٍ في الورى متعالمٍ
ببساط علمٍ لم يزل متصدّرا
يباهي قرود الغابِ من نزواته
يدوسُ تحت الرجلِ للدين منبرا
تقدّم مني كلّ نفسٍ دنيَّةٍ
مكرًا فصرتُ بحلبةٍ متأخرا

(١) محمد مظفر حسين الندوي، مساهمة أهل كشمير في الأدب العربي ج٢: ٣٧٨.

ولا عجبٌ مما حَـوَوْا من دناءة
فلكل وصفر في الطباعِ لمصدرا
ومن الغرائبِ حتفهم في اشتهارهم
وإني بزاوية الخمولِ أشهرا
زعمت صروف الدهرِ هنَّ تميتني
ألم تدرِ أني بعد حين أحشرا
ألا أبلغوا مني الزمان أُلوكه
وإن كنتُ في أجوائه متحضّرا
وإني صبورٌ في صراع مصائبٍ
جليد أقاسي كرهه متهوّرا
أُقارعُ أهلَ الضغن بالعزمِ دائمًا
بهمتي القعسا أميطُ القواسرا
وكفاكَ شعري بالرسالة أنه
يشرّح ما يجري عليَّ وما جرى
وحسن التكلم من صناعةِ شاعر
لحال الضمايرِ باليراعِ مصوّرا

• شاعر مفلق، وله قدرة كبيرة على النظم، وهو متمكن من أدوات النظم كلها، وأهمها استعمال خياله الواسع الخصب في شعره، تنير فكره الشعر الرصين القوي السبك، ويتمتع بطول القصائد، وتميزها، فهو مفكر وعالم لغوي، قليل أمثاله.

• استخدم بحر عروضي، وقافية موحدة، وخيال مفكر جال في أفق الفكر، واستخرج صورًا فنية بلاغية، يعجز عنها كثير من الشعراء، يشعر بأن حظه قليل من الشهرة الذيوع، على الرغم من شاعريته، وقدرته على النظم الجميل الممتع، واستطاع الشاعر أن ينسق بين اللفظ والمعنى، ويبرز صورة الفن الشعري المسبوك سبكًا جيدًا، بحيث تراه قطعة فنية جميلة.

• شعر الشاعر محمد باقر شعر رفيع المستوى، عظيم القدر، أفكاره ناضجة، وأسلوبه سهل عميق الجذور، في مجال الفكر، ينتمي إلى الشعراء المفلقين المفكرين العلماء باللغة والفن الشعري، فهو يتحدث عمن يدعي العلم وليس بعالم، ويدعي العظمة وليس بعظيم، يرى أن الناس أنقصوه حقه، وأبرزوا من هو أقل منه علمًا وفنًا، لأمور كثيرة، إحداها التعصب المذهبي، والانزواء عن سائر الناس، وأمور أخرى نجهلها، فهو شاعر بحق، ومبدع في شعره، وفنان شاعر. ولم يذكر المصدر تاريخ وفاته.

****

بدرالدين محمد الدماميني

٧٦٣ - ٨٢٧ هـ / ١٣٦١ - ١٤٢٣ م

• هو العلامة الشيخ بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر أبي بكر بن محمد بن سليمان بن جعفر بن يحيى بن حسين بن محمد بن أحمد با أبي بكر بن يوسف القرشي

الإسكندري الهندي[1]، المعروف باين الدماميني، ولد في الإسكندرية سنة ٧٦٣هـ، الموافق ١٣٦١م، تلقى دروسه في بلده، ثم ذهب إلى القاهرة ودرس عند علمائها، ثم رحل إلى دمشق ومنها إلى الحج، ثم عاد إلى القاهرة، وعمل في الحياكة، ولكنه خسر، وذهب إلى الصعيد، ثم توجه إلى الحجاز ومنها إلى اليمن، ثم ذهب إلى الهند، واستقر هناك إلى وفاته.

- له مصنفات عديدة منها:
  - **شرح التسهيل لابن مالك.**
  - **مصابيح الجامع، شرح صحيح البخاري.**
  - **عين الحياة، مختصر حياة الحيوان للدميري.**
  - **تحفة الغريب في شرح مغني اللبيب.**
  - **جواهر البحور، في العروض.**
  - **الفواكه البدرية، من نظم الشاعر.**
  - **حاشية على شرح لامية العجم للصفدي.**

- وعلى الرغم من هذه المؤلفات فإنه يقرض الشعر، وله الديوان المذكور، ومن شعره قوله في دين لزمه لشخص، يدعى بالحافظي، فقال للمؤيد، أيام عصيان نيروز الحافظي:

أيا ملك العصر ومن جوده
فرض على الصامت واللافظ
أشكو إليك الحافظ المعتدي
بكل لفظ في الدجى غائظ
وما عسى أشكو وأنت الذي
صح لك البغي من الحافظ

- ومن شعره في التحسر على الشباب يقول:

رماني زماني بما ساءني
فجاءت نحوسٌ وغابت سعودُ
وأصبحت بين الورى بالمشيب
عليلاً فليت الشباب يعود

- ومما نظمه في الغزل عدة مقطوعات، ولكن لم نر القصائد بكاملها، فالمصادر ضنت علينا بشعر هذا الشاعر، يقول:

قلتُ له والدجى مول
ونحن بالأنس في التلاقي
قد عطس الصبح يا حبيبي
فلا تشمته بالفراقِ

- وقال أيضًا:

يا عذولي في مغنّ مطربٍ
حرك الأوتار لما سفرا
كم يهز العطف منه طربا
عند ما تسمع منه وترى

- وقوله أيضًا:

لا ما عاذريك هما أوقعا
قلب المحب الصب في الحين
فجد له بالوصل واسمح به
ففيك قد هام بلا مين

(١) شمس الدين السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٧: ١٨٤. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٧: ١٨١. خير الدين الزركلي، الأعلام ٦: ٥٧. عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ٣: ٩٥.

• وقوله أيضًا، وكلها من أبيات:

مذ تعانت صناعة الجبن خود
قتلتنا عيونها الفتانه
لا تقل لي كم متن فيها قتيل
كم قتيل بهذه الجبانه

• ومن غزلياته أيضًا قوله:

الله أكبر يا محراب طرته
كم ذا تصلي بنار الحرب من صابِ
وكم أقمت بأحشائي حروب هوى
فمنك قلبي مفتون بمحرابِ

• وقوله أيضًا في الغزل:

قالت وقد فتحت عيونًا نعسا
ترمي الورى بالجور في الأحكامِ
احذر هلالك في زبيد فإنني
لذوي الغرام فتحت باب سهامي

• وله مقطعات في بعض الأمور الأخرى التي يتعامل معها، فمن ذلك قوله في البرهان المحلي التاجر:

يا سريًا معروفه ليس يحصى
ورئيسًا زكا بفرعٍ وأصلِ
مذ علا في الورى محلك عزًّا
قلتُ هذا خو العزيز المحلي

• ويقول في الشهاب الفاروق:

قل للذي أضحى يعظّمُ حاتمًا
ويقول ليس لجوده من لاحقِ
إن قسته بسماح أهل زماننا
أخطأ قياسك مع وجود الفارقِ

• ولي ناصر الدين بن التنسي العقود، فقال شاعرنا:

يا حاكمًا ليس يلفى
نظيره في الوجود
قد زدت في الفضل حتى
قلّدتني بالعقود

• نظم أيضًا في المعمى، حيث قال عن غزال:

إنَّ من قد هويتُهُ
محنتي في وقوفهِ
فإذا زال ربُعهُ
زال باقي حروفهِ

• كان الشاعر الدماميني شاعر جيد متمكن من نظم الشعر العربي بكل قدرة وكفاءة، غير أن المصادر لم تنقل لنا من شعره سوى هذه الأبيات القليلة، على الرغم من أن له ديوان شعر «الفواكه البدرية»، لم نر أية قصيدة كاملة له، أليس غريبًا ذلك؟ فهو عربي الأصل واللغة، فكيف لا نحظى بقصائده؟

• استخدم الشاعر بحور الخليل بن أحمد، وحشاها ألفاظًا معبرة عن المعنى، وجاءت متناسقة ورصينة، مع سبك جيد للجمل والتراكيب اللغوية، وكانت أفكاره محط إعجاب، حيث نظم في شؤونه الخاصة، ومن غزله وفنه، وأخرج

خياله صورًا فنية جيدة، وكان فنانًا مبهرًا، ونظم في كل موضوعات الشعر العربي.

- نظم في القوافي الذلل، كما نظم في الحوش، وكانت قدرته عالية، واستعمالاته مختلفة، صاغ الأبيات بصورة سهلة وجميلة، وأتى باللون المطلوب، والشكل المناسب للأبيات، وكان خيالة واسعًا وصنع صورًا جميلة حتى في المعمى، غير أن ما بأيدينا من أبيات تترك الحكم غير عادل في شعره، وهو المتمكن والقادر على النظم بكل سهولة ويسر.

****

بركة الله عشقي الماهروي

١٠٧٠ - ١١٤٢ هـ / ١٦٥٩ - ١٧٢٩ م

- هو السيد بركة الله بن أويس بن عبدالجليل بن عبدالواحد الحسيني الواسطي البلغرامي[1]، ولد في بلغرام سنة ١٠٧٠هـ، الموافق ١٦٥٩م، ونشأ بها، وتعلم دروسه الأولى بها على يد مربي بن عبدالنبي الحسيني البلغرامي، ثم لازم الشيخ لطف الله الحسيني البلغرامي، وأخذ عنه الطريقة الصوفية، وذهب إلى كالبي، فحصل على إجازة من الشيخ فضل الله بن أحمد الكالبي، ثم ذهب إلى مارهره واتخذها مسكنًا.

- أنتج الشيخ بركة الله عدة كتب، منها:
  - **رسالة في الحقائق.**
  - **رسالة في الآداب، أسماها «جهار أنواع»**
  - **رسالة في الأمثال الهندية، على لسان الحقائق والمعارف.**
  - **رياض عشق المزدوجة.**
  - **ديوان شعر باللغة الهندية.**

- بالإضافة إلى أشعاره باللغة العربية، وكان شاعرًا باللغة الهندية والفارسية والعربية، وله ممادح لرسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام-، وهو الذي أبدع المدائح النبوية العربية الهندية، الذي يضع الشاعر السلام آخر عجز البيت، مثل: «سلام عليك»، ومنها يقول:

يا شفيعَ الورى سلامٌ عليكْ
يا نبيَّ الهدى سلامٌ عليكْ
خَاتمُ الأنبياء سلامٌ عليكْ
سيدُ الأصفيا سلام عليكْ
أحمد ليس مثلك أحد
مرحبًا مرحباً سلام عليك
وأحب حبك على المخلوق
يا حبيبَ العلى سلام عليك
مهبط الوحي منزل القرآن
صاحب الإهتدا سلام عليك

(١) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ١٧٧. عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٦ ص ٤٩.

• ويستمر الشاعر بمثل هذه الطريقة حتى تكتمل القصيدة، ولا بد للشاعر أن يذكر عظمة رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، ويذكر مكانته ودرجته الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى، فيقول:

طلع منك كوكب العرفان
أنت شمس الضحى سلام عليك
ليلة أسرى به قالت الأنبيا
مرحبًا مرحبًا سلام عليك
كيف شق القمر بإشارته
معجز الأدعا سلام عليك
اشفع يا حبيب يوم الجزا
أنت شافعنا سلام عليك
هذا قول غلامك عشقي
منه يا مصطفى سلام عليك

• وهكذا ينظم الشاعر قصيدته، لأنه يمتلك القدرة على النظم، ولديه أدوات القصيد من ألفاظ سهلة ميسورة، وبحر خليلي، وتناسق اللفظ والمعنى، دون الدخول إلى عالم الخيال الشعري، فلا صور بلاغية، ولا غموض يحتاج إلى تفسير، وروح شعرية حقيقية لشاعر يدعي الشعر، وهذا دعاء من شيخ لرسول الله، يطلب منه الشفاعة يوم القيامة. وقد انتقل الشاعر بركة الله إلى جوار ربه سنة ١١٤٢هـ، الموافق ١٧٢٩م.

****

بشير حسن الزيدي

١٣٠٨ - ١٣٦٦ هـ / ١٨٩٠ - ١٩٤٢ م

• هو بشير بن حسن الزيدي[1]، ولد في جيبور، غرب الهند، سنة ١٣٠٨هـ، الموافق ١٨٩٠م، درس في مدارس جيبور، وتعلم العربية ولغة الأردو، درس الفقه والأصول، والحكمة، ثم انتقل إلى فيض آباد حيث أصبح معلمًا للغة العربية في مدارسها العربية، له قصائد ومقطعات شعرية، ومن قصيدة له يذكر فيها العلماء وأمانتهم العالية، يقول فيها:

قِفا واسْمَعَا إنَّ الحديثَ طويلُ
وقلبي عليلٌ والزّمانُ قليلُ
دعاني الهوى لما رآني أهله
فلباهُ قلبي والدموعُ تسيلُ
وما الغيثُ إلّا رشحةٌ من مدامعي
وما الرعدُ إلّا رنّة وعويلُ
وكيفَ يخافُ الموتَ من شربَ الهوى
ويكفي لقتلِ الدهرِ منه قليلُ
ويكفي لِصيدِ الناسِ مرسلُ شعرها
فهل من مناص أنه سيطولُ

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٥ ص ١٧٠

ويعرفُ قدر المرء من حُسنِ صُنعهِ
وكلّ امرئ يُؤتي الجميلَ جميلُ
وما الناسُ إلّا العارفون وغيرُهم
غثاءٌ على وجه المسيل يسيلُ
هم أولياء الله يبسٌ شفاههم
وما لهم في العالمين مثيلُ
كرامٌ مضوا والجود حشو إهابهم
وجوههم بيضٌ وفي اليد طولُ
مقاديمُ وقّافون في حومة الوغى
إذا ما الجبال الراسيات تزولُ
ظهورُهم مصقولةٌ وصدورهم
جلاها وحلّاها قَنًا ونصولُ

- إذا كان الشاعر قد عرف مكانة العلماء والمفكرين، فكيف هو لو أن أحد العلماء انتقل إلى رحمة ربه، لا شك سيكون في حالة من الحزن والأسى كبيرة، فقد يبيت مهمومًا حزينًا، ويخرج هذا الحزن بصورة أبيات شغلت ذهنه وعقله، فينظمها ألفاظها قصيدة رائعة تعبر عما يحس به من ألم، يقول في رثاء أحد العلماء؟

ما للسماءِ فؤادُها مكلومُ
وتساقطتْ مثلَ الدموعِ نجومُ
والشمسُ راجفة الضلوع مريضةٌ
شدّاء تقعد تارة وتقومُ
والبدر أنحله السقامُ وغاله
خسف يراه وأرمضته غيومُ
والأرض قد ضاقت وضاق فضاؤها
وبقاعها ارتجت وشقَّ أديمُ
كلُّ امرئ يمشي على وجه الثرى
يفنى ويبقى الواحد القيومُ
رزءٌ جليلٌ ما أشدّ مصابه
والصبرُ في ذاك المصابُ عديمُ
علّامَةُ العلماء قد أودى به
رَيبُ المنون وإنه محتومُ
لبى سريعًا إذ دعاه إلهُهُ
وعلى الكريم وفوده وقدومُ
طوبى له من زائر هو عارف
حبّ الحسينِ بقلبه مكتومُ
فأقام كالعبدالمطيع لربه
والعبدُ عبدٌ في ذراه مقيمُ
وقضى هنالك نحبه ومديحهُ
باقٍ وفي قلب الورى مرقومُ
تبكي عليه مساجدٌ ومنابرٌ
ومواعظٌ ومدارسٌ وعلومُ
يا عالمًا منه العلوم تفجرت
أنهارها ومن العلومِ علومُ
صرنا يتامى بعد فقد كفيلنا
فقد الأب البر العطوف أليمُ

- ليس من السهل على الإنسان فقده لعزيز، وله مكانة كبيرة عند محبيه، ولكن إذا كان المتوفى في مقام الأب والمعلم والعالم والناصح الأمين، لا شك أن المصيبة تتضاعف، والحزن يصل إلى درجة الجزع، ولكن الحكمة والتأسي والصبر يكبح جماح الجزع فيخرج على هيئة أبيات تقطر دمًا ولوعة.

- هذا الشاعر عبر في هاتين القصيدتين عن مقدار تمكنه من فن الشعر، إجادة وتنظيمًا لأفكاره وأسلوبه وتناسق ألفاظه، ومدى اهتمامه بنظم المقدمة، ثم التحول إلى غرضه من القصيدة، فكان هذا الشاعر عميق الفكرة، متوقد الذهن، عالمًا بكل أنواع الألفاظ الدالة على صياغة الحدث، وبناء الجملة الشعرية، مع صياغة الصور الفنية التي زادت المعنى روعة وسرورًا.

****

بير محمد الآمرتسري

١٣٢٢ - ١٤٢٠ هـ / ١٩٠٤ - ١٩٩٩م

- ولد الدكتور بير محمد حسن[١] في مديمة آمرتسهر سنة ١٣٢٢هـ، الموافق ١٩٠٤م، بدأ دراسته في المدرسة الإسلامية في آمرتسهر، وكان أستاذه أبو الدرداء محمد عالم من أشهر علماء العربية، ومن أساتذته الشيخ محمد شفيع، وكان رئيسًا لقسم اللغة العربية بجامعة بنجاب، وكذلك أستاذه المستشرق كرنكو، وكان شاعرنا قد التحق بجامعة بنجاب، وحصل على شهاداته منها:
  - **شهادة فاضل اللغة العربية سنة ١٩٢٧م.**
  - **شهادة اللساني ١٩٢٩م.**
  - **ماجستير في اللغة العربية ١٩٣٠م.**
  - **ماجستير في اللغة الفارسية ١٩٣٦م.**
  - **دكتوراه في الأدب العربي ١٩٣٨م.**
- بعد تخرجه قام بالتدريس في عدة كليات في مدينة لاهور وملتان، وفيصل آباد، وروالبندي، ثم تم تعيينه عميدًا للكلية الحكومية في مظفر كره، ثم الكلية الحكومية في روالبندي، ثم بعد تقاعده عمل أستاذًا في عدة مدارس وكليات، وبعدها عين شيخًا للأدب في الجامعة الإسلامية بمدينة بهاولفور، ثم تقاعد عن العمل سنة ١٩٦٩م.
- لشاعرنا عدة أعمال علمية وثقافية منها:
  - **تحقيق كتاب: نزهة الأرواح وروضة الأفراح، جزء الفلسفة الإسلامية.**
  - **تحقيق معجم: العباب الزاخر واللباب الفاخر للصاغاني.**
  - **تحقيق رسالة القشير، وترجمتها للأردو.**
  - **تحقيق كتاب: شأن الصلاة وكتاب: علل العبادات، وكتاب: الدر المكنون في أسئلة ما كان وما يكون لمحمد بن علي الحكيم الترمذي.**
  - **تحقيق كتاب: الخلوة والتنقل، لحارث بن أسد المحاسبي.**
  - **تحقيق شرح فصوص الحكم لخواجه محمد.**
  - **ترجمة كتاب إبريز للشيخ أحمد بن مبارك.**
  - **ترجمة حيات جاودان» الحياة الخالدة» باللغة الأردية.**
  - **ترجمة كتاب: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب للآلوسي.**

(١) حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان ص ٤٠.

- ترجمة الرسالة القشيرية لأبي القاسم عبدالكريم القشيري.
- ترجمة التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر بن أبي إسحاق.
- ترجمة كتاب: اللمع في التصوف لأبي نصر الطوسي.

• كان الدكتور محمد حسن يحفظ كثيرًا من أشعار العرب، وله قصائد باللغة العربية، ولكن معظمها ضاع خلال الانتقال من الآمرتسهر إلى باكستان، وكان بعضها عن أحد الأصدقاء، يقول في قصيدة نظمها شاعرنا ترحيبًا بالشيخ أبي الأعلى المودودي، يقول فيها:

دعْ ذكرَ هذا الطللِ المحيلِ
ولا تَعُجْ عليه بالعَويلِ
بل رحِبْ بالعالمِ النبيلِ
ومرشد الناس على السبيلِ
جاهد في الله بكل قيلٍ
وأزهق الباطل بالدليلِ
وقاسى من الآلام في الجليلِ
ما يذهل الخليل عن الخليلِ
وأيقظهم من حلم طويلٍ
أدركتهم في ساحة الرحيلِ
ربيتهم تربية السليلِ
وحزتهم في ظلك الطويلِ
ما لك في صنعك من عديل
فكيف نرضى منك بالبديلِ

• قدرة الشاعر كبيرة في النظم العربي، وله إخوة وأصدقاء يعزهم، فإذا فقد أحدهم، وتوفي انبرى ينظم قصيدة رثاء، ومن هؤلاء السيد حسين أحمد المدني، يقول في قصيدة رثاء له:

إن صنعَ الله مما لا يُعَدْ
هكذا الإله ما لا يُحَدْ
كيف ينجو عائش منها إذا
نشبت أظفارهنَّ في أحد
إخوتي كيف حملتم نعشهُ
هل رَضِيتم أن يدسه الصعد
ما دهاك يا ديوبند إذا
مات أحمد ومنك الرَّحلُ شد
دفنوا عليه الحديث معه
حينما الحنار أجرًا نضد
هلك لم يكن هلك واحد
بل هلاك القوم طرًا قد تسد
سأعزّي النفس إذ أرى
لا يرد الموت عنه من أحد

• أبدع الشاعر في رثاء ذلك العالم الفقيه، وصور مكانته تصويرًا بارعًا، وفي قصيدة أخرى يصف أرض قشير، ثم يمدح العلامة أنور شاه الكشميري، يقول:

أيا حبذا أرض قشير وروضها
ويا حبذا أزهارها وقصورها

مياه عذاب قد أحاطت بأرضها
فيا حسن أشجار وحسن طيورها
ويا حبذا إذا أنجبت بسميدع
كريم المحيا باسم الثغر خيرها
هو الأنور الحبر الفطين الذي به
سرى ذكر أرض القاشمير ودورها
تقي نقي خاشعٌ ثم تقن
علومًا أنار الخافقين سفورها

- قدرة كبيرة يتمتع بها الدكتور بير محمد حسن، وإجادة كبيرة للنظم العربي، من بحور الشعر وقوافي مختلفة، وألفاظ تحت سلطته وأمره، واستطاع أن يؤلف بينها وبين معانيه المتفاوتة، وكان شاعرًا بليغًا فنانًا، يصنع القصيدة بكل قدرة وتمكن.

- الشاعر له موهبة حباه الله بها، وثقافة كبيرة وظفها لينتج شعرًا جميلاً راقيًا، استخدم بحور الشعر، مع تجانس في الألفاظ مما أنتج موسيقا عذبة، وخيال خصب أنتج صورًا فنية بلاغية تجمل الأبيات.

- في شعره موسيقا داخلية وخارجية، وصور بديعة، وجمال في اللفظ، وقوة سبك وتناسق بين كلمات القصيدة، ولم يستعمل النادر من الألفاظ، ليس هناك غموض في فهم القصيدة، واستطاع أن يبني أفكاره على ثقافته الواسعة، وحفظه للشعر العربي، وتمكنه من المعجم اللغوي، وحس موسيقي واضح في القصائد. وتوفي سنة ١٩٩٩م.

****

جمال الدين المالكي

٠٠٠ - ١٠٨٦ هـ / ٠٠٠ - ١٦٧٥ م

• ولد الشيخ جمال الدين محمد بن عبدالله المالكي[١] في النجف، في بدايات القرن السابع عشر الميلادي، وهو من أحفاد مالك الأشتر، وترك العراق في صباه، فذهب إلى أصفهان، ثم دخل الهند، إلى حيدرآباد، ومدح سلاطينها، وخدم السلاطين فتبوأ مكانة كبيرة عندهم، وكان معاصرًا لصاحب السلافة، وقد مدحه بقصيدة سنة ١٠٧٣هـ، الموافق ١٦٦٢م، يقول فيها:

أتاكَ بها الهوى تختالُ كِبرا
فتاةٌ مِن سلافِ الدلِّ سكرى
تكلف جفنها المخمور نهضًا
فيطفحُ كاسه غنجًا وسحرا
فمن نظم النجوم الزهر عقدا
وقدَّ لها أديم البحر نحرا
ومن جعل السحاب لها جفونًا
وصاغ لها وميض البرق ثغرا
إذا خطرت سقاك الدلّ كأسًا
وإن نظرت سقاك الغنج أخرى
تخيل ثغرها حببًا إذا ما
رشفت من الرضاب خمرا
رأتني فاعتراها الرَّوعُ جهرًا
وما علمي بما تخفيه سِرّا
أرتني الدّر من ثغرٍ وطرفٍ
غداةَ وداعنا نظمًا ونثرا
كشفتُ لها إذا عن صبر حر
تظل النائبات لديه أسرى
فهزته النوى فرأته طودًا
وزاحمه الهوى فرآه صخرا

• وهكذا يستمر الشاعر بالغزل في بداية قصيدته، على عادة الشعراء العرب القدامى، ثم يلتفت إلى الممدوح السيد على خان المدني ليقول له:

نجيبٌ لم يلد إلا نجيبا
أغر لم يلد إلّا أغرا
أبٌ درّ له أبناء حرب
غدوا لوطيسها شررًا وسعرا
أرتني بابن أحمد خلق حرٍّ
رأينا كل خلق فيك حرا
رأيت عليَّ أهل الفضل طرا
يدًا واسمًا ومرتبة وقدرا
فقل صافحتُ بعد البحر بحرًا
بناديه وبعد البر برا
فتى أروى من الذماء قلبًا
وأوسع من فضاء البيد صدرا

(١) علي صدر الدين المدني، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ص ٥٥٤. محمد سعيد الطريحي، ملوك حيدرآباد ص ١٢٦. علي الخاقاني، شعراء الغري (قم، إيران: مكتبة آية الله المرعشي ١٤٠٨هـ ف) ج١٠: ٢١٧.

وأبـــرد مـن فـــؤاد الـثـلـج عيشا
وألـهـب مـن شـــواظ الـنـار فكرا
وأمـضـى مـن ذبـاب السيف عزما
وأسـرى من خـيـال الـطـيف مجرى
تـــرى غـيـث الـمـكـــارم مـبـتـهـلاً
بـسـاحـتـه وروض المـجـد نضرا
يـــزدن قـــرونـــه مـنـه ذكـــاءً
ويـلـقـى قـرنـه مـنـه هِـزَبـرا
فـتًـى يـقـضـي عـلـى الأيـــام حـتـى
لـه والأبـيـض الـهـنـدي ظـفـرا

• وهكذا يمدح الشاعر صاحب السلافة، علي خان المدني، وقد برع في الوصف، وأثنى على مواقفه البطولية، ويظهر تأثر الشاعر بمدائح الشعراء العرب، وبخاصة الشعراء العباسيين.

• وله قصيدة مدحية في السيد حسين بن علي بن شدقم، وكان من الشعراء العرب الذين استوطنوا الهند. يقول فيها:

زُفّـتْ إلـى ابـن المـزونـة الخمر
والـشـرط أن عـقـولـنـا مـهـرُ
حـمـراء يـلـقـاك الحـبـاب بـهـا
مـبـتـسـمًـا فـكـأنـه ثـغـرُ
وكـأنـه شـمـس يـطـوف بـهـا
زاهـــي الجـبـين كـأنـه بـدرُ
وكـأنـه مـا بـيـنـنـا قـمـرٌ
دارت عـلـيـه الأنجـم الـزهـرُ
سـاق تـكـاد تـسـيـل مـن تـرف
أعـضـاؤه وفـــؤاده صـخـرُ
أنـفـقـت عـمـري فـي سياسـتـه
وبمـثـل ذلـك يـنـفـق الـعـمـرُ
غـنـى وقـال لـي اصـغ مستمعًا
إن كـان يـحـفـظ قـلـبك الـصـدرُ
واســـرق مـــرادك آمـنًـا فـلـقد
أغـفـى عـلـى تـغـريـدي الـدّهـرُ

• ويصف الممدوح بقوله:

لـلـجـود ذا مـاء بـراحـتـه
وبـكـل راجـيـة لـه نـهـرُ
آنـســتُ در كـلامـه فـأنـا
بـالـلـه أشـهـد أنـه بـحـرُ
زرهُ تـعـد صـبًـا بـحـضـرتـه
قـد تـيـمـتـك فـعـالـه الـغـرُّ
وانـظـر سـجـايـا قـطـر جـبـهـتـه
مـاء الحـيـاة وبـرقـه الـبـشـر

• شاعر مقتدر ومهذب النفس، شاعر عربي رحل بشعره إلى الهند، فوجد الأرض الخصبة لبث فنه الشعري في تلك البيئة، تأثر الشاعر بالشعر العباسي، فصنع قصائده على ذلك المستوى من الشعر الرفيع، والقدرة العالية على النظم.

• استخدم الشاعر أدوات الشعر العربي من قافية وبحر عروضي، تناسقت أبياته فيما بينها، وصنع فيها الصور

الفنية البلاغية، مع جرس موسيقي يطرب له السامع، من خلال الموسيقا الداخلية والخارجية، وتناغم بين اللفظ والمعنى، وكان مادحًا جيدًا في وصف أفضال وأعمال الممدوح، وثروته اللغوية من العصر العباسي ساعدته في صنع أبياته. وانتقل إلى رحمة الله في حيدرآباد سنة ١٠٨٦هـ، الموافق ١٦٧٥م.

****

جمال الدين بن نور الدين

٠٠٠٠ - ١٠٩٨ هـ / ٠٠٠٠ - ١٦٨٧ م

• هو السيد جمال الدين بن نور الدين بن أبي الحسن علي الحسيني الموسوي الحيدرآبادي[1]، ولد في لبنان، وأظن في بداية القرن الحادي عشر الهجري، دون تحديد السنة، ولكنه درس في لبنان، ودرس في دمشق، وحضر عند السيد محمد بن حمزة، نقيب الأشراف، فأخذ عنه المعارف، كان حسن المعاشرة، شهي النكتة والنادرة، ثم غادرها إلى مكة المكرمة ، ومكث بها فترة، بعد ذلك ذهب إلى اليمن

(١) ابن فضل الله المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ج١ ص٤٩٤. محمد بن الحسن الحر العاملي، أمل الآمل (بيروت: مؤسسة الوفاء ١٩٨٣م ج١ ص٤٥. عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٥ ص١١٦. محمد سعيد الطريحي، ملوك حيدرآباد (أكاديمية الكوفة ٢٠٠٥م) ص ١٧٨.

أيام الإمام أحمد بن الحسن، فعرف مقامه وقربه، فنظم الشاعر قصيدة في مدحه يقول فيها:

أقـولُ وقـد طـغَـتْ الـبـلادُ وأهـلُـها
بـلـوتـهـم قـــولاً يـصـدقـه الـعـقـلُ
إذا مـا جـرى ذكـرُ الـبـلادِ وحُسنها
فتلك فـروع والـغـراس هـي النخلُ
وإن عـدّ ذو فضل ومـجـدٍ مؤثـلٍ
فـأحـمـد مـن بـيـن الأنـــام لـه الـفضلُ
فـلا غـرو إن قـصرت طـول مدائحي
ففي البعد قصر الفرض جاء به النقلُ
إلـيـك صـفـي الـديـن مـنـي خَـريـدةٌ
فـريـدةُ حُـسـنٍ لا يـصـابُ لـهـا مثلُ
وأعـظـم مـا تـرجـو الـقـبـول فإنما
قـبـول الـثـنـا بـاب يـتـم بـه الـسـؤلُ
فحقق رجاها وأخلى عاطل جِيدها
بـمـا أنـت يـا نـجـلَ الـكـرام لـه أهـلُ

• تـرك شـاعـرنـا اليمن متوجهًا إلـى الـهـنـد، واسـتـقـر في حيدرآباد، وتقرب من السلطان أبي الحسن قطب شاه، وكان محبًا للعلم والأدب، فوجد عنده حظوة وإحسان، واتخذه نديمًا خاصًا، ولكن الأمور تغيرت حين سيطر عالمكير، أورنك زيب على مملكة حيدرآباد فكان مصير شاعرنا السجن إلى أن انتقل إلى رحمة الله سنة ١٠٩٨هـ، الموافق ١٦٨٧م، ودفن في مقبرة السادة بحيدرآباد.

• للسيد جمال الدين الموسوي شعر كثير ذكره بعض من ترجم له من أصحاب الكتب، منها قصيدة يقول فيها:

قد نالني فرْطُ التعبْ
وحالتي من العجبْ
فمن أليم الوجد في
جوانحي نار تشب
ودمع عيني قد جرى
على الخدود وانسكب
وبان عن عيني الحمى
واستحكمت أيدي النُّوب
يا ليت شعري هل ترى
يعود ما كان ذهب
يفدي فؤادي شادنًا
مُهفهِفًا عذْبَ الشَّنبْ
بقامة كالأسمر
بها النفوس قد سلب
ووجنة كأنها
جمر الغضا ذا لهب

• للشيخ البهائي، الفقيه العاملي، له قصيدة أولها:

يا نديمي بمهجتي أفديكْ
قمْ وهاتِ الكؤوسَ من هاتيكْ

• فعارضها شاعرنا بقوله:

أسقنيها ممزوجةً من فيكْ
بالذي أودع المحاسن فيك
وأجلّ كاساتها عليّ وقل
(يا نديمي بمهجتي أفديك)
وانتهز فرصة الزمان بها
وأغتنم صفوها فما يدريك
فَهْي راحي وراحتي وإلى
حانها رحلتي بلا تشكيك
إن أكن مغرمًا بها فلقد
فتنت كل عابد نسيك
ربَّ شمس في الليل طالعةٌ
بسنا نور كأسها تهديك
لستُ أنسى لياليًا سلفت
نلتُ فيها المنى بغير شريك
وسميري مهفهفٌ، غَنِجٌ
أحوَرُ الطرف للحسان مليك
غصن بان إذا بدا وإذا
ما شدا عن حمامها يغنيك
يتثنى كأنه ألف
عجبًا وهو رائد التحريك
إنّ يمناي واليسار معًا
أحكما عند ضمه التشبيك
يا مليكًا قد عز جانبه
صل ذليلاً قد حلّ في ناديك
إنَّ بدر الدجى ولا عجب
كاد لولا مَغيبُه يحكيك
كيفما شئت كن فلا حرجٌ
أنا راضٍ بكل ما يرضيك

لستُ أصغي إلى الملام ولو
شنَّ غاراتِ حربه شانيك

• كانت بين الشاعر والشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي مراسلات شعرية، وقد كتب شاعرنا رسالة إلى ذلك الشيخ يقول فيها:

إلى حضرة المولى الهُمام الممجدِ
سليل العلى الحُرّ التقي محمدِ
أبثّ من الأشواقِ ما لو تجسمت
لضاق بأدنى بعضها كلّ فَدْفَدِ
وأعدي سلامًا قد تناثر عقدُهُ
فأصبح يزري بالجُمان المنضّدِ
وأصفى تحيات صفت من كدورة
تؤم علاكم في مغيب ومشهدي
فيا أيها المولى الذي بحرُ مجده
إليه تناهى كل فخرٍ وسُؤدَدِ
إليك الورى ألقت تقاليدَ أمرِها
فأبل الليالي والأيام وجدد
ودم سالمًا في طيب عيش ونعمة
مطاعًا معافى طيب اليوم والغدِ
وإن تسألوا عنا فإنا بنعمة
وعافية فيها نروح ونغتدي
ونرجو من الله المهيمن أنّكم
تكونون بخيرٍ وعزٍّ مؤيّدِ

• دأب الشاعر على مراسلة أصدقائه وأحبابه بالشعر والنثر، وله قصائد كثيرة في هذه المراسلات الشعرية، وهو شاعر مطبوع، لا يتكلف ولا يتصنع نظم القصائد، فألفاظه سهلة ميسورة، يعبر بها عما يريد من رسائله دون أن يكتب نثرًا، وكأن كلامه النثري هو شعر، فكيف تكون حياته عند الملوك والسلاطين، لا شك أن هؤلاء يقربونه إليهم، ويعطونه كل ما يسألهم، فهو متمكن من اللغة، والألفاظ العربية بين يديه يوظفها كيف يشاء.

• ارتبط شاعرنا بشعراء العرب، فهو عربي الأصل، ثقافته عربية، وإن عاش فترة طويلة في بلاد الهند، إلا أنه اكتسب حسن التعامل مع الهنود، فرحبوا به، وأقام بين ظهرانيهم سنين طويلة حتى أدركته المنية وهو في حيدرآباد.

****

جمال الدين محمد الكجراتي

٠٠٠ - ٠٠٠ هـ / ٠٠٠٠ - ٠٠٠٠ م

• هو جمال الدين محمد بن عبداللطيف الجامي الكجراتي[1].

• تلقى العلم من علماء عصره، ومشايخ بلدته، حتى أصبح من العلماء والشعراء في الهند، ولكن مصادر ترجمته قليلة، وما كتبه السيد عبدالحي فهو قليل جدًّا في حقه، وله أشعار وقصائد، غير أن ما أثبت له قصيدة قالها

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٥: ٣٥٣.

في قدوم الفقيه أحمد باجابر إلى الهند، ولم يذكر سوى ثلاثة أبيات، وهي:

ما جال في خلدي ولا في خاطري
أني أفوزُ بوصل ذاكَ الجابري
كلا ولا ظننتُ أني في الكرى
أحظى بوصلٍ من حبيبٍ هاجري
أترى يقينًا أن طيف خيالهِ
آوٍ إلى طرفي القريح الساهرِ

- يبدو أن الشاعر متمكن من النظم، بارع في تحقيق متطلبات القصيدة، وهو قادر على ذلك، وهذه قصيدة ترحيب بالضيف، وسرح في خياله ولم نتمكن من الحكم عليه لقلة ما بأيدينا من مصادر شعره، وله بيتان في الرثاء، هما:

مات الشهابُ وكلُّ حيّ هالكُ
لم يبق إلا الواحد القهارُ
فاللهُ يرحمه ويجبر كسرهُ
فهو الرحيم المالك الغفارُ

- قدرة الشاعر على النظم جيدة، وعبر في هذه الأبيات عن تلك المقدرة، استخدم بحور الخليل بن أحمد، وقواف ذلل، وأفكار في وقتها خرجت ليقوم الشاعر بنظم قصائد في المناسبة، فكان اللفظ يتناسق مع المعنى، وله قوة السبك، وجمال الأسلوب والصورة الفنية.

****

جميل سعيد التهانوي

١٣١٨ - ١٤١٤ هـ / ١٩٠٠ - ١٩٩٣ م

- هو جميل بن أحمد بن سعيد بن أحمد بن حافظ أمير التهانوي[1]، ولد في تهانة مظفر نكر -الهند) سنة ١٣١٨هـ، الموافق ١٩٠٠م، تلقى تعليمة الأولي في بلدته، ثم ذهب إلى مدرسة عليكرة، فدرس النحو العربي واللغة الفارسية، ثم التحق بمدرسة مظاهر العلوم بمدينة سهارنبور، سنة ١٣٣٦هـ، الموافق ١٩١٧م، حيث درس الحديث النبوي من الصحيحين، وسنن الترمذي، وسنن أبي داود وابن ماجة وسنن النسائي، وآثار الطحاوي، وموطأ الإمام مالك، وكان ذلك على أيدي مجموعة من العلماء؛ منهم: خليل السهارنبوري، والشيخ عبدالرحمن كاملبوري، إلى أن استكمل دراساته.

- بدأ حياته العملية بالتدريس، فكان مدرسًا منذ سنة ١٣٤٥هـ، الموافق ١٩٢٦م، كان مدرسًا لربع قرن في مدرسة مظاهر العلوم، ثم انتقل إلى باكستان حيث عمل في الجامعة الإشرافية في لاهور، كما أنه كان مفتيًا، وكان عضوًا في جماعة الدعوة والتبليغ.

(١) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص٤٣١. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج٥ ص ٦٤٢.

• استطاع شاعرنا النظم باللغتين العربية والأردو، ولم يجمع شعره في ديوان، بل قام حفيده بجمع ما تفرق من أشعاره ليكون بحثًا في إحدى الجامعات الباكستانية، وعلى الرغم من كونه شاعر إلا أن لديه بعض المؤلفات الأخرى منها:

- حاشية على المعلقات السبع.
- أحكام القرآن الكريم.
- تراجم الحماسيين.
- دلائل القرآن على مسائل نعمان.
- الفحاوي على الطحاوي.
- له عدة مؤلفات بلغة الأردو.

• هذا شاعر مقل، وله قصائد ومقطوعات باللغة العربية، ومن شعره في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يقول فيها:

يومًا تقشع ظلمة ظلماء
وتألق الأنوار والأضواءُ
مثل الضحى للفجر ضياء
فتلألأ الآفاق والأرجاءُ
لمعاتُ أنوارٍ زهت وتساقطت
فقد ارتدى الأضواءُ فيه فضاءُ
الجو ملتمعٌ ذراه إلى الذرى
حُلَلُ الضيا أرض له وسماءُ
فقصور قيصر ثم كسرى قد بدت
وبمكة العليا لها استجلاءُ
رفع الرؤوس على النجوم تبخترًا
وتفاخرًا بالالتماع هباء
والأرض فيه تزخرفت وترفّعت
فكأنها فوق السماء سماءُ
ما بات ليلاً درهم في جيبه
بل بات جوع فوقه الحصباءُ
يسخو بقنطار وليس بداره
شيء غداء منه ثم عشاء
جودٌ لهُ ألّا يخيَّبَ سائلٌ
منحًا وإن لم يأته استجداءُ
سلطان كل الكائنات وإنه
قد عاش مسكينًا عليه كساءُ
ومع المساكين الرجاء لحشره
طوبى لهم كم كان منه دعاءُ
قد كان فيه لكل عبدٍ أسوةٌ
كي يتبعوه وهم له نظراء
ومواصلٌ صومًا بصوم ناهيًا
أصحابه ولهم بذاك نداء
من منكم مثلي فربي عنده
لي منه إطعامٌ ومنه سقاءُ
نحو أرض مكة نحو أقصى ثم منـ
ـهُ إلى العلا في اليقظة الإسراء

للعالم الأعلى ومن سكن العلا
هذا لأسرار الهدى إبداءُ
وجوامع الكلم الفصيحة لفظه
حارت بها الفصحاء والبلغاء
الأولون الآخرون علومهم
في علمه مجموعة سجّاءُ

• قصيدة تحكي سيرة الرسول الكريم محمد-صلى الله عليه وآله وسلم- من كرمه ونوره الذي ملأ الآفاق، ورحلة الإسراء والمعراج، فقد نقل لنا الشاعر تلك السيرة العطرة لرسول الله، وكان لفظه بسيطًا وعباراته واضحة، فلم يتعمق في الفهم والإدراك، يريد أن يبلغ الناس شيئًا من سيرة رسول الله- عليه السلام- فاستخدم ما هو معروف من العبارات والألفاظ.

• ونظم الشاعر جميل قصيدة يبيّن فيها فضل الله عليه، ويفتخر برسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يقول فيها:

حمدًا لمن قد توالت منه لي نعمٌ
والفضلُ والفيضُ والإنعام والكرمُ
ما كنتُ أحسبُ أن أوتى فواضلهُ
وقدر ما عنه بعض الناس قد خرموا
كل المعاصي محيط كل بنياني
فمانحا منه لي رأس ولا قدمُ
أنشئتُ في الأنسِ لا في غير ذي شرف
فليس لي أحم يؤوس ولا أكمُ
ما كنتُ وحشًا ولا طيرًا ولا حجرًا
ولا ترابًا ولا ماء فينسجمُ
وليس درب ولا بحر ولا شجر
سكناي بل في قصور زقها الخيمُ
أكرم به منح الإيمان مكرمة
منحى من سقر نيرانها حطمُ
أسدى إليَّ بإسداء فأدخلني
في خيرِ أمةٍ فسدّت بها الأمم
أعطاني الدين دينًا لا يماثله
دينٌ فكلّ بهذا الدين مختتمُ
محمدٌ خاتمُ المرسلينَ لنا
فدينه خاتم الأديانِ إذ ختموا
ووحيه للوحي الخاتم الأعلى
فالناس في مدّعاهم حق أن لوموا
وعلمه خاتم للعلمِ أجمعه
فالمدّعون له في فيهم اللجمُ
وكان خاتم علم الناس كلهم
علوم كل لعلم عنده خدمُ
قد قال علّمني ربي فأحسنه
وقال أدّبني ما ليس عندكمُ
الله أعطى علوم الأولين له
والآخرين فأي العلم ما علموا

وخلقه خاتم الأخلاق بل خلق
عظيم الله أعطى رحمة لكمُ
خلائق حقّه إذ في خلائقنا
خدع نفاق وتحقير بها سمّوا
شمائل كان أرواح بها افتخرت
فاهتزَّ الأرواح واعتزّ بها الشيمُ
الغيظ غيظٌ إذا للدين تحقير
وليس غيظ لأجل النفس إذ ظلموا
يدعو لمن قال شيئًا فيه أن يجزي
بعكس ما قلت خيرًا غير ما زعموا

• القصيدة طويلة، وهذه من مزايا الشاعر، وقدرته على النظم، فإلى جانب تمكنه من أدوات النظم إلا أن لديه القدرة الكبيرة في نظم القصائد الطويلة، واستعماله لخياله وفنه أدى إلى صنع صور فنية بلاغية، وأوجد بها حلاوة الشعر وجماله. لقد أبدع الشاعر في مديح رسول الله، وقبل ذلك أبدى فخره بما وهبه الله من قدرات وإمكانيات، وعبر عن اعتزازه بذلك، ثم عرج إلى مدح رسول الله، الذي جاء بختم الرسالات، وهو خاتم الرسل، وخاتم الأديان.

• عندما يدرس الطالب عند شيوخ الدين، يتعلق بأحدهم في نظرته للحياة، فيرى رأيه، ويتمثل سلوكه، ويكون له قدوة في مستقبل حياته، ولكن عندما يفقد ذلك المثل يصاب الطالب بالحزن والكآبة، ولكن إرادة الله فوق الجميع، فلا يجد بدًا من رثاء ذلك الأستاذ القدوة، وهذا ما حدث لشاعرنا عندما فقد أهم أستاذ في حياته فرثاء بهذه القصيدة التي يقول فيها:

لله درُّكَ من عظيم الشانِ
في الدفع عن حقّ المسائل عانِ
حَبر كريمٌ بارعٌ متورعٌ
واعي الحديث وحافظ القرآنِ
معظم أهل العلم أجمع والهدى
مقدام أهل الفضل والعرفانِ
علمٌ لدُنيٌّ سرى في قلبه
بهما ففاق به على الأقرانِ
فكتابه الإعلاء للسنن الصحا
ح أدلة للمذهب النعماني
من ألف عام ليس يلفى مثله
والاحتياج لإليه منذ زمانِ
والجهد بالآيات في إثباته
قد سمّي الأحكام للقرآنِ
هذان لم أرَ قطُّ ما ضاهاهما
شيء أتى قاصٍ به أو دانِ
ورسائلٌ في الرّد والإبطال والـ
إصلاح والتاريخ والعرفانِ
إمداد أحكام الفتاوى كلها
حقٌّ بتحقيقٍ بديع الشانِ

ولـــه مـــقـــالات بـــكـــلّ مـــجـــلـــةٍ
دينـيـةٍ شـاعـت مـن الـبـلـدانِ
أشـــعـــاره عـــربـــيـــة عـــجـــمـيـة
خـلـوٌ وحـلـيٌ قـلائـد الـعـقـيـانِ
شيـخ لأرواح الخـلائـق مصلـحٌ
مـنـجٍ مـن الـكـفـران والـنـيـرانِ
بـل فـي مـكـاتـبـة أقـلّ قـلـيـلـة
وصلوا وحـارَ الـنـاس في الحرمان
بـيـسـيـر أشـغـال وأذكـــار فـهـم
فـــازوا بمـا لـم يـأتـه الـشـيـخـانِ
لمعت» سـهـانـبـور» مـن تـدريـسـه
« كـدهـي» إلـى الأعـوام والأزمـان
بـالـخـانـقـاه الأشـرفـيـة درسـه
والـوعـظ والإفـتـاء بـحـقّ بـيـانِ
وبـهـا تـألـيـف نـــوادر كـلّـهـا
لـم يـأت عـصـر واحـد بـالـثـانـي
بـالـهـنـد والـبـنـجـاب والـبـرمـا وفـي
بـلـدانـهـا وبـــلاد بـاكـسـتـانِ

• لم يترك الشاعر لحظة من لحظات حياة المتوفى إلا وذكرها، وحزن على رحيله فقد كان عالمًا استفاد منه كثير من الناس، ومن البلاد، وكان أسلوبه سهلاً ميسورًا، وألفاظه مفهومة، لا تعقيد ولا غموض، وعسر فهم لأبياته، فهو في رثاء رجل عالم، ويريد الناس تفهم ما يقال لها.

• كثرة العلماء المسلمين في الهند وتشتت مواقعهم في مناطق كثيرة أدى إلى أن يبرز بعض هؤلاء العلماء على مستوى العالم الإسلامي، فالعالم النحرير يكتسب شهرة كبيرة لا محلية فقط، وهذا عالم آخر اكتسب معرفة على مستوى الهند، وهو الشيخ المفتي محمد شفيع، فوقف شاعرنا يرثيه بقصيدة يقول فيها:

نـعـيٌ أتـانـا لـم يـطـق إنـسـان
حـمـلاً ولا الأذهـــان والآدانُ
وانشق منه قلوب أرباب الهدى
والـصـالـحـين لـكـل مـرء شـانُ
واحتار أرباب العلوم ذوو الحِجَا
طـار الـنـهـى واخـتـلـت الأذهـــانُ
وعـيـون بـحـر سيَّبـتـهـا أعـيُنٌ
لـم يـسـتـطـع كـفًـا لـهـا الأعـيـانُ
سكبًا فسكبًا ليس يصفو جامد
والاحـتـكـار بمـذخـر نـقـصـانُ

• يبدو أن هذا الشاعر يتجنب الخيال في أشعاره، لذا لا توجد صور خيالية في قصائده، ولا يوجد غموض فيها، فهو يُأبن راحلاً، فيسرد شيئًا من أفضاله على الناس، ويبكونه، ويتفجعون عليه، فالألفاظ واقعية، والأسلوب عادي لا لبس فيه ولا تعوّق، فهو واضح، وضوح الشمس في رابعة النهار. وتوفي سنة ١٩٩٣م.

****

جواد ساباط الساباطي

٠٠٠٠ - ١٢٨١ هـ / ٠٠٠٠ - ١٨٦٤ م

• هو جواد ساباط لطفي بن إبراهيم الساباطي[١]، لم يذكر المؤرخون تاريخ ميلاده، ولكنه ولد في البلاد العربية، وتعلم فيها علوم عصره، ثم ارتحل إلى الهند، وطاف في عدة ولايات، واتبع عدة مذاهب طبقًا للمدن التي يسكن بها؛ فهو سني في بلدة بنارس، وشيعي في بلدة بذهاكة، وارتد عن الإسلام في كلكتا، ثم عاد إلى الإسلام، وكان مداعبًا مرحًا مضحكًا، وربما تقلبه في عدة مذاهب ضمن مداعباته، وأعاجيبه.

• لقيه الشيخ أحمد الشرواني سنة ١٢٢٢هـ، الموافق ١٨٠٧م، وربما يكون مولده في بداية القرن الثالث عشر الهجري، لأنه انتقل إلى رحمة الله سنة ١٢٨١هـ، الموافق ١٨٦٤م، على الرغم من تنقلاته في أنحاء الهند إلّا أنه صنف كتبًا منها:

- القواعد الفركزية في النحو والصرف، بالفارسية.
- ضرورات الصرف.
- ربط الحمار في رد الاستعذار.
- مقدمة العلوم. في المنطق.
- الموجز النافع في العروض.
- المختصر في القوافي.
- التحفة الباقرية في الصنائع والبدائع.
- الأنموذج الساباطي في العروض والقوافي.
- شراب الصوفية في أصول التصوف.
- الوظائف الساباطية في الأدعية.
- من لا يحضره النديم، وديوان شعر، والمراسلات.

• عندما كان بمدراس تقرب من القاضي محمد قاسم قاضي القضاة، فمدحه بقصيدة عربية يقول فيها:

إلى الذربِ ألطودِ الهُمام الذي له
بكلِّ قضايا ذي مخاصمة أمرُ
إلى عالم الأعلام كهف أولي النهى
وقاضي قضاة الهند واختِمُ الوفر
إلى عالم مهما أقام قضية
إلى الله لا زيد يقيم ولا عمرو
له في فنون العلم كلُّ عجيبة
تظنُّ إذا ما شوهدت في الملا سحرُ
معان لصرف النحو منطق فقهه
وهيئة حسب النجوم من رمله صفرُ
يفسر حكم الفيلسوف بنانه
ويظهر من شكل المجسطية السرُّ

(١) عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٧ ص ١٢٧. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٥ ص ٧٢١.

فللعقل منه ما يرى فيه نفعة

وللنقل آيات يحيط بها الخبرُ

وللضيف حق لا يملّ قراؤه

وللخصم أسياف مهندة بتر

وللعلم روض ذو (ظلال) أنيقة

وللحلم صدر لا يفارقه الصبرُ

وللعدل رأي لم تُهيّجه سفاهةٌ

وللبذل كفٌّ لن يشابهه القطرُ

- هذا مديح جيد من شاعر عربي هندي، أقام علاقة مع قاضي القضاة، ووضع فيه صفات العدل والكرم والقدرة على الحكم بين المتخاصمين، لكنه لم نعثر على قصائد أخرى لهذا الشاعر ، الذي يبدو أنه شاعر متمكن من بحور الشعر وقوافيه، ومعرفة تامة باستخدام الألفاظ المناسبة لمدح ذلك القاضي.

****

ع

حامد حسين الحسيني

١٢٨٧ - ٠٠٠٠ هـ / ١٨٧٠ - ٠٠٠٠ م

• هو السيد حامد حسين بن الحسين الحسيني الفيض آبادي[١]، ولد سنة ١٢٨٧هـ، الموافق ١٨٧٠م، تعلم على يد حامد حسين بن محمد قلي الكنتوري، ثم قرأ العلم على يد ناصر حسين بن حامد حسين، وكان بارعًا في الأدب والتاريخ والسير، له شعر كثير جيد في المديح والحماسة والنسيب، لم نر له سوى قصيدة في مدح أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب ، يقول فيها:

ما للمِلاحِ أرى سُعدى وسلماها
رديـنـهـا وسـعـادًا ثـم لـيـلاهـا
يمسن في حُلل من سندس خضرٍ
زانت حليًا لها في السعر أغلاها
طوبى لكم أيها الهُيّام فاجتمعوا
زوروا ربوعًا دمى نجد بأعلاها
كانت لنا حاجة في زورة ولها
كمثل حاجة يعقوب قضيناها
أفق أيا قلب في ذا اليوم أنّ به
تفوز من سرب النكار سعداها
سود الفروع كأنَّ الليل خمرها
بيض الوجوه كأنَّ الشمس غذاها
خُدودُها كبخش في معادنهِ
في الإحمرار فمن رباه رباها
شفاهها كيواقيت يشعشعها
عند التبسم ضوء من ثناياها
فليلة القدر تحكي عن غدائرها
ومطلع الفجر يبدو عن محيّاها
مثل القوارير للصهباء أعينها
لا يستفيق ولا يصحو سكاراها
ألحاظها قضب والفرق متضح
تبقى دهورًا بحال النزع قتلاها
تشبهت بزليخا مصر سطوتها
تدوم في السجن والأقياد أسراها
كم من لباقات قلبي قد قضيت بها
في جنح ليل إذا ما الليل يغشاها
وربَّ ليلٍ سقتني طعمَ ريقتِها
تحكي مذاقَ الطلا في الشرب أحلاها
كم من سُلاف قبيل الصبح نلت وكم
إذا تنفس صبح نلت أحلاها
قبل الممات أروني هامتي بدني
ولا أخاف ولا أحشر لعقباها
تبدو فعال أناس في حياتهم
وليس يعلم بعد الموت أشقاها
ما للرياض قد احمرت شقائقها
ساب لعقل حليم طيب ريّاها

(١) عبدالحي بن فخر الدين الحسني ، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٨ ص ٩٧.

فالورد يفخر طورًا فوق نرجسها
قد حدقت شزرًا من ذاك عيناها
والسرو منتصب الأفنان في عجبٍ
عن قدّ سعدى ولا محكيه حاشاها
أرى زهور رياض قد تفتق من
وجد ومن طرب في حبِّ مولاها
طوبى لشهر أتانا واسمه رجبٌ
فيه ولادة نور من نبي طهَ
أعني به حيدرًا في المهد عهد صبي
مولاي خير بني الدنيا وأزكاها
هو الذي كان بيت الله مولده
وذي الرواية صحت فاعتقدناها

- في هذه القصيدة التي ملأها الشاعر غزلاً، ووصفًا للمحبوبة، على الرغم من أنها في مدح الإمام علي، ولكن الشاعر لم يتكلم عن الإمام إلا في آخر أربعة أبيات من قصيدته، وما ذكره عن أمير المؤمنين يعد قليلاً في حقه، فهو نظم في النسيب عشرين بيتًا، وترك للممدوح أربعة أبيات، فهل هذه القصيدة مدح أو أنها غزل !!!

- شاعر متمكن من اختيار الألفاظ المعبرة عن رأيه، ولكنه لم يستخدم المقدمة للنسيب، بل كان معظم القصيدة غزلاً، ويبدو أن مديح الإمام علي قد حشر في الأبيات الأخيرة من القصيدة، فوصف جمال المرأة من شعرها ووجهها، وقوامها، وكل شيء يشير إلى جمالها، وشبهها بالروضة التي اكتست بالورود والأزهار، وهو وصف درج عليه كثير من الشعراء في القديم والحديث، ولكن شاعرنا استرسل كثيرًا في الوصف، وربما نسي الممدوح حتى تذكره آخر القصيدة. ولم يشر المصدر لتاريخ وفاته.

****

حامد ميان الرضوي

١٣٤٥ - ١٤٠٩ هـ / ١٩٢٦ - ١٩٨٨ م

- هو السيد حامد ميان بن محمد ميان الرضوي[1]، ولد في مدينة ديوبند سنة ١٣٤٥هـ، الموافق ١٩٢٦م، بدأ التعليم في مدينته، وتعلم اللغة الفارسية والعربية، ثم انتقل إلى مدينة مرادآباد، تلقى العلم على أيدي علماء عصره ومنهم: الشيخ عبدالحق المدني، والشيخ نور محمد ، والشيخ أحمد المدني، وعندما أتقن علوم اللغة والدين تم تعيينه مدرسًا للعلوم الشرعية والعقلية، ولكنه لم يستمر على ذلك، بل ذهب إلى لاهور (باكستان حالياً) وأسس الجامعة المدنية، وقام بإدارتها حتى نهاية حياته.

- السيد حامد ميان شاعر باللغة العربية، وأصدر مجلة باسم «أنوار مدينة» وكان ينشر بها قصائده العربية، وينشر أيضًا في المجلات الأخرى، شعره ليس كثيرًا ولم

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٨ ص ٧٣٨

يجمعه في ديوان، وأغلب قصائده دينية في التضرع إلى الله وطلب العفو والمغفرة، وطريقته قديمة خليلية، ملتزمًا الوزن والقافية.

• قصيدة مقصورة نظمها الشاعر السيد حامد فيها المحبة والشوق لرسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- وفيها البلاغة وحسن السبك، وقوة العبارة، يقول:

خَليليَّ ما بالُ المحبينَ قد طووا
حديثَ شجونٍ قبلَ أن يبرد الهوى
حريقٌ بأكبادٍ تقطَّعنَ من جوى
بألحاظِ أجفانٍ من البيضِ كالمها
ولَلحبُّ ظلامُ العبادِ وربُّهُ
فيسلبُ أرواحًا ويفعَلُ ما يشا
فآلت جباهُ العشقِ من نور حسنهِ
تُهرولُ شوقًا كالفراشِ لتسجدا
قريبٌ من الأحشاءِ والقلبِ مَن غدا
لهُ منزلٌ فوقَ الكواكبِ والسها
فوَاللَيلُ إذ يغشى والشمسُ والضحى
ووالنجمُ إذ يهوى ووالفجر إذ أضا
لقد خرَّ موسى دونَ رؤيةِ ربهِ
ولم يزغِ الأبصارُ منهُ وما طغى
ووالطورِ قد أدناهُ حتى كأنهُ
لأدنى من القابَينِ للقوسِ إذ دنا
فهل يَردَنَّ يومًا مياهَ فُيوضهِ
ضعيفٌ سقيمٌ مستهامٌ تشتَّتا
فيا ليتَ كأسًا من حبيبٍ لروحهِ
إذا ما أتاهُ نائيًا عنهُ ما أتى

• يقف الإنسان حائرًا وهو يقرأ هذه الأبيات الرائعة السبك، جميلة الألفاظ، عظيمة الفكرة، سهلة الأسلوب، راقية الشعور، كلها في وصف رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- اختار الشاعر ما يناسب الفكرة من الألفاظ ليودعها في هذه القصيدة، ليخرج بها على آفاق واسعة من النظم الجيد والجميل، فلو يقم أحد الشعراء الهنود بمثل هذا النعت لسيد البشر محمد- عليه أفضل الصلاة والسلام، ثم يطلب منه أن شربة ماء من فيوضه، فقد وقف الشاعر بباب الرسول طالبًا شربة من حوضه.

• يصل الإنسان إلى مرحلة من العمر يجد نفسه وحيدًا يناجي ربه، ويطلب منه العفو والمغفره، ولكن بأي أسلوب وطريقة يناجي ربه؟؟ وشاعرنا السيد حامد وجد أن الوسيلة هي الشعر والأسف ودموع الندم، فماذا يقول:

لقد طالتِ الأيامُ أيام كربتي
وعزَّ على نفسي التحمُّلُ والصبرُ
وفاضت دموعُ العينِ حتى تغسَّلت
جرائمَ ذي جرمٍ وقد ذهبَ القدرُ
فبتُّ أناجي اللهَ والليلُ عاكفٌ
وقد غطَّ مُحييهِ ونام له الفكرُ
دعوتُ لرضوان الإله ووصلهِ
ورضوانِ كولايَ الذي أمرُهُ أمرُ

• يتأمل الشاعر كيف يصل إلى عطف ربه، وكيف يناجيه دون أن تسيل دموع عينه، وخاصة إذا سكن الليل من ضوضاء العالم، فيقف يناجي ربه وحيدًا، ويعبر عن أسفه ولوعة حزنه لما اقترفه من جرائم في غفلة من وعيه، دون

إدراك لعواقب أعماله، فصور الشاعر كل ما في نفسه من ألم الندم والتوبة، ودعا الله أن يسامحه ويغفر له ذنوبه.

- استخدم الشاعر الطريقة القديمة في نظم الشعر؛ بحور الخليل وقافية موحدة، وأسلوب عقلاني، وخيال واسع لما في فكره من تطلعات، فكانت الصور البلاغية الفنية جميلة الألفاظ معبرة عن الفكرة، واضحة المقصد، جميلة التراكيب والجمل، ويحظى هذا الفن بالتقدير والإعجاب من القراء، فهو ليس شعرًا عاديًا ، ونظمًا لكلمات، بل هو فن عريق لا يحذقه إلا الفنان الشاعر، ومن يستطع أن يسرح بخيالة ليخرج لنا مثل هذه الصور البليغة. وتوفي سنة ١٤٠٩هـ، الموافق ١٩٨٨م.

****

حبيب أبو بكر بن شهاب

١٢٦٢ - ١٣٤١ هـ / ١٨٤٥ - ١٩٢٢ م

- هو العلامة حبيب أبو بكر بن عبدالرحمن بن محمد بن علي بن عبدالله بن عيدروس بن علي بن محمد بن شهاب الدين أحمد العلوي[1]، ولد في تريم (جنوب اليمن، حضرموت) سنة ١٢٦٢هـ، الموافق ١٨٤٥م، تعلم على يد والده، ويد أخيه الأكبر، سيد عمر (المحضار)، وتلقى العلم على أيدي كثير من الحضرميين.

- ارتحل من تريم إلى الحجاز وأدى مناسك الحج وزار ضريح رسول الله، والتقى بعلماء في الحجاز، وعاد إلى موطنه، ثم غادر بلاده إلى عدن واليمن ومنها إلى مصر والشام والآستانة (تركيا)، ثم توجه إلى الهند، وأقام في حيدرآباد، وتولى التدريس في المدرسة النظامية، فعرف السلطان قدره ومكانته الأدبية فتم تعيينه في دار العلوم، واستفاد من علمه كثير من الطلاب.

- انتقل إلى رحمة الله سنة ١٣٤١هـ، الموافق ١٩٢٢م، ولكنه خلف مجموعة من المصنفات المفيدة، منها:
  - **العقود اللؤلؤية في أسان السادة العلوية.**
  - **الترياق النافع.**
  - **إقامة الحجة على تقي ابن حجة.**
  - **نفح الورد الجوري شرح عقيدة الباجوري.**
  - **رشفة الصادي من بحر النبي الهادي.**
  - **الورد القطيف من فضائل الورد اللطيف.**
  - **فتوحات الباعث بشرح تقرير المباحث.**
  - **أحكام إرث الوارث.**
  - **وجوب الحمية عن مضار الرقية.**
  - **تحفة المحقق شرح نظام المنطق.**
  - **كتاب صلاة المكروب ويقين كل محبوب.**
  - **ديوان شعر، ٢٧٩ صفحة.**

(١) محمد سلطان محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي ص٣٤٠. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٣٢٠.

• إلى جانب تلك المؤلفات فديوان شعره كبير، وأكثر شعره في المديح، والتهاني والتبريك، والتقريظ، والرثاء والذم، والوصف، والرد والعتاب، ويتمتع بمقدرة كبيرة في النظم، وله أسلوبه الواضح، وبحوره المختلفة، وقوافيه المتعددة، رثى الأئمة، ومدح كبار السلاطين والأمراء.

• للشاعر قصيدة في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يقول فيها:

لـذي سلَـمٍ والـبـان لـولاه لـم أهـوَ
ولا ازدادت مع سلع وجيرانه شجوَى
ولولاك ما انهالت على الخد أدمعي
لتذكار ما الروحاء تحويه من أحوى
فأنت الحبيبُ الواجب الحب والذي
سريرة قلبي دائمًا عنه لا تطوى
ألا يـا رسـول الـلـه يـا مـن بـنوره
وطلعته يستدفع السوء والبلوى
ويا خير من شدت إليه الرحال من
عميق فجاج الأرضِ تلتمس الجدوى
عليك سـلام الـلـه يـا مـن تـوجـهت
إلى سُوحهِ الركبان تطوى الفلا عدوا
عليك سـلام الـلـه يـا سـيـدًا سَـرَتْ
بهيكله العضاة ترفل والقصوى

• ومن مديح رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- إلى رثاء أمير المؤمنين الإمام علي- عليه السلام- يقول في قصيدته:

قفا وانثرا دمعًا على الترب أحمرا
وسقّا لعظم الخطبِ أقبية الكرى
ولا تجعلا غير السواد ولبسه
شعارًا لتذكار المصاب الذي جرى
إذا مضت العشرون من رمضانه
تصدع فيها كل قلبٍ تذكرا
مصاب به الإيمان أضحى مكبلا
وأمسى به الإسلام منهدم الذرى
بضربة أشقى الآخرين ابن ملجم
دم الرأس فوق العارضين تحدرا
دم لو مزجت البحر منه قطرة
لأصبح مسكًا ذلك البحر إذفرا
وتبًا لقوم خالفوك وزخرفوا
لأشياعهم زورًا من القول منكرا
على حين قرب العهد بالوحي أصبحت
مواثيق طه فيه محلولة العرى
بني المصطفى طبتم وطاب ثناؤكم
رثاء ومدحًا بالبديع محبرا
فلا زلت مهما عشت أبكي عليكم
وأنظم درًا من ثناكم وجوهرا
ودونكم عذراء نظم بكم زهت
يحق لها والله أن تتبخترا

• لقد استطاع هذا الشاعر أن ينظم القصائد في مدح الرسول وأهل بيته، ولكنه كان الرثاء لهم أقرب من مدحهم بسبب المصائب التي حلت بآل رسول الله، فقد رثى الإمام

علي بن أبي طالب، ولم ينس المصيبة التي حلت بمقتل الإمام الحسين بن علي- عليه السلام-، فوقف يرثيه بدموع غزيرة، فيقول:

براءة بر في براء المحرم
عنِ اللهو والسلوان من كل مسلمِ
فهل خامر الإيمانُ قلبَ امرئ يرى
بتلك الليالي لاهيًا ضاحك الفمِ
ليالٍ بها الخطب الجسيم الذي اكتسى
به أفق الجرباء صبغة عندمِ
ليالٍ بها أيدي اللئامِ تلاعبت
بهام بدور للمعالي وأنجمِ
ليالٍ بها ذبحَ ابن بنت محمد
وعترته رمز الكمالِ المترجمِ
فأي جنان بين جنبي موحدٍ
بنار الأسى والحزن لم يتضرمِ
وأي فؤاد دينه حب أحمد
وقرباه لم يغضب ولم يتألم
على دينه فليبكِ من لم يكن بكى
لرزء حسين السيد الفارس الكَمِي
همام رأي رايات ملة جده
منكسة والشرع غير محكمِ
وسنة خير المرسلين تجذمت
عراها ودين الله بالجحد قد رمي
وحين استوى في كربلاء مخيمًا
بتربتها أكرم به من مخيمِ
أحاطت به تلك الأحاديث مثل ما
يحيط سوار من حديد بمعصمِ
وصدوه عن ماء الفرات ليطردوا
عن الحوض حتى يقذفوا في جهنمِ
معفرة بالترب أعضاء جسمه الكـ
ـريم وهذا سر حل التيمم
بها اهتز عرش الله وارتجت السما
بأملاكها من هولها المتجشم
وبعدًا لقومٍ لم يقوموا لنصرهم
على قدرة منهم بعزم مصمم
أيزوي ابن طه عن منصة جَدّهِ
ويرضى لها ترب الخلاعة عبشمي

- على الرغم من رثائه لأهل البيت النبوي، إلا أنه لم ينس أعداءهم، أو من تسبب في قتلهم وإيذائهم، فيرى أن بني أمية هم الذين قاموا بذلك، فانبرى لهم الشاعر يهجوهم بأبشع الألفاظ وأشنعها بقوله:

كأنَّ الهدى من بيتِ صخرٍ تفجرت
ينابيعه والوحي من ثم ينتمي
فيا أسرة العصيان والزيغ يا بني
أمية من يستخصم الله يخصمِ
هدمتم ذرى أركان بيتِ نبيكم
لتشييد بيت بالمظالم مظلمِ
ولم تمح حتى الآن آثار زوركم
وتصديقه ممن عن الحِّق قد عمي
وأصل الشقا أنتم ومن يحذُ حذوكم
له يسد جلباب العذاب ويلخم
ولا بدع إن حاربتم الله إنها
لشنشنة من بعض أخلاق أخزم

ونازعتم الجبار في جبروته
ولكنه من راغم الله يُرغمِ
ولم تحسبوا من طيشكم أنَّ عنكم
عيون قصاص الغيب ليست نُوَّم
ستجزون في الأخرى نكالاً مؤيدًا
على ما اقترفتم من عقوق ومأثمِ

• هذا شاعر فنان، يتلاعب بالألفاظ، ويستطيع التمييز بينها، فما هي قدرة هذا الشاعر لينظم قصيدة تخلوا من الحروف المنقوطة إلا أنه يمتلك القدرة الفنية العالية لنظم قصيدة على هذا المستوى، يقول في قصيدته:

ساد رسل الله طه أحمد
مصدر الكل له والموردُ
هو روح الله والأمر ومع
لوله العالم وهو المدد
كامل لما سرى ألهمه
علم ما اللوح حواه الصمدُ
للورى هادٍ وللأملاك وال
ـملأ الأعلى الإمام الأوحدُ
وعلى أهل الكسا الله صلـ
ـى دوامًا والسلام السرمد
ما دعا داع وما سعى ساعٍ
وحدا حاد وصاح الهدهد

• الشاعر الفنان الذي لم يصنع صنعه أحد من الشعراء، يأتي بكل غريب وعجيب، فقد نظم قصيدة من بحر الرجز، وقسمها إلى أجزاء؛ بحذف بعض الحوف يشكل مجزوء الرجز، أو من منهوك الرجز، وهذا نوع من التلاعب الفني في قصيدة، وهكذا له قدرة عجيبة لاختراع طرق النظم، ولكن شاعرنا أيضًا له في الغزل باب لطيف، ففي قصيدة له يقول:

يا حبيبَ قلبي صِلْنِي
في الدجى وقتَ الظلامْ
وارتشف يا نور عيني
من يدي كأس المُدام
يا أعز الناس عندي
وسروري والمرام
لا تعذبني فإني
فيك حرمت المنام
فيك قد خاصمت عذّا
لي ولم أسمع ملام
ليتني لم أعرف العشـ
ـق ولم أدر الغرام
في الهوى أنفقت عمري
والهوى طبع الكرام
يا أميرَ البيض ها من
زورة تشفي السقام
طرفك الفتان يرميـ
ـني بمسموم السهام
إنّ قتل العبديا رو
حي بلا ذنب حرام
ما الذي ضرك لو سَا
عَدْتَ صبًا مُستهام

حجه في مذهب العشـ
ـق إليكم والصيام
وإذا صلى فأنت الركـ
ـن والبيت والحرام
أنت والله من الدن
يا له أقصى المرام
أنت في الحُسن إمامُ
وهْوَ في الحبِّ إمام
أنت مولاي وأولى
أمره وهو الغلام
في يديك الحكم فاصنع
كيف تهوي والسلام

- هذا الشاعر العجيب، المتمكن من النظم الغريب، والتلاعب باللفظ النصيب، وله قدرة على حبكة الفصل والفن، قد كان عربي المولد هندي السكن والعمل، مزج بين ثقافته العربية، وما يريده المجتمع الهندي، فمدح ورثى، وهجا ونصح، وكان صبًا رقيقًا، وعدوًا عنيفًا، سهلاً مع الناس، صارمًا مع الأعداء.

- ومع ذلك لم ينس نوعًا آخر من الناس، هؤلاء الحمقى، الذين لا يتعلمون شيئًا، ليس لهم إلا الخسران المبين، فقد نظم في هؤلاء قصيدة يقول فيها:

أرأيت أحمق من جهولٍ يدّعي
ما ليس فيه ويعقد الإيمانا
ينهي ويأمر وهو يحسب غيه
رشدًا وسيّء فعله إحسانا
عبثًا يناظر زاعمًا رجحانه
يهذي به فيضاعف الخسرانا
لم يرض قول نبيه فيما قضى
أشياخه حكمًا ولا القرآنا
يسعى بغير بصيرة فيزيده
كلب المزيد بسعيه نقصانا
ركب الأتان وظن أنه أتانه
يوم الرهان تسابق الفرسانا
يملي على أسماع زمرة باقل
هذرًا فيعتقدونه عرفانا
ويتيه متخذًا أولاك البله أن
شهدوا له بخرافة برهانا
ويعيب كل فضيلة لم ترضه
كفؤًا ويكفر حسنها الفتانا
والنقص يبذر في القلوب عداوة
لذوي الكمال ويورث الشنآنا
وإذا امرؤ لا عقل يرشده ولا
أدب فكيف نعده إنسانا

- طرق هذا الشاعر كل ألوان الفن الشعري، بأفكار وآراء مختلفة عن سائر الشعراء، وعلى الرغم من نظمه قصائد في كل بحور الشعر، والقوافي المختلفة إلا أنه تطرق إلى النظم المدرسي، فكما نظم ابن مالك النحو في ألف بيت فقد قام شاعرنا ونظم ألف بيت من الشعر في المنطق، نعم في المنطق فقال في مقدمة قصيدة المنطق:

وبعد فالمنطق معيار العلومْ
تُجْلَى به عن نيّر الفكر الغيومْ

العلم والإدراك وهو يرسم
بأنه الصورة ذو ترتسم

- وهنا كيف نصنف هذا الشاعر المتميز في نظمه وأسلوبه وطريقته الفذة في نظم أبياته الشعرية؟!!!

- القدرة التي منحها الله لهذا الشاعر تفوق موهبة الشعراء، ولم يفكر شاعر مثل تفكير هذا الشاعر الفذ، فهو شاعر عاقل، رزين قرأ التاريخ وعرف خباياه، ولم يداهن أحدًا، ولم يسكت على الظلم، وكانت له المحجة البيضاء هدفًا، والفهم الصحيح لتعاليم الإسلام طريقًا لنظم الشعر. وتوفي سنة ١٣٤١هـ، الموافق ١٩٢٢م

****

حبيب الرحمن العثماني

١٢٧٥ - ١٣٤٩ هـ / ١٨٥٨ - ١٩٣٠ م

- هو محمد حبيب الرحمن بن فضل الرحمن العثماني[1]، ولد في ديوبند سنة ١٢٧٥هـ، الموافق ١٨٥٨م، بعد تعلم المبادئ الولى ألتحق بحلقات تحفيظ القرآن بدار العلوم ديوبند سنة ١٢٨٤هـ، الموافق ١٨٦٧م، وأتم حفظ القرآن سنة ١٢٨٧هـ، الموافق ١٨٧٠م، ثم بدأ الدراسة في الكتب المتداولة في دار العلوم، وأنهى دراسته سنة ١٣٠٠هـ، الموافق ١٨٨٤م.

- بعد تخرجه لبس العمامة واستلم الشهادة، ثم عين معلمًا بدار العلوم، وبعد ذلك مدرسًا مساعدًا، ثم رحل إلى «مرته» وعمل في التدريس في المدرسة الإسلامية، ثم اختير ليكون نائب الرئيس بدار العلوم بديوبند، وبدأ تدريس التفسير والحديث، ثم توجه إلى مدينة «دابهيل» في ولاية غجرات، ليدرس الحديث والفقه، ولما مرض الشيخ أنور الكشميري قام مقامه.

- كان قليل الإنتاج فقد عمل حاشية على كتاب الشيخ عبدالعزيز الدهلوي» ميزان البلاغة»، وترجم تفسير الجلالين. له قصائد وأشعار قليلة منها:

أتاك إلهي خائفٌ متضرعٌ
بئيس كسيرُ القلبِ ولهانَ موجعا
ومعترفٌ أني خلطتُ بصالحٍ
ذنوبًا هوت منها الجبال تصدعا
أتيتك لا أرجو سواك ولا أرى
لنفسي مُنحازًا ولا مُتفزَّعا
أتيتك والرغباتُ شوقًا تقودني
ورهبة أعمالي تزيد تسكعا
ولطفك في صلب الجدود أحاط بي
ولطفك رباني جنينًا ومرضَعا

(١) عبدالرحمن البرني، علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث ص ١٠٢. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج٦ ص ١٦١. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٣٤٥. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٢٧.

ولي بعد هذا وصلةٌ ووسيلةٌ
بأكرم خلق الله أتقى وأروعا
نبي الهدى عمّ الورى بذل جوده
شفيعًا لأهل الأرض طرًا مشفّعا
وكانت عجوزًا إذ تجيء لحاجةٍ
يقوم لها حينًا لتقضى فترجعا
وأحيا من العذراء في كنّ بيتها
وأوفى ذمامًا قم أقوى وأشجعا
وكان صبورًا للأذى متحملاً
وعبدًا شكورًا دائمًا متضرّعا
وسيما جميلاً باسطًا متهلّلا
مَهيبًا جليلاً ثم أخشى وأخشعا
إذا اشتدّ هولٌ والنبيون كلهم
ب «نفسي نفسي» يلفظون مُرجَّعا
يقوم فتأتي أمة بعد أمةٍ
إليه وترجو إن يغيث ويشفعا
فمازال يدعو ربّه وهو ساجد
بأدعيةٍ حتى يقال فيرفعا
إلهي سقام الجسم أوهن بنيتي
وصيّرني ملقى ضعيفًا مضعضعا
وصرتُ كفرخ لا يطيق نهوضه
ولا يتقوى أن يطير ويسرعا
تعاودني الأسقام بدءًا وعودةً
وتعركني الأوجاع عركًا مفجعا
وإني سقيم فاعفُ عني وعافني
وهب لي شفاءً ليس يبقى توجعا
إلهي وأدخل في حشايَ وأضلعي
بشاشة إيمان فتخشى تورُّعا
ولكنَّك التواب والعبدمذنبٌ
وأنت كريمٌ للخلاص موقعا
إلهي رجائي فوق ذنبي وإنني
لأعلم أنَّ العفو ينجي المروَّعا

• للشاعر قصيدة طويلة تسمّى «لامية المعجزات» وهي مئتان وأربعة وخمسون بيتًا من الشعر العربي، خصص أبياتها الأولى لخطاب النفس وتنبيهها عن الغفلات، ثم وصف الشمائل النبوية، وكيف كانت الدنيا قبل البعثة وبعدها، وبعد ذلك يتحدث عن معجزات رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم، يقول فيها:

أيها المختالُ في ثوبِ الأملْ
والمباهي بطرازٍ في الحُلَلْ
والمجاري في ميادين الخلا
قد دنت منك مرارات الأجلْ
أنت في تيهِ العمى تبغي المنى
والمنايا كثرت ناب الوجلْ
أنت في لهو وزهوٍ تجتني
من ثمارٍ موبقاتٍ من أكلْ
كم نُرجّي في حياةٍ ما صفت
والقذى في جفنها مدّ الطولِ

كم نميل أو تميدُ مترفًا
في رداء من شبابٍ مقتبل
كم تبيت في مناغاة الدمى
والمنادي بالصباح قد نزل
كم تحنّ أو تجنّ بالصبا
واستنار الرأسُ شيبًا واشتعل
لا تلمني أو فلمني إنما
قلتُ ما قلت وبي أمرٌ جلل
كيف ينجو من نشا تِربَ الهوى
والمعاصي شبَّ فيها واكتهل
لم يفق عن سكرهِ يومًا ولم
يحفظ الأعضاء من وسم الزلل
قلبه كالليل داجٍ إذ سجى
سار منه نورُ عَرفٍ وارتحل

• ثم يتوجه إلى رسول الله- عليه السلام- ليقول:

سيد الكونين مصباح الدجى
أول المخلوق في علم الأزل
وجههُ كالبدرِ أو شمس الضحى
صدره مشكوة أنوار الرسل
منهلٌ عذبٌ فرات سائغ
جوده المروي بنهلٍ وعَلل
هاكَ قرآنًا مبينًا فاستمع
لم يزل إعجازه منذ نزل
منه إعجاز الكلامِ قد بدا
ما به خصَّ سوى ختم الرسل
وامتلأ رعبًا أبو جهلٍ به
وقضى مستعجلاً دين الإبل
إذ رأى فحلاً يصول كاشرًا
آخذًا بالرأسِ لو شيئًا مطل
عتبة آذاهُ شتمًا فغدا
عرضه للكلب ما أغنى الخول
هذه آياته أمليتها
من ألوف المعجزات انتحل
خذ وعلّقها وأتقن حفظها
تاليًا الغدو والأصل

• لم يترك الشيخ الشاعر منقبة لرسول الله، أو معجزة إلا وأتى بها في أشعاره، مستخدمًا الأسلوب السهل المعروف لكي يوصل تلك المعاجز إلى المستمعين له من أساتذة وطلاب، وله قصيدة أخرى يعدد بها أيضًا كرامات رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يقول فيها:

قد كنتُ أمليتُ من آياته مئةً
يزيدك الحبّ والإيقان والقُربَا
فالآن لما رأيتُ الطالبين لها
زادوا غرامًا وراموا فوقها الرتبا
جمعتُ في النظمِ من إعجازه مئةً
أخرى على ما تراها صفوة نخبا
جواهر نضدت درٌّ منظمة
على نفيس يريك الدّرّ مخشلبا
أوصى لعثمانَ لا تخلع إذا سألوا
ما قمص الله من ثوبٍ وحبا

أوصى عليًا قتالَ الناكثين له
والقاسطين إذا ما أحدثوا شغبا
أعطى السوارين للكسرى إذا غنموا
سراقة المدلجي الملتحي عطبا

• وهكذا يقوم الشاعر بسرد حياة رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- ويسطر كل كراماته ومعجزاته، في سرد جديد، بغض النظر إذا كانت تلك المعجزات صحيحة السند، أو غير ذلك، فهو يراها صحيحة المتن والسند، وغاية قصيدته إبراز شخصية رسول الله، وكيف كان الله يؤيده بتلك المعجزات.

• لا شك أن للشاعر قدرة كبيرة على نظم الشعر العربي، وإن كان متخصصًا في مدح رسول الله وأهل بيته وصحابته، فهو داعية وفقيه، وأستاذا للحديث الشريف، وتفسير القرآن الكريم، غير أن الخيال قليل في قصائده، ولم يكن من هدفه الفن الشعري قدر اهتمامه بالمعنى الذي يصبو إليه.

• اعتمد الشاعر على الألفاظ السهلة، المعروفة، واستعمل القوافي الذلل، وكان أسلوبه مفهومًا ومتيسرًا للجميع، ولم يكن معقدًا أو غامضًا، وينزع إلى السهولة، وكان حب رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- واضحًا في أسلوبه، وطريقة سرد حياة الرسول الكريم. وتوفي سنة ١٣٤٩هـ، الموافق ١٩٣٠م.

****

حبيب الرحمن الأعظمي

١٣١٩ - ١٤١٢ هـ / ١٩٠١ - ١٩٩٧م

• هو الشيخ حبيب الرحمن بن محمد صابر بن عناية الله[1].

• ولد في أعظم كره سنة ١٣١٩هـ، الموافق ١٩٠١م، درس على يد أبيه مبادئ اللغة العربية والفارسية، وأخذ شهادة المتوسطة من العلماء، ثم التحق بدار العلوم ديوبند في ١٣٣٧هـ، الموافق ١٩١٨م، ولكنه عاد إلى وطنه لمرض ألم به فدرس الفقه والحديث على الشيخ كريم بخش السنبهلي، ثم امتهن التدريس في دار العلوم بندوة العلماء لكناؤ.

• كان عضوًا في المجلس التشريعي في (يو. بي)، وكذلك عضوًا في مجلس الشورى في دار العلوم ديوبند، وله مؤلفات عديدة تصل إلى عشرين مؤلفًا في الفقه والحديث والتفسير وكلها بلغة الأردو.

• الشيخ حبيب الرحمن شاعر بلغات ثلاث؛ هي الأردو والفارسية والعربية، ولكنه يعتبر الشعر شيء كمالي، فهو غير متفرغ لقرض الشعر، ولكن لديه قصائد متعددة باللغة العربية، منها قصيدة بعثها لصديقه الشيخ فيض الحسن الديوبندي، يهنّئة بها بمناسبة العيد يقول فيها:

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٣٣٨.

هنيئًا لكم عيدٌ أظلَّ عليكم
هنيئًا نجوم السعدِ إذ ذاك تطلعُ
فجاء بأفراحٍ وبهجة أنفسٍ
يُفرجُ عن حبي الهموم ويقلعُ
وإنّي وإن وافاني العيدُ لم أزل
كئيبًا شجي البالِ والعينُ تدمعُ
فدعني على حالي وعش أنت سالمًا
وغيمُ همومٍ عن فؤادك تقشعُ

• اهتم الشاعر بالعلماء الأفاضل، وهم أساتذته وزملاؤه ويحز في نفسه وفاة أحدهم، لأنه كان بينه وبينهم علاقة حميمية، ومن هؤلاء مولانا عبدالغفار العراقي، فقد انتقل إلى رحمة الله سنة ١٣١٤هـ، الموافق ١٨٩٦م، فرثاه شاعرنا بقوله:

عليك سلام الله يا ثاوي القبرِ
ورحمته أُعطيتَ من أوفر الأجرِ
لقد كنتَ أيم الله سلوى لنا عن
الغطارفة الماضين في سالف العصرِ
فكنتَ وكانت حين تغيب
فنحنُ إذن يا شيخنا فاقد الصبرِ
رزايا عظام فاجعاتٌ كثيرةٌ
مصاب أبي الأنوارِ علامة الدهرِ
محط رجال مستنيرين ملجأ الأمـ
ـائل مأوى كل أشعث مغبرِ
فقيه ديار الشرقِ مسند وقته
ومرجع أعلام الهدى رحلة العصرِ
إليه جزاه الله خيرًا قد انتهت
رياسة أصحاب الإمام بذا القطرِ

• كان الشيخ محمد أنور شاه الكشميري من أكبر علماء كشمير، فلما توفاه الله، انبرى شاعرنا يرثيه بقصيدة طويلة منها قوله:

سقى جدثاني ديوبند يضم في
جوانبه شيخ الحديث الهواطلُ
مفيدي وأستاذي وشيخي وسيدي
ومفتي الورى الحبر المطاع الحلاحلُ
وكان تقيًا طاهر النفس حائزًا
فضائل شتى قد تلتها فضائلُ
وما في الورى من ينكر قدره
ولا فضله إلا ظلوم وجاهلُ
أناف على الستين وهو ملازمٌ
لدرس وافتاءٍ إذا جاء سائلُ
يراجع أهل العلمِ من كل بلدةٍ
إليه إذا أعيت عليهم مسائلُ
على كل فردٍ من ذوي العلمِ منة
له وأيادٍ في الرقاب سوائلُ

• وكان الشاعر حبيب الرحمن هذا ديدنه في الرثاء، كلما انتقل عالم إلى جوار ربه يقف وينظم قصيدة رثاء تخليدًا لمواقفه، وقد توفي الشيخ شبير أحمد العثماني، فرثاه بقصيدة يقول فيها:

أرانـي وقلبي دائمًا يتوجعُ
ولستُ أرى دمعي عن العينِ يقلعُ
يفجعني دهري فلا يكتفي بوا
حد بل بحبرٍ بعد آخر يفجعُ
خليلٌ ومحمودٌ عزيزٌ وأنورُ
وأشرفُ كانوا بيننا ثم اقشعوا

ومن بعدهم مولاي شبير أحمد
الإمام الهام القرم أمسى يودعُ
شيوخٌ تقضوا واحدٌ بعد واحدِ
فأصبح علم الدين مغناه بلقعُ
ولكنما الرزء الأخير رزية
لعمري أنكى للقلوب وأوجعُ

- تدور أشعار الشيخ الشاعر حول العلم ورموزه، فهو يدور حول أصدقائه، وهم علماء وشعراء، وكان يتبادل معهم المشاعر والآراء، وعندما يفارقونه يشعر بالأسى والحزن، ويدرك أن علوم الدين قد أصابها الوهن والكآبة والضعف، لذا نراه يلجأ إلى الرثاء يعدد به فضائلهم ومكانتهم العلمية.

- الشاعر حبيب الرحمن الأعظمي طاقة كبيرة في مجال الشعر تقفى شعراء العرب القدامى، وسار سيرهم في النظم العربي، استخدم بحور الشعر الخليلية، وقوافي موحدة، ونظم منمق ورصين، وضع الشاعر في قصائده كل مشاعره وأفكاره، لم يتخلف عن رصد العلاقة مع العلماء.

- كان أسلوبه جيدًا في النظم حرًا ميسور الفهم وإدراك المعنى والمغزى، وظهرت في أبياته لوعة الحزن والأسى، من خلال الألفاظ التي استعملها لأفكاره، وعبر عنها بأسلوبه المميز، فجاءت القصائد عفو الخاطر دون صنعة أو تكلف.

- تظهر في أبياته خيال الشاعر الذي صنع منه صورًا فنية بلاغية، كان لها أثرًا في جمال القصيدة، وظهر السجع والمحسنات اللفظية، والموسيقا الداخلية والخارجية، وتبين طريقته في النظم، وأدخل مشاعره وأفكاره والواقع في عالم القصيدة، ولكن حصر الشاعر نفسه في الأمور الدينية والعلمية، دون أن يخرج منها إلى الموضوعات الشعرية الأخرى.

- لم يتحفنا المصدر بغير هذه النماذج الدينية، ولو أنه فعل لكان خيرًا وقياسنا سيكون صحيحًا، ورأينا سيكون منصفًا. وتوفي سنة ١٤١٢هـ، الموافق ١٩٩٧م.

****

حبيب الله حبي النوشهري

٩٦٣ - ١٠٢٥ هـ / ١٥٥٥ - ١٦١٦ م

- ولد حبيب الله بن شمس الدين الكنائي[1] في نوشهره بسرينغار سنة ٩٦٣هـ، الموافق ١٥٥٥م، حفظ القرآن الكريم في صباه، وكان مشغولاً لتلاوة القرآن الكريم وهو في دكان والده، لبيع الملح، لذا أرسله والده على الشيخ حسين الآفاقي فتلقى منه العلوم الدينية، من فقه وحديث وتفسير القرآن الكريم.

(١) محمد مظفر حسين الندوي، مساهمة أهل كشمير في اللغة العربية والأدب العربي ج١: ١٨٠-١٨٨.

- بدأ الشيخ حبيب الله الدراسة عند الشيخ يعقوب الصرفي فتعمق في دراسة المسائل الإسلامية، وكذلك العلوم الباطنية، وتعلم اللغة الفارسية والعربية، وكان يستمع إلى الموسيقا، فجادله أحد العلماء، بالقرآن والحديث، ولكنه لم يمتنع عن السماع، وكان ماهرًا في علم الموسيقا، وله ديوان شعر بالفارسية والعربية.

- ألف الشيخ حبيب الله بعض المؤلفات منها:
  - تنبيه القلوب.
  - مرآة الغيوب.
  - راحة القلوب.
  - رسالة في الإنصاف.
  - مقامات إيشان، وهو يعقوب الصرفي.
  - ديوان حبي، فارسي ممزوج بقصائد عربية، وغزليات.

- له قصائد باللغة العربية، ضمن ديوانه «حبي»، منها هذه القصيدة التي تخلو من الخيال الشعري، يقول فيها:

حبيبي إليك حشاي مشا
فأين المرامُ وأين الحَشا
يراك الحشا بالغدو والعشا
فنعم الغداء ونعم العشا
لديك جناني ولدي الهموم
عسى أن يلي مهجتي إن تشا
تجلى النهار يصيح الصبح
بوجه الرحيب إذا أعطشا
أردنا المرام بميل تمام
فمن جرعة قلبنا انتشا
فمن ليس في قلبه حبك
جدار بلا مهجة أنقشا

- كلمات بسيطة وساذجة، فيها سجع وكلمات فيها نقص، فهو ناظم لألفاظ يؤدي المعنى المطلوب، وله رسالة في العشق الإلهي، ومن ضمنها أبيات باللغة العربية، يقول فيها:

مذهب العشق مذهبٌ واحدٌ
أذهبُ اذهبُ إليه يا زاهدُ
ليس للعاقل اجتهادٌ فيه
ليس للنقل اعتمادٌ فيه
إنما الحال ههنا منظورُ
إنما القال ههنا مهجورُ
دولة العشقِ دولةٌ كبرى
حصل الكبروي من كبرى

- وفي آخرها يقول:

ينبغي عند أهل طبع صافِ
اسمُ هذا رسالة الإنصافِ
هذا الاسم مكرر الآخر
كان تاريخًا على الظاهر
والسلامُ على تابعها
والهلاكُ على موانعها

- لا شك أن الشاعر لديه قدرة على النظم، ولكن ينقص نظمه بعض أدوات النظم، ليس القافية والبحر، بل خيال الشاعر وذكائه، وتسلسل الفكرة، وميزان الجمال فيها،

كما أن للموسيقا دور في تنسيق كلماتها، وهذا الشاعر فقد بعض تلك الأدوات، وإن احتفظ بالأدوات المعروفة.

- يمتلك الشاعر قدرة على النظم، وتمكن من استعمال الألفاظ المعبرة عن فكرته، ويستطيع أن ينسق بين اللفظ والمعنى، غير أن هذا التنسيق تنقصه روح الأبيات وحلاوة النظم، وجمال الأسلوب.

****

حبيب عبدالله المديحج

١٣١١ - ١٤٠٧ هـ / ١٨٩٣ - ١٩٨٦ م

- هو الشيخ حبيب عبدالله بن أحمد المديحج الحضرمي الشافعي[1]، ولد في قرية ريدة العليب، حضرموت سنة ١٣١١هـ، الموافق ١٨٩٣م، درس في حضرموت في رباط الشيخ محمد بن سلم الأزهري، فحفظ فقه الشافعي، وألفية ابن مالك، ولامية الأفعال، ثم تقلبت به الحال حتى غادر بلاده إلى الهند، ونزل بمباي، وهو في ريعان الشباب، ومنها إلى حيدرآباد ، الدكن، فالتحق بالمدرسة النظامية، وقرأ جمع الجوامع، وكتبا أخرى، حتى تخرج .

- بعد التخرج عمل مدرسًا للفقه الشافعي في المدرسة النظامية، وعين في الوقت نفسه مصححًا في دائرة المعارف العثمانية، ثم أصبح رئيس المصححين، فصحح كتبًا كثيرة، وحقق بعض الكتب ، وكتب مقالات وتقديمات كثيرة، ثم تقاعد عن العمل، وعمل في التصحيح لمدة خمسين سنة، وفي سنة ١٩٧٦م منحه رئيس الجمهورية شهادة الشرف مع منحة جائزة مالية سنوية، وكان عضوًا في مجلس إحياء المعارف النعمانية، وعضوًا في صدر المجلس لعلماء الدكن.

- انتقل إلى رحمة الله سنة ١٤٠٧هـ، الموافق ١٩٨٦م، وله قصائد ومقطعات في اللغة العربية ومنها قصيدة رثاء نظمها في رثاء شيخ الإسلام مؤسس المدرسة النظامية، يقول فيها:

لعمرُكَ ما التأبين في الخطب ينفعُ
وإنَّ المنايا كالسيوف تقطعُ
وما النوحُ والنعيُ على من فقدتُهُ
بمُجدٍ لمن في ذلك الأمرُ مولعُ
ولا سيما الهند المربع فإنهُ
يحوقل مما نابه ويرجعُ
فمن بعده يدرأ عن دين أحمد
أباطيلُ أهلَ الزيغ والشرع يرتعُ
ومن بعده للقادياني وحزبه
دعاة الأباطيل به تتضعضعُ
له حجج أمضى من الغضب فيهم
يصنفها في دحضهم وينوعُ

(١) محمد سلطان محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي ص٣٢٠.

فصلى عليك المسلمون جميعهم
بحسن اعتقاد والعيون تدمعُ
فقد كان للقوم ثمالاً وملجأ
وروضًا خصيبًا وهو من ذاك أمرعُ
ففي العلم طودٌ راسخُ الأصلِ شامخٌ
وفي الجودِ بحرٌ للصعاليك شرعُ
عليمٌ كريمٌ أحوزي مهذَّب
خبيرٌ بإتقان الأمور مبدعُ
خضم العلوم موجه متلاطمُ
رحيب الذراع أروع متورعُ
يناضل عن شرع الرسول محمد
يفوق على الأقران بالفضل مجمعُ
أخو العدل ميّال إليه بطبعه
فلن يزوه عنه الذي جاء يشفعُ
وما اللائق الأحرى بذا الوصف غير من
غدا شيخ إسلام يطاع ويسمعُ

• لا شك أن الشاعر متمكن من النظم، ويمتلك أدواته، وله سيطرة على ألفاظه، وتراكيبه اللغوية، مع اختيار البحر المناسب، وأسلوبه السهل، لا غرابة فيه ولا معاضلة، فهو عربي المحتد واللغة، صاغ قصيدته بروح الشعراء العرب، وهذا يدل على حفظه لكثير من الشعر العربي، وربما آلاف الأبيات، ورثاؤه للفقيد بإحساس عميق بالمحبة والاحترام. وتوفي الشيخ حبيب في حيدرآباد سنة ١٤٠٧هـ، الموافق ١٩٨٦م.

****

حسن شدقم الحسيني

٠٠٠ - ١٠٤٦ هـ / ٠٠٠٠ - ١٦٣٦ م

• هو السيد حسن بن علي بن شدقم الحسيني المدني[1]، ولد في المدينة، وتلقى علومه كلها من الفقه واللغة والحديث وغيرها من العلوم، وكان بارعًا في الشعر العربي، دخل البلاد الهندية في أول شبابه، وتزوج بإحدى بنات السلطان، فأصبح ذا حظوة ومكانة في الدولة، وأصبح رئيس الرؤساء، وامتلك الأراضي والضياع، فلما توفي السلطان آثر الرجوع إلى المدينة، ولكن أحوال المدينة لم تكن كما تركها، وحتى بين الأهل والأقارب، فقال:

ليس غريبًا من نأى عن دياره
إذا كان ذا مالٍ وينسب للفضلِ
وإني غريبٌ بين سكان طيبة
وإن كنتُ ذا علم ومالٍ وفي أهلي
وليسَ ذَهابُ الروح يومًا منيته
ولكن ذهاب الروح في عدم الثكلِ

• شعر وهو في المدينة بعد خروجه من الهند، أنه غريبٌ، على الرغم من أنه ذو مالٍ وجاه.

• وله أيضًا بيتا شعر فيهما حكمة، يقول فيهما:

(١) علي صدر الدين بن معصوم، سلافة العصر في محاسن الشعراء في كل مص ص ٢٤٩. عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٥: ١٣٢ .محمد المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ج٢: ٢٣.

لا بـد لـلإنـسـانِ مـن صـاحـبٍ
يـبـدي لـه المـكـنـون مـن سـره
فـاصـحـب كـريم الأصـل ذا عـفـةٍ

- تأمن وإن عاداك من شره عندما كان في الهند، كان يرسل الطرائف والمال لأهله في المدينة، ولكنه لم تكن حياته في المدينة مثل حياته في الهند، فقفل راجعًا إلى الهند وتوفي فيها سنة ١٠٤٦هـ، الموافق ١٦٣٦م.

- شاعر جيد النظم، وقوي السبك للأبيات، وحافظ على النمط القديم في النظم، اختار بحرًا عروضيًا وقافيه موحدة، كما أن له نظرة في الحياة صاغها في بيتين، والجمل متناسقة، وله أسلوب جيد، وخيال واسع، ولكن قلة النماذج تحد من الحكم على شعره.

****

حسين بن شهاب الشامي

١٠١٢ - ١٠٧٦ هـ / ١٦٠٣ - ١٦٦٥ م

- ولد الشيخ حسين بن شهاب الدين بن حسين بن خازندار الشامي[1] الكركي سنة ١٠١٢هـ، الموافق ١٦٠٣م، درس العلوم المختلفة في لبنان، وبدأ ينظم الشعر صغيرًا، وهاجر إلى الهند، حيدرآباد، وأقام هناك، وكان معاصرًا لصاحب السلافة، ولهما أشعار متبادلة، وامتهن مهنة الطب أواخر حياته، وكان قد درس شيئًا من الطب أثناء دراسته، وممارساته في الهند.

- له بعض المؤلفات منها:
  - **شرح نهج البلاغة.**
  - **عقود الدرر في حل أبيات المطول والمختصر.**
  - **الأغاني.**
  - **الإسعاف.**

- وله مؤلفات أخرى، وبعد أن طاف في أرجاء الهند استقر في حيدرآباد، وكان الوزير أحمد نظام الدين فمدحة بقصائد منها قصيدة يقول فيها:

إلى كم وقوف العِيس في دارس الرسمِ
وحتّام استقي من الدمع ما يظمي
لقد كان لي عمّا تجشمته غنى
ولكنها الأقدارُ تجري على حتمِ
طحا بفؤادي حب نعمٍ وهجرها
فيا ويح قلبي ما يقاسيه من نعمِ
من البيض لم تظعن بعيرًا ولم ترع
بسبي ولم تلق الرباق على البهمِ
كأنَّ على أنيابها ذوب سكر
وماء غمام مازجته ابنة الكرمِ
يحاولني قومي على ترك حبها
ولي بالهوى شغلٌ عن الترك والعزمِ

(١) محمد سعيد الطريحي، ملوك حيدرآباد ص ٩٧. علي صدر الدين المدني، سلافة العصر بمحاسن الشعراء بكل مصر ص ٣٥٥.

أأسلو وروحي قد تملكها الهوى
فجردها عن عالم الروح والجسمِ

• ويستمر هذا الشاعر على منوال شعراء العرب في بدايات قصائدهم بالنسيب، ويقول للسيد نظام الدين أحمد:

كلا راحتيه معدن البأس والندى
فجود إلى جود وعزم إلى عزمِ
هما رحمة للعالمين ونقمةٌ
على من تعدى ما قضاه من الحكم
بواعثه مقصورة عن سوى العلا
فيسعى لما يرضى ويسمو لما يسمي

• يستمر شاعرنا في مدح السيد نظام الدين أحمد، غير أن له قصائد مميزة مثل قوله:

فلا أوحشَ اللهُ الشبابَ وعهدَهُ
وعيشًا كأني كنتُ أطويه راكضا
تبدلتُ من ذاك الزمان وطيبه
همومًا تذيبُ القلبَ بكرًا وفارضا
إذا عرضت لي حاجة حال دونها
عوارض لا تنفك تحدوا عوارضا
إلى الله أشكو حاجة لا أنالها
ودهرًا إذا حتولتُ أضحى معارضا
وإخوان سوءٍ ليس فيهم إذا نبت
بي الدار إلّا خاذلاً أو مناقضا
أرانـي إذا عاهدتم في ملمة
ورمتُ الوفا منهم على الماءِ قابضا
أيخدعني هذا الزمان وأهله
وقد ذقته حلوًا ومرًا وحامضا
فعود قناتي لا يلين لغامرٍ
وثوب اصطباري لا يخاف المقارضا
ولستُ أبالي كنتُ للنار واطئًا
لما نابني أو كنتُ للماء خَايضا

• يتحدث الشاعر حسين عن تجربته في الحياة، وخبرته مع الناس، وهو يقر بحال الدنيا، ومن يعيش بها، فالأهواء مختلفة، والوفاء قليل بين الناس، وهوشاعر متمكن جيد الشعر، وخبرة كبيرة في أمور الحياة، ومن جيد شعره أيضًا قوله:

هي العيس مازالت تغور وتتهم
ومازال صرف الدهرِ يبني ويهدمُ
دع السانحات البارحات فإنما
حديث الليالي غير ما تتوهمُ
تشطرتُ دمري مذ نشأتُ فلم أجد
صديقًا يواسيني ولا يتألمُ
سوى ناصحٌ يبدي الودادَ ونصحهُ
عليَّ من الشكوى أشد وأعظمُ
وهل ينكر الحساد حالي وحالهم
وكلهم دوني فصيحٌ وأعجمُ
رأيتُ ركوب البحر أجمل بالفتى
وذو العقل يمضي للتي هي أسلمُ
على جسرة من خالص الساج لو
تساوى لديها بر صين وديلم

أذا زمجر الملاح طارت فلم يبن
لطرفك منها كوثل ومقدمُ
تراها كمركوب السحاب وفوقه
إذا شمته من ناصع الشرع أنجمُ
كأن بها جسرًا على الماء آخذًا
إلى آخر الدنيا به البحر مفعمُ
فتلك ركابي لا سرير يقله
على رأسه في الهند تيس معمم
وفي الأرض مسرى للكريم ومسرحٌ
وما هي إلّا جنة أو جهنّمُ

• ربما ما أصاب الشاعر من ويلات الدهر، وقلة الأصدقاء الخلص أدى به إلى الهجرة إلى بلاد الهند، بعيدًا عما يقاسيه من ويلات الدهر. يتميز الشاعر بقوة السبك، مع فصاحة اللفظ مقرونًا بالمعنى المعبر عن ذاته، وخبرة كبيرة في سلوكيات الناس، وقد نقل لنا تجربته في حياته بأسلوب جميل راق، وصور فنية بلاغية، وتمكن من استخدام أدوات النظم العربي.

• تمرس الشاعر في بلده على نظم الشعر قبل القدوم إلى الهند، وقد ترك بلاده راكبًا سفينة إلى شواطئ الهند الغربية، كما فعل غيره من العرب، وصادف وجود من يستقبله بترحاب وفرح، وكانت حيدرآباد، تحت إدارة السيد أحمد نظام الدين، الذي كانت له اليد الطولى في تشجيع الأدب والأدباء، والشاعر حفظ كثيرًا من أشعار العرب، فظهرت الألفاظ والتراكيب العربية من خلال قصائده ومقطوعاته.

****

حسين علي شدقم

١٠٢٦ - ١٠٩٢ هـ / ١٦١٧ - ١٦٨٠ م

• هو السيد حسين بن علي بن حسن بن شدقم بن ضامن بن محمد بن عرمة الحسيني المدني[1]، ولد في المدينة المنورة سنة ١٠٢٦هـ، الموافق ١٦١٧م، درس في بلده، وحفظ القرآن الكريم وتعلم الفقه والأصول، وقرأ التاريخ، وعرف سير الناس وصفاتهم، ولكنه غادر بلاده واتجه إلى الهند سنة ١٠٤٧هـ، الموافق ١٦٣٧م، وكان عمره حوالي الثانية والعشرين، فلما دخل الهند وجد أعظم سلاطينها، أورنك زيب عالم كير، وعندما اتصل بالوزير محمود الطوسي أعجب به وزوجه من ابنته، وكانت له حظوة عند السلطان وعند الوزير، وارتقى في سلم المجد.

• كان قربه من السلطان والوزير سببًا في التقائه بكبار العلماء والفضلاء وأكابر القوم، فسطع بدره، وأنار

(١) علي صدر الدين المدني، سلافة العصر ص ص ٢٥٣. السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٦ ص ١٠١. محمد سعيد الطريحي، ملوك حيدرآباد ص ١٤٣.

مجالسه، وحظي باحترام الناس جميعًا لما لمسوه من ثقافته العالية، ومعرفته بالتاريخ، والأدب والشعر، فنظم القصائد والمقطعات في المديح والرثاء والوصف وغيرها، واهتم بالاجتماع مع رجال الدولة، يسمعون قصائده، ويتفاعلون معه. يقول في قصيدة مديح لرسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم:

أقيما على الجرعاء في رملتي سعد
وقولا لحادي العيس عيسك لا تحدي
فإنّ بذاك الحي إلف ألفته
قديمًا ولم أبلغ برؤيته قصدي
عسى نظرة منه أبلّ بها الصدى
فيسكن ما ألقاه من لاعج الوجدِ
وإلّا فقولا يا أميمة أننا
تركنا قتيلاً من صدودك في الهندِ
يحنُّ إلى لقياكِ بالطلح والغضى
ويسبو إلى تلك الأثيلات والرند
قفا ننذب الأطلال أطلال عامر
ونبك لها شوقًا لعل البكا يجدي
إلى ذات دل يخجل البدر حسنها
مرنحة الأعطاف مياسة القدِ
جهنم والفردوس قلبي ووجهها
من الشوق والحسن البديع بلا حدِّ
سقاها الحيا ما كان أطيب يومًا
بموردها والحي ورد على وردِ
وقد نشرت أيدي الغمام مطارفًا
كستها أديم الأرض بردًا على برد
بدوت لحبيها وإلا فإنني
من الساكني الأمصار مذ كنت في المهد
وغادرت نخلاً بالمدينة يانعًا
وملتُ إلى السرحات من عارضي نجد
وحاربتُ أقوامي وصادقتُ قومها
وبالغتُ في صدق الوداد لهم جهدي
ولا إثم في حبي لها ولقومها
وإن كان ربي يغفر الذنب للعبدِ
ولا سيما إن جئته متوسلاً
بمرسله خير النبيين ذي المجدِ
أبي القاسم المبعوث من آل هاشم
نبيًا لارشاد الخلائق للرشدِ
ألا يا رسول الله يا أشرف الورى
ويا بحر فضل سيبه دائم المدِّ
لأنت الذي فقت النبيين رفعة
من الله ربِّ العرش مستوجب الحمدِ
يناجيك عبدٌ من عبيدك نازح
عن الدار والأوطان بالأهل والولد
ويسأل قربًا من حماك فجد له
بقربٍ فقرب الدار خير من البعدِ
ليلثم أعتابًا لمسجدك الذي
به الروضة الفيحاء من جنة الخلد
فإنَّ له سبعًا وعشرين حجة
غريبًا بأرض الهند يصبو إلى هندِ

إذا الليل واراني أهيم صبابة
إلى طيبة الغراء طيبة الندِّ
وأسبل من عيني دمعًا كأنه
عقيق غدا وادي القعيق له خدي
سميراي في ليل غرام وزفرة
تقطع أفلاذ الحشاشة والكبدِ
عليك سلام الله ما ذر شارق
وما لاح في الخضراء من كوكب يهدي

- طاف الشاعر في هذه القصيدة بجزء من حياته، فهو ابن المدينة المنورة، وبعد أن تذكر أيام صباه وصبابته، وكان مثل الشعراء الأقدمين يبدأون بالنسيب، ثم الذكريات الجميلة التي خلفها وذهب إلى الهند، ولكن نسيبة كان طويلاً ربما لعلاقة شخصية له، وليس مجرد نسيب، ثم تحدث عن مقام رسول الله- عليه السلام- ومسجده، ثم المديح الصادر من القلب لرسول الله، ويصف حالته وهو يناجي الرسول بحرقة ولوعة محب.

- ومن الذين عاصرهم في الهند ومدحهم السيد نظام الدين أحمد بن محمد معصوم، الذي استوطن الهند، وجاء عيد النيروز فنظم شاعرنا قصيدة يهنئه بها، يقول فيها:

هَـوايَ لربـاتِ الخـدور العواتقِ
وخيل جياد صافنات سوابقِ
وقوم ظهور العاديات حصونهم
ومصباحهم لمع السيوف البوارق
غطاريف كم بل النجيع ثيابهم
كماة غداة الروع حاموا الحقائق
أسود إذا ما زارهم ذو تهورٍ
تولى بقلب بين جنبيه خافق
إذا ولجت نحو العدو خيولهم
رأيت ليوث العاب شبه الخرانق
منازلهم ما بين نجدٍ ويثربِ
جنوبًا وشامًا في رؤوس الشواهق
وددتهم إذ أشبهوا بفعالهم
فعال كريم طاهر الأصل صادق
أخو الجود حم الفضل أحمد من سما
على الناس طُرًّا من قديم ولاحقِ
تناهت إليه المكرماتُ فلا فتًى
يجاريه في ريعانها والسمالق
تراه إذا ما جئته متيقظًا
لإسعاد مخلوق وطاعة خالق
أتيتك يا ذا الفضل والله شاهد
بقلب سليم من نفاق المنافق
فخذها ابن معصوم الهمام قصيدة
أتتك معقد ناضر اللون رائق
تهنئ بنيروز جديد تجددت
سعودك فيه شامخات السرادق
قضيت بها فرضًا لشكرك فائقًا
وشكرك مفروض على كل ناطق

وأبرزتها من بحر فكري عندما
تذكرت ما بين العذيب وبارق
ودم راعيًا نرعى بأكناف ظله
ونأمن فيه من شرور الطوارق

• نظم السيد أحمد نظام الدين قصيدة رثاء في ابنة له توفيت، فعارضه شاعرنا بقصيدة يقول فيها:

وما هذه الأيام إلا مراحلٌ
إذا ما طويناها وردنا ردى صِرفَا
سلوني فإني بالليالي عارفٌ
وأكثر أبناء الزمان بها عرفا
فكم أشرعت صم العوالي لحربنا
وجرت علينا من نوائبها زحفا
إذا وعدت لم تلق صدقها لوعدها
وإن أوعدت لم تلق في قولها خلفا
إلى الله أشكو ما لقيت من الأسى
على حادث أجرى مدامعنا وكفا
نعي التي أودى بها الموت فجأة
وخلف بالأحشاء من بعدها لهفا
حديثة سن ما عصت قَطُّ ربها
كذا أبوها لم تقل لهما أفا
تزودت التقوى عشية ودهت
وشيعها التوحيد لله وزلفى
فلو كان داعي الموت يقبل فدية
لشاطرتها عمري وأعطيتها النصفا
ولكن قضاء الله غير معارض
وتقديره ما لا نطيق له كفا
لعمرك ما ماتت ولا مات ذكرها
وقد مات حزنا من غدا بعدها يلفى
سقى الله قبرها الحادي المكارم
من المزن ما زق الحمام وما رفا
تأس أباها العمر واصبر لما أتى
من الله واحسب كل أفعاله لطفا
تأس برزء المصطفى وابن عمه
أبيك وشبليه وما قدها ألفا
فإنهم ذاقوا المصائب قبلنا
وآباؤهم من قبل حتى الذي وفى
ودم بعد هذا لا ترى الدهر مكرها
وساحتك العليا بها إلا من جفا

• هذا شاعر يمتلك المعزة لصاحبه، ولم يتركه دون أن يعزيه بكلمات تريح القلب، وتتركه يتنفس من حر المصيبة، وكدر الأهل، ذلك أن الشاعر يضع له مصائب آل رسول الله التي تفوق مصيبته في ابنته، ويقول له: «ولكم في رسول الله أسوة»، وهذا نوع من التخفيف على النفس.

• قصائد هذا الشاعر طويلة في معظمها، لا يكتفي بالمقطعات ليعبر عن رأيه في مسألة يفكر بها، فقدرته كبيرة، وأسلوبه متسع يحوي الفكرة من جميع جوانبها،

متبصر بالهدف الذي يسعى من أجله، ويذهب في المقدمة بعيدًا ثم يعود إلى صلب موضوعه، فالفكرة تبقى في ذهنه وإن استطرد كثيرًا.

****

حسين محمد باعلوي

٠٠٠ - ٠٠٠٠ هـ / ٠٠٠٠ - ٠٠٠٠ م

- هو القاضي حسين بن محمد بن علي بن حسين بن شهاب الدين باعلوي[1]، المعروف بملا كويا، يبدو من لقب العائلة أنه من الذين نزحوا من اليمن منذ مئات السنين، لا نعرف سيرته الذاتية، ولا تاريخ ميلاده، ولكنه ولي القضاء في كاليكوت، بعد القاضي أبي بكر بن محيي الدين سنة ١٣٠٢هـ، الموافق ١٨٨٣م.

- كان بارعًا باللغة العربية، وله قصائد ومقطعات، ويملك ناصية الشعر بكل أبعاده من بحور الشعر إلى القوافي المختلفة إلى الأسلوب الرصين في نظم القصائد.

- ففي قصيدة له كتبها كرسالة إلى السيد أحمد دحلان في مكة المكرمة يقول فيها:

وإنـي أرومُ الآنَ منكم إجـازةً
على العلم والتعليم والقلب حاضرُ
سحـاب سلامي قد سقاك منـزلاً
إليكم مياه الورد بالطيب معطر
سفائن أسفار البحور حصرتها
لإلى ذروة الدول العلية دائر
لميراثكم من جدكم بحر الندى
ولو رشفة طرتم على البحر ذاخر

- هذه رسالة مدح من الشاعر على صديقه الشيخ أحمد، وهي رسالة ذات مغرى جميل تدل على المحبة والاحترام بين الصديقين، ويصف صديقه بالكرم والجود، وقمة العطاء.

- بالمستوى نفسه يتحدث الشاعر عن الإخلاص في العمل، ولا يجب طلب الرزق بالتذلل والمهانة، فالذي يرزق هو الله، فكن عزيز النفس، ولا تنزل لمستوى الضعاف من الناس الذين يطلبون الرزق من المهانة، وبيع الوجه للحصول على ما يريد الإنسان، يقول الشاعر:

لا تـخـضـعـنَّ لمـخـلـوقٍ عـلـى طـمـعٍ
فـإنَّ ذلـك نـقـص مـنـك فـي الـديـنِ
فـاسـتـرزق الـلـه ممـا فـي خـزائـنـه
فـإنـه هـو بـيـن الـكـاف والـنـون
فـكـن وثـيـقًـا بـه فـي كـل نـائـبـةٍ
بـفـضـلـه تـنـطـفـي نـار الـسـلاطـيـنِ

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ١٩٢.

يا أضعف الخلقِ الزم باب ربك
في وقت الحياة فتسلم يوم نيرانِ

- هذه دعوة صريحة في عزة النفس، وعدم المهانة، ويجب على الإنسان المسلم عدم الخضوع لغير الله، وعدم الاسترزاق من غير الله سبحانه.

- القاضي السيد حسين له علاقات طيبة مع علماء عصره، ومعرفة جيدة بهم، فإذا فارق الحياة أحد منهم تأثر تأثرًا كبيرًا فيعمد إلى نظم قصيدة رثاء للمتوفى، وهذا ما دأب عليه عندما يفقد أحدهم، فله قصائد كثيرة في رثاء أحبته وأصدقائه من العلماء والأدباء، فعندما توفي السيد حامد بن أحمد، وهو من السادات في كاليكوت، رثاه شاعرنا بقصيدة طويلة نافت على الستين بيتًا من الشعر العربي، يقول فيها:

وذقنا خصوصًا مر صبر على الجهلِ
لفقد عماد راسخ متوثقا
سخي مضيف عاقل وثقيله
نحيل جميل أبهر الوجه سودقا
هو الصقر البازي بليغ لسانه
رئيس لسادات الكسا متألقا

- لم يكتف الشاعر حسين بقصيدة واحدة في رثاء صديقه، بل عمد إلى إتباعها بقصيدة أخرى يبين فيها خصاله المحمودة، وفضائله الجمة، فيقول:

عروس نفيس في قرى الضيف ضرغمُ
سرادقه في كل حين مروحُ
ولائمه من كل صنف مهيأ
وأسبابه في كل جنبٍ مفتّحُ
شجاع قوي مسند مقتضى به
لكل جدير في الكليكوت مصلح
وكم قادة من أهل مال تحيزوا
بفج عميق بالركوب وزحزحوا

- عندما تكون علاقة الصداقة مع زمالة العمل فالصلة بين الإثنين تكون أقوى وأمتن، ويصبح الهم مشتركا، والتبادل العلمي يكون أفضل، فإذا انفصل أحد القطبين فهي كارثة للطرف الآخر، وهذا ما حدث بين القاضي شاعرنا والقاضي أبي بكر بن محيي الدين، فرثاه القاضي حسين بقصيدة يقول فيها:

بحر العلومِ وبدر الوجه ذو فتح
فخر الأنام بذكر الله مشتهرُ
قام الملوك إذا ما كان يقبلهم
من الجلوس لهم فيه الثنا ذعروا
حقائق رسخت في علمه لمعت
لوامع لبيان ظاهر يسر
نجم الدجى في أنام كوكب طلعت
أفق السماء لدى الظلماء والزهر

- ومثل تلك العلاقة تحدث بين زوجين متماثلين في الطباع والسلوك، فعندما يفقد أحدهما الآخر تكون المصيبة كبيرة، والألم مضاعف، وهذا ما حدث للشيخ القاضي حسين عندما انتقلت زوجته، السيدة فاطمة، إلى رحمة الله فكانت مصيبته كبيرة، وقال يرثيها ويقول فيها:

قولوا حديث الظبي ظبي حلَّ في

ساحاتكم بقضاء ذي الآلاء

هل ذلك الظبي الجميل مهاجرٌ

عبدًا كئيبًا مته ذا بأساء

أيا قطعة الأكباد بنت محمد

إنّي لراض عنك خير رضاء

وإذا أتيك أبيك محمد

خيرُ الأنام وأمك الزهراء

قولي لهم زوجي حسين نجلكم

يرجو شفاعتكم ليوم جزاء

قد أظلمت في الجو آفاق السما

وبكت طيور الجو والأرجاء

- رثاء المحبوب مختلف عن رثاء أي أحد من الناس، وخاصة إذا كان الزوجان على وفاق ومحبة صادقة فالكلمات تعبر عن نفسها، فكلها لوعة حزن وبكاء، ودموع وعناء، ودع زوجته السيدة فاطمة بكل الحب والمعاناة، وقد جرح موتها قلبه، وأدمى عينيه، ولا ينسى أنها من سلالة العترة الطاهرة – رضي الله عنهم- وعبر عن شوقه إليها، وطلب شفاعة رسول الله.

- كان بعض العلماء يقاوم الحكومة الهندية البريطانية فيتعَرّضون للسجن والإذلال ولكنهم يصبرون ابتغاء وجه الله، ومن هؤلاء العلماء السيد حسين بن محضار، الذي انتقل إلى رحمة الله وتعرض للتعذيب والسجن بسبب مقاومته للاستعمار البريطاني، فرثاه شاعرنا بقصيدة يقول فيها:

هو الجوهر الدر النفيس مشعشعًا

حسين بن شهب الدين بالجود يمطر

بنى الله للأحباب بيتًا سماؤه

هموم وأحزان وحيطانه الضرر

وحصباؤه كرب وهمٌّ وسقفه

سقام وآلام يضيق بها الصدرُ

وأدخلهم فيه وأغلق بابه

وقال لهم مفتاح بيتكم الصبرُ

- الصبر على الشدائد له مكافأة عند الله، فقد صبر هذا السيد على ظلم الاستعمار البريطاني وصبر، وذاق المر في سجنه وصبر، ونال كل ألوان المهانة وصبر، فهذه المصائب عند الله لها الجزاء، وهذا السيد المحضار قدم الصبر ونال الشهادة وعند الله له الجنة.

- قلب هذا الشاعر القاضي يموج بالعاطفة والمحبة والألم لفقد الأحباب والأصحاب، ولكنه عبر عن آلامه بقصائد الرثاء، واستعمل أفضل الكلمات، وأسهل الأساليب للتعبير، وقوافيه ذلل، وخياله متسع لما في صدره، ونظم الشعر بحرقة وألم، واختار الألفاظ والجمل والأسلوب لكي تخرج قصائده معبرة عما يجيش به صدره، فكان ما أراد.

****

حميد الدين الفراهي

١٢٨٠ - ١٣٤٩ هـ / ١٨٦٣ - ١٩٣٠م

• هو العلامة الشيخ حميد الدين (عبدالحميد) بن عبدالكريم بن قربان بن قمبر بن تاج علي الأنصاري[١]، ولد بقرية « فريها» فنسب إليها، سنة ١٢٨٠هـ، الموافق ١٨٦٢م، تلقى علومه الأولى في بيته فحفظ القرآن الكريم، ثم تعلم مبادئ اللغة الفارسية، وتعلم اللغة العربية من العلامة، ابن عمته، الشيخ شبلي النعماني، وهو علامة الشرق، ثم توجه إلى لكنؤ لطلب العلم، وتعلم أيضًا على يد الخواجة عزيز الدين، أستاذ الفارسية بكلية كيننغ بلكنؤ، وكان هذا شاعرًا باللغة الفارسية، ولكنه فضل الذهاب إلى لاهور لدراسة اللغة العربية والأدب العربي، وكان على يد الشيخ فيض الحسن السهارنفوري، وفي سنة ١٣٠٠هـ، الموافق ١٨٨٤م استكمل دراسته وهو ابن عشرين سنة.

• تهيأت للشيخ حميد الدين كثير من الظروف الحسنة للتعلم، وزيادة حصيلته في اللغات العربية والفارسية والأردو، فقرابته من العلامة شبلي النعماني أكسبته سرعة تعلم العربية، وكون النعماني شاعر الفارسية جعل الفراهي يتأثر به في البداية، وتتلمذه على يد الشيخ فيض الحسن السهارنفوري أكسبه التعمق باللغة العربية، نحو وصرف وبلاغة، وخاصة أن فيض الحسن أستاذ العربية بكلية العلوم الشرقية، وهو شاعر أيضًا، وفي هذه الفترة قرأ دواوين الشعر العربي، وخاصة الشعر الجاهلي.

• التحق الفراهي بجامعة عليكرة الإسلامية لدراسة الإنجليزية، وحصل على البكالوريا من جامعة الله أباد، ودرس الفلسفة على يد توماس آرنولد، وكان الفراهي طيلة هذه المدة يقتنص العلم من مصادره الوثيقة، ومن أركان العلم والمعرفة، ثم التحق بالتدريس، فمارس تدريس العربية في مدرسة الإسلام بكراتشي، ثم انتقل على عليكره، ومارس تدريس العربية، وكان زميلة هناك المستشرق الألماني يوسف هارويز الذي استفاد منه بتعلم اللغة العبرية.

• انتقل الفراهي إلى حيدرآباد ، الدكن، ليعمل أستاذا للغة العربية في دار العلوم النظامية، واشترك بإنشاء الجامعة العثمانية ، في عهد الملك عثمان علي خان، ثم أصبح مترجما في القطاع الحكومي، في عهد الحاكم الإنجليزي اللورد كارزون، ثم استقال ورجع إلى بلدته وأسس مدرسة الإصلاح لتحسين تعليم العربية، وكان يشارك المعلمين والطلاب في الأكل معهم فهو كالأخ والأب.

(١) معين الدين الأعظمي، منهج الفراهي في تفسير القرآن (حيدرآباد . الهند ١٩٩٠م).محمد سلطان محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي ص ١٦٦. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢١٠. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج٧ ص٢١١. جمال الدين الفاروقي، أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية ص ٢٧٦. مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية، الثقافة العربية في الهند ص ٣٥١.

- أصدر الشيخ العلامة الفراهي عدة دراسات وأبحاث، وخاصة في مجال القرآن الكريم، وأبدع أيما إبداع في هذا الأمر، فمن مؤلفاته : نظام القرآن وتأويل الفرقان، وهو تفسير القرآن بالقرآن.
  - **مفردات القرآن الكريم، وهو معاني ألفاظ القرآن وفهمها الصحيح.**
  - **الإمعان في أقسام القرآن.**
  - **الرأي الصحيح في من هو الذبيح.**
  - **ملكوت الله.**
  - **القائد إلى عيون العقائد.**
  - **فاتحة نظام القرآن الكريم، وتأويل القرآن بالقرآن، وتفسير الفاتحة.**
  - **أساليب القرآن الكريم.**
  - **دلائل النظام القرآني.**
  - **التكميل في أصول التأويل.**
  - **جمهرة البلاغة.**
  - **أمثال آصف الحكيم، بالإنجليزية.**
  - **له مؤلفات أخرى بلغة الأردو، والفارسية.**
- هذه مؤلفات العلامة الفراهي ولكن أين مكانة الشعر عنده؟! وهو شاعر باللغات الثلاث: العربية والفارسية والأردو، ولكنه لم يكن متفرغًا لنظم الشعر، فقد أخذت الدراسات القرآنية منه كل جهده ووقته، وكان الشعر يأتي بشكل عفوي، وقد ينظم بلغة من اللغات أو يفكر في الموضوع ثم يحدد اللغة المناسبة لموضوعه، غير أن حبه للغة العربية ومدحه لها، وترغيب الناس في تعلمها ودراستها جعله ينظم مجموعة من القصائد العربية في مناسبات متعددة، وقد جمع شعره الأستاذ بدر الدين الإصلاحي وأصدره في « ديوان الفراهي» وفيه معظم شعره العربي.
- العلامة الفراهي رجل اجتماعي، ومتابع لأحداث المسلمين والعالم، ويرى حال المسلمين وأوضاعهم السيئة حتى طمع بهم العدو، فمن مشكلة في هذا البلد إلى أخرى في بلد آخر، وما جره الإستعمار من ويلات على المسلمين، لذا فهو ينظم قصائده في هذا المجال، وكان شاعرًا سياسيًا عظيمًا.
- جرت عادة الحكومة الهندية أن تمنح العلماء المتميزين جوائز، ومن الذين منحتهم الحكومة جائزة « شمس العلماء» العلامة شبلي النعماني سنة ١٨٩٤م، فقام الشيخ حميد الدين بنظم قصيدة في مدح ذلك العالم الفذ، ونظر شاعرنا إلى قريبه الفائز نظرة عالية فيها الاحترام والتقدير. يقول فيها:

يا خير من يسمو إلى العلياءِ
كالشمسِ بازغة بوسط سماءِ
قد كنتَ قِدمًا للمعالي ساميًا
أورثتهُ عن شيمةِ الآباءِ
فلئن سموتَ إلى المكارمِ والعلى
فلقد نشأتَ بعزَّةٍ قعساءِ

لا غرو نصل السيف إن يك صد
ارمًا أو يستهل البرق بالآلاء
فلأنت بالعزماتِ سيفٌ صارمٌ
ولأنت برقٌ لامعٌ بذكاءِ

- يشير الشاعر إلى المكانة المرموقة للمحتفى به العلامة شبلي النعماني، ويبين الشاعر مدى حرص النعماني على طلب المعالي والرفعة منذ أن كان صغيرًا، واستقى ذلك من آبائه وأهله الكرام، ثم يتحدث الشاعر عن جهود المحتفى به والأعمال العظيمة التي قام بها، بعد أن كانت تلك العلوم تخمد وتنتهي، ولكن النعمانى استطاع أن يحييها، ويبرزها للعلن، ويوجه الناس إليها، وأظن أن الشاعر يقصد العلوم الشرعية والأدب الذي كسدت تجارته في هذه البلاد.

لأذت بجانبكَ العلومُ فإنها
لو لم تصنها آذنت بفناءِ
قد أمحلت أرض العلومِ وأصبحت
عرصاتُها كسمائق البيداءِ
لعبت بها هوج الرياح تنوبها
من كل عاصفةٍ من النكباءِ
فظللتَ تمطرها بسح واكفٍ
صوب الربيهِ بديمة هطلاءِ
فربت رياضُ العلمِ منك ونوَّرت
مهتزَّة بغصونها الخضراءِ

- ويلتفت الشاعر إلى الاستفادة منه عندما كان تلميذًا، وكيف غرس حب العلم فيه، وما أثمر ذلك الغرس في نفسه، فيقول:

علمتنا سبل الرشادِ وإنّما
كنّا كخابطِ ليلةٍ لليلاء
كنا كمحجلة يخاف بها الردى
فهديتنا لمحجة بيضاء

- ويأتي على نهاية قصيدته بالدعاء للعلامة النعماني بطول العمر، والتهنئة والتبريك بهذه الجائزة المميزة، يقول فيها:

ولأسألنَّ اللهَ طول بقائكم
في كل بكرتنا وكل عشاء
وأهنِّئكم بما أعطيتم
من خير ما وجدوا من الأسماءِ
إن كان تلك الشمس شمس سمائنا
فَلصِرت شمس العلوم والعلماءِ

- تمثل هذه القصيدة العلاقة بين أستاذ قدير وتلميذ نجيب، وليست علاقة دم أو صهر، لأن علاقة الدم قد يعتريها الخمول، والغضب، ولكن العلاقة الروحية من خلال الطالب والأستاذ علاقة حميمية لا تنفصل، وإن تباعدت المسافات بينهم، أو رحل أحدهما من الدنيا، والسر في التقاء الروحين المتعانقين في العمل الصالح، والنشاط العلمي المتكامل.

- كان الشيخ حميد الدين متابعًا لأوضاع المسلمين، ومتأثرًا بحالاتهم تحت نير الإستعمار، وكفاح الشعوب الإسلامية لنيل استقلالها وكرامتها، وعندما غزت إيطاليا ليبيا،

وثار الليبيون ضد الاستعمار الإيطالي، وسقط الشهداء دفاعًا عن حقهم واستقلالهم، وقف شاعرنا يدافع عن العرب المسلمين في ليبيا، على الرغم من بعد الشقة بين الهند وليبيا إلا أنه نظم قصيدة، يقول فيها:

يا عينُ بكّي بالهَوامعْ
لا ترقأنَّ لك المدامعْ
قتلى طرابلس الذين
ن تطحطحت بهم الفوارع
نبكي على إخواننا
أهلِ المكارمِ والدسائع
دهمتهم الرومُ الفوا
تِكُ بالمراكب والمدافع
دخلوا المدينة يقتلو
نَ المشايخ والرعارع
وعلوا بطياراتهم
يتحسون لنا المواقع
صارت تحلق فوقنا
مثل الغرانيق الطوالع
ليبيددوا أفراسنا
ويحرّقوا منا الوشائع
لا دين صدهم ولا
حلم عن العدوان وازع
يبدون نصرانية
زورًا وقد رفضوا الشرائع
البغيُ من أخلاقهم
والغدر سبط من الطبائع
فلنبذلنَّ لها النفو
سَ ودون حوزتها ندافعْ

- ويصل الشاعر إلى أن المسلمين كتلة واحدة، مثل أصابع اليد، لا يمكن أن تكون الكف دون أصابع، فكل المسلمين لحمة واحدة، وأمة واحدة، وهي كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، كما ورد في الحديث، فيقول:

ما الترك إلا مثل كفْـ
ـفِ الباسل العادي الأشاجعْ
والعُرب مثل أصابع
لا كفَّ إلا بالأصابع

- ولم ينظم الشاعر هذه القصيدة فقط، بل تلاها بقصائد أخرى يحث المسلمين على التصدي للعدوان الإيطالي، فيقول في قصيدة أخرى:

يا أمّةَ الإسلام يا
أبناءَ آباءٍ شُمُسْ
هل تنعسون وخصمكم
عن كيده ما إن نعس
إلّا تهبوا اليوم فالـ
إسلام تعسٌ بل تَعِس
قد زُلزلت أركانُه
حتى تقعقعت الأُسُس

- وهكذا يحمس الشاعر المسلمين للتصدى لهذا العدو الغادر. ويستمر الشاعر في تتبع أحوال المسلمين

السياسية، ويدعو المسلمين إلى الوحدة، وعندما هنت حرب البلقان ضد الحكم التركي انبرى يدافع عن الأتراك ويطلب نصرهم ضد الثائرين عليهم، فيقول:

شبَّتْ على بلقانِ نار الحروبْ
أشعلتها بالبغي أهلُ الصليبْ
لم تبقَ في الآفاق أرض بها الـ
إسلام إلّا نالها من لهيب
قد حزَّب الشيطانُ أحزابَهُ
وحثّهُم لكل شرٍّ وحوب
شنوا على الإسلام غاراتها
يذهل فيها عن حبيبٍ حبيب
يا كرد يا تاتار يا كابل
يا كل من لله عبدٌ منيب
في مشرقِ الآفاقِ أو مغربٍ
أو في شمال الأرض أو في جنوب
يدعوكُمُ الإسلامُ جهرًا إلى
ذبِّ العدى عنه فهل من مجيب
قوموا لنصر الحق من فوركم
واستنفروا من كل مُردٍ وشيب

- حماسة الشاعر وقوة أسلوبه في حث المسلمين على الكفاح والعمل على صد المعتدين على بلاد المسلمين، فلا يفرق بين الشعوب الإسلامية كلهم أمة واحدة، ويذكر مجموعة من الشعوب الإسلامية، ويحثها على النهوض والعمل الجاد لنصرة الحق الإسلامي.

- تحلى الشاعر بأفق واسع، وفكر شمولي، وهمة عالية لنصرة الحق الإسلامي دون النظر إلى موقع المسلمين وبلادهم، فقد اتسع قلبه ليشمل كل المسلمين، يناصرهم في قضاياهم، ويحث الناس لنصرتهم، ولم ينس ما مر على العالم من ويلات الحرب العالمية، وينظم قصيدة أسماها « الملحمة الكبرى» يقول فيها:

لقد حلَّ بالرومِ شرٌ شمِرْ
فنارُ الحربِ بهم تَستعِرْ
هم حصبٌ كالهشيم اليبيس
يصلونها زمرًا فزمر
رحى الحربِ تطحنهم والدما
تديرُ الرحى مثل جري النهر
فكم ألف ألف وكم مثلها
قتيل وكم مثلها قد أسر
جنتها أوروبا ولكنها
إلى منتهى الشرقِ ترمي الشرر
وكانوا دهاةً ولكن إذا ما
أتى قدرُ الله أعمى البصر

- هكذا يصور الشاعر معارك الحرب العالمية، وينتجون المدافع ليقتلوا بعضهم، فيموت الآلاف من الناس، ويقع في الأسر آلاف أخرى، أما الجرحى فهم بمئات الآلاف، ويلات الحرب كثيرة، وضررها عظيم، وشاعرنا لا يملك أي أداة فيها سوى وقاية المسلمين من تلك الحروب.

- ذكرت أن الشاعر حميد الدين شاعر اجتماعي سياسي، وهو مراقب لسلوكيات المجتمع، ويهمه المجتمع الإسلامي

بالذات، فيرى من أخطاء الناس الشيء الكثير، ولا يملك أداة لردعهم عن سلوكياتهم الخطأ إلّا النصيحة، لعلها تثمر من الحد من الظواهر السلبية في المجتمع، فقد نظم قصيدة ينصح بها الشباب للابتعاد عن السلوك الخطأ، فيقول فيها:

أمـــا لـــلـــنـــاس أحـــــلامُ
أهـــم فـــي الـــسـكـــر نُـــوّامُ
وهـــم ووّادُ حـــوض المـو
تِ أصـــــــرامٌ فـــأصـــرام
فـــآبـــاءٌ وأبـــنـــاءٌ
وأخـــــــوالٌ وأعـــمـــام

• ويمضي الشاعر في تعداد الأقرباء، ويرى أن لهم أقرباء أخذهم الموت فلماذا لا يتعظون، ويبتعدون عن اللهو والعبث؟! ثم يقول:

وهـــم بـــاللـــهـــو واللـــذا
تِ مـشـغـولـون مـا دامـوا
بـجـمـع الـوفـر مَـنْـهـومـو
نَ والآثـــــام هُـــيّـــام
لـــهـــم بـــالـــغـــي تـــهْـــرامُ
وبـــالـــفـــحـــشـــاء أبـــرام
وهـــم لا بـــدّ مـحـشـورو
نَ يـــومًـــا وهـــو أيـــام
عـــن الـــنـــعـــمـــاء مـسـؤولـو
نَ والـــســـائـــل عـــلّام

• الشيخ حميد الدين نعم الشاعر هو، فقد أهمه مجتمع الناس، وشغل فكره المسلمين من بين الناس، فكان قلبه عـامـرًا بـالمحبة والخـوف على المجتمع من الانـحـراف والضياع، وعلى الرغم من اهتمامه بالدراسات القرآنية إلّا أنه كان صوتًا للحق، وسيفًا على الباطل، وناصحًا لإخوانه وأحبابه من الانحراف عن جادة الصواب، فلم يـأل جهدًا لتخفيف معاناة الناس إلا وقام بهذا الجهد لأنه رجل عظيم الشأن، قوي التمسك بأهداب الدين، ويعرف مقاصد الشريعة، ودور العالم في المجتمع، فهو ذلك العالم الذي نذر نفسه لخدمة مجتمعه لرضى ربه.

****

حيدر حسين اللكناوي

٠٠٠٠ - ٠٠٠٠ هـ / ٠٠٠٠ - ٠٠٠٠ م

• هو الحكيم حيدر بن حسين اللكنوي[1]، الطبيب البارع، نشأ وترعرع في لكنؤ، ولم نعرف تاريخ ولادته، ودرس في بلدته، وحفظ شيئًا من القرآن الكريم، تعلم اللغة العربية

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٨ ص ١٢٨. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٧ ص ٢٦١.

وآدابها على يد المفتي محمد عباس بن علي التستري، ثم اختار الطب في ملازمة الحكيم مظفر حسين اللكنوي، العالم في الطب، وبعد أن أتقن الصنعة تم تعيينه لإدارة دار الشفاء السلطانية.

- يتميز الحكيم حيدر بحسن الخلق، ومهارة تامة في مهنة الطب، ولكنه كان أيضًا محبًا للأدب واللغة، وكان يقرض الشعر، ولكنه ينشره بين الأصدقاء ممن يتذوق الشعر العربي، وكانت لكنؤ بلد الثقافة والعلم، وفيها كثير من المعاهد والمدارس المختلفة.

- بما أنه تتلمذ على يد الحكيم مظفر فقد نظم قصيدة مدح له يقول فيها:

لأستاذي مناقبُ لستُ أُحصى
عسيرٌ جمعُها في غيرِ ذاتهْ
مجيدٌ ماجدٌ فذٌّ فريدٌ
بريءٌ عن عديل في صفاته
وهل أحدٌ يدانيه لطبٍّ
فذلك خيرٌ من هم من ولاته
مسيح ابن مسيح مليك حذقٍ
شفاء الداء أدنى معجزاته
فربِّ أدمهُ مقرونًا بعزٍّ
وزد بمزيدٍ فضلك في حياته

- من العلاقة الجميلة بين الأستاذ وتلميذه تلك العلاقة القائمة على الاحترام المتبادل، والصلة القوية التي تربطهما حتى بعد الانتهاء من تلقي الدروس، وهذا الشاعر لم تنس فضل أستاذه الذي علمه الطب، وأصبح مديرًا للمستشفى السلطاني، وهذا هو الاعتراف بالفضل.

- وأرسل أبياتًا لصديقه مهدي، الذي يسكن في مصطفى آباد. يقول له:

مَن مُبْلِغٌ عني سلامَ ودادِ
خِدنًا صديقًا ساكنًا بفؤادي
ملك فؤادي ودادُهُ، وفراقه
أورى ضرام الوجدِ في الأكبادِ
أرجو إلهي أن ييسر وصله
فلقاه أشهى مقصدي ووادي

- علاقة الصداقة بين اثنين يجمعهما الحب في الله، وكما قال الإمام علي بن أبي طالب: ربَّ أخٍ لك لم تلدهُ أمكَ، وهذه هي العلاقة الصادقة بين رجلين، التي يكتنفها المحبة والاحترام.

- كانت العلاقة بين الصديقين مستمرة عبر الرسائل الشعرية، فقد كتب له أيضًا أبياتًا يقول فيها:

يا حبذا أرقٌّ لطيفٍ جاءني
من عندكم غِبّ الزمان الأطولِ
واهًا لرقٍّ كاملٍ في حسنه
كصحيفة البدرِ المنيرِ الأكملِ
بوروده قد زالَ ما قاسيتهُ
في بينكم من حسرةٍ وتململِ

- طبيب شاعر، ولكن ليس في لغته الأوردو بل بلسان عربي مبين، أقام علاقة حميمية مع أستاذه، ومع أصدقائه،

تجمعهم المحبة والاحترام، شكر الأستاذ على مجهوده، وثنى على صديقه، بطريقة محببة لديهما، وهي الرسائل الشعرية، وهذا الصديق يبادله المحبة، ولكن هل كان ذلك الصديق مهدي يرسل له رسائل شعرية أيضًا؟؟ أو رسائل نثرية ويرد عليها شاعرنا شعرًا عربيًا!!

- هذا الشاعر موهوب، ومتمكن من ألفاظ اللغة العربية، ومن بحور الشعر العربي، وقوافي القصائد التي ينظمها، وهذه النماذج قليلة تصل إلينا، فلا شك أن له قصائد أخرى، غير أننا لم نقرأ أن له ديوان شعر، أو أن أبناءه وأهله قد جمعوا شعره، لا نعلم حتى تاريخ ولادته ووفاته!!!

****

حيدر علي الرضوي

١٢٥٠ - ١٣٠٢ هـ / ١٨٣٤ - ١٨٨٤ م

- هو حيدر علي بن محمد علي الرضوي[١]، ولد في لكنؤ سنة ١٢٥٠هـ، الموافق ١٨٣٤م، تلقى العلوم الابتدائية من حفظ القرآن الكريم إلى تعلم لغة الأوردو ثم العربية على يدي والده، وعلى يد الشيخ تراب علي السني، وقرأ الفقه وزبدة الأصول، وتهذيب الأصول ومسلم الثبوت على يدي المولوي أحمد علي المحمد آبادي، أما الأدب فقد كان أستاذه المفتي محمد عباس التستري اللكنوي، وكان شاعرنا من أفضل تلاميذه.

- دعا النواب لطف علي خان البتنوي تكريمًا له إمامًا للجماعة والجمعة في بتنه، فكان شاعرنا يقضي نصف السنة في بتنه والنصف الآخر في لكنؤ، وبقي على ذلك المنوال لفترة طويلة، بالإضافة إلى أنه يقوم بالتدريس تطوعًا في المدرسة الإيمانية في لكنؤ ، وكان تقيًا ورعًا.

- كان الشيخ حيدر علي خبيرًا في المنقول والمعقول، وله قدرة كبيرة في نظم الشعر باللغة العربية، فقد خلف مجموعة من الحواشي والأبحاث منها:
  - **حواشي على ملا صدرا.**
  - **حاشية على حمد الله شرح سُلّم.**
  - **حاشية على شرح سلّم لملا حسن.**
  - **شرح زبدة الأصول.**
  - **حاشية على شرح اللمعة الدمشقية في الفقه الشيعي.**
  - **ديوان شعر باللغة العربية، (لم نطلع عليه)**

- له قصيدة أرسلها لأستاذه المفتي محمد عباس التستري، ومع شديد الأسف لم ينشر لهذا الشاعر سوى هذه القصيدة، يقول فيها:

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٨ ص ١٢٩. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص٥٦. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٧ ص ٢٦٦.

أسرتُ بسجنِ البُعدِ في دار غربةٍ
بـهِ رقّ لـي إنـسـانُ عـيـنـي بـاكـيـا
أُقـلّـبُ جنبي فـي المضـاجـعِ كربـةً
بـدمـعٍ سكيبٍ أحـمـرِ الـلـونِ قانيا
أحـسُّ بـصدري نـارَ وجـدٍ تأجَّجت
نـوائـرهـا قـد كـاد تُحـرق بـاكـيـا
ولكنَّ جَرْي العينِ كالعينِ في النوى
لأطـفـئ ضِـرامًـا أوقـدت بـفـؤاديـا
وكّـلـتُ إلـى الـلـهِ أمـوري جميعها
رضـيـتُ بـهِ فليقضِ مـا كـان قاضيا
كـفـانـي دنـوّي مـن مَـراحـمـهِ وإن
أبِـتْ بقِلى دَهـري عن الأهـلِ نائيا
وشـوقـي بمـن عـمّ الـبـرايـا نـوالُـهُ
ويدنو إلـى من قد نـأى عنه عاصيا
فـربّـي كفيلي فـي رجـائـي وشدَّتـي
يُـجـيـبُ دعـائـي لا يـخـيِّـبُ رجـائـيـا
ألا دمـتَ لـلـديـن المـبـيـن مـؤيِّـدًا
مـدًى يبتغي أهـلُ الـودادِ التلاقيا
بمـن حـبُّـهـم فـرضٌ عـلـى كـلِّ عـاقـلٍ
وذكـرُهـمُ الأسـنـى يـزيـن الـنـواديـا
عـلـيـهـم سـلامُ الـلـه مـا طـار طـائـرٌ
فـلاذَ بـأغـصـانِ الـحـدائـق شـاديـا

• قصيدة جميلة رائعة في الشجن والحب والآهـات، لم يتوان الشاعر عن إضافة لمسات حميمية على ألفاظه العذبة، وفكرته المعبرة عما في قلبه من حب، وهو شاعر له قدرة قوية في استخدام الألفاظ العربية وتوظيفها أفضل توظيف في نظم هذه القصيدة، غير أن الحكم يبقى ناقصًا بسبب أنه لا يوجد قصيدة أخرى منشورة له على الرغم من أن له ديوان شعر عربي.

****

خورشيد حسن الأمروهي

١٣٦١ - ٠٠٠٠ هـ / ١٩٤٢ - ٠٠٠٠ م

• ولد الأستاذ محمد خورشيد حسن رضوي[١] بن حليم الدين في « أمروهه» سنة ١٣٦١هـ، الموافق ١٩٤٢م، تلقى علومه الأولى في بلدته، ثم درس في باكستان بعد انفصالها عن الهند، ثم التحق بالكلية الحكومية وحصل على شهادة الليسانس باللغة العربية من جامعة بنجاب، بعدها التحق بالكلية الشرقية بجامعة بنجاب، وحصل على الماجستير في العربية.

• تعلم العربية والأدب العربي على يد الشيخ الحافظ نور الحسن، والدكتور محمد ضياء الحق الصوفي، والدكتور عناية الله ، والأستاذ عبدالقيوم، وغيرهم من أساتذة اللغة العربية، وبعد تخرجه تم تعيينه محاضرًا في الكلية الحكومية في بهاولفور، ثم في كلية أخرى، حتى تم تعيينه عميدًا لكلية أمبالة الحكومية لمدة سنة، ثم انتقل إلى إدارة التحقيقات الإسلامية (معهد البحوث الإسلامية) سنة ١٩٨٥م.

• التحق بعد ذلك للعمل بالكلية الحكومية بلاهور سنة ١٩٩١م، ثم رئيسًا للقسم العربي، وهو شاعر في ثلاث لغات؛ الأردو والفارسية والعربية، وطبع له ديوانين بلغة الأردو، وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة بنجاب.

(١) حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان ص ٢٧٤.

قام بتحقيق عدة مخطوطات باللغة العربية، وله مقالات باللغات الثلاث منشورة في المجلات.

• للشاعر شعر رقيق، وله مقطوعات كثيرة، فمن شعره في الشكور قوله:

جاء الجوابُ بخطّ الغير يخبرني
بأنَّكم عن فؤادي الصبّ في شغلِ
لقد أَلِمْتُ كثيرًا من تغيرِكم
هذا ولكنني لم ينقطع أملي
كذا الزمانُ له أطرافه خشن
هذا وأملس داء يومًا عليَّ ولي
فإن بخلتَ بملء الكف أرشفه
من بحرك الجم أرضى منك بالبدلِ
عسى الذي يكشفُ الضراءَ يرحمني
يومًا ويصرفُكم عن ذاكم الملل

• قصيدة رائقة يبدي فيها الشاعر اللوعة والحزن على تغير الحبيب، وجفائه وبعده، وكان الشاعر خياليًا فطنًا. وله في الغزل والنسيب مقطوعات أخرى تنم على مقدرة عظيمة في النظم باللغة العربية، ومنها قوله:

تسلّيتُ عن سلمى من الدهر حِقبةً
لأطرد عنّي طيفها وخيالها
فما زادني الأيام إلّا صبابة
وما نقص الأيام إلا وصالها

• تصور جميل من شاعر صب، وكذلك قوله:

دنت كغزالٍ خالص اللونِ شادنٍ
سقيمِ الجفونِ فاترِ اللحظاتِ

فخلتُ فؤادي ذاب بين جوانحي
وكدتُ أشقّ الصدرَ بالزفراتِ
أسلماي إن أعرضت عني بعدها
أصبت صميم القلبِ بالنظراتِ
فلا تَحسبي أنَّ النوى عِزة الهوى
ولا أنّ طولَ الهجرِ رثّ صِلاتي
فطيفكِ لا ينفك عني ساعةً
ملأت عليَّ يقظتي وسباتي

وله قطعة أخرى يقول فيها:

لها شفة كالورد لونًا ونكهةً
وثغرٌ كمثل الأقحوانةِ باسم
وزجةٌ كمثل الصبح أبيض فاقع
وفرعٌ كمثل الليلِ أسود فاحم

- وصف جميل لفتاة، وجهها وشفتيها وثغرها وشعرها، وأبدع في وصف جمال الوجه بأفضل ما يوصف به أعضاء الوجه، وكأنه يرسم لنا صورة من الفن التشكيلي، لوجه فتاة جميلة.

- وللشاعر قصيدة من الشعر الحر، يقول فيها:

نجمة في الأفق كالزئبق ترنو
عبر أعصر
عينٌ من في خذه النجمة تحلو
لستُ أذكر
نجمة أخرى كمثل القرط غب أذن السماء
تتألق
جيدٌ من، من تحتِ هذا القرط في رحب الفضاء
يترقرق
وجبين البدر كالدينار من خلف التلال
يتطلع
وجه من في الحلم في ستر الخيال
يتقنع
إنما الليلُ حبيب حلَّ فينا
فاتن حلو الشمائل
في بهاء وجمالٍ قد نسينا
فهو منبت المخايل.

- تطور كبير في طريقة الشعراء في القارة الهندية في النظم، فقد اقتفى طرق الشعر الحر، الذي انبثق عند العرب في النصف الأول من القرن العشرين، ولكن هذه القصيدة تنم عن قدرة الشاعر على النظم في جميع الطرق، وأحسن استعمال خياله فصنع صورًا فنية بلاغية.

- وله قصيدة في مدح شعب الأفغان، ولا علم لي عن أي حرب يتحدث الشاعر، وانتصار الأفغان على أعدائهم!!! يقول فيها:

أإخوتنا الأفغان فيكم بسالةً
وفي دار أهل الكفرِ منها زلازلُ
رددتم بأسَ كيدهم في نحورهم
ولم تخضعوا للخطبِ والخطبُ هائلُ
أقمتم بضرب السيف زيغ قلوبهم
وبالسيف ترتاض النفوس الموائلُ
يهابونكم رغم الهزالِ بدا بكم
وتخشى الكلاب الليث والليث ناحلُ

أبـــاة كـمـــاةٌ لا تـفـل سـلاحـكـم
حـــوادث دهـــرٍ خـائـن وغـوائـلُ
إذا مسكم جهد البلاء تناثرت
بقلبي أمـــان كـالـزهـور ذوابـلُ
وفيكم خصالٌ للمديح كثيرة
زمـا عـنـدنـا إلا قـــواف قـلائـلُ
وتدعو لكم عن ظهر غيبٍ مودة
شعوب تناجي ربها وقبائلُ
يغمركم في الحرب فوز ونصرة
فتعلونهم، لن يغلب الحق باطلُ

- شاعر متمكن ومجدد، وهبه الله موهبة كبيرة، وإحساس موسيقي جيد في النظم العربية، قدرته تنم عن ثقافته الواسعة، وخياله يدل على تمكنه من صنع صور فنية بلاغية جميلة، استخدم بحور الشعر العربي، وقوافي متعددة، وإن دخل إي الشعر الحر وتخلى عن القافية الموحدة، فهو قدرة كبيرة في التجدد وقوة النظم.

- في الغزل والوصف كان موفقًا إلى أبعد الحدود، وأسلوبه جذاب، وطريقته لطيفة يسيرة ، يعتني الشاعر في استعمال الألفاظ التي تؤدي المعنى المطلوب، مع تناسقها مما أدى إلى جمال الأبيات وحلاوتها، وكانت موسيقاه الداخلية والخارجية واضحة في الشعر، فهو يمتلك أذنًا موسيقية أدت إلى سهولة نطق اللفظ من خلال البيت الشعري.

****

خسرو سيف الدين الدهلوي

٦٥١ - ٧٢٥ هـ / ١٢٥٣ - ١٣٢٤ م

- هو الشيخ الإمام خسرو بن سيف الدين محمود البخاري الدهلوي[1]، ولد في بتيالي، أبطه، المديرية الشمالية، سنة ٦٥١هـ، الموافق ١٢٥٣م، نشأ بدار الملك في دلهي، أيام السلطان غياث الدين بلين، وكان مجتهدًا في تحصيل العلم، والتضلع في الفنون والآداب، وكان الغاية في الشعر والموسيقا، وله اختراعات في البلاغة زيادة على ما عند العرب، وكان قريبًا من الملوك.

- مال إلى الصوفية وبايع الشيخ الإمام نظام الدين محمد بن أحمد البدايوني، وفي فنون الموسيقا كان رائدًا فيها، وله اختراعات فنية موسيقية، وألحان جديدة، أما مصنفاته فهي كثيرة منها:

- **إعجاز خسرو في البدائم.**
- **محسنات الكلام، ثلاثة مجلدات.**
- **خمسة دواوين شعرية باللغة الفارسية.**
- **تحفة الصفر. ووسط الحياة.**
- **غرة الكمال. زمهاية الكمال.**
- **خمس مزدوجات عارض بها مزدوجات الشيخ نظامي الكنجوي. وهذه ثمانية عشر ألف بيت من الشعر.**
- **مزدوجة» قران السعدين» في لقاء كيقباذ وأبيه بقرا خان.**

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٢ ص٣٥

- قيل إنه نظم حوالي أربعمئة ألف بيت من الشعر حتى عده النقاد ومؤرخو الأدب أنه أشهر مشاهير الشعراء في الهند. فهو جامع علوم الأدب والفنون، وليس له نظير من قبله ولا بعده.

- تفرد في الآداب والفنون وبلغ صيته أقاصي البلاد حتى فارس، وقال عنه القاضي ضياء الدين البرني في تاريخه: إنه كان ملك ملوك الشعراء من السلف إلى الخلف، ولم يكن له نظير في اختراع المعاني وكشف الرموز الغريبة وكثرة المصطلحات.

- شاعر هذه صفاته وأعماله الأدبية والفنية ولكن لم ينقل كتاب الأدب له باللغة العربية إلا بضع أبيات يستشف منها قدرة كبيرة على النظم باللغة العربية، ولكنهم اهتموا بتعديد مصنفاته دون نقل بعض قصائده بالعربية، ومما أثبتوه له قوله:

ذابَ الفؤادُ وسالَ من عيني الدمُ
وحكى الدوامعُ كلَّ ما أنا أكتمُ
وإذا أبحتُ لدى الورى كرب النوى
تبكي الأحبّةُ والأعادي ترحمُ
يا عاذلَ العشّاقِ دعني باكيا
إنَّ السكونَ على المحبّ محرمُ
من باتَ مثلي فهو يدري حالتي
طول الليالي كيف باتَ متيمُ

- وقد أورد له عبدالحي الحسني بيتين من الشعر الفارسي، وهذا كل ما ذكره من شعره العربي والفارسي، على الرغم من أن لديه خمسة دواوين شعرية باللغة الفارسية، وله أيضًا أشعارًا باللغة العربية، ولكن لم تنقل لنا إلا هذه الأبيات.

- إمكانيات الشاعر الفنية كبيرة جدًا، وقدراته الشعرية عظيمة، ويتمتع بذهن صاف لاختراع أشكال جديدة من البلاغة تزيد على ما عد العرب من فنون بلاغية، أو صور فنية قديمة، ولكن المشكلة أن ما نقل عنه ما هو إلا كلام عظيم لابراز مقدرة الشاعر على النظم، دون أن نرى إلا القليل من النماذج الشعرية، ووصف الشاعر بأنه ملك ملوك الشعر، هو كلام نظري، وما وضعه السيد غلام علي البلغرامي في كتابه « سبحة المرجان في آثار هندستان» أيضًا شرح لفكرة شاعرنا، وليس نماذج لتلك الفكرة. وعلى هذا نرى أن الحكم ناقص نماذج شعرية للحكم على فنه الشعري العربي.

****

و

ذو الفقار أحمد البوفالي

١٢٦٢ - ١٣٤٠ هـ / ١٨٤٥ - ١٩٢١ م

- هو الشيخ ذو الفقار أحمد بن همت علي بن شاه ولي بن شاه عالم الحسيني النقوي المالوي[١]، ولد بمدينة بهوبال سنة ١٢٦٢هـ، الموافق حوالي ١٨٤٥م، تعلم في مدينته على أيدي مجموعة من المشايخ والعلماء، وفق للحج مرتين، واتصل بعلماء مكة والمدينة وأخذ عنهم العلم الشرعي، وبلغ من العلم مكانة رفيعة فقرّبه نواب صديق حسن القنوجي، وأصبح من خاصته وكان يحبه ويحترمه.

- له بعض المصنفات العلمية منها:
  - **المبتكر في المؤنث والمذكر.**
  - **طي الفراسخ في منازل البرزخ.**
  - **الروض الممطور في تراجم علماء شرح الصدور.**
  - **محاسن المحسنين في حكايات الصالحين.**

- كان شاعرنا يقرض الشعر، وله أبيات قليلة منها مقطوعة قالها عندما بنى بيتًا له في بهوبال، يقول:

لله دارٌ ما أجملَ بناءَها
أكرمْ بها من منزلٍ معطارِ
تلك القناديل التي فيها ترى
شهب السماء تلوح للأنظارِ
منها نفائسُ ما رأت عينٌ ولا
سمِعتْ بها أذنٌ مدى الاعصارِ

- نظرة الشاعر إلى ما بناه من منزل نظرة فيها مبالغة، لأنه ليس ملكًا، ولا وزيرًا، وأعتقد أن ما لديه من أموال، مهما كثرت، لا يمكن أن يبني دارًا كما وصفها، ولكن رأيه محترم، ولكن المبالغة هنا كبيرة.

- هذا الشاعر لديه إمكانيات جيدة في نظم الشعر العربي، ولكن يبدو أنه مقل، أو لم يتم نشر كثير من أشعاره، وله أيضًا بيتين قالهما هما:

ربع وما ربع منازل عشرة
ناد وما ناد معاهد عزة
لا زال في عيش رغيد من بنى
ونباهة وسخاوة وكرامة

- قدرة الشاعر الفنية متوسطة القدرات، وألفاظه سهلة، وعباراته واضحة وصحيحة، ولكن الخيال الفني عنده قليل، وقلة ما بأيدينا من قصائد لا يفي بالغرض، ولكنه شاعر ينظم القصيد العربي في بلاد ليست عربية، وهذا بحد ذاته يؤدي إلى لفت أنظار الناس إلى اللغة العربية وقدرتها على نظم القصائد بها، طالت أو قصرت.

****

(١) عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ١٣٩. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٨ ص ٥٧٧.

ذو الفقار علي الديوبندي

١٢٤٧ - ١٣٢٢ هـ / ١٨٣١ - ١٩٠٤ م

- هو الشيخ ذو الفقار علي بن فتح علي الحنفي الديوبندي[١]، ولد في ديوبند سنة ١٢٤٧هـ، الموافق ١٨٣١م، تلقى العلوم الأولى في مدينته، وحفظ القرآن الكريم، ثم سافر إلى دلهي لطلب العلم، فقرأ الكتب الدراسية على يد الشيخ مملوك علي النانوتوي، وعلى المفتي صدر الدين الدهلوي، وأقام مدة من الزمن عنده وفاق زملاءه في النحو والمعاني والبيان، وقرض الشعر، واشتغل مفتشًا للمدارس الحكومية الابتدائية، بقي في هذا العمل سنوات، ثم انتقل على ديوبند ليدرس الأدب في دار العلوم ديوبند.

- قام الشيخ ذو الفقار علي بعدة شروح منها:
  - شروح على المعلقات السبع.
  - شرح قصيدة (البردة) بانت سعاد لكعب بن زهير.
  - شرح قصيدة بردة البوصيري.
  - شرح ديوان الحماسة لأبي تمام.
  - شرح ديوان المتنبي.
  - كتاب في البلاغة.
  - له ديوان شعر .

- اهتمام الشيخ ذو الفقار علي بالأدب كان اهتمامًا كبيرًا، يتضح ذلك من خلال نظرة إلى شروحه للقصائد العربية المشهورة، ولذا قام بتدريس الأدب العربي في دار العلوم ديوبند، وله قصيدة طويلة في مدح السلطان عبدالحميد، سلطان الدولة العثمانية، يقول فيها:

يا قاسيَ القلبِ يا من لجّ في عَذَلي
إليكَ عنّي فإنّي عنكَ في شُغُلِ
وكيفَ تعرفُ حالَ المستهامِ أيا
من لم تصبْهُ سهامُ الأعينِ النُّجُلِ
نام الخليُّونَ في خفضٍ وفي دعةٍ
وقد أرقتُ بدمع سائلٍ هَمِلِ
قد صادني عَرَضًا روميةٌ غَنيَتْ
بحسنها عن جمال الحلْيِ والحُلَلِ
سفَّاكةٌ وحياةُ العاشقينَ بها
فتَّاكةٌ وهْيَ مع ذا مرهمُ العِللِ
هيفاءُ ضامرةٌ لعساءُ غادرةٌ
بيضاءُ ساحرةٌ بالغنْجِ والكَحَلِ
كالشّمسِ يبدو جهارًا غير خافيةٍ
ولا تَستَتِرُ بالأستارِ والكللِ
رنَتْ إليَّ بعينَي جُؤذَرٍ فغدا
قلبي جريحًا بجرحٍ غير مندملِ

(١) عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ١٤٠. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج٧ص ٥٧٨.

فيا بني الأصفر التزويرُ شيمتكم
الخائضونَ غمار الموت من طربِ

تُلْقيكم خُودُكم في الشَّرِّ والغِيَلِ
والقاهرونَ على الأقيالِ والبُسُلِ

قولوا لها الآنَ إن شئتم فلاحكم
قضوا حقوقَ المعالي بالسلاهب والـ

إنَّ صبَّكِ المبتلَى لا تهجري وصِلي
بِيض القواضبِ والعتَّالة الذُّبُلِ

إن لم تتبْ من جَفاها قد عزمتُ على
عبدُالكريم عظيم الجيش يَقْدمهم

أن أستغيثَ بسلطان الورى البطَلِ
ثبتُ الجنان قويّ القلب في الجَلَلِ

«عبدالحميد» أمان الخائفين مبيـ
النصرُ يقْدمه والفتح يخدمه

ـدُ الظالمين سديد القولِ والعملِ
واللهُ يحميه من زَلٍّ ومن خللِ

كهفُ الأنامِ مُغيثُ المُستضامِ لهُ
صِيد الملوك صناديد القروم أما

إلى أقاصي المعالي أقربِ السُّبُلِ
ثيلُ السلاطين في الإعطاء كالنبلِ

العادلُ الباذلُ المرهوبُ سطوتهُ
جزاكمُ ربكمْ خيرَ الجزاء عن الـ

في الجودِ كالبحرِ بل كالعارضِ الهَطِلِ
إسلامِ إذ قد نصرتم سيدَ الرسلِ

غوثُ الورى خادم الحرمين معتصمٌ الـ
لأغناكمُ الله بالنصر المبين لكم

مكروبِ غيث الندى يهمي بلا مَطَلِ
عن الإعانة بالأنصار والخَوَلِ

شهمٌ همامٌ أمير المؤمنين وسلـ
ولو دعوتم أولي التقوى لخدمتكم

ـطانُ السلاطين نجْل السادة الأُوَلِ
لبّاكمُ الكلُّ من حافٍ ومنتعلِ

رأسُ الكماةِ إمامٌ للغزاةِ ومِقْـ
من كلِّ مصطدمٍ لله منتقم

ـدام الحماةِ لدينِ أشرف الملل
ليث الوغى غير هيّابٍ ولا وكلِ

غشمشمٌ نـدِسٌ قَـرْمٌ أخو ثقةٍ
سلوا سيوفكم والله ناصركم

ماضي العزيمةِ من خمرِ العلا ثَمِلِ
على الطغاة من الأوغاد والسفلِ

لله جيشكَ أبطالُ النزالِ ومن
حتّام حلمكم يغريكم وإلى

في الكرِّ كالليثِ في التمكن كالجبلِ
متى سيوفكم في الجفنِ والحللِ

أبطالُ حربٍ قتالُ العِلج بغيتهم
تبّا لقومٍ بغوا كفرًا بنعمتكم

آساد حربٍ لهم غابٌ من الأسَلِ
فأهلكوا لوبالِ المكر والدغلِ

فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم
بين البلاعق والغابات والطللِ
للهدم ما رفعوا للخرق ما رقعوا
للنهب ما جمعوا بالزور والبَخَلِ
للسبْيِ ما ولدوا للحرْق ما حصدوا
للسلب ما حشدوا بالغدر والدَّغَلِ
لله دَرُّكُمُ، لله دركمُ
إذ قد تداركتم العطشى على عجل
سُقوا كؤوس الردى كرهًا وقد شربت
طوعًا دماءهم الأسيافُ بالعَلَلِ
حماكمُ الله ما أمضى سيوفَكمُ
قطَّعتموهم وهم أكسى من البصلِ
يا أيها الملكُ الميمون طلعتُه
أما ترى الروسَ في التزوير والحيلِ
وكيف دسّوا وقد حثوا البغاة على الـ
ـغدرِ الشنيع فجوّروا الذُّلَّ بالفشلِ
جاءوا لحربكم معهم فرذّهم
ظُبا سيوفكم بالويل والألِ
لما رأوكم جرحى مدبرين ومخـ
ذولينَ ما اكترثوا بالأهل والثِّقلِ
فالكفرُ في خطرٍ والدين في ظفرٍ
والروسُ في خجلٍ والرومُ في جَذَلِ
أضحت سيوفهمُ أمست مدامعهم
في الغِمدِ من عَطَلٍ والحرْس في صَحَلِ

يا بئسَ ما اقترحوه من وقاحتهم
بِدعًا فيأنف منه كل ذي نُبُلِ
وقد أصبتم إذا أعرضتمُ أَنَفًا
عن قول كل سخيفِ الرأي مبتذلِ
أخزاهمُ الله ما أغباهمُ فنسوا
قِدْمًا هزيماتهم في الأعصُر الأُوَلِ
هذا وإذ جرّبوا فيكم مُجرِّبهم
عادوا ندامى كما قد قيل في المثلِ
وقد دعاني إلى الإنشادِ مجدكمُ
قسرًا فلستُ بأهل الشعرِ والغزلِ
أبقاكمُ الله في عزٍّ وفي شرفٍ
وفي علوٍّ وفي مجدٍ وفي زعلِ
أعداؤكم في حضيض الذّل حيَلٍ
أحبابكم من ذرا العلياء في قُللِ
بهاشميٍّ كريمٍ سيّدٍ سندٍ
هادٍ بشيرٍ نذيرٍ سيّد الرسلِ

- قصيدة طويلة في مدح الأتراك، والسلطان عبدالحميد، ولكنه قد مدح الجيش التركي في حروبه مع روسيا، ودعا لهم بالنصر. اتبع الشاعر في نظم القصيدة طريقة الشعراء الأقدمين، وخاصة الجاهليين، فقد بدأ بالنسيب، وأفاض في هذا الجانب، من وصف للفتاة، وتعلقه بها، وحنينه للقائها، وكان مبدعًا، وخياله طغى على كل أحاسيسه وشعوره تجاه تلك الفتاة الجميلة.

• الشاعر متمكن من قدراته الفنية واللفظية، والأسلوب القديم في صياغة القصيدة، وقد ظهر من خلال الألفاظ والجمل التي استخدمها، ومدى تأثير الشعر العربي القديم في فكره ومخيلته، فأرى بعض الكلمات الجاهلية وبعض الألفاظ الإسلامية، كما أن الأسلوب عربي صرف، لم يحاول أن يمزج بين الفكر المتأخر والقديم، وكان مبدعًا في كل ما نظمه من أبيات.

• ينظر الشاعر إلى بعض رجال الهند الذين كان لهم دور في إعلاء مكانة الدين الإسلامي في الهند، واللغة العربية فيها، ومن هؤلاء الشيخ محمد قاسم النانوتوي، فقد نظم شاعرنا قصيدة في مدح هذا الشيخ المبجل يقول فيها:

حتّامَ تشغل بالدنيا عن الدينِ
أما ترى أزمة حصلت بقارونِ
لا تزهون بما قد حزت عاربة
فإنما أنت مسكين بن مسكين
وكيف تعلو علو النار عن سفه
فإنَّ أصلك من ماء ومن طينِ
وكن جليس بيتك واعتزل أبدًا
إن كنت ترضى بعيش غير مفتونِ
ولازم العلمَ والعلماء مجتهدًا
يعيذكَ اللهُ من شر الشياطين
العلم علقٌ نفيسٌ يستضاءُ به
فاطلب ولو كان هذا العلم بالصينِ
إن ترد أن يصير الحقّ متَّضحًا
فاستفتِ صاح إمام الحق والدين
كهف الورى قاسم الخيرات جامعها
من فاق أنفاسه روض الرياحين
لا علم إلا وغيه مغربٌ عذبٌ
له ويظهر منه كل مكنون

• قدرة الشاعر كبيرة في نظم القصيد العربي، ومن حيث اللفظ والمعنى، فهو قد وازن بينهما، واستخدم ما يناسب الكلام، ويبدو أنه قد حفظ كثيرًا من شعر الشعراء العرب الأقدمين، واختمرت ألفاظهم في ذهنه فعندما يجلس لنظم قصيدة تتداعى له الألفاظ فيضعها حيث يشاء من العبارات والجمل، وهذه القدرة ليست متيسرة عند بعض شعراء الهند، فالشاعر امتلك ناصية اللغة ونظمها بحيث يجرد بيت الشعر متناسقًا مبرأ من العيب اللفظي، ومناسبًا للمعنى المراد.

• من يستطيع أن ينظم القصائد الطويلة فهو قادر على نظم القصائد القصيرة، قليلة الألفاظ وبسيطة المعنى، وفي قصيدة مدح السلطان التركي يبدو ذلك واضحًا في كلمات المديح، وعبارات الشجب أيضًا، فهو شاعر متضلع باللغة العربية، ومتمكن من أسلوب رصف الكلمات، واستخدام العبارات المعبرة عن ذاته، لذا كان موفقًا كل التوفيق في نظمه.

****

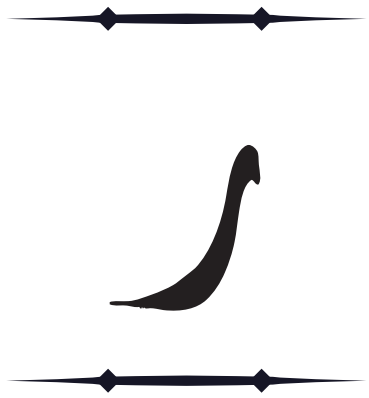

رحمة علي خان الكجراتي

١٣٠٤ - ١٣٨٤ هـ / ١٨٨٦ - ١٩٦٥ م

• هو الشيخ رحمة علي خان بن الحافظ أمير خان بن أعظم خان[1]، ولد في كجرات سنة ١٣٠٤هـ، الموافق ١٨٨٦م، تلقى العلوم الإسلامية في بلدته، ثم ذهب إلى لاهور ودرس على علمائها، بعدها التحق بالكلية الشرقية فحصل على شهادة منشئ فاضل، ثم حصل على الثانوية سنة ١٩١٩م، عمل بعدها مدرسًا بالمدرسة الثانوية، ثم سافر إلى أوغندا، بعد ذلك عاد إلى وطنه، وأسس مدرسة عربية لتعليم الصغار، أسماها «إحياء العلوم»، وله مؤلفات منها:

- غاية البراعة في معرفة علم البلاغة.
- المعروضات الكافية في معرفة علم العروض والقافية.
- الدليل الفني لشرح قصيدة عمر الجني.

• للشاعر رحمة علي قصائد كثيرة ، ومنها قصيدة طويلة في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، يقول فيها:

نبيًا خيرُ خلقِ اللهِ طُرًّا
رسولاً خَاتمَ الرسلِ العظامِ
محمد الذي ترجى شفاعتهُ
لأمته غدًا يوم القيامِ
هدى للعالمين بنور وجهه
وبالآيات والحجج الكرامِ
أضاء الأرضَ بالنورِ الإلهي
وأرشدهم إلى دار السلامِ
لأنَّ اللهَ أرسلهُ سراجًا
منيرًا ماحيًا دهم الظلامِ
إليهم بالكتابِ المستنيرِ
بنورِ الحقِّ كالبدرِ التمامِ
ويهديهم سراطًا مستقيما
ويخرجهم من الظلم الدهامِ
وهم من قبل منهمكون طُرًّا
بترك المحض الكسب الحرامِ
وأكل السحت من مال اليتامى
ومن غصب وقتل بالظلامِ
ومن نهبٍ وسلبِ الناس قهرًا
ومن سرق وحرقٍ ذي ملامِ
وفي سفك الدماء بغير حقّ
وفي خطبٍ ونكحٍ لاستضامِ

(١) حامد أشرف همداني، الشعر العربي في باكستان ص ٥٥.

وفي فحش الزنا سرًا وجهرًا
ومقمرة وفي شرب المدامِ
وفي الإرصاد قطعًا للطريقِ
وضرب العنق حرصًا للحطامِ
وكل العيبِ ظنوه جمالاً
وكل الشين شأنًا للفخامِ
فأرسلهُ هدى للناس جمعًا
يهديهم إلى السبل السلامِ
فجاءهم حياة للجميعِ
ليحييهم من العظم الرمامِ
أتى بالروح من وحي القديم
فأحياهم حياة للدوامِ
فمن عادى صراح الحقِّ منهمْ
يقاتله بمسلولِ الحسامِ
غزا الكفار للدين الحنيفِ
فأهلكهم بسيفٍ كالحِمامِ
ومن والاه بالقلبِ السليمِ
يواليه موالاة الإمامِ
فقاتل من يخالفه عنادًا
وقاوم من يخالف بالقوامِ
أعزَّ الدين إعزازًا دواما
أذلَّ الشركَ عامًا بعد عامِ
علينا بالإطاعة للإلهِ
وحبل الله كل الاعتصامِ
ويلزمنا الإطاعة للرسولِ
وسنته بكل الاهتمامِ
نجاهد في سبيل الله صفًا
كبنيانٍ رصيص في القيام

• والقصيدة طويلة جدًا، ولكن في نهايتها يقول:

نصلي دائمًا أزكى صلاة
على خير الخلائق والسلامِ
ونسألُ ربَّنَا الغفران منه
بجاه نبيه خيرِ الأنامِ
فيرحمنا ويدخلنا جنانه
وأعطانا بها أعلى المقامِ

• شاعرنا الشيخ رحمة علي خان شاعر جيد، ولكن قصيدته هذه تدل على تمكنه من النظم باللغة العربية، وقد حافظ على بحر عروضي، وقافية موحدة، ولكنه لم يستعمل خياله في صنع صور فنية، على الرغم من إلمامه بالمعجم اللغوي، وسرد شيئًا من تاريخ القرآن ونزوله على رسول الله-عليه أفضل الصلاة والسلام-، ولم نشعر أن الشاعر نظم قصيدة فيها كل مقومات القصائد العربية.

• جاء بالألفاظ المعبرة عن المعاني، ولم تدخل في فكره ليحولها إلى شيء جميل تسر القارئ والسامع، وأسلوبه بسيط لا غموض فيه، ولا تحتاج القصيدة إلى تفسير، أو شرح للأبيات، وهو ناظم للكلمات العربية، لا شعرية في النظم، ولا حلاوة الأبيات، لذا فالقصيدة تخلو من الجمال اللفظي والمعنوي، وفقدت الموسيقا، سوى في بعض الأبيات القليلة التي لا تغني عن شيء، ولكن طول القصيدة يعطي فكرة عن قدرته في النظم العربي.

****

رضي الدين الصاغاني

٥٧٧ - ٦٥٠ هـ / ١١٦١ - ١٢٥٢ م

• هو الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن إسماعيل القرشي اللاهوري[1]، ولكنه نشأ في غزنة، وينسب إلى صاغان، وهي إحدى ولايات ما وراء النهر، وانتقلت أسرته إلى لاهور واستوطنتها، حيث ولد رضي الدين في مدينة لاهور سنة ٥٥٧هـ، الموافق ١١٦١م، في أيام خسرو ملك ابن خسرو شاه الغزنوي، تعلم أولاً على يد والده، ثم ذهب إلى غزنة يدرّس بها، ثم رحل إلى بغداد، واجتمع مع علمائها، ثم ذهب إلى مكة المكرمة، فحج وأقام بها، ثم زار المدينة وذهب لزيارة ضريح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- وأقام هناك فترة من الزمن.

• رجع إلى بغداد سنة ٦١٥هـ، الموافق ١٢١٨م، أيام الناصر لدين الله العباسي، فأرسله الخليفة إلى الهند برساله إلى سلطانها شمس الدين إيلتمش سنة ٦١٧هـ، الموافق ١٢٢٠م، وبقي في الهند إلى سنة ٦٢٤هـ، الموافق ١٢٢٦م، ثم ذهب إلى الحج وزار اليمن، وعاد إلى بغداد سنة ٦٣٧هـ، الموافق ١٢٣٩م، وبعد ذلك رجع إلى الهند برسالة إلى ملكة الهند رضية بنت إيلتمش، ولكنه عاد بعدها إلى بغداد وتوفي بها بتلك السنة.

• العلامة اللغوي رضي الدين صنف كتبًا علمية مهمة منها:

- **التكملة والذيل والصلة، وهو استكمال لما فات الجوهري في صحاحه.**
- **مجمع البحرين، جمع فيه ما بين الصحاح والتكملة.**
- **العباب الزاخر واللباب الفاخر، ألفه باسم الوزير ابن العلقمي، في اللغة.**
- **مشارق الأنوار النبوية في صحاح الأخبار المصطفوية.**

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج١ ص١٠٥. جمال الدين الفاروقي وآخرون، أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية ص ٣٢ مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية، الثقافة العربية في الهند ص ٦٣.

- مصباح الدجى في حديث المصطفي.
- النوادر في اللغة والتراكيب.
- رسالة في العروض.
- شرح أبيات المفصل.
- شرح القلادة السمطية.
- كتاب التصريف.
- شرح على صحيح البخاري.
- كتاب الأفعال.
- كتاب الفرائض.
- رسالتان في الأحاديث الموضوعة.
- كتاب الشوارد في اللغة.

- وهناك كتب أخرى بعضها في اللغة والبعض الآخر في الحديث، وغير معروف أن الشيخ رضي الدين الصغاني كان شاعرًا أيضًا، ولكن شعره قليل ومتفرق، ومنه قوله عندما رجع إلى الهند زمن رضية بنت إيلتمش لم يعجبه الحال وعاد إلى بغداد، فقرض أبياتًا من الشعر يقول فيها:

أنساني الدّهرُ أعطاني وأوطاني
وحطَّني ووهاد الخسفِ أوطاني
وكنتُ أفنيتُ عمري في رفاهية
فعضني ولذيذ العيش أسناني
وكان قدّمني قدرًا وأكرمني
فالآنَ أخرني قدرًا وأنساني
وكم غنيتُ بمغنى العز ذا شرفٍ
أجرّ في المجدِ أذيالي وأردائي
أحلَّ أهلي خرابًا بائرًا معرًا
كأني لم أقم يومًا بعمراني
وردَّني خائبًا صفر اليدين تقى
من بعد ما كان بالترحيب حيّاني
وكنتُ أعي زمانًا عزّة وسنا
فالآنَ جور زمان السوء أعياني
وكان دوحة عيشي غضة زمنًا
قصيرة ذات أغصانٍ وأفنانِ
ولي ببغداد دار العزّ دام بها
ظل الإمام الرضي المستنصر ابنان
وها أنا الآن كرهًا لا طواعية
بالهند والسند ذو عدن وابنان

- هذه قصيدة تبلغ تسعة وخمسين بيتًا، بث فيها شكواه من الدهر، ووصف حاله وما يقاسيه من الزمان ، ويبدو أنه رجل اللغة والبلاغة، فقد أفرغ فيها قريحته، بالوصف والخيال، والأسلوب المناسب للشكوى.

• يستعرض الشيخ رضي الدين ما يشعر به من قناعة في العيش، مقتديا بالرسول الكريم، وما صح عنده من الأحاديث الشريفة، على الرغم من نهي أبيه له، ولكنه مقتنع بحياته التي يعيشها، ولهذا نظم قصيدة يقول فيها:

تسربلتُ سربال القناعة والرضا
صبيًا وكانا في الكهولة ديدني
وقد كان ينهاني أبي حفّ بالرضا
وبالعنفوان أولى يدًا من يد دني
إذا احتبيتُ تجاه الركن بالحدق
في أفضل الناس من شام ومن يمنِ
ذووا محابر أعداد النجوم ومن
قد آثر السفر المضني على الوطنِ
أظلّ أنشدهم شعري وأخبرهم
بما سمعتُ من الآثار والسننِ
موثقًا عدل أهليها وأجرح من
تكلموا في ماضٍ من الزمنِ
أروي الأحاديث عن ثبت أخي ثقةٍ
أقول حدَّثني شيخي وأخبرني
وأشبع القول في إيضاح مشكلها
وحلّ معضلها جريًا على السننِ
حطّت على جبهة الأيام خالدةً
تلك المكارم لا قضبان من لبنِ

• كانت حياة الشيخ تنصب على العلم والمعرفة، والتحقق من بعض ما كتبه الآخرون في التاريخ، أو الجغرافيا، أو ما نسب إلى الرسول -عليه السلام- من أحاديث بعضها صحيح، والبعض الآخر مشكوك فيه، وقام بتصحيح بعض الأخطاء في الكتب، ورد ذلك في كتبه، وحواشيه.

• زار مكة المكرمة مرتين، واشتاق إليها ويفضلها على كل البلاد، فقد حج وزار الأماكن، واجتمع مع علمائها، ونظم شعرًا حول مكة، حيث يقول:

يومٌ بمكة خير من مُضيَ سنهْ
بغيرها تنقضي باللهو أو بسنهْ
فلا القلوبُ إلى الأهواء مائلةً
ولا النفوس بكسب الإثم مُرتهنهْ
ولا الفقير مع الإملاق ذو جزعٍ
ولا الغني يحامي الناس ما احتجنه
ولا يصير على من لا طباخ له
أقل من لحظة لا يقتني حسنه
ولا يؤمهمُ أو لا يساكنهم
إلا القوي الذي جذّ العلا رسنه

• الباحث والكاتب والمدقق والشاعر رضي الدين الصغاني، فخر الهند برجل مثل هذا الرجل، فقد جمع الدين والدنيا في شخصه، وكان عالمًا دينيًا، وأستاذًا لغويًا يعلم الناس

الصحيح من الألفاظ، والصحيح من الحديث، والصحيح من السلوك البشري، فقد وظف علمه لخدمة العلم والعلماء، ووجه الناس إلى الطريق القويم للإنسان المسلم، المتتبع لسنة رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- ولم يهدر الوقت في اللهو والعبث، ولم ينم إلا وقد أفاد أحدًا ، أو اطلع على معلومة صحيحة ، أو تحتاج إلى تصحيح، فهذا هو العالم النحرير.

****

رفيع الدين عبدالوهاب

١١٦٣ - ١٢٣٣ هـ / ١٧٤٩ - ١٨١٧ م

- هو الشيخ رفيع الدين عبدالوهاب بن ولي الله بن عبدالرحيم العمري الدهلوي[١]، ولد بمدينة دلهي سنة ١١٦٣هـ، الموافق ١٧٤٩م، درس على يد أخيه الشيخ عبدالعزيز، وأخذ الطريقة الصوفية من الشيخ محمد عاشق بن عبيد الله البهتلي، وكان ذكيًّا استطاع أن يتقن العلم ولم يبلغ العشرين من عمره، وكان يحل محل أخيه في التدريس.

- استطاع الشيخ رفيع الدين أن يصنف عدة كتب، منها:
  - **دمغ الباطل، في المسائل الغامضة من علم الحقائق.**
  - **رسالة في العروض.**
  - **رسالة في مقدمة العلم.**
  - **رسالة في التاريخ.**
  - **رسالة في تحقيق الألوان.**
  - **رسالة في آثار القيامة.**
  - **رسالة في الحجاب.**
  - **رسالة في عقد الأنامل.**

- وهناك أيضًا مؤلفات أخرى في الحديث، وله حواشي على بعض الكتب. رفيع الدين عبدالوهاب شاعر، وله قصائد منشورة، ومقطعات أخرى ومن أجمل ما نظم قصيدة يمدح بها رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يقول فيها:

يا أحمد المختار يا زينَ الورى
يا خاتمًا للرسل ما أحلاكا
يا كاشف الضراء من مستنجدٍ
يا منجيًا في الحشر من والاكا

(١) عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٧ ص١٨٦. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٨ ص ٢٩.

هل كان غيرُك في الأنام من استوى
أدنـــاك ربّـــك فـــي مـــنـــازل قـربـه

فـــوق الـــبـــراق وجـــاوز الأفـلاكـا
جـلّـى لـك الأكـــوان ثـم حـواكـا

واستـمسك الـروح الأمـيـر ركـابـه
وأتمّ بـعـمـتـه عـلـيـك فـلـم تسل

فـي سَـيـره واسـتـخـدم الأمـلاكـا
أن تـؤثـر الإنـفـاق والإمـسـاكـا

عـرضـتْ لـك الـدنـيـا وداعـــوا ملة
ألـقـى إلـيـك كـنـوز أسـرار سمَتْ

نـسـخـت بـبـعـثـك طـالـبـين رداكـا
مـن حـيـطـة الأفـهـام إذ نـاجـاكـا

فـردَدْتـهـم فـي خـيـبـةٍ عـن قصدهم
وسـألـت فـينـا الـعـفـو مـنـه شفاعةً

الـلـه صـانـك عـنـهـم ووقـاكـا
فـأجـاب ربـك قـد وهـبـتُ مـنـاكـا

واخـترتَ من لبنٍ وخمرٍ فطرة الإس
حـتـى إذا تمَّ الـدنـوُّ تسـترتْ

ـــــــلام بـالـهـدى إلـيـهِ هـداكـا
مـنـك الـهـويـة فـي سـنـا مـولاكـا

قـعـدت لـك الـرسـل الـكـرام ترقبًا
فـرأيـتـه جـهـرًا بـعـيـنـي نـوره

فـعـلـوتَ مـغـبـوطًـا لـهـم مسراكا
مـا كـان إلّا الـلـه فـي مـجـلاكـا

وأمّـمـتـهـم فـي الـقـدس بعد تجاوزٍ
فـكـسـاك نـــورًا مـن أشـعـة ذاتـه

مـنـهـم بـأمـر الـلـه إذ ولّاكـا
أفـنـاك غـنـك إذ بـه ألـقـاكـا

وبـكـى الـكـلـيـم لـمـا رآك عـلـوتـه
فلك المناصب والسيادة وللورى

ومـنـافـسـوك يـحـق لـهـم ذاكـا
وخـلافـة الـرحـمـن يـا بـشـراكـا

وتـزيَّـنـت حـور الجـنـان بشاشةً
جعلتْ لك الأقدار والأنوار والـ

بـك سـيـدي شـوقًـا إلـى لـقـياكـا
ـــــــجنات والـنـيـران مـرآكـا

وتبشبش الـعـرش الـعـظـيـم لاثمًا
أعـطـاك تـخـفـيفًـا وتـيـسـيـرًا إلـى

رجـلـيـك نـال الـفـضـل إذ آواكـا
ديـــنٍ قـــويمٍ مـحْـكـمٍ لِـقـواكـا

خَلَّفْتَ روح القدس عند السدرة الـ
وسـواه مـن نِـعَـمٍ جسام ما لها

قصوى يـخـاف مـن الـجـلال هـلاكـا
عـــدٌّ وحـــدٌّ يـنـتـهـي أولاكـــا

فرجعت مسرورًا بها في لمحة
وجميع خلق الله قد هنّاكا
أجريتَ دين الله بعدُ بضربةٍ
ومحوت رأس الجهل والإشراكا
فلقد أتيتك سيدي مستجديًا
من سِيبك المدرار حُسْنَ ولاكا
يا ليتني قد فزت منك بنظرةٍ
في بدر وجه نوّر الأفلاكا
صلى عليك الله خير صلاته
والمالئون صدورهم بهواكا
وعلى صحابك الكرام وآلك
أطهار ما طاف السما بحماكا

• لقد سرد الشاعر معظم ما في السيرة النبوية من أخبار وآثار نبوية في هذه القصيدة الجميلة، وبدأها بمخاطبة رسول الله، ثم ما أعطاه الله له، وبعد ذلك الإسراء إلى المسجد الأقصى، ومن ثم معراج الرسول إلى السماء، وما وهبه الله من الشفاعة لأمته، ثم يسأل الرسول الشفاعة له، وبعد الصلاة عليه وعلى آله وصحبه، فسرد السيرة النبوية في هذه القصيدة، وكانت قدرة الشاعر كبيرة في استخدام الألفاظ للوصول إلى المعنى.

• للشاعر قصيدة يرد بها على قصيدة الشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا، والتي تعرف بأنها قصيدة الروح:

هبطتْ إليك من المحل الأرفعِ
وَرْقَاءُ ذات تعزز وتمنعِ

• فرد شاعر عليه بقوله:

عجبًا لشيخٍ فيلسوفٍ ألمعي
خفيت لعينيه منارة مَشرعِ
هلّا تفطنتَ أن بعث النفس في الـ
أبدان ينشأ من مواطن شُفعِ
منها مواطن مجملات الحكم أو
مختصّة مترتبات الموقعِ
ولكلهم حكمٌ وغاياتٌ بها
تستوجبُ التخصيصَ في المتفرع
وجميعها للنفس غايات على
إنّ التفاوتَ ثابتٌ لم يمنعِ

• يبدو أن شاعرنا لديه معرفة في الفلسفة، لذا نراه يرد على الشيخ الرئيس، وهو المعروف بعدة علوم وفنون، فالشيخ رفيع الدين الدهلوي، عالم متبحر في عدة موضوعات أدبية وفلسفية، بالإضافة إلى الدراسات الدينية. هذا شاعر متمكن من اللغة العربية بحيث ينظم قصائده في

موضوعات مختلفة، على الرغم من ابتعادها عن مجال تخصصه الرئيسي.

- قدرة الشاعر على النظم العربي كبيرة، ويظهر ذل من تمكنه من نظم قصيدة طويلة، وبنفس عميق وبحر واحد وقافية موحدة، استعمل الشاعر مشاعره وقراءاته، في النظم، وفي القصيدة موسيقا داخلية وخارجية، واستعمل المحسنات البديعية أحيانا ليبرز رنة الموسيقا، وجمال الأسلوب أضفى عليها قوة وفاعلية لما يريد أن يقوله من خلال الأبيات ذات السبك الجيد. وانتقل الشاعر إلى رحمة الله سنة ١٢٣٣هـ، الموافق ١٨١٧م.

****

المحتوى

- التصدير ٣
- إهداء ٥
- المقدمة ٧

(أ)

- إبراهيم بن صالح الهندي ٣٧
- إبراهيم عباس النجفي ٤١
- أبوالرحمة محمد الفيئي ٤٥
- أبوالفضل بن عبدالقادر ٥٠
- أبوالفيض الناكوري ٥١
- أبوالنعمان عبدالرحمن آزاد ٥٤

- أبوبكر بن محيي التامرشيري ٥٦
- أبوبكر بن محيي الفرمدفي ٥٧
- أبوبكر بن محيي الكالكوتي ٦٠
- أبوبكر رمضان الشالياتي ٦٢
- أبوبكر محمد المدفتوري ٦٤
- أبورشيدة أبوبكر الحكيم ٦٧
- أبوسلمى جمال الدين ٦٩
- أبوعطاء السندي ٧٢
- أبوليلى محمد بن ميران ٧٦
- أبومحفوظ المعصومي ٨٢
- أجمل محمود الدهلوي ٨٦
- أحمد الشعراني التررونغادي ٨٨
- أحمد الواعظ الكشميري ٨٩
- أحمد أمين بن فضل الله ٩٤

- أحمد بن الحسن الغنوجي ٩٧
- أحمد بن علي البسكري ١٠٠
- أحمد بن علي الشيرازي ١٠٤
- أحمد بن كنج الكدفتوري ١٠٨
- أحمد بن محمد الجوهري ١١١
- أحمد حسين الرسولبوري ١١٦
- أحمد حسين القلعداري ١١٨
- أحمد خان الرامبوري ١٢٠
- أحمد رضا خان البريلوي ١٢١
- أحمد شهاب الدين البيشاوري ١٢٤
- أحمد عبدالقادر الكوكني ١٢٧
- أحمد محمد التهانيسري ١٣٣
- أحمد مصطفى الكوباموي ١٣٥
- أحمد نظام الدين معصوم ١٣٧

- أختر شاه خان أمروهي ١٤٣
- إدريس محمد الكاندهلوي ١٤٤
- إسحق إبراهيم القنوجي ١٤٨
- إسحق علي الهزاروي ١٥٠
- إسماعيل بن المفتي ١٥٢
- أشرف علي الحسيني ١٥٦
- أصغر علي الكاكوردي ١٦٠
- إظهار الحق الأمروهي ١٦٤
- إعجاز أحمد السهسواني ١٦٥
- إعزاز علي الأمروهوي ١٦٧
- أفضل محمد فقير ١٧٢
- إقبال أحمد الأعظمي ١٧٦
- أكمل الدين البدخشي ١٧٧
- ألطاف حسين حالي ١٧٩

- إلهي بخش الكندهلوي ١٨٣
- أمير رضا حسن خان ١٨٦
- أمين أحمد المدراسي ١٨٨
- أمين الدين الكاكوروي ١٩٠
- أمين غلام الكشميري ١٩١
- إنشاء الله بن ماشاء الحسيني ١٩٣
- أنوار الحسن الشيركوتي ١٩٣
- أنور شاه الكشميري ١٩٤
- أوحد الدين البلغرامي ٢٠١

(ب)

- باقر بن أبي الحسن اللكناوي ٢٠٧
- باقر بن علي الحسيني ٢٠٩
- باقر مرتضى المدراسي ٢١١
- باقر يوسف الموسوي ٢١٥

- بدرالدين محمد الدماميني ٢١٦
- بركة الله عشقي الماهروي ٢١٩
- بشير حسن الزيدي ٢٢٠
- بير محمد الآمرتسري ٢٢٢

(ج)

- جمال الدين المالكي ٢٢٧
- جمال الدين بن نور الدين ٢٢٩
- جمال الدين محمد الكجراتي ٢٣١
- جميل سعيد التهانوي ٢٣٢
- جواد ساباط الساباطي ٢٣٧

(ح)

- حامد حسين الحسيني ٢٤١
- حامد ميان الرضوي ٢٤٢
- حبيب أبو بكر بن شهاب ٢٤٤

- حبيب الرحمن العثماني ٢٤٩
- حبيب الرحمن الأعظمي ٢٥٢
- حبيب الله حبي النوشهري ٢٥٤
- حبيب عبدالله المديحج ٢٥٦
- حسن شدقم الحسيني ٢٥٧
- حسين بن شهاب الشامي ٢٥٨
- حسين علي شدقم ٢٦٠
- حسين محمد باعلوي ٢٦٤
- حميد الدين الفراهي ٢٦٧
- حيدر حسين اللكناوي ٢٧٢
- حيدر علي الرضوي ٢٧٤

(خ)

- خورشيد حسن الأمروهي ٢٧٩
- خسرو سيف الدين الدهلوي ٢٨١

(ذ)

- ذو الفقار أحمد البوفالي ٢٨٥
- ذو الفقار علي الديوبندي ٢٨٦

(ر)

- رحمة علي خان الكجراتي ٢٩٣
- رضي الدين الصاغاني ٢٩٥
- رفيع الدين عبدالوهاب ٢٩٨
- المحتوى ٣٠٢

****

عناوين مكاتب
مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية

الكويت: ص. ب **599** الصفاة **13006**
هاتف: 22406816 (965+)
22415172 (965+)
فاكس: 22455039 (965+)

مصر: القاهرة – ص. ب **509** الدقي **12311** الجيزة
هاتف: 33030788 (202+)
فاكس: 33027335 (202+)

إيطاليا: روما – شارع توسكولانا **(650)**
هاتف: 57335212 (3906+)
فاكس: 57335366 (3906+)

الموقع الإلكتروني للمؤسسة: www. albabtaincf.org
البريد الإلكتروني: info@albabtaincf.org

معجم البابطين

لشعراء العربية في بلاد الهند

المجلد الثاني

زع

د. عبدالله القتم

الكويت

2021

معجم البابطين

لشعراء العربية في بلاد الهند

الإخراج الداخلـي

الأمانة العامة للمؤسسة

ردمـك: **978 - 9921 - 704 - 31 - 0**

رقـم الإيـداع: **0818 - 2021**

الطبعة الأولى 2021

حقـوق الطبع محفوظـة

مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية

هاتف: 22415172 (965+) - فاكس: 22455039 (965+)

www. albabtaincf.org / info@ albabtaincf.org

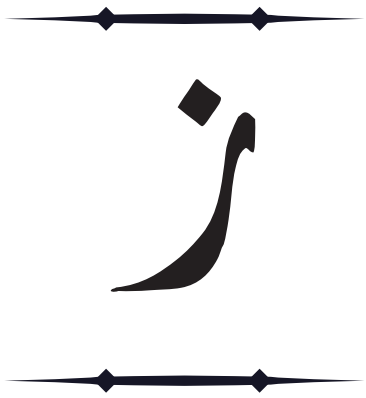

زين الدين علي المعبري

٨٧١ - ٩٢٨ هـ / ١٤٦٦ - ١٥٢١ م

- زين الدين بن علي المخدوم المعبري[١].

- هو من أسرة مخدوم، الأسرة التي نزحت من اليمن في القرن الخامس عشر الميلادي إلى سواحل الهند الغربية. وهو زين الدين بن علي بن أحمد الشافعي الملباري، ولد في كوشن سنة ٨٧١هـ، الموافق حوالي ١٤٦٦م، ونقله عمه القاضي زين الدين بن أحمد الملباري إلى فناني، وهو صغير، فحفظ القرآن الكريم، ودرس على يدي عمه النحو والصرف والفقه، ثم درس على أيدي المشايخ في فناني، وتعلم الفقه وأصوله والفرائض والسنن، ثم ذهب إلى كالكوت لاستزادة العلم في الفقه والعلوم الدينية والعربية على يدي الشيخ الشاعر أبي بكر بن رمضان الشالياتي.

- توجه بعد ذلك إلى مصر وأخذ من علمائها، حيث جاور الشيخ عبدالرحمن آدم، وقضى خمس سنوات في مصر فتم إجازته في الحديث والفقه والتفسير، وأخذ العلوم من شيوخ الأزهر، ثم غادر مصر إلى الحجاز فحج واعتمر وزار مرقد رسول الله، وعاد إلى بلاده بعد ذلك محملًا بالعلم الكثير من عدة مصادر.

- كان الشيخ زين الدين يعرف عدة لغات: العربية والفارسية والأردو واللغات الهندية، وأثناء وجوده في مصر التقى الإمام السيوطي، والإمام السمهودي، والإمام الأكبر أبو بكر الحضرمي، والإمام سيد أبو بكر العيدروس، والحافظ السخاوي، وغيرهم وناقش معهم المسائل الإسلامية، وقام بالتدريس في الجامع الأزهر، وهو أول هندي يلقي دروسه في الأزهر الشريف.

- أنتج الشيخ زين الدين عدة مؤلفات منها:
  - **مرشد الطلاب / في التصوف.**
  - **كفاية الفرائض، وهو على مذهب الإمام الشافعي.**
  - **سراج القلوب وعلاج الذنوب.**
  - **تحفة الأحياء وحرفة الألباء، في الأذكار والدعوات.**
  - **تسهيل الكافية في شرح الكافية لابن الحاجب.**
  - **حاشية على الإرشاد لابن المقرئ.**
  - **حاشيتان على التحفة لابن الوردي.**
  - **شمس الهدى، في المواعظ.**
  - **الصفاء من الشفاء، مختصر الشفاء للقاضي عياض.**
  - **قصص الأنبياء.**

(١) عبدالحي بن فخر الدين الحسني ج ٤ ص١٠٣. ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص٧٤. جمال الدين الفاروقي وآخرون، أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية، ص ٥٣.

• وله قصائد كثيرة في أمور مختلفة، ومن ذلك منظومة شعرية باسم: هداية الأذكياء إلى طريق الأولياء، وهي قصيدة طويلة في الأخلاق والنصائح، وتبلغ تسعة وثمانين بيتاً، وهي من الأحاديث التي أوردها كبار العلماء في كتبهم وأفكارهم، يقول فيها:

الحمد لله الموفق للعلا
حمدًا يوافي بره المتكاملا
ثم الصلاة على الرسول المصطفى
والآل والصحب وتابع ولى
إنَّ الطريقَ شريعةٌ وطريقةُ
وحقيقةٌ فاسمع لها ما مثلا

• وطافت هذه القصيدة أرجاء الهند، بل وسارت إلى خارج الهند، إلى الملايو وأندونيسيا، ونالت إعجاب كثير من الناس، وأصبح الكتاب من كتب الأخلاق، وشرح القصيدة مجموعة من اللغويين، ووصفه لدواء القلوب في أبياته:

ودواء قلب خمسة فتلاوة
بتدبرِ المعنى وللبطن خلا
وقيام الليل والتضرع بالسحر
ومجالسات الصالحين الفضلا

• ثم يذكر علامات الصالحين من العلماء، كما يصف علماء السوء بقوله:

ولعالم الأخرى علامات ترى
لا يطلب الدنيا بعلم مسائلا
ولذاكَ آياتٌ تكون كثيرة
أن لا يخاف قوله ما يفعلا
ويكون بالمأمور أول آمرٍ
وعن الذي ينهى تجنب أولا
ويكون معتنيًا بعلم راغبًا
في طاعة ناهٍ عن الدنيا اجتلا
تقوى الإله مدار كل سعادة
وتباع أهوى رأس كل حبائلا

• وكذلك يوصي بحفظ الأوقات، التي يهدرها الناس بغير عمل جاد، وصرف الأوقات في طاعة الله، بقوله:

واصرف إلى الطاعات وقتك كله
لا تترك وقتًا سدى متساهلا
وزّع بعون الله وقتك واصرفن
كلا بما هو لائق متبتلا
فازهد وذا فقد علاقة قلبكا
بالمال لاترك له تكُ أعقلا
والزهد أحسن منصب بعد التقى
وبه ينال مقام أرباب العلا

• كان للعرب أساطيل بحرية على بحر العرب، من الجزيرة العربية إلى سواحل مليبار، وكيرلا، في الهند، ولما جاءت القوات البرتغالية، أخذت تنافس العرب في الملاحة في هذه المنطقة، وهذا كان بداية الاستعمار في الهند، فانبرى العلماء يحذرون السكان من هؤلاء الغرباء الذين دخلوا إلى المنطقة، ومن هؤلاء العلماء شاعرنا زين الدين، حيث نظم منظومة شعرية بعنوان» تحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان» وتبلغ مئة وخمسة وثلاثين بيتًا، يقول فيها:

لك الحمد يا الله في كل حالةٍ
وأنتَ أعلم بالكروب وحاجةِ
صلاة وتسليم على خير خلقكا
محمد الداعي إلى خير ملة

• يرفع الشاعر قضية المسلمين إلى الحكام والسلاطين لينظروا إلى حال المسلمين مع هذا الغزو القادم إليهم، فيقول:

فأما كربنا بارتكاب شدائد
بإفرنج عُبّاد الصليب وصورةِ
طغوا في بلاد الله من كل ممكن
وقد أكثروا فيها الفساد بشهرة
بغوا في مليبار بأنصاف بغيهم
وأنواع شدات وأجناس فتنة
من الأسر والنهب وإحراق مسجد
وحرق كتاب ثم هتك لحرمة
وتحريق أموال وتخنيق مسلم
وتعويق أسفار وتعطيل عيشة
وتخريب بلدان وتعبيد مؤمن
وتزيين نسوان لتفتين نسوة
وفك عرى البلدان والثغر كلها
ودك ذرى الأمصار مع كل قرية
وملك بلاد واتخاذ لبيعة
وظلم عاد ثم قطع طريقة
وصد عن الحج المعظم قدره
بتعطيل أسفار إلى خير بلدة
وقتل لحجاج وسائر مؤمن
بأنواع تعذيب وأصناف مثلة
وجلد وقطع من يقول محمد
وسب رسول الله غير خفية
وتقييد أسرى بالقيود الثقيل
وتعذيبهم بالنار من غير رأفة
وقود وسوق للأسرى وجمعه
بضيّق بيتٍ مثل شاء حقيرة

• هذه كانت أعمال البرتغاليين في مليبار الهندية، وربما كانت أفظع وأشد، ثم يضيف الشاعر بقوله:

يكلُّ لسانُ المرء عن ذكر وصفهِ
فيا ربِّ خذهم أهلكهم بسطوةِ
جهادهم فرض على كل مسلم
قوي بنفس ثم زاد وعدة
حتى على عبدٍ بلا إذن سيد
وولد بلا إذن وزوج قوية

• ماذا يعمل هذا الشاعر وهو يرى أبناء قومه يتعرضون للذل والمهانة سوى الاستنجاد بالملوك الأقوياء لصد تلك الهجمات على المسلمين، فيقول:

فيا أهلَ إسلامٍ وأمة أحمدٍ
هَلُّموا إلى هذا الجهاد بهمةِ
ففيه رضا الخلاق والخلق إنسهم
وجنهم ووحش والطير ودانة
ولا تجعلوا إفرنج يا قوم أوليا
وإن خفتم هلكًا وفوت تجارة
فقد منع المغني موالاتهم ومن
تولاهم يحشر إليهم بعرصة
ومن فرّ يوم الزحف من خوف سطوتهم
فقد آل بالعار الفظيع ولعنة
وقد باء بالسخط العظيم لربه
ومأواه نار ذات حَر وفورة
تزيد على نار بدنيا بتسعةٍ
وستين جزءًا مثلها بالسويةِ
ومن كان يعصي الله تشوى فيكلح
فتبلغ وسط الرأس مليًا شفيهة
وسفلى شفاه تتروى بكلوحة
إلى أسفل من جسم إلى ضرب سرة
يصب حميم فوق رأس فينفذ
خلوصًا إلى جوف بشدة حرقة

• ويشير الشاعر إلى أمراض المجتمع، بحسب ما عرفه من أقوال رسول الله، ويحث المسلمين على المقاومة وطرد المعتدين، فيقول:

وصُولوا على أعداء دين محمدٍ
وصونوا به دينًا ودنيا برغبةِ
وروموا به زاد المعاد وجنة
ودوموا على خوف هجوم المنية
ولا تجبنوا فاللهُ ناصرُ دينَهُ
وكاسر صلبان وناشر سُنّةِ
ولا تنفقوا مالًا وتغزوا غنمتم
جميع عباد الله من كل عاهة
وصنتم عباد الله من شر ماكرٍ
حميتم صغارًا والنساء بغيرة

ولاح ثناكم خافقين كليهما

وفاح سماكم كل يوم وليلة

وحزتم غنى الدارين فزتم رأيتم

جزاه جزيلاً يوم فقرٍ وفاقة

ونلتم به دار السلام وحورها

بملكٍ عظيمٍ دائمٍ وغيمةِ

- استنجد الشاعر زين الدين بالمسلمين وحتى سلطان تركيا ليخلصوا البلاد من شرور البرتغاليين، وطلب من السلطان العثماني مناصرة الملك ساموتري ملك المليبار في نضاله ضد الغزاة البرتغاليين، وبين في خطاباته ما فعله هؤلاء من حرق للتراث الإسلامي، والكتب وأشاعوا سب رسول الله ليستنهض المسلمين للدفاع عن الإسلام والمسلمين، ولكن هذا الشاعر المجاهد انتقل إلى رحمة الله في شعبان سنة ٩٢٨هـ، الموافق ١٥٢١م.

- الشاعر الشيخ زين الدين المعبري فقيه ومحدث وخطيب وشاعر، هذه منظومة تقود إلى العرفان والجنة ، تم توظيف هذه المواد لخدمة المجتمع الإسلامي في مليبار، لتعديل سلوك الناس، وحثهم على الاستقامة، والبعد عن الفساد والانحراف، وجاء البرتغاليون على مليبار بما لديهم من إغراءات للشباب، وتجارة رابحة، ولكن بعد تمكنهم من البلاد مارسوا الديكتاتورية، وواجهوا كل من يعارضهم بكل عنف، وهنا انبرى شاعرنا يدافع عن المجتمع الإسلامي، ويستنهض القادرين على محاربة هذه القوة الجديدة التي نزلت بلادهم، وحتى السلطان العثماني دعاه إلى المساعدة في إجلاء هؤلاء الغرباء.

- الشعر عند الشاعر ليس قويًا ولكنه مؤثر أيما تأثير في قلوب من يريد الخير لهذه الأمة، فكلماته واضحة وعادية، وأسلوبه بسيط، يريد توصيل الفكرة إلى الناس صغيرهم وكبيرهم، غير أن شعره يخلو من الخيال والصور الفنية، فهو ليس بحاجة إليها طالما أنّ ما يريده هو نهضة الأمة، فلا يدخل في الغامض من الألفاظ، أو استعمال التورية والتعقيد لأبيات شعره.

- الشاعر عربي الأصل، ودراسته عربية، واستقى العلم من كبار العلماء والمفكرين العرب، وتمتع بأخذ المعارف منهم، لذا كان شعره موظف لخدمة أهدافه الدينية، ولم يكن شاعرًا محترفًا للشعر، بل استخدم الشعر لغرض معين، فكان ما أراد، وظهر ذلك من قصائده.

- قدرة الشاعر على النظم كبيرة، ظهرت في نظم طوال القصائد، ولأهداف معينة، وأفكار غذتها ألفاظه المعبرة المنسجمة مع المعنى، اقتفى طريقة الأقدمين في البحر والقافية الموحدة، مع أسلوب جيد في النظم، وموسيقا

ظهرت في الأبيات، واستعمل المحسنات البديعية، وظهرت رنة الجرس الموسيقي، ووضوح الأبيات، فلا غموض فيها، وكان يخاطب الجمهور في شعره.

- وهو شاعر ملتزم، وهدفه واضح من استخدام الشعر أداة للمقاومة، وطريقة لإنهاض الأمة من سباتها، وكان شعره قويًا في وقت كان له دور في حماسة الناس وتحركهم لطرد الاستعمار.

****

س

سام شهاب الدين سليمان

١٠٤٥ - ١١٢١ هـ / ١٦٣٥ - ١٧٠٩ م

- هو الشيخ سام شهاب الدين بن سليمان ولي الله[1]، ولد في قاهرة باتنم ، ولاية تاميل نادو، سنة ١٠٤٥هـ، الموافق ١٦٣٥هـ، وتلقى دروسه الأولى على يدي والده، ثم استقى العلم من أيدي علماء عصره، وأتقن اللغة العربية ولغى تاميل، وتسمى «عرب تاميل»، أو الأروية، لامتزاجها باللغة العربية، وأخذها منها الكلمات الإسلامية، وتكتب بالحروف العربية والفارسية، وكان القصد منها نشر المبادئ الإسلامية والقيم التربوية.

- كان الشيخ سام شهاب الدين شاعرًا، ونظم قصائد كثيرة في موضوعات مختلفة، خدمة للدين، والمجتمع في تاميل نادو، وكان أخوه الأكبر الشيخ صدقة الله أبا شاعرًا وفقيهًا مشهورًا، ويسمى «مادح الرسول» لكثرة ما نظم قصائد في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، لذا قام الشيخ سام شهاب الدين بنظم قصيدة يمدح بها أخاه يقول فيها:

عجبتُ لتخميسٍ رزينٍ موقّرِ
لوتريّةٍ للشيخِ شيخ المشهرِ
بصادٍ ودالٍ ثم قاف وهائها
مضافًا لها اسم الله ذاك الموقر
ووشحهُ بالالتزام وغيره
وفيه من التحسينِ ما فيه فافخرِ
ولم يردهم مثله في العيارة
إلّا فأعجبوا يا قوم من ذي المعبرِ
وذاك لأخبارِ النبيِّ كمسلم
وصاحبه والحاكم المتبحرِ
وفي علمِ الفقهِ كالنواوي ورافعٍ
وفي علم تفسير القرآنِ كحيدرِ
لعلم المعاني والبيان وبدعهِ
كصاحب تلخيص وسكّاكي السري
وفي علم نحو سيبويه زمانه
وفي الصرفِ يزري أخفشًا والزمخشري
وفي علم شعرٍ كالخليل وفي اللغةِ
كصاحبِ قاموس حريري وأزهري
وفي وضع رأي إن أراد كشافعي
وأحمد النعمان مالك مفخرِ
وفي حكمة بُستي عصرٍ له وفي الـ
كلام معري به كل جوهرِ
كمحيي لدينٍ في التصوفِ والصفا
وشبلي جنيد يافعي كالسري

(١) ك. م. ع. أحمد زبير، أسرة صدقة الله أبا وخدماتها الدينية والعلمية (تساناي، الكلية الجديدة ٢٠٠٣) مخطوط

وفي حسن تأليف غزالي عصره

وفي الجود مثل حاتم والمتبشرِ

وفي طاعةٍ مثل البناني ومالكٍ

وفي عفة كابن اليسار وجعفرِ

وفي الحكم يزري أحنفًا وابن ضمضمِ

وفي حسن وجهٍ كالحرير المنورِ

وأوصافه الحسناء بحرٌ مطول

عليه سلامٌ من عبيدٍ مُحقَّرِ

أيا سيدي لا تنس عبدكم الخطي

وفي كل طاعات دعاءٌ لذي الجري

إذا سمعتم للعبيد من الوشا

ةِ سوءً فلا تظن به السوء فانظرِ

- يبدو أن الشيخ سام معجب كثير الإعجاب في أخيه الشيخ صدقة الله، فجمع فيه كل علوم الأولين وما يتميزون به من علم وتقوى، ولأول مرة في التاريخ يتم وصف رجل بمثل هذه الصفات، فلم يترك أئمة الحديث إلا كان أخوه مثلهم، ولا علماء اللغة إلا وكان أخوه صنوهم، ولا المتصوفة إلا وكان أخوه زعيمهم، ولا أصحاب القواميس اللغوية إلا وكان أخوه من ضمنهم، فهل هذا إعجاب بالأخ، أو إنه القرابة والقرب من النفس، وكما قال الإمام الشافعي:

وعين الرضا عن كل عيب كليلة

كما أن عين السخط تبدي المساويا

- الشاعر الشيخ سام شهاب الدين شاعر قوي في النظم واستخدام اللفظ العربي بكل اقتدار، ويبدو أنه قارئ جيد لعلوم العرب المسلمين كلها، لذا لا غرابة في أن يجمع كل هؤلاء العلماء في شخصية أخيه الشيخ صدقة الله، غاب عن الشاعر الوصف الدقيق، والمحبة ظاهرة في أسلوبه، ولم يكتب اسم أخيه، بل كيف الحروف لاسمه.

- كان الشيخ شهاب الدين من المدخنين، ولكنه فكر في مضارها، لذا أقلع عن التدخين، ويحث الناس على عدم التدخين، وكان التبغ يزرع في قاهرة باتنم، وكان متيسرًا، وأدى إلى فساد الثقافة الإسلامية، لذا كان إقلاعه فائدة له وللمجتمع، ولم يعد يزرع في بلده، فنظم شاعرنا قصيدة يقول فيها:

تركتُ ابتغاء بغاء لوجهِ الإلهِ

تناول تنبول نشوان لاهِ

بقاموسه قال ذا خمرٍ أهـ

ـل هندٍ فتب منهُ ممن نشاه

وقد حرّم الهيتمي القات والـ

أكفه مستنبطا ما آلاه

- وهكذا كان الشيخ واقعيًا في قراراته، وعقلانيًا في آرائه، لذا نراه يتخذ القرار الحكيم، ويحث الناس على اتباع منهجه العقلاني. وكان شيخنا شهاب الدين ينظم الأشعار في كل أمر مهم له، أو لمجتمعه، وتأثر بمنهج أخيه الشيخ صدقة الله ، الملقب بمادح الرسول، فنظم قصيدة في

مدح رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم– يقول فيها:

صلاة وتسليم وأزكى تحيّة على
المصطفى هادي البريا المربّي
أصلي صلاةً عدَّ ترب وكوكبٍ
على خير خلق الله والد زينب
بريق رفيقٌ مُشفقٌ مُتلطِّفٌ
أفيق عبيق طيّب مثل زرنبِ
تبارك من أنشأه أشرف خلقه
تدارك به ما لم يدارك من نبي
ثنيّ هو المحبوب ذو درجة علا
شفيعٌ لدى الرحمن في كل مذنبِ
جمل جلال ذو كمالٍ وبهجة
زلال لأهل الدين أعذب مشربِ

- يحاول الشيخ سام أن يقتفي أثر أخيه الكبير، ولكنه لم يصل إليه، فقصائده بسيطة، وألفاظه واقعية، ولا خيال في القصائد، وأسلوبه عادي في طرح الفكرة، قد يكون متمكن من اللغة، ويحفظ بعض الأشعار، ولكن تبقى قدراته الشعرية محدودة، وتعكس الواقع، فالفكرة كبيرة، والنتاج بسيط.

- بعض أدباء جنوب الهند، في «لغة الأردو» يركزون بالحروف عوضًا عن اسم الكاتب، أو اسم المكتوب، ويستخدم الشيخ هذه الطريقة في قوله:

أطالَ إله العرش ذو الحكم والقضا
حيرة الإمام بن الإمام الذي انقضا
ورأس سماهُ الصاد والرجل تا ويبـ
نَ صادٍ وتا دالٌ وقاف تعرَّضا
وحرَّكتم البلدانَ شرقًا ومغربا
بقولِ رضيٍّ في اسمِ من كان قد قضى

- لا شك أنها طريقة تورية جيدة، وقد برع فيها الشاعر سام، فالبيت الثاني لم يذكر فيه اسم أخيه «صدقة» مباشرة، ولكنه ذكر الحروف التي يكتب بها الاسم، والشاعر استخدم قواعد النظم العربي، من بحر عروضي وقافية موحدة، وكان أسلوبه جيدًا في توضيح الفكرة، مع سبك الأبيات وتناسق اللفظ والمعنى.

- لا شك أن الشاعر له قدرة على النظم، فهو متمكن من استخدام الألفاظ، والبحور الشعرية، واستطاع أن يبرز خياله في بعض الأبيات، مع خلق صور فنية من خلال بعض التصور للمواقف المختلفة، ولديه طاقة يستخدمها في نظم القصائد الطويلة، وهي قدرة لا يتمتع بها بعض شعراء العربية في الهند، وكون الشاعر من أسرة تهتم باللغة العربية وفنونها، فهو يمتلك هذه الروح الوثابة للنظم العربي.

- انتقل الشاعر سام إلى رحمة الله تعالي سنة ١١٢١هـ، الموافق ١٧٠٩م.

****

سبط الحسن الجائسي

٠٠٠ - ١٣٥٩ هـ / ٠٠٠ - ١٩٤٠ م

• هو السيد سبط الحسن بن السيد وارث حسين الجائسي اللكنوي[١]، ولد في جائس، غير معروف تاريخ ميلاده، قرأ الكتب الابتدائية في بلدته، وتعلم العربية والفارسية والنحو والصرف عن طريق جده لأمه الشيخ علي حسن الجائسي، ثم درس في لكنؤ، والتحق بالمدرسة الناظمية، ووصل إلى الصفوف النهائية، وحصل على شهادة « ممتاز الأفاضل» وقرأ على يد الشيخ نجم الحسن، والشيخ السيد محمد باقر في مدرسة سلطان المدارس، وحصل على شهادة « صدر الأفاضل» وتلقى العلوم على يد الشيخ حسين بن زين العابدين.

• تشرف بزيارة العتبات المقدسة في العراق سنة ١٣٤٠هـ، الموافق ١٩٢١م، وبعد تخرجه فاز بمنصب التدريس، وفي سنة ١٩٣٥م حصل على لقب «شمس العلماء» من بريطانيا، وشعره قليل، وله قصيدة وحيدة في رثاء أستاذه السيد محمد باقر، يقول فيها:

قالوا اصبروا فالصبرُ فيه جميلُ
قلنا ولكنَّ المصابَ جليلُ
قالوا ألم يقرع لسمعك فضله؟
قلنا بلى لكن له تأويلُ
قالوا خذوا عند الملاهي سلوةً
قلنا هُديتم إنه التضليلُ
قالوا إلى كم تصطلون بناره؟
قلنا ولا ينسى الخليلَ خليلُ
قالوا أليس لكم سواها قِبلةٌ
قلنا إليكم ما لها تحويلُ
قالوا ألا ترقأ دموعُ عيونكم
قلنا وكيف إذا الخدودُ مسيلُ
قالوا أليس لهذا الرنين هوادةٌ؟
قلنا ومن بعد الرنين عويلُ
قالوا عَرَتْكم رجفةٌ فتشتَّتوا
قلنا وكيف إذا الجبالُ تميلُ
قالوا أما الإصباحُ من ليلاتكم؟
قلنا وتذكارُ الليالي طويلُ
قالوا سلوتم قبلَهُ عن فائتٍ
قلنا إذا ما نابَ عنهُ بديلُ
لكنهُ ميْتٌ فقدنا شخصَهُ
ونظيرَهُ فاستُصعبَ التمثيلُ

• كان شاعرنا الشيخ سبط الحسن واعظًا، حلو اللسان، وعذب البيان معروفًا في الهند كلها، لما له من دروس

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٨ ص ٢٦٥. السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة ج ٧ ص ١٨٣.نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٤٨.

تبليغ وتذكير، ولما افتتح حاكم ولاية محمود آباد مدرسة الواعظين كان شاعرنا رئيسًا للمدرسين، له ذوق فني رفيع في الأدب والشعر، وقدرة كبيرة على النظم باللغة العربية، كما له أشعار باللغة الفارسية ولغة الأردو، وله بعض المؤلفات منها:

- **معراج الكلام.**
- **ترجمة ميزان عادل، بين فيه أهمية الإسلام مقارنة بالأديان الأخرى.**
- **ترجمة لكتاب محيط الدائرة.**

- هو شاعر متمكن من اللغة، وألفاظه جيدة، وحافظ على تناسقها، ولكنه لا خيال في شعره، ولا صور بلاغية، وقصيدة واحدة من حوار لا تكفي للحكم على الشعر، أو منهج الشاعر وفكره، ولكن قصيدته هذه تدل على الوفاء لصاحب الفضل وهو شيخه، الذي تعلم منه الكثير من الأساليب اللغوية واللغة العربية، شعره ومطابقته لحياته، ولقد انتقل إلى رحمة الله سنة ١٣٥٩هـ، الموافق ١٩٤٠م.

- يبدو أن الشاعر لا يحتفظ بشعره، لا يقيده ولا يترك تلاميذه يكتبونه، بل يلقيه في المحافل، والمنتديات وبين زملائه، وإلا كيف يكون لشاعر قصيدة واحدة، ذلك شيء لا يصدق، وهذا شاعر متمكن وغير متكلف في نظمه، وأسلوبه جيد، وعباراته متناسقة، فكيف لا يكون له ديوان شعر؟!!

****

سعد الله الحنفي المرادآبادي

١٢١٩ - ١٢٩٤ هـ / ١٨٠٤ - ١٨٧٧ م

- هو الشيخ المفتي سعد الله بن نظام الدين الحنفي المرادآبادي[1]، ولد في مرادآباد سنة ١٢١٩هـ، الموافق ١٨٠٤م، درس علومه الأولى في بلدته، ثم ذهب إلى رامبور فدرس على أيدي علمائها، ثم ذهب إلى نجيب آباد فقرأ شرح الكافية، وبعد ذلك ذهب إلى دلهي وقرأ بعض الكتب على أيدي الشيخ محمد القندهاري، والشيخ محمد حياة اللاري، والشيخ صدر الدين الدهلوي، ثم ذهب إلى لكناؤ فقرأ الكتب الدراسية.

- التحق بالمدرسة السلطانية معلمًا، ثم تولى نظارة التأليف فأكمل بعض مجلدات معجم « تاج اللغات»، ثم أصبح مفتيًا لمدة تسع وعشرين سنة، وذهب إلى الحج، ثم عاد إلى مدينة لكناؤ ليعمل في الإفتاء لمدة ثلاث سنوات، وبعد ذلك استقدمه نواب يوسف علي خان إلى رامبور وأولاه الإفتاء حتى وفاته.

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٧ ص ٢٠٢. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٨ ص ٣١٩.

• كان شاعرنا الشيخ سعد الله أحد العلماء المشهورين في اللغة والنحو، لذا استطاع استكمال معجم «تاج اللغات» وصنف عدة كتب ودراسات منها:

- القول المأنوس في صفات القاموس.
- نور الإيضاح في أغلاط الصراح.
- نوادر الأصول في شرح الفصول.
- القول الفصل في تحقيق همزة الوصل.
- مفيد الطلاب في خاصيات الأبواب.
- غاية البيان في تحقيق السبحان.
- ميزان الأفكار في شرح معيار الأشعار.
- محصل العروض، مع الشرح.
- رسالة في التشبيه والاستعارة.
- رسالتان في تحقيق أل التعريب.
- شرح على خطبة القطبي.
- شرح على ضابطة التهذيب.
- حاشية على شرح الجغميني، وحاشية على شرح «السلم».
- رسالة في قوس قزح.
- رسالة في تحقيق علم الواجب.
- هناك بعض الحواشي الأخرى.

• من خلال استعراض مؤلفات الشيخ سعد الله يبدو اهتمامه باللغة والأدب والثقافة بشكل عام، على الرغم من أنه شاعر إلا أن ما وصل إلينا هو قصيدة واحدة، يتحدث فيها عن العدالة، وهو مفتي، يقول فيها:

قد شرّف اللهُ أمرَ الملك والدينِ
وكرّمَ المجدَ في عزٍّ وتمكينِ
بحسنِ تدبيرهِ العالي وفطنتهِ
ورأيُهُ صائبًا أجلى البراهينِ
كان الممالك عُطلًا لا بهاءَ بها
فزانها حكمُهُ في أيّ تزيينِ
من عدلهِ ألِفَ الأسْدُ الظباءَ كما
غِزلانُها صرنَ أولادَ السَّراحينِ
فلا تُرى فتنة في عهد دولته
غيرَ التي في عيون الحُور والعِينِ
طابت مدائح من مدح الأمير كما
طابت نسائم من روض الرياحينِ

• لا يعرف من هذا الأمير الممدوح، ولا متى حكم وأين حكم؟؟ ولكن الشاعر يمدحه بصورة غريبة، حيث أن الأعداء أصبحوا أصدقاء، ويمثل ذلك ببعض الحيوانات التي عادة تهاجم بعضها بعضًا، وهذه القطعة جيدة السبك، متوازنة الأسلوب، يبدو فيها الأثر اللغوي للشاعر من حيث اهتمامه اللغوي والنحوي، في هذه القصيدة خيال واسع، ولكن الشاعر ذهب بعيدًا في وصف عهد ذلك الأمير، الذي لم يسمه، وقدرة الشاعر جيدة في نظم القصيدة العربية. انتقل الشاعر إلى رحمة ربه سنة ١٢٩٤هـ، الموافق ١٨٧٧م.

****

سعيد بن بكار سيدوتي

٠٠٠ - ٠٠٠ هـ / ٠٠٠ - ٠٠٠ م

• هو المولوي سعيد بن بكار، معروف باسم سيدوتي، اليدفاعي[1]، ولد في إدفال، يدفاع تعريب لها، لا نعرف شيئًا عن سني حياته، سوى القليل، درس في بلدته الأردو واللغة العربية، وحفظ الكثير من الشعر العربي، وكان محبًا للغة العربية وأشعارها، فكان يكتبها على جدران المسجد، لذا ضاع معظمها، ولم يحتفظ بها إلا القليل من أشعاره، كان ينظم القصائد على حوادث الأيام، أو وفاة أحد الأصدقاء، أو أحد الأقارب.

• حدث أن شب حريق في سوق بلدته، وكان حريقًا كبيرًا وشديد الأثر الذي خلفه، فسجل الشاعر ذلك شعرًا بقوله:

يا لَلْحريقِ على سوق اليدفاعي
يا لَلْمُصيبة ما أدهى سويدائي
عمّ الديار وما فيها ومتجرهم
صاروا به في ذرى كرب ودهياءِ
واشتدت النار فارتاعوا فما التفتوا
إلى الأثاثث وأموال بإنجاء
بكم كما كان لو ضاق الخناق فلا
يضيق عنكم ندى الباري أخلائي

• إنه وصف للحريق الذي كان مروعًا والتهم كل شيء بما فيها نقود البائعين، غير أن الشاعر وجه إلى المصابين تعزية وتهدئة، بأن الباري عز وجل سيعيد ما فقدوه في الحريق.

• كان للشاعر أصدقاء من العلماء، وكان يأنس بوجودهم، ولكن عندما يختطف الموت أحدهم يقوم الشاعر بنظم قصيدة رثاء، وهذا ما حدث إثر وفاة الشيخ كنج بن أحمد الغروري، فقام يرثيه بقصيدة يقول فيها:

يا نوح ارض على رأسِ الألبّاءِ
يا ويحَ من جهلوا قدر الألبّاءِ
ويا أفول نجوم زان مطلعه
وما حواليه من دان ومن ناءِ
غارت بحسرته أنوار غرته
ومزن مقلته يروي الأخلاء
كم من غوالي لآلي العلم أخرجها
بغوصه هينا من قعر دهماء
وكم عبارات كتب أعجزت فطنا
نحى بكارتها من غير إفضاء
كأنّ ما قاله في حلّ مشكلة
عرائس الخدر تبدو نحو بيداء
ومورد واسع ما آب وارده
إلّا تروى ولا يبلى بإظماء

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ١٨٩.

يا حسن نطق جفا لحنا ولذّ لنا

أحلى وأطيب من شهد وحلواء

- إذا مات العالم النحرير لا يسد محلة أحد، فالعالم نور يستضاء به، وينشره في مجتمعه، وهذا الشاعر يرى أن مجتمعه فقد هذا العالم الذي أدى دورًا كبيرًا في تثقيف الناس وتوعيتهم، وتبصيرهم بطرق الحق. وعالم آخر وافته المنية بعد عمر قضاه في التعليم والتوجيه، ولا شك أن الشاعر يكن كل الحب والاحترام للعالم الشيخ أحمد بن زين الدين المخدوم، عالم من أسرة آل مخدوم العربية العريقة التي تسكن كيرلا، فقد نظم الشاعر قصيدة رثاء بحق هذا العالم، فرحيل العالم يحز في النفس، ويدمي القلب، فكيف لا يرثيه المحبون له، يقول فيها:

أو زالَ ضوءُ نهارٍ زانَ منظرُهُ

أو غاب نجمُ صباحٍ فيه لمعانُ

أو كانت الشمس والأقمار قد حبست

أو زال من ارضكم روح وريحانُ

أو كان صباح نور العلم مختطفًا

به تنوّر أقطارٌ وبلدانُ

- ويقول عن الفقيد:

به العلوم بليك استجاب لمن

به يكون لنا عن ذاك جيران

- يتألم هذا الشاعر من فقد العلماء، وهم قريبون منه علمًا ودراسة وأدبًا، فهو منهم وإليهم، وهو لسانهم الذي يدافع عن أفكارهم ويقدمها للناس في ثوب قشيب لكي يتقبلها الناس، فلا عجب أن ينظم هذا الشاعر قصائد رثاء في هؤلاء الأعزاء الذين فقدهم، بعد أن كانوا ملء السمع والبصر.

- جمع الشاعر سعيد مع هؤلاء العلماء محبة العلم والعلماء، فكان الكتاب والمكتبة أقرب إليهم من أي شيء آخر، فعندما يصدر كتاب لأحد الأصدقاء تقوم مناقشات ومحاضرات حول الكتاب الجديد، وهذا ما حدث عندما صدر كتاب أحد أصدقائه، وقف يقرض الكتاب، فيقول فيه:

وكم خفايا كنوزٍ فازَ من ظُفِرا

بها أبان وكم أعطاك ما حرما

مقدار شيء بمقدار لثمرته

يا قدر هذا بهذا الاعتبار سمى

يا هتك حرمة عذراء مخدرة

عن الوصال لها الإمكان قد هدما

إذ كان ذا فارقًا أستارها فغدت

هتيكة الستر والسر الذي كتما

يا نعم ما صبَّ في ذا القلب انفردا

عن النظير فكن تبغيه مغتنما

- نعم لقد صبّ العلم صبًا في أذهان تلاميذه، وترك أثرًا كبيرًا فيهم، وهو شاعر يمتلك قدرة كبيرة على نظم الشعر في اللغة العربية، واشعاره سهلة ميسورة، دون تعمق، أو تكلف في صياغة القصيدة، وهو شاعر اجتماعي، تنقل الحدث الاجتماعي إلى الشعر، وينظم بقدرته العالية عن استخدام الألفاظ المناسبة، والأسلوب السهل المفهوم للجميع، وهو فارس الكلمة اللطيفة، والرثاء الساخن، المغطى بالحزن والكآبة، وسرد للحدث وكأنك تراه رأي العين، فوصفه قريب

من الواقع، وخاصة عندما اشتعل ذلك الحريق المدمر، هذا هو الشاعر المتفاعل مع مجتمعه.

****

سعيد يعقوب المجددي

١٣٥٦ - ٠٠٠ هـ / ١٩٣٧ - ٠٠٠ م

• هو الشيخ محمد سعيد بن الشاه محمد يعقوب المجددي[١]، ولد في بهوبال سنة ١٣٥٦هـ، الموافق ١٩٣٧م، درس في بهوبال الكتب الدراسية، وحفظ القرآن الكريم ، وتعلم الأردو والفارسية والعربية على أيدي الشيوخ؛ عبدالرشيد مسكين، والشيخ عبدالرحمن، والشيخ عبدالعزيز والشيخ عبدالخالق، والسيد سليمان الندوي وغيرهم، ونال شهادة الفضيلة في الأدب العربي من جامعة لكناؤ، وكذلك شهادة الفضيلة في تفسير القرآن الكريم، كما حصل على شهادة المنشئ من كلية بومباي الشرقية، وشهادة أديب كامل من جامعة أردو.

• للشيخ محمد سعيد نشاطات كثيرة، فهو عضو في عدة جمعيات منها: اللجنة الاستشارية لجامعة دار العلوم ندوة العلماء، ، ودار المصنفين أعظم كره، ودار العلوم تاج المساجد بهوبال، ورئيس لجنة الوقف الأسبق للولاية، ورئيس الدائرة المجددية في ولاية بهوبال.

• ينظم شاعرنا القصائد باللغة العربية منها؛ في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يقول فيها:

يفوح الهواء بعطر فريدٍ
بذكر الحبيب المطاع المجيدِ
نبي كريم رسول الورى
بعلم ونور وحكم أتى
هدى الناس حقًا سواء السبيل
بوحي العلي الحكيم الجليل
بفضلٍ من الله نال الكتاب
ففيه النجاة وفيه الصواب
تعالوا إلى المجد يا عاقلون
تأسوا بذي النور يا قائدون
هو النور أحمد علا قدره
وفي كل سفرٍ أتى ذكره
بحسن وخلق بدا وصفه
بصدق وجود ذكا عرفه

• قصيدة عادية ليس فيها أي جديد، ولم تخرج عن كونه ناظم، دون أن يكون هناك ما يشير على قدرته العالية. وله أيضًا قصيدة في بعثة الرسول- عليه أفضل الصلاة والسلام- يقول فيها:

(١) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية ص ٤٤٠.

لقد كان في الأرض سوء النظام
وساد العقول سواد الظلام
فجاء بفوز رحيب الجهات
بفوز الحياة وفوز الممات
أضاء الطريق لكل النشر
طريقًا سويًا لنيل الظفر
طريقًا قرينًا نحسن النظام
وعهدًا وثيقًا بحسن الختام
يسيرًا جديرًا بكل الزمن
خليقًا وأهلاً لكل الوطن
فلا علم إلا بعلم الكتاب
ولا فوز إلا بفوز الحساب
فيا رب بلغه منا السلام
وصلِّ عليه دوام الدوام
أتى سعيد غلام الغلام
بعذر ومدح رسول الأنام

- يبدو أن الشاعر تخصص في المديح النبوي، فلم نر له أي قصائد أخرى، نظم الشاعر قصيدة في المديح النبوي، يقول فيها:

يا طيب زهور يا عطر ورد
طوبى لزهورك بشرى لورودك
فتحت زهورًا في غصن فؤادي
عطرت فضاء من عرف وجودك
روّجت قلوبًا من بعد كآبة
نزهت طباعًا من حسن شهودك
هذّبت نفوسًا حسّنت خصالا
نورت عقولًا من نور ودودك
غلّمت كتابًا زيّنت فعالا
أجملت نقوشًا من حسن عهودك
أرسلت بشيرًا أرسلت نذيرًا
فالرشد مبين من أجل وفودك
بناء أشرقت منارًا
فالدين عزيز من فضل جهودك
أصبحت شفيعًا للخلق جميعًا
أرضيتَ إلهًا من طول سجودك
أبصرت جمالًا شاهدت جلالا
شافهت مليكًا في سير صعودك

- شاعر متمكن من اللغة العربية، ولكن ليس لديه ما للشعراء من مقدرة فنية لنظم الشعر، فهو ناظم لكلمات مسجوعة، ومنظمة في بحر عروضي، وقافية موحدة، في الأبيات موسيقى، داخلية وخارجية، يستمتع بالسجع والمحسنات البديعية، دون أن يكون بينها رابط يجمع شتات الأفكار في معنى واحد.

- استعمل الشاعر خياله في النظم، وأخرج صورًا فنية، والجرس الموسيقي واضح في الشعر، ولكن ترتيب القصيدة ليس فيه وحدة عضوية، ولكن فيها مشاعر الشاعر، وما يكنه في قلبه من حب لرسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، فلو جعل الفكرة تتطور مع تدرج الألفاظ ومعانيها لكان أفضل.

****

سليمان بن أبي الحسن

١٣٠٢ - ١٨٨٤ هـ / ١٣٧٣ - ١٩٥٣ م

• هو العلامة الشيخ سليمان بن أبي الحسن الحسيني الزيدي الدسنوي الندوي[1]، هاجر أجداده منذ مئات السنين من اليمن، ولد في دسنه (بيهار -الهند) سنة ١٣٠٢هـ، الموافق ١٨٨٤م، تلقى المبادئ الأولى للتعليم في قريته عند أخيه أبي حبيب النقشبندي، وتعلم اللغة العربية واللغة الفارسية، ثم ذهب إلى بتنه ليدرس عند محيي الدين المجيبي، ثم درس في المدرسة الإمدادية، وبعد ذلك يمم تجاه لكنؤ، ليدخل إلى دار العلوم ندوة العلماء سنة ١٣١٨هـ، الموافق ١٩٠٠م، ومكث خمس سنوات دراسية، وحصل على شهادتها سنة ١٣٢٤هـ، الموافق ١٩٠٥م.

• كان من ضمن شيوخه في ندوة العلماء السيد عبدالحي الحسني، صاحب نزهة الخواطر، ودرس الأدب على يد الشيخ شبلي بن حبيب الله البندولي، الذي استفاد منه كثيرًا ، وكان للمقالات التي يكتبها في مجلة ندوة العلماء ذات شأن كبير، وأعجب به كثير من الناس والعلماء، ثم عيّن مدرسًا للغة العربية والأدب في ندوة دار العلوم، ثم أخذ يلقي دروسًا في التفسير والحديث والفقه.

• انتقل بعد ذلك ليكون مسؤولًا عن دار المصنفين في أعظم كره لتكون مؤسسة علمية رائدة في الهند، وكان له ذلك مع دروسه في ندوة العلماء، ثم دعاه السيد أبو الكلام آزاد إلى كلكته ليكون مساعدًا له في تحرير مجلة « الهلال» سنة ١٣٣٠هـ، الموافق ١٩١١م، ومكث سنة هناك، ثم عين أستاذًا للغات الشرقية في كلية نونه التابعة لجامعة بومباي، ومكث ثلاث سنوات، ثم دعاه أستاذه الشيخ شبلي النعماني لتكملة كتابه «سيرة رسول الله» بعد أن اشتد المرض بالأستاذ، فقام بالعمل حتى أنجز المهمة، بالإضافة إلى إدارة دار المصنفين.

• اختير ليكون عضوًا في حركة الخلافة، مع الشيخ محمد علي جوهر، والشيخ حسين الباري، وقادة المسلمين في الهند لعرض قضية المسلمين ويشرح وجهة نظرهم، وكان ذلك سنة ١٣٢٨هـ، الموافق ١٩١٩م، ثم زار باريس والقاهرة والتقى بالعلماء والمفكرين هناك، ثم عاد إلى بلاده.

• وفي عام ١٣٤٢هـ، الموافق ١٩٢٣م قاد وفدًا إلى الحجاز للصلح بين الأمير عبدالعزيز آل سعود والشريف حسين، وفي العام التالي ١٣٤٤هـ، الموافق ١٩٢٥م انعقد مؤتمر للعالم الإسلامي دعا الملك عبدالعزيز إليه العلماء من البلاد الإسلامية، وكان الشيخ سليمان الندوي قائدًا لوفد الهند، وفي عام ١٣٥٢، الموافق ١٩٣٣م دعاه ملك أفغانستان نادر شاه ليستفيد من خبرته في نشر العلوم

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ١٦٣. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٨ ص ٦٢٦. جمال والفاروقي وآخرون، أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية ص ٣٨٤.

والتعليم، فسافر مع الدكتور محمد إقبال والسيد رأس مسعود أحمد، ثم في عام ١٣٦٢هـ، الموافق ١٩٤٣م منحته جامعة عليكره درجة الدكتوراه الفخرية تقديرًا لجهوده العلمية والأدبية.

- انتدبه النواب حميد الله خان والي بوفال لرئاسة محكمة القضاء، ورئاسة الجامعة الأحمدية، ولكن في أواخر حياته ذهب إلى الحج، وزار مرقد رسول الله في المدينة سنة ١٣٦٨هـ، الموافق ١٩٤٨م، وبعد استقلال الهند، وانفصال باكستان سنة ١٩٤٧م، تغيرت الأمور في بهوبال فآثر الذهاب إلى باكستان سنة ١٩٥٠م، واستقر في كراتشي حتى وافته المنية سنة ١٣٧٣هـ، الموافق ١٩٥٣م.

- ألف الشيخ سليمان عدة مؤلفات علمية وأدبية، منها:
  - سيرة النبي محمد- عليه السلام.
  - خطبات مدراس، على موضوع السيرة النبوية.
  - العلاقة بين الهند والعرب وملاحة بحر العرب.
  - كتاب عمر المختار.
  - أرض القرآن، بحث في أماكن وبلدان ذكرها القرآن الكريم.
  - سيرة عائشة- رضي الله عنها.
  - سيرة مالك، الإمام مالك بن أنس.
  - حياة شبلي، سيرة حياة العلامة شبلي النعماني.
  - روائع سليماني، مباحث في اللغة والأدب.
  - له تعليقات وحواشي على بعض الكتب العربية.
  - دروس الأدب، للأطفال في مجلدين.

- وله مقالات كتبها لمجلة «معارف» الإسلامية، ولمجلة «الضياء» الصادرة عن ندوة العلماء.

- وعندما منحت جامعة عليكره درجة الدكتوراه الفخرية للآداب للشيخ سليمان وذلك لأنه شاعر ومهتم باللغة العربية وآدابها، وله قصائد كثيرة ومقطعات، ومن قصائده التي يصف فيها غروب الشمس قوله:

كأنما الشفقُ الممتدُّ في الأفقِ
خمرٌ معتقةٌ شُجَّتْ لمغتبقِ
خمرٌ يعتِّقُها أغلى «هَمالايةٍ»
شجَّت، بماء غمامٍ هامرٍ غدقِ
كف الطبيعةِ تسقي الناسَ أكؤسَها
ويلٌ لمن هذهِ الصهباءَ لم يذقِ
تحسو القلوبَ حميَّاها إذا نظرتْ
إلى السماءِ بأقداحٍ من الحدقِ
والطيرُ تشربها حينًا تروح إلى
أوكارها صافرات السجع في حِلَقِ
والريح سائرةٌ في روضةٍ أنُفٌ
تهدي السرورَ حوباء منتشقِ
دنٌ من القهوة الصهباءِ في الأفقِ
والكأس تطفو لا الشمس في الأفقِ
بل إنه برقعٌ قانٍ له شيةٌ
والشمس وجه حبيبٍ بالحجاب يقي
بل إنما الشمس للصواغِ بوتقةٌ
قد ذاب عَسجدُها وانثَجَّ في طرقِ

بل إنما الشمس من أعمارنا قتلتْ
يومًا فسال دم جار من العنقِ
فذلك الشفق المحمرُّ من دمه
وقبرُه ليلُه المستور بالغَسَقِ

• نظرة جديدة إلى غروب الشمس، فهي في لونها تشبه الخمرة المعتقة التي غذيت من جبال الهيملايا، والقارئ يحسب أن الشاعر يتكلم عن الخمرة المعروفة، لا عن شفق الشمس وقت الغروب، وهذا تصوير رائع فالخمرة في الكأس مثل أشعة الشمس الحمراء، وإذا نظرنا إلى شعر الحكمة عنده نرى شيئًا آخر، فيقول:

هَبْ أني سلطان
هارونُ أو ساسانُ
خضعت ملوكُ الدهر لي
كسراهُ والخَاقان
فالسودُ تحت أوامري
والحمرُ قد دانوا
ولي الزمان مساعد
ليَ الأمر والإيوان
ربض ينافي الفرقدين
وبينه بستان
آجره من عسجد
بنيت به الجدران

• ويتابع قوله:

وطنافس ونمارق
غلت بها الأثمان
وأرائك ذهبية
فقدت لها الأقران
ويبيت لي رشا تخاف
جنسه الغزلان
في عينها سحرٌ وفي
أصداغها ثعبان
حسناء آنسة الحديث
كلاهما قمران
بيضاء سحنتها
والسود فرعها قنوان
فإذا الصباح بدا لنا
نعقت به الغربان
فتقلبت أحوالنا
حالت بها الأزمان
أتت الحوادثُ بغتةً
وتهدم البنيان
أين الأسرة والمسرة
والدي الشان
فالدهر أفسد ما بنا
وتشتت الخلان
وأبادهم حدث الزمان
كأنهم ما كانوا
فتخيرت نفسي وقالت
غرني الحدثان
أأرى أنا في النوم هذا
أم أنا يقظان

فسمعتُ هتفًا من منا
دٍ أيها الحيران
إنَّ السرور تخيل
يتخيل الإنسان

• يتخيل الإنسان أنه في سعادة مادام عنده ما يريد، فيعيش في رغد العيش، ويحصل على مبتغاه، ولكن هل يضمن السعادة؟!! قد تنقلب الأمور ويعيش في تعاسة، والغنى أصبح غفرًا والسعادة تحولت تعاسة.

• من النظم الجميل لدى الشاعر سليمان الرباعيات، فقد سطر بقلمه رباعيات، فيها الحكمة والتربية، يقول في قصيدة له:

لا يعرض الفضل بين الناس في الرتبِ
وإن علا بعضُهم بالمالِ والرتبِ
حتى الشدائد تبلوهم وتعجبهم
فالنار تفرق بين العود والخشب
إنّ الأنام نيام عيشهم طيف
وكل ما هم رأوا في نومهم كيف
ليست حقيقة هذا الدهر إلا إليَّ
فلا ربيع ولا برد ولا صيف
قد كنت في الدهر قبل الأمس ذا ولد
وأمس صرت فتى زهر الشباب بدا
واليوم شبتُ وريب الدهر أدركني
وليت شعري ماذا بي يكون غدا
لا تغترر بسرور ذاهب فانِ
ولا تهم به نفس إنسانِ
فبعد ما أكل الإنسان أكلتَهُ
حلو الضريب ومرّ الصبر سيانِ
إنّ الحياة كتابٌ وهْو متسقُ
وكل يومك من أيامها ورق
لا الموت معناه إلا أن تفرقه
الريح فتنتشر الأوراق تفترق

• الشاعر العلامة الشيخ سليمان حكيم الشعراء، وهذه القصيدة فيها الهمة والتجربة، فهو يقرر أن في الحياة تبدل وتغير، فلا تبقى على حال، الفقير قد يغتني، والغني قد يفتقر، والمريض يشفى، والصحيح يمرض، فهو عالم ومراقب لحال الدنيا التي لا تدوم على حال.

• وله قطعة عن الموتِ أيضًا يقول فيها:

حتامَ تخشى المنايا فهي آتيةٌ
وتنفد الموتُ أعدادًا من النفسِ
إنَّ الحياةَ ثيابٌ والردى دنسٌ
حتى متى تتقي الأثوابَ من دنسِ

• يبدو أن الشاعر له قدرة كبيرة على نظم الشعر باللغة العربية، فالألفاظ متناسقة، وجمله متكاملة، وأسلوبه معروف ومفهوم ويدرك معناه كل من يقرأ العربية، أعطاه الله علمًا وفهمًا وإدراكًا بحيث استطاع أن ينظم هذه القصائد المتوازنة بين اللفظ والمعنى، وخيال مبتكر استعمل فيه الصور الفنية البلاغية، بحيث أعطى صورة رسمها فنان قادر على التصوير الفني الرائع، دون أن يوحي بالمعنى الخفي من الصورة البلاغية.

- وقف الشاعر أمام لوحاته الفنية ليجبرها على الانعطاف إلى الواقع العملي الذي يعيشه الناس في المجتمع فتظهر فيه التجربة الشخصية له من خلال فهمه لسلوك الناس ومعاشرتهم، فأتى بالحكمة والنصيحة في الوقت نفسه، فهذا هو الشاعر الملتزم بقضايا مجتمعه، ومعرفة ما يدور حوله في العالم ويتفاعل معه طبقًا لقناعاته الفكرية والاجتماعية، فسلامة المجتمع من سلامته، فضلًا عما يتحلى به شاعرنا من خلق كريم وتسامح ورؤية ثاقبة للأحداث، يتحلى بهم الأديب الملتزم، والشاعر الفنان.

****

سيد نبي سيد إسماعيل

١٣١٩ - ١٣٨٩ هـ / ١٩٠١ - ١٩٧٠ م

- ولد سيد نبي بن سيد إسماعيل[١] في حيدرآباد سنة ١٣١٩ هـ/ ١٩٠١م، تعلم الكتابة والقراءة في بلدته، ثم التحق بدار العلوم بحيدرآباد، وحصل على جميع المقررات الدراسية وفاز بشهادات؛ المولوي، والعالم والفاضل، والمنشئ الفاضل، والكامل، وتعلم اللغة الإنجليزية، وكان جميل الخط في اللغتين.

(١) محمد سلطان محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي ص ٤٣٤. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٤١٥.

- ومن أساتذته السيد إبراهيم الرضوي، الذي علمه العربية وآدابها، ومولانا شير علي تعلم منه علم الكلام والحكمة والعقائد، والسيد جمال الدين النوري قرأ عليه العربية والفارسية، ودرس المنطق عند الشيخ أحمد حسين، وكان تلميذًا ذكيًا سريعًا في اتقان العلوم والفنون.

- بعد تخرجه عمل مدرسًا في عدة مدارس لتدريس اللغة العربية، ثم تحول للتدريس في الكلية المدنية بحيدرآباد، فكان يدرّس اللغة العربية والمقررات الدينية، وبعد أن ذاع صيته ومقدرته استدعته الجامعة العثمانية وعيّنته أستاذًا مساعدًا، وتتلمذ على يديه بعض كبار القوم، والأساتذة، وظل يعمل حتى وافاه الأجل المحتوم وتوفي سنة ١٣٨٩ هـ/ ١٩٧٠م.

- ألف السيد نبي عدة مؤلفات، منها:
  - **منهاج العربية في تدريس العربية.**
  - **درر منظومة، ديوان شعر.**
  - **قصيدة المدينة المنورة، وقصيدة رثاء في الإمام الحسين.**

- بعد انقسام الهند إلى دولتين جرت حوادث مؤسفة بين الناس، وراح ضحيتها عدد كبير من الأبرياء، وحدثت مجزرة في بيهار، ذاع صيتها في العالم، واستنكرتها جميع الطوائف، في الهند وغيرها، فوقف السيد نبي يرثي شهداء بيهار، الهند، ويصف المجزة بقوله:

ألا تبكي وقد عمَّ البوارُ
بني الإسلام سكنهم بيهارُ
أحاط بهم من الأعداء لدٌّ
خباث لا يباريهم قدارُ

وكـــرَّت بـعـد ذا مـنـهـم ألـــوفٌ
وفـي الظلماء ضاق بهم حصارُ
ومـــن خـيـلٍ ومـــن إبـــلٍ عليهم
وأفـيـــالٍ لـقـد جـلـبَ الـقـطـارُ
فـلـم تـسـلـم عـجـائـز أو شـيـوخ
ولـــم تـسـلـم كـبـــارٌ أو صـغـارُ
وقـتـلـت الـنـسـا حـتـى الـصـبـايـا
وحـرقـت الـبـضـائـع والـديـارُ
ألـهـفًـا عـمـهـم قـتـلٌ ونـهـبٌ
وحـــرقٌ أسـتـطـيـر لـه شـــرارُ
فـكـم مـن أسـرةٍ لـم يـبـقَ مـنـها
رضـيـعٌ ذو تمـائـمِ إذ أغـاروا
ومـــا مـــن بـلـدةٍ لإلّا وفـيـها
فـســادٌ مـفـظـع دام يـثـارُ
ولـــم يـكـن ذنـبـهـم إلّا اتـبـاعًـا
لـديـن الحـق مـا فـيـه ضـــرارُ
أحـــاط بمـن نجـا مـنـهـم رزايـا
فـمـا مـنـهـا وقـــاء أو فـــرارُ
ومـــن بـالأمـس كـانـوا أغـنـيـاء
أصـــاب الـيـوم كـلـهـم افـتـقـارُ
لـينـظرَ نـحـوهـا الـنـظـارُ كـم من
كـرابـلَ قـد تـضـمـنـهـا بـهـارُ
فـيـا لـيـت الحـسـين يـجـيء يـومًـا
فـيـنـظـر مـا نـهـم فـعـل الـشـرارُ

لـقـد جـرت عـلـى الإسـلام دهـمًـا
طـغـاة الـشـر وافـاهـا اقـتـدارُ
إذا الـتـجـأوا إلـيـهـم لـم تجرهـم
حكومتهم وقد كانوا استجاوا

- عبر الشاعر السيد نبي عن المأساة التي حلت بمجموعة من الأبرياء، الذين قتلوا نتيجة للتعصب، والتقسيم الجائر، الذي حرك تلك الضغائن والإحن.

- كان الشاعر قد ذهب إلى الحجاز، وأدى مناسك الحج، وذهب إلى المدينة المنورة لزيارة رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- فنظم الشاعر قصيدة باسم: المدينة المنورة، يقول فيها:

شَـذَتِ المدينـةُ أرضُـها وسمـاؤُهَـا
بـشـذى إمـام الأنـبـيـا وجـواؤُهَـا
وجـبـالـهـا وتـرابـهـا ونـبـاتـهـا
وثـمـارهـا ومـيـاهـهـا وهـواؤهـا
تُـروي ربـاهـا رحـمـة الـلـه الـتـي
وسـعـت خـلائـق هـاطـلًا أنـواؤهـا
شمس الهدى والحق قد لاحت بها
جـلـي الـغـيـاهـب كـلـهـا أضـواؤهـا
أجـمـا بـهـا، أكـرم بـهـا، أعـظـم بها
جـنـانُ عـــدنٍ لا مـــراء فـداؤهـا
قد زينت بالخُلق والخَلق الوضي
أطـفـالـهـا ورجـالـهـا ونـسـاؤهـا

بشرى لكم طُوبى لكم يا أهلَها
حُزتم فضائل لم يطق إحصاؤُها
لا تسألوني عن مآثرِها التي
قُدست وجلّ بقيعها وقباؤُها
سل ما تشاء الآن ربُّك يستجب
هذي ديارٌ لا يردُّ دعاؤها
وانهب بهاها ما استطعت وخيرها
فإذا طعنت فأين منك بهاؤها
لا يدخلنَّ ثغورها إلا الذي
في قلبه آدابُها وعلاؤها
لا يشك صبٌّ غربة وصعابها
إنَّ المحبة معجبٌ أرزاؤها
صَلُّوا وجودوا إخوتي ما استطعتم
صلواتها مقبولة وسخاؤها

• قرأ الشيخ أحمد الرفاعي شيخ الحرم هذه القصيدة فبعث برسالة إلى السيد نبي فمدح، وقدح بعض الأبيات، فرد عليه السيد نبي بأبيات يقول فيها:

أسرر الاعتذار مني
إليكَ إن كنتُ قد أسأتُ
وليس أحرى بذي الحجى أن
يعاند الحقَّ حين قلتُ
ولستُ أخفى ولستُ أخشى
أولي اللغات إذا أصبتُ
لا يحقر الشيخ أنّي من
مدائن الهندِ إذ نسيتُ
ولا أبالي بقدحٍ ندٍّ
إن كان حقًا به نطقتُ
لا فضلَ للعربِ فوق عجمٍ
بدون حقٍّ أما صدقتُ؟

• جميل أن يرد الشاعر على بعض الهنات منه شعرًا ليوضح حقيقة الأمر، ويدل على التمكن من إدارة الحوار بالشعر، لا النثر، وهو قادر على ذلك،، فقد تشرب العربية من أعظم أساتذتها، وقرأ أمهات الكتب العربية، وعرف مكانة العلم والعلماء، لذا نراه ينظم قصيدة في فضل العلم، يقول فيها:

تعلَّم العلمَ فهو خيرُ مكرمةٍ
من يُحرم العلم يُحرم جملة النعمِ
أقلّ علمًا أشدُّ الناس منقصةً
وأكثرُ الناسِ علمًا خيرُ محترمِ
إن شئتَ علمًا وفضلًا فاجتهد نشطا
له زمانًا بعزمٍ غيرِ منهزمِ
لا تكرم الجاهل الضافي الجباب ولا
تُهِن ذوي العلم من أزياهم الردمِ
لا خير في قائدٍ لا يستقرُّ على
ما قالَ من كلمٍ في كلِّ مزدحمِ

من يختلف قوله عن فعله أبدا
يُحرم وثوقًا ويسقط سقطة القزمِ
لا تنصحنَّ أبـدًا إلّا لقابله
وإن نصحتَ لجوجًا عاتيًا تلمِ
لا ترمِ بالقولِ أو بالفعلِ ذا نفس
من يَرمِ يُرمَ ومن لا يَرمِ لا يُرمِ
قل ما هو الحقّ لا ترتدّ عنه ولو
جلّ الرشي أو صلَّيتَ جمحة الضرمِ
لا تنظرن إلى من قال محتقرًا
بل انظرن إلى ما قيل من كلمِ
أقلل كلامك لا تكثره إنه من
يكثره يخطأ ويلزم حسرة الندمِ

• رجل حكيم وشاعر بليغ، وناظم جيد للقصائد العربية، وقدرة الشاعر السيد نبي كبيرة في نظم الشعر العربي، وتمكنه من الاستجابة السريعة نظمًا فهو لا شك أنه يمتلك قدرة فائقة على التصدي للأقوال المخالفة.

• استخدم الشاعر بحور الشعر العربي التقليدية، وقوافي ذلل، فمزج بين اللفظ والمعنى، وأنتج أبياتًا معبرة عن أفكاره وروآه، امتلك ناصية اللغة بكل جدارة، وتصرف بها في صنع أبياته، فجاءت بحسب ما يريد، وتنوعت موضوعاته، وسار بها خير سير، وبسط القول فيها، وبرزت الحكمة من خلال قصيدة فضل العلم، التي أبدع بها، وبين للناس مكانة العلم.

• استثمر الشاعر خياله في الوصف وفي الحكمة، وخلق بيئة شعرية تسر القارئ، وتبعد عنه الملل والسأم، وأنتج صورًا فنية بلاغية، جعلت للقصيدة قيمة جمالية، وذات جرس موسيقي، من خلال الموسيقى الداخلية والخارجية، وهذا يدل على قدرته، وتمكنه من النظم باللغة العربية.

****

سيف الدين بن حسين

٠٠٠ - ٠٠٠ هـ / ٠٠٠ - ٠٠٠ م

• هو سيف الدين بن حسين بن نور الدين المنطقي البيهقي[1]، ينتهي نسبه بالإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، عليه السلام، وكانت أسرته تسكن خراسان في عهد الأمير تيمور، واشتد الظلم لهم فهاجر الجد نور الدين إلى كشمير، وولد فيها سيف الدين، ولم نعلم تاريخ ميلاده، وبعد هجوم جنود الهند على كشمير، في عهد الامبراطور أكبر، ذهب مع عائلته إلى دلهي، ثم عاد بعد طلب سلطان كشمير منه العودة، ففي هذه الأسرة ولد

(١) محمد مظفر حسين الندوي، مساهمة أهل كشمير في اللغة العربية والأدب العربي ج١: ٢٨٠- ٢٨٢.

الشاعر سيف الدين في تاره بلي، ودرس في كشمير الفقه وأصوله واللغة الفارسية والعربية.

- للشاعر قصيدة في مدح رسول الله، يقول فيها:

حبيبي أبطحيٌّ يثربيّ
قرشيٌّ نبيٌّ هاشمي
تهاميّ حجازٌ وفيّ
فصيحُ النطقِ حفي
نبيّ نور الدنيا فحيّاهُ
صفي عطر الأكوان دنياهُ
إمامُ الأنبياء والأتقياء
هما الأصفياء والأولياء
رسول سابق للخلق نوره
وصول رحمة عظمى ظهوره

- وهذه القطعة على هذا المنوال، وفي نهايتها يقول:

ترحم يا حبيب الرب واشفع
تكرم يا طبيب الخلق وانضع
مودتُ آلك الأبرار رحمة
هدى أصحابك الأحرار نعمة
أيا بشرى لقوم تُشفعونا
فلا خوفٌ ولا هم يحزنونا
كريمي تنصر المستنصرينا
رحيمي تغفر المستغفرينا
لك الأفضال والإكرام والبرّ
وعنّي بالندم فرّج كروبي
غفور التائبين اغفر ذنوبي
وخِرني يا نصير المستخيرين
تفضل يا وحيدًا بالتعزُّز
كريمُ الصفح يا حسن التجاوز
ترحم يا دليل الحائرينا
كرّم يا كفيل الفاترينا

- وفي نهايتها يقول:

وأيّنا بألطاف تغنينا
وشفّع سيد الأبرار فينا
فأوصلنا إلى أعلى المعالي
ووفق بالمعالي من دعا لي

- الشاعر سيف الدين الكشميري يمتلك قدرة غير مستغلة، من قبله، فهو يعرف أدوات النظم، ولكنه حشر نفسه في بوتقة النظم الساذج، وموضوع واحد، فشعره بسيط، لا غموض فيه، ولا شاعرية، فهو احتفظ بالقافية والبحر، وترك ما في الشعر من جمال اللفظ، وقوة العبارة، وسمو السبك، ورفعة المعاني، وإن كان عبر عن عاطفته، ونزوعه نحو الله ورسوله.

****

سيف بن حسين القطيعي

٠٠٠ - ١٣٨٣ هـ / ٠٠٠ - ١٩٦٤ م

• هو الأستاذ سيف بن حسين القطيعي[١]، من سلالة سلاطين المكلا في حضرموت، ولد في حيدرآباد، الدكن، ونشأ بها وتعلم العربية والفارسية والأردو، درس المراحل الابتدائية، ثم أخذ العلوم والفنون من دار العلوم الشرقية، ثم التحق بالجامعة العثمانية، ودرس اللغة العربية وآدابها حتى حصل على شهادة الماجستير، وبعد ذلك درس أيضًا الحقوق حتى نال شهادة الباكالوريوس في الحقوق، بعدها أصبح محاضرًا للغة العربية في الجامعة العثمانية.

• لحضرموت لغة خاصة يتحدثون بها محليًا، وهي من بقايا اللغة الحميرية، على ما يقال، وبما أن شاعرنا أصله من تلك المنطقة فهو يجيد اللغة، وكتب كتابًا حول اللغة الحضرمية، فجمع مفرداتها ومحاوراتها، وكل ما يتعلق بها وسماه «خصائص اللغة الحضرمية»، كما رتب اللغة العربية مع لغة الأردو، أسماها «المعرب» ، وله أيضًا «شكوى» محمد إقبال، وأسماه «شكوى الخال إلى الله المتعال»، وعرب كذلك رباعيات الخيام، وأسماها « فوح المدام عن رباعيات الخيام»، وكل مآثره موجودة في الجامعة العثمانية.

• صاغ الشاعر رباعيات الخيام بطريقته، وبنظمه، فقد غير بعض الألفاظ غير المناسبة لذوق المسلم الملتزم، وكان موفقًا في عدم الإخلال بالمعنى الذي قصده الخيام، فالشاعر سيف، له بعد عقلاني في النظم، وبعد روحي في صياغة منظومات غيره، فنراه في الرباعيات يقول:

لا أرى عملي أو أتناسى أملي
هم أمسي بعد يفشل مني فشلي
قد شكى الطيرُ فهل أسكت عما يعني
لستُ تمثال جمودٍ صامت لا حسَّ لي

إنّي الناطق بالنطق جسور الكلام
أشكو الله ويا ليت سدادًا بفمي
نحن لا ؤيب ليسليم قضاه صبر
إن جرى الشكوى فقد فاجأ أمر نكر

نحن للصبر ولكن فوار الصدر
أرغم الفاه وذا صوته عتب عذر
فاسمع الشكوى إلهي لذوي الإيفاء
يعني الحمد تناجيك الضرّر

قبلنا أرضك كانت عجبًا للنظر
يعبدالناس بها من حجر أو شجر

(١) محمد سلطان محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي ص٤١٣.

كما ترى العين لهم ربهم المسدود
كنت يا رب عن الخلق إذًا في ستر
هل بذكراك جرى اسمك بالأفواه
هل سوى المسلم من عضَّد أمر الله
أي قومٍ لسوى ذاتك منها الصد
همها نصرك بالعضب ومنها الجلد
به من شأنك تسطو بديار الخصم
وبتكبيرها في أرض هلال رشد
من حشا الرعب حاشا ذي وثن عن وثن
قل هو الله إذا قيل له خر سجد
إن دنا وقت صلاة بوغي ملتحم
واجهوا البيت ركوعًا وسجودًا لفم
وإياز مثل محمود عديل صفا
موقف يجعل محكومه كفء لحكم
فيه عبد كمليك وفقير كغني
قبلة الله تساوي برفيع ودني
نحن في كل مكان وأوان رسل
نقتفي الشرك لتستأصل منه الوصل
ببلاغ منك طفنا جبلًا أو سهلا
أترى خاب لنا الجهد وأكدى العمل
لم نذر وعر فلاة وعباب السيل
بحر ظلماتك خضناه بسفن الخيل
ملأ أفواه ذوي الكفر أنازلنا
سرهم قول: أولوا الكعبة مالوا عنا
قيل زوار منى اليوم حداة الإبل
قد طووا المصحف والسيف وحادوا وهنا
أين شعراك غدا يبتسم الإلحاد
عل لك الفكر لتوحيدك والإسعاد؟
أمة توحدها الرحم أغنتها رحما
كسليمان دع النملة تلقي عظما
واعض ديّارة الهند هدى الإسلام
وارخص العالي والحب وهبه وعما
لم تزل حسرتنا القلب لتجريه دما
لزفير كل جرح منه قد صار فما
فعسى صوتي يجتاز بشغاف الكبد
ونفيري يقظة القوك لذاك الصدد
وعسى نفخة حث لوفاء العهد
وهدى السير إلى غاية ذاك الأمد
إنَّ خمري عربي ومزّفت هندي
من رباب أعجمي ليَ لحنٌ كِندي

• لم أثبت هنا الأصل الفارسي للرباعيات، فقط الترجمة التي قام بها الأستاذ سيف، ويبدو مدى مقدرته على حفظ النص بكل أبعاده، ومعانيه، وقدرة الشاعر الفنية على النظم كبيرة، واستخدام الألفاظ التي تؤدي المعنى في الرباعيات، دون تدخل منه في تغيير المعنى، وقد يتدخل في بعض الكلمات القليلة لمناسبتها للإسلام أكثر من الأصل الفارسي.

- للشاعر قدرة على النظم باللغة العربية من خلال الألفاظ والتراكيب العربية والأسلوبية، بحيث تظهر في الترجمة قدرته اللغوية والفنية، وهو شاعر متمكن من عمله، ويجيد النظم والترجمة. ولم يذكر المصدر تاريخ وفاته.

****

س

شاه الحميد بن سيد محمد

١٢٧١ - ١٣٣٩ هـ / ١٨٥٤ - ١٩٢٠ م

- هو الشيخ شاه الحميد بن سيد محمد (صاحب الجلوة)، الإمام العروس[١]، وهو من أسرة لها مكانة علمية عريقة، وخدماتها في مجال الدعوة والإرشاد، ولد شاه الحميد في ولاية تامل نادو سنة ١٢٧١هـ، الموافق ١٨٥٤م، درس عند والده، ولما بلغ التاسعة من عمره حفظ القرآن الكريم، وتعلم اللغة العربية والفارسية ولغة عرب تامل (اللغة الأروية)، وهي لغة جنوب الهند.

- أبوه السيد محمد كان عالمًا كبيرًا في جنوب الهند، فدرس الشيخ شاه الحميد عند أبيه النحو والصرف، وتاريخ المسلمين، وتاريخ الأدب، كما تعلم منه أيضًا علم الحديث والسيرة والتفسير، ودرس أيضًا علم التصوف والعقائد الإسلامية، وتعلم علم العروض ونظم الشعر، لأن والده كان شاعرًا أيضًا، فلم يرحل الشيخ شاه إلى مدن أخرى لاستقاء العلم والتعلم، وكان عالمًا في كل ما تعلمه من أبيه.

- امتهن الشيخ شاه الحميد التجارة، ويدير محلًا تجاريًا أسسه والده، كما له آخر في منطقة أخرى، ويملك أيضًا أراض زراعية، وأصبح عضوًا في أحد المجالس المحلية، وتزوج وأنجب ولدين وبنتين، وبعد وفاة زوجته تزوج من أخرى وأنجب ولدين وبنتين أيضًا، وكانت للشيخ مكانة كبيرة بين الناس، وعندما يزور سيلان ويخطب هناك يحتشد الناس لسماع خطبه.

- أراد الشيخ الذهاب على الحج ولكن الناس عارضوا رحيله ولو لمدة قصيرة، لذا نوى الحج سرًا وخرج من بلدته ليلًا مع ابنه أحمد إلى محطة القطار ثم في السفينة إلى جدة، فلما وصل هناك لم يستطع الذهاب إلى مكة لأداء فريضة الحج لأنه مرض وتوفي هناك ودفن في مكة سنة ١٣٣٩هـ، الموافق ١٩٢٠م، ورثاه بعض من عرفه من شعراء الهند.

- كان الشيخ شاه الحميد شاعرًا ينظم شعره باللغة العربية الفصحى، وينظم الشعر بالمناسبات، فقد كتب كتابًا باسم «مرقاة النحو» في النحو العربي، وكتب مقدمة لهذا الكتاب شعرًا ، يقول فيها:

كتابٌ صغيرٌ حلَّ قدرًا منزلا
وسفرٌ عزيزٌ بالإجازة قد علا
أيا طلبة النحو الشريف عليكم
بمرقاة نحوٍ فاجعلوها لديكم
جزى الله خيرًا للمؤلف أعظما
وأحسن أجرًا ما طيور ترنما

- ونظم الشيخ شاه مرثية في أبيه تتكون من مئة وعشرين بيتًا من الشعر العربي الفصيح، كما نظم قصائد أخرى

(١) ك. م. ع. أحمد زبير، أسرة الشيخ صدقة الله ص ٢٣٨. (بحث مخطوط. ولم ينشر).

كثيرة، ونظم قصيدة في أحد المراكز الإسلامية في سرنديب (سري لانكا) قال فيها:

يا رب احفظ كل مسلمينا
في دكُّوَلّي من شرور الدنيا
وجميع آفات الدنا الأخرى
وارضهم أوجب لهم غفرانا
وباركن رحيم في أموالهم
وولدهم وحر فهم رخمانا
أعمارهم طوّل واخلص عملهم
لوجهك الكريم يا منانا
ووسعن أرواقهم حلالا
وأرغدن معاشهم ديّانا
وطهرن قلوبهم من الريا
ومن سواك والهوى سلطانا
بجاه سيدنا محمدٍ النبي
والغوث محيي الدين يا برهانا
وببركة الدعا لعالم عروس
سيد محمدٍ الولي سبحانا
واقبل دعاء شاه الحميد واحمه
واحفظه كل ساعة أحيانا

- هذه قطعة بسيطة سهلة، لا خيال فيها، ولا أسلوب جيد تحتويه، فالألفاظ مباشرة، والأسماء كما هي، والنظم بسيط، ولم أجد غير هذا النظم في سيرته.

****

شاه حيدر الحسيني

١٢٥٠ - ١٣٧٥ هـ / ١٨٣٤ - ١٩٥٥ م

- هو الطبيب سيد شاه حيدر بن سيد محمد الحسيني[١]، ولد في حيدرآباد، الدكن، سنة ١٢٥٠هـ، الموافق ١٨٣٤م، وهو من أسرة ذات ثروة ورخاء، ولها حظوة عند الحكام، تعلم في حيدرآباد دروسه الأولى، وأكمل الدرس النظامي على يد العلامة الشيخ عبدالحكيم الأمروهي، كما درس الطب على يد الطبيب المشهور منصور علي خان، ونجح بدرجة عالية في الطب اليوناني (الطب العربي) ، وتم تعيينه أستاذًا لتدريس الطب والمنطق والفلسفة في كلية الطب.

- وكان شغوفًا بتدريس المعقول والمنقول، إذ كان يدرّس الطلبة في بيته بعد صلاة الفجر، وفي المساء يحضر درس الفتوحات المكية، الذي يلقيها مولانا أنوار الله، واستفاد منه كثيرًا، وكان أيضًا عضوًا في مجلس إشاعة العلوم، وصحح كتبًا كثيرة، وله تعليقات على بعضها، وألف كتبًا ورسائل، بالإضافة إلى نظم الشعر بالعربية. ومن أهم كتبه:

  - **الاقتياس في أصول الفقه، بالأردو.**

(١) محمد سلطان محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي ص ٣٩٤.

- كتاب في الصرف العربي.
- رسالة التشريح الضروري، بالفارسية.
- ترجم كتاب المرقاة (المنطق العربي) إلى الأردو.
- نظام المنطق ونظام الفلسفة بالأردو.
- حلول شرح الأسباب بالعربية.
- طب أصغر بالفارسية.
- اختصر كتاب التصريح وشرح الجغمني بالعربية.
- رسالة التنبيه الشديد للفار من التقليد.
- رسالتان في المواعظ بالأردو.
- رسالة في الولائم والعقيقة بالأردو.

- مؤلفات زادت على العشرة، وشغف بالتدريس، وقدرة على نظم الشعر بالعربية، فهو جامع لعدة أمور، وفنون، ومن شعره في الثناء على الله قوله:

سبحان مَن فوق عرش استوى
أفضالُه مدعّم الورى
بشيرٌ لمن جاءه مقبلا
نذيرٌ لمن آبِقٌ مُدبرا
هو المخرجُ الحي من ميتٍ
هو يبعث الموتى يوم الجزا
خبير بما كنتم تكتمون
عليمٌ على قلبكم ما نوى
بصيرٌ خبيرٌ حكيمٌ عليم
لما سوف يأتي لما قد مضى
من الله بشرى لمرجوة
لمن آمن صدق واتقى
غفور لمن تاب واستغفر
شكور لمن آتيه شاكرا
عزيز على أمره غالب
حفيظ ولا مثله حافظا

- بعد حالة الثناء على الله سبحانه وتعالى، يتجه إلى رسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام- فيقول:

إلينا لقد أرسل مرسلا
رؤوف رحيم مقتدى مهتدى
دجى الليل وجهه بدر الدجى
وحين الصباح لشمس الضحى
ومن آية ربه قد رأى
وما ضل صاحبنا وما غوى
اشفع من الله يا مصطفى
«أثير» على بابك قد أتى

- هذه قصيدة يرجو الشاعر الله أن يغفر له، ويستشفع برسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- فهو الشفيع عند الله سبحانه وتعالى، والقصيدة سهلة لا خيال فيها، ولكنه أرادها في ميزان حسناته، وعاصر الشاعر الملك عثمان علي خان، الذي له أفضال على التعليم في حيدرآباد، فأسس الجامعة العثمانية، ودائرة المعارف العثمانية والمستشفى العام، لذا له فضل كبير على السكان، فنظم الشاعر قصيدة يمدح بها ذلك الملك، يقول فيها:

الملك عثمان علي خان ذو الحشمْ
من ذاته عند العطا بحر الكرمْ

الـنـاس يـفـتـخـرون مـن أذكـاره
مـن مـلـك عـرب أو مـلـك الـعـجـم
مـلـك فـهـيـمٌ مـثـلـه مـا جـاءنـا
في العقل والتدبير وإرشاد الحكم
فـاقَ المـلـوكَ فـراسـةً وسـيـاسـةً
وعـلا أعـلـى المـآرب والـهـمـم
إحـسـانـه قـد شـاع آفـاق الـورى
فيضانه من فيض شمس زاد وعم
الـلـه ضـاعـف كـل يـوم جـاهَـهُ
أعطاه كل العمر بالفضل الأتم
اخـتـاره الـلـه لخـلـق رحـمـة
هـو نـعـمة قـد جـاء مـن رب النعم

• لم يكتف شاعرنا سيد شاه بهذا الإطراء والمديح للملك عثمان، بل زاد على ذلك بقصيدة أخرى، ويرى فضله على الناس، فيخاطب الملك، فيقول فيها:

يـأوي إلـيـك الـفـضـلُ مـن أنـحـائـهِ
يـا مـرجـع الإكـرام والإفـضـالِ
جـاد الـومـان ومـنـه جـودك أجـود
يـبـقـى ويـزداد بـكـل الحـالِ
يـجـلـو ويـعـلـو الـعـلـم أعـلـى رتـبـة
عـزًّا وقـدرًا حـتـى بـأوج كـمـالِ
زان الـورى علمًا وفضلًا كاملا
وزان جـهـل طـبـائـع الجـهـالِ
ما كان يأتي صار عندك ما مضى
فـكـان عـهـدك فـاقـد اسـتـقـبـالِ

• هذا المديح لملك صنع بلدًا جديدًا في حيدرآباد، وأنشأ دور العلم والثقافة فهو جدير بهذا المدح، وواجب على الناس أن ينظروا نظرة احترام وتقدير لهذا الملك المثقف، صاحب النظرة الثاقبة في مستقبل بلاده، احتضن العلماء، ويسر لهم أعمالهم، وشجع الشعراء والعلماء على العمل لخلق دولة رائدة في الهند، قبل الاستقلال، لذا يستحق كل الاحترام والتبجيل.

• تزدهر الطبيعة في حيدرآباد بالجو المعتدل، والأمطار الكثيرة صيفًا، لذا تتكون الغابات وتزدهر الحياة الجميلة في كل مكان، وتظهر الطبيعة الخلابة بأجمل صورها، فيستمتع الناس بهذه الطبيعة، وهي مجال لإبداع الشعراء، ومنهم شاعرنا الذي نظم قصيدة يصف فيها هذا المنظر الجميل فيقول:

رفـع الـسـحـاب وتـراكـم الإقـطـار
هـبَّ الـريـاح وتـقـاطـر الأمـطـارُ
هـبَّ الـشـمـال وسـالـت الأنـهـارُ
اخـضـرت الـصـحـراءُ والأشـجـارُ
إنَّ الحـسـانُ المـائـلات تـبـخـتـرًا
وعـلـى وجـوهـهـنَّ جـلابـب وخـمـارُ
هـنَّ الـشـمـوسُ وبـأيـديـهـنَّ كـؤوس
وفـيـهـنَّ هـلالات وبـدورُ وأقـمـارُ
شـربـنَ حـتـى صـرنَ عـاريـة الحـيـا
لـهـنَّ خُـمـار لـيـس عـلـيـهـنَّ خِـمـارُ
كـلّ المـنـابـت صـار سـطـحًـا مستوى
والـنـجـم فـيـهـا تـنـثـر الأزهـارُ
فـي خـطـة وردٍ وأخـرى نـرجـس
ولـلـصـنـوبـر وسـطـهـنَّ قـرارُ

مـدهـامـة خـضـر عـين جـاريـة
جـنـاتٌ تجـري تحـتـهـا الأنـهـارُ

- قدرة الشاعر على نظم القصيد باللغة العربية كبيرة، مستخدمًا ألفاظًا مناسبة لكل فكرة ينظم بها، فهو متمكن من المعجم اللغوي العربي، وله قدرة على تنظيم تلك الكلمات في أسلوب جميل لاخراج هذه القصائد، سواء المديح منها أو الوصف، فهو مبدع في تصوره للفكرة، ويعترف لصاحب الشأن بذلك الوصف، وأسلوبه بسيط مفهوم معروف لا لبس فيه ولا تعقيد، يسير سيرًا عقلانيًا في تنظيم الفكرة، ويوازن بين المعنى والألفاظ بحيث تعطي الفكرة حقها من الفهم والإدراك. وتوفي في حيدرآباد سنة ١٣٧٥هـ، الموافق ١٩٥٥م.

****

شاه محمد حليم عطا

١٣١١ - ١٣٧٥ هـ / ١٨٩٣ - ١٩٥٥ م

- الشاه محمد حليم عطا بن شاه مهدي عطاء العمري[١]، ولد في مدينة سلون سنة ١٣١١هـ، الموافق ١٨٩٣م، درس في مدينته العلوم الأولى، ثم درس علوم الدين والحديث عن كبار علماء عصره، منهم: حسين بن محسن اليماني، وأبو الحسن الهلوي، ثم سافر إلى لكنؤ، والتحق بندوة العلماء، وبعد تخرجه عمل في التدريس في مدينته سلون، ثم عمل في جامعة دار العلوم، وأخذ يمارس مهنة التدريس لمادة الحديث الشريف لمدة ثماني عشرة سنة.

- صاحب شيخه أبي الحسن الندوي، لمدة، وعمل معه، وألف عدد من المؤلفات منها:
  - **الكتاب الكريم في استخراج درر القرآن الكريم.**
  - **نخبة لسان العربفي لغات القرآن العجب.**
  - **تيسير الوصول إلى أطراف لأصحاب الأصول.**
  - **المعجم المفهرس.**
  - **فتح المنعم في أطراف الإمام مسلم.**
  - **اليواقيت الثمينة في أطراف عالم المدينة.**
  - **تعجيل المنفعة في أطراف الأئمة السبعة.**
  - **أسماء أصحاب الرسول وكناهم وما روى عنهم من الأئمة السبعة.**

- على الرغم من كونه شيخ دين إلّا أنه شاعر أيضًا فله قصائد ومقطوعات ولكنها تدور حول ثقافته الدينية والاجتماعية، له قصيدة في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يقول فيها:

يـا سـيـدَ الـسـاداتِ أقـسـمُ بـالـذي
أعـطـاك قـرآنًـا عـجـيـبًـا مـعـجـزا
أوتـيـتَ مـا لـم يـؤتَ قـبـلـك مـرسـلٌ
وجـمـعـت فـيـك مـعـاليًـا ومـكـارمـا

(١) مؤسسة البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٤ ص١١١.

ما فُرّقت في المرسلين جميعهم
واللهُ خصَّك بالمواهب والعطا
لولاكَ ما خلقَ السماءَ إلهنا
والأرضَ والثقلين يا فخرَ الورى
وكذلك العرشَ العظيم وكل ما
فوق السماء وكل ما تحت الثرى
ووصلت أنتَ إلى مكانٍ لم يصل
بشرٌ لإليه ولا الملائكة العلا
قد شبّه الراؤون وجهك إذ رأوا
بالشمسِ يا بدرَ التمام بلا امترا
وأضأتَ بالوجهِ المُبين بربنا
روحي فداك مشارقًا ومغاربا
هذا وقد سمّاكَ ربّك نوره
يا نورُ يا من وجههُ شمس الضحى
أنت المنزّه في المحاسنِ كلها
عن شركة المخلوق يا فخرَ الورى
ولنعم ما قد قال «حسان» الرضا
من كان بالروح الأمين مؤيَّدا
والله أحسنُ منك لم تر أعيُنٌ
واللهِ أجملُ منك لم تلد النسا
من كل عيبٍ قد خلقتَ مبرأً
وكأنما خلق الإله كما تشا
يا من إذا ذُكرَ الإلهُ ذُكرتَ في
كتبٍ منزلةٍ لنا فيها هدى
يا رحمةً للعالمين ومن به
كشفُ الشدائد والكروبِ عن الورى
يا من به نرجو عطاء الهنا
يا من إذا ذُكر اسمَه أحدٌ نجا
يا سيد الشفعاء عند مليكنا
اشفع لعبدٍ جاء بابك سائلا
ادعُ الذي يرجى لدفعِ بليةٍ
ويجيبُ مضطرًا ويرحم من دعا
ينجو الحليم بمنّهِ وبفضله
من وجع عينٍ والشدائد والبلا
يا أيها المدّاح حسبك وصفُهُ
ما فوقه أحدٌ سوى ربّ الورى

- قصيدة تحكي عن نفسها، فقد وقف الشاعر أمام عظمة رسول الله ليصف كل ما قيل عنه من كلمات وإطراء، ومديح، ووقف الشاعر مذهولًا متشوقًا لعظمة الرسول الأمين، ويأتي على ما ذكرته السيرة النبوية من مزايا وصفات تحلى بها ، وسطرها أصحابه من نثر وشعر، وذكر حسان بن ثابت- رضي الله عنه- وما نظم في حق رسول الله، ولكن الشاعر لم ينس نفسه ورجى أن يشفع له الرسول عند الله سبحانه وتعالى.

- كان الشيخ سليمان الندوي أحد أبرز شيوخ الهند في الفقه والسيرة النبوية، وكان شاعرًا، فقام بزيارة لمدينة شاعرنا، الذي وقف ينشد تلك القصيدة ترحيبًا به، يقول فيها:

بشرى لكم يا معشر الخلانِ
بقدومِ سيدنا أبي سليمانِ

كنزول غيثٍ بعد طولِ قنوطها
أو نفحة الأرواح في الأبدانِ
أعني به جبلَ التقى علَمَ الهدى
بحرَ العلوم خزينةَ العرفانِ
والسيد العلام فخر زمانه
كنز المعارف منبع الإحسانِ
قد جاءنا نعم المجيء فمرحبا
لحساب رحمة ربنا الرحمن
أهلًا وسهلًا بالذي يشتاقه
كلّ امرئٍ كالماء للظمآنِ
يا ربّ متعنا بطول بقائه
وأدمْهُ فينا دائم الفيضانِ

- قصيدة ترحيب بعالم من علماء الهند، له باع طويل في الدراسات الإسلامية والشعر العربي، وهذه القصيدة على قصرها، إنما تنم عن صدق المشاعر الفياضة لشاعرنا في استقبال مثل هذا العالم، فقد استخدم الشاعر ألفاظا تقريرية في قصيدته، وأسلوبه متيسر واضح المعالم، لا يحتاج إلى تفسير، وكلمات الإطراء في حق الصيف مناسبة لمستوى الضيف القادم، وأخيرًا الدعاء للضيف بطول العمر، وأن يبقيه للمضيف.

- الشاه محمد حليم عطا شيخ الحديث الشريف، وأستاذ الدراسات الإسلامية، وعمله بالحديث لمدة طويلة، ينظم قصيدة حول كتب الحديث، فكيف يصف تلك الكتب الحديثية، يقول في قصيدته:

كتب الحديث معاشر الإخوان
كثرت بلا عد ولا حسبانِ
لكنَّ مِنها ستةٌ مشهورةٌ
هنَّ الأصول قواعد البنيانِ
منها صحيح محمد شيخ الورى
ما في الوجود له نظير ثاني
من فاق أصحاب الصحيح جميعهم
في جودة الإسناد والإتقانِ
من أجمع الجمهور أن كتابه
ما فوقه شيء سوى القرآنِ
هذا إمام أئمة في ديننا
هذا البخاري العالم الرباني
وصحيح مسلم الذي قد فاق في
حسن الصناعة منتهى الإمكانِ
ولذاك فضله وقدمه على
سِفر البخاري بعض أهل الشان
لكن جودة وضعه قد فاقه
لا جودة الإسناد والإتقانِ
وكتاب مالك الموطأ والذي
فيه الهدى والنور للحيرانِ
يكفيه قول الشافعي بأنه
بعد الكتاب هو الكتاب الثاني

- هذه قصيدة تقريرية، لا شيء من الشعر فيها، بل هي سرد لمكانة كتب الحديث، ولم يقم الشاعر بشرح ما فيها من صحيح أو ضعيف أو سقيم، ولا نقد أو تحقيق في

هذه الكتب، بل سرد لنا ما يعتبره حق، ويقول فيه ما قاله الآخرون، حول صحة الكتب الحديثية، ومدى الاعتماد عليها في تناول حديث الرسول- عليه أفضل الصلاة والسلام- .

- بشكل عام هذا شاعر مناسبات، وخاصة المناسبات الدينية، كمدح الرسول الكريم، أو كتب السنة، وغيرها، وشعره يخلو من الخيال الفني، فهو تقريري، لا روح للشعر في قصائده، ولم نر فكرة جديدة في النظم. وانتقل إلى رحمة الله سنة ١٣٧٥هـ، الموافق ١٩٥٥م.

****

شبلي النعماني

١٢٧٤ - ١٣٣٢ هـ / ١٨٥٧ - ١٩٢٤ م

- هو العلامة شبلي النعماني بن حبيب الله البندولي[1]، ولد في قرية بندول، أعظم كره، سنة ١٢٧٤هـ، الموافق ١٨٥٧م، درس العربية على يد مولانا فاروق بن علي العباسي، ثم درس المنطق والحكمة، ولازم الشيخ فاروق فترة من الزمن، ثم اتجه إلى رامبور ودرس الفقه عند الشيخ إرشاد حسين العمري، وبعد ذلك يمم تجاه لاهور فدرس الفنون الأدبية عند فيض الحسن السهارنبوري، ثم قرأ الحديث عند الشيخ أحمد علي بن لطف الله الماتريدي، وفاق زملاءه في الإنشاد والأدب والتاريخ.

- كان قوي الحفظ، سريع البداهة، وسريع الملاحظة، ودقيق النظر وقوي الحجة، وكان واسع الاطلاع على التاريخ الإسلامي، ويحفظ كثيرًا من الشعر العربي، وقرأ معظم كتب الأدب العربي المشهورة، وكان معروفًا بشعره الفارسي والأردي والعربي، وإذا ألقى الشعر يشرحه ولو كان المستمع يعرف المعنى، وكان شديد التعصب لرأيه، وقد يستقي آراءه من غيره، وكان معتزلي في الأصول شديد النكير على الأشاعرة.

- اشتغل بالتدريس في عليكره بمدرسة العلوم سنة ١٣٠١هـ، الموافق ١٨٨٣م، وكان يميل إلى التاريخ والأدب، وأدار دار العلوم في لكنؤ لمدة ثماني سنوات، وفي عام ١٩٠٥م أصبح مستشارًا للشؤون العلمية بندوة العلماء حتى سنة ١٩١٢م حتى تم الخلاف بينه وبين الإدارة فترك العمل، وأسس دار المصنفين، وأقطع لها أرضًا ورثها من أبيه، وله عدد من المؤلفات منها:

  - **كتاب فن الكلام.**
  - **اسكات المعتدي، على انصات المقتدي.**
  - **تاريخ الكلام.**
  - **رسائل شبلي.**
  - **مقالات شبلي.**
  - **في سيرة الغزالي.**

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ١٧٤. مركز الملك عبدالله لخدمة اللغة العربية، الثقافة العربية في الهند ص ٣٤٨. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١٤١.

- سيرة العارف الرومي، في نقد شعره.
- الموازنة بين الشاعرين الهنديين؛ أنيس ودبير.
- كتاب صغير عن حياة عمر بن الخطاب.
- إزالة اللوم في ذكر أعيان القوم.
- شعر العجم، خمس مجلدات.
- نقد مقالات جرجي زيدان.
- ديوان الشعر الفارسي.
- تاريخ بدء الإسلام. بطلب من السير سيد أحمد خان.
- المجلد الأول من السيرة النبوية. لم يتمه.

• هو شاعر باللغات الثلاث: الفارسية والأردو والعربية، وكان يكتب قصائده بين فترة وأخرى، عندما يتهيأ له الجو المناسب لنظم الشهر، وله قصيدة باللغة العربية يقول فيها:

المجد يصحب علمًا حيثما يصلُ
والعلم عن قومنا لازال يرتحلُ
نالوا من الذلّ ما لا ناله أحدٌ
إذ لا يرى فيهم علم ولا عملُ
ولا تزال ترى ينشتّ شملهم
في كلّ يومٍ وقد ضاقت بهم حلُّ
لا يرغبون إلى ما كان ينفعهم
فجلّ صنعتهم للغي والخطلُ
تراهم اليوم في كأبٍ وفي قلقٍ
فلا أفاد فتيلًا ما به اشتغلوا
لا ينتهون وقد ذاقوا وبالهم
من سوء صنع فقد باءوا بما عملوا
وهل يجازيهم إلّا بما اكتسبوا
من كان عنده الأحكام تنقصلُ
فمن سعى اليومَ في إصلاحهم
فالله جازيه يومًا يقطع الأملُ
إن كنتَ تسألني من هذه صفة
قلتُ الإمام الهمام السيد البطلُ
هو الذي فاقَ في الآفاقِ منزلةً
ونالَ ما لم تنله الأعصر الأولُ
من أقبل الدين والدنيا عليه معًا
والآن في نجح ما قد رام مشتغلُ
نال المكارمَ من آبائه ومشى
في المكرمات على آثار ما فعلوا
جدّه سيدُ الأعرابِ والعجمِ
قد قال يا أمتي لما دنا الأجلُ
وهكذا اصنع هذا السيد العلم
يقول يا لهف قومي يسيئي ما عملوا
يا خير من سيط حبّ القوم من دمه
أحسن ولا تبتئس من سوء ما عملوا
أحسن إليهم ولو جازوك سيئة
ولا تبال بما قالوا وما فعلوا

• تتميز أشعاره بجودة الفكر، وتجربة كبيرة في الحياة، وحلاوة اللسان، ذو نظرة ثاقبة لحياة المسلمين، وكان لثقافته الواسعة أثر في نظم الشعر، وخبرته في الحياة جعله ينصح المسلمين بالعمل والجد والاجتهاد للرقي والتقدم، وهذه القطعة ذات الأسلوب الجيد، والرقي

اللفظي، وحسن السبك، وقوة الحجة تنم عن ذلك الثراء اللغوي الذي يتمتع به الشاعر شبلي النعماني.

- يتبع الشاعر طريقة النظم القديم، من حيث البحور والألفاظ ، ومطابقة الألفاظ للمعنى المراد توصيله للناس، فهو عالم بخفايا الفنون اللغوية، والأسلوبية، وقد ترك لنا ثروة فنية من الفكر المتعدد، والشعر الذي شغل ذهنه فجاء حقيقة لما فكر فيه وقدّر، وكانت تراكيبه سهلة لا تعقيد فيها، ولم يستعمل الألفاظ الوحشية، أو التعابير الخيالية الغامضة، فهو شاعر ملتزم بواقع مجتمعه.

****

شبير حسين الجون فوري

١٣٠٠ - ٠٠٠ هـ / ١٨٨٢ - ٠٠٠ م

- ولد سيد شبير حسين الجون فوري[١] في جونفور سنة ١٣٠٠هـ، الموافق ١٨٨٢م، وتوفي والده صغيرًا، تبعته والدته، فأصبح يتيم الوالدين، لذا كفله شقيق جده، المولوي السيد ناصر حسين، وبقي تحت رعايته وتعليمه، فأخذ العلم منه ومن أساتذة آخرين، ودخل المدرسة الناظمية وتخرج بشهادة « ممتاز الأفاضل»، ثم التحق بمدرسة سلطان المدارج وتخرج بشهادة « صدر الأفاضل».

- سافر إلى العراق، النجف الأشرف سنة ١٣١٩هـ، الموافق ١٩٠١م، وأقام سنة، تعلم فيها العربية الصحيحة وممارستها، ثم عاد مرة أخرى وأقام ثلاث سنوات درس على أيدي علماء النجف الفقه وأصوله، وأكمل دراسته العلمية، وحاز على شهادة الاجتهاد من الشيخ أخوند الخراساني، شيخ الشريعة، ومن الشيخ محمد كاظم اليزدي الطباطبائي.

- عاد إلى الهند فعمل مدرسًا في مدرسة وثيقة بفيض آباد، ثم أصبح رئيسًا للمدرسين، وكان الشاعر نقطة اتصال بين القديم والجديد، وله ديوان شعر باللغة العربية، وله موشحة على غرار موشحات الأندلس، يقول فيها:

سلبَ الحبُّ عن فؤادي قرارا
وعن العينِ رقدةً وغرارا
وعن الوجهِ نضرةً واحمرارا
وكساهُ مساءةً واصفرارا
استجار الجوى به فأجارا
ما به غير حرقةٍ ولهيبِ
ووجيبٍ يريدُ فوقَ وجيبِ
يشتكي وما له من مجيبِ
غبر دمعٍ على الدوامِ سكيبِ
وزفيرٍ فيه يؤجّجُ نارا
باتَ يبكي مساورًا لوجومِ
مسهرًا ليله يعدّ النجوم

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٦٠.

مستهامًا على فراش همومٍ
شاربًا في النوى كؤوس غيوم
والخليون في كراهم سكارى
يتلظى الفؤادُ وجدًا وحرًا
وتسيلُ الدموعُ نظمًا ونثرا
يا عذولي عن الملامة صبرا
وارفقن وارفقن ونزرًا ونزرا

- يمتلك الشاعر قدرة كبيرة على النظم العربي، ومقدرة تامة على استجلاب الأفكار والألفاظ الموحية والعذبة، فقد استطاع في هذه القصيدة أن يصور لنا حالة المحب الولهان، وما يعانيه من ألم المحبة والفراق، وما يقاسيه في فكره وجسمه.

- الشاعر السيد شبير شاعر فنان، استحضر موشحات الأندلس ونسج على منوالها قصيدته، استخدم بحرًا عروضيًا وقافية مترددة ومختلفة، وصنع قصيدته، وكان أسلوبه راقيًا سهلًا لا تعقيد فيه، ولا غموض في فهم ألفاظه، وكانت الألفاظ متوازنة مع المعنى، وبينهما تناسق وتوافق.

- ظهرت في قصيدته موسيقا داخلية باستعمال التنسيق وحسن السبك، والخارجية بالمحسنات البديعية، ولم يتطرق إلى الألفاظ النادرة والوحشية، ولم يبرهن على قدرته في التلاعب باللفظ، أو التصنع في النظم، وكان تعبيره بسيطًا وسهلًا، وكان اختياره للألفاظ موفقًا، واستعمل حواسه في نقل مشاعره تجاه من يحب، شعر سيد شبير يتسم بالجدية، والنقل الصادق للمشاعر، وحرارة العاطفة بادية في شعره.

****

شيخ بن محمد الجفري

١١٣٧ - ١٢٢٢ هـ / ١٧١٦ - ١٨٠١ م

- هو شيخ بن محمد الجفري[1]، ولد في مدينة تريم من حضرموت سنة ١١٣٧هـ، الموافق ١٧١٦م، تعلم المبادئ الأولى في بلده، ثم درس الدراسات الدينية المعروفة ؛ من فقه وأصول وتفسير وحديث نبوي، ولكنه ارتحل عنها إلى الهند، ونزل في كاليكوت سنة ١١٥٧هـ، الموافق ١٧٤٤م، واستقبله قاضي كاليكوت ورؤساء المدينة وأعيانها، وأهدى الملك السامري قطعة أرض له ليبني عليها بيتاً، واستقر في مليبار مع بعض أفراد أسرته، الذين نزحوا بعده، وكانوا سببًا في نشر الإسلام في مليبار، وكان المسلمون يحتاجون إلى داعية لتوجيههم للدين ، ويرشدهم إلى الطريق الصحيح ، تلقى علوم التصوف على يد الشيخ

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ٨٧. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٩ ص ٢٣٢.

محمد بن حامد السقاف، وعمل في التجارة، ثم تخصص في الدعوة إلى الله.

- زار الشاعر عدة بلدان منها الشام وعمان ومصر وفلسطين، وله بعض المؤلفات منها:
  - **البراهين الكسبية.**
  - **أشكال قضايا مسلك جوهر الجوهرية.**
  - **الكوكب الدري.**
  - **مضاعف الرزانة.**
  - **ديوان شعر، مخطوط.**

- شاعر متصوف عبر بشعره عن معتقداته، ونظراته للحياة والحب، ونظم القصائد على طريقة الخليل بن أحمد الفراهيدي، وتصوير المحبة عند الصوفية تصوير رمزي، لا يقصد التصوير الذاتي لتجارب الإنسان، بل إن كلها تنصب في الذات الإلهية، وحتى الممارسات من شرب الخمر، أو العشق وغير ذلك ما هي إلا رموز للمعنى الأكبر.

- له قصيدة يقول فيها:

أقبلَتْ تختالُ كالظبي الغريرْ
يسحر العشاقَ مرآها النضيرْ
بسهامٍ جرّحت كلَّ القلوب
وبِرُمْح القدِّ ذي الكعبِ الصغير
يا لها خودًا متى ما خطرت
تسلبُ اللبَّ صغيرًا وكبير
من سناها قيلَ للشمس ضيا
وكذا من نورها البدرُ منير
جُلّناريْ وجنتَيها خلتُه
شررًا من دون أعياني يطير
ريقُها في وَسْطِ فيها باردٌ
مسكرٌ كالخمر من غير عصير
صدرُها مصدر أرباب الصدور
اشتقاقُ الفعل منه يا خبير
فتح الرحمنُ ربي قلب مَنْ
ضمَّ شعرًا من معانيها كثير
ناصبًا بل رافعًا في قدرها
جازمًا من غير خفضٍ من جرير
إن يُعنعنْ أو يسلسلْ راويًا
عن حديث حُسنِها ما من نكير
مُرسلٌ والحسن فيها حسَنٌ
وصحيح صحَّ عن راوٍ كبير
من يدمِّج في أحاديثٍ لها
فهو «فردٌ» في الأحاديث حقير
ابن أرطاةَ وليس غيره
فهْوَ بالتحقير قد قيلَ جدير
ضاع قلبي في هواها ولمن
أجرةً جاء به حِمْل بعير
ليس بالجفري إلى ما في الصبا
بالصّبا نحن الصبابةُ تستدير

فالهوى من ذا الهوان نونُه
سُرقت عنه قديمًا وأخير
بعد هذا لا تُغَنّ قائلا
أقبلتْ تختال كالظبي الغرير

• قصيدة خيالية من شاعر صوفي، يتراجع عن قوله في نهايتها، ويرفض كل ما جاء فيها من غزل وعشق لفتاة أقبلت تختال كالظبي الغرير، فما هي إلا شطحات تغنى بها لحظة من الوقت. هذا الشاعر المصلح يرسل رسالة إلى بعض الأشخاص فقد رأى من يغش الناس، ويفعل المنكر، فيقول فيها:

يا مَن بريحِ الحشيشِ دائمًا طاروا
وعلوا لبيوت الله واختاروا
ترك الصلاة وترك الصوم واعتقدوا
خلاف ما أوجب الجبار إذ جاءوا
قد جاوزوا للحد في الأقوال وابتدروا
بفعلهم بالفساد أي ابدارُ
تراهم حيثما يمشون في ظلم
مخبطين كعشوي أينما ساروا
هم الخفافيش في سرٍّ وفي علنٍ
فأينما هم من ضياء الشمس مذ حاروا
معطلين لما جاء الرسول به
فهم زنادقة أيضًا وفُجّاروا
فأنتما القاضيان حسبما ذكروا
كفاكم ما أتى ذكر وأخبارُ
توبوا وعودوا إلى ما قال سيدنا
يا من بريح الحشيش دائمًا طاروا

• الرسالة موجه على قاضيين للتصدي لمن استحل دخان الحشيش، وهو من المواد المخدرة والسامة، على اعتبار أن الحشيش ليس خمراً، فهم يحلونه لأنفسهم، فهؤلاء شرار الناس، فيجب محاربتهم، وصد الناس عنهم.

• يدعي أناس أنهم صوفيون، ولكن سيرتهم لا تدل على ذلك، فقد انحرفوا عن التعاليم الإسلامية، وأحلوا لهم سلوكهم باسم التصوف، يقول فيها:

وهذا دهرنا فتراه أضحوا
يرون الشّرَّ في الأعمال خيرا
تعاطوا بالتصوف كل سوء
ولبس الصوف اعتقدوا يسرا
فقيرٌ لا يصلي قيلَ صوفي
يرى بالطبل قد أحسن زمرا
باسم الفقر قد ضلوا أناس
أضلوا غيرهم سرًّا وجهرا
تروا أنفسهم وصلت يقينًا
إلى الله وصولًا منه أجرا
وقالوا بالوصول رفع عنهم
به ما كلفوا نهيًا وأمرا

وكانوا يخبطون خبط عشوي
ونادوا بخلاف الشرع طرا

• يتصدى هذا الشاعر لبعض الانحرافات في المجتمع، ويفضحها، ويدعوا إلى الإصلاح، ويرشد الناس إلى طريق الخير والفلاح، ويرد على الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيما ادعاه من رفض أقوال العلماء الماضين، فيقول:

بقوله زعمًا ترائي مذهبًا
يحكم به وما له من هادي
زيَّن له الشيطان أعمالًا له
وسوسه بظلمة الإلحادِ
بنكره قول الذين قد مضوا
من سائر العلماء والزهادِ

• وهنا يقرر أنه لا فائدة من المناظرة معه، والمجاملة له، لأنه لا يرجع عن دعواه أبدًا، ويشبه ذلك ممن يطلب الخيرات من أيدي الموتى، فيقول:

لقد أسمعوا لو ناديت حيًا
ولكن لا حياة لمن تنادي
ونار لو نفخت بها أضاءت
ولكن ضاع نفخك في الرمادِ
مع النجدي ترك الخوض أولى
فذا أعمى العيون مع الفؤادِ

• أستاذ ومعلم لمجتمعه، وناصح وموجه لهم، وظف الشعر لأغراضه الاجتماعية، واستعمل أسلوبًا سهلًا لإقناع السامعين بموقفه، ورأيه، ولم يضن بعلمه على من سواه، بل وضعه بين أيديهم، فكان مستشارًا لمشكلاتهم، ومساعدًا لحلها، وكثرت عليه المشكلات حتى سئم الحياة، وملَّ البقاء، فما هو صانع سوى نظم قصيدة يعبر بها عما يشعر به في نفسه، وبين ما في نفسه، وهو الذي وضع كل جهده لخدمة الناس، حيث يقول فيها:

وكُلّفتُ ما لا أستطيع لحمله
فأعجزني وضعٌ وأعجزني حملُ
كرهتُ الحياةَ والمماتَ كليهما
فأيّهما أختاره فيه لي ختلُ
فقد عمِلت فيَّ العوامل كلّها
فلا فعلُ إلّا والتنازعُ له شغلُ
فتحتُ لباب السيرِ فاشتدَّ قفلهُ
بعاملِ نصبٍ لا يقوم له فعلُ
وياما كسرتُ النّفسَ سرًا أذلَّها
فعارضني بالجر قومٌ لهم جهلُ
ورمتُ لضم ما التفرقُ شانُهُ
فقابلني رفعٌ تطاولهُ قتلُ
فصدّت سكونًا مذ تحركتُ بالهوى
ففزّت بجرمِ المالِ والأهلُ لا وصلُ
تناقضت الأقوالُ في كل حجةٍ
وبرهانها فالخصبُ من قبله محلُ

ولا شرط بين الناس إلا بضابطٍ

ولا ضابطٌ إلا تصوَّرهُ عضلُ

• أرى الكسبَ كالمقسوم محمولُ وضعه ومن عجبِ الموضوع يعضده حَملُ هذا الشاعر فنان، نظم قصائده المعبرة عن ذاته أولًا، وعن مجتمعه ثانيًا، رجل فقيه وصوفي نذر نفسه لمجتمعه، فتكالبت عليه الهموم من واقع المجتمع، فقدم ما يستطيع تقديمه من عون ومساعدة، حتى بلغ السيل الزبى، وفاضت نفسه بمشكلات مجتمعه، فعمد إلى الشعر يبته أشجانه، وأحزانه حتى أنه تمنى الموت.

• شعر هذا الشاعر قوي السبك، واضح المقصد، ذو ألفاظ معبرة، اختارها لتفي بالمعنى الذي يطرحه في كل قصيدة ينظمها، وكان أسلوبه راقيًا، لا غموض في أفكاره، ولم يستعمل نوادر اللغة، بل كان واضحًا في النصح والتوجيه، وكان خياله رائعًا، ظهر في شعره التصوير الفني لما يريد نقله إلى الناس، وكانت عباراته متسقة ومناسبة للفكرة التي يريد توصيلها. وتوفي شيخ بن محمد الجفري سنة ١٢٢٢هـ، الموافق ١٨٠١م.

****

شير علي شاه البيشاوري

١٣٤٩ - ٠٠٠ هـ / ١٩٣٠ - ٠٠٠ م

• ولد الدكتور شير علي شاه بن السيد قدرة[1] شاه في محافظة بيشاور سنة ١٣٤٩هـ، الموافق ١٩٣٠م، تعلم من والده القراءة والكتابة والعلوم الأولى، ثم التحق بدار العلوم الحقانية بأكوره ختك، وتخرج سنة ١٣٦٦هـ، الموافق ١٩٤٦م، وبعد ذلك سافر إلى لاهور والتحق بالجامعة الإشرافية، ودرس الحديث والتفسير على أيدي كبار علماء الجامعة، منهم: القاضي حبيب الرحمن، ومولانا سيد بادشاه، ومولانا عبدالحق، والمفتي محمد حسن، ومولانا محمد إدريس الكاندهلوي، وغيرهم.

• بعد تخرجه عمل مدرسًا في دار العلوم الحقانية، ولكنه سافر إلى المدينة المنورة والتحق بالجامعة الإسلامية، وحصل على شهادتها في الشريعة، ثم نال درجة الماجستير سنة ١٤٠٣هـ، الموافق ١٩٨٢م، كما واصل طريقه وحصل على الدكتوراه سنة ١٣٠٧هـ، الموافق ١٩٨٦م.

• عاد إلى بلاده وتولى التدريس في مدارس وكليات دينية في كراتشي، ثم التحق أستاذًا بكلية العلوم الحقانية بأكورة ختك، وقد ألف عدة كتب منها:

(١) حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان ص ٨٢.

- تفسير سورة الكهف.
- كتاب اللحية في الإسلام.
- تفسير الحسن البصري.

- أشعار مختلفة بلغة الأردو وباللغة العربية، منها قصيدة رثاء لمولانا صبا أحسن، يقول فيها:

يا عينُ جودي على ذي العِلْم والعملِ
مجسم الخيرِ فيّاض بطلِ
شيخٌ نبيه وجيه الوجه صبا
أحسن بدموع الوابل الهطلِ
دي رونق جهبذ مفتاح معضلة
في الدرس والوعظ والإفتاء والجدلِ
قد زان مسنده بالحلمِ والكرمِ
معطر الفعل حلو القول كالعسلِ
قد كان فخرًا ومعيارًا لمكرمة
سمحًا نزيهًا بديع الحلّ للحيلِ
مازال مجتهدًا في نسق مدرسة
تهدي الصغار سبيل الرشد والأملِ
روّى البذورَ بماء الشرع منشرحًا
صونًا لهم من وباء الزيغ والضللِ
قد كنت ألحظ في طياتِ جبهته
ميخائل المجدِ من أسلافه الأولِ
قد كان أبيًا وفيًا زاهدًا ورعا
لشيخنا الزرولي الكرار مثل علي
قد كان ممتثلًا للشيخ متبعًا
من غير كسلٍ ولا فشلٍ ولا كللِ
قد كان عونًا مشيرًا ذا شرفٍ
في خدمة الشيخ سباق بلا مطلِ
قد ألحدوا بسطة في العلم والجسدِ
والعبقري العظيم كالحبلِ
يا ساترَ الوجه عنا في لحدٍ
تدور صورتك الحسناء في المقلِ
يبكي عليك الشيوخ كلهمُ
لا سيما شيخك العملاق للثكلِ
يا رب أنزله الفردوس مبتهجًا
منضر الوجه من رؤياك في الحللِ
وأمطر على قبره أسبال مغفرة
معطر اللحد مغفور الزللِ

- قصيدة طويلة في الرثاء، جمع فيها مشاعره الفياضة تجاه المتوفى، وبين سلوكه وأوصافه عندما كان حيًا، ثم دعا له وطلب له الجنة، وهكذا يكون الرثاء التقليدي لدى الشعراء العرب. وله قصيدة أخرى مختلفة تمامًا عن الأولى، وهي قصيدة ترحيب للشيخ محمد سرفراز خان صفدر، وهو محدث كبير، عندما زار جامعة أحسن

العلوم بكراتشي، وقف شاعرنا يرحب به بهذه القصيدة، التي يقول فيها:

تتلاطم الأفراح في الأرواحِ
ونرى السرور علا على الأشباحِ
وجلت مخائل نهضة علمية
بقدوم محيي السنة الوضّاحِ
زين المعارف والعوارف والتقى
نعمان عصره جهبذ جحجاحِ
شمس المدارس والمجالس والهدى
وإمام أهل السنة المدّاحِ
كسف الستار عن الغوامض في العلوم
ولمعضلات الفقه كالمفتاحِ
ملأ المكاتب بالتآليف التي
نالت قبول الناس في الإصلاحِ
كلحت وجوه بني القبور بنورها
رفعت لواء القاسم الفتّاحِ
رادت مطاعن ملحدين عن الألى
هم أسسوا ديوبند في الصحصاحِ
حصن حصينٌ للكتاب وسنة
ومنارُ علمٍ نوره لفلاحِ
نورٌ أضاء الهندَ ثم عوالمًا
وأنارَ سهل الأرضِ والأركاحِ
وسقى الإلهُ ضريحَ قاسم والرشيد
بمياه نهرِ الجنة الفحفاحِ
وثاب شيخَ الهندِ أعطر حلةٍ
وأنار أنور شاه كالمصباحِ
وأراح روح حسين أحمد ذي التقى
بطل الجهادِ وللعدى رضّاحِ
وأفاض رأفته على وجه وجيه
بلغت معارفه إلى الضراحِ
العلمُ يفخرُ والمدارس ترتقي
بورود شيخ صفدر فياحِ
طوبى لأبناء العلومِ وروده
عيد أتى ببشائر الأرباحِ
وجزى الإله الحالبين لشيخنا
لا سيما الزرولي وذو السماحِ
الزارع الأزهار في أحسن علوم
ومرحب الأسلافِ كل صباحِ
يا رب أدم أبطال ديوبند لنا
واحفظهم في عيشهم رحراحِ

• قصيدة ترحيب تحمل معانٍ كثيرة، منها أهمية العلماء في المجتمع، وما يبثونه من آراء وأفكار يستفيد منها الناس، فكيف يحتفل الناس بوصول عالم مشهور إلى مدرستهم، أو قريتهم، فلا شك أن ذلك اليوم سيكون لهم عيدًا،

والشاعر لديه موهبة نظم الشعر فعبر عما يجيش في صدور كثير من الناس، فذكر مركز العلم الذي تخرج منه، وعمق ثقافته، ومكانته في البلاد.

- واهتم شاعرنا بأناس لهم مكانة كبيرة في المجتمع منهم العلماء، ومن ساهم في بناء المعاهد والكليات في البلد، ومن هؤلاء المحسن الإماراتي عمير بن يوسف، الذي انتقل إلى رحمة الله، فقام شاعرنا بنظم قصيدة رثاء بحقه يقول فيها:

قفا عند قبر الألمعي المنضّرِ
عمير التقي والعبقري المعطّرِ
قفا سلمًا ثم ادعوا بتضرعٍ
لشيخٍ جليلٍ في ترابٍ معنبرِ
سلامٌ على الشيخ الوقور مسود
حبيب الورى عرفان أهل التبصرِ
سقى الله قبرًا فيه شيخ ابن يوسف
ونوّر لحدًا فيه جسم المنورِ
وأسكنه الفردوس في ظل عرشه
جليس كرام في النعيم المحبرِ
سلام على بحر السخاء مبجل
تقي نقي أريحي مطهّرِ
بكى كل مسكين وأصحاب حاجةٍ
وأرباب علم للفقيد الموقرِ
بكى كل من زار الفقيد موزعًا
عطاياهُ تترى مثل غيث مغزرِ
وتبكي إمارات الخليجِ تواترًا
وأهل أبوظبي دموعًا كأبحرِ

- شاعرنا رجل اجتماعي، يتحين الفرص الاجتماعية لينظم قصائد في المناسبة، فمن رثاء إلى تهنئة إلى وصف وهكذا لا تمر مناسبة في بلاده حتى ينظم بها قصيدة، يعبر بها عن الحدث، كما يعبر عن أهل بلده وعلى لسانه وبقلمه، ومن ذلك هنّأ بقصيدة الشيخ منصور الرحمن حين زوّج ابنته، فيقول شاعرنا:

بشّرتنا بزواج بنتِ صديقنا
الجوهري معنبر النسماتِ
فالله خير حافظًا لعروسه
وعروسها في الرحل والرحلاتِ
يا ربِّ ألفْ بينَها وأليفها
كتأليف الزوجين في الحسناتِ
إنا نهنئ أولًا رمز العلى
شيخ الحديثِ وكامع الحسناتِ
فخر المشايخ شيخنا الزرولي
زين الأكارم بهجة الحفلاتِ
ثم التهاني من صميم قلوبنا
لخليلِهِ المنصور ذي البركاتِ

ولوالد المنصور عثمان النبيل
والأخوة النجباء والأخواتِ
ولأمِّهِ ولزوجهِ وبناتهِ
وجميعِ أسرتهِ ذوي القرباتِ
لا سيما الأنورُ وزاهد كوثري
احفظهما يا رب من أزماتِ
واجعلهما مترابطين تكاتفًا
للوعظ والإرشاد في الندواتِ
هذه هدية حبكم الشير علي
راجي القول وطالب الدعواتِ

• هذه هدية جميلة، من صديق والد البنت إلى الزوجين، عبر بهذه القصيدة عن التهنئة بالزواج، فكانت تهنئة ودعاء لهما بالتوفيق والسداد، على الرغم من بساطة الكلمات وسذاجتها، ولكنها تهنئة غير عادية للزواج. وتهنئة أخرى من الشاعر ولكنها في ميلاد ابن لصديقه مولانا زرولي، يقول فيها:

اللهُ شرّفكُم ونوّرَ دارَكُم
بقدومِ ضيفٍ وردة الأزهارِ
نُور البيوت، وقرةً لعيونكم
نجمٌ مضيء، ساطع الأنوارِ
وسرور كلثوم وروح رقيّة
ومراد شائلة من المختارِ
وسؤال والده من الله الكريم
ودعاء والدة من الأسحارِ
ورجاء خلان من الزملاء
ونتيجة الأوراد والأذكارِ
في نيتنا وزعوا الحلاوى فرحة
متشكرين لنعمة الستارِ
إنّي أهنئكم، وأهنئ أهلكم
وأهنئ المنصور ذا الأحجارِ
ومزملًا والشيخ أحمد، والصبا
ومشائخ الدار من الأبدارِ
الله طوّل عمره في ظلكم
ويقيه من مرضٍ ومن أخطارِ
واجعله يا رب البرايا عالمًا
خلف الرشيد سلالة الأخيارِ
وارزقه إخوانًا ليعلوا مجده
ويناصروه بنصرة الأنصارِ
وأدم عليه ظل والده الحنون
شيخ الحديث وبهجة الأحرارِ
فخر الأفاغنة الأفاضل زرولي
مفتي الفتاوى، كاشف الأسرارِ
بطل الخطابة والفقاهة والندى
زين المحافل جاذب الأنظارِ
وموقر الأسلاف أعلام الهدى
حامي الأحبة للعدى بتارِ

- قدرة كبيرة يتمتع بها الشاعر الدكتور شير، فهو شاعر اجتماعي، متمكن من النظم العربي، ويمتلك أدوات صنع القصيد بكل مفردات النظم، يحافظ على بحور الشعر، ويلتزم بقافية موحدة، وأفكار ناضجة تسر السامعين والقراء، استعمل الشاعر الكلمات البسيطة والسهلة فلا تعقيد، ولا غموض في أبياته، وكان أسلوبه في مستوى العاديين من الناس، وقد وصل إليهم بسهولة.

- فتح الشاعر لخياله الكبير أن يصنع بعض الصور الفنية، ولكن الواقع فرض عليه الحد من تلك الصور، لذا كانت موسيقاه عادية، غير أن الموسيقا الخارجية أوضح، وتخدم الفكرة التي يتبناها، وألفاظه مناسبة لأفكاره ومتناسقة معها، والشاعر بطبيعته الاجتماعية قد كثر عنده فن القصائد الإخوانية، فكان قريبًا من أصدقائه، ويستعمل ألفاظهم دون عمق فني.

****

ص

صالح سالم باحطاب

١٣٢٤ - ١٣٧٤ هـ / ١٩٠٦ - ١٩٥٤ م

- هو الشيخ العالم صالح بن سالم بن صالح باحطاب الحضرمي العلوي الشافعي[١]، ولد بحيدرآباد سنة ١٣٢٤هـ، الموافق ١٩٠٦م، نشأ وترعرع في بيت دين وعلم، لأن والده كان عالمًا كبيرًا، تعلم على يديه، وحفظ القرآن الكريم، ثم دخل المدرسة النظامية ودرس العلوم والفنون على أيدي الأساتذة، منهم: الشيخ عبدالكريم الأفغاني، والشيخ المحدث محمد يعقوب، والمفتي ركن الدين، وغيرهم، وقد فرغ من التحصيل الدراسي سنة ١٣٤٥، الموافق ١٩٢٦م.

- بعد تخرج الشيخ من المدرسة النظامية عمل مدرسًا فيها، وتدرج حتى أصبح شيخ المعقولات، وكان أمينًا لمكتبة الجامعة، وكان يدرس المنطق والفلسفة والأدب العربي والتاريخ، وكان أسلوبه في التدريس سلسًا مفهومًا بليغًا، يصل إلى قلوب الطلاب بسهولة ويسر، وكان صادق القول، لا يخاف في الله لومة لائم، وكان صدر المدرسين في المدرسة الشافعية، وساهم في الشؤون العلمية والمالية، وقد أنجز بعض المؤلفات منها:

- سيرة الإمام الشافعي.
- فتاوى الشافعية بالعربية وترجمها للأردو.
- المنحة الربانية والنفحة الإيمانية، ترجمها من كتاب حكمة إسلامية للشيخ عبدالقدير الصديقي.
- الإرشاد والعون، ترجمة « شجرة الكون» للشيخ الصديقي.
- الفتح المبين، بالأردو.
- سبل السعادة، بالأردو.
- رسالة إيصال الثواب، بالأردو.
- ترجم خطابات الجمعة لابن نباته.
- سيرة النبي المرسل، بالأردو.
- ديوان شعر باللغة العربية.

- هو شاعر جيد الفكرة، له رسائل شعرية، وقصائد مدحية، وأخرى غزلية، فمن قصيدة نظمها حول تساؤل بعض العلماء يقول فيها:

إن كانَ شرُّكمُ مقياسه الألمُ
فالشرُّ مصدرُه المعبودُ ويحكُمُ
ألم تكن علة الأحداثِ من قدمٍ
وهو المقدّر ما يجري كما زعموا
لكنَّ تأويلكم أفعاله حكمًا
لغز معمّى وكل الناس ما فهموا
وإن خلتم نكبة تفكير مأثمة
ما قولكم بصغار قَطُّ ما أثموا
أو امتحاناً به يبلى الرضاء فما
جدواهم بلهاء القوم والبهمُ

(١) محمد سلطان محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي ص ٣٨٦.

أو ميزة تعرف النعمى بجانبها
بئس الشعور بنعمى حدّها الألمُ
لم تلف غير اعتسافٍ في أدلّتكم
إن جزتم ظلمة غشتكم ظلمُ

• هذه مناقشة علمية مع العلماء صاغها شعرًا عقلانيًا فنيًا، وكان له رأي قد يكون صوابًا، وللآخرين آراء مخالفة، وعلى الرغم من ثقافته الدينية، ومهنة التدريس والمجالس العلمية تشغله فقد ينظر إلى أمور أخرى فيها تنفيس عن حالته، ففي قصيدة غزلية نظمها يقول:

ولّت الأسقامُ مني إذ رأتني
وخفّت الأثقالُ عني إذ رأتني
عجبًا نظرة منها شفتني
نسيتُ نفسي إذ بلمحة رمتني
تنفستُ كمدًا وبعينٍ رأتني
وبطرف رمت وقالت لا تعذبني
معشر العشاق خبروني خبروني
أهذا بسحرٍ أم بماذا غوتني
سرى حبّها كألم في بدني
ونرى الهوى إخوتي قد أحرقتني
يا سكرة الحبّ بالله صرعتني
وبسهم رمتني وبسهم رمتني
لنحرها الفضي حيث ضمتني
فمن عقلي أخي سلبتني سلبتني
منام أو يقظة كان إذ عانقتني
ذهول سكران إذ أسكرتني أسكرتني
ما هكذا كان فيها ظني
أه قتلتني، قتلتني، قتلتني
ذا قول با حطاب عشق وتمني
عل يضيع الوقت ذو فضل ومنِّ

• تصور الشاعر لموقف قد يتعرض له، ولكن خياله يفوق الواقع الذي يعيشه، فهو في دوحة العلم، والعشق في دوحة أخرى، ولكن الخيال الفني للشاعر انصب في تلك الكلمات ليخرج لنا قصيدة غزلية بعيدة عن واقعه.

• عاش الشاعر في دولة السلطان مير عثمان علي خان بهادر، سلطان العلوم والمعرفة، فنظم شاعرنا قصيدة يمدح بها سلطان العلوم، يقول فيها:

الحمد لله على ما أنعما
حمدًا به يجلو عن القلب العمى
وبعد فالشكر على الإنعامِ
حقٌّ بحكم الشرع في الإسلامِ
وإنَّ مما أنعمَ الرحمن
به علينا أيها الإخوانُ
قدوم سلطان عظيم شأنه
عمّ الجميع عدله وإحسانه
وكيف لا والاسم له عثمان
مشارك لمن ذرى عفان
لا زال محفوظًا مع ملك له
وذريات نجباء نسله
والله يرحم قائلاً آمينا
من غائب الناس وحاضرينا

ونلتجي لله في دفع الأذى
والطعن والطاعون أيضًا والوبا
ياسامعًا فاسمع لنا هذا الدعا
بجاه سيدنا الرسول المصطفى
محمد الهادي لنا وأهل الكسا
وتابعيه والكرام والشرفا

• جاء العلامة محمود الحسن خان التونكي، المقيم في حيدرآباد، فوقف الشاعر ينشد أمامه قصيدة كتبها مرحبًا به، يقول فيها:

هذه تذكرةٌ إنْ أنتموا
استمعتم بقلوبٍ صافيهْ
يممت تلقاكمُ يا سادتي
بجمال الحسن تزهو باديه
تنذر المعرق في نهج الهدى
وإلى كسب المزايا داعيه
ليس فيها وصمة عيب سوى
أنها للمذعنين هاديه
هاكها يا ألمعي واغتبط
درة عزّت لعمري غاليه
فكرٌ بكرٌ لحقير يشتكي
ثقل همّ كالجبال الراسيه
معرق الأصل إذ ما ينتسب
من ذرى الغر الملوك الماضيه
جده النعمان وابن المنذر
ماء السماء من يمين هاميه
فورب البيت يا أهل الوفا
إنها نسبة فخر طاميه
لكن الفخر بملك قد مضى
مع جدود للمعالي حاويه
صفة المحمود من كل الورى
نظرة لي نظرة لي شافيه
فاعصموني من كلاب كثرت
للزمان قد أتتني عاويه
في ديار الهند لا تمضي لنا
ساعة وهي علينا راضيه
فبذاك شيب رأسي اشتعل
كاشتعال النار وهي حاميه
وبقيت أسلو من ذا دائمًا
إنّ دنيانا يقينًا فانيه
نظم با حطاب فاغفر ذنبه
ربّ واسكنه الجنان العاليه

• وهي قصيدة طويله، أفرغ فيها كل ما يعانيه من دعاوى بعض الناس، وإيذائهم له، فقد استغل وجود هذا العالم ليبث شكواه بصورة مباشرة، حتى يعلم الجميع ما يعانيه من ويلات بعض الناس.

• يبدو أن الشاعر يعاني من مضايقات كثيرة، فيبث شكواه إلى الأصدقاء، لعله يجد عندهم السلوى، والتخفيف عما يعانيه من آلام نفسية تؤرقه، أرسل رساله لصديق له، وهي رسالة شعرية، يقول فيها:

ألا هل ناصرٌ أو مُستجارُ
ألا هلْ مَن به يُدفَعُ عارُ
وضيم شابه مكر عظيم
فمنه إبليس لا ريب يَحارُ
فكن لي من فضلك حكمًا
يقص الحقَّ يعلوه غبار
ولا يعرف رحمًا أو صديقًا
ولا فيه من الصدق نفار
ولا يقف ولا يرجع خلفًا
ولا فيه حياء أو فرار
غشومًا ماضيًا سمعًا
فلا يسمع ألفاظًا تثار
به نسعد ما دمنا ودمتم
وإلّا فالصّغار مستطار
فأسعفني حباكَ اللهُ فضلا
فليس لي على المكر اصطبار
ولا لي قوة أدفعه عني
ولا غيرك لي فيه انتظار
وذا نظم لكم در ثمين
عداد ما به المطلوب ثار

• شعر هذا الشاعر مرآة نفسه، فكل هم وغم يصاب به كان له دور في قصائده، وله أعداء، وله أصدقاء، فيستنجد بالصديق لدفع العدو الظالم، أسلوبه فيه حرقة المظلوم، وألفاظه معينة على فهم الحدث، استعمل أبسط الألفاظ وأقربها من المعنى، عنده بعض الخيال في المديح، والشكوى غالبة على شعره، ويبدو أن أفكاره ورآه هي السبب في عداء بعض الناس له، والحسد بين الناس موجود، وكذلك الغيرة التي تقتل كل همة ونشاط، وشاعرنا لم يدخر وسعًا في إخبار الأصدقاء بآلامه ومعاناته، ويبدو أن الأعداء كثيرون، ولديهم سلطة وقوة، ولهم نفوذ يستطيعون إيذائه، ولكن هو شاعر متمكن من النظم، عارفًا بقواعد الفن وأساليبه، وكيف يوظف الكلمات لتخدمه في شكواه.

****

صدر الحسن محمد الندوي

١٣٧٦ - ٠٠٠ هـ / ١٩٥٧ - ٠٠٠ م

• هو الشيخ محمد صدر الحسن بن محمد سليمان بن مبارك حسين بن ولايت حسين بن روشن المدني الندوي[١]، ولد بقرية فاطمة جك، بيهار، سنة ١٣٧٦هـ، الموافق ١٩٥٧م، تعلم المراحل الأولى في قريته، ثم التحق بالمدرسة العربية الإسلامية، مديرية مظفر فور، وقرأ الكتب الدراسية، وحصل على شهادة الفوقانية من هيئة الامتحانات للمدارس الإسلامية في بتنه، ثم التحق بكلية التربية وتخرج فيها.

(١) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٤٤٦. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٣٥١.

- طموحه قاده إلى لكناؤ ليلتحق بدار العلوم ندوة العلماء سنة ١٩٧٤م، وتتلمذ على أيدي أجلة العلماء، منهم: السيد أبوالحسن علي الندوي، ووالشيخ محمد الرابع الحسني، والشيخ سعيد الأعظمي، والشيخ محمد واضح الندوي، وغيرهم، وحصل على شهادة العالية، وشهادة الفضيلة.

- سافر شاعرنا إلى المدينة المنورة والتحق بالجامعة الإسلامية وتخرج عام ١٩٨٤م، ثم عاد إلى الهند ودخل جامعة عليكرة ليحصل على الماجستير في اللغة العربية، ثم الدكتوراه في اللغة العربية عام ١٩٩٨م.

- تفرغ الدكتور صدر الحين للتأليف والدعوة ونشر المقالات باللغة العربية والأردو، وله مجموعة من المؤلفات منها:

  - **الإسلام والمسلمون في الهند.**
  - **المستشرقون والإسلام.**
  - **الفرائد في علم الفرائض.**
  - **المستشرقون والفقه الإسلامي.**
  - **منافذ الحضارة الإسلامية إلى أوروبا.**
  - **أبوهريرة الصحابي.**
  - **المستشرقون وتعدد زوجات النبي.**

- وللدكتور صدر الحسن قصائد بلغة الأردو، وباللغة الفارسية، وباللغة العربية، ومن شعره قصيدة توديع الشيخ عبدالفتاح أبي غدة، يقول فيها:

لعمري ليس في خلدي جفاءُ
ولم يأتوا بكرهٍ ما يشاءُ
وضيَّقتم خناقي بالرحيلِ
إلى حين يروّحنا البقاءُ
فقالوا انظم قصيدًا في مديح
يخفف ما اعتراك الاستياءُ
إلام البعدُ والإعراضُ عني
وقلبي هائم يعييه داءُ
تقنَّصتَ الفؤاد فلا تدعه
فريدًا لا يسكنه الرجاءُ
لأنَّ القلب مني يوم ترحل
كريشات يطير بها الهواءُ
فيا صدري بآلامي تشقق
فلا تنبو بك أرض والسماءُ
ألمّت فرقتك بي لو ألمّت
بصمّاء لمزقها البكاءُ
ويفنى كلُّ حبٍّ فيه وقشٌ
ويبقى ما يصادفه الصفاء
سموتَ إلى المكارمِ والسجايا
شمختَ وقد تلاك الأصفياءُ
بلغتَ مكانة مالم يصلها
سوى أصحاب الحديث الأتقياءُ
إذا ما حلَّ خطبٌ في حديث
فأنت الحلّ فيه والشفاءُ
ومن في الناس أفصح منك نطقًا
وأبلغ منك معنى يستضاءُ
رأيتُ الخلقَ في الناس زمانًا
ولما عجتُ أفحمني الحياءُ

وقلبًا من حديد أو نحاسٍ
وعينًا ناضبة فيها الدماءُ
ولكن عينك المهطلة دمعًا
لها شأن يخامرها الولاءُ
وقد سقتَ الروائع من نصائح
وآداب تلتها ما تفاءُ
وكم للهند من ميزات حتى
رواها الأتقياء والأصفياء
ولكن يا لحظّ أحرزته
عي الأرض التي ساق القضاء
إليها عالمًا برًا وقورًا
من أهل الشام طاب له العلاءُ

• لا شك أن الشاعر صدر الحسن رجل موهوب، ومتمرس على النظم العربي، وينظم في جميع الأحوال والمناسبات، ويستعمل بحور الشعر العربي بكفاءة، لذا نراه يكتب قصيدة رثاء بالشيخ محمد الحسني، يقول فيها:

صبور في النوائب والخطوب
وأسمح من غيوم مدجناتِ
وما انفكّ الفؤادُ وهو يخفق
إلا أنحب بكاء النائحات
حُرمنا فكرك الجياش طُرًا
وفوجئنا بأفدح نائباتِ
رحلتَ وما رحيلك عن تراضٍ
غبتنا في العيون الهاطلاتِ
أصبنا بالكوارث والرزايا
فصرنا كالورود الذابلاتِ
ولو كنا أمرنا بالنياحِ
لعشنا في الدموع الساخناتِ
إذا كلفتَ نفسك للقضايا
أجدتَ وقد سنقت السابقاتِ
وزينتَ الصحائف باللآلي
تلألأ كالبنود الخافقاتِ
وأحرزت السوابغ في الكتابة
وودعت اللغات الدارجاتِ
وزركشتَ الوقائع بالمعالم
وجاهدت في فك المعضلاتِ
ولم أرَ مثلَ قلمِكَ عوض قلما
جريئًا كالصقور الشارداتِ
ولم أرَ مثل همّك قطُّ همًّا
مثيرًا للحقوق الواجباتِ
ولم أر مثل حبك قطُّ حبًّا
تمكن من قلوب الصالحاتِ
ولم أر قبل حتفك قط ناسًا
تقرّجوا كالنساء الثاكلاتِ
حِمامٌ لا يدانيه حِمام
وعيشٌ كالوفود الطارقاتِ
تهلل وجهك حين جدتَ بـ
ـنفسك كالشموع البازغاتِ
وطبقتَ بأرفادٍ سراع
غوادٍ من إله الكائناتِ

ولـو شئـنا لجئـنا فـي قصيد
يـأبـيـاتٍ حـسـان رائـعـاتِ
ولـكـنـي أقـصـر عـن رثـاءٍ
لأنـي فـي هـمـوم مـذهـلاتِ
عـلـيك تحـيـة الـرحـمـن تـتـرى
بِـرَحْـمَـاتٍ غـوادٍ رائـحـاتِ

- عند تأبين المتوفى تعدد مفاخره، وتبنى على صيته وسمعته منائر العلم والمعرفة كونه من أهل ذاك المجال، وشاعرنا عدّد فضائل الميتَ بشكل كبير، وما له من مواقف حسنة خلال حياته، وود لو يستطيع أن يقول أكثر مما قال، وهكذا يكون الرثاء للعلماء الأخيار.

- موهبة الشاعر لا تكتمل إلا بمديح رسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام-، فقد نظم شاعرنا صدر الحسن أبياتًا في مدح الرسول، يقول فيها:

مـاذا عـلـيَّ بـعـينٍ خـالـط الأرقـا
أم اشترى خطرًا أو أودع العشقا
فـاقَ الـنـبـيـين فـي الأخـلاق قـاطبةً
مـن جـاءه مـنـكـرًا قـد زانـه شرفا
نـال الـكـرامـةَ فـالـخـلـقُ يـكرمـه
بـحـر الـفضائل لا نـقصًا ولا رنقا
أسـرى بـه ربـه فـي دار مـكـرمـةٍ
ولا يـفـوه بـشـر سـاهـيًـا نـطقا
وكـان يـخـفـض لـلإنـسـان رحـمـتـه
يـأوي إلـيـهِ مـن الحـيـوان مـا أبقا
إنّـي امـرؤ لا أرى إلّا مـودتـه
وقـد نـجـحتُ فـلا أخشى بـهـا غرقا
أرجـو من الله يـوم الحشر صحبته
وأعـوذُ بـالـلـه مـن أنـذال مـا خلقا
لا يـرتـدي خـلـدي إلا لـبـاس تقى
ولا أراه لـبـاسًـا راتـقًـا فـتقا
قـد أنـزل الـلـه لـطفًا فـي رسـالـتـه
فـلا أخـشـاف بـه بـخـسًـا ولا رهـقا
أصـلّـي عـلـيـه صـلاةً لا خـتـام لها
وأسـدي إلـيـه سـلامًـا عـاطـرًا غبقا

- يتميز الشاعر برزانة المواقف، وهدوء النفس عند نظم القصائد، فلا يتشنج، ولا ينفعل بحرقة، ولا يتردد في الوصف وكأنه مجبر عليه، بل هو واثق من خطواته، رزينًا في قراراته، ومديح الرسول- عليه السلام- مديح العالم الواثق من المحبة، العالم بكل مزايا الممدوح.

- استخدم الشاعر بحور الشعر العربي بكفاءة عالية، وطرق القوافي الذلل أو الصعبة منها، ولم يتردد، أو يتراجع عن النظم بها، فكانت قدرته عالية في استعمالها، وأجرى التناسق بين الألفاظ والمعنى، وصور المعاني أبدع تصوير، فكانت حروفه ميسرة طيعة للمعاني.

- وكان لخياله الممتد طرفًا في صناعة شعره، فأخرج بعض الصور البلاغية الفنية، ليجعل من أبياته تتمتع بالعذوبة والجمال الفني، وكانت بعض الأبيات لها رونق وحس موسيقي، لا يقدر عليه بعض شعراء الهند، فالرنة

الموسيقية تتبع البحر العروضي، مع الألفاظ الموحية فأخرج أبياتًا لها في النفس صدى.

****

صدر الدين الكشميري

١٢٠٤ - ٠٠٠ هـ / ١٧٨٩ - ٠٠٠ م

- هو الشيخ المفتي صدر الدين بن لطف الله الكشميري الدهلوي[١]، ولد في دلهي سنة ١٢٠٤هـ، الموافق ١٧٨٩م، تلقى دروسه الأولى على يد والده، ودرس العلوم الشرعية كالفقه وأصوله على يد الشيخ عبدالعزيز الدهلوي، والعلوم الحكمية بأنواعها عند الشيخ فضل إمام الخيرآبادي ، أما علم الحديث والسيرة من الشيخ رفيع الدين بن ولي الله الدهلوي، والشيخ عبدالقادر الدهلوي، وبعد وفاة الشيخ عبدالعزيز الدهلوي جلس عند الشيخ إسحاق بن أفضل العمري للدراسة العلوم العقلية.

- تتلمذ على يدي الشيخ صدر الدين كبار علماء الهند، أمثال الشيخ فيض الحسن السهارنفوري، والسير سيد أحمد خان، والنواب صديق حسن خان، وتفوق هؤلاء بالدراسة تحت إمرته، وكان شيخنا يعمل بمدرسة البقاء.

- كان الشاعر نادرة عصره يعلم كثيرًا من العلوم والفنون، وخاصة الأدبية منها، وكانت الأسئلة تنهال عليه في موضوعات متعددة، فكان عالمًا مع العلماء وأديبًا مع الأدباء، ولكن ثارت الفتنة في الهند، التي يحكمها حكومة بريطانية، تم القبض عليه وسجنوه، واتهموه بارتكاب الجرائم، وكان من المعارضين للحكومة البريطانية، ثم أطلقوا سراحه، فلازم بيته، ولا يخرج إلا لدرس التلاميذ، وكان يعيل خمسة وعشرين طالبًا يدرسون تحت يديه، واستمر في التأليف والتدريس، وألف بعض الكتب منها:

  - **منتهى المقال في حديث لا تشد الرحال.**
  - **الدر المنضود في حكم امرأة المفقود.**
  - **الفتاوى الكثيرة.**
  - **ديوان شعر.**

- كان الشيخ صدر الدين شاعرًا، وكان ينظم القصائد في المناسبات، ومن شعره:

وكنا كغصني بانةٍ قد تأنّقَا
على دوحةٍ حتى استطالا وأينعَا
يغنيهما صدح الحمام مرجعًا
ويسقيهما كأس السحاب مترعا
سليمين من خطب الزمان إذا سطا
خليين من قول الحسود إذا سعى
ففارقني من غير ذنب جنيته
وألقى بقلبي حرقة وتوجعا
عفا الله عنه ما جناه فإنني
حفظتُ له العهد القديم وضيعا

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٧ ص ٢٢٦. نثار أحمد الأعظمين ريحانة الشعر والشعراء ص ٣٥.

- المصدر الوحيد الذي رأيته هو ما كتبه عبدالحي الحسني، ونقل عنه نثار أحمد الأعظمي، ولم أعثر على ترجمة أخرى من مصدر آخر، ولكن هذه القطعة جيدة السبك ذات معنى مطابقًا للألفاظ التي سطرها في هذه القطعة، وهذا تصوير لما يحدث بين الأصدقاء من فرقة، بعد أن كانا أليفين متطابقين في القول والعمل، ولكن الزمان يغير الحال، ويحدث ما لم يكن في الحسبان.

- تمنيت أن أرى قطعة أخرى لهذا الشاعر، لأنه يبدو عليه التمكن من فنون الشعر، ويستعمل بحور الخليل، وقافية مناسبة للنظم، ومتمكن من الألفاظ التي تعينه على سبك المعنى وأسلوبه واضح لا لبس فيه، ولا غموض، وصراحة الشاعر مع صديقه واضحة.

****

صدقة اللّه سليمان صادق

١٠٤٢ - ٠٠٠ هـ / ١٦٣٢ - ٠٠٠ م

- هو الشيخ صدقة الله بن سليمان بن صادق إبراهيم بن خان شيخو بن عبدالقادر بن حسين كتّي بن حسن زاري ابن عبدالله[1]، من سلالة عربية هاجرت من القاهرة، مصر، سنة ٢٣٢هـ، الموافق ٨٤٦م، وكان لهذه الأسرة دور كبير في مقاومة الاستعمار البرتغالي جنوب الهند، كما قاموا بنشر الدين الإسلامي، والثقافة العربية، وآدابها.

- ولد الشيخ صدقة الله في قاهرة بتنم (كايل بتنم) سنة ١٠٤٢هـ، الموافق ١٦٣٢م، درس الشيخ على يد أبيه الشيخ سليمان، ثم على يد الشيخ المخدوم عبدالقادر، درس جميع العلوم الدينية، وتخصص باللغة العربية وآدابها، وحفظ أمثال اللغة وتعبيراتها، حتى أصبح مرجعًا فيها.

- كان الشيخ صدقة الله بن سليمان نادرة عصره، علمًا وفنًا، ولغة عربية، فزار دلهي، عاصمة الدولة المغولية، وسمع عنه السلطان أوربك زيب فدعاه، فلما حضر عنده عرض عليه منصب قاضي القضاة لجنوب الهند، ولكنه اعتذر بأدب، وطلب تعيين ابنه الشيخ محمد، فتم له ذلك، وضمه السلطان عالم كير إلى العلماء الأربعين الذين يشرفون على إصدار «الفتاوى الهندية»، وزار الشيخ صدقة الله الحجاز وبقي سنتين في مكة، وألقى فيها دروسًا أمام طلبة العلم.

- ألف الشيخ صدقة الله عدة كتب، منها:
  - **توضيح الدلالة في تصحيح الجلالة. نطق كلمات القرآن.**
  - **استدعاء الأعلام إلى دعاء عتبة العلام.**
  - **تقطيف الجاني إلى تصريف الزنجاني، شرح في التصريف للزنجاني.**
  - **الحواشي على البيضاوي والدميري والدر المنثور.**
  - **التخميس والتذييل على القصيدة الوترية.**

(١) ك. م. ع. أحمد زبير، أسرة الشيخ صدقة الله أبا ص ٥٥. محمد صدر الحسن الندوي ص ١٧٢. جمال الدين الفاروقي وآخرون، أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية. ص ٨٩.

- تخميس قصيدة البردة للبوصيري.
- تخميس بردة كعب بن زهير، بانت سعاد.
- تخميس قصيدة ذخر المعاد للبوصيري.

- كان الشيخ صدقة الله مولعًا بحب رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، ونظم كثيرًا من القصائد في مدح الرسول- عليه السلام- لذا لقبوه بـ«مادح الرسول»، ومن تخميسه للقصيدة الوترية للشيخ أبي بكر بن محمد البغدادي، يقول فيها:

أقدّم باسم الله جلّ وقد سما
أحمد حمدًا بالدوام موسما
أسلّم تسليمًا كثيرًا قياس
ما أصلي صلاةً تملأ الأرضَ والسما
على من له أعلى العلا متبوأ
ومن شرط إيمان الموحد حبه
فطوبى لمشتاقٍ له وهو صبّه
أقول كما قال اشتياقًا محبُّه
وعزة ربّي إنّ قلبي يحبه
ولي سكرة بالشوق جلت عن الصحو
جواهر نظمي في مديح محمد
تضيء جميع الدهرِ غير مخمد
فمادخه إن تلقه النار تخمد
جنان نعيمٍ أجر مادح أحمد
ومصغ وكل بالحسان يزوّج
وظائفُ عمري مدح أحمدَ إنهُ
هداني به المولى الصراد كأنه
هو الصبح في قلبي ثوى مطمئنه
وسائل قربي عند أحمد أنه
صفوح عن الجاني عفوٌّ عن الهفو
أديم له في الكون مدح مسلسل
ممدّ بلا حدّ وإن عدّ طيسل
فلما خلا بالرب والستر مرسل
أقيمَ مقامًا لم يقم فيه مرسلُ
وأمست له حجب الجلال توطّأ
كأنَّ لنا مدح الحبيب حليبنا
كذا ذكره عند الأوام قلبينا
بألطافه عنا تغيب كروبنا
بأوصافه الحسنى تطيب قلوبنا
وتهتز شوقًا والركائب تطرب
تمنّت بمدح المصطفى نصب جنّة
من النار لي دون اللظى ودجنة
ومن شرّ شيطان رجيم وجنّة
ثقاتي به أني أفوز بجنّة
به وحسان لا تشيخ وتطمث

- القصيدة طويلة، ولكن الشاعر له كثير من القصائد لا يحتويها هذا المقال. وله قصيدة في تخميس بردة كعب ابن زهير، يقول فيها:

حان السعادة والإقبال مقبولُ
قلبي على حب من يهواه مجبولُ
بينا هواه بحبل النور مجبولُ
(بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم إثرها لم يفد مكبول)

الحمد لله بالإيمان أسعدني
وبالسلامة من بلواي أبعدني
ولم يمتني على ماكان أقعدني
(أنبئتُ أن رسول الله أوعدني
والعفو عند رسول الله مأمولُ)
بذرتُ عمري في الزلات مبتذرًا
كأنن كنت بالعذرات معتذرا
فالآن عني نأى ما كنت محتذرًا
(فقد أتيتُ رسول الله معتذرا
والعذر عند رسول الله مقبولُ)
بينا أنا مختلف إذ رمت قافلة الـ
مدينة أمحو خطياتي وغافلة الـ
أقوال يا من أبا النقدين نافلة الـ
(مهلا هداك الذي أعطاك نافلة الـ
قرآنِ فيها مواضيعٌ وتفصيلُ)

• وينهي القصيدة من نظمه بالصلاة على رسول الله، وله أيضًا تخميس بردة البوصيري، الشيخ متمكن من النظم العربي الخليلي، واللغة تنساب في فكره كالماء الزلال، فهو يقتفي أسلوب شاعر البردة كعب، مع التجديد في القصيدة، من فكره وفنه، بحيث لا يخل بالمعنى الذي قصدة كعب بن زهير. وغيرها من القصائد التي نظمها، ومنها قصيدة يمدح بها شيخه العلامة الشيخ شاه الحميد ابن ولي الله، حيث يقول فيها:

يا سيدي شيخي وصدر الصادر
كنز العلوم ورمز علمٍ نادرِ
مرضيٌّ مولاه الكريم القادر
يا سيد السادات عبدالقادر
كهف اللهيف أمان قلبٍ حاذر
مأوى الضعيف ضمان قصد الناذر
غوث الذي في البحر كان كعاثر
يا سيد السادات عبدالقادر
كم من كرامات بدت للناظر
وخوارق العادات عند الحاضر
وحلي كمالات بوجه ناضر
لك سيدي يا شيخ عبدالقادر
من صلب نسل رسول رب قادر
من نهج محيي الدين عبدالقادر
جاهدت في الله المعين الفاطر
بالباطن الصافي وحسن الخاطر
وخيار أعمال ودمع ماطر
يا مؤثر القربات عبدالقادر
وعزوبة طابت وتقوى الغافر
والزهد في الدنيا بقلبٍ نافر
والحب للمولى بشوقٍ وافر
يا سامي الرفعات عبدالقادر
صلى الإله على النبي الطاهر
والآل ذكرهم ذخيرة ناصر
والصحب والأتباع أهل المفاخر
وعليكم يا شيخ عبدالقادرِ

• ليست هذه كل القصيدة، بل هي أطول من هذه الأبيات التي ذكرتها. وهذا التبجيل والمدح لأستاذ الشيخ صدقة الله، الذي يعترف له بالفضل، في تعليمه وتثقيفه، وتوضيح طرق البحث عن العلم والثقافة.

• للسيد القطب الرباني محيي الدين عبدالقادر الجيلاني مكانة كبيرة عن مسلمي الهند، ويقوم الشعراء بنظم القصائد في مدح هذا العالم الرباني، ومن الشعراء الهنود الذين نظموا قصائد مدح للسيد عبدالقادر شاعرنا صدقة الله، إذ يقول في قصيدته:

الحمد لله حمدًا دائمًا أبدا
والشكر شكرًا غزيرًا واصبًا رغدا
ثمّ الصلاة على وافي الأنام ردا
والآل والصحب والتباع في الدين
يا قطب أهل السماء والأرض غوثهما
يا فيض عيني وجوديهم وعوثهما
يا ابن العليين قد أحرزت إرثهما
يا خيرَ من كان يدعى محيي الدين
شرفت جيلان بالميلاد ساكنه
عظمت بالقبر بغدادا أماكنه
يـــزوره كــلُّ مشتاقٍ ولكنه
في بيته قد يلاقي محيي الدين
قد قمت بالصدق والإخلاص والزهدِ
والاجتهاد وفي الوعد وفي العهدِ
فكل أهل التقى والزهد والجهد
يدعوك يا غوث الأعظم محيي الدين
كم كرامات حق منك قد ظهرت
منيرة في قلوب الخلق قد زهرت
كمعجزات نبي في الورى اشتهرت
يا من دعا ربه يا محيي الدين

• والقصيدة طويلة، وكلها على هذا النمط من النظم في تبجيل السيد محيي الدين عبدالقادر الجيلاني.

• الشيخ صدقة الله أبا العالم المفكر ينظر إلى أستاذه عبدالقادر شينيني لبي نظرة احترام وتقدير، وهو الذي كان له الفضل بعد أبيه في تعليمه وتهذيبه وتهيئته للعلم فيقول عنه:

وقد كان لي في الفقه شيخ معظّمٌ
جواد سخي أفقه القوم أعملا
وعلّمني فقهًا وألبسني عما
مة وقميصًا بالإجازة مكملا

• كان الشيخ صدقة الله شاعرًا يمتلك ناصية اللغة والبحور والقافية، يجملها أسلوب رصين، وسبكًا لأبيات شعره بشكل ظاهر، على الرغم من عدم احترافه للشعر إلا أنه شاعر جيد ينافس شعراء عصره، فقد استخدم الشعر التقريري، والشعر الخيالي، وأجاد في معظم قصائده، تخميس القصائد المشهورة في مدح رسول الله أبرز أعماله الشعرية.

• في تخميس القصائد يضيف إليها فكره وآراءه في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، وبين في التخميس صدق مشاعره تجاه الرسول، وبني على تلك القصائد ما أضافه للممدوح من سمات العلو والمكانة لرسول الله، ولم ينس أن يجعل من هذه القصائد وسيلة للشفاعة التي يرجوها من أشرف المرسلين سيدنا محمد- عليه أفضل الصلاة والسلام،

• استعمل الألفاظ الموحية دون الإغراق في التعمية أو غموض الفكرة، بل كان يساير الأصل في طريقة بناء قصيدة المدح، وكانت الألفاظ تساير المعنى، مع أسلوب قديم، قدم الأصل، وأفكار جديدة استدعاها وجوده في بيئة غير عربية، فجاء التخميس موافقًا لفهم وإدراك الجمهور العربي الهندي.

****

صديق حسن القنوجي

١٢٤٨ - ١٣٠٨ هـ / ١٨٣٢ - ١٨٩٠ م

• هو صديق حسن بن أولاد حسن بن أولاد علي الحسيني البخاري القنوجي[١]، ولد في « بانس بريلي»، منزل جده لأمه، سنة ١٢٤٨هـ، الموافق ١٨٣٢م، ثم أتت به أمه إلى بلدة أجداده قنوج، توفي أبوه وهو في الخامسة من عمره، وربته أمه، وكانت امرأة صالحة، توقظه في الصباح الباكر ليذهب إلى المسجد لصلاة الفجر، قرأ العلم على يد أخيه، الشيخ أحمد حسن، تعلم النحو والصرف والمنطق والبلاغة، ثم انتقل إلى فرح آباد وتعلم على يد الشيخ محمد حسين الشاهجهان فوري الكافية لابن الحاجب، وهداية النحو، وإبساغوجي في المنطق، وشرح الشمسية للرازي، ومير قطبي، والدر المختار في الفقه الحنفي، ومشكاة المصابيح، وعلى أيدي علماء آخرين.

• انتقل الشيخ صديق حسن خان إلى كانفور ليدرس عند الشيخ محمد مراد البخاري، وعند الشيخ محب الله، واتصل بالعالم الرباني الشيخ فضل الرحمن المرادآبادي، ثم انتقل إلى دلهي وقرأ الكتب العربية عند الشيخ بشر الدين القنوجي، ثم أخذه مفتي القارة الهندية العلامة صدر الدين خان بهادر إلى بيته، وأقام الشيخ صديق خان في دلهي لمدة عامين، درس خلالها؛ مختصر المعاني في البلاغة، وشرح الهداية والوقاية في الفقه، والموضح والتلويح في أصول الفقه، ومواد أخرى في التفسير والفقه، وعلى أيدي بعض العلماء.

• قرأ الشيخ مقامات الحريري، والمقامات الهندية، وحماسة أبي تمام، وديوان المتنبي، والمعلقات السبعه، وتفسير البيضاوي، وبعض أجزاء من صحيح البخاري، وتعلم علم الحديث على يد الشيخ زين العابدين بن حسين بن عمر، وكان له اتصال آخر سلاطين المغول الملك بهادور شاه، ومع كبار علماء عصره، أمثال الشيخ نذير حسين المحدث الدهلوي، والشيخ فيض الحسن السهارنفوري، والشيخ فضل الحق الخير آبادي، كما جالس شعراء لغة الأردو.

• عندما رجع الشيخ صديق حسن إلى بلدته كان عليه أن يدبر معيشته وعائلته، فذهب على بهوبال، وعمل في ديوان الأميرة اسكندرجهان بيغم براتب ثلاثين روبية،

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٧٥. عبدالحي الحسيني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ص ١٨٧. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، ج٩ ص ٤٦٣. جمال الدين الفاروقي، أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية ص ٢٠٠. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٢٦٨.

وكان ذلك في أول رمضان سنة ١٢٧١هـ، الموافق ١٨٥٤م، وعمل بجد وإخلاص مما لفت نظر الأميرة ورفعت راتبه، ولكنه رجع إلى قنوج، ثم ذهب إلى تونك، ولم يطب له المكان، ولكن بعد فترة تلقى رسالة من أميرة بهوبال تدعوه للمجيء، فأسرع الخطى إلى بهوبال، فطلبت الأميرة منه أن يؤلف كتابًا عن تاريخ بهوبال، وكان هذا الموضوع يعجبه بسبب سفره في أنحاء الهند، ولكن الأميرة توفيت، وحلت مكانها ابنتها شاهجهان بيكم.

- ترك الشيخ سمعة طيبة في تأليف الكتاب، فسعدت بذلك الملكة، والنائب الأول الشيخ جمال الدين، ثم ذهب إلى الحج، وبعده رجع إلى عمله في بهوبال، تلك السمعة الطيبة رغّبت الأميرة، وكانت أرملة، أن تتزوج منه، فتزوجها سنة ١٢٨٧هـ، الموافق ١٨٧٠م، وحضر العلماء والشيوخ حفلة الزواج، وهنا كانت له إدارة الإمارة، فعمل على تطوير التعليم والصناعة فيها، وعين العلماء والشيوخ لتطوير التعليم، وإدخال المناهج الإسلامية مع الدراسات الحديثة، مع دراسة اللغة العربية والفارسية، واللغة الهندية والسنسكرتية.

- ألف الشيخ صديق حسن مجموعة من المؤلفات النافعة، ولكن أبرزها:
  - **فتح البيان في مقاصد القرآن، وهو في تفسير القرآن الكريم.**
  - **الخطة في ذكر الأمهات الستة، وهو في الحديث الشريف.**
  - **حسن الأسوة بما ثبت عن الله ورسوله من النسوة.**
  - **الروضة الندية شرح الدرر البهية، شرح كتاب الإمام الشوكاني الفقهي.**
  - **التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، في تراجم الرجال.**
  - **أبجد العلوم، ، ثلاث مجلدات، وفيه علوم قيمة وذخائر فكرية.**
  - **لف القماط على تصحيح بعض ما استعمله العامة، في اللغة العربية.**
  - **نشوة السكران من صهباء تذكار الغزلان، في علم اللغة العربية.**

- هناك مجموعة من عشرات المؤلفات في أمور كثيرة، وله ودواوين شعر باللغات الثلاث العربية والفارسية والأردية المؤلفات أقل أهمية من هذه الكتب النافعة.

- الشيخ صديق حسن خان فقيه مؤرخ ومفسر للقرآن الكريم، ومع ذلك وجد الوقت لنظم بعض القصائد التي لا تخرج عن مجاله العلمي، أو الاجتماعي، فهو شاعر غير متفرغ للشعر، بل إن الشعر وسيلة لبث بعض الآراء والأفكار التي تدور في رأسه، ومن ذلك قصيدة نظمها في مدح رسول الله، وهي قصيدة طويلة، منها:

اخترتُ بين أماكنِ الغبراءِ
دارَ الكرامةِ بقعة الزوراءِ
هل لي مكانٌ فيه أطلبُ راحتي
من دونها في البرّ والدماءِ
ما فضلُها فوقَ المواضعِ كلّها
ألا لعَرفٍ فاحَ في الأرجاءِ
قلبي يطيرُ إلى طيورِ مروجها
وإلى جوارِ رياضها الغنّاءِ
بأبي بلاقعها التي فاقت على
واد المقدس مهبط الإيحاءِ
ما لاح في جو السماء بوارقٌ
لا وأوري النساء في أحشائي

كيفَ الوصولُ إلى منازلَ طيبةٍ
فيها لمفتقر حصول رجاءِ
لو كان أدنى جذبة نبوية
لوصلتُ ثمّ بأسرع الآناءِ
إنّي عشقتُ على إقامةِ طابةٍ
فمتى أفوزُ بجنةِ الدنياءِ
ليس البلوغُ بأرضها في قدرتي
شتّانَ بين الهندِ والزوراءِ
كيفَ الذي يرجو نزولَ ربوعها
يثوي بها في بهجة ورواءِ

• يتشوق الشاعر إلى زيارة ضريح رسول الله-صلى الله عليه وآله وسلم- ولكن المسافة بعيدة في ذلك العهد الذي يحتاج إلى أشهر للذهاب والإياب، وكان القصد مدح رسول الله على البعد، فيقول:

وبها بروية ربه بلغ المنى
لله جذبة واهب الآلاءِ
لم يلقَ في هذا الذهاب كآبة
ولعاد في آن مع السراءِ
وأتى برضوان وغفران إلى
عشّاق حضرته أهيل ولاءِ
ثبتت نبوته وآدم جدنا
قد كان في الثرى والماءِ
أوفى أمارات النبوة أنه
أعيى المصاقع عمدة العرباءِ
لم يخلق الله القدير عديله
في رتبة وفضيلة وضياءِ
هو ركنُ بيت الله جلَّ جلاله
وعماد هذي القبة الخضراءِ

• ويستمر الشاعر صديق في مدح رسول الله بالصفات التي ذكرها المؤرخزن، ثم يأتي في آخر القصيدة ليثبت الأثر الذي تركه دينه في العالم فيقول:

قد أبطلَ الملل السوابق دينه
إنّ الضياء لمبطل الظلماءِ
ماذا يقرب في مديحك مادح
عجز الموصف عن بيان ثناءِ
ولك الشفاعة والمكانة في غدٍ
ولأنت أكرم معشر الشفعاءِ
وعظيم رجوي أن تكون مشفعي
في عفو زلاتي بيوم جزاءِ
وسواك ما لي في القيامة شافع
أنتَ المخلص لي من البأساءِ

• قصيدة نظمها شاعرنا أظهر فيها حبه لرسول الله، وتشوقه لزيارته، وأوضح العقبات التي تعترض طريق الذهاب، ولكنه بين معجزة الإسراء والمعراج، ووصول الرسول إلى عرش الرحمن، ثم لا يجد أن مدحة له ما هو إلا قليل لأنه لا يمكن أن يصل إلى مبتغاه في المدح، فمهما مدحه المادحون فهو قليل في حق رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، وأخيرًا يطلب الشاعر شفاعة الرسول يوم القيامة، ولا يوجد سوى الرسول شافعًا له.

• بعدما تزوج الشاعر الأميرة شاه جهان بيكم، وأطلقت يده في شؤون الإمارة، فطور كثيرًا من أوضاعها، واهتم بالتعليم والتدريب بتأييد من زوجته، نظم قصيدة يمدحها على منوال قصيدة امرئ القيس، يقول فيها:

وصلتُ حمى بهوبال يا نفس فانزلي
فقد فدت مأمول الفؤاد المعولِ

ويا حبذا ساحا تهالك إنها
نسيم الصبا جاءت بريا القرنفلِ
تذكرتُ عهدًا بالحمى وبمن به
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزلِ
وما هو إلا حضرة العزّة التي
تخاطب تاج الهند عند الأماثلِ
معاذة أهل الفضل من كان حادث
ملاذة أعيان العلاة الأفاضلِ
مُغيثة أرباب الفواضلِ والحِجى
ثمال اليتامى عصمة للأرامِلِ
هي البحر جودًا فيضها شمل الورى
وقد نال من معروفها كلّ سائلِ
هي الشمس أفضالًا يعمّ نوالها
جميع الرعايا من ضيوف القبائلِ
أفادت كرامات بهمتها التي
لها ليس مثلًا عند كل مماثلِ
أفاضت فيوضًا خجلت جود حاتم
أسالت إلينا هاطلًا بعد هاطلِ
قفوا خبرونا من يقوم مقامها
ومن ذا يرد الآن لهفة سائلِ
أدام لها رب البرايا مكارمًا
تقصر عنها كل حاف وناعلِ
وأزد لها الاقبال عزة
وكان لها عونًا لذي كل نازلِ

• هذا الثناء والمديح لأميرة لها فضل في إطلاق يد زوجها لتطوير البلاد، فهذا قليل في حقها، لأنها منحته القدرة على التطوير والعمل، وكانت إلى جانبه، عندما رأت إخلاصه في العمل، ولا يريد أن يدخر شيئًا لنفسه، بل كان همه المسلمين المتخلفين، ويزرع في نفوسهم حب العلم من رجل متعلم ومثقف، وكان هذا الرجل هو زوجها شاعرنا الشيخ صديق حسن خان.

• ولم ينس شاعرنا أن الإسلام حمله إلى العالم صحابة رسول الله- رضي الله عنهم، فبجهودهم، وفتحهم للبلاد الأخرى تم نشر الإسلام، لذا انبرى شاعرنا يمدح الصحابة وأهل بيت رسول الله، ويقول:

جاءت فضائلهم في الذّكرِ بيّنة
ما في فضائلهم شك ولا ريبُ
وأعرب المصطفى عن فضلهم وبنوا
على التقى أمرهم في كل ما طلبوا
قاموا بنافلة الأعمال خالصة
لله واجتهدوا في فعل ما يجبُ
فالآل والصحب قد فازوا وقد سعدوا
وقد أطاعوا وقد نالوا وقد قربوا
وبلّغونا عن المختار سنّته
لولا عنايتهم ما دونت كتبُ
لله كم جاهدوا الكفارَ واجتهدوا
في الدين ثم إلى العلياء قد وقبوا

• شاعر مدّاح، ولكن لمح المدح يرسله؟ يرسله لكل من له فضل في إعلاء الإسلام، ولكل فاضل بنى ركنًا يريد به وجه الله دون محاباة لأحد، ودون رياء، فكان عنصر خير لدفع العمل في مبادئ الإسلام، وهو يرى مدى تشتت المسلمين وضياع هيبتهم في العالم، فقام بواجبه في نشر القيم والمبادئ الإسلامية.

- الشاعر واضح في نظمه، وأسلوبه، وطريقة سرد قصيدته، استعمل أبسط الكلمات وأشدها قوة، يريد منها أن تصل إلى السامع، أو القارئ، استخدم بحور الشعر الخليلية التقليدية، مع تجديد المعاني والصور الفنية، وإن كان مقلدًا لامرئ القيس في مدحه لزوجته الأميرة، ولكن شعره كان مصداقًا لفكرته، وهو مدح الأميرة المتطورة، وهو شاعر غير متخصص في الشعر فهو فقيه وعالم دين، وما الشعر إلا واحد من اهتماماته، فأجاد فيه، ووفق إلى نظم كل ما يريد من مطالب.

****

صلاح الدين بن سليمان

١٠٥١ - ١٠٩٨ هـ / ١٦٤١ - ١٦٨٦ م

- هو الشيخ صلاح الدين بن سليمان بن صادق إبراهيم ابن خان شيخو بن عبدالقادر بن حسين كُتي بن حسين زاري بن عبدالله[1]، ولد سنة ١٠٥١هـ، الموافق ١٦٤١م، وهو من أسرة نزحت من مصر سنة٢٣٢هـ، الموافق ٨٤٦م، واستوطنت تاميل نادو بجنوب الهند، تعلم على يد والده العالم الكبير سليمان ولي الله، ثم على يد أخيه صدقة الله، العالم والشاعر الكبير، ثم تتلمذ على علماء عصره، وأتقن اللغات الهندية والفارسية والعربية، وبرع في الفنون والعلوم، وتضلع باللغة العربية، وعرف مبانيها، وبلاغتها.

- تعلم الشيخ صلاح الدين عدة لغات، اللغة العربية، ولغة تاميل، واللغة الهندية، واللغة السنهالية، لغة سيلان، (سري لانكا) وألف الشيخ صلاح الدين بعض الكتب، منها:

  - **كتاب معارف العوامل، وهو شرح لألفية ابن مالك.**
  - **الحكم، وهي قصيدة من ١٣٢ بيتًا طبعت ككتاب.**
  - **تشطير للقصيدة الوترية لأبي بكر البغدادي.**
  - **عمدة الحجاج، شرح لمناسك الحج.**
  - **ترجم ٢٠٥ بيتًا من اللغة التاميلية إلى العربية.**

- يعترف الشيخ صلاح الدين بفضل أخيه صدقة الله، وتعليمه، فكان له أثر كبير في حياته، لذا عمد شاعرنا بمدح أخيه بقصيدة يقول فيها:

لـم نـرَ مـن حَـبـرٍ بـالـعـلـمِ أخَّـاذُ
مـع الـعـبـادة مـثـل الـشـيـخ أسـتـاذي
صـداقـة شـبـلِ الـضـرغـامِ والـدنـا
سـمـي الـنـبـي سـلـيـمـان بـه شـاذي
جـزاه عـنـي إلـه الـعـرش خـيـر جـزا
أفـادنـي فـدتٌ لا هـو لـي بـنـبّـاذي

- وفي قصيدة أخرى يمدح مؤلفات أخيه حيث يقول:

(١) ك. م. ع. أحمد زبير، أسرة الشيخ صدقة الله أبا، ص ٩٦. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ١٦٩.

ما كان في زمن الماضي وإقبال
نظير تخميس شيخي العالم العالي
قاموس علم عديم المثل ذي الحكم
بهلولنا شبل الهرماس كالوالي
صداقة ولد المسمى من ضحك
من نملة صاحب العليا وإفضال
فذاك أحسن تخميس على الوتر
ية الشهيرة في طه وفي الآلِ

• تخميس الشيخ صدقة الله للقصيدة الوترية للشيخ أبي بكر البغدادي، وإشارة إلى النملة التي كلمها سيدنا سليمان- عليه السلام-، لأن أباه اسمه سليمان باسم نبي الله، وهو يعني أباه.

• نظم الشيخ قصيدة طويلة بلغت ١٣٢ بيتًا من الشعر العربي، وهي أصلًا من اللغة التاميلية، لغة جنوب الهند، وليست ترجمة حرفية ولكنها مزيج، وهي في الأخلاق، وغير بعضها لتناسب الأخلاق الإسلامية، يقول في بعضها:

يقول من بصلاح الدين قد وسما
أبوه باسم ابن داود فشا وسما
الحمد لله حمدًا لا نظير له
ثمّ الصلاة على من جالنا نعما
محمد خير من أوصى لأمته
بالخير والآل مع أصحاب من عصى
يا طالب الدين والدنيا عليك بما
أوصيك تُكفي البلا والفقر والسقما
ودع بجهدك آفات اللسان فلا
تغتب ولا تك مكذابًا ولا خصما
ودَع أمورًا تنيل السهو صاحبها
والفقر دع ذوق ما مُرّت وما دسما
وكذا الحوامض أكلًا كان أو شربا
بالاعتياد فلا تكن بها جُمعا

• هذا شاعر بسيط الفكرة، سليم العبارة، ولكنه ضعيف الصياغة اللفظية، فهو ليس كأخيه الشيخ صدقة الله، ولكنه يحاول أن يجد طريقه في النظم، لأن لديه قدرة على ذلك، غير أن عمره قصير نسبيًا فقد توفي سنة ١٠٩٨هـ، الموافق ١٦٨٦م.

****

ص

ضياء الحق أصغر علي

١٣٣٠ - ١٤١٠ هـ / ١٩١١ - ١٩٨٩ م

- ولد الشيخ محمد ضياء الحق الصوفي بن أصغر علي روحي[١] في مدينة لاهور سنة ١٣٣٠هـ، الموافق ١٩١١م، تعلم في لاهور، واستمر في التعلم إلى آخر مرحلة، وحصل على الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، وكان يتقن لغة الأردو إلى جانب العربية، وينظم بهما أشعاره.

- عمل في التدريس أستاذًا للغة العربية وآدابها في الكلية الحكومية في مدينة جهنك (١٩٣٧-١٩٤٢م) ثم الكلية الحكومية في ساهيوال إلى سنة ١٩٥٨م، بعدها عاد إلى موطنه لاهور وترأس قسم اللغة العربية في الكلية الحكومية حتى تقاعده، وفي خلال عمله في كلية الدراسات الشرقية بجامعة البنجاب في لاهور تجمع حوله معظم الطلبة الذين تخرجوا على يديه في اللغة العربية، وكان تقاعده سنة ١٩٧٠م.

- حاز الدكتور ضياء الدين على عدة شهادات: ماجستير في اللغة العربية، وماجستير في اللغة الفارسية، وماجستير في اللغة الأردية، ثم حصل على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية سنة ١٩٥١م، وذلك بترجمة وتحقيق كتاب «المعارف» لابن قتيبة.

- للشاعر ضياء الحق عدة مصنفات منها:
  - **شرح القصائد الهمزيات العشر في مدح سيد البشر.**
  - **فهارس تفصيلية لكتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان.**
  - **ديوان شعر باللغة العربية، وبلغة الأردو.**
  - **تلخيص الإشارات لابن سينا.**
  - **تمدن الإسلام وتمدن العرب.**
  - **ابن قتيبة وكتابه «المعارف».**

- له قصائد متعددة باللغة العربية، منها قصيدة في رثاء مؤسس باكستان محمد علي جناح، يقول فيها:

بعقْوتِنا غراب البينِ صاحا
أصاب الموت قائدنا الجناحا
إذِ الناعي نعاهُ لنا صباحا
علا صوت الجميع بِوا صَباحا
رمى الحدثانِ قومَ المسلمينا
فلم يجدوا من القَدَرِ البراحا
وما من مسلمٍ في الدّهرِ إلا
عليه بقلبه بَكَّى وناحا
أخو ثقةٍ وذو رأي سديدٍ
غيورٌ حازمٌ جارَ الرياحا
وفِيٌّ صادقٌ قولًا وفعلا
فَعَرْفُ وفائه كالمسكِ فاحا
طويلُ الباعِ ذو ظرفٍ وسيعٍ
رحيبٌ صدره نالَ انشراحا

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٩: ٥٢٦. حامد أشرف همدان، الشعر العربي في باكستان ص ٣٠٢.

لـــهُ تـدبـيـرُ ذي حـنـكٍ حكيمٍ
خـبـيـرٌ مـاهـرٌ طـلـب اقـتـراحـا
وَلـــوجٌ فـي صـعـوبـاتٍ خـروجٌ
حـــوالـــيٌّ لـــه الـعِـقـبـان لاحـا
أُهـيـلُ الـهـنـدِ لـم يـألـوا فسادًا
فَسخّرَهم وإن كـانـوا سراحـا
مُـسـلَّـمـةٌ سـيـاسـتُـه لـديـهـم
فـــإنَّ الـلـــهَ أعـطـاه الـكـفـاحـا
تـبـصَّـرَ فـي أمـــورِ الـمـلْـكِ حـينًـا
وفـكَّـرَ فـي الـمـقـاصـدِ واسـتـلاحـا
فـطـالـبَـهـم عـلـى حـــدةٍ نـصـيـبًـا
مـن الـمـلـكـوتِ كـي تـجـد الـنـجـاحـا
سـعـى لـحـصـولِ بـاكـسـتـانَ سـعـيًـا
وكـــان لـــه فـي الـمـيـثـاقِ تـاحـا
وأعـــمَـــلَ رأيَـــه لـحـصـولِ هـذا
وصـيَّـرَ عـقـلَـهُ الـصـافـي سـلاحـا
وحـالَـتْ دون مـقـصـدِهِ الـعـزيـزِ
عـــوائـــقٌ كـلُّـهـا لـكـنْ أزاحـــا
بـرغْـمِ الأنـفِ مـنـهـم صـارَ مَـلْـكًـا
وأخـــرج عـن رؤوســهــم الـمـراحـا
فـلـمـا لـم يـخـضـعِ الأعـــداءُ قَـسْـرًا
ولـم يـنـلِ الـمـقـاصـدَ مـا اسـتـراحـا
فـلـمـا أن تـحـصَّـلَ واسـتـقَـرَّتْ
قـــواعـــدُهُ فـلـم يـلـبـثْ وراحـــا
وسلَّـمَـنـا إلـى الـمـولـى الـجـلـيـلِ
لـعـلَّ الـلـــه يـرزقُـنـا الـصـلاحـا
وخَـلَّـفَ عـــبْءَ تـشـيـيـدِ الـمـبـانـي
عـلـى أبـنـاء مِـلَّـتِـه لـقـاحـا
وحـمّـلَـنـا جِـسـامًـا مـن أمـورٍ
وقَـلَّـدنـا مـن الـــذِّمـمِ الـوشـاحـا
سـبـيـلَ الـحـقِّ الـرُّشْـدَى هـدانـا
فـبـان طـريـقُ مـنـزِلِـنـا ولاحـا
بـتـأسـيـسِ الـحـمـومـة مُـسـتـقِـلا
حـصـونَ الـمـجـد لـلـقـومِ اسـتـبـاحـا
فـنـرفـعُ رأسَـنـا شـرفًـا وعِـــزًّا
وبـاهـا كـلُّـنـا فـخـرًا ومـاحـا
ونـحـن الـقـائـمـون بـمـا عـلـيـنـا
بـفـضـل الـلـهِ لا نـخـشـى وقَـاحـا
ونـشـكـرُ ربَّـنـا ذا الـطَّـوْلِ والمـنْ
عـلـى هـــذا غُـــدوًا أو رواحـــا
فـصـبـرًا أهـــلَ بـاكـسـتـانَ صـبـرًا
فـأهـلُ لـصـبـر يُـــؤتَـــوْن الـفـلاحـا
وربّـكـمُ اسـألـوا الـغُـفـرانَ وادعـوا
تـجـــاوزَ عـن جـرائـمِـه سـمـاحـا
مُـــؤرِّخُ مـوتِـه قـــال ارتـجـــالا
بـــدارِ الخُـلـدِ قـد عـــلاّ المـراحـا

• على الرغم من صعوبة حرف الحاء ليكون رويًا لقصيدة إلا أن الشاعر قد ركب هذا الحرف ونجح في نظم قصيدة طويلة، وهذه قدرة لا يمتلكها كثير من الشعراء، وله قصيدة أخرى نظمها أثناء عقد مؤتمر «منظمة العالم الإسلامي» في باكستان سنة ١٩٧٤م، وحضر رؤساء

الدول الإسلامية، فنظم شاعرنا الصوفي هذه القصيدة، مرحبًا بالملك فيصل، التي يقول فيها:

أيا ضيفَنا أهلًا وسهلًا ومرحبا
عليك سلامُ الله ما هبَّتِ الصَّبا
ويا زائرًا من أرضِ أكرم بلدةٍ
لها الذِّكرُ ما أحلاه فينا وأطيبا
حَدا بك من بُعْدِ هوًى للقائنا
صنيعُك هذا لم يكن مُترقَّبا
لقد سرَّنا أن قد وطئْتَ بلادَنا
وقد هزَّنا واللهِ هذا وأطربا
يقول الورى للهِ درُّكَ قادمًا
سُقينا به من رحمة اللهِ صَيِّبا
ونادى منادٍ بيننا بقدومه
فشَوَّقَ منا راغبين ورغَّبا

• قدرة الشاعر الصوفي محمد ضياء الدين كبيرة في النظم العربي، ويمتلك الموهبة اللازمة، والأهلية في نظم القصيد، استخدم بحور الشعر القديمة، واختار الألفاظ المعبرة عن الفكرة، وكان قادرًا على وضع الفكرة أولًا ثم البحث عن البحر العروضي، والألفاظ الموحية، وأخرج قصائد عربية طويلة.

• كان للدكتور ضياء الحق أخت فارقت الحياة، وكانت أثيرة لديه، فنظم قصيدة في رثائها، يقول فيها:

مضت أختي وحقَّ ليَ البكاءُ
ودأب الدهر ما قدم اللحاءُ
فجلت دار برزخ التي عن
عيون الناس واراه الخفاءُ
رهينة حفرة لافكّ عنها
إلى يوم الحساب ولا لقاءُ
ونحن عمون منها ما حيينا
وبعد الموت ينكشف الغطاءُ
هوت أم الزمان له صروف
فليس بغير تكدير صفاءُ
على الحدثانِ ليس لنا اختيارُ
ومحتويات أيدينا الهواءُ
لقد خلق الدّواء لكل داءٍ
وداء الموت ليس له دواءُ
وقد بلغ الطوارق لي مداها
فما الصبر الجميلُ وما العزاءُ
رزيتُ شقيقتي يا لهف نفسي
فعن عودي قد انقشر اللحاءُ
وأعجب منكِ كيف رحلتِ أختي
ولم يك منكِ مرجوًا جفاءُ
ولكني عذرتكِ إذ من المو
تِ ليس لواحدٍ منا النجاءُ
رحيلكِ كان كرهًا قد علمنا
وكل الشيء للموت البُراءُ
وأيام السعادة والتهنّي
قد اختتمت وحل بي الشقاءُ
فلما أن رحلتِ بقيتُ فردًا
وشغلي دائمًا ألفٌ وهاءُ

• رثاء معبر عما يكنه الشاعر لأخته، التي كانت له نعم الشقيقة، فرثائها يقطر منه اللوعة والأسر، وقد اختار الكلمات العاطفية الحزينة التي تصطدم بالواقع المرير، وهو الموت، فكان الشاعر يعبر عن المحبة، ولكنه انهزم أمام القضاء والقدر.

• بعد العمل الفني في كتاب « المعارف» لابن قتيبة جالت في خاطره أبيات شعرية نظمها في وصف الكتاب، يقول فيها:

كتابُ المعارفِ لابن قتيبةْ
خزانةُ علمٍ لأهلِ الأدبْ
ففيه النوادرُ مجموعةٌ
لنفس امرئ فيه كنز الطرب
غنيّ فيه عن كتبٍ ضخمةٍ
على طالبِ العلمِ فيما وجب
معارف شتى بطيّاته
سبائك من فضّةٍ أو ذهب
فقل للذي لم يزل كادحًا
لتحقيقِ شيءٍ ونال النصبْ
ألا لا تَـتِهْ في ظلامِ العمى
بمضمونه لذ وبله الطلب
إذا كنت تطلب علمًا يقينًا
بأخبار تاريخ ملك العرب
عليك بتفتيش أوراقه
تجد فيه ما تبتغي والأدب
وإن قلّ حجمًا ولكنه
قليل كفى من كثير التعب
مبينة فيه كل العلوم
على صغرِ الحجمِ يا للعجب

• جميل جدًّا أن يصف الشاعر أحد الكتب المهمة في تاريخ الأدب والثقافة عند العرب، فقد أبدع في الوصف، ونقل المعلومة. وله أيضًا قصيدة في وصف الشمس، حين يقول:

الشمسُ في كبدِ السما
ءِ مِنَ الصباحِ إلى المساء
في كل صبحٍ تطلعُ
للنور نعم المنبعُ
ضاحكةً مستبشرةً
فالأرضُ منها مسفرة
بنشرها وذرها
تجري لمستقرّها
سراجُنا الوَهَّاج
منزله الأبراج
جذوة نار تستعر
والسحر سحر مستمر
تبهرنا ضياؤها
تعجبنا سناؤها
وقت الطلوع والغروب
كأنها تبر يذوب
هي عينُ ماء حياتِنا
أصقل من مرآتنا

صـــبـــاحَ كـــلِّ يـــومِ
تُـوقـظـنـا مـــن نـــومِ
وذاتـــــك المـــنـــيـــرةْ
زادت لـنـا الـبـصـيـرةْ
خـــالـــقـــك الـعـظـيـم
ســبــحــانــه حـكـيـم
لـــــه بـــكـــلِّ آن
شـــان وأيّ شـــان
هـــو مـحـسـن فـي وضـعـهِ
ومُـتـقـن فـي صُـنـعـهِ
فـمـا أجـــلّ نـعـمـتـه
ومـــا أدق حـكـمـتـه
نـســألـهُ الـهـدايـةَ
فـي الـبـدء والـنـهـايـةِ

• شاعر فنان، ومبدع، وصف الشمسن ووصف الكتاب، فهو يصف المفيد للناس لترغيبهم في العلم والتدبر، ونظم قصائده بروح الشاعر المثقف، والواعي، وكيف لا وهو متعمق في دراسة العربية، لغة وثقافة، فلم يكتف بالنظم بل مزج به علوم العرب وثقافتهم، وكان وصفه دقيقًا، ومفيدًا للأجيال الشابة، وترك أثرًا كبيرًا لمن يأتي من بعده.

• قرأ الأستاذ آلاف من قصائد الشعر العربي، واستطاع أن يكون ندًا لشعراء العرب في الأفكار، أو في صناعة الشعر، وظهر في شعره ما تردد في بعض قصائد العرب، يتمتع الشاعر بخيال واسع صنع منه صورًا فنية بلاغية، وإن كان مبالغًا في الرثاء المتوفى، إلا أنه يبرر ذلك بمكانة الرجل في الدولة.

• إنَّ جوانب من قصائده جميلة الصنع، وفيها موسيقا داخلية وخارجية، وهذا بفعل التنسيق والتناسب بين الألفاظ والمعاني، لذا تظهر موسيقاه فيها، فضلًا عن قوة السبك، وسهولة الكلمات فلا غموض، ولا معاضلة، وكان أسلوبه سهلًا مفهومًا، والغرض واضح في أبيات القصيدة.

****

ضياء الدين العمري

٠٠٠ - ١٢٥١ هـ / ٠٠٠ - ١٨٣٥ م

• هو الشيخ ضياء الدين بن نعيم الدين العمري المالوي[1]، درس في بلدته المبادئ الأولى، وحفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية، وتضلع فيها، أخذ الطريقة الصوفية من الشيخ أبي الليث بن أبي سعيد الشريف الحسني البريلوي، ثم استفاض من الشيخ رءوف أحمد الأحمدي

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٧ ص ٢٢٩. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية ص ٢٣٧.

الرامبوري، في مدينة بهوبال، ودرس الهيئة والهندسة والتصوف، وكان يقرض الشعر، وله قصائد، وخاصة في مديح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشعره سهل وألفاظه متناسقة مع فكرته، وأسلوبه واضح، لا يستخدم الألفاظ النادرة، ويقول في القصيدة:

محمد المحمود خير مهاجر
به حسن الحسنى به سعد السعدُ
به ختم النبيين كلهم
إلى الخلق لا يأتي نبي له بعدُ
كمالاته جلّت عن الحصر جملة
فما سدّها أحدٌ ولا جمع العدُّ
وإعجازه القرآن مازال نقطة
ولا خفَّ مشدود ولا قصر البعدُ
ولا يمكن الإتيان منا بمثله
فويلٌ لمن يشقى عن الدين يرتدُّ

- وبعد هذه المقدمة يمضي الشاعر في وصف رحلة الإسراء والمعراج، التي أبهرت قريش، فيقول:

وسلمت الأنعامُ والطيورُ والحصى
عليه كذا الأشجارُ والحجر الصلدُ
وصلى بجمع الأنبياء لفضلهم
فسار إلى الأفلاك والشوقِ يشتدُّ
له فتحوا الأبوابَ ينتظرونه
تزيّن كل والثريا له القصدُ
دعاه إله الخلق يطلب قربه
دنا منه شوقًا والسرادق منقدُ
فذاك مقامٌ فاق كلاّ شرافة
فما ناله حرٌّ ولا رامه عبدُ
رأى النار والجنات كلا بعينه
بكل عجيب في العوالم يعتدُّ

- هذا شاعر سهل الألفاظ، اعتمد على ما ورد في السيرة النبوية من معجزات رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-وصاغها شعرًا بسيطًا مع التمجيد لرسول الله، استعمل الطرق القديمة في النظم، والخيال والتصور ما ورد في السيرة، كان المعنى واضحًا جليًا لا لبس فيه ولا غموض، فهو ناظم لمعجزات رسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام-.

- هذه القصيدة الوحيدة التي قرأتها لهذا الشاعر، ولا يستطيع أحد أن يقيم عمله الشعري من خلال قصيدة نظم في معجزات رسول الله، فهو شاعر ناظم، متمكن من اللفظ العربي، دارس للسيرة النبوية، ويغلب عليه روح التصوف، ولا خيال في قصيدته، ولا صور بلاغية فيها.

****

ضياء الدين بن عبدالنبي

١٣٩٢ - ٠٠٠ هـ / ١٩٧٢ - ٠٠٠ م

• هو الشيخ ضياء الدين بن الشيخ عبدالنبي[١]، ولد في قرية هنكير ، ولايةٍ ندرابرادش في الهند، سنة ١٣٩٢هـ، الموافق ١٩٧٢م، درس المرحلة الأولى في بلدته إلى الصف الخامس، ثم التحق بالجامعة النظامية في حيدرآباد سنة ١٩٨٦م، ثم انقطع عن الدراسة ليحفظ القرآن الكريم، لأن الجامعة النظامية جامعة أهلية دينية، فحفظ القرآن في سنتين، وبعدها عاد إلى الجامعة النظامية، وأكمل دراسته وتخرج سنة ١٩٩٦م.

• قرأ العلم على أساتذة الجامعة مثل؛ العلامة طاهر الرضوي، والشيخ خواجة شريف، والشيخ عبدالله القرشي الأزهري، والشيخ المفتي ولي الله، وحصل على شهادة « الفاضل» سنة ١٩٩٦م، وواصل دراسته وحصل على شهادة أخرى هي» الكامل» في سنة ١٩٩٨م وبعد تخرجه عمل في الجامعة النظامية نفسها، وكانت علاقته وطيدة مع أساتذتها، وشيوخها القائمين عليها.

(١) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٤٥٥.

• نظم الشاعر القصائد العربية، في بداية حياته العملية، وله عدة قصائد في مدح رسول الله، منها قوله:

الحمدُ لله ذي الأفعالِ الكرمِ
حمدًا وشكرًا في أعظم النعمِ
يا ربِّ صَلِّ وسلم منك كاملة
على نبيك محبوبًا من القدمِ
في شأنه ورفعنا في الكتاب أتى
أثنى عليه بديع الخلق كلهمِ
وذكره في الصلاة والأذان علا
به الضياء في السما والجو والأكمِ

• كلمات بسيطة وسهلة، وخفيفة الوزن، لا نعاضلة فيها، وله قصيدة أخرى، يقول فيها:

ولد الحبيبُ منزهًا وممجدًا
سماه رب العالمين محمدا
متطهرًا من كل عيبٍ سالمًا
في الخَلقِ والخُلُقِ العظيم مفردا
يا مصطفى يا مجتبى خير الورى
شمس الضحى بدر الدجى بور الهدى
أنت المنى يا سيدي مأمولنا
أنت المشفَّع ههنا والموعدا

• ومن قصيدته العينية ، يقول:

الحمد لله الذي هو يبدعُ
ثم الصلاة على حبيب تتبعُ

يـا مـن بـه أنـــوار عـلـمٍ تـسطـعُ
يـا مـن بـه تجـري الـعـيـون وتـنـبـعُ
في الحشر يأتيك الورى مستسقيًا
أنـت الـذي يـسـقـي بـكـأس تشبـعُ
يـا سـيـدي جَـمّـتْ ذنـوبـي كـثـرةً
أرجـو شفـاعـتَك الـتـي هـي أوسـعُ
يـا ربِّ فاحشر جمعنا في ظلّهِ
فـي يـوم لا مـال وابـن يـنـفـعُ
يـا ربِّ صـلِّ عـلـى الـنـبـي وآلـهِ
والـصـحـب سلـم دائـمًـا لا يـقـطـعُ

- لا شك أنه شاعر يمتلك أدوات الشعر، من ألفاظ مناسبة للنظم، وأوزان البحر، والمنى المراد من القصيدة، مع تناسق بين اللفظ والمعنى، ولكن هذا شاعر شاب، وخبرته في النظم قليلة، وليس لديه فكرة الخيال الشعري، فأبياته سهلة مباشرة يخاطب بها الممدوح، وهو هنا رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- فهو واضح الألفاظ ومفهوم المعنى المراد، ويستخدم الألفاظ السهلة ليفهمها الجمهور، فليس لدينا قصائد أخرى ذات موضوع آخر، لذا فلا حكم نهائي لقصائده، وأن كنت أرى أنه ربما يتغير نظمه إلى حفظ كثيرًا من القصائد العربية، وخاصة فيما يتعلق بمديح رسول الله؛ مثل بردة كعب بن زهير، أو بردة البوصيري، أو لامية الهند لعبدالمقتدر الدهلوي، وغيرها من القصائد.

****

طاهر إبراهيم الرضوي

١٣٤٩ - ٠٠٠ هـ / ١٩٣٠ - ٠٠٠ م

- هو السيد طاهر بن السيد إبراهيم بن السيد عباس بن السيد حيدر بن السيد عباس بن السيد علي بن السيد عبدالقادر بن السيد محمد بن أبي الحسن النجفي[١]، ينتهي نسبه إلى الإمام موسى بن جعفر، فهو من السادة الحسينيين، ولد في حيدرآباد سنة ١٣٤٩هـ، الموافق ١٩٣٠م، وتعلم على يد والده، الأديب الشاعر إبراهيم، فاستقى من أبيه كل العلوم والمعارف، وقرأ كتب التفسير، والحديث الشريف، وأتقن علم الكلام، ودرس كتب التاريخ والفقه وأصوله.

- التحق السيد طاهر بالجامعة النظامية ، وأبدى تفوقه باللغة العربية،، ثم حصل على شهادة « الكامل»، ثم التحق بالجامعة العثمانية وحصل منها على شهادة الماجستير في اللغة العربية، وبعد تخرجه عمل مدرسًا في الجامعة النظامية، واستفاد منه الطلاب كثيرًا، فهو أستاذ الجيل في حيدرآباد.

- يقال بأن الولد سر أبيه، وهذا ينطبق على السيد طاهر، فهو شاعر بن شاعر، وأديب بن أديب، له قصائد في مديح رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم-، وقد تشرف بأداء مناسك الحج بدعوة من السلطات السعودية، نظم قصيدة، يقول فيها:

الحمد لله ذي العرش على النعم
وجاعل البيت مأوى الناس بالكرمِ
الله كرمك يا فهدُ منزلةً
أكرم بك منعمًا يا خادم الحرمِ
شاهدنا حسن نظامٍ لا مثيل له
في البدو والحضر والفاع والأكمِ
يا عبد وهاب لقد جئنا لدعوتك
شكرًا جزيلًا نؤديه على الكرمِ
ثم الصلاة على من عمّ دعوته
هادي الناس إلى التوحيد بالحكمِ

- وله قصيدة أخرى نظمها بالحرم المكي أيضًا، يقول فيها:

الحمد لله ربي المالك الأحد
القاهر الفرد والباني بلا عمدِ
قم الصلاة على من تجري دعوته
من غير نسخ لها تبقى إلى الأبدِ
وفضل الإنسان بين الخلق منزلة
أكرم به رتبة من خالق صمدِ
إنَّ اللغات لمن آياته وضحا
واللسن أفضلها العربي بلا كمدِ
جزاكم الله خيرًا جئتم فرحًا
وإنما العربي كالروح بالجسدِ

(١) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٤٣٧.

• هكذا شاعر هندي يفتخر باللغة العربية، ويمجّد من ينتمي إليها، ويشبه الانتماء إليها مثل الروح للجسد، ولا شك أنه ينظم إلى العربية على أنها لغة القرآن الكريم والحديث الشريف، فكل مسلم عليه أن يعرف شيئًا من اللغة العربية، لأن الصلاة لا تجوز إلا باللسان العربي.

• للشاعر طاهر الرضوي قصيدتان في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يقول في الحائية:

الشمسُ والبدر والأفلاك والشجرُ
طوعًا له فرحًا من مهده القمرُ
كان النبي يناغي القمر والقمر
شوقًا يناجيه لعبا عينيه النظرُ
الله بارك فيما كنا نقتبس
وزادنا ولعًا من نوره المطرُ
ليس له المثل في الأكوان من أحدٍ
قد بان منه السماء والأرض والثمرُ
الحمد لله أن قد كنا أمتهُ
ومسنا الفضلُ حتى كنا نفتخرُ

• المسلمون يأخذون الأحاديث التي فيها كرامات على أنها صحيحة مئة بالمئة، دون النظر إلى المصدر والراوي، وبعض علماء المسلمين يتوقفون عن الأخذ ببعض هذه الأحاديث لعدم وجود الرواة الثقة، ولكن بشكل عام يتقبلونها، ويفترضون صحتها. مهما كان بها من دلالة لا تتفق مع العقل، أو المبادئ الإسلامية الحق.

• القصيدة الثاني التي نظمها الشاعر عن رسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام- الهمزية، وفيها شكر لله على الهداية، يقول فيها:

له الشكرُ على أن قد هدانا
بنور قد جلا منه الفضاءُ
ألا وهْوَ النبيُّ الهاشمي
ومنه الابتداء والإنتهاءُ
فبين الله والخلق وسيط
أضاء من محياه الضياءُ
وذاك رحمة للخلق جمعًا
فمنه قد تَعاورَهُ البقاءُ
وسمّاه سراجًا للحياةِ
به للناس كلهم اهتداءُ
فكان عاجزٍ من وصفه إذا
تقاصر عن محاسنه الثناءُ
لكل من نبيٍّ أو رسولٍ
مراتب دونه وله العلاءُ

• طلب الشفاعة هو القصد من هذه القصائد، ولا فيها من الخيال الشعري شيء، إنما الشاعر يمتلك أدوات الشعر، فهو استخدم البحر الخليلي المناسب، وتحكم في الألفاظ لتناسب المعنى، وكان له قدرة على النظم باللغة العربية، واستعمل أسلوبًا مناسبًا لنظم قصيدته، ولكن بحكمها

الغرض من القصيدة، فهذه قصيدة مدح، ليس فيها من الصفات الشعرية شيئًا، سوى النظم والقافية.

- شاعر متمكن، له قدرة على استعمال الألفاظ في مكانها الصحيح، وأعطاه الله موهبة، ينظم بها الشعر، ولكن لا وجود للخيال أو الفكر في كثير من الأفكار التي تراود خياله، فهو شاعر ناظم، وليس شاعر مفلق، ولعل ما يتمتع به من قدرات يستطيع أن يأتي بالأفضل.

****

طاهر بن سيف الإسماعيلي

٠٠٠ - ١٣٨٥ هـ / ٠٠٠ - ١٩٦٥ م

- أبومحمد، طاهر بن سيف الدين الإسماعيلي[1]، غير معروف تاريخ ميلاده، درس العلوم الدينية على مذهب البهرة، وتعلم القرآن الكريم واللغة العربية، والعلوم العقلية والنقلية، ترأس الطائفة الإسماعيلية، البهرة، وقام بنشاط كبير في أنحاء الهند، وأهلته دراسته العلمية أن أصبح نائب رئيس جامعة عليكره، جنوب دلهي، وله شعر قليل باللغة العربية، منه قصيدة في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- ولكن لم نجد له أشعارًا أخرى لقلة المصادر عنه.

- القصيدة الوحيدة في الصلاة على رسول الله هي:

صلى على محمدٍ ربُّهْ
حبيبه من حَبَّه حِبّهْ
صلى على محمدٌ ربه
محمد عِزَّ به حِزْبُه
محمدٌ من بين رُسْلٍ خلت
شمسُ هُدًى وكلهمُ شُهْبُه
محمدٌ قربهُ ربُّه
حتى كقوسين غدا قُرْبُه
نورٌ ربوبيٌّ سرقه
منوّرٌ ومثلهُ غربُه
طوبي لمن يزور مغنًى حوى
ضلوعَه في لَحدهِ تُربُه
خيرُ رسولٍ مصطفى قد صفا
من قَذَرٍ لشرعه شِربُه
من كظَّه من دهره صرفُه
فليستجرْه ينكشفْ كربه
غوثٌ لمن قد مسّه ضرُّه
غيثٌ لمن حلَّ به جدبه
محمدٌ موحِّدٌ ربَّه
توحيده من دينه قطبه

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٩ ص ٦٠٧

محمدٌ حسبيَ في شدَّتي
طوبى لمن محمدٌ حسبه
صلِّ عليه وعلى من همُ
عترتُه صفوتُه صحبُه

- شاعر بسيط، وأفكار سهلة ميسورة، وألفاظ مناسبة لمحتوى الأفكار، لا خيال فيها، ولا ترتيب لتراكيب لغوية كبيرة، فهو شاعر ناظم لأفكاره، ومدحه لرسول الله – عليه أفضل الصلاة والسلام- فيه سذاجة، وبراءة، فهو عبر عن حبه بطريقة عفوية ساذجة، لا يوجد صور بلاغية، ولا أنماط فنية للمديح، غير أنه حافظ للألفاظ العربية وكيفية استعمالها في القصيدة، والاحتفاظ بشكل القصيدة التقليدي.

- الشاعر طاهر سيف الدين غير متفرغ للشعر، فهو يدير جامعة كبيرة، مثل جامعة عليكره، المتعددة الكليات والمعاهد، وإن نظم بعض القصائد فهذا في سبيل الوعظ والإرشاد الذي يدخره للآخرة، ولم نر له قصائد أخرى، لذا كان الحكم عليه من خلال هذه القصيدة. توفي سنة ١٣٨٥هـ، الموافق ١٩٦٥م.

****

طفيل محمد البلغرامي

١٠٧٣ - ٠٠٠ هـ / ١٦٦٢ - ٠٠٠ م

- هو طفيل بن محمد بن شكر الله الحسيني الأترولوي البلغرامي[1]، ولد في قرية باترولي من أكبرآباد سنة ١٠٧٣هـ، الموافق ١٦٦٢م، درس الدروس الأولى في قريته، ثم ذهب في صباه مع عمه أحسن الله إلى دلهي، فقرأ ميزان الصرف على يد الشيخ حسن الحسيني الفارنولي، وقرأ على عمه المذكور الكافية للجامي، ثم ذهب إلى بلغرام لتلقي العلم، حيث قرأ الكتب الدراسية، ثم على يد القاضي علم الله الكجندوي، وقرأ المطولات على السيد قطب الدين الشمس آبادي، أما الحديث فقد استقاه من الشيخ مبارك بن فخر الدين الحسيني.

- سكن في بلغرام، وكان همه الدرس والإفادة، ولم يلتفت إلى جمع المال، أو الزواج من إحدى النساء، وبقي كما هو، بعيدًا عن الناس ولكن استفاد منه كثير من العلماء وطلبة العلم، ومن تلاميذه السيد غلام علي البلغرامي، وآخرون.

- كان يميل إلى قرض الشعر أحيانًا، وله بعض الأبيات مبثوثة في كتاب السيد غلام علي آزاد البلغرامي «سبحة المرجان» ومن شعره:

(١) غلام علي البلغرامي، سبحة المرجان في آثار هندستان، ج٢ ص ٩٥، ٨٧، ٣٣٧.

قلنا له عينك النجلاءُ باخلةٌ

فيها الرنو إلى العشاقِ مفقودُ

فقال العين قد جاءت مؤنثة

وفي الإناث طريق البخل محمود

- تصوير جميل للغزل، وكيف يكون الحبيب بخيلًا في اللقاء، ولكن هنا النظرة فيها بخل، وعلل ذلك بكون العين مؤنثة، ومن شيم التأنيث البخل. وفي قطعة أخرى يقول:

حلّتْ عنِ التوصيف روضةُ رامة

بنيان في أورادها أقسامُ

وغدوت من نمامها متعجبًا

لا يدخلُ الجنةَ النمّامُ

- وفي هذا ما يشير إلى حديث «لا يدخل الجنة نمام»، مما يدل على سعة اطلاعه على اللغة والأحاديث، حتى وإن كانت غير صحيحة، فهو شاعر متمكن من أداء عمله الفني بكل جدارة، وفي قطعة أخرى، من الدوبيت، يقول:

الحبر المقتدى إمام الجمهور

قلب في صدره بنور معمور

هادي السّارِين في دُجا معتكر

مقبول نبينا طفيل ذو النور

- وذو النون هو طفيل بن عمرو الدوسي، دعا له رسول الله- عليه السلام-: اللهم نوّر له، فسطع نور بين عينيه، وهذين البيتين يدلان على أن شاعرنا يقتبس من التراث الإسلامي ليضعه في أبياته، وهو في ذلك يرقى إلى مستوى كثير من شعراء العربية.

- يلتفت الشاعر إلى الغزل، ويتصور بعض الناس يحومون حول الفتيات بغرض الغزل والتقرب إليهن، فقد يحصل على مبتغاه، وقد ترده يائسًا مخذولا، ويتصور شاعرنا بأن هناك واحدة من الفتيات الجميلات تراقب أحد الشباب، وهو يحوم حول المشربية، أي العلية، يريد التقرب منها، فيقول الشاعر على لسانها:

بمهجتي غادةٌ قالت لجارتها

شخص أراه خليعًا فارغ البالِ

يحوم كلَّ أوان حول مشربتي

إني لأقتله في أسرع الحالِ

- محادثة تجري بين جارتين حول الفتى المغرم بإحداهن، ذلك تصور الشاعر، ومثله ما ورد على لسان الشاعر العربي لقيط بن بكير المحاربي حيث يقول:

لما رأت مقلتي قالت لجارتها

لقد قتلتُ قتيلًا ماله خطرُ

قتلتُ شاعر هذا الحي من مضر

والله يعلم ما ترضى به مضرُ

- يبدو أن شاعرنا قد حفظ الشعر العربي، ودارت بخلده أبيات الشعراء حين ينظم قصيدة، فيها تصور شكوى الجارة لجارتها، وهذا نوع لطيف من ردة فعل الفتاة من تحرش الشاعر بها.

- هذا شاعر قوي الملاحظة، وخياله من أبدع ما نظمه الشعراء من خيال خصب، ولكن ما وصلنا من أبياته هذه قليلة، فهو شاعر مبدع، ولديه قوة في النظم والأسلوب،

استخدم الألفاظ المعبرة الجميلة التي وظفها في هذه الأبيات، ولم أعثر على قصائد له على الرغم من شاعريته، وتناسق بين اللفظ والمعنى، ولديه صور فنية رائعة، مما يدل على عمق الدراسة الفنية في الشعر العربي، ولديه القدرة على النظم باللغة العربية وكأنه عربي محض.

- وقدرة الشاعر تأتي من حفظه لكثير من دواوين الشعر العربي، ويظهر ذلك في الصور البلاغية التي يضمنها أبياتًا نظمها، كما أن دراسته الدينية أعطته خلفية كبيرة من الآثار التي يستعمل بعضها في شعره، وإني لأعجب ممن لديه القدرة على كتابة سير الشعراء ولا يكتب عن هذا الشاعر المبدع.

****

طلا محمد البشاوري

١٢٣٠ - ١٣١٠ هـ / ١٨١٥ - ١٨٩٢ م

- هو القاضي طلا محمد بن القاضي محمد حسن بن محمد أكبر بن خان العلوم الأفغاني البشاوري[1]، وهو من عائلة معظمها قضاة، وأسرة علم ومعرفة، ولد سنة ١٢٣٠هـ، الموافق ١٨١٥م، ونشأ ودرس في بيشاور وتفقه على أيدي أهله أولًا، ثم على علماء عصره وأخذ الحديث عن السيد نذير حسين الدهلوي، ولازم الشيخ عبدالله ابن محمد أعظم الغزنوي، برز في العربية وتضلع بها، وأصدر ديوان شعر باسم « نشأة الطرب في أشواق العرب»، وهو من شعراء العشق الإلهي في القارة الهندية، ومن المدافعين عن بيضة الدين والسنة النبوية، وشعره فيه غزل عفيف، يدور حول الجمال الرباني، وينحو ناحية شعراء العرب القدامى.

- ويسلك في شعره مسلكًا عرفانيًا، بالحديث عن جمال المرأة، وله قصائد في التوسل والتضرع إلى الله ينشد العفو والغفران، والتزم بالبحور الخليلية، والقافية الموحدة، والقصيدة يبدأها بالنسيب، ثم غرض القصيدة، وله نفس طويل في النظم، كما أنه يمتلك ناصية اللفظ والمعنى، وتمكن من التصرف بالألفاظ.

- في قصيدة يناجي بها ربه يقول:

يا خالقي عبدك الخاطي الحزين لقد
أتاكَ منكسرًا فاجبر لمنكسرِ
مستغفرًا من ذنوبٍ لا عداد لها
بعفوك الجم يا رحمن لا تذر
فلا تدعني مليك العرش مطَّرحًا
بين النوائب والاسدام والغير
حسبي لدى الموبقات الصُّم أنت فلا
نرجو سواك لنيل السُّؤلِ والوطر

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٨ ص١٩٩. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج٩ ص ٦١١. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٢٧٥.

عليك يا ذا العطايا جريُ معتمدي
في كل خطبٍ أتى بالضير والضرر
فاغفر وأكرم عبيدًا ما له عمل
من الصوالح يا رحمن في العمر
لكنه تائب مما جناه فقد
أتاك مستغفرًا يخسى من السّقرِ
فإن رحمت على من جاء مفتَقِرًا
فأنتَ أهلٌ به يا رب فاغتفرِ
وإن تعذّب فإني أهلُ ذاك وذا
عدلٌ قويمٌ بلا لوم ولا نكرِ
ثم الصلاة على خير الخليقة من
كفاه معجزة أن شقَّ في القمرِ
وآله الطيبين الطهر قاطبة
وصحبه المكرمين السادة الغرر
ما هبت الريح واهتز النبات بها
وما تغنت حمام الأيك في السحرِ

• وفي قصيدة أخرى يناجي ربه، مستعطفًا متذللًا فيقول:

يا ربّ أكرِمْ على عبدٍ سَها وأسى
في الذنب منغمسٌ في الإثم مُنْغمرِ
فكم سَها في مشيب العمرِ واجبَهُ
وكم أسى في شبابٍ غيرِ مُعتكِر
أنتَ الغنيّ فلا يُخشى احتياجُكَ في
شيءٍ وأنت الغنيْ عني وعن وَزري
لا تنكرنَّ بنا الدنيا بعَوْنك يا
مُنْجي الغريق عن الدَّأماء ذي الخطرِ
يا خالقَ الخلقِ ما لي من ألوذ به
بغير فضلكَ عند الحادثِ الغيرِ
يا سيدي يا إلهَ العرش يا أملي
ويا غِياثي ويا كهْفي ومُدَّخري
سبحان ربِّك ربِّ العز عزَّ وجَلْ
عمّا يقول أولو الأهواءِ والنُّكُرِ

• الغزل عند الصوفية ليس لذاته، بل هو رمز لجمال الخالق، وجمال ما خلق، وجمال الوجود كله، فإذا ترنم بجمال أحد فهو اعتراف بجمال الله الخالق المصور، وجمال ما خلق من أشياء في الكون، سواء خلق الإنسان، أو المخلوقات الأخرى فكلها فيها جمال، فمن قصيدة تبدو غزلية يقول فيها:

راحت سُليمى فقلبي اليوم في قلقِ
ومهجتي من لهيب الوجْدِ في حُرَقِ
علياءُ في نسبٍ غيداءُ في طربٍ
لمياءُ في شَنَبٍ كحلاء في الحدَقِ
إذا بدتْ في أناسٍ قال قائلُهم
سبحان مَن خلق الإنسانَ من علقِ
فباركَ الله في حُسنٍ إذا طرحَتْ
على المناكب فَودَيْها ذوي الحَلَقِ
كأنها الصبحُ في نورٍ وفودتُها
سُرادقُ الليل قد سِيطتْ على الفلَقِ
البينُ أرَّقني والوجدُ أحرقَني
والقلبُ في رَهَقٍ والعينُ في أرقِ

كأنني تحت أقدامي لفي جمرٍ
لا أستطيعُ على حالٍ من القلقِ

- يبدو أن أثر قصيدة البردة لكعب بن زهير واضح من خلال صياغة قصيدة شاعرنا، حيث بدت في الأسلوب والطريقة نفسها مع اختلاف الألفاظ بما يؤدي للمعنى الذي أراده الشاعر، وواضح أيضًا بعض ألفاظ القرآن الكريم، وقصيدة أخرى نظمها الشاعر تبدو قريبة من الشعر العربي، يقول فيها:

قاسي بمحمل سلمى وارتقى شجني
وأسقم الهجرُ في أشواقها بدني
أضنى الهوى بُنيتي في العشقِ يا
أسفا لولا عليَّ من الأثواب لم ترني
فما بجفني لم ينظر إلى أحدٍ
وما لقلبي لم يرغب إلى سكني
قد زاد همّي وعيل الصبرُ أجمعهُ
إذ طافني طيفها وافتر عن وسني
فلا أنيسَ إليهِ منتهى جذلي
ولا صديقَ إليهِ مُشتكى حزني

- على طريقة شعراء العرب في الوقوف على الطلل، يسائل هنا عن الأحبة الذين رحلوا من المكان وبقيت آثارهم، ينسج الشاعر طلا محمد قصيدة في هذه الطريقة، يقول فيها:

قفا برياضِ الشِّعبِ خيرِ المنازلِ
بدمعٍ غزيرٍ في الصبابات سائلِ
لنبكِ ربوعًا شتَّت البينُ أهلها
وأقفرَها بالقَطرِ تسكاب وابلِ
منازلُ حسنٍ لا محا الله رسمَها
وعمَّرها عودًا بتلك القبائلِ
ألمًا على آثار ليلى وربْعِها
ودارٍ حَمَوْها بالرماحِ الذوابلِ
فداءٌ لها نفسي وقلبي ومُهجتي
وخالصُ أموالي وسِربي ونائلي
أيا سَمُرَاتِ الحيّ من أرضِ حاجرٍ
سقتكُنَّ وسميُّ الحيا بالهواطلِ
عهدتُ بكنَّ الحي في خيرِ منزلٍ
فيا طيبَه أكرِمْ به من منازلِ

- تأثر الشاعر بكل أنواع الشعر العربي، ويبدو أنه يحفظ قصائد وأشعارًا كثيرة، فالأثر يبدو واضحًا في نظم القصيد العربية، وهو متمكن من قواعد البناء الفني للقصيدة العربية، وله مقدرة كبيرة على الإتيان بكل أنواع البحور والقوافي المختلفة حتى يستطيع أن ينظم قصائد على مثل تلك الأمثلة.

- النشأة العلمية التي نشأها الشاعر انعكست على سلوكه الإسلامي، ووجد نفسه يقدر عظماء الرجال، ويحترمهم، لأنهم أعطوه كل ما يمكن من علم، ولم يبخلوا عليه بأي

شيء، وكان ردة فعله لهؤلاء العلماء هو الشكر والاحترام، فقد نظم شاعرنا قصيدة يمدح بها شيخة الكبير نذير حسين الدهلوي المحدث، بعد أن عرف قدر الأستاذ، يقول فيها:

أئمةٌ أيّد اللهُ الكريمُ بهم
دينَ النبيّ نبيِّ الجنِّ والبشرِ
لولاهمُ ما عرَفْنا الدِّينَ من سفهٍ
وما أصبْنا الهدى صفْوًا بلا كدرِ
فرحمةُ اللهِ والرضوانُ يتبعُها
عليهمُ ما بكى وُرْقٌ على سَمُرِ
قومٌ هم أيَّدوا الإسلامَ واتَّبعوا
وَحْيَ السماءِ من الجبّار فالذِّكرِ
فازا من اللهِ بالغفران وارتفعوا
في الخُلْدِ واتّكَأوا فيه على السُّرُرِ
هم في رياض التقى كالغيث في هطلٍ
هم في سماء العلا كالأنجم الزُّهُرِ
ففي مودَّتهم نافسْ وطِبْ وأنِلْ
وقَرّ عينًا بلا حقدٍ ولا وَغَرِ
إن رمتَ فوزًا فخذْ وارْوِ حديثَ نبي
عن معدنِ الرُّشْد لا تتركْ ولا تذرِ
فمعدنُ الرشد في هذا الزمان أرى
هو الهُمام إمام العصر ذا القدرِ
مُحدّثُ العصر دَأْماءُ العلوم ومَهْـ
ـدِيُّ الخلائقِ في بدوٍ وفي حضرِ
أعني «نذيرَ حسين» السيدَ السندَ الـ
ـعلامةَ المرتضى من سادةِ الغررِ
وكيفَ لا وهو من أولادِ سيدنا الـ
ـمبعوثِ شافعِ يوم البؤسِ والضررِ
عَونٌ لغيثٍ وشيخي في الحديث به
تغيَّبتْ مُنكرات البِدْعِ في العُصُرِ
ومستقيمٌ على درس الكتاب كتا
بِ اللهِ جَلَّ عن الأوهامِ والفِكَرِ
وبعدَه بأحاديث النبيِّ بها
له الهُيامُ هيامُ الوالهِ الضَّجِرِ

- الشاعر طلا محمد شاعر عربي حر، متمكن من اللغة، والبحور الشعرية، والأساليب الفنية للنظم، وقدرة عالية على التحكم في التراكيب اللغوية، ومن خلال هذه النماذج الشعرية يتضح مدى تعلق الشاعر باللغة العربية، وحبه لها، وقرضه للشعر فيها، فلم تتمكن لغة أخرى من منافستها، على الرغم من معرفته للغة الفارسية ولغة الأردو، فقط اللغة العربية فازت عنده في التعبير عن خلجات صدره وفكره المتوقد.

- أسلوب الشاعر مطابق لشعراء العربية العرب، فهو حفظ، ربما، معظم قصائد الشعر العربي المشهورة، فظهر في شعره الألفاظ، والطريقة وروح القصيدة العربية، فهناك

بعض التعابير نقلها من بعض القصائد العربية، فمثلًا حفظ المعلقات، وحفظ قصائد مديح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، فظهر ذلك كله في نظم أبيات قصائده.

- امتلك ناصية اللغة، وأخذ يتصرف فيها كما يريد، ألفاظها يشكلها بخيال خصب، وصور فنية بلاغية بحيث أتت كما يهوى، وتصوره للمحبوبة، لجمالها وغنجها، وتدللها، التي ظهرت وأبهرت حتى الشمس، أو النور الطبيعي في الكون، وكيف حاله وهو يرى ذلك الجمال، وتلك الطلعة البهية، ولم يمتلك قلبه من التعلق بها، ولم يستطع حبس دموعه، وزفرات نفسه من التعلق بها.

- وانتقل القاضي طلا محمد إلى رحمة الله سنة ١٣١٠هـ، الموافق ١٨٩٢م بمكة المكرمة، ودفن في مقبرة المعلاة.

****

ظفر أحمد العثماني

١٣١٠ - ١٣٩٤ هـ / ١٨٩٢ - ١٩٧٤ م

- هو ظفر أحمد بن لطيف أحمد العثماني التهانوي[١]، ولد بديوبند سنة ١٣١٠هـ، الموافق ١٨٩٢م، تعلم اللغة الفارسية، ثم دعاه الشيخ أشرف علي التهانوي ، وكان صديقًا لوالده، فأقام عنده فقرأ مبادئ علم اللغة، وهداية النحو، التلخيصات العشر، ثم مثنوي جلال الدين الرومي، والأسباق العربية، الدروس العربية، وترجمة القرآن الكريم، ثم التحق بمدرسة جامع العلوم بكانفور، وقرأ مشكاة المصابيح، وتفسير الجلالين، والهداية.

- وقرأ عند الشيخ محمد إسحاق البردواني الكتب الستة وموطأ الإمام مالك، وفي سنة ١٣٢٧هـ، الموافق ١٩٠٩م، التحق بجامعة مظاهر العلوم بسهارنفور، فقرأ صحيح البخاري وشمائل الترمذي، وكتب الفنون. وبعد أن تخرج أصبح مدرسًا في جامعة مظاهر العلوم سنة ١٣٢٨هـ، الموافق ١٩١٠م، ثم انتقل إلى رنكون للتدريس، وبعد ذلك أصبح مدرسًا في القسم الديني بجامعة دكا (بنغلادش حاليًا)، وأسس هناك مدرسة أشرف العلوم، وفي عام ١٩٥٤م حصل على منصب شيخ الحديث في دار العلوم تندوله يار (باكستان) واستمر على وفاته سنة ١٣٩٤هـ، الموافق ١٩٧٤م، وقد ناف على الثمانين من عمره.

- صنف الشيخ ظفر أحمد عدة مؤلفات منها:
  - **إعلاء السنن، في عشرين مجلدًا.**
  - **إنهاء السنن، في مصطلح الحديث.**
  - **أحكام القرآن.**
  - **بيان القرآن، ملخص لتفسيره.**
  - **أنوار النظر في آثار الظفر، السيرة الذاتية له.**
  - **قصائد شعرية باسم نور على نور، ووسيلة الظفر في مدح خير البشر.**

- له قصيدتان في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- إحداهما رائية والأخرى قافية. يقول فيها:

زال الظلام ولاح النورُ بالأفقِ
برقٌ تألقَ في داجٍ من الغسقِ
برقٌ من الطورِ أو بدرٌ على جبلِ
ببطنِ مكةَ منشقٌ على فلقِ
بإصبعٍ من يدٍ كانت إشارتُها
في البدءِ أنكى من الصمصام في العنقِ
واهاً له من نبيٍ لا مثيلَ لهُ
فاقَ الخلائقَ في خَلقٍ وفي خُلقِ
محمدٌ خاتمُ الرسلِ سيدهم
حامي الحقيقة مفتاحٌ لمنغلقِ

(١) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند، ص ٤٢١. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٩ ص ٦٥٦. نثار أحند الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٣٢١.

أتقى الأنامِ وأزكاهم وأعلمهم
بالله أحلمُهم في الرتقِ والفتقِ
زاكي النجادِ جميلُ الوجه أنورهُ
يمحو الظلامَ كبدر التمّ في الأفقِ
قد جاء والناسُ في هَرْجٍ وفي مرَجٍ
والظلمُ عمّ بسيط الأرض بالقلقِ
والجهلُ كالليلِ قد أرخى ذوائبهُ
في غيمِ كفرٍ على الآفاق منطبقِ
فانشقَّ صبحُ الهدى من نور طلعته
يجلو غياهبَ ليلِ الجهلِ والحُمُقِ
فأصبح الناسُ في علمٍ وفي حكمِ
بنعمة اللهِ بعد الضلّ والخَرَقِ
وأصبحت أمةٌ أميّةٌ عُرِفت
بالجهلِ سابقةَ الأقوام والفرقِ
فالعلمُ والعدلُ سارا تحتَ رايتها
والفتحُ والنصرُ والإقبال في الطرقِ
والصبرُ والصدقُ والإخلاصُ حلَّتُها
ورايةُ العزِّ في الآفاقِ بالخفقِ
أنتَ النذيرُ لخلقِ الله قاطبةً
وأنت إياه من حر الجحيم تقي
أنتَ البشيرُ ومن طابت سريرته
بجنة يا لها من خير مرتفقِ
أنتَ الحبيبُ لمن حلّت سعادته
وليس يرغبُ عنها غير كل شقي
أنت العمادُ لقومٍ لا عماد له
أنت الرشادُ لمن قد ضلَّ في طرقِ
وأنت أفضلُ خلق الله قد علموا
وأنت أكملهم فيما مضى وبقي
فأنت في الناس كالياقوت في حجر
وأنت في الخلق مثل النور في الحُرَقِ
حبُّ النبي وتقوى الله شيمتُها
واليمنُ والسعدُ مثل العُقدِ في العنقِ
يا أكرمَ الناس عند الله منزلةً
وأفضلَ الخلقِ من جمعٍ ومفترقِ
قد خصَّك اللهُ بالإسراء إذْ
ترقى السماواتِ من طبقٍ إلى طبقِ
حتى بلغتَ من العلياءِ ذروتَها
وغايةً لم تدع شأوًا لمستبقِ
أتاك ربُّك ما لم يؤته أحدًا
من الجمال كمثل اللؤلؤ الفلقِ
أوتيتَ علمًا وحِلمًا زانه خُلُقٌ
وحكمة أنت فيها حائز السبقِ

• الفنان الشاعر ظفر أحمد له قصيدة أخرى في مدح رسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام- وهي رائعة أخرى من روائعه، يقول فيها:

أهدى سليمى في جمال منور
تلوح على بُعدٍ كبدر منوّرِ
أم النجم في أفق من الشرق طالع
أم كانت الزهراء لاحت بمشتري
أم البرق في جنح من الليل لامع
ينم على غيث من الله منشرِ

أم الراية البيضاء في أرض طيبة
قد اضطربت ليلًا بجندٍ مظفرِ
يلوذ بها الإقبال من آل هاشم
ومن آل عدنان ومن آل حِميَرِ
محمد المبعوث للناس رحمة
بوجه منير مستنير منوّرِ
أتانا بآياتٍ كشمس منيرةٍ
تجلت على الأقطار في خير منظرِ
أتانا بنورٍ لن تر العينُ مثله
ولم تر حقًا مثله من مخبرِ
أتانا ببرهانٍ من العلم والهدى
فيا خير مورودٍ ويا خير مصدرِ

- ثم يتحدث الشاعر عن خصائص رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- من المجد والشرف والسؤدد، وقدرة على إزالة البغي والطغيان والباطل، بتوحيد الله، والبر والتقوى، وهي خير الزاد للمؤمن.

- لقد كان الشاعر موفقًا في إبراز ملامح شخصية رسول الله- عليه السلام- في تأثيره على الناس ، ومدى واقعية الدعوة المحمدية، ولم يترك الشاعر منقبة لرسول الله إلا ذكرها، أو ما يشبهها، وهو شاعر لا ينسى فضل من له فضل عليه، فرسول الله هو الدليل على وحدانية الله، والشاعر يذكر أيضًا أساتذته ممن ترك أثرًا كبيرًا في ثقافته وحياته، ومن اساتذته الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي، الذي رثاه بقصيدة يقول فيها:

تبًا لدميا لا يدوم نعيمها
وجميع ما فيها لدينا فانِ
إدريسُ لا تبعد فذكرك خالد
والذكر للإنسان عمرٌ ثاني
قد كنتُ أرجو أن تكونَ خليفة
لدراسة الآثار والقرآنِ
لكن رحلت إلى الجنان بسرعة
وتركت أهلك في البكا لزمانِ
قد كنت بحرًا في العلومِ بأسرها
ولأنت حقًا عالم رباني
قد كنت بدرًا للغياهب صاحبًا
قد كنت نجمًا راجم الشيطانِ

- يستمر الشاعر في توضيح أثر الممدوح في المجتمع، وعطاؤه الكثير من الجهد والوقت والمال في سبيل توصيل العلم لمن يستحقه. وكان هذا دأب الشاعر مع علماء الهند ممن لهم أثر كبير عليه، وفي قصيدة رثاء أخرى لعالم آخر، وهو الشيخ محمد شفيع، ويقام حفل تأبين يحضرها ابنه، يقول فيها:

إلى أين أبكي واحدًا بعد واحدٍ
فليس امرؤ منا عليها بخالدِ
وإنّ الذي قد طار قلبي لفقده
أبوك أبوالخيرات أفضل عابدِ
هنيئًا لياسين الكريم قدومه
على ربّنا الرحمن رب العوائدِ

هنيئًا له جنات عدنٍ بظلها
فيا خيرَ مورود ويا خير واردِ
هنيئًا لمن قد كان مثلك ابنه
فيا خير مولود ويا خير والدِ
هنيئًا له قرب الحبيب محمد
فيا خير مشهودٍ ويا خير شاهدِ
فكان أبوك الخير خير معلم
وإنّك بحر العلم زين المشاهدِ
وما مات من قد خلف مثلكم
نجوم الهدى من سائق الخير قائدِ

- هذه قصيدة ورثاء ومدح في الوقت نفسه، فقد كان الابن أيضًا عالمًا جليلًا، فقصيدة رثاء الأب حولها الشاعر لمديح الابن، فيريد أن يواصل الصداقة مع الابن كما كان صديقًا وتلميذًا للأب.

- نظم الشاعر ظفر عدة قصائد رثاء في علماء كبار، كان لهم أثر كبير في حياة الأمه، ومن بين هؤلاء حكيم الأمة مولانا أشرف علي التهانوي، يقول شاعرنا في رثاء هذا العالم:

بقلبي همٌّ لا يكادُ يزولُ
ثقيلٌ وهمُّ العاشقين ثقيلُ
يسهّرني ليلاً ولم أكن
لأسهرَ إلّا أن يبينَ خليلُ
إلى الله أشكو ما ألاقي من النوى
ولو أنَّ قلبي للجبالِ حمولُ
كأنَّ بعيني ما بقلبي من الجوى
فمن طرفها عين الحميمِ تسيبُ
وداعٍ دعا إذ قامَ بالليلِ ناعيا
فطارَ بقلبي القولُ حين يقولُ
فقلتُ له كن غير أشرف ناعيا
فدته الورى لو للفداء قبولُ
فبكى ونادى أنَّ أشرف قد ثوى
فضجت قلوبٌ بالبكا وعقولُ
نعى خير أهلِ الأرضِ نفسًا ومحتدًا
وأشرف حر يحتويه قبيلُ
مجدد هذا القرن حقًّا حكيمه
فقيهٌ لديهِ للفروعِ أصولُ
مفسّر هذا العصرِ من غير ريبة
له في المعالي رأيةٌ ورعيلُ
تقي نقي حجةٌ ذو إصابة
من الرأي إذ رأي الأنامِ أفولُ
له كتبٌ في كل علمٍ جميلة
بها يشتفي للطالبين غليلُ
تفطَّر قلبي إذ رأيتك راحلا
وكادت له شم الجبالِ تزولُ
فوا حسرتا ما أقبح البين بيننا
وأفظعه والنائبات تهولُ
ويا قاتل الله النوى ما أمرّهُ
وأصرعه للمرء حين يصولُ
فيا ليت أيام الفراق رواحلا
ويا ليت أيام الوصالِ تؤولُ

فمن لعلومٍ قد كشفت لثامها؟
ولم يقتبسها عن سواك سؤولُ
ومن لمعانٍ قد نطقت بسرها؟
وزلّت بأقدام العقول وحولُ
ومن لنكاتٍ قد فتحت كنوزها؟
لها غرر بين الورى وحجولُ

- ويستمر الشاعر في تعديد فضائل الشيخ المتوفى، وبين مكانته بين الناس، وكيف كان خلال تدريسه، وكيف فجع الطلاب بوفاته، وفي نهاية القصيدة يقول:

بشارة شيخٍ عارف قرب موته
لنعمة ربي آية ودليلُ
جزاء إله العرش خيرًا يمده
بخير عظيمٍ والجزاءُ جزيلُ

- قدرة كبيرة على النظم العربي، ولم يترك الشاعر لأحد أن يقول ناقص شيء، أو فيه كذا وكذا، فقد أخرج الشاعر كل براعته في إبراز خصال المتوفى، وعلمه ومكانته عند الناس، فهو ممن يشار إليه بالبنان، لعلمه وفضله وسؤدده.

- وقد نظم شاعرنا ظفر أحمد العثماني قصيدة تتحدث عن الأخلاق، والالتزام بالشريعة الإسلامية، يقول فيها:

ألا فاستقمْ للهِ والرجزَ فاهجرْ
وأحسن ولا تمننْ وربكَ كبرْ
تَخلّق بأخلاقٍ حسان حميدةٍ
وجاهد عليها النفس والثوبَ طهرْ
وصل على الأوقاتِ لا تغفلنها
وحافظ على الوسطى بحد وأوترْ
وأدّ زكاة المال لا تمنعنها
فتربو لك الأموالِ بعد تطهيرها
وصُمْ دائمًا لله رمضان حسبةً
يكن حسنه من ذان لهبٍ مسعر
وقم في لياليها بعشرين ركعةً
فيشفع لك القرآن يوم التحسر
وكن واصلاً للرحم لا تقطعها
وأحسن إلى من جاء بالسوء واغفرْ
وكن راعيًا للأهلِ والولد دائمًا
وعلمهم علمَ الكتابِ المسور

- قام الشاعر بنظم ما في القرآن الكريم، والحديث الشريف من قيم وأخلاق، ودعاء للناس، فصاغ ذلك شعرًا ، فلم تظهر فيه خياله، ولم تظهر صور فنية، بل هي نصائح للناس ، وفي نهاية قصيدته يقول:

فلا تتبعْ غيرَ النبي وحزبهِ
ولا تستمع قول الرجيم المتبر
وصلّ على خير الأنام محمد
تكن أسعد الناس به يوم محشر
عليه سلام الله ما سار راكبٌ
وولى حجيج بين جمع ومشعر

- لم ينظر الشاعر إلى المسلمين في بلاده فقط بل نظر إلى معاناة المسلمين في بلاد أخرى، كما حدث في فلسطين سنة ١٩٤٨م، حيث نظم قصيدة يستنهض بها المسلمين للدفاع عن القدس، يقول فيها:

جـاءت أمـريـكـا لـنـصـرة معشر
لـعـنـوا لآخـر هـذه الأحـقـابِ
مـن ينـصـر الملـعـون بـاء بلعنة
وتـرد نـصـرتـه عـلـى الأعـقـابِ
نـرجـو الإلـه ولا نـخـاف كتيبةً
سـارت إلـى إخـوانـنـا الأعـراب
يا معشرَ الإسلام قوموا واضربوا
أعـداءكـم ضـربًـا بـغـيـر حسابِ
يـا قومنا قـومـوا إلـيـهم وانـزعـوا
بـيـتَ المـقـدسِ مـن يـد الخـلاب
يـا معشر الـعـرب الـكـرام فديتكم
لا يـغـلـبـنـكـم الـيـهـود بـبـابِ

- هـذه أبيات مما نظمه الشاعر حول فلسطين، وحرب الصهاينة للمسلمين فيها، ويستنهض العرب والمسلمين للدفاع عن فلسطين، فكان الشاعر متحمسًا للدفاع عن أرض المسلمين، وبيت المقدس، ويدعو العرب والمسلمين لتخليص القدس من أيدي الصهاينة اليهود.

- كان الشاعر ظفر أحمد ينظم الأشعار بالعربية ولغة الأردو، فكان يتقن النظم في اللغتين، ويمتلك القدرة على استعمال أساليب الشعر العربي، والألفاظ العربية، ويضعها في مكانها الصحيح بحيث تؤدي الغرض من القصيدة، سواء أكانت مديح أم رثاء، وهذا يدل على خلق شاعرنا في العلم والعمل، وعادات الشعراء وفنونهم المختلفة، كما أنه حافظ على البحور الخليلية في النظم، ولم يشذ عنها، وله قدرة الوصف لسيد الخلق رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- وكان موفقًا في سرد ملامح الشخصية النبوية.

****

ظهور أحمد البنجابي

١٣٥٦ - ٠٠٠ هـ / ١٩٣٧ - ٠٠٠ م

- ولد الدكتور ظهور أحمد أظهر بن ملك الله جوايا[1] في قرية « كهلبيكي» بالبنجاب سنة ١٣٥٦هـ، الموافق ١٩٣٧م، درس على يد أبيه، ثم على علماء عصره، فحفظ القرآن الكريم، ودرس الكتب الدينية واللغة الفارسية واللغة العربية، ثم التحق بجامعة البنجاب، وحصل على :
  - **شهادة فاضل اللغة العربية.**
  - **ماجستير في اللغة العربية.**
  - **ماجستير في الدراسات الإسلامية.**
  - **دكتوراه في الأدب العربي.**
- بعد تخرجه عمل في التدريس في مدارس مختلفة، ثم أصبح أستاذًا في جامعة بنجاب، ووصل إلى منصب عميد الكلية الشرقية سنة ١٩٩٧م، وأنتج عدة مؤلفات، من بينها :

(١) حامد أشرف همداني، الشعر العربي في باكستان ص ١٠١.

- تحقيق كتاب القرط على الكامل للمبرد.
- تحقيق رسالة ترتيب السلوك إلى ملك الملوك لمحمد بن عمر بحرق.
- أبوالعلاء اللاهوري، حياته وشعره.
- فيض الحسن السهارنفوري، حياته وشعره.
- إقبال العرب على دراسة إقبال لاهور.
- إقبال في الشعر العربي.
- تحقيق ثلاثين مخطوطة عربية قديمة.
- مقالات لدائرة المعارف الإسلامية، تصدرها جامعة بنجاب.
- مؤسس المجمع العربي الباكستاني، ورئيس تحرير مجلته.
- له محاضرات في بلدان عربية مختلفة.

- للشاعر نشاطات علمية كثيرة ، منها: الرئيس الأول لرابطة الأدب الإسلامي في باكستان، وعضو المجمع العلمي العربي في بغداد، وعضو لجان اللغة العربية في باكستان.

- يعجب الدكتور ظهور أحمد بالشاعر العربي المتنبي، لذا درس شرح ديوان المتنبي، للعكبري، واستوقفه بيت المتنبي:

عَـذَلَ الـعـواذلُ حـول قـلـبٍ تـائـهٍ
وهـوى الأحـبـة منـه فـي سـودائـهِ

- ويقول شاعرنا: «لم يعجبني رأي أبي الطيب، ورأيته قد بالغ وعلا إذ لا يستحق هذا المدح غير النبي- صلى الله عليه وسلم- ثم وجدتني أقلد أبا الطيب وأنسج على منواله معتذرًا إليه»:

فـتـن الـزمـانُ بـربـعـهِ وروائـــهِ
ورمـــى الـسـهـامَ بمكـره ودهـائـهِ
أسـر الـكـمـاة بـكـيـده فـرمـى بـهـم
فـي حـفـرة مـن غـيـظـه وعـدائـهِ
إنَّ الـــزمـــانَ مـطـيـةٌ لـكـوارثٍ
فـمـهـاجـم مـن عـيـشـه وبـلائـهِ
يـغـري الـرجـالَ بـدلّـه وطـمـوحـهـم
فـيـذيـقـهـم مـن بـؤسـه وشـقـائـهِ
مـكـر الـزمـان ضـغـيـنـة مـسـتـورة
يـبـدي بـهـا فـي بـطـشـه ومـرائـه
غـدر الـزمـان بـأهـلـه فـأتـى لـهـم
بمـتـاعـب فـي صـبـحـه ومـسـائـه
يـسـخـو الـزمـان بـغـيـه وضـلالـه
فـيـصـيـبـنـا بـدمـاره وفـنـــائـه
سئم النفوس من الزمان وجوره
وتـكـاثـرت آلامـهـا بـقـضـائـهِ
وتـلاعـبـت أطـــواره بـرجـالـه
لـم يـعـلـمـوا بـدوائـه وبـدائـه
فـقـد الـزمـان عـدالـة ومـــروءة
وطـوى الـظـلام ذنـوبـه بـغـطـائـهِ
فـتـرى الـظـلامَ مـخـيـمًـا مـتـراكـمًـا
وتـرى الـزمـانَ مـخـادعًـا بسخائه
فـيـهـوده وصـلـيـبـه وهـنـوده
مـتـآمـرونَ لـقـمـعـنـا بـحـفـائـه

خَـلِّ الـزمـانَ وجـــورَهُ وجـفـاءَهُ
واذكـــرْ حـبـيـبكَ دائـمًـا بـردائـهِ
خـل الـــزمـــان بـعـزنـا بمحـمـدٍ
ونجـاحـنـا فـي ديـنـه ورضـائـع
أخـلاقـه قـد عـطّـرت أجـواءنـا
وعـلا الـوجـود بـحسنه وبـهائه
وبـدا الـصباح ببسمة متبخترًا
يـحيـى الـزمـان بـنـوره وضيـائه
طلـع الـرسـول وقـومـه فـي ظلمة
فـتـبـددت بـــوجـــوده وثـوائـه
سـجـد المـلائـك ربـهـم بطلوعه
وزهـــا الـوجـود بمدحه وثنائه
بـعـث الـهـدى وجـلالـه وجـمالـه
مـتـــزايـدان بـجـاهـه وعـلائـه
فـدعـا الـعـبـاد لـربـهـم متبتلا
فـليـبـتـغوا مـن فضـلـه وعـطائـهِ
وغـدا الـرسـول مـبـلـغًا ومعلمًا
يـتـلـو الـكـتـاب مـبـشـرًا بضيائه
ومشى العدو مخاصمًا ومعاندا
فـهـدى الـرسـول بـحـلـمه وذكـائـه
وتـــأذت الأخـيـــارُ مـن أشـرارهـم
فـتـحـمـلـوا فـي ديـنـهـم لـبـقائه
شـهـد الـزمـان مشاهدًا في صحبه
مـن صـبـرهـم وجـهـادهـم لـوفـائه

فُـقـراؤهـم ومـعـذّبـون بـغـربـة
قـد بـايـعـوا مـن رغـبـة لـفـدائـه
فأتى القلوب إلى القلوب فعانقت
إخـوانـهـا فـي ربـهـا لـرجـائـه
فـتـجـنـدوا لـيـكـونـوا مـن عسكر
لـم يمـضِ فـي الـتـاريـخ من نظرائه
أســرى الإلـــهُ بـعـبـده فـي لـيـلـةٍ
فـطـوى الـفـضـاء بـبـدره وذكـائـه
فسرى الرسول بجسمه من مسجد
ولمـسـجـد مـتـبـارك بـفـتـائـع
فـطـوى المسافة مسرعًا في لمحة
مـن سـريـه والـقـدس مـن إسـرائـه
ودعـــا المـلـيـك حـبـيـبـه لـيحـلـه
فـسـمـا بـه فـي طـرفـه بـسمائه
وجـرى الـبـراق بـراكـبٍ متسارعًا
ومـشـى المـلائـك خـلـفـه بـلـوائـه
صـفـة الـرسـول عظيمة ونبيلة
غـمـر الـوجـود بفضله وسخائه
هـــو خـــاتـم لـرســالـة ونـبـوة
قـد نـــورت بـضـيـائـه وسـنـائـع
هـــو مـرسـل لـبـدايـة ونـهـايـة
ومـــنـــور الأكـــوان مـــن لألائـــه

- شاعر متمكن من النظم العربي، استخدم بحرًا عروضيًا، وقافية من الذلل، وطول نفس أدى إلى أن ينظم هذه القصيدة، ويبين فيها خصال رسول الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، كما أوضح حادثة الإسراء والمعراج، وأظهر مكانة رسول الله، وتأثيره في الناس، وما يتمتع به من قوة الحجة، وعمله الجهادي في سبيل نشر الإسلام.

- استعمل الشاعر خياله في تصوير بعض الصور الفنية، وجال بفكره وصنع أبياتًا جميلة، وصور الزمان وكأنه هو الفاعل الحقيقي لحياتنا، ولكن الإنسان هو الصانع، وسلوكه مع الآخرين نتيجة لبعض السلوكيات الخاطئة، ولكن الشاعر ربما تصور أن الزمان هو الإنسان، وكان سبك الأبيات جيدًا، وأسلوبه سلسًا مفهومًا، لا غموض فيه، وأبدع في تصوير حياة الناس وصراعهم بين الحق والباطل.

- قافية القصيدة تنتهي بالهاء، ولكن الهمزة المكسورة جاءت لازمة، وهو لزوم مالا يلزم، ولكنها جميلة، واستطاع أن يجاري أبا الطيب المتنبي في قصيدته، وهو معجب به، وبدت الموسيقا الداخلية والخارجية في قصيدته تعطي جمالًا للكلمات، ورونقًا للقصيدة، وطول القصيدة يدل على قدرته على النظم، وتمكنه من اختيار الألفاظ المعبرة عن المعاني التي طرقها.

****

ظهور الحق بن الحسن

٠٠٠ - ١٣١٧ هـ / ٠٠٠ - ١٨٩٩ م

- هو الشيخ ظهور الحق بن ظهور الحسن بن المفتي حسين بن الشيخ نصير الدين بن الحافظ شبير محمد البخاري[1]، لا يعرف سنة ميلاده، ولكن عاش في رامبور، شمال غرب دلهي، تعلم اللغة الفارسية، ثم اللغة العربية، قرر له النواب علي خان صاحب البهادر راتبًا من مئة روبية، فعاش في رغد العيش وهناء، لم يتزوج، وكان يحاضر في المجالس العلمية، وعمل في محكمة التوابع إلى وفاته، وانتقل على رحمة ربه سنة ١٣١٧هـ، الموافق ١٨٩٩م.

- طبع للشاعر ظهور الحق رسالة ألفها بعنوان «الهدية الحامدية في الفرائض المحمدية» ، في اللغة الأردية، كما له «القصيدة المدحية» وهي مخطوطة في مكتبة رضا في رامبور، وهي في مدح النواب حامد علي خان، وتتكون من ثلاثة أجزاء؛ الجزء الأول من خمسة عشر بيتًا من الشعر العربي، والجزء الثاني يتكون من خمسة وعشرين

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٩ ص ٦٥٨. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١٠٤.

بيتًا، والجزء الثالث من اثني عشر بيتًا من الشعر العربي الفصيح، ففي القصيدة الأولى يقول:

لك الهمة العلياء والحزم والحمى
وصول الموالي للأعادي مقاطعْ
بصارم رامي صارم السيف دونه
وثاقب فكرٍ في المضايق واسعْ
وإني ظهور الحق لازلت داعيًا
ولازال فيض من أياديك جامعْ

- أما القصيدة الثانية فتبدأ بقوله:

عرضت نحوك فاقتضى الأغراضُ
عدم التفاتك واللحاظ مراضُ
فبقيتُ بين مصدقٍ ومكذبٍ
أرجو اللقاء ويصدني الأعضاض
وأنا ظهور ناظم مدحكم
شكرًا وعن غيبي لكم أغماض

- وفي القصيدة الثالثة يقول فيها:

حَسينٌ جميلٌ ووجه جليلُ
كريمٌ جوادٌ شجاع نبيلُ
جبينٌ كشمس وعين كريم
وخد كقمر ووجه خليلُ
فكيف المديح الصديق الصدوق
ومن أين قيلَ وقولٌ جزيلُ

- هذه قصائد مدح للأمير حامد علي خان، وتكون هذه الثلاث قصائد حلقة مدحية لهذا الأمير من هذا الشاعر القدير، المتمكن من النظم العربي السليم، والفكرة واضحة المعالم، وربما كانت للنواب أيادي بيضاء للمجتمع وللشاعر بالذات، فما وجد غير هذا الطراز من المديح الثلاثي، وهذا شيء قليل في الشعر العربي. وله قصيدة طويلة غزلية، أفرغ بها خياله حيث يقول فيها:

سلوتُ فلا أصبو إلى طيبةٍ عَفْرا
ولا دميةٍ زانت حلى جيدِها قسرا
ولا تنطوي الأضلاع منى على جوًى
كأن عليها من لواعجِه جمرا
فلستُ بمن يهوى غزالًا مقنّعًا
إذا ما تبدّى في الدجى أخجل البدرا
ولستُ بمن يقتاده قائدُ الهوى
فيتركه عبدًا وإن خلتَه حُرّا
ولستُ بمن ينفي الكرى عن جفونه
نضارُ المها عنه ويسلبُه الصبرا
ولستُ بمن يحييه أنفاسُ كاعبٍ
وإن ضمّختْ أردانَ ريح الصبا عطرا
ولستُ بمن يبغي لقاها صبابةً
فتصبحُ من خوف النوى عينه عَبْرى
ولستُ عميدًا شفَّه الوجد هائمًا
يراعي النجوم الغُرّ والشهُبَ الزُّهرا
ولستُ بمن يبكي مغاني خُرّدٍ
على أن عفا أطلالها دِيمُ تترى
فمالي وللأطلال في برقة الحمى
ووادي الغضا والنجد إن أصبحتْ قفرا

ومالـيَ أن أبكـي عُـذيبًـا وبـارقًـا
إذا عشعشَ الغربان في بانها وكرا
وما لي أبكيَ الرمل والخزن واللوى
بـأنَّ الصَّبـا جَـرّتْ بها ذيلها جرّا
ومـالـي أن أبـكـي رسـومًـا بـحـاجرٍ
ودورًا بـذي خـال إذا خلتُها صِفْرا
ومـالـي أبـكـي دارَ سلـمـى وخـولـةٍ
وهندٍ وليلى إن عفاها البِلى دهرا
فلستُ بصبٍّ إن نـأى الخِـلُّ أو دنا
يـظـلُّ كـئـيـبَ الـبـال ذا كـبـدٍ حـرّى
ولا كَـمِـدًا أرداه طـول هـمـومِـهِ
وأورده مـا كـدّر الـروح والـسـرّا
تمـلّـكـه ظـبـيُ الـفـلاة فـتـارةً
تـضـلّـلـه فـيـهـا وتـرشـده أخـرى
أتـمـلـكُ قـلـبـي كـلّ بـيـضـاء طـفـلةٍ
وكـلُّ فـتـاةٍ فـي الـظـبـا نـاهـدٍ عَـذْرا
حلفتُ يمينًا بالظبا لستُ معطيًا
قـيـادي لـمـن أهـوى وإن غـرَّنـي دهـرا
فكم من غـوانٍ في الخـدور تـوددت
إلـيَّ فـلـم أكـشـف لـغـانـيـةٍ خِـدرا
وكـم مـن حـسـانٍ راودتـنـي تركتُها
تحـنُّ إلـى قـربـي فـزايـلـتُـهـا قسرا
لقد بـالـغـوا فـي مـدحـهـنَّ وزخـرفـوا
مـقـالًا ومـا كـانـت بـذا كـلُّـه أحـرى
فـمـا لـحـظـهـا سـيـفٌ ولا قـدُّهـا قـنًـا
ولا ثـغـرُهـا بـرقٌ ولا خـدُّهـا الشِّعرى
ولـسـتُ أرى فـجـرًا هـنـاك ولـيـلـةً
فكيفَ يُقالُ الليل قد غشيَ الفجرا
ولـسـتُ أرى طـيـبًـا بـهـنَّ تـأرَّجـت
شذا نَشْره حتى حكى الورد والزهرا
رأوا ريقها صِرفًا وعـذبَ رضابها
مذاقَ رحيقٍ وهي لم تُشبِه الخمرا
فـأقـسـمتُ لا أهـوى مـهـاةً ونـعـجـةً
ولا شـادنًـا أهـوى ولا ظـبـيـةً عَـفْـرا
ولـكـنـنـي أهـــوى نـفـوسًـا زكـيـةً
لقد طبَّقَ الدنيا شذا فضلها نشرا

- هذا شاعر ينظم قصيدة عكس التيار العادي للغزل، فقد سلب من الشعراء الوقوف على الطلل، وتشبيه النساء بالظباء والغزلان، وأخذ منهم اللوعة والحزن والبكاء، ورفض البيوت والآثار، ولكنه قرر أن تلك الأشياء أدوات الشعراء العرب في الغزل والنسيب، وأراد أن يخرج من هذا التعلق بالنساء الجميلات إلى النفوس الزكية، وأعمالها التي طبقت الآفاق علمًا وحلمًا وسؤددا، وهو صانع ماهر في النظم والخيال الشعري الذي فاق غيره من الشعراء.

- استخدم الألفاظ العربية التي كان يستخدمها شعراء العرب، بفنية خيالية، وبأسلوب رائع لا يشذ عن أسلوب الشعراء، وبتقارب اللفظ والمعنى وامتزاجهما بحيث أعطى لوحات فنية جديدة على الحقل الشعري، وهو عكس ما يتوقعه أي قارئ لهذه القصيدة الغزلية الرافضة للغزل، سواء الغزل العذري، أو الغزل الصريح.

- القدرة التي امتلكها هذا الشاعر كبيرة بحيث أنه حفظ كل أنواع الغزل والنسيب العربي، وعرف توظيف كل فكرة مع ألفاظها، فهو ملم بالمعجم اللغوي، وفنان في استخدام تلك الألفاظ فقصيدة طويلة، وأنهاها بالنفوس الزكية، وهذا يعني القيم والأخلاق التي تعلو على كل هذه الأوصاف للنساء، على الرغم من أنه استعمل المبالغة في مديح النواب علي خان، فوظفها توظيفًا حقيقيًا، ولم يترك ألفاظ الإطراء لأن الممدوح له فضل على الناس، وهذا سبب رفض توظيف الألفاظ بصورة خيالية غير واقعية.

****

ع

عالم بن حسين الهندي

١٢٨٥ - ١٣٥٣ هـ / ١٨٦٨ - ١٩٣٤ م

• هو الشيخ الفقيه عالم بن حسين الهندي[١]، ولد سنة ١٢٨٥هـ، الموافق ١٨٦٨م، درس العلوم المختلفة الأولى، كما درس اللغة العربية والفارسية، وتلقى الفقه وأصول الفقه من عدة علماء، أبرزهم الشيخ محمد باقر أبوالحسن الكشميري، لم استطع العثور على ترجمة وافية للشاعر سوى مصدر واحد منقول من مصدر آخر. وانتقل إلى رحمة الله سنة ١٣٥٣هـ، الموافق ١٩٣٤م.

• في رثاء له لأحد الفقهاء انتقل إلى رحمة ربه في كربلاء، العراق، يقول الشاعر فيه:

بموتِ فقيهٍ كان أتقى وأكرما
تناثر عقدٌ كان قبلُ منظّما
هوى قمرٌ في كربلاء مغادرًا
حيارى بسلطان المدارس أنجما
فأصبح ليلي لا صباحَ له إذن
ويومي في العينين أصبح مظلما
وفي أذن الدنيا إذا جاء نعيُه
تزلزلَ ركن الدين حتى تَهدّما
ثوى ساكنًا في اللحد في بقعةٍ بها الـ
كليمُ مع الله الجليل تكلّما
وفي تربةٍ فيها الحسينُ ورهطه
وأصحابه كلا يبيتون نُوّما
قيا سيدي بشرى اضطجعتَ بمنزلٍ
رقى فلكًا من فيه أدرك مجثما
وبعدك يا مولى الموالي وسيدي
عليَّ لذيذُ العيش صار مُحرّما
وصرتُ كنجمٍ باتَ حيرانَ تائهًا
يقتّشُ بدرًا غابَ عن كبدِ السما
إذا جاءنا من كربلا نعيُ سيدي
فشعبانُ أمسى في العيونِ محرَّما
بكتهُ بقاعٌ كان يعبدُ ربَّه
عليها لمولاهُ الكريمُ مُعظِّما
وبابُ السماواتِ الذي كان مَصعدًا
لأعماله إن جُنَّ ليلٌ وأظلما
وإنّي فلا أبكي عليه وإنما
أقيمُ على موتِ الشريعةِ مأتما
وأبكي لزهدٍ ماتَ يومَ مماته
وكانَ لمولانا المعظّم توأما
ولستُ أحييه ولكنني به
على ميّت التقوى أقوم مسلّما

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٩ ص ٧١٤.

وأبكي لموتِ المكرماتِ مناديًا
بما شاعرٌ قبلي به قد تكلّما
(فما كان قيسٌ هلكه هلك واحدٍ
ولكنه بنيانُ قومٍ تهدما)

• هذا الرثاء الملائم لوفاة عالم دين، كان له أثره الكبير في المجتمع، حيث صور الشاعر مشاعره وأحاسيسه عندما فقد هذا العالم الكبير. والشاعر كاتب ومحب للكتاب، فعندما يقرأ كتاب يعجبه، أو يصدر كتابًا في موضوع يحب قراءته ينظم قصيدة لهذا الكتاب، فيقول شاعرنا:

حينما تم طبعُ هذا الكتابِ
صار في الذهنِ مصدرًا للرغابِ
ليسَ ذا بالكتاب بل هو قصرٌ
شامخٌ باذخٌ رفيع القباب
غانياتُ المطالب الغُرّ فيه
رافلاتٌ قريحةٌ للنقاب
قاصراتٌ لطرفهنَّ حياءً
في المقاصير ساميات الجناب
رادعٌ حسنهنَّ أبصارَ قومٍ
نظرت نحورهنَّ بالاكتئاب
ومنادٍ لهم بأرفع صوتٍ
قارعًا سمعهم بهذا الخطاب
إن سألتم لدى الغواني متاعًا
فاسألوهنَّ من وراء للحجابِ
فالحسانُ التي تحجبنَ فيها
كشمسٍ مضيئة في السحاب
لسنَ من نسل كاعباتٍ ولكن
هنَّ طُرًّا بنات أمّ الكتاب
مستفادٌ سنائهنَّ جميعًا
من أحاديث سادةٍ أنجاب
فغدا ذا الكتابُ بحرًا لدرٍّ
يزدري ضوؤها بضوء الشهاب
إذا تفكّت في سني طبع هذا
قلتُ أكرم بأمثلٍ من كتاب

• هذا صحيح عند كثير من الناس، فهذا الشاعر العربي، أحمد شوقي يقول:

أنا من بدَّل بالصُّحبِ الكتابا
لم أجد لي وافيًا إلا الكتابا

• وتقريظ الكتب شائعة في عالمنا هذا، وقد ينظم الشاعر قصيدة، أو أكثر في تقريظ الكتاب. وقال المتنبي:

أعزُّ مكانٍ في الدنى سرجُ سابحٍ
وخيرُ جليسٍ في الأنامِ كتابُ

• وعندما يأتي شاعرنا وينظم قصيدة تقريظ في كتاب، فهو ديدن محبي الكتب، ومنهم الشعراء.

• ينظم الشاعر قصيدة يبدأوها بسيدنا موسى-عليه السلام- ثم يتحدث عن بطولة الإمام علي بن أبي طالب-

عليه السلام، ولم يذكره بالاسم، ولكن من مشهور ضرباته في المعارك، يقول فيها:

لموسى فؤادي في الفراق عويلُ
ومَغداه سيناء الهوى ومقيلُ
بنظرته أمسى كليمًا وساكتًا
يُعَدُّ من الأحياء وهو قتيلُ
غدا صَعِقًا لما رأى نور ربه
لحُسنٍ فغضّ الطرف وهو كليلُ
فلما تجلت فوق طورٍ محاسنُ
تدكدكَ طودُ الفهم حارَ عقولُ
وأزعج تحت الأرض أبناء عُذرةٍ
وأُدهش ضليلٌ وصاح جميلُ
فقالت له ما تلك عندي في الهوى
فقال هموم ذكرهنَّ يطولُ
إذا ساحراتُ العين بالسحر جئنه
وخاف الردى منهنَّ وهو ضئيلُ
فألقى عصاه عند باب الدمى فما
له عنه شيءٌ بعد ذاك يزيلُ
فزاد بإلقاء العصا سحر أعينٍ
لأنَّ به سحر الحبال يزولُ
وأصبح مسحورَ الغواني فما له
أنيسٌ هنا إلا البكا وعويلُ
ولكن يسلّيه ويُذهبُ روعهُ
ولا شبه هارونٍ لديه نزيلُ
وليس عجيبًا منه هذا فشبهُه
لمشبه موسى ناصرٌ وكفيلُ
حمى دينَ ربّ العالمين بموقفٍ
به رهبةٌ ينسى الخليلَ خليلُ
بسيفٍ له في باطن الأرض مغربٌ
وفي أذن الجوزاء منه صليلُ
هو الأسد المقدام في الحرب حينما
عوابسُ خيلٍ في العجاج تجولُ
إذا مرحبٌ لاقاه مفتخرًا به
بتذكاره هذا الكلام يطولُ
تحرّكَ عرقٌ هاشميٌّ بجسمه
وجاش دمٌ قد كان فيه يسيلُ
فهزَّ حسامًا ضربةً من ضروبه
على فضلةٍ بين الأنامِ دليلُ
فصرّعه فوق التراب مجدَّلا
بذاك علا وسط القموص عويلُ
بيسراه هزَّ البابَ ثم دحى به
فقيلَ ألا صنعُ الجليلَ جليلُ

• شاعر متمكن من أدوات الصناعة اللفظية، وهو يمتلك القدرة على النظم باللسان العربي المبين، استعمل بحور الشعر العربي التقليدية، مع الأسلوب العربي نفسه، تتجلى صناعته فيما سطر من تراكيب فنية، وأفكار تاريخية، مع التحكم في المادة بضبط الإيقاع الفني من

جرس موسيقي، وتناسق في اللفظ والمعنى، فكان فنانًا يدرك تمامًا قوة العبارة، وسمو المعنى المراد فهمه.

- على الرغم من عدم معرفتنا بخلفيته الثقافية إلا أنه أثبت أن لديه الأهلية في حفظ الشعر العربي، وتشرب الروح العربية عند نظم القصائد الشعرية، في صوره البلاغية كان خياليًا، استعمل الخيال الفني ليبرز المعنى، وصور الوقائع تصويرًا فنيًا رائعًا، وكان جديرًا بلقبه الشعري، وفنيته المنظمة للقصيد.

****

عباس الموسوي اللكناوي

١٢٢٤ - ١٣٠٦ هـ / ١٨٠٩ - ١٨٨٨ م

- هو المفتي محمد عباس بن علي بن جعفر بن أبي طالب ابن نور الدين بن نعمة الله بن الموسوي الجزائري التستري اللكناوي[1]، ولد في لكناؤ سنة ١٢٢٤هـ، الموافق ١٨٠٩م، تعلم اللغة الفارسية، ثم اللغة العربية، ودرس الكتب الابتدائية على يد المولوي عبدالقوي الحنفي، وعلوم النحو والصرف على يد عبدالقدوس الحنفي، ثم درس المنطق والفلسفة والهيئة وعلوم أخرى على أيدي علماء آخرين في لكناؤ، ثم درس الطب، ثم قرأ الفقه والحديث عند الأستاذ سيد العلماء آغا سيد حسين، وأكمل دراساته، ثم ما إن أتم الثامنة عشرة من عمره إلا وكان حاذقًا عالمًا في كل العلوم التي درسها.

- قرر ملك أوده محمد علي شاه راتبًا شهريًا، إكرامًا لعلمه وفضله، وبعد وفاة الملك استمر خلفه، أمجد علي شاه في إكرامه، وتم إنشاء مدرسة فعينه المفتي مدرسًا فيها، واستمر لمدة ثلاث سنوات ، ثم عرض النواب أمين الدولة عليه دار الإفتاء، فأصبح مفتيًا إلى أن عزل ملك أوده سنة ١٢٧٢هـ، الموافق ١٨٥٥م، وقامت ثورة الهند الكبرى سنة ١٨٥٧م فرجع المفتي عباس إلى لكناؤ، ثم دعاه الملك أمجد علي شاه إلى كلكتا، وكان منفيا، فسافر، ولكن لم يطب له المقام لتدهور صحته، فعاد إلى لكناؤ.

- دعاه النواب باقر علي خان إلى كانفور ، فذهب إليها، ولكنه كان يتردد بين كانفور ولكناؤ، ثم دعي إلى كلكتا مرة أخرى سنة ١٢٩٨هـ، الموافق ١٨٨٠م فذهب، ولقبه واجد علي شاه بتاج العلماء افتخار الدولة، زلكنه كان دائمًا يحب إلى لكناؤ ويذكرها في كل وقت، لأن طبيعتها توافقه، وذكرياته الجميلة بها، ولم تكن كلكتا توافق مزاجه، فكان يحس بالملل والوحشة أحيانًا.

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج ٨ ص ٢٠٩. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص٢٦٥. نثار أحند الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٧٠.مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٨:

• ألف المفتي عباس كتبًا كثيرة، قيل أنها تصل إلى حوالي مئة وخمسين كتابًا ورسالة، منها:

- تفسير القرآن.
- التقليد والفقه، وأصول الفقه.
- العقيدة والمنطق.
- الفلسفة وعلم الأخلاق.
- علم الفلك.
- علم الهندسة.
- والنحو والبلاغة،
- علم العروض
- الطب.
- مزدوجات كثير منها: المن والسلوى.
- ديوان رطب العرب.
- معراج المؤمنين. مجلدان، في الطهارة والصلاة.
- رياض الإنشاء.
- حواشي على شروح السلم.
- حواشي على تحرير الاقليدس.
- الظل الممدود في الإنشاء العربي.
- الظل الممدود في الإنشاء الفارسي.

• قيل: إنّ ديوانه « رطب العرب» كبير جدًّا، وفيه قصائد كثيرة، وفاق عددها أكثر الشعراء شهرة، وله قصيدة في مدح رسول الله، يقول فيها:

حبيبُ الله خير المرسلينا
عظيم الخُلقِ ساد الناس لينا
بل عن مثلهِ عقمت نساءُ
وأنَّ الله يفعلُ ما يشاءُ
به دين الهدى في الناس راجا
وفي القرآن سمّاهُ سراجا
له خُلُقٌ كريح المسكِ فاحا
وأنَّ الله أعطاهُ كفاحا
هو الداعي عليه الله صلى
هو الهادي من عاداه ضلا

• شاعرنا يحب الجناس والسجع، وله مزدوجة بعنوان» أجناس الأجناس» الملقب بالمرصع، فهو يتعمد أن يضع في كل بيت من أبيات الشعر جناسًا، ومن ذلك قوله:

نطفت لنا وأنزلت الكتابا
وتغفر أن يكن ذو الشرك تابا
هو المولى ونحن له عبادُ
ومن سلكوا خلاف الشرع بادوا

• وهكذا يتحرك الشاعر بالجناس والسجع في معظم قصائده، وله قصيدة باسم» بائية فنائية» يقول فيها:

أتتنا المنايا على حين غفلةٍ
وقد طالما كنا نخوض ونلعبُ
فقيل لنا قوموا سراعًا وسافروا
فسرنا وما غير الجنائز مركبُ
فساروا بنا سيرًا إلى دارِ وحشةٍ
وظلم وما فيها سراج وكوكبُ

وكم ذات خصرٍ ضامرٍ تحت صخرةٍ
لها أعين سود وكفٌّ مخضّبُ
وكم من طريّ الجسمِ أصبح جيفةً
وقد كان في شم الرياحين يرغبُ

- فهذه جزء من قصيدة يصور بها حال الموتى، وتشييع الميث إلى مثواه الأخير، يحمله أهله وأصحابه، ويوضع في لحده لوحده، ويتركونه، وله قصيدة أخرى في الموضوع نفسه، يقول:

يا غفلتي عن مبعثي بتغير الأحوالِ
فردًا ذليلا حائرًا متحمّل الأثقالِ
متحيّرا ببطائر لصحائف الأعمالِ
متوقفًا بمواقف فيها عظيم سؤالِ
متوحشًا متخوفًا من شدة الأهوالِ
بسلاسل ومقامع ومواضع لنكالِ
وجهنّم نيرانها سود كقطع ليالِ
وشدائدٌ ليست تقوم بهنَّ شم الجبالِ

- هناك رواية تقول: كان أبوجعفر المنصور، الخليفة العباسي، تضايق من الذباب، وكان عنده الإمام جعفر الصادق- عليه السلام-، فقال أبوجعفر: لمادا خلق الله الذباب؟ فرد الإمام جعفر بقوله: ليذل به الجبارين!!! وشاعرنا له قصيدة بهذا المعنى حيث يقول:

ومحقورٍ كبقٍّ أو كدودِ
يسلطه على ملكٍ كدودِ
وأسود حالك ضخم كفيلِ
يذلله لمعدومِ الكفيلِ
يناديه الورى ولهم لغونا
ومنه إلى المآرب يبلغونا
وطائفة حنينهم انطوى في
حشاهم حول بيتك للطوافِ
له باب رفيع من ثوى به
فإنَّ له جوائز من ثوابه
وأي من البحار وفي الصحارى
لو استقصيت فيها الحرص حارا
بديعٌ مبدعُ السبع الطباق
رءوف رازق ذو البسط باقِ
محيط باسط الأرض المهاد
وفيها منه للإسلام حاد

- للشاعر عباس اللكناوي قصيدة نظمها للدارسين، وموقفهم من المعلمين، وهي في الأخلاق، وهي بعنوان: كنز الكمال، يقول فيها:

ألا يا طالبي كنز الكمالِ
أقلوا النومَ في دُهْم الليالي
وخوضوا في بحار الفكر خوضًا
لكي تستخرجوا منها اللآلي
وكونوا قانعين بما تأتَّى
من الأرزاق بالوجه الحلالِ

ومهما أشكلتْ شُبْهةٌ عليكم
فلا تستنكفنَّ من السؤالِ
فإن عاتَبَكمُ السفهاءُ جهلا
فلا تأسَوا على قيلٍ وقالِ
وإن حسُنتْ بكم منهم ظنونٌ
فلا تستحسنوا خفق النعالِ
ولا تؤذوا معلّمَكم بقولٍ
وفعلٍ فيه شائبة الملالِ
وغضّوا عن مساويه عيونًا
ولا تخفوا محاسنه بحالِ
عليكم بالامل في حديثِ الـ
ـحقوقِ فقد رواه في الأمالي
إلى كم تفخرون بما تعبتم؟
وكم تستكثرون من الجدالِ؟
وفيكم من له سبَقٌ عليكم
إلى كسب المعارفِ والمعالي
لقد أتعبتُ في الليالي نفسي
إلى أن صار قذى كالهلالِ
وكم جبتُ الفلا في يومِ قيظٍ
ليثلج من زلال العلم بالي
فكان الشمس تلفح حرَّ وجهي
وتغلي أمّ رأسي بالرمالِ
وإن كنتُ في بلدي مقيمًا
ولم أحتج إلى شدّ الرحالِ
ولكن كان لي فجٌّ عميقٌ
أشَقّ عليَّ من قُللِ الجبالِ
لمّا رُبيتُ في عيشٍ رغيدٍ
أليفًا بالمرابعِ والظلالِ
وكم من ليلةٍ أسهرتها في
مطالعةٍ ومن عندي رثى لي
وكنتُ مماطلا في حلقِ رأسي
لما قد كان فيه من اشتغالِ
ويعجبني الرغيف بلا ائتدامِ
أقوتُ بذاك من بعد المطالِ
وكنتُ إذا أناظر بعض صحبي
فما إن كنتُ أغلظ في المقالِ
ولم أردد على الأستاذِ شيئًا
ولم أغضِبْه قَطُّ بما بدا لي
وكنتُ أحبه حبًا شديدًا
وأوثرُهُ على نفسي ومالي
وأقفوا إثره في كلِّ أمرٍ
لما قد كان محمودَ الخصالِ

• قصيدة رائعة سرد فيها الشاعر معاناة الأستاذ إلى أن أصبح أستاذًا، وما يجب على الطالب تجاه هذا الأستاذ، وهو يبذل مجهودًا كبيرًا في تعليم الطلاب، وكيف يكون سلوك الطالب أمام الأستاذ، وهي لا شك قصيدة تتبع من مسؤولية الشاعر الأستاذ تجاه طلبته.

• وللشاعر قصيدة أخرى يتحدث فيها عن الذين قيل عنهم:

وقل للذي يدعي في العلم فلسفةً
حفظتَ شيئًا وغابتْ عنك أشياءُ

• ونظم شاعرنا على هذا النمط قصيدة يقول فيها:

إلى اللهِ أشكو ما دهاني فإنني
بُليتُ بدهرٍ فيه للجهلِ رونقُ
«فرزدَقُهم» مستحقرٌ كشويعرٍ
وشُعرورهم يدّهي بأن يا فرزدقُ
كلامهم كلمٌ وأفواههم بها
سيوفٌ إذا سُلّت دمُ العلمِ يُهرقُ
فكل ذكيّ عالم متجاهلٍ
وكل غبي جاهلٍ متحذلقُ
وربّ خطيبٍ مِصْقعٍ ساكتٍ شجٍ
ومنتحلٍ لحّانةٍ يتشدَّقُ
وتنعقُ غِربانٌ مكان بلابلٍ
وفي مربط الخليلِ الحمارةُ تنهقُ
خَلعتكِ يا دنيا وها أنني بمحـ
ـضرٍ من عدولٍ قلتُ إنّكِ طالقُ

• يندرج الشاعر عباس بن علي ضمن الشعراء المفلقين، بقدرة كبيرة على التلاعب بالألفاظ، وأسلوب سهل وجناس وسجع في كل بيت من قصائده، فهو يمتلك المعجم العربي بكل قدرة، ويوظف الألفاظ بكل فنية حرفية، ليتوافق مع المعنى المراد، فقد غلب عليه حب الجناس والكلام المسجوع، ويبدو أنه يحب الموسيقا، ويترنم بالكلمات التي تعطيه هذه القدرة على النظم بهذه الطريقة المحببة له، ويساعده على ذلك حفظه للمعجم اللغوي.

• فكرة الكتابة عن الحشرات والديدان فكرة قديمة، وكذلك الحيوانات، الأليفة أو الشرسة، وشاعرنا وجد أن الحشرات تؤدي دور التربية للمتسلطين والجبارين، والقصص كثيرة في التاريخ، والشاعر حكيم ورزين وعالم، وله خبرة في الحياة كبيرة، فهو يوظف خبرته في صناعة قصائد تتسم بالحلم والعلم والخبرة، فقد أعطى للشعر كل ما يملك من قدرة فنية في صناعة الشعر، وتظهر من خلال أبياته ما يتمتع به من حس شعوري لما يحدث في المجتمع من آفات، وادعاءات، ولذلك كان رجلا حكيمًا، وشاعرًا بليغاً.

****

عبدالأول كرامة الجنبوري

١٢٨٤ - ١٣٣٩ هـ / ١٨٦٧ - ١٩٢٠ م

• هو الشيخ عبدالأول بن كرامة علي بن إمام بخش بن جار الله بن كل محمد بن محمد دايم الجنبوري[1]، ولد

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج٨، ص٢١١. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج ١٠ ص ١١٩. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١٨٠.

سنة ١٢٨٤هـ، الموافق ١٨٦٧م، في جزيرة سرنديب (سري لانكا)، ودرس عند والده فحفظ القرآن الكريم، ثم تتلمذ على يد مولانا عبدالحي بن عبدالحليم اللكنوي، قرأ أوائل التلويح على التوضيح، وقرأ شرح العقائد، وشرح السلم لملا حسين، وقرأ كتب الحديث والفقه.

- سافر إلى الحجاز، وقرأ كتب الحديث والفقه على أيدي علماء مكة والمدينة، ثم لازم الشيخ عبدالحق بن شاه محمد الإله آبادي، وقرأ عنده كتب الحديث والتفسير والأوراد، وله إجازات من مشايخ الحرمين الشريفين، وهو واعظ فصيح اللسان وحسن العبارة، وقوة البيان، وألف كتبًا وصلت إلى حوالي المئة كتاب ورسالة، وحاشية. ومن كتبه ومؤلفاته:

- الطريف للأديب الظريف.
- المنظومة في معرفة الفروق.
- عرائس الأفكار في مفاخرة الليل والنهار.
- التليد للشاعر المجيد.
- أحسن الوسائل.
- رسالة في الميلاد النبوي.
- فضائل الإمام الأعظم.
- تاريخ أسلافنا الكرام.
- رسالة طريف في علم الأدب.
- رسالة في الثناء على الله.
- كتب ١١ مقامة على منوال مقامات الحريري.

- لقد كان للشيخ عبدالأول قدرة على نظم الشعر في ثلاث لغات؛ العربية والفارسية والأردو، وله قصيدة في مدح رسول الله، يقول فيها:

حَماكُم حبيب الله ربي حماكم
وخصّكم بالوصل حيثُ دعاكمْ
عرجتم إلى السبع الطباق وفوقها
وصلتم مقامًا لم يصله سواكم
وما أبدع الأكوان إلا لأجلكم
فضاءت لنا الدنيا بنور بهاكم
محياكم تحكي البدور منيرة
ولم أر في البيضاء مثل سناكم
ولم أر بين المرسلين مثيلكم
لقد كنتم عونًا لكل رجاكم
فيا عجبًا للأنبياء تشوّقوا
إليكم إذا ما لم ينالوا ذراكم
عبدتم بظلماء الليالي إلهكم
وصليتم حتى اشتكت قدماكم
وقد ضلّ من لا يهتدي بحديثكم
وفاز الهدى من يقتفي بخطاكم
وفاز الذين استصحبوكم على الهدى
فيا فوز مرء فائز بلقاكم
ونحن عباد مجرمون وما لنا
شفيع سواكم لا شفيع سواكم

- استعمل الشاعر خطابًا موجهًا لرسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- كما استعمل صيغة الجمع تعظيمًا لمقام الرسول، وأخذ السيرة النبوية وضمنها أبيات القصيدة، وأتى بشيء جديد في مديح رسول الله-عليه أفضل الصلاة والسلام- وكأنه شاهد الأنبياء، وتصور مواقفهم من رسول الله في رحلة الإسراء والمعراج، وكيف كانوا متشوقين لرؤية الرسول الكريم.

- ذكر الباحثون أن الشاعر عبدالأول كان له سبعة دواوين شعرية، وفي اللغات الثلاث، وينظم بها أشعاره بكل قدرة، وفي المستوى نفسه، ولم يكن يفرق بينها، ومن أبياته العربية قوله:

لَعمرُكَ ما الدنيا بذات تَودّدٍ
فلا تبغ فيها عيشةً قم ومَهِّدِ
ألم ترَ أسلافَنا مضوا لسبيلهم
وما أخبروا عن حالهم مثل جلمدِ
وبانوا عن الدنيا وعن دورهم نأوا
وأنت تلاقيهم فأعرض عن الددِ
ولم أر مثلَ الموت للناس منهلا
ويأتي ولو كانوا في قصر مشيدِ
ألا فاذكُرنْ ضيقَ القبورِ ووحشةً
وراقب منونًا بالتقى والتزودِ
ولا تفخرن بالجاه تلقَ الأسى به
ألا فاعبدن وازهد لنفسك تسعدِ

- هذه نصيحة يقدمها للناس لعلهم يتعظون من واقعهم، ويعمدون إلى عبادة ربهم، لأنه يرى، أن الموت يلاحق الإنسان أينما كان، حتى ولو كان في قصر عال، فالموت سيدركه، لذا ينصح الناس باستغلال الفرصة في الحياة الدنيا لعبادة الله سبحانه وتعالى.

- نظم الشاعر قصيدة غزلية، وأبدع في تصورها، فهو رآها وعشقها، ووصف جمالها، ولكنه تعرض لعاذلة له، فبماذا أجابها؟ ويقول فيها:

جلالي إنّي همتُ فيما جلالي
بدا لي في الأسفارِ ما قد بدا ليا
وخرعبة بانت شموعًا لبيقة
شغفتُ بها والشوق يمشي أماميا
تحيطُ بيَ الأشواقُ من كلّ جانبٍ
فيا ليتها تقضي وأعطى أمانيا
ومالي لا ألقى سِواها لخلة
ومالي قد أسرفتُ في العشقِ ماليا
بذلتُ لها قلبًا وأورثتُ الأسى
كذلك تجزي العاشقين الموالِيا
ولم يكفنيها طيفها بعد بعدها
فهل يرتوي الطلّ من كان صاديا
وعاذلتي لامت غرامي سفاهةً
فما غيضَ منها العشق بل شبَّ ثانيا

فقلتُ لها مهلا هنالك مخلصٌ
وما أنا بالفحشاء ويحكِ جانيا
وقومي أعفاء ولا فحش فيهم
وجدي وإخواني وعمي وخاليا
ألا إنَّ خيرَ الودِ ودٌ تبرعت
به النفسُ تقوى الله تخش المناهيا

- قيل عن هذا الشاعر الكثير من الإطراء، لأنه أوجد شيئًا في الأدب، نسيه معظم الناس، ألا وهو المقامات، فقد صنع إحدى عشرة مقامة ضمنها كثير من القصص والشعر، وكان مبدعًا.

- ويبدو شعره فيه جمال اللفظ، وقوة الأسلوب، وسهولة الفهم، وتناسق التراكيب الشعرية، مستعملا البحور الشعرية التقليدية، ومتمكنًا من مزج اللفظ بالمعنى ومناسبتهما لبعض، فجاء شعره رائقًا سريع الفهم والإدراك، وكلمات من القاموس اللغوي، فنعضها غير عادي، ولا يستسيغه العربي، ولكنه يؤدي المعنى بكل جدارة وفنية، وهذا سر اختيار بعض هذه الألفاظ.

- يمتلك الشاعر قدرة كبيرة على نظم القصائد، سلاحه فن العروض الخليلي، ومعجم لغوي مملوء معان وظفها في خدمة النص، في قصائد سهلة المعنى والمبنى، ولا يكلف القارئ فهمها.

****

عبدالباسط المدراسي

١٣٠٥ - ١٣٨٥ هـ / ١٨٨٧ - ١٩٦٦ م

- هو الشيخ عبدالباسط بن عبدالقيوم بن عبدالباسط بن محمد مهدي الواصف الصديقي المدراسي[١]، ولد في حيدرآباد ونشأ بها، ودرس على يد والده، الملا عبدالقيوم، ودرس في دار العلوم الشرقية، وكان من أبرز تلاميذها، حتى حصل على شهادة العالم والفاضل، وكان متأثرًا بأبيه ومتمثلا لأخلاقه، وساهم في النشاطات العلمية والاجتماعية.

- عمل شاعرنا مديرًا لمجلة « ثمرة الآداب « بدار العلوم الشرقية، وكان عضوًا بمجلة «الصحيفة» التي تحولت إلى يومية، وساهم في النشاطات العلمية والسياسية، وكتب مقالات متعددة مع زميله مدير المجلة محمد أكبر علي، ومع صديقه محمد مرتضى، كما ساهم في تأسيس الهلال الأحمر، وإنشاء فروعه، وجمع التبرعات له ، وكان عضوًا في الحزب الوطني، وكان أيضًا عضوًا في جمعية العلماء، وساهم في النهضة الحديثة في حيدرآباد، وكان

(١) محمد سلطان محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي ص٤٣٠. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح المبوية في الهند ص ٤٠٧.

عضوًا في المجلس الإداري للجامعة النظامية، وبعد سقوط الدولة الآصفجاهية استمر في تهدئة الناس وبث الطمأنينة والاستقرار بينهم.

- نظم الشاعر قصيدة في المدح والثناء على الله سبحانه وتعالى يقول فيها:

وأصدقُ قول قال في الله قائلُ
(ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ)
لقد عجز الإنسان عن وصف كنهه
وإن يك سحبان إذا هو باقلُ
على وجهه أستار عزٍّ ومنعةٍ
ومن يدّعي كشف القناع فجاهلُ
وإن كل شيء فاض عنه وجوده
فعما قليل لا محالة زائلُ
وليس له حدٌّ وعددٌ مشارك
وليس له ندٌّ وضدٌّ مقابلُ
وليس له شيهٌ وشكلٌ وصورةٌ
وليس له مثلٌ ولا متماثلُ
ولكن تبدى في مثالٍ وصورةٍ
فسبحان عما يقول المجادلُ
بريء عن النقصان والعيبُ كله
تجلى بأوصاف العلى وهو كاملُ
على قدر موجود تجيء فيوضه
يمدُّ بإمداد بما هو قابلُ
لقد قدّر الأشياء من قبل خلقها
فكل على استعداده منه نائلُ
تعالى علوًا عن سؤال وحجة
فلا تعترض شيئًا بما هو فاعلُ
رغائبه تأتي على وفق ما قضى
وتأتي على حسب القضاء النوازلُ
فكيف لي التوصيف يا رب الثنا
لقد عجزت عنه الرجال الأفاضلُ
صفاتك لا تحصى وذاتك لاترى
فأنت كبحر لم تحط السواحلُ
فما تنتمي إلا إليك الذرائع
وما تنتهي إلا إليك الوسائلُ
وفيضك جار في العوامل كلها
وقد عملت بالأمر منك العواملُ

- بسط الشاعر كل معرفة لديه في توصيف الله سبحانه وتعالى، ووظف ألفاظ القرآن الكريم، والحديث الشريف في وصف قدرة الله تعالى وأسمائه الحسنى، فقد بسط بين يدي القاري كل ما يعرفه، ليدل على الله سبحانه، وقد قرر أنه عاجز عن الوصف، ولم يبلغ ما في ذهنه من أوصاف، ولن يستطيع أحدٌ أن يصف الله.

- ولشاعرنا قصيدة أخرى في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- وثناؤه العطر على الرسول، يقول فيها:

هو المصطفى خير البرية كلها
لقد فضلته الأنبياء الأوائلُ
فجاء بقرآن من الله منزل
فيا نعم محمولٍ ويا نعم حاملُ
وفسره سرًا وجهرًا بفعله
وأوضح معنى للورى وهو عاملُ
سراج منيرٌ في الظلام بنوره
أضيئت لهدى المنكرين المشاعلُ
وقد جاهد الكفار ذبًا لدينه
وأصحابه الأسود البواسلُ

• ولا ينسى الشاعر المسلمين، فدعاهم للعمل والجد، ونبههم إلى أن السعي هو طريق النجاح والفلاح، فدعاهم لفهم الدين، والتوسل برسول الله، فيقول:

تَوسّلْ بأعمالٍ تكنْ واصِلا بهِ
فلا شيءَ بينَ الربِّ والعبدِ حائلُ
وأن ليس للإنسان إلا بما سعى
وليس له خلف ولا هو ماطلُ
ألا من أعاجيب الزمان بأن ترى
فضائل قوم عند قوم رذائلُ
لقد بدلت أخلاقهم بمعائبٍ
وقد قلبت عاداتهم والخصائلُ
وقد كان أمر الخلق عند كرامها
وقد أفسدته اليوم قوم أراذلُ
ولا تعش في الأرض كعيش بهائم
وإربك فيها مشرب ومآكلُ
ولا تقض يومًا في الجهالةِ
ولا تبقِ في الدنيا وذكرك خاملُ

• ولا ينسى نفسه بالدعاء بقوله:

أجرني إلهي من النوائب كلها
فضاق بها ذرعي ورضت كواهلُ
رغبتُ عن الدنيا وعن ترهاتها
ومالي وللدنيا وشغلك شاغلُ
وإنّي وإن كنتُ الكثيرَ ذنوبَهُ
لغفرانها يا رب منك لآملُ

• ثم يتجه الشاعر بالدعاء لابنه عبدالحميد، الذي يدرس في لندن، وكان مريضًا، ليخاطب الله سبحانه بقوله:

تلطف على عبدالحميد برحمة
لبات شفاء كامل منك عاجلُ
وإن كتابًا بالبشارة واصلٌ
بأن شفاءَ ابني من الله حاصلُ
أتاني بريد أنه سيزورني
وأنّ التلاقي بالمسرات حاملُ
لك الشكر يا منان والحمد والثنا
على قدر جدواك الذي أنا نائلُ
أياديك تأتيني بغير حسابها
فما عدّدتها بالعقود الأناملُ

• ملأت العاطفة والرحمة قلب هذا الشاعر فهو يدعو المسلمين للعمل، ولابنه بالشفاء، ودعوة الأب دعوة صادقة لها عند الله صدى، وأراد الشاعر أن يعرّف المسلمين بقدرة الله على كل شيء، فلا يجب أن يركن الناس على الكسل، وينسى نفسه والعمل، واستخدم الشاعر البحور الخليلية، واعتمد على حفظه للقرآن والحديث لاستخراج ألفاظه وتراكيب جمله في صياغة أشعاره.

****

عبدالجبار بن بدر العمربوري

١٢٧٧ - ١٣٣٤ هـ / ١٨٦٠ - ١٩١٥ م

• هو الشيخ عبدالجبار بن بدر الدين[1]، ولد في عمرفور من مديرية مظفر نكر، سنة ١٢٧٧هـ، الموافق ١٨٦٠م، درس المرحلة الابتدائية عند المولوي غلام علي القصوري والمولوي عبدالعلي الحنفي، والمولوي إبراهيم الشيعي الباني بتي، وذهب إلى سهارنفور سنة ١٢٩٤هـ، الموافق١٨٧٧م، ليدرس الفقه وأصول الفقه، والأدب والتفسير، ومصنفات الحديث الشريف، وتفسير البيضاوي والجلالين.

• وقرأ سنن الترمذي وأبي داودعلى مولانا محمد مظهر النانوتوي، والشيخ أحمد لطف الله، وفي الأدب قرأ ديوان الحماسة لأبي تمام، وخطبة القاموس، وتلقى العلوم الحكمية على يد ملا جلال، والشيخ حمد الله، والقاضي مبارك، وكتب أخرى في الفلسفة، ثم يمم جهة دلهي ليحصل على الإجازة في الحديث من السيد نذير حسين الدهلوي، ثم رجع إلى بلاده ليعمل في التدريس في المدرسة الإسلامية.

• كان شاعرنا ذكيًا وحافظا جيد، على الرغم من كف بصره، وكان يعط يدروسًا في الوعظ، ويدرس القرآن الكريم بعد صلاة الفجر، وله تصانيف منها:

- **صمصام التوحيد في رد التقليد.**
- **إرشاد السائلين في مسائل الثلاثين.**
- **تذكير الإخوان في خطبة الجمعة كل لسان.**
- **إرشاد الأنام في فرضية الفاتحة خلف الإمام.**
- **تبصرة الأنام في قراءة الفاتحة والجمعة خلف الإمام.**

• للشاعر ديوان شعر باللغة العربية، ومنه ما نظمه حول ندوة العلماء، لكنؤ، قالها سنة ١٣١٨هـ، الموافق ١٩٠٠م. ومنها:

لحا الله دنيا فتنتني بزهرةٍ
وقد أوقعتني في بلاء وحيرةِ

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج ٢١٧. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٠ ص ١٦٦. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١٦٠.

بخضرتها أشواكُ يأسٍ وحسرةٍ
بنضرتها أسقام روحٍ ومهجةِ
غدائرها حياة حزن ووحشةٍ
عقاربُ أدواءٍ وزورٍ ونكبةِ
لقد لدغت من كان يهوى وصالها
فلازال في بؤسٍ وكربٍ ونقمةِ
فليس له راقٍ وواقٍ ونافعٍ
ولم يسترحْ من كربةٍ وصعوبةِ
زخارفُها قد هيّجت لوعة الهوى
فأورت بنفسي والفؤاد بشعلةِ
فحدَّثتُ قلبي هل نفسي مسكنٌ
يروّحني من حرّ سوءٍ وشدّةِ
ولستُ بناجٍ من حرورٍ مشوّشٍ
سوى أن يغيث الربُّ من غيث رحمةِ
فقال فؤادي لا تكوننّ قانطًا
بلى قد سمعنا آنفًا بمسرّةِ
نسيم الصبا جاءت بريا مفرّحِ
تُهنّئنا خيرًا بفيضان ندوةِ

• يتصور الشاعر أن الغيث الذي ينتظره هو ندوة العلماء التي أرسلها الله سبحانه وتعالى لينقذه مما هو فيه. وقد نظم الشيخ قصيدة طويلة في مديح شيخه السيد نذير حسين، يقول فيها:

إنَّ الثناءَ على رفيع الشانِ
نور الأنام مفخر دورانِ
مصباح إتقان وضوء كرامة
شمس العلوم ومركز العرفان
بدر لأفق الفيض نجم الهدى
قمر نمور ليلة الايقان
لمع لإسلامٍ ضياء الهدى
درّ لصدق لؤلؤ الإيمانِ
مرجان فهمٍ جوهر لفطانةٍ
ثمر لروح الفقه والإحسانِ
تاجٌ لرأس المجدِ نلك العلى
ياقوت حلمٍ مخزن الإذعانِ
هادٍ لأرباب النهى طرق الهدى
معلي الكلام الحق بالبرهانِ
نهر تجس من ينابيع الهدى
يروي ويشفي غلة العطشانِ
أعني نذيرَ حسين تاج سراتنا
أستاذنا وشريفنا ذا الشانِ
هو سيدٌ ذو عزةٍ وجلالةٍ
ومحدث ومفسر القرآنِ
هو فاضلٌ متوقدٌ أفكارُهُ
علامَةٌ فهامةٌ ذو الشانِ
سكينه نحر الضلالة والهوى
صمصامه أفنى ذوي الطغيانِ
جمعَ العلومَ بقضِها وقضيضها
فيضانُهُ قد عمَّ في البلدانِ

غـرسَ الـحـدائـقَ لـلـعـلـوم فأينعتْ
زهْــرَ الـهـدى وفـواكـهَ الإيمــانِ
تـذكـيـره غـيـث لجـد ضـلالـة
تـفـهـيـمـه يـروي صـدى الـظـمـآنِ
لـيـث بـآجـام الـعـلـوم جـمـيـعـهـا
أسـد بـوادي الـفـخـم والـبـنـيـانِ
سـيـف لـعـنـق الـكـفـر رمـح لـلـهـوى
سـهـم لـقـلـب الـشـرك والـطـغـيـانِ
أكـــرم بـــه مـــن عـــالـــم مـتـبـحـرٍ
مـتـفـطـنٍ بـغـوامـض الـقـرآنِ
أدعـــو لـــه خـلاقـنـا ورحـيـمـنـا
بـخـلـو مـن قـلـب راسـخ الإيمــانِ
هـذا دعـائـي فـاسـتـجـب يـا ربـنـا
وتـوفـنـي حـقًـا عـلـى الإيمــانِ

• هـذا الثناء والإطـراء من تلميذ لأستاذه موقف حسن، وشعور بالامتنان والشكر على ما بذله هذا الأستاذ من تنوير طريق الطالب لمعرفة الحق واتباعه، فشاعرنا يشعر بهذا كله، ولا شك أن الأستاذ يستحق مثل هذا الشكر، فالأستاذ هو الأب الثاني للتلميذ، وهو المربي الثاني له،

• الشاعر عبدالجبار شاعر قدير، يمتلك المعجم اللغوي ليعبر عما يشعر به من مواقف تمر عليه في حياته، استخدم أسلوب الشعراء العرب، وبحور الخليل، وألفاظ المعجم اللغوي، فصاغ هذه القصائد مقتفيًا آثار الأقدمين، غير أن الخيال الشعري قليل عنده، ربما لأن قصائده موجهة للآخرين، ولا يريد غموضًا، أو سوء فهم لأبياته وطريقته في النظم.

• عند نظرتنا إلى إطراء الأستاذ السيد نذير حسين فيه مبالغة كبيرة في تبجيل الأستاذ، وإعلاء شأنه، وكان يمكن أن يقتصر على بعض ألفاظ الشكر المعروفة، دون الإسراف في المديح والإطراء، ولكن قد يكون معذورًا لفقده البصر، واحتياجه لمن يرشده ويوجهه.

****

عبدالجبار بن عبدالله الغزنوي

١٢٦٨ - ١٣٣١ هـ / ١٨٥١ - ١٩١٢ م

• هو الشيخ عبدالجبار بن عبدالله الغزنوي[1]، ولد في قرية «صاحب زاده» سنة ١٢٦٨هـ، الموافق ١٨٥١م، درس العلوم العربية على يد أخويه محمد بن عبدالله وأحمد ابن عبدالله، وتعلم الفقه على يد والده، العابد الزاهد، ثم سافر إلى دلهي ليتعلم الحديث على يد المحدث الدهلوي

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٨ ص ٢١٨. نثار أحمد الأعظمي، ص ١٣١.

السيد نذير حسين، وأكمل مراحل تعليمه وهو أقل من عشرين سنة.

- كان همه المطالعة والقراءة، وكان متصفًا بالحفظ والقدرة على الإدراك والفهم، واشتغل بالحديث والقرآن الكريم، وكان متصفًا بالزهد منعزلا عن مباهج الحياة، وكان يفتي بما استقر عنده من دلائل وبراهين، ولا يعيب أحدًا من العلماء، وكان يترحم عليهم، ولا يلتزم بمذهب معين، ولا يظن السوء بأحد.

- له أشعار باللغة العربية منها قصيدة رثاء في شيخه السيد نذير حسين المحدث الدهلوي، يقول فيها:

وذُق يا فؤادي كلَّ يومٍ وليلةٍ
حرارةَ أشواقٍ ولوعةَ أشجانِ
إلى أن أرى النذيرَ الحسين الذي
دعا اللهَ من أهلِ الضلالةِ نجاني
ومن لي بأنّ ألقاهُ والموتُ قد أتى
فغيبهُ في الترب عن كل إنسانِ
فيا وحشةَ الدنيا لأنوار وجههِ
ويا لهف إخوان عليه وجيرانِ
يحق لعين لا ترجى لقاءه
إلى الحشر تنهل بدمعها القاني
لقد يحم أهل الأرض رزء مصابه
ولم ينج فيهم منه قاصٍ ولا دانِ
لقد كانت الدنيا به ذات بهجة
ونور وأشواق وروح وريحانِ
وما كان إلا آية في زمانه
وفي كل علم جاز ليس به ثاني
إمام الهدى يدعو إلى دين ربه
دعاء نصوح مشفق غير خوانِ
فمذهبه ما جاء عن خير مرسل
وأصحابه والتابعين بإحسانِ
أتى بعلومٍ حيرت كل واصفٍ
على أنه يهدي به كل حيرانِ
فكم مبطل وافاه يبغي جداله
فأنصفه في البحث من غير عنوانِ
ويكشف عنها شبهة بعد شبهةٍ
إلى أن يبين الحق أحسن تبيانِ
فيصبح عن تلك المقالة معرضًا
ولو كان من أحبار سوء ورهبانِ
يغار على الإسلام من كل بدعةٍ
ومازال منها هادمًا كل بنيانِ
وفي الله لم تأخذه لومة لائم
ولم يخش مخلوقًا من الإنس والجانِ
فمن يخش الرحمن بالغيبِ أتقى
إله البرايا خافه كل سلطانِ
ولم ينتقم في الدهرِ يومًا لنفسه
ولكنه يودى فيعفو عن الجاني

وأما سخاء الكف فالبحر دونه
ولم يك في بذل العطاء بمنانِ

• مع شديد الأسف لم أعثر على قصيدة أخرى للشاعر، ولكن شعره جيد، مستخدمًا العروض الخليلية، وأسلوب سهل بسيط مفهوم، وألفاظ تؤدي المعنى بكل وضوح، لا لبس فيها ولا غموض، ولكن على عادة الراثين في وصف المتوفى وكأنه رسول من الله، لقد وصف الشاعر السيد نذير حسين فأفضل ما لديه من كلمات الإطراء والحب، وجاءت قصيدته تؤدي ما في قلب الشاعر من لوعة وحزن شديدين، وكان يتصرف في أنواع الكلمات الدالة على ما يريد من معنى، وكان شعره واقعيًا ذا بساطة ورقي خلقي، ويبين فيه عواطفه تجاه من غيبه الموت.

****

عبدالجليل بن أحمد الحسيني

١٠٧١ - ١١٣٨ هـ / ١٦٦٠ - ١٧٢٥ م

• هو السيد عبدالجليل بن أحمد بن عبدالله بن محمود الحسيني الواسطي البلغرامي[1]، ولد في بلغرام سنة ١٠٧١هـ، الموافق ١٦٦٠م، تعلم وقرأ المختصرات على يد السيد سعد لبيه البلغرامي، ثم سافر إلى عدة مدن ليستقي العلم من علمائها في زمانه، وأخذ الحديث على يد الشيخ مبارك بن فخر الدين البلغرامي، ثم سافر إلى الدكن وكان هناك أرنك زيب عالم كير، فولاه بعض المناصب، واستمر يتنقل من مكان لآخر ضمن ولاية السلطان عالم كير حتى سنة ١١٣٠هـ، الموافق ١٧١٧م.

• تعلم اللغات؛ الهندية والفارسية والعربية والتركية، وبرز بها، ويتكلم بكل فصاحة وينظم في كل هذه اللغات الشعر الفصيح، وهو شيخ صاحب المآثر الغراء والأيادي البيضاء، وكان عالمًا بارعًا في المعاني والبديع، والحديث والتفسير والسير، وأسماء الرجال، والتاريخ، وكانت العربية من فنونه، فله أبيات يقول فيها:

يا صاحِ لا تلمِ المتيمَ في الهوى
هو عاشق لا ينثني عن خِلِّهِ
يأبى الدواء سقامه كعيونه
فعلى الطبيعة يا معالج خُلِّهِ

• أي اتركه أيها الطبيب فلا يمكن علاجه من الحب والعشق، وله أيضًا:

حبيبي قوسُ حاجبهِ كنونٍ
وصاد بدين مقلة شكل عينهْ
لعمري إنه نص جلي
على أن الرماية حق عينهْ

(١) غلام علي البلغرامي، سبحة المرجان في آثار هندستان، ج٢ ص ٩٤+ ٢٦٤. عبدالحي الحسني نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج٦ ص ١٤١.

• أرسل الشاعر رسالة إلى الخواجة عبدالباسط الدهلوي، يطلب منه كتاب «ربيع الأبرار» للزمخشري، والرسالة بيتين من الشعر:

يا باسطَ الأيدي أبا غيث الندى
صيرت مزرعة العطاء مريعا
لا غرو أن أطلب ربيعًا منكم
فالغيث يعطي العالمين ربيعا

• لفتة رائعة من الشاعر يطلب فيها كتابًا من صديق له.

• أرخ الشيخ عبدالجليل لفتح السلطان أرنك زيب لقلعة ستارة، من قلاع الدكن، جنوب الهند، سنة ١١١١هـ، الموافق ١٦٩٩م، وهو نوع من التعمية التي اخترعها شاعرنا، حيث يقول فيها:

لما توجه سلطانُ الأنام
رب السماوات في تأييد إسلامِ
أقر إبهامه في أصل خنصره
لورد يا قادرًا فتاح إكمام
فصار حين افتتا السم مفتتحًا
حصن لمن عبدوا أحجار أصنام
نظرت في ألفات وهي أربعة
من فوق إبهامه من غير إبهام
لله تلك يدٌ بيضاء قد نزعت
للناظرين فيا للمجز السامي

هذا البديعُ من التاريخ إنشاه
عبدالجليل بتأييدات إلهامي

• اعلم أن أهل الأوراد دأبهم حين يعدون وردًا على الأنامل أنهم يبدأون من أصل الخنصر، والمؤرخ أراد بإقرار الإبهام في أصل الخنصر شيئًا زاد التاريخ حسنًا، وهو حدوث صورة منه، وكون ألفات الرقم فوقها كما هو دأب الناسخين في الأكثر، وإليه أشار بقوله رقمًا على سنة من مدّ الإبهام.

• يبدو أن الشاعر له قدرة كبيرة في استخدام الألفاظ كبيرة، حتى أنه يستخدمها في المعمى، وقدرة أخرى في النظم العربي على طريقة الخليل بن أحمد، بأسلوب سهل أحيانًا، ومعمى أحيانًا أخرى، فيحتاج إلى شرح وتبسيط، وهذا لا شك قدرة كبيرة في التلاعب بالألفاظ مع ما كان واقعًا عندهم.

• السيد عبدالجليل طافة كبيرة في العمل والنظم واللغة، فهو شاعر وإداري، وكاتب، أوجد بين يديه آلات النظم من ألفاظ مختلفة، وبحور شعرية، وأوزان وقافية، ولكن هو ناظم ولديه خيال الشعراء، حينما ينظم في الغزل، ولكن في التاريخ مقيد بالحدث، وسلطة الحاكم، فهو لا يتقيد بالنظم المعتاد في القصائد الشعرية.

****

عبدالجميل البيشاوري

١٣٣٤ - ٠٠٠ هـ / ١٩١٥ - ٠٠٠ م

• ولد السيد محمد عبدالجميل بن عبدالجليل بن محمد إسماعيل[١] في بيشاور سنة ١٣٣٤هـ، الموافق ١٩١٥م، بدأ الدراسة في بيته عن طريق والده، ثم تعلم أصول الدين والفقه على يد الشيخ محيي الدين، والحديث على يد الشيخ محمد يوسف البنوري، ثم اتجه إلى ديوبند والتحق بجامعة دار العلوم ودرس المقررات الدراسية على يد الشيخ محمد إعزاز علي، وشمس الحق الأفغاني، بعدها ذهب إلى دلهي وتلقى الحديث على يد المفتي كفاية الله الدهلوي، ونبغ بالعربية والفارسية.

• عمل الشاعر بالتدريس بمدرسة خير العلوم بجالندر، ثم ذهب إلى بيشاور وعمل مدرسًا للعلوم الدينية واللغوية، وكان إمامًا للمسجد، وله بعض القصائد العربية، ومنها قصيدة، يقول فيها:

كتبتُ إليكم بعد حسن التفكُّرِ
كوائف نفس العبدِ غيرَ مقصِّرِ
صرفتُ كثير العمرِ في طلبِ العلا
وتدريسِ علم الدين بعد التفكّرِ
بجامعة الديوبند دهرًا إقامتي
تعلّمت مثلَ القابسِ المتنوّرِ
أمينيةُ الدهليّ فيها قراءتي
صحاحَ أحاديث النبيّ المطهّرِ
لدي الشيخ مفتي الهندِ فيه كفايةٌ
من اللهِ غيّاثُ الورى المتبحرِ
ونلتُ بفضلِ اللهِ أعلى المراتبِ
من المولوي الفاضل المتنظّرِ
ووفقتُ في خير المدارس حقْبَةً
إدارةُ علمٍ أُسست بجلندرِ
أدرّسُ أشتات العلوم بحقّها
أزيلُ اشتباه الطالب المتحيرِ
وها هي في ملتانَ بحرُ معارفٍ
بموجِ محيط الساحل المتفجّرِ
«بجارسد» مسكوني وأما خطابتي
فبالجامع الأسنى بمصنع سكّرِ
ويُهديكمُ عبدالجليل تحيةً
معطّرةَ الفحوى كمسكٍ وعنبرِ

• أورد الشاعر سيرته الذاتية في هذه القصيدة من أيام الدراسة، وأساتذته وعمله، وإمامته للصلاة، فسار في

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٨: ٧٤٦. حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان ص ١٠٦

القصيدة منذ صغره حتى أصبح معلمًا وخطيبًا، وهذه أول مرة يكتب شاهر سيرته الذاتية المختصرة شعرًا.

- كون الشيخ عبدالجميل شاعر، ونظم سيرته الذاتية، ومع ذكر بعض شيوخه، لذا كانت له مواقف معهم، وله صلات بهم، فقد انتقل إلى رحمة الله أحد شيوخه، وهو العلامة الشيخ أنور شاه الكشميري، فرثاه بقصيدة يقول فيها:

هَـمٌّ وكـربٌ مُشْـخـصُ الأبـصـارِ
والـدمـعُ فـي الخـديـنِ نـهرٌ جـاري
واغبرَّ وجهُ الأرضِ من وقعِ النوى
واسـحـنـفـر الأفـــلاكُ بـالأمـطـارِ
تـبـكـي مـلائـكـة الـسـمـاوات الـعـلا
واسـودَّ عـيْنُ الشمسِ في الأقطارِ
يـبـكونَ مـن فـقـدانِ مـخـدوم الـورى
شـيـخ الـشـيـوخ ومـجـمـع الأخـيـارِ
أستاذنا المفتي «الشفيع» وشيخُنا
كالشمس يجلو جـينَ نـصفِ نهارِ
تـلـميـذُ «أنـور شـاه» حـجـةِ عصره
أسـتـاذ أهـل الـعـنـدِ فـي الآثـارِ
قـد كـان فـي دار الـعـلـومِ مـدرّسًـا
فـي «ديـوبـنـد» وكـاشـف الأسـرارِ
يـفـتـي الأنـــامَ روايـــةً ودرايـــةً
بـفـقـاهـةٍ وشـهـامـةٍ ووقـــارِ
لـلـمسلمين «أبـوحـنـيـفـةَ» عصره
لـلـمـتـقـين حُـمـاةُ خـيـر الـــدارِ
في الفقه «يعقوبٌ» وفي التفسير كشْـ
شـافٌ إمـامُ الـوقـتِ فـي الأخـبـارِ
في المنطق «الرازي» وفي الحِكَم «الغزا
لـي والـتـصـوف مـرشـد الأمـصـارِ
في الصرف والنحو «المبّردُ والخليـ
ـلُ» وفي المعاني «جاحظ» الأعصارِ
قـوّامُ لـيـلٍ فـي الـتـهـجـد خـاشـعًـا
مـسـتـغـفـر الـرحـمـن بـالأسـحـارِ
دُفـن الإمـــامُ فـدفـنـه بـحـقـيـقـةٍ
دَفْـنُ الـتُّـقـى والـعـلـمِ والأخـبـارِ
الـنـومُ بـعـد أبـي تـقـيٍّ ذاهـبٌ
والـقـلـبُ مـضـطـربٌ مـن الأفـكـارِ
يـا مـن يـرجّـى عـنـد كـلِّ مـصيبةٍ
وفّـق بـنـيـه الـصـبـرَ فـي الأخـطـارِ
وارحـمـهـمُ يـا ربُّ كـان أنـوهـمُ
مـن صـالـحـي الـعـلـمـاء فـي الأذكـارِ
فـجـزاهُ ربُّ الـعـزِّ خـيـرًا وارتـضـا
هُ بـرحـمـةٍ وكـرامـةٍ وجـــوارِ
ويـدوم نـضـرةُ رَمْـسـه وبـهـاؤهُ
بـسـحـائـب الـغـفـرانِ مـن غـفّـارِ

- شاعر فحل ، وقوي الأسلوب واللغة، ويتمتع بقدرة كبيرة على النظم العربي، وعلى الرغم من المبالغة في المديح إلا أنه موفق في ذلك، وله قصيدة أخرى في رثاء الشيخ عبدالحق نافع، يقول فيها:

رُزينا بشيخ العلمِ والجودِ والنُّهى
إمـامٌ همـامٌ حـجّـةُ اللـهِ فـي الـورى
قـسـيـمٌ شـهـيـمٌ عـالـمٌ مـتـبـحّـرٌ
وجـيـهٌ نـبـيهٌ قـائـد الـرشـدِ والـهـدى
مُـفـسّـر تـنـزيـلٍ مـحـدّثُ عـصـره
فـقـيـهٌ فـخـيـمٌ مـقـتـدى أوثـق الـعُـرا
مـحـقـق آفـــاقٍ مـــوفـــق ربـــه
بـعـلـمٍ لَـدُنـيٍّ يـرى حـيث لا يُـرى
مـلاذي وأسـتـاذي ومـأوايَ موئلي
وأوضـح بـسـامٍ إذا اهـتـز لـلـنـدى
أهـذا جـنـونٌ أو عـرتـنـيَ غشيّةٌ
أم الصَّرْعُ كالعشواءِ أخبط في الدجى
أم الظلمةُ الدهماء حطَّت نهارَها
أم النكبةُ العظماء في المُدنِ والقرى
فما لعيوني لا ترى الشيخ «نافعًا»
أم أطغاثُ أحلامٍ بل اختاره القضا
مضى الشيخ عبدالحق للحقِّ نافعٌ
فغادرنا شُعْثًا يتسامى من النوى
سئمتُ حياتي بعد شيخي وملجئي
فأودع نارًا في فؤادي وفي الحشا
فتجري دموعي دائمًا بعد نافعٍ
إلى أن يمنَّ الله في الحشر باللقا
فكم من بكاء عند مرقد نافع
وكم من عويلٍ ليس ينفعنا البكا
فيا رب يا مولاي نوّر ضريحَهُ
وأكرمه في الفردوس بالرتب العلى
وأتمم له نورًا وأجزلْ ثوابه
وأحسنْ إليه سرمدًا فيرتقى

• وله قصيدة رثاء في مولانا محمد إسرائيل، يقول فيها:

تسيلُ من الآماقِ كالسيلِ أدمعُ
فكل صبور ذي وقار مفجعُ
ألمّ علينا الخطبُ من كل وجهه
فلم ندر من فرط الأسى كيف نصنعُ
أشم جبال العلم هدم بغتة
وكنا إليه في الحوادثِ نقرعُ
وقد كان يدعى عند كل ملمة
فلم ندرِ من ندعوه أم نتوقعُ
ولكنه لبى لدعوة ربه
فإنا له إنا إليه لنرجعُ
وذلك مولانا وشيخ مشايخ
محمد إسرائيل ينعى يودعُ
أفاد الورى طُرًّا كتابًا وسنةً
وفقهًا وأخلاقًا تلاها التورعُ
فكان لأرباب العلوم أباهم
وكانوا عيالا عنده حينما رعوا
فيا رب بيض وجهه متلألئًا
ويا رب نوّر قبره منك تطمعُ

- يتمتع الشيخ عبدالجميل بقدرة كبيرة على النظم العربي، فهو يمتلك أدوات النظم العربي التقليدية، من بحور الشعر، وقوافي مختلفة، وإن تحرر منها قليلا، ولكنه يمتلك الموهبة الكبيرة في النظم العربي، ألفاظ القصائد مناسبة للمعاني، وأخضعها لأفكاره ورآه، ونظمها بحيث أدت جورها الفني.

- استعمل الشاعر خياله في قصائده، وأخرج صورًا فنية بلاغية، تركت أثرًا حسنًا عند القارئ، وأدخل المعنوي في الحي المتحرك، وهو ما يعرف بالأنسنة، وأتى بالجماد، أو المعنوي ليحركه كما هو إنسان، أما موسيقاه فقد كانت موسيقا داخلية بين الأبيات والجمل، وموسيقى خارجية تتمثل بالسجع والمحسنات البديعية.

- الشاعر عبدالجميل جميل اللفظ والأبيات في شعره، ومتمكن من إيجاد الألفاظ والبحور ليصنع منها قصائد مرموقة، عبر بها عما يختلج في قلبه من مشاعر وأحاسيس تجاه من يحبهم ويحترمهم، وعلى الرغم من المبالغة في الإطراء، إلا أن ذلك ديدن الشعراء في كل مكان، وفي كل زمان، فالشاعر لا بد له من الإطالة في المديح، أو الرثاء، إذا كان الشخص المتوفى له مكانة كبيرة علمية في المجتمع، ويجد التقدير منهم.

****

عبدالحميد الصادقبوري

١٢٤٥ - ١٣٢٣ هـ / ١٨٢٩ - ١٩٠٥ م

- هو المولوي عبدالحميد بن أحمد الله بن إلهي بخش بن هداية الله علي الهاشمي الصادقبوري[1] العظيم آبادي، ولد في عظيم آباد في سنة ١٢٤٥هـ، الموافق ١٨٢٩م، تعلم الابتدائية والدروس الأولى على يد عمه الشيخ فياض علي، ثم سافر إلى لكناؤ للتزود بالعلم، فدرس عند الشيخ المفتي واجد علي البنارسي، وتلقى منه العلوم الحكمية وفوائد أخرى، ودرس الطب على يد الحكيم طالب علي اللكناوي.

- لما شبت نار الفتنة في الهند سنة ١٢٧٣هـ، الموافق ١٨٥٧، إبان ثورة الهند على الاستعمار البريطاني، نهبت مكتبته وأغراضه فعاد إلى موطنه عظيم آباد، وعمل هناك في علاج المرضى، وكان بحرًا في العلوم الدينية والحكمية، وخطيبًا ماهرًا ، وله دراية بأحوال الماضين من العلماء، وله قدرة كبيرة للتمييز بن الخطأ والصواب في كثير من المواطن.

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص٢٢٩. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٠ ص ٣٧٦. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١١٦.

• لما ذهب إلى الحج وكان في منى قرض هذه القصيدة، التي يقول فيها:

فَـوا أسفًـا ونـحـن بـنـو كِـرامٍ
تـــوارثَ فـيـهـمُ عِـلْـمٌ وجـــودُ
ذوي الأعـــلامِ والأقـــلام طُـــرًّا
يـزيـنـهـمُ المـكـارمُ والجـنـودُ
زهـم قـد سـخّـروا شـرقًـا وغـربًـا
مـن الأقـطـار وافـاهـم وفـودُ
وقـد كـانـوا مـلاذ الـنـاس طُـرًّا
لـكـل مـصـيـبـة خُـصُّـوا ونـودوا
وقـد كـانـوا أُلـي طـولٍ ومـلـكٍ
تُـطـيـعـهـمُ الـعـسـاكـرُ والجـنـودُ
وتـخـضـع عـنـد رؤيـتـهـم رقـابٌ
وتـرتـعـد الـهـزابـرُ والـفُـهـودُ
فـصـرنـا نـحـن فـي وهـن وهـون
يـرق لـنـا المـعـانـد والحـسـودُ
وسعى في الأرضِ طغيانًا وعدوًا
مـع الأحـــزاب شـيـطـانٌ عـنـودُ
يـشـيـعُ الـبـغـضَ بـين المؤمـنـيَن
فـفـرَّ الجـمـعُ وانـهـزم الجـنـودُ
وكـان الـنـاس قـبـلا فـي شـقـاقٍ
ونـارُ الـضـغـنِ يـوقـدهـا الـوقـودُ
وشـبّ ضـرام نـيـرانٍ الـنـفـاقِ
ونـارُ الـبـغـي لـيـس لـهـا خُـمـودُ
وفـي أعـنـاقـهـم أغـلال غِـلٍّ
ومـن حـقـدٍ بـأرجـلـهـم قـيـودُ
وهـم عـن صـالـح الأعـمـال رغـبـوا
وقـد بَـعُـدوا كـمـا بـعـدتْ ثَـمـودُ

• يتحسر الشاعر على أحوال المسلمين، أين كانوا؟ وأين أصبحوا الآن؟ كانت الدنيا تحت أقدامهم، وصارت لهم عيبة ومكانة في العالم، وأصبحوا اليوم ذليلين، حتى الحسود يشفق عليهم من سوء أحوالهم، وبعدهم عن واقع العالم حتى أصبحوا نهبًا للشرق والغرب.

• يبدو الشاعر تمكنه من النظم الارتجالي، فهو في رحلة الحج، وفي منى، وهناك شعائر الحج لا بد من تأديتها، ومع ذلك وجد الوقت لنظم هذه القصيدة، وهي قدرة كبيرة من الشاعر الذي يمتلك ألفاظ المعجم في كل وقت يأتيه شيطان الشعر، وله قدرة في اتباع الأوزان والقوافي، ويستخدم الأساليب الفنية الشعرية في نظم القصيدة. ومع التحسر لواقع المسلمين لا وجود للخيال الفني، وصياغة الصور البلاغية، التي يصنعها الشعراء عادة، ولكنه مراقب جيد للأوضاع السياسية والاجتماعية للأمة الإسلامية.

****

عبدالحي أحمد السورتي

١٢٨٣ - ١٣٣١ هـ / ١٨٦٦ - ١٩١٢ م

• هو الشيخ عبدالحي بن أحمد الكفليتوي السورتي الغجراتي[١]، ولد في سورت سنة ١٢٨٣هـ، الموافق ١٧٦٩م، تعلم على يد والده العلوم الأولى، ثم درس عند علماء عصره، فتعلم الفقه والحديث والتفسير وأصول الفقه، وبرع في كل الفنون التي درسها، وله مشاركات في المعقول والمنقول.

• كان للشاعر عبدالحي قدرة على نظم الشعر في جميع المناسبات، وجميع العلوم والفنون، ومن الغريب أن هذا الشاعر قد ألف كتابًا في الصرف باسم «نظم الدرر» وشرحه شرحًا وافيًا، وكله منظومة، ويقول في بداية كتابه:

يقول عبدالحي ذو الآثامِ
حمدًا لمولى الحمد والإنعامِ

• وألف كتابًا آخر بعنوان «عقد الفرائد في نظم العقائد» يقول في أوله:

يقول عبدالحي في ابتداء
سبحان رب الأرض والسماءِ

• وكذلك ألف كتابًا ثالثًا بعنوان « نزهة الأنظار» ، وهو أيضًا منظومة في المنطق، يقول في المقدمة:

يقول عبدالحي ذو العيوبِ
حمدًا لمن أحاط بالعيوبِ

• هذه قدرة كبيرة من شاعر هندي، ملك زمام اللغة العربية، وتصرف بها كما لم يتصرف أي شاعر هندي من قبل، وهو نظير لألفية ابن مالك الذي نظم النحو في منظومة شعرية، غير أن شاعرنا فاقه وألف كتبًا بموضوعات مختلفة ونظمها شعرًا ، وله قصائد أخرى تنم عن المقدرة العالية في نظم الشعر، من ذلك قصيدة له في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- ويظهر فيها حب الشاعر وتعلقه برسول الله، يقول فيها:

بدت ملةٌ حلّت جميعَ الجوانبِ
وقد أشرقت منها ليالي الغياهبِ
وزالت ظلام في القلوبِ تراكمت
فأضحت شروقًا كالنجوم الثواقبِ
بداية خلق الله خاتم رسله
لذا موسومًا يقينًا بعاقبِ
وأكرم حيّ في أناسٍ بأسرهم
وأفضل من لؤي بن غالبِ

(١) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٣٠٨. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص١٣٥.

فأشرفهم نفسًا وبيتًا وشيمةً
لذا اجتمعت فيه صفات النجائبِ
وبيَّن دينًا مستقيمًا مهذّبا
وأقلع عرق الشرك عن كلّ جانبِ
فما ملّةٍ إلا محاها بدينهِ
لما حرفت فيها كثير المطالبِ
وأعطاهُ قرآنًا بليغًا إلهه
يجرُّ إلى دين الهدى كل طالبِ
ويدعو إلى جناتِ عدنٍ معدة
وينهي عن النيران ذات المطالبِ

• هذا ما يراه الشاعر من صفات الرسول الكريم- عليه السلام- فقد اجتمعت في رسول الله الصفات الكريمة، والسجايا النبيلة، وأما الشريعة الإسلامية فقد اقتلعت جذور الشرك والوثنية، ونسخت الشرائع التي قبلها، وكان القرآن قد نسخ الكتب المحرفة التي سبقت الإسلام، أما الذين رفضوا الإسلام يقول الشاعر عنهم:

فيا ويح قومٍ أعرضوا عن نبيهم
إذا ما أخيفوا من بئيس المواجبِ
ونودوا إلى عيش رغيد مؤبدِ
جنان وغلمان وحور كواعبِ
وآذوهُ إيذاءً بسبٍّ وضربةٍ
وإخراجه من داره والأقاربِ

• فأين ذهب بعد أن طردته قبيلته، جاء إلى الأنصار، أهل المدينة، والمهاجرين بقوله:

فآواهُ أنصارٌ كرامق بطيبةٍ
وفازوا بنصر في جميع الجوانبِ
فطوبى لقومٍ هاجروا مع نبيهم
ومن عزّروه في جميع المصائبِ

• وهكذا عبر الشاعر عن حبه لرسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام- ولم ينس من نصره من المهاجرين والأنصار، فوقرهم واحترمهم وأيدهم.

• وله قصيدة أخرى يبث فيها الشاعر مشاعره الفياضة، ثم يطلب شفاعة الرسول له في الآخرة، يقول فيها:

إلى ما أرى يا طيب منك التراخيا
وقد حلَّ وحطّ الشيبُ بالرأس ثاويا
وأخبرني عن قربِ الرجالِ نصيحةً
فدونك طاعاتٌ وخلّ المساويا
وعض على ما فات منك الأناملا
وفجر من العينِ الدموع الهواميا
فكم مرة وافقتَ نفسًا مريدةً
فقد حمّلتَ شرًا عليكَ الرواسيا
وكم مرةٍ أحدثتَ بدعًا لشهوةٍ
وغادرتَ هديًا مستقيمًا توانيا
فأرجو رسول الله منك شفاعةً
فحقق رسول الله منك رجائيا
إذا اشتدت ذو همومٍ وكربةٍ
وقد كان أعمالٌ عليَّ ولا ليا
فجودك معروفٌ وفيضك ضائع
ولم يأبَ هذا غير من كان غاويا

• تجيش في صدر شاعرنا آهات وأشجان ولم يجد غير شفاعة رسول الله لها من كاشف، فهو عميق الفكرة سليم

البناء الفني للقصيدة، متمكن من بحور الشعر، وأسلوب هادئ رزين في صياغة أشعاره.

- استخدم الشاعر ألفاظًا موحية لقربها من فكرته التي ينظم بها القصائد، وكانت ألفاظا سهلة ميسورة، عبر بها عن مكنون قلبه، ومشاعره الدفينة، ولكن الصور الفنية قليلة لعدم الحاجة لها في مقام مديح رسول الله، أو التوسل إليه، ولكن المعجم اللغوي يمتلكه بجميع ألفاظه وتراكيبه، فلم يتوان عن وضع اللفظ في المكان الصحيح من جمله وعباراته، واستخدم الذلل من القوافي لسهولتها ومطاوعتها لما يريد من أفكار.

****

عبدالحي بن فخر الحسني

١٢٨٦ - ١٣٤٢ هـ / ١٨٦٩ - ١٩٢٣ م

- هو الشريف عبدالحي بن فخر الدين بن عبدالعلي بن علي محمد بن أكبر شاه بن محمد شاه بن محمد تقي بن عبدالرحيم بن هداية الله[1]، وينتهي نسبة بالإمام الحسن ابن علي بن أبي طالب- رضي الله عنهم جميعًا.

(١) عبدالحي الحسيني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج ١ ، المقدمة . نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١٩١. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٠ ص ٤٤٣.

- انتقل قطب الدين محمد من بغداد أثناء دخول المغول إليها سنة ٦٥٦هـ، الموافق ١٢٥٨م، ودخل غزنة ، ومنها إلى الهند، وتولى مشيخة الإسلام في دلهي، ثم ترك ذرية كبيرة نبغ منها علماء وشعراء.

- ولد العلامة عبدالحي سنة ١٢٨٦هـ، الموافق ١٨٦٩م، درس الكتب المدرسية من الصرف والنحو والأصول والتفسير والمعقولات على أشهر علماء لكناؤ ، مثل الشيخ محمد نعيم الفرنكي، والشيخ فضل الله، ثم رحل إلى بهوبال فقرأ الكتب الدراسية هناك، وقرأ الحديث عند الشيخ حسين بن محسن الأنصاري، ودرس الأدب عند الشيخ محمد الأنصاري، وتعلم الطب على يد الحكيم عبدالعلي، وسافر على عدة مدن في الهند طلبًا للعلم.

- تعلم الشيخ عبدالحي ثلاث لغات هي: العربية والأردو والفارسية، ولكنه أتقنها بشكل جيد، ونظم فيها أشعاره، ولكن كانت دراسته في العلوم: علم الفقه وأصوله، وعلم التفسير، وعلم الحديث، وعلم التاريخ والسير، وله مصنفات منها:

- **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، في سير العلماء ورجال الدين والسياسة، وكل من دخل الهند من العلماء والأدباء.**
- **كتاب معارف العوارف، في أنواع العلوم والمعارف.**
- **« كل رعنا» تاريخ الشعر بالأردو.**
- **كتاب جنة المشرق ومطلع النور المشرق، في التاريخ الإسلامي.**

- تلخيص الأخبار، مختصر في الحديث الشريف.
- كتاب الغناء، بالعربية.
- التعليقات على سنن أبي داود.
- شرح المعلقات السبع.
- رسالة في السلاسل النقشبندية.
- تذكرة الأبرار، بالفارسية.
- وهناك رسائل أخرى في اللغات الثلاث.

• هو شاعر، ولكنه كان في فترة الشباب، وهو قليل، وله قصيدة في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يقول فيها:

خيرُ البريةِ رأسُهم ورئيسُهم
ابنُ الكرام أخو الندى والسؤددِ
رحبُ الذراعِ حليفُ مجدٍ سابغٍ
خدنُ الصلاح شقيق عزٍّ سرمدي
نورُ الهدى غوثُ الورى غيثُ الندى
غرضُ المنى مستمسّك المستنجدِ
كهفُ الأراملِ عون قلبٍ خائفٍ
مولى البرية ملجأُ المسترفدِ
المصطفى المختار من تمت به
نعِمُ المليك الواحد المتوحّدِ
أوفى البريةِ ذمّةً وأمانةً
بصداقةٍ ووثاقةٍ وتودُّدِ
ذاك المتوَّجُ بالأمانةِ والتقى
زانت كرامتُه مقامَ السؤددِ

• هذه القصيدة عادية لا شيء فيها مختلف عن غيرها من نظم، وهو هنا ناظم للألفاظ والكلمات، يدل على تمكنه من المعجم اللغوي العربي، ولا خيال فيها، أو صور بلاغية، ولديه قصيدة أخرى فيها الشكوى والفراق للأحبة، ويتفجع على فقد زوجته، يقول فيها:

إلى اللهِ أشكو من فراقٍ وغربةٍ
بُليتُ بها من بعد وصلٍ وقربةِ
فيا طولَ حزني وابتلائي بمحنةٍ
ويا عُظمَ خطبي من أذاها وسحرتي
ويا حسرتي من وحشتي وتجشُّمي
ويا أسفي يا همُّ قلبي ولوعتي
أيا أسرتي باللهِ هل غاب عنكمُ
كما غاب عني نورُ عيني ومهجتي
أزينبُ هل آنستِ مني بغدرةٍ
فعذّبتني في نار همٍّ وفرقةِ
رحلتِ وقد قامت همومٌ نواصبٌ
وغبتِ وقد نامت عيون المسرّةِ

• لوعة الشاعر وحزنه الظاهر انعكس على كلماته وجمله، فملأها جملا تفيض عاطفة وحبًا، في الواقع هذا الشاعر عبر عن حبه لزوجته، بصورة صادقة، وألفاظ مناسبة للحدث، فهو استخدم أشد الألفاظ إيلامًا لنفسه، وأكثرها تأثيرًا للقارئ، أو السامع، واقترنت هذه الألفاظ مع المعنى المراد فجاءت متناسقة متآلفة.

• شاعر تقليدي استخدم العروض الخليلية، وصاغ صناعته بشكل جذاب، وعبر عن مكنون قلبه، غير أن مديح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- كان عاديًا وليس فيه حرارة القصيدة الثانية، فمديح الرسول، قد سبقه مجموعة من شعراء الهند، وبالطريقة نفسها، التي تخلو من البراعة في الأداء، على الرغم من المحبة والتقدير لشخصية الرسول، إلا أن النظم لا يكفي في إبراز المحبة والود.

****

عبدالرافع الباقوي الجمالي

١٣٤١ - ٠٠٠ هـ / ١٩٢٣ - ٠٠٠ م

• ولد الشيخ شمس العلماء عبدالرافع الباقوي الجمالي[١] في بلدة ردهلس سنة ١٣٤١هـ، الموافق ١٩٢٣م، وهو الابن الرابع لأبيه، درس المرحلة الأولى في بلده فتعلم لغة الأردو، وتعلم القرآن الكريم على يد أمه، حافظة بيكم، وتعلم الفارسية من جده لأمه، وكان الجد شاعرًا تعلم من أبيه، وفي المدرسة الإبتدائية بدأ ينظم الشعر بالفارسية، ثم دخل الكلية العربية وقضى أربع سنوات فيها، ثم التحق بمدرسة الباقيات الصالحات، «بويلور» ، ومكث أربع سنوات أيضًا، وأتقن اللغات الأردو والفارسية والعربية والتاميلية، وحصل على الشهادة سنة ١٩٤٦م.

• اشتغل عبدالرافع أستاذًا في المدرسة الجمالية، وكان يدرّس الطلاب اللغة الفارسية والأردية والتاميلية والهندية والإنجليزية والحساب، وذلك لمدة عشر سنوات، ثم تخصص في تدريس اللغة العربية وفنونها، وتفسير القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والفقه الإسلامي، وكان ضليعًا بالمفردات اللغوية بحيث يأتي بالمترادفات لكلمة واحة تصل إلى عشر كلمات، وأكثر.

• عمل شمس العلماء عبدالرافع في الإدارة الجامعية وكان مختبرًا للطلاب في جامعة مدراس، ثم أصبح عميدًا للكلية العربية الجمالية، بالإضافة إلى أنه شاعر عربي، نظم قصائد في الرثاء، منها في رثاء جمال محيي الدين، حيث يقول:

وكلُّ ابنِ أمٍّ عاشَ طول حياتهِ
على الأرض يومًا يُحْمَلُ في الجنازةِ
ألا لم تدع دنياك حيًا بلا
أجلٍ فإنّ الحياة توأم للمنيةِ

• وله قصيدة طويلة في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- وهي تتكون من ١٧٩ بيتًا من الشعر

(١) مذكرة عن قصيدته نفحة الوردة، تاج الدين الملناني، اللغة العربية في تاميل نادو، ص ٣١٨. .

العربي، وأسماها « نفحة الوردة» وتم ترجمتها إلى اللغة التاميلية، لغة جنوب الهند، ونظمها على الطريقة الهندية في ذكر الله والصلاة على رسوله، يقول في بدايتها:

الحمد والشكرُ للموصوفِ بالقدمِ
هو الذي أوجد الكونين من عدمِ
أزكى الصلاةِ على المختارِ في أزلِ
مع السلام دوامًا غير منفصمِ
أمن تعشَّق حب حلَّ بالحرمِ
أذرفتَ دمعًا من العينينِ كالديمِ
أم أخبرتكَ حمامُ العشقِ طائرة
عن حسنِ من وجهه كالبدرِ في الظلمِ
أم ذَكرتكَ رياحُ الزهرِ نافحةً
بمن إذا مسَّ شيئًا صارَ ذا شممِ
أم من هوى الظاعنينَ الهاجرينَ إلى
أنصارهم ساكني البطحا ذوي كرمِ
فاضت دموعي لذكراهم من الألمِ
أميرهم سيد الأقوامِ والأممِ
فما الذي هيَّج الأفكارَ في كبدي
وما الذي بدَّل الآلامِ بالنعمِ
لعلَّ طيف حبيبٍ طاف في الخلدِ
فأنتَ تسهرُ طولَ الليلِ لم تنمِ
هو العزيز الذي في ذكرهِ طربٌ
هو الحبيبُ الذي في هجرهِ نقمي
محمدٌ أشرف الكونينِ ذو كرمٍ
فمثلهُ لا يرى في العرب والعجمِ
وهو الرسول الَّذي ما جاءَنا أحدٌ
من بعدهِ مُرسلا للناسِ بالحِكَمِ
من أفقِ مكةَ إذ شمسُ الهُدى طلعت
تنوِّرُ العالمَ من نورهِ التممِ
مولاهُ علّمهُ من عندهِ حِكمًا
ناهيك آدابه في حالةِ اليتمِ
والرَّبُ أدّبه وأحسنَ الأدبا
فكان يدعى أمينًا صادقَ الكلمِ
قد حيرت عقل ذي فكر حقيقته
ولو رآه بإمعان من الأممِ
والصدق منطقه الصبر عادته
والصفحُ خصلته كالرحمِ والكرمِ
والرشدُ طيمنه والزهد سيرته
والحلمُ فطرته كلٌّ من الشيمِ
والعقلُ يقصرُ عن إدراكِ عُنصرهِ
والذهنُ يعجزُ عمّا فيه من حِكمِ

• ويتحدث الشاعر عن طفولة رسول الله ، بعد ولادته، ويقول:

وبارك الله في مغنى حليمة إذ
أنشأت فيها بِفطِ الشاة والغنمِ
عاشت هنيئًا مع الأبناء والزوج
من يُمنِ سكناهُ في أمنٍ وفي سلمِ

درَّت أحاليلُ ضرع الشاةِ من لبنٍ
من مسّ راحته الميمونة الكرمِ

• ويتحدث بعد تلك عن مرحلة الإسراء والمعراج ويقول:

سبحان مولى الذي أسرى بسيدنا
على البراق السريع النيّر اللّجمِ
أعظمْ بشأنِ رسول الله حينَ سرى
ليلا إلى المسجد الأقصى من الحرمِ
أكرِمْ بمركبهِ الممتاز سرعته
لا في الخيول ولا في الأبلقِ الرُّسُمِ
وأمَّ في المسجدِ الأقصى وباعجبًا
للأنبيا سيد الأعراب والعجمِ
حتى دنا من جميلٍ قاب قوسين
ما زاغت العينُ عن مولاهُ ذي العظمِ
في السدرة المنتهى جبريلُ فارقه
لا قاه مولاه لقيا أيّ مكتتمِ
أوحى إلى عبده الرحمنُ ما أوحى
حتى احتوى برموز اللوحِ والقلمِ

• لقد أوحى الله سبحانه وتعالى القرآن لرسول الله-عليه أفضل الصلاة والسلام- ليبلغ الناس وحدانية الله، فيقول شاعرنا:

كفاك معجزةُ القرآنِ دائمةً
يبيّنُ الصدقَ والبطلانِ بالكلمِ
يهدي لمن يهتدي يُضلُّ مُنكرهُ
وليس فيهِ سوى نصحٍ بمستلمِ
آياتُ حقٍ أتى خيرُ الأنامِ بها
مُحكماتٌ وفيها قَطُّ لم نَهِمِ

• لا ينسى الشاعر عبدالرافع نفسه، ويقر بالأخطاء التي ارتكبها، ويطلب من رسول الله الشفاعة، ومن رب العباد العفو والصفح عما بدر منه في حياته، وأضاع عمره سدى دون النظر في إصلاح نفسه، والآن فيقول:

إنّي ظلومٌ جهولٌ آثم خجلُ
لم أوفِّ ميثاقَ ربي بارئ النسمِ
ضيَّعتُ عمري سدى لم أتّخذ زادا
ليوم يُبعثُ شر الناس بالندمِ
لقد أتيتُ إليكَ نادمًا خجلا
فاستغفر اللهَ لي ذا الرحمِ والكرمِ
ظلمتُ نفسي كثيرًا ثمّ آمَني
لا تقنطوا من كلام الله ذي العظمِ
والنفسُ لم نتعظ بالسمعِ والبصرِ
فالعينُ والأذنُ في عمى وفي صممِ
يا نفس لا تقنطي من رحمة الصمدِ
ولو مضى العمرُ في العصيانِ والحرمِ
أرجو رضا الله والغفران من زللي
إذا الرؤوف انجلى بشأنِ منتقمِ
ربّ اغفر كلَّ ما قدمتُ من خطأ
قصدًا وسعوي بفضل منك والكرمِ

• لقد أبدع شاعرنا بهذه القصيدة الغراء بكل مقاييسها، فهو سرد لشخصية رسول الله- صلى الله عليه وآله

وصحبه وسلم- وبين فيها ما كان عليه الناس، ووصف القرآن الكريم الذي أنزل لسعادة والبشر وهدايتهم، وتحدث عن رسول الله وما يتمتع به من أخلاق حميدة، وخصال مجيدة، ورفعة وسمو في كل جزء من حياته بدءًا من طفولته وهجرته وكرمه مع الأعداء، وعدله بين الأصحاب.

- يقر الشاعر بذنوبه كإنسان ارتكب كثيرًا من الأخطاء بعضها سهوًا والبعض الآخر عمدًا، ولكنه يرى أن شفاعة رسول الله كفيلة بأن يحظى بعفو رب العالمين. واستخدم الشاعر بحور الشعر القديم، وكان متتبعًا لقصائد مديح الرسول، مثل بردة البوصيري، وغيرها، وبدأ قصيدته بالطريقة الهندية التي هي: الحمد لله ثم الصلاة على رسوله، ثم المديح وبعد ذلك الاستغفار.

- يبدو أن الشاعر متمكن من المعجم العربي بجميع ألفاظه ودقائقه، فوظف الكلمات في جمل متكاملة المعنى، قريبة للقارئ العادي، فيها البساطة في الطرح، والقدرة على الاستيعاب، فكان اللفظ مطابقًا للمعنى، ومتسقًا معه، بأسلوب سهل، ولكن لم يكن هناك شيء من الخيال الشعري، لعدم الحاجة إليه، فهو يقرر أوضاعًا واقعية، وحياة إنسانية، لذا ابتعد عن الصور البلاغية، والخيال الغارق في اللامعقول.

****

عبدالرحمن آزاد المئوي

١٢٩٥ - ١٣٥٧ هـ / ١٨٧٨ - ١٩٣٨ م

- هو الشيخ عبدالرحمن آزاد بن الحافظ عبدالرزاق المئوي[1]، ولد في قرية مِئو سنة ١٢٩٥هـ، الموافق ١٧٨١م، نشأ وترعرع في بلدته تحت رعاية والده الحافظ عبدالرزاق، الذي علمه القراءة والكتابة ، وتعلم اللغة الفارسية والعربية، ودرس النحو والصرف من أساتذته، وخاصة من الملا محمد حسام الدين، ثم ذهب على غازيبور لاستكمال دراسته فأكمل المقررات الدراسية على يد العلامة محمد فاروق الجرياكوتي، والشيخ عبدالله الغازيبوري، والشيخ عبدالرحمن بقا الغازيبوري.

- سافر شيخنا إلى كانفور والتحق بمدرسة جامع العلوم، فتعلم على يد الشيخ أشرف علي التهانوي، والشيخ أحمد حسن الكانفوري حتى أكمل دراسته، ثم ذهب إلى دلهي لدراسة علم الحديث عند السيد نذير حسين الدهلوي فحصل على الإجازة، وتحقق له دراسة جميع العلوم النقلية والعقلية، فأصبح عالمًا، ثم عمل في التدريس فالتحق بمدرسة عربية، ثم ذهب إلى كلكته فعيّن بمدرسة دار الهدى.

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء، ص ٢٤٩.

• بعد اجتياح الطاعون كلكته غادرها إلى بلدته، واهتم بشؤون الأسرة والمجتمع، وأخذ يؤلف الكتب والدراسات، ومنها:

- ترجمة كتاب طبقات ابن سعد.
- تفسير للقرآن.
- بحر الفرائض.
- شرح قصيدة كعب بن زهير، البردة.

• الشاعر آزاد يقرض الشعر العربي، وله قصائد ومقطوعات، ويتفاعل مع أحداث مجتمعه، فلما توفي الحافظ عبدالمنان سنة ١٣٣٧هـ، الموافق ١٩١٨م نظم قصيدة في رثائه، يقول فيها:

الناسُ قد فقدوا ذكيًا فاضلا
متفرد الأمثال والأقرانِ
قد كان بحرًا في العلومِ أصولها
وفروعها ومدرسًا لا ثاني
أثنى عليه الناسُ خيرًا كلهم
وأولئك الاشهاد للرحمنِ
قد عاش في الدنيا تقيًا زاهدا
متمسك الأخبار والقرآنِ

• كلمات بسيطة، وسهلة المبنى والمعنى، ألفاظه استخدمها للتعبير عن خسارته لذلك الشيخ المعلم، لا شيء سوى أنه نظم قصيدة، ليس فيها خيال شاعر، ولا أسلوب جيد للنظم، فهو ناظم فقط، استخدم النمط القديم في نظم الشعر، العروض الخليلية، وألفاظ معنوية، ولم أجد قطعة أخرى له.

****

عبدالرحمن الأريكلي

١٣٥١ - ١٣٩٠ هـ / ١٩٣٢ - ١٩٧٠ م

• هو الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ محمد أحمد الأريكلي[١] ولد في قرية مويفوت سنة ١٣٥١هـ، الموافق ١٩٣٢م، بعد أن أنهى المرحلة الإبتدائية التحق بحلقات المساجد وبقي يتعلم لمدة عشر سنوات، قضى معظمها على يد الشيخ العالم محمد الشيرازي، ثم التحق بدار العلوم بوازكات، وبعد تخرجه عمل مدرسًا بجامع فيولي وتودنور، وغيرهما ولكنه حصل على وظيفة في الكلية العربية الرحمانية بكدميري، وكان ينظم الأشعار في عدة مناسبات، وزار البلاد العربية، وألقى قصائده أمام حشود المستمعين، غير أن قصيدته في مدح رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- أفضل أشعاره.

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ٣٠٢.محمد عرفان محيي الدين، الأريكليات، مذكرة لقصيدة في مدح رسول الله.

• له قصيدة يذكر فيها اختلاف العلماء فيما بينهم، ويذكر أن التقليد في المذاهب الإسلامية مباح للناس، يقول:

بكيتُ وما بكاء فتى يفيدُ
إذا جل الأناس يخاصمونا
تغيرت البلاد وساد فيها
سفاه الناس والمستكبرونا
أرى التقليد حبلا من حبالٍ
تشد بها أمور المسلمينا

• نظم الشاعر قصيدة طويلة في مدح رسول الله- عليه السلام- تحتوي على خمسمئة بيت من الشعر العربي الفصيح، تناول حياة الرسول في مكة، ثم هجرته إلى المدينة، وجهاده للكفار، وهي سيرة متكاملة لحياته، وألقاها بمناسبة دخول القرن الخامس عشر للهجرة النبوية الشريفة، يقول فيها:

وهَمُّوا بإطفاءِ الهُدى نورِ ربهمْ
بأفواهِهم كالسُّرْجِ تُطفأ بالفمِ
وما علموا أنَّ ذاك شعلة جمرةٍ
متى نفخوها تلتهب وتضرم

• ولكن رسول الله انتقل إلى المدينة، بعد إسلام مجموعة من أهلها.. يقول:

كما خرج الصبيان يستقبلونه
بأسمى التهاني في غنا وتغنمِ
وجاءت جوارٍ بالدفوف ضوارب
وأنشدن عند المصطفى بالترنمِ

• وفي قصيدة أخرى دالية تتكون من مئتين وخمسين بيتًا من الشعر العربي في مدح رسول الله يقول فيها:

لك الحمدُ يا رحمنُ محمد
ولاء على إفضالك المتجددِ
صلاتكَ والتسليمُ منك بلا انقضا
على المصطفى خير البرية أحمد
وعترته الأطهار والصحبُ كلهم
وأتباعهم من كل هادٍ ومهتد

• هكذا يبدأ الشاعر قصيدته، ويسمون هذا المطلع، بالطريقة الهندية، أي البداية بالحمد لله والصلاة على رسوله، غير ما اعتاد عليه بعض الشعراء من البداية في النسيب، والغزل، كما يفعل شعراء العرب، ويقلدهم بعض شعراء الهند. ويتحدث عن نسب رسول الله حيث يقول:

ففي النسب امتاز النبيُّ بأنه
أعزُّ وأعلى ذب انتسابٍ لمحتدِ
فإنَّ بديع الخلقِ من خلقه اصطفي
بني آدم اللذّ صار قبله سُجّدِ
وكرمهم واختار منهم خليله الـ
ـذي أسَّ البطحاء أول معبدِ
ومن ولده الموحى إليه بذبحه
لدى البيت إسماعيل رد المشيدِ

ومن ولد إسماعيلَ من نابتٍ بني

كنانة من أولاد عدنان فاعهدِ

ومنهم بنو فهرٍ قريشًا يقال لهم

بنو النضر هذا القول ليس بأجودِ

ومنهم بنو عمرو يسمى بهاشمٍ

ومنهم رسولُ الله أفضلُ سيّدِ

- هذا تسلسل النسب من آدم إلى رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- ويستمر في إيراد كيف جاء رسول الله من هاشم ثم عبدالمطلب إلى عبدالله الذي تزوج آمنه وولد محمد- عليه أفضل الصلاة والتسليم- ثم يتحدث عن كمال الرسول والمعجزات التي حدثت بعد ولادته، وهي من الأحاديث في السيرة النبوية حيث يقوله:

ومن بعد هذا أرضعتْهُ حليمةٌ

لحولين ممنوحًا له كل مرفدِ

فإذ أحدثته للرضاع استزاد في

خَباها من الخيرات ما لم يعددِ

وصارت لعيش لا يُطارُ غرابه

ببركته من بعد عيش منكدِ

فمن بعدُ أضحى في كفالة جَده الـ

ـولـيّ الـذي سماه محمدِ

توفي ذا الجد الكريم وسنه

ثمانٍ وقد أوصى به لابنه الجدي

أبي طالب شيخ البطاح فكان في

كفالته والحفظ عن كل معتدي

- ثم يتحدث الشاعر عن صفات رسول الله الجسدية، لونه وطوله وشكل جسمه، ثم يتحدث عن عقل رسول الله وقلبه، وبعد ذلك قوته الجسمانية، ثم يأتي إلى خلقه فيقول:

لأحسنُ خلقٍ أكرم الله خلقهُ

به خُلقَ خير المرسلين محمدِ

يُنوِّهُ رب العرش أن كان خلقه

عظيمًا بقولٍ في الكتاب مؤكدِ

وعائشة زوج النبي تقولُ إنْـ

ـنَه خلقهُ القرآن أسمى مسددِ

فما زال يلقى باسمًا كل مقبلٍ

يعاملهم بالرفقِ في كل موردِ

- وأخيرًا يتحدث الشاعر عن جهده في نظم هذه القصيدة الطويلة، لعله بلغ بها ما يريد من مدح رسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام- ويقول:

وقفتُ على ذا القدرِ ما رمتُ نظمه

بذكرِ كمالات النبي محمدِ

وما قلتُ منها فيه حسوة طائرٍ

من البحر أو هذا فتات زبرجدِ

على أنها لا يستطيعُ وإن يكن

مجدًا على استيعابها كلّ مقصدِ

وإنّي طفيليٌّ بهذا المضيف لا

أرى فيَّ من أهبةٍ للتورّدِ

نعم لم يزل حبّ النبي يحثني
على مدحهِ قطفًا لما بلغت يدي
فأفرغتُ فيه الجهد ليل نهار في
فرغي من الأشغالِ دون تقعُّدِ
فجاء بحمدِ الله نظمًا يسرُّ من
يُطالعهُ في رغبةٍ وتوأدِ
وأجعلُ هذا رائدًا لمنظمي
يهدي النبي المستجاد والأفيدِ

- وهذا اختيار من تلك القصيدة العصماء التي لم يترك بها شيئًا من السيرة النبوية إلا وأتى به فيها، فمنذ خلق آدم إلى قريش إلى بني هاشم إلى رسول الله، ثم سيرته من الميلاد إلى الدعوة وإلى الهجرة، ثم من أخلاقه وصفاته، وكل ما ورد في الحديث الشريف عن رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- فكان متتبعًا لكل ما ذكر عن الرسول الكريم.

- وله أيضًا قصيدة أخرى حال رسول الله مطلعها:

يا راكبًا متن المطي يعاني
قطع الفيافي مرحبًا لعناني
يحدو ويشغلهُ عن الحسنات ما
يعتاد من إيقاعه لأغانِ
مستطرفاتٍ داعياتٍ للتخلـ
ـلي عن قيود الشرع باستهجان

- وهي قصيدة فيها ذكر النبي- عليه السلام- وإرشاد وتهذيب للناس للتخلي عن المنكرات، واستشراف سيرة الرسول وخلقه في التعامل بين البشر.

- وهو شاعر اجتماعي، ويتفاعل مع الأحداث في مجتمعه، وعندما دب الخلاف بين أعضاء الرابطة الإسلامية، واشتد الخلاف بينهم، قال شاعرنا:

بئسَ القتال السياسي الذي جارِ
في عصرنا بينَ أبناء ملة الباري
وكلُّ حزبٍ بآراءٍ له فرحٌ
يرمي أخاهُ ولو عدلا بأوزارِ
كأنما اتفقوا أن لا اتفاق وإن
يتقنوا حين كل تحت بتارِ

- هذا الواقع الإسلامي يحدث منذ زمن بعيد بين المسلمين، ويكفي قراءة تاريخ المسلمين لنرى مدى اختلاف الحكام والعلماء والناس جميعًا لأتفه الأشياء، وأقلها أهمية، إلا ما ندر. وضمن اهتمام شاعرنا عبدالرحمن بالمجتمع، فقد صدرت مجلة في تشيلاري لمعلمي المدارس، فوقف الشاعر يحييها ويقول:

منسوجةٌ يمنيةٌ قد ألحمتْ
لُحمَتَها بِسَدَاها الحكماءُ
معقودة في طوقها وجيوبها
درٌ عوالٍ سامَها الخبراءُ

• وضمن تفاعل شيخنا الشاعر الحكيم بالعلم والعلماء، فقد نظم مرثية لأستاذه الشيخ محيي الدين الميلاشيري، يقول فيها:

فأحسن بروض لا يطير غرابه
وموليةٌ موشيةٌ لم تنكدِ
وذرت من الصحب الجنوب جمالها
عليها فحلت نحرها حلية الهَدي
ففارت من الأزهار فائح طيبها
فوارد ماء الفور عند التجمدِ
فسالت لها الأطيار من كل شاس
ودان فغان بالأغاني مُغرّدِ

• يتمتع الشاعر بقدرة كبيرة على نظم الشعر باللغة العربية، وله قدرة على استعمال الألفاظ واستخدامها في القصيدة بصورة جميلة، وتتفق الألفاظ مع المعنى بصورة متناسقة، فلا يطغى اللفظ على المعنى، ولا يهمل اللفظ في طلب المعنى، أسلوبه عربي في النظم، وفيه صور فنية خيالية، ويغلب عليه اتجاهه الاجتماعي، وجه للألفة والتجمع للمسلمين، ونبذ التخاصم والتفرق.

• الشاعر قوي الصنعة، متمكن من النظم باللغة العربية، ويمتلك أدوات تساعده على النظم، منها الألفاظ المناسبة، والبحور الخليلية، والأسلوب العربي في النظم، وعاطفة قوية تدفعه إلى النظم، وله نفس طويل في النظم، وخاصة في مدح رسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام- وهذا يدل على تمكنه من المعجم اللغوي العربي، وحفظه للأشعار العربية، وممارسته للتدريس العربي أعطاه متابعة حثيثة لمصادر التراث الإسلامي.

****

عبدالرحمن الأمروهي

٠٠٠ - ١٣٦٧ هـ / ٠٠٠ - ١٩٤٧ م

• ولد الشيخ عبدالرحمن بن عناية الله الحنفي الأمروهي[١] في بومباي ، وتعلم بها، حفظ القرآن الكريم في مكة المكرمة، ويبدو أنه كان مع والده في مكة، وكان والده أستاذه الأول، كما درس على يد علماء مكة، وأتقن اللغة العربية، ثم ذهب إلى ديوبند، والتحق بدار العلوم، وتتلمذ على يد الإمام محمد قاسم بن أسد علي النانوتوي، وقرأ الحديث على يد الشيخ أحمد حسن المحدث الأمروهي في مرادآباد ، ثم على يد الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، والعلامة حسين بن محسن الأنصاري.

• سمع أهل بومباي به وبفضله ودراساته فأرادوه لهم، لذا ذهب إلى بومباي ليعمل مدرسًا في مدرسة كموسيت فترة

(١) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٣٧٤. عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص٢٤٣.

من الزمن، وبعد ذلك رأس هيئة التدريس وعلم الحديث في المدرسة الإسلامية، ثم التحق مدرسًا للحديث الشريف في الجامعة الإسلامية بدابهيل، وله بعض المؤلفات منها:

- **حاشية على تفسير البيضاوي.**
- **وحواشي على المطول ومختصر المعاني.**
- **وله بعض التعليقات الأخرى على الكتب**

- بايع الشيخ إمداد الله المهاجر المكي، وحصل منه الإجازة، وظل يشتغل بالتدريس إلى أن وافاه الأجل،. وانتقل إلى رحمة الله سنة ١٣٦٧هـ، الموافق ١٩٤٧م.

- للشاعر عبدالرحمن الأمروهي ثلاث قصائد في مدح رسول الله، يظهر فيها قدرته على نظم الشعر باللغة العربية، وخاصة في النسيب، كما كان شعراء العرب ينظمون قصائدهم في العصر الجاهلي والإسلامي، يقول في احداها:

يا لوعةَ الحبِّ مذ أوريت في خَلَدي
أحرقت ما كان في صبري وفي جلدِ
زيدي فزيدي ولا تُبقي ولا تَذري
عضوًا بجسمي ولا قلبي ولا كبدي
فَعَبرتي كصبيبِ القطر هامرةً
وزفرتي كلهيب النار في وقدِ
فالدمع يفعل فعل الدهن واعجبا
قد زاد هذا البكا في لاعج الكمدِ
والدمع أغرقني والوجد أحرقني
وإنني بين كلتا الحالتين ردي
والنفس في رهقٍ والروح في رمقٍ
والقلب في قلقٍ والعين في سهدِ
زد يا غليلي فزد واشتد يا ظمئي
من اشتدادك لا شكر إلى أحدِ
ألا إلى من سقت جيشًا أصابعه
وكام ألفًا ونصف الألف في العددِ
من يدفع الهمَّ عن ذي الهم حينئذٍ
ويجمع الشمل حيث الشمل في بددِ
أنت الشفيع لمن قد فاته أملٌ
عند العزيز الجليل الملك الأوحدِ

- من المفروض أن تكون هذه مقدمة لقصيدة يمدح بها رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- ولكن في آخر بيت يشير إلى طلب الشفاعة من رسول الله، ولم نعثر على بقية القصيدة، ولكنه شاعر متمكن من أدوات الشعر العربي، في البحر والقافية والألفاظ، وقدرة على استخدام الألفاظ التي تناسب المعنى، وتناسق الكلمات وتجانسها مع الأسلوب الجميل الذي صور به هذه الابيات، ولا شك أن الشاعر يمتلك الخيال الشعري في تصوير العلاقة مع المحبوبة، فكلمة « زيدي فزيدي» يعطي الشاعر اللذة في وضعه، وهو يطلب المزيد من الغرام والمحبة.

****

عبدالرحمن الديوبندي

١٢٧٧ - ١٣٥١ هـ / ١٨٦٠ - ١٩٣٢ م

• ولد الشيخ عبدالرحمن السيوهاره الديوبندي[١] سنة ١٢٧٧هـ، الموافق ١٨٦٠م، تلقى علومه الأولى في بلده، ثم في مدرسة شاهي، ثم تعلم اللغة العربية وقراءة القرآن الكريم، وتتلمذ على يد المحدث الشيخ أحمد حسن الأمروهي، وكانت له ميولا أدبية منذ صباه، وله أشعار عديدة.

• قصيدة نظمها الشاعر السابق الشيخ عبدالرحمن الأمروهي وجدتها منسوبة إلى هذا الشاعر، عبدالرحمن السيوهاروي، وهي:

يا لوعة الحب مذ أوريت في خلدي

أحرقت ما كان في صبري وفي جلدِ

• ولا أعلم سبب اللبس، وهذا الشاعر، السيوهاروي، له عدة قصائد، في فنون مختلفة، منها قصيدة يفتخر ببناء دار الحديث بكلية دار العلوم، ديوبند، يقول فيها:

دار الحديث حمى الإله حماها

ورعى خمائل روضها وسقاها

دارٌ لأزهار الحديث حديقةُ

فتعطر الكونان من ريّاها

بسمت هناك زهور هدي المصطفى

لله عرف شميمها وشذاها

حِكمِ الرسالة نورها وثمارها

كَلِمُ النبيِّ قطافها وجناها

لا ترتعي غزلانها شيح النقا

أنوارُ آداب التقى مرعاها

نفحات طيبة في نسائم روضها

ومن الحجاز نسيمها وصَباها

يا سائرًا قف ساعة في سُوحها

وامكث مليّا في ظلال رباها

دارٌ أحقُّ بأن يشاد بناؤها

دارٌ مُؤسَّسَةٌ على تَقواها

نالت مفاخر «ديوبند» ببدئها

فهي افتخار الهند بين قراها

طوبى لها ولمن أرادَ بناءَها

بشرى لبانيها ويا بُشراها

يا طالبَ الخيرِ اغتنم تشييدها

فخلاصةُ الحسناتِ في مبناها

• جامعة دار العلوم، ديوبند، جامعة أهلية أسست بعد فشل ثورة الهند سنة ١٨٥٧م، حيث اجتمع مجموعة من العلماء وقرروا إنشاءها، لخدمة الدين الإسلامي، وكان ذلك سنة

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج١١ ص٥٦٨.

١٢٨٣هـ، الموافق ١٨٦٦م، وانهالت عليها التبرعات وتم إنشاء مرافقها تباعًا.

• نظم الشاعر عبدالرحمن قصيدة ينصح بها الناس، ويدعوهم لاغتنام الوقت، فالزمن لا ينتظر أحدًا، يقول فيها:

ضيَّعتَ عمْرَك يا مغرورُ في غفلِ
قم للتلافي فأنتَ اليومَ في مهلِ
بادر إلى صالحِ الأعمالِ مجتهدًا
فالنُّجحُ في الجدِّ والحرمانُ في الكسلِ
كن لا محالةَ في الدنيا كمغتربٍ
على رحيلٍ دنا أو عابر السُّبلِ
وكلُّ من حلَّ في الدنيا فمرتحلُ
يومًا لمنزلهِ في إثرِ مرتحلِ
دع ذكر ليلى ولبنى وازديارهما
ثم ارتحالهما عن هذه الحللِ
تلك الغواني وإن أخلصنَ خلتها
واللهِ لسنَ بريئاتٍ من الدخلِ
حبُّ الحبائبِ حرمانٌ ومندمةٌ
فالغولُ عاقبةٌ للشاربِ الثملِ
إبرأ إلى كلِّ حِبٍّ من محبته
وثق بحب رسول الله واتَّكلِ

• لا شك أنها نصيحة قيمة من رجل له تجارب في الحياة، ويرى الشباب التائه، الذي لا يفكر إلا في المتعة والسعادة الوقتية. وله قصيدة حول كأس العلم، والتعلم، وكيف يستلذ العالم بهذه الكأس الروية، فيقول فيها:

الكأسُ دارتْ يا حبيبُ فهاتها
نفسي قد اشتاقت إلى رَشفاتِها
كأس بها للروحِ عيشٌ دائمٌ
وحياة أنفسنا بماء حياتها
كأسٌ لأهلِ العلمِ قرَّةَ أعينٍ
ومسرةٌ للقلبِ من بركاتها
كأسٌ يزيِّ القاسمِ اجتُليَت لنا
لله در مديرُها وسُقاتها
سلكُ اللآلئ فاقه منظومها
عِقدُ الثريا دون منثوراتها
للهِ حُسنُ سوادها ببياضها
كالمقلة الحمراء في لحظاتها
أم روضةٌ متبسمٌ أنوارها
فتُعطّرُ الأرجاءَ من نفحاتها
فالعطرُ في غرتها والطيبُ في
طيّاتها والمسكُ في نشراتها

• ما ألذَّها من كأس يشرب بها ذوو العلم من رشفاتها، ويرى الشاعر أنها استقاء العلم والمعرفة، بأيدي العلماء، فطوبى لمن يغترف من معينها، لقد أبدع الشاعر في نظم هذه القصيدة، ولكن العلم ليس كالشراب، فهو كفاح ومكابدة وصبر على تحمل الشدائد في سبيل الوصول إلى ذروة المجد العلمي.

- لشاعرنا قصيدة في رثاء العلامة الشيخ محمد بن القاسم النانوتوي، الذي أسس مع زملاء له كلية دار العلوم، ديوبند، وجاهد الاستعمار البريطاني، وعمل على تثبيت دعائم الإسلام، وتصحيح بعض أخطاء الكتب الدراسية، والذي انتقل إلى رحمة الله سنة ١٢٩٧هـ، الموافق ١٨٧٩م، فينظم شاعرنا قصيدة لرثائه، يقول فيها:

ما لي أرى الإسلامَ قلَّ هداتُهُ
وتفرقت أنصارُهُ وجعاته
طودُ التقى والعلم زالَ ثباته
شملَ الهدى والدينُ عمَّ شتاته
والدّهرُ ساء وأقلعت حسناته
قد ماتَ مولانا الجليل الأحوذي
تذكار أحمد فاح بالعرف الندي
بلبانِ علمٍ قاسميٌّ قد غُذي
بالله أين العالم الحبر الذي
تقوى الإله صفاته وسماته
فمضى وغادرنا على جمر الغضا
بجوارِ أرحم راحمين قد ارتضى
لم ندرِ كم عامًا مضى ومتى مضى
ما كان أسرع وقته لما انقضى

- شاعر مفلق عرف النظم صغيرًا، واستخدمه في أغراضه الاجتماعية والدينية، وهو داعٍ إصلاحي، يرى الحياة فيها العالم والجاهل، والكبير والصغير، فكان شاعرنا لهؤلاء مؤيدًا وناصحًا ومعلمًا، مع قدرة كبيرة على النظم العربي الفصيح، وهذه النماذج من شعره تدل على مكانة كبيرة في مجال الشعر.

- استخدم الشاعر النمط القديم في النظم، من حيث البحور الشعرية، واللفظ المعبر عن مكنون قلبه مع تناسق المعنى واللفظ، وأسلوب طغى عليه المحسنات البديعية، والخيال الشعري اللطيف، فجاءت قصائده معبرة عن الفخامة في النظم، والقوة في حبك التراكيب اللغوية والمعنوية.

- الشاعر عبدالرحمن شاعر قدير ومتمكن من فنون اللغة وآدابها، ويبدو أنه قرأ وحفظ كثيرًا من الشعر العربي، وتعمق في دراسة الشعر ففاض فكره أشعارًا ومقطعات لها صدى عند شعراء عصره، فمن أين استقى كل تلك البراعة في النظم؟ لا شك أن الموهبة أولا وصقلها ثانيًا بالقراءة وحفظ القصائد، فجاء على هذا النحو من الإبداع الشعري.

****

عبدالرحمن الغازي بوري

١٢٨١ - ١٣٣٤ هـ / ١٨٦٤ - ١٩١٥ م

• هو الشيخ عبدالرحمن بقا بن جوجو الغازي بوري[١]، ولد في غازيبور سنة ١٢٨١هـ، الموافق ١٨٦٤م، نشأ وترعرع فيها، حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية على يد الشيخ عبدالأحد اللكنوي، ثم درس عند خاله الشيخ عبدالله الغازيبوري الذي قرأ عليه جميع الكتب الدراسية، حتى أصبح حاذقًا فيها.

• أول عمل اتخذه مهنة هو التدريس في مدرسة « جشمة رحمت» وظل فترة في هذا العمل، ثم ترك الوظيفة ليعمل بها بالمجان، يأتي إليه الطلاب ويتلقون العلم ويذهنون دون دفع أي أتعاب للتدريس.

• صنف بعض الكتب منها:

- الإسعاف حاشية الإنصاف.
- تسهيل المتأمل.
- شرح التهذيب.
- عمدة المقاصد.
- مفيد الأحناف (في مبحث السلام)
- رسالة في سجود السهو، وخلاصة المفردات.
- ديوان شعر بلغة الأردو، وقصائد عربية.

• ذكرت المصادر قصيدة واحدة باللغة العربية، وهي:

ظعنت سُليمى فالسرور قبيحُ
والعين تذرف والفؤاد جريحُ
والصبرُ في يوم الفراق محرمٌ
أوما ترى ورق الأراك تنوحُ
تسعى العواذلُ في سلو صبابتي
أما علمنَ بأنني لجموحُ
سأموتُ تبريحًا وما من عاشقٍ
إلا ويفنى بالجوى ويطوحُ
العشق أمرٌ لو أبوحُ بسره
تالله لم يك في الدنا تصريحُ
لا عيب فيها غيرَ أن فؤادها
إن قيل جودي بالوصال شحيحُ
هي شادنٌ أحوى وإنَّ غذاءها
قلب المشوق المبتلى لا الشيحُ
شمس بها شمس السماء مضيئةٌ
مسكٌ إذا مرت عليكَ تفوحُ

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ٢٤٠. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١٧١. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٠ ص ٥٩٢.

وعيونها من وحش وجرة مطفلٌ
ولها ترائبُ كالصباح تلوحُ
في حبها قد جبتُ قفرَ أموره
في أرجل الخريت فيه بذوحُ
ما جاء مقوٍ فيهِ قبلي واحدٌ
تعوي الذئابُ به ولي تسبيحُ
يا ويلتي ما فزتُ قَطُّ بمقصدي
بل مسني من قطعه التبريحُ
لم يسمح الزمن المعاند بالذي
أغدو له متأسفًا وأروحُ
فالآن يا نفسي اشغلي بثناء من
ذكراه للقلب الحزين مريحُ

- قصيدة رائعة، وتعبير رائق في المحبة والعشق، شاعر متمكن من أدوات النظم الجميل، فقد ملك ألفاظ اللغة العربية، وطوّعها لخدمة أغراضه الشعرية، وأتى بالمعنى اللطيف في وصف الحالة التي هو عليها من عشق ولوعة حزن، استخدم البحور الخليلية، وأسلوب الشعراء العرب القدامى، وصاغ قصيدته لأفضل الشعراء، وأرقهم وصفًا.

- انطبق اللفظ على المعنى، وتناسقت الجمل والعبارات، وأخرج لنا هذا الشيخ الشاعر قطعة من الشعر الغزلي، وكأنه أحد فرسان العرب العشاق، على الرغم من معيشته وسط بحر من اللغة المختلفة عن العربية إلا أنه أجاد الوصف، وأحسن النظم، مع أسلوب سلس، ودراية في الفن الشعري، لا يقوى عليه بعض مدعي الشعر، غير أن المصادر لم تذكر لنا إلا هذه القطعة اليتيمة لهذا الشاعر الكبير.

****

عبدالرحمن الفضفري

١٣٣٥ - ١٣٩٣ هـ / ١٩١٦ - ١٩٧٤ م

- ولد الشيخ عبدالرحمن بن محمد الفضفري[1] في قرية فضفرم سنة ١٣٣٥هـ، الموافق ١٩١٦م، وهم من أسرة عربية نزحت إلى الهند قبل قرون طويلة، وسكنوا مليبار، ثم استوطنوا فضغرم، تعلم الشيخ عبدالرحمن الدروس الأولى على يد والده، ثم التحق بدروس المساجد في منجيري، وعلى يد المدرس المولوي عبدالرحمن المنجيري، وبعد ذلك التحق بحلقات درس والده، ثم سافر إلى ويلور للالتحاق بالباقيات الصالحات، وتخرج فيها حاملا شهادتها.

- عمل شاعرنا بالتدريس، وكان معلمًا في عدة مساجد، وقضى فترة بينها، ثم تم تعيينه بمدرسة الباقيات

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ٢٥٢.

الصالحات ناظرًا ومدرسًا ، وكان ذلك سنة ١٩٦٧م، وبقي في هذا المنصب إلى أن جاءه القدر المحتوم وفارق الدنيا سنة ١٩٧٤م. ولشاعرنا بعض المؤلفات منها: رسالة في الحج، يتضمن أدعية وأفكار الورد. وله أشعار غير منشورة، سوى بعض القصائد. منها:

- الشاعر عبدالرحمن رجل اجتماعي، وله أصدقاء كثيرون، ففي مناسبة زواج أحد الأصدقاء نظم قصيدة يهنئ بها صديقه، ويصف حفل الزفاف فيقول:

روضُ المنى ناضرًا أزهارُهُ أزهَرتْ
وسلسبيلا ترى الأنهار منهطلا
يفوح مسكٌ في الآفاق طاب به
هبوبها وترى الإقبال جا ذللا
ما للبلابل في الدوحات مفصحة
ترنمت بنغمات تذهب الملا
وأينعت في رياض الشوق ثمرتها
أرى التبسم بالبشرى ولا خللا

- مشاركة الشاعر لزواج صديقه لفتة كريمة، ولكن الأبيات بسيطة وسهلة، الألفاظ مناسبة والصياغة ليس ذات منعى كبير. وله قصيدة أخرى في حفل توزيع شهادات مدرسة الباقيات الصالحات يقول فيها:

سَحَّ السحابُ على روضِ المنى زهرتْ
فأورق ناضرًا من ذاك أشجارُ
فعندليب على الأغصان بلبله
ترنمت نشوة وثم سهارُ
كأنما العهد من ليلى ودنا فدنا
روض المنى أينعت في الروض أثمارُ
بل حام حول عليها تنتج العلما
محصلين وهم للدين أنصارُ

- كلمات بسيطة ونظم هادي لا خيال ولا تناسق بين الألفاظ، وبعض الشعراء تنقصهم الموهبة في النظم، وإن كانت عندهم بعض آليات النظم.

- وبما أن الشاعر رجل اجتماعي فقد نظم قصيدة في رثاء الشيخ عبدالله بن يوسف الفضفري، يقول فيها:

ولو أنها أبدت سرورًا لأتبعت
بحزنٍ وصفوًا كُدرت بالأذيةِ
ولا شر أعداء إذا الحرب أحميت
سواد لقلب قصدها بالرزيةِ
ولم تبقنا خيرًا وصفوًا نحبه
وكهفًا حصينًا كان ذا للبريةِ

- ويخاطب المتوفى بقوله:

متى ما بدا احدى البنات لفكركم
تحيَّر كلا يا لها من ذكيّةِ
لتحكي حسانا خالدات بجنة
كذا راضيات يا لها من وبيةِ

ولا غـرو أن الـدار تـخـدع أهـلـهـا
تـبـدلـهـم أمـنـيـة بـالمـنـيـةِ
فلو لم يكن في ساحة الصبر وسعة
لـكـنـا سـكـارى غـب تـلـك الـنـعـيـةِ

- هذا الشاعر ينظم قصيدة طويلة في رثاء العلامة حامد حسين، تتكون من سبعين بيتًا من الشعر العربي، يقول فيها:

يـا عـاذلا لاح يلحاني على الجـزعِ
إلـيـك عـنـي أراك الأمـر تجـهـلـهُ
من هجر سلمى ولا نعمى فليس ولا
لـلـقـلـبِ تـسـلـيـة والأمـر أذهـلـهُ
في بدر طلعته سيما الخشوع بدا
لـلـنـاظرين أخـي لـو كـنـت تبصرهُ
تـتـرى إلـيـه وفـودُ الـنـاس مدتـه
تـبـركًـا ورجـاءً مـنـه دعـوتـهُ
ويـسـرعـون إلـى إيـفـاء مَطلـبـهِ
تحـوم أعـيـنـهـم بـالـعـون ساحـتـهُ
وكوكب الأرض سعد القوم قاطبة
أبـقـى جـمـيـلا مـن الآثـار حـامـدهُ
شقوا القلوبَ وما شقوا الجيوب على
ذي الشيخ حق لـهـم إذ كـان أهـلـهُ

- يبدو أن الشاعر متأثرًا بالحدائق والأزهار والرياحين حين يصف حفلة زواج لأحد أصدقائه، فينظم أبياتًا يقول فيها:

سرور هنيئًا في نسيم الصبا هنا
يـفـوح بمسك فـائـق فـي الخـمـائـلِ
تبسمت الأزهـار فـي روضـة المنى
تسلسلت الأنـهـار فـي كـل جـدولِ
وأورقت الأشجارُ واعشوشب الثرى
وأنـضـرت الأنـظـار عـنـد الـقـبـائـلِ
وذا يـا سمـين بـالجـمـال قـد ازدهـى
وذا اقـحـوان حسـنـه فـي تـكـامـلِ

- هذا الشاعر يمتلك القدرة اللغوية على النظم، ولكنه بسيط في التعامل مع اللفظ المناسب للفكرة التي ينظم بها، فهو ناظم متتبعًا بحور الخليل بن أحمد، مع قافية مناسبة، ويتقيد بالبحر والقافية، ولكن روح الشعر الجذابة، وأسس بناء قصيدة متكاملة التناسق والفن الشعري، فهو قليل فيها، وهذه المقطوعات القليلة أعطت فكرة عن رؤية الشاعر لمعنى القصيدة التي ينظم بها.

- قد نختلف مع أحد الناس في تقييم فن هذا الشاعر، ولكن قدراته الفنية قليلة، وإن حاول أن يشارك المجتمع في الأحداث التي يمر بها، لذا جاءت قصائده خالية من العمق الفكري، والبراعة في النظم والتناسق بين اللفظ والمعنى.

****

عبدالرحمن الكاشغري

١٣٣١ - ١٣٩١ هـ / ١٩١٢ - ١٩٧١ م

- هو الشيخ عبدالرحمن بن المولوي عبدالهادي الكاشغري[١]، الشهير باسم (دُملاييد أخونم)، ولد في كاشغر، عاصمة الأتراك في وسط آسيا، المتاخمة للصين، سنة ١٩١٢م، وترك بلاده وهو في الحادية عشرة من عمره، يريد الذهاب إلى الهند ليدرس العلوم الدينية، وتعرف على من أوصله إلى بلدة « أمرتسهر (البنجاب)، ثم اتصل بالشيخ سليمان الندوي، ودخل دار العلوم لندوة العلماء، وقضى بها من ١٩٢٢م إلى ١٩٣٠م، وتخرج سنة ١٩٣١م.

- بعد التخرج عمل في ندوة العلماء، وحصل على شهادة الفضيلة، بتخصص الأدب، من جامعة لكناؤ، ثم تم تعيينه في المدرسة العالية بداكا، وكان الشيخ الكاشغري أستاذًا للعلامة أبومحفوظ الكريم المعصومي، الذي درس عنده الأدب وقرأ عليه دواوين الشعر العربي ما بين ١٩٤٣ إلى ١٩٤٦م، وقرأ أيضًا المجموعات الأدبية في النثر، وتفسير الكشاف للزمخشري، وكان الدكتور عبدالعزيز الميمني يثق به كثيرًا، لذا دفع إليه صورة من كتابه» سمط اللآلي» لمراجعته، وانتقل الشيخ عبدالرحمن إلى جوار ربه سنة ١٩٧١م.

- كان الشيخ الكاشغري بارعًا في اللغة العربية، ومتضلعًا في فنونها، وله قدرة كبيرة في النظم بها، وله ديوانان من الشعر العربي، وله مؤلفات أخرى منها:
  - **المحبر في المؤنث والمذكر.**
  - **محكم النقد في تحقيق نقد الشعر لقدامة بن جعفر.**
  - **كتاب الأسد وكناه، نقحه وهذبه.**
  - **جمع وتحقيق ابن معقل العجلاني.**
  - **ترتيب قاموس في اللغة العربية والأردو.**
  - **له رسائل لم تنشر في اللغة والأدب.**
  - **ديوانان من الشعر.**

- كان الشيخ عبدالرحمن بارعًا في الخطابة باللغة العربية والأردو، وكان ينظم الشعر فيهما، ومن أبياته العربية قصيدة يقول فيها:

أخَـالُـكَ أيـهـا الـسـاري ضَـلـولا
تـركـتَ سـبـيـلكَ الـوسـطـى شـمـالا
شـمـالاً قـد حـوى عِـبـرًا ونـصـحًـا
وفـيـه مـن الـعُـجـابِ ذُرى هـمـالا
هـمـالا أيـهـا الـحـصـن المـعـلـى
لأرض الـهـنـد مـن تـسـتـنـالا
كـفـى بـك عـزّةً وفـخـار نـفـسٍ
تـبـاري فـي الـعـلا الـسـبـع الـطـوالا

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٣١٣

بل السبع الطوال تخرُّ عجزًا
وتلم صلت واضحك ابتهالا
خلتُ من هذه الدنيا عصور
وأحقاب يفتتّ الجبالا
فما أثّرتَ فيكَ وظلت قدمًا
تذودُ أزامع الدّهرِ الثقالا
مرور الأبردين على التوالي
أشابَ المرد واختلس الرجالا
فيا لله أنت على شبابٍ
رطيب الغصن ما غيَّرت حالا
إله الخلق إذ نادى كليمًا
تلقى من مناديه الكمالا
فكان الطور مهبط كلّ سرّ
خفيّ من تجلّيه تعالا
لعمر الله أنت بلا امتراء
بصائر للتي طابت خصالا
فلا يرمي بك الرجوان واثبت
ثبات مقدم يبغي النضالا

• قصيدة رائعة من شاعر غير عربي، بزَّ العرب في لغتهم، وأشعارهم، فهي جزء من حياة الشاعر، وثبت لكل المصاعب التي واجهته منذ أن ترك مسقط رأسه حتى شبابه وشيبته، استحوذ على مشاعر القارئ، وفكره، وأتى بما يغري من الألفاظ والمعاني والأسلوب الراقي في نظم القصيدة، فقد امتزجت روحه مع ألفاظه وأسلوبه، وأخرج هذه القصيدة. ونشرت له أيضًا قصيدة أخرى، يقول فيها:

فرقت ما بين جفني والكرى
نبأةٌ تقرع أذني بالصفا
عن أباة الضيم أبطال الوغى
نستني الفكر أرباب الحِجى
إنَّ تركستان أمست مهبطا
للدواهي الدهم من كرِّ العدى
يا حمام الأيكِ زدني رافعا
صوتك المبكي أناشيد الجوى
يا إله الأرض يا رب السما
يا من استعلى وأسمى من سما
يا بديع الأنجم الزهر وما
في العلى من شمسها حتى السهى
عونك اللهم عونًا كافلا
ذائدًا عنها البلايا والأذى
يا حمام الأيك غرِّد عندما
يهجم الأحزان من طول النوى

• تأثر الشاعر مما يحدث في تركستان من مآسي وبلايا ومحن، فيطلب عون الله سبحانه وتعالى لصد هذه المصائب عن تركستان، وينصر أصحاب العقول للتغلب على تلك المحن، ويناجي حمام الأيك التي ينوح فتهيِّج أشجانه وأحزانه، قصيدة رائعة، وعلى الرغم من أنه

أصبح هنديًّا إلا أنه كان متابعًا لأهله في تركستان، ويتضرع إلى الله لمساعدتهم، وقد ذكر بلاده الأم بقوله:

أمن خدّها الورديِّ هل أنت آرقُ
أم البرق من تلقاء كشقر بارقُ

- قدرة الشاعر على نظم القصيد قدرة كبيرة، فهو يمتلك أدوات النظم، من اختيار اللفظ الجيد والمناسب، على اختيار البحر العروضي، إلى أسلوب الكتابة الفنية لنظم القصائد، فهو جدير بالتقدير لما له من قدرة وفنية النظم.

- اختار الشاعر ألفاظًا تتناسق مع المعنى، وتناسب الأسلوب الفني، وله باع طويل في اختيار الموضوع، فهو متابع لأوضاع العالم، وينعكس ذلك على جودة شعره، فهو نابع من إحساسه بالمسؤولية تجاه مجتمعه، وهو متمكن من المعجم اللغوي العربي، واستطاع توظيفه لخدمة النظم العربي.

- تشرب الشاعر عبدالرحمن اللغة العربية بكل جدارة، وأتقن صناعتها، النثرية والفنية، فأصبح مرجعًا لكل طالب في اللغة العربية، بل إنه تفوق على كثير من زملائه، وأصدقائه، مارس الخطابة باللغة العربية، وقرأ القرآن بلسان عربي مبين، فنال إعجاب كل من سمعه، نثرًا وشعرًا، مع دماثة الخلق، وحسن السلوك مع الآخرين، وكان تلاميذه يعتزون بتدريسه لهم.

- الشاعر عبدالرحمن الكاشغري، تركي الأصل هندي الثقافة، عربي اللسان والفكر، جمع ثلاث لغات، التركية والأردو والعربية، فكان موسوعة دينية سياسية لغوية، ويمكن أن نضيف فنية.

****

عبدالرحمن الكاملفوري

١٢٩٠ - ١٣٧٢ هـ / ١٨٧١ - ١٩٥٣ م

- هو الشيخ القاضي محمد عبدالرحمن بن القاضي نور أحمد بن القاضي قمر الدين بن القاضي ضياء الدين[1]، ولد في كامل فور سنة ١٢٩٠هـ، الموافق ١٨٧١م، تلقى العلوم الإسلامية على علماء بلدته، ثم ذهب إلى بهين جكوال، وتتلمذ على يد الشيخ محمد حسن، وبعدها التحق بدار العلوم، ديوبند، وتخرج وعاد إلى بلدته.

- صنف بع الكتب منها:
  - **التحقيق الأنيق فيما يتعلق بالتصور والتصديق في النظم العربي.**
  - **إعلام الغافلين، بالأردة.**

(١) حامد أشرف همداني، الشعر العربي في باكستان ص ٣١٠.

- تعليقات على القاضي مبارك.
- تعليقات على حمد الله.
- تعليقات على سلم العلوم.

• تعلم القاضي عبدالرحمن اللغة الفارسية والعربية والأردو، ونظم قصائد في اللغات الثلاث، وله قصيدة في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يقول فيها:

سلام أطيب مثل الغواني
شلت متغردات في الجنانِ
كأزهار الربيع ينثر نكهه
يحاكي صفوه عقد الجمانِ
يفوح المسك من نفحات نده
وأحسن من وجوه للحسانِ
بأزكى دمية وأرق كشحٍ
يزفزفها هواء مثل بانِ
كأنوار النجوم اللامعاتِ
لطيف مثل أسرار المعاني
ومن أس ومن وردٍ بارج
يزيد نسيمه في كل آنِ
وفتقت الزهور عن الكمام
به مثل الربيع من الزمانِ
وعن لحن القمارى والبلابل
سواجع فوق أزهار الجنانِ
لاطرب هزجه والله وصفه
محال أن ينظم بالبنانِ
كتلذاذ المتيم بالوصالِ
بمحبوب مليح في البيانِ
وأصفى من خرائد كالشموس
تبرجها لفي صف الحسانِ
على ذات تخطى عرش ربّ
بمعراج تصعد من قرانِ
على من قد ترقى حضرة الله
دنى ثم تدلى بالدهانِ
رسول الله فاق الأنبياء
بكل فضيلة ذات العنانِ
شفيع الناس في يوم التنادِ
مخلّص أهل النار والدّخانِ
على أصحابه والآل جمعًا
سلام الله من كرم امتنانِ

• وصف الشاعر شعوره تجاه رسول الله، وبين حبه الكامن في صدره، ووصف حبه للرسول بحب المتيم في فتاة يعشقها، وقد استعمل خياله في صنع بعض الأبيات، كما أن لديه قطعة تهنئة بعيد الأضحى، يقول فيها:

أهنيكمو يوم سبتٍ بعيد
بإحسان رب كريم وجيدِ
مبارك مبارك مبارك لكم
بيومٍ سعيد ويوم جديد
فأبقاكم الله من فضله
بخير وعزٍّ وعمرٍ مديد

• كلمات بسيطة للتهنئة، ولكن الهدف كان كبيرًا، والعلاقة بين الإخوان يبرر تلك التهنئة القصيرة. وللشاعر عبدالرحمن قصيدة أخرى في مدح رسول الله- عليه السلام- يقول فيها:

أنعمت إنعامًا بإرسال أحمد
علينا إلينا شافع الناس كافيا
ألوف صلاة فاح في الدهر ندها
يباهي على عطر وتعلو الغواليا
ويزري فتيت المسك تسمو بحسنها
عقودًا من العقيان زانت غوانيا
ألوف ألوف في ألوف سلامنا
على سيد الأبرار طه توالیا
وأصحابه الأخيار من كل أمة
بتأييد دين الله كانوا حواميا
ومغفرة الله ورضوان ربنا
على التابعين البالغين المعاليا
فقد بنوا الأحكام من نص آية
وسنة البيضاء كانت كما هيا
لتسهيل دين الله دونوا فبصحائف
أوامره جمعًا وكل مناهيا

• هذه القصيدة تحكي مبعث رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- وجاء إلى الناس رحمة، وجاء من بعده ما قنن القوانين والتشريع، فهذه القصيدة ليست خالصة لرسول الله، ومدح الرسول في أبيات منها، كما له شفاعة للخلق.

• استخدم الشاعر بحور الشعر العربي وحافظ على القافية الموحدة، واختار الألفاظ المناسبة للمعنى، دون تكلف، ولم يستعمل النادر من الألفاظ، لذا جاءت أبياته واضحة سهلة الفهم، ولكن مديحه يخلو من الخيال الشعري، فلا يوجد صور فنية بلاغية، سوى بعض التشبيهات، أو سجع الكلمات، وغابت الموسيقا الداخلية في الأبيات، ولكن العاطفة تجاه رسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام- واضحة في شعره، واختار الكلمات المناسبة المعبرة.

****

عبدالرحمن الكجراتي

١٣٠٠ - ١٣٧٣ هـ / ١٨٨٣ - ١٩٥٣ م

• ولد الشيخ عبدالرحمن بن القاضي عبدالأحد الشافعي السورتي الكجراتي[١] بمدينة سورت سنة ١٣٠٠هـ، الموافق ١٨٨٣م، تعلم على يد أبيه الفقه والأصول، والعلوم العربية، من نحو وصرف وبلاغة، كما تعلم على أيدي علماء عصره، رحل على حيدرآباد للعمل، وكان له ذلك، وتوفي فيها سنة ١٣٧٣هـ، الموافق ١٩٥٣م.

• نظم الشاعر عدة قصائد باللغة العربية، ومنها قصيدتان في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، يقول في إحداها:

سلامٌ طيبٌ مثلَ الغَواني
سلت متفردات في الجنانِ
على ذات تخطى عرش رب
بمعراج تصعد من قرانِ
على من ترقى حضرة الله
دنا ثم تدلى بالدهانِ
رسول الله فاق الأنبياءَ
بكل فضيلة ذات العنانِ
شفيع الناس في يوم التنادِ
مخلص اهل النار والدخانِ

• هذا نظم عادي، لا سمة شعرية فيه، سوى بحر العروض، وألفاظ عربية أدت معنى معين، فلا يوجد خيال، ولا أسلوب جيد يجعل الشاعر يفخر به، والشفاعة تطلب من أي مسلم دون نظم عادي، وألفاظ المقطوعة سهلة وبسيطة، وليس فيها تعقيد، أو غموض، وله قصيدة أخرى، يقول فيها:

أنعمت إنعامًا بإرسال أحمد ء
لينا إلينا شافع الناس كافيا
ألوف صلواتٍ فاح في الدهر ندُّها
يباهي على عطرٍ وتعلو الغواليا
ويزري فتيت المسكِ تسمو بحسنها
عقودًا من العقيان زانت غوانيا
ألوف ألوف في ألوفٍ سلامنا
على سيد الأبرار طه تواليا

• من هاتين القطعتين يتضح أن الشيخ عبدالرحمن عبدالأحد لا يمتلك قدرة كبيرة على نظم الشعر العربي، لأنه ليس لديه لغة شاعرية، فلا الشعر خيال ولا محسنات، أدى فقط عملًا وهو طلب الشفاعة من

(١) محمد صدر الحسن الندوب، المدائح النبوية في الهند ص ٣٨٦.عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٧ ص٢٥٩.

رسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام-، فقدرته محدودة، واختياره للفظ دون المستوى، لذا قلة شعره لا تؤدي على حكم صارم في قيمة شعره.

****

عبدالرحمن الكدفلي

١٣٤٥ - ١٣٩٢ هـ / ١٩٢٦ - ١٩٧٣ م

• عبدالرحمن بن معين الدين الكدفلي[1]، ولد الشيخ في قرية من قرى كدفلي سنة ١٣٤٥هـ، الموافق ١٩٢٦م، تعلم المرحلة الإبتدائية وحفظ القرآن من والده، الحافظ معين الدين كوتي مسليار، ثم التحق بالدروس المساجدية، ثم أقامت الحكومة امتحانًا للغة العربية حتى تعين مدرسين للعربية في المدارس المدنية، ففاز عبدالرحمن بالمنصب وتم تعيينه بمدرسة قريبة من قريته سنة ١٩٨١م.

• قام بتدريسه أساتذة أجلاء منهم: كنج إبراهيم مسليار، والسيد علوي المالكي، والسيد محمد المدني، وكان لشاعرنا نشاطًا في تجويد القرآن الكريم، وكان يعقد دورات للمعلمين في فن التجويد، وسافر إلى البلاد العربية ليتعلم التجويد كما زار مكة والمدينة، وله مؤلفات منها: مرقاة اللغة العربية، وإحياء علوم التجويد.

• له عدة قصائد شعرية باللغة العربية، يقول في قصيدة وداعية بمناسبة توديع الأستاذ محمد المولوي مفتش تعاليم المسلمين حين تقاعد عن منصبه، يقول:

أراكم هكذا هل ذاك رؤيا
منامٍ أم عياني في اضطرابِ
أفي عيني من رمدٍ وبأسٍ
تحولت الضيا لي كالغروبِ
إذا ما الدهر قابله السقوط
أتدفعها مقاسات الطبيبِ
وذوق فراق أحباب مرير
مذاقتها فليست كالحليبِ

• جميل أن يقابلك صديق شاعر يتأسف على تقاعدك من العمل، وإذا كان هذا الصديق شاعرًا مرهف الحس، كشاعرنا لاشك أن تتمنى ألا تتقاعد!!

• والشاعر عبدالرحمن يرى كل الخير في شهر ربيع، حيث ذكرى ميلاد رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- فينظم قصيدة في مدح هذا الشهر، يقول فيها:

قد تجلى فيك بدر المصطفي خير الورى
فاهتدينا من ظلام السبل المضللِ

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ٢٩٣.

لا كبدرٍ بدرك استنار منه العالم

السما والأرض والشمس وبدر ينجلي

بل به ضاءت قلوب قاسيات مظلما

ت فنورت لها هدى الإله المنجلي

- تحية لشهر ولد فيه سيد البشر سيدنا محمد بن عبدالله- عليه أفضل الصلاة والسلام- الشهر الذي ولد به النور المقدس، والنبي الأكرم، وشاعرنا وجد أن هذا الشهر ليس كالأشهر العادية، وفيه بدر ليس كبدر عادي، ولكن بدر الرسول.

- وصلة الشاعر في مجتمعه صلة قوية يتأثر بما يحدث فيه من أحداث، ومن تلك الأحداث وفاة العلماء والأصدقاء والمحبين، لذا نراه يرثي عالما من علماء الهند، هو السيد البافقيه، رئيس الرابطة الإسلامية، الذي قضى نحبه في مكة المكرمة أثناء تأديته للحج، فنظم شاعرنا قصيدة رثاء يقول فيها:

وقال له الرب استرح في جوارنا

وقل في المعلى كالعروس المبجلِ

أتاه من الرحمن داعيه فارتضى

بحضرة قدسٍ والوصال إلى الولي

فما سيدي والله ما بك غربة

تقيل مع الأبرار نومة راحلِ

نزلت إلى قومٍ لقد كنت منهم

هم أنعم الله عليهم وكملِ

- الشيخ عبدالرحمن شاعر اجتماعي، استطاع أن يكون صدى للمجتمع في كيرلا، ويتفاعل من الأحداث، فمن وداع إلى مدح إلى تهنئة، وشعره ينبع من شعوره، ألفاظه مختارة تناسب المعنى، وأسلوبه سهل مفهوم، وغير معقد، ويتبع النمط القديم في النظم، وليس هناك خروج على المعنى، بل كلماته تصب فيه، ولكن تلك النماذج قليلة، ولا يوجد قصائد طويلة في ديوانه، ومصادر شعره قليلة أيضًا.

****

عبدالرحمن الكريادي

١٢٣٤ - ٠٠٠ هـ / ١٩١٦ - ٠٠٠ م

- ولد الشيخ عبدالرحمن بن محمد[1] في قرية كرياد، القريبة من مدينة ماهي بولاية كيرلا سنة ١٢٣٤هـ، الموافق ١٩١٦م، تعلم الدراسات الأولى على يد أبيه، ثم التحق بحلقات المساجد، فتعلم حفظ القرآن الكريم، والفقه وأصول الفقه، في فرنغتور وكافات، فلما اكتمل عوده ونضج علميا التحق بدار العلوم بوازكات، ثم عمل معلمًا بجامع فانور وكدوفلي.

- يكتب المقالات المختلفة، وينظم الأشعار بالمناسبات، وأشعاره سهلة وبسيطة، وتناسب المجتمع الذي يعيش

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ٢٨٠.

فيه، ونظم في المديح والهجاء وغيرهما، ولكنه لا يذكر كثيرًا من قصائده، ولكنه نظم قصيدة بمناسبة الحريق الذي شب في المسجد الأقصى سنة ١٩٦٢م، يقول فيها:

صبرًا أيا مسجد الأقصى هنيئًا
لا يخذلنَّك علام الخفياتِ
لكنك الآن في حزنٍ وفي ألمٍ
لما أصابك من أقسى المصيبات
قد حرّقتك يدٌ سوداء ظالمةً
ردت نواصيك الفضلى حريقاتِ
إلى قلوبٍ جميع المسلمين سرت
فمزقت فهي نيران الملحاتِ
أفنت منابره شانت مناظره
أذوت أزاهيره هزت مخارات
نارٌ وإن أطفئت منه بسعيهم
لكن لأكبادهم تبقة لحقباتِ
تبت يدا صاحب النار الشقي وهل
يأتي الخبيثون إلا بالخبيثاتِ

• الشعور العارم الذي تفجر في العالم الإسلامي على ذلك الحدث، وصل إلى الهند وعبر المسلمون عن حنقهم وغضبهم من تلك الفعلة الشنعاء، ويبدو أن الشاعر يتفاعل مع الأحداث الإسلامية، ويتأثر بها، كما يتأثر بأحداث وطنه، فعندما قدمت حكومة الهند « أنديرا غاندي» رئيسة الوزراء السابقة للمحكمة، وقف شاعرنا يدافع عنها، ويجلد رئيس الوزراء الجديد، ويقول:

أيا وزيرتنا العظمى لماضينا
يا أنديرا غاندي يا مأوى المساكينا
أنباء أسركِ ذاعت بيننا فإذا
آذاننا اتهمت والريب يؤذينا
لكنها أدمعت كل البلاد دمًا
تبكي الحجارة والأشجار والطينا
فالحق أعجزهم عن حسن بينة
في حين قيل لهم هاتوا براهينا
فكيف لا لا وكنتِ الأم عاطفة
وفي يديكِ زمام الهند تؤوينا
ظللتِ ظلّ أمامٍ في مواطننا
غللتِ أيدي ظلمٍ والعداوينا

• ويهجو رئيس الوزراء الجديد بقوله:

إن كان شارب بول بيننا ملكًا
فالقوم يؤكلهم روثًا وسرجينا

• هذا هجاء مقذع لرئيس منتخب من الناس، ولكن الشاعر كان متأثرًا بطريقة حبس رئيسة وزراء لها مكانة في المجتمع الهندي، وقد تم اغتيال أنديرا غاندي في أكتوبر سنة ١٩٨١م.

• صدرت مجلة جديدة في كيرلا، تسمى « البشرى» فنظم شاعرنا قصيدة يحيي بها تلك لمجلة، فيقول:

ما نال كيرلا ما كانت تأمله
مذ جاءها ديننا إلا بلقياكِ
فكيف لا وهي معشوق ارؤيتها
لوجه مثلك فالمأمول مبداكِ

وأنت تحبين في أبنائها لغة الـ
قـرآن فـاتحـة أبـواب أدراكِ
كوني مشمرة عن ساق جدكِ في
تـهـذيـب كـل مـن الـقـراء يـهـواكِ

• مجلة عربية تصدر في بلاد غير عربية، فهذا لا شك حدث جيد من قبل محبي اللغة العربية، وشاعرنا لا يكتم فرحه بهذا الحدث، الذي سيعزز مكانة اللغة العربية في كيرلا، لذا قام بنظم قصيدة ترحيب بهذه المجلة التي انتظرها جمهور العربية لسنوات طويلة.

• شاعر اجتماعي، له مشاركة كبيرة في أحداث مجتمعه، ويقدر ويحترم العلماء والمفكرين، وخاصة من له صلة به، ويتبادل معه الرؤية في مشكلات المجتمع، وعندما يفقد هذا الصديق العالم يتأثر أيما تأثر بفقده، وينظم قصيدة يعبر بها عن لوعة الحزن والأسى، فقد انتقل إلى رحمة ربه أبوالبشير ك. ب. محيي الدين كوتي، رئيس هيئة التعاليم الإسلامية بجمعية العلماء بكيرلا، فرثاه الشاعر بهذه القصيدة التي يقول فيها:

فـفـجَّـر سـعـيـه أنـهـارَ عـلـمٍ
لـديـن هـدى وكـان لـه ظـهـورُ
ودوحًـا ذا غـصـون مـع ثـمـار
نمـى فـاشـتـاقـه الجـم الـغـفـيـرُ
وهـم يـتـظـلـلـون بـه رفـوفًـا
ويـجـنـون الـثـمـار هـي الـوفـورُ
حـوى كـل الـفـنـون مـن الـعـلـوم
وسـاد وعـلـمـه درٌّ نـثـيـرُ
ألا قـد غـار نجـمُ الـشـيـخِ لـكن
كـواكـب عـلـمـه لـيـست تـغـورُ

• يرى الشاعر القيمة الحقيقية للعالم أن علمه يستمر موجودًا حتى بعد وفاته، لأنه علم رباني، فمثل هذا العالم لا يمكن أن ينساه الناس، وخدماته تشمل المجتمع بأسره، فهو بحر من العلوم النافعة.

• شاعر خصب الخيال، اجتماعي وسياسي، وأديب له مكانة كبيرة بين شعراء العربية الهنود، استخدم الألفاظ الموحية، والتعابير المجدية، والبحور الفنية الخليلية، وأسلوب سلس متوازن بين اللفظ والمعنى، وصوره عقلانية جميلة يستمتع بها القارئ، ويدرسها الناقد، وله روح جذابة، حلو المعشر.

****

عبدالرحمن الكنياتي

١٣٢٠ - ١٣٨٠ هـ / ١٩٠٠ - ١٩٦٠ م

• ولد عبدالرحمن بن محمد[1] في قرية كنيات بكاليكوت سنة ١٣٢٠هـ، الموافق ١٩٠٠م، وكان يسكن بجوار المسجد الجامع الكنياتي، وبعد تعلم الدروس الأولى التحق

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ٢٠٥.

بحلقات المساجد، وأكثر تعلمه من المسجد الجامع في فيتاتو فودنغادي، ومن شيوخه الشيخ شهاب الدين أحمد كويا الشالياتي، وكنجي موتي، وغيرهما، ثم التحق بالمدرسة اللطيفية بويلور، وبعد تخرجه أصبح أستاذًا في دروس المساجد.

- كان الشاعر عبدالرحمن ضد الحركة التصحيحية، وكان يهاجمهم في مقالاته وأشعاره، ولكنه كان أيضًا ضد الحركة التي تكفر والدي رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- لذا انبرى يدافع عن والدي الرسول.

- كانت له قصائد كثيرة، ولكن فقد معظمها، ولم يبق إلا ما احتفظ به في كراسة مكتوبة، وله قصيدة يدافع فيها عن والدي الرسول، ويقول الشاعر إنها دعوة جاء بها الذين يسمون « أيكم»، ويقول فيها:

كم مثل هذا من جماعة أيكم
يبدو مضل الناس من غوغاء
فمنور الإسلام منهم مظلم
وأمينهم هو خائن القراءِ
إصلاحهم هو عين الإفساد كذا
إرشادهم بالعكس بالإغواءِ
هم يحسنون القول بل أفعالهم
تسيء مختلفون للعلماءِ

- ويتحدث عن والدي رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم، بقوله:

وأبوه عبدالله ثم أمه
أمنة كانا من الحنفاءِ
دينهما دين الخليل لم يسـ
جدا للأصنام كالسفهاءِ
من قال أنهما من أهل نارٍ
فذاك ملعونٌ بذي إيذاءِ
ذا القول جزمًا حرم الشعراني
وفيه إيذاء خير الأنبياءِ

- هذه القصيدة يعبر بها الشاعر عن رفضه لفكر بعض الناس المتعصبين، ومن يرى أن العصر الجاهلي كله شر، ولا خير فيه، ولكن الواقع كان في ذلك العصر وفي كل العصور فيه الخير والشر، والصراع موجود في كل العصور بينهما.

- والشاعر حضر مناظرة بين مجموعة من العلماء بعضهم يؤيد الإصلاحيين، وبعضهم ضدهم، وللإصلاحيين آراء مختلفة، فنظم قصيدة تتكون من واحد وثلاثين بيتًا يقول فيها:

أمور خلاف عادة الله يخلف
لأهل الصلاح التابعين لسنةِ
قد جاء في نص الكتاب وقوعها
أحاديث مشهورة بالروايةِ

ومن مصلحي هذا الزمان جماعة
بمؤكد ليسوا بأهل هدايةِ
هناك وضعوا مجلسًا لفسادهم
منور الإسلام بعكس الحقيقة
وملكه إبليس وكرًا وفرخًا
شياطين إفسادٍ جرى للنهاية
فباطلهم قد زهق والحق ظاهر
وحجة دين الله كالشمس ضاءتِ

• يعيب الشاعر على تلك الجماعات أفكارهم المختلفة عن رأيه وأفكاره، فهو يرى أن هؤلاء ليسوا على الطريق الإسلامي الصحيح، وإنهم يفسدون في الأرض، ويعتمدون على أحاديث باطلة، ويتركون طريق الإسلام الواضح.

• جرى في الهند فن تخميس القصائد العربية المشهورة، ومنها قصيدة السيوطي، فقد خمسها شاعرنا بقوله:

من بين رسل الله رفع محمدا
الله درجات بمدحٍ أحمدا
وعليه بالإكرام منه تغمدا
إن الذي بعث النبي محمدا
أنجى به الثقلين مما يجحف
تبشير إرسال به قد عمما
من قبله وقربه قد أعلما
بكثير آيات تضاهي أنجما
فلأمه وأبيه أحرى سما
ورأت من الآياتِ ما لا يوصف
فحديث مسلم فقد نسحته
بآية الإسراء أو أولته
إن قلت في النار فقد آذيته
وبحسب من لا يرتضيه صمته
أدبًا ولكن أين من هو منصف

• للشاعر إحساس قوي بواجبه تجاه العلماء والأصدقاء، فمن يموت منهم يكتب قصيدة في رثائه، ولكنه ينظر إلى ما خلف وراءه ممن كان يتلقى العلم منه، أو من أصحابه ومن بلده، فينظر إلى العلماء نظرة إكبار وإجلال، فممن انتقل إلى رحمة الله المولوي كنج ماجن كويا المدفوري، الذي وافاه الأجل المحتوم سنة ١٩٤١م، فرثاه شاعرنا بأبيات يقول فيها:

لما توفي رسول الله باكية
أرض الإله شكت مولاي أشجاني
أجابها الله لا تبكي أنوبه
وراثة العلما وأهل عرفانِ
فمنهم العالم المشهور صاحبنا
المولوي كنج ماحن فاق أقراني

• ثم يتحدث عن شيخ جديد قريب بلده المسمى بشيخ كورور، وله أتباع ومكاتب في كيرلا، فيذكره بقوله:

قد كان ثاقب شهب كل مسترق
سمع من الدين رجاما لشيطانِ

كمن تشبه شيخًا جاهلا صائدًا
أموال سفهائنا فتان نسوانِ
في الدين جاهده فسلم الله من
إفساد دجتلها كثير بلدانِ

• يستغل الشاعر رثاء أحد العلماء المشهود لهم بالعلم والخلق، ليبين للناس نوعًا أخر من الشيوخ الدجالين، الذين يستغلون الناس لمآربهم الشخصية، ويترك الناس ليختاروا أي العلماء يؤيدون، وإلى من يطلبون النصح والفتيا.

• كان للشيخ عبدالرحمن صديق أحد العلماء مقربًا إليه، ويحترمه كثيرًا، وعندما انتقل إلى رحمة الله، تأثر شاعرنا بوفاته، فوصف الفقيد بقوله:

هو محرز قصبات سبق في ميا
دين لحل عويص مما استفتيا
دستور قطر هاب جميع الأغنيا
من ريح عزٍّ يطرب الخيشوما
نجد إلهي شيخي المرحوما
مع علمه الكسبي والوهبي ارتقى
بتهذب الأخلاق أعلا مرتقى
ولزين علو ثم سفل فامتدا
الظلُّ دامَ على العباد عموما
نجد إلهي شيخي المرحوما

• تعجبه طريقة تخميس القصيدة، ربما لراحته في النظم، أو لأنه وجد هذه الطريقة أصلح للنظم في رثاء هذا العالم، وكذلك رثاؤه للشيخ عبدالحميد بن يحيى اليمني، الذي توفاه الله سنة ١٩٢٧م، فنظم قصيدة في رثائه يقول فيها:

الله يبجل شيخي المرحوما
غبدالحميد اليمني موسوما
وسره قدس أيا قيوما
وسع ونور مرقدًا مضموما
فيه ولي الله حاز علوما
نهار دهره لربي صائم
ليلا طويلا بالقرآن قائما
والذكر في قلب الولي دائم
خوارق عنه أتت تكريما
الله أعظم قدره تعظيما
في مهد زهد وصلاح شبا
بعد السلوك غربة أحبا
من وطنه بهجرة قد لبا
ثمت أتى بمباي كان مقيما
فبلاد ملبار أتى إقليما

• شاعر متمكن من النظم، ويحسن التخميس، ولكنه أيضًا ينظم بطريقة عادية قديمة، ومن ذلك رثاؤه للمولوي كنجي متى بن مركار الفولكلي، يقول في مرثيته:

كيف التصبر عن بلوى صدمائي
عمت مصيبتها ديني ودنيائي
نيرانها أضمرت قلبي وأحشائي
لظي بشيخي غدا منقود نظاءِ
أحيا به الله علم الدين وابتسما
ثغر الملائر من أتباع قدماءِ
فكان كعبة حاجات الأولى طلبوا
تدريس علم الهدى روحًا لأحياءِ

- هذا الشاعر يتميز بالتنقل في نظم القصيد من النظم العادي إلى المخمس، دلالة على تمكنه من فنون الأدب، وقراضة الشعر، مع الإلمام بتلك الألفاظ العربية ومدلولاتها، وبحور الشعر العربي، مع القوافي المتعددة، مزودًا بأسلوب جيد في تنسيق بين اللفظ والمعنى، ويحفظ كثيرًا من الأشعار العربية، وهو شاعر عربي الفكر واللسان، ولكن ليس لدينا نماذج أخرى له تعزز فكرة الحكم عليه، وهو على العموم طاقة طيبة في النظم العربي.

****

عبدالرحمن اليماني

١٣١٣ - ١٣٨٦ هـ / ١٨٩٥ - ١٩٦٦ م

- هو الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني الشافعي[١]، ولد في عتمة باليمن سنة ١٣١٣هـ، الموافق ١٨٩٥م، تعلم في بلدته، وأتقن اللغة والفقه وأصوله، وتعلم العلوم الأخرى حتى برع بها، وهاجر من بلده إلى الهند، حيدرآباد، وأقام بها وتزوج من امرأة هندية، وقد نبغ في تحقيق الكتب، والتعليق عليها، وكان بارعًا في البحث والتحقيق والتصحيح، لذا لا عجب أن تطلبه دائرة المعارف العثمانية للعمل بها، وكان مميزًا في تاريخ الرجال ووقائعهم.

- اشتغل الشاعر عبدالرحمن في تحقيق المخطوطات العربية، وإصدارها في كتب، وأصدر كتاب: الأنساب لأبي سعد السمعاني، في ستة أجزاء، وكتاب الإكمال لابن ماكولا في ستة أجزاء، وكتبًا أخرى، وقدم خدماته خلال ثلاثين سنة من العمل في دائرة المعارف العثمانية.

- أحيل على المعاش، ولكنه ترك العمل وغادر حيدرآباد بعد أن أصبحت جزءًا من الحكومة المركزية في دلهي، وألغيت سلطنة الآصفيين، ثم ذهب إلى الحجاز، وعمل في مكة المكرمة، وعمل أمينًا لمكتبة الحرم المكي حتى وفاته سنة ١٣٨٦هـ، الموافق ١٩٦٦م.

- للشاعر عبدالرحمن مقالات مهمة في العلم والعلماء، منها:
  - **مقالة: علم الرجال وأهميته.**
  - **مقالة: صفة الارتباط بين العلماء في القديم.**

- وكان الشيخ محبًا للعلم والعلماء، وله قصيدة يتحدث بها عن النهضة العلمية في الدولة الآصفية، يقول فيها:

(١) محمد سلطان محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي ص ٤٢٤.

طوبى لدكنر ما حوتْـ
ـهُ من معاهدَ للمعارفْ
فيها رياض العلم تتـ
ـحف باللطائف كل طائف
أثمارُها متدليا
تْ طوع كفي كل قاطف
وحياضها بالعذب تَرْ
وي كل مرتشفٍ وغارف
فيها الجوامعُ والمدا
رسُ والمطابعُ والمتاحف
ومن الجوامع أمها الـ
ـكبرى تحيرُ كلَّ واصف
بحرٌ به التقط العلو
م من السوالف والخوالف
وترى بها دارًا لِتَرْ
جَمةِ التآليفِ والطرائف
وبها كما علمت رجا
لُ العلمِ دائرة المعارف
نشرت علومًا ما لها
من معدنٍ إلا الصحائف
هذا رشاش من فَوا
ضلِ ذي الفضائل والعوارف
عثمان من عمّت موا
هِبُه الموافقَ والمخالف
يرعى المخالفَ من رَعيْـ
ـيَتِهِ كما يرعى المؤالف
مغري بما فيه السعا
دة والعلى لا بالزخارف
فليحي سلطان العلو
م وإنها معنا هواتف

- أشاد الشاعر بحيدرآباد، وخص بالذكر ملكها، قبل استقلال الهند، عثمان، الذي بنى كثيرًا من مراكز البحث العلمي، وأنشأ دائرة المعارف العثمانية، والجامعة العثمانية، والمستشفى الحكومي، وغير ذلك من المراكز الفنية والعلمية.

- الشاعر المعلمي عالم وأديب وشاعر، أمضى حياته بين الكتب والعلماء، وقام بأعمال مهمة في سبيل نشر التراث الإسلامي العربي، وله قدرة على قرض الشعر، وإمكانية كبيرة في استعمال القوافي وبحور الشعر، وقد ألف بين اللفظ والمعنى في أبياته هذه.

- كان أسلوبه بسيطًا سهلًا، ولا غموض في أبياته، ولا تَصنّع من جانبه ليظهر براعته، بل كانت كلماته عفوية، وطبيعية، وهو يمتلك الموهبة والقدرة على أن يصنع أكثر من ذلك، وكان سبك الأبيات جيدًا، والتنسيق جميلا بين الألفاظ والمعاني. لم ينس في حديثه عن مراكز حيدرآباد العلمية من الإشادة ببناني هذه الحضارة، وهو ملكها المير عثمان.

****

عبدالرشيد الكشميري

٠٠٠ - ١٢٩٨ هـ / ٠٠٠ - ١٨٨٠ م

• هو الشيخ أبوالفتح محمد عبدالرشيد بن محمد شاه الشوبياني[1]، ولد في شوبيان، كشمير، شمال الهند، ودرس المرحلة الأولى، وحفظ القرآن الكريم، وبعد انهاء دراساته أصبح علمًا في اللغة والأدب، ثم رحل إلى بهوبال وكان هناك النواب صديق حسن خان القنوجي، الذي عين عبدالرشيد نيابة دار الإفتاء، ولكن الأمور بعد مدة لم تستقر فقد صدر منه شيئًا أغضب النواب صديق حسن فغادر بهوبال إلى هوشنك آباد، وبقي بها حتى انتقل إلى رحمة الله سنة ١٢٩٨هـ، الموافق ١٨٨٠م.

• كان الشيخ عبدالرشيد متضلعًا في اللغة والأدب العربي، عارفًا بفنونها، وبلاغتها، وحافظًا لكثير من قصائد العربية، وخاصة القديمة منها، وكان أيضًا ضليعًا بالحديث النبوي الشريف، وله بعض المصنفات منها:

- **القطر الصيب في مدح الإمام أبي الطيب.**
- **نزل من اتقى في أخبار المنتقى.**
- **له كتب أخرى بالإضافة إلى أشعاره العربية.**

• كان يحب اللغة العربية وينظم بها قصائده، ويظهر فيها أثر حفظ الشعر العربي، وله قصيدة ذكرها أصحاب التراجم، يقول فيها:

حيّا الإله مرابعَ الجيرانِ
كنّا بها نلهو مع الغزلانِ
ونقيلُ عند أباطحٍ حصياتها
أزرت بدرٍّ في نحورِ غَوانِ
وسقى رياضًا عابقاتٍ أتحفتْ
غرفَ الجنان بمحجة الولهانِ
وأطال عمر الحدائق سجعت بها
ورق الهدى برقائق الألحانِ
وأدامَ ظلَّ الأيك أيكِ دلائلٍ
فيها ظفرت بمقصد الإيقانِ
ورعى المهيمنُ عصبةً من سنّةٍ
سكنوا منازلَ مقلتي وجَناني

• يظهر في هذه الأبيات أثر البيئة التي عاشها الشاعر عبدالرشيد، كشمير، وهي جنة الله على أرضه، بسهولها وجبالها، وأزهارها، وجوها المتميز بالعذوبة والجمال وكل شيء بها جميل، ومنظره رائع، وأثره بالنفس واضح من خلال هذه الابيات، التي تنم عن تعلقه بذلك الجو الرائع.

(١) محمد مظفر حسين الندوي، أماثل كشمير ص٢٢٨، + محمد مظفر الندوي، مساهمة أهل كشمير في اللغة العربية والأدب العربي ص ٢٧٩. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص٥٣. عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٧ ص ٢٦٨. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج١١ ص٦١.

• شرح العلامة الشيخ الشوكاني كتاب « المنتقى من أخبار المصطفى» شرحًا بسيطًا يسهل على الدارسين تناوله، وأسماه « نيل الأوطار» فقام شاعرنا الشوبياني بنظم قصيدة يدعو فيها للشيخ الشوكاني على صنيعه في ذلك الكتاب، فقال:

وأدعـــو لـلـمـؤلـف دائـمًـا وكـذا
الـشـيـخ شـيـوخـنـا الـشـوكـانـي
مَـن أوضـحَ السِّفر الكريم بشرحه
مـتـقـيّـــدًا بـأدلـة وبـيـــانِ
مَـن نـدُّه فـي جمع أسباب الهدى
مـــن مـثـلـه فـــي عـالـم الإمـكـانِ
إحـسـاسـه عـمَّ الخـلائـق كلـها
أكـــرم بـــهِ مـــن عـالـــمٍ مـنـانِ

• وهنا يذكر الشاعر اسمه في نهاية أبياته بقوله:

عـبـدالـرشـيـد وهـــذه أبـيـاتـه
نجـزت بـحـسنِ فـي يسير زمـانِ

• لا شك أن شاعرنا قد مدح الشيخ الشوكاني بعد أن عاين الكتاب، أو قرأه ليشعر بالفرق بين الأصل والشرح، فقد يسّر على القراء كثيرًا من العنت، والصعوبة التي كان يعانيها القراء لكتاب المنتقى.

• من خلال قراءة نماذج شعر شاعرنا نجد أنه متمكن من اللفظ العربي، والنظم بهذه اللغة، وطواعية الألفاظ في رص الكلمات المعبرة عن ذاته واضحة، ولقد تطابقت الألفاظ مع المعنى، واستخدم بحور الشعر العربي القديمة، وأسلوب الشعراء العرب في النظم، ويبدو أنه شاعر جيد اللفظ والمعنى، ويتمتع بالخيال الشعري عندما ينظم قطعة عن كشمير، فخياله يهب بعيدًا في فترة صباه في وسط ذلك الجو الجميل والطبيعة الخلابة، التي صنعت خياله وفكره.

****

عبدالسلام سليم الهزاروي

١٠٩٠ - ١١٧٧ هـ / ١٦٧٩ - ١٧٦٣ م

• ولد الشيخ عبدالسلام سليم الهزاروي[١] سنة ١٠٩٠هـ، الموافق ١٦٧٩م، ودرس في بلدته، وحفظ القرآن الكريم ودرس العربية والفقه وأصول الفقه، ودرس على يد الشيخ عباس بن الجلال السندي، كما درس سائر الكتب الدراسية على يد الحكيم عثمان بن عيسى البولكاني، حتى بلغ مرتبة الكمال تولى القضاء بمدينة « برهانفور»

(١) محمد صدر الحسن الندوي ، المدائح النبوية في الهند ص١٩٢.

وقد ولاه عادل شاه البرهانفوري، فأقام على هذا المنصب فترة طويلة من الزمان وكان خلال ذلك يمارس التدريس أيضًا، وله كتاب شرح مختصر الوقاية.

- للشاعر قصيدة نونية باسم «الجذبة الشوقية في الحضرة النبوية»، يقول فيها:

موجُ الصَّبَابةِ دائمًا غشاني
وأماتني بعد الردى أحياني
أصبحتُ قد ترك الفؤاد ممزقًا
وردى خد فاتك فتّاني
وأذاب أحشائي ضرام غرامه
وأمال قلبي اليوم من إنساني
وأذاب أحشائي لهيب صدوده
وأمات جسمي عسكر الأحزانِ
نار الصبابة أحرقتني لوّمي
والعذل فيها أحرق النيرانِ
هيهات صبري في الهوى من مهجتي
وقريحتي محروقة الهجرانِ

- وبعد هذه المقدمة الغزلية، يأتي إلى مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- حيث يقول:

أرجو رجاءً كاملا مستحكمًا
من خالقي من رازقي المنانِ
أن يمنح العبدالغريب محبة
في ذاته بالسر والإعلانِ
ومحبة المختار يجعل ديدني
وغداء روحي دائمًا وأماني
ويضيء قلبي في هواه ككوكبٍ
متوقدٍ متهلّلٍ نوراني
وضريح عبدٍ يجعلن منورًا
بسناء نور ياهر اللمعانِ
بضياء نور الحب حب محمدٍ
نورٌ إلهي مرقدي وجناني
حب الرسول علاج كل بلية
أبدًا لكل الخائف اللهفانِ
حب الرسول مزيل كل مصيبة
للعاجز الدنف النحيف العاني
حب الرسول جلاء كل طبيعة
نور القلوب وواضح البرهانِ
هو النبي الهاشمي المصطفى
مختار إنس في الزمان وجانِ
خير الخلائق كنز أسرار الملأ
بدر الكمال وسيد الأكوانِ
عزّ المراتب والمكارم والعلى
وحبيب رب منعم منانِ
بحر خضم زاخر متلاطم
فاضت عيون منه في البلدانِ
الدّهر صار بنوره متهلّلا
والشركُ أصبح منه في خذلانِ

محمود رب الناس في تنزيله
كنز المعارف ساطع البرهانِ
وعليك لازالت صلاة إلهنا
والآل والأصحاب في الأزمانِ

• هي قصيدة جميلة ذات سبك جيد، وأسلوب راق، اتبع طريقة الشعراء العرب القدامى في البدء بالنسيب، ثم جاء إلى الهدف منها وهو مدح الرسول الكريم، وقد وصفه بعدة صفات ذكرها معظم من مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، ووضع الشاعر فيها كثيرًا من المعاني والقيم الإسلامية، وأخلاق الرسول، وما هو مذكور في القرآن الكريم من الصفات والخصائص التي يتمتع بها رسولنا الكريم. وذكر المصدر له قصيدة ميمية أخرى في مديح رسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام-، يقول فيها:

هو النبي الذي عَمّت شفاعتُهُ
يروي الأنامَ فحوضُ مائهِ شبمُ
قد سبّح الحجر القاسي براحته
والجذعُ حنَّ وبدرُ الأفق منسجمُ
قد طبّق الأرض هديًا منه فانقلعت
قواعد الجهل لما أرست الحكم
ذاك الذي هدت الأكوان طلعته
فالجن تحمده والعربُ والعجمُ
قد كان ما ترقى الأنام لهُ
لذاك كان به النبآء قد ختمُ
هو الرسول أضاء العالمين به
رسم الضلالة والبدعات منهدمُ
ذاك الذي أشرقت أرض الزمان به
شمس المراتب نحر الجود محترمُ
يعطي العفاة فيغنيهم بنائله
يعطون منه فتعطى منهم وهمُ
يغنيك مجدك عن نعت ونعتك ذا
من أجل ذكراكم طاب له الكلمُ

• شاعر متمكن من النظم بجميع أشكاله، وموضوعاته، والغزل عنده موضوع يمارسه في بداية قصائده، كما كان يفعل شعراء العرب القدامى، ولكنه أيضًا ينظم قصائد غزلية، منها هذه القصيدة، التي يقول فيها:

شفَّ المشوق سقام القلب والألمِ
غابَ الرقادُ وبحرُ الوجد يلتطمُ
ونمّ سقمي بما ضنَّ اللسانُ به
فالآن نحوي لعمري مالت التهمُ
كيف الأمانث من العذال قولهم
دع الغرام لأنّ الدمع ظل دمُ
ما أقبل العذل كلا لستُ تابعه
كيف القبول ونار الحب تضطرمُ
أفشا النحول ودمعي ما أكتّمه
فالشاهدان عدول كيف ينكتمُ
أحنّ شوقًا لربعٍ قد وصلتُ به
والهينُ تسكبُ الأحشاء تحتدمُ

عرفته بعد طول العهدِ كنتُ به
من كان بي وإذًا قد لاحت الأكمُ
فاض الدموع على نحري توالية
بل الجيوب وحرا الصدرِ شفّهم
لولا الدموع لتفنى الجسم شعلته
لولا الحرارة يمحو الدمع ما رقم
فكيف أسلو ووسط القلبِ مسكنه
وطال عهدي وجيش الشوق مزدحمُ
من لائمين إلى قلب النحيف إذا
أتى الملامُ هوى المهويّ يلتطمُ
ما زادني لومهم إلا صبابةً
والشوق في لهبٍ من ذاك والألمُ
إني طبعتُ على الأشواق من أزلِ
والحبّ من توأمي والوجد والسقمُ
يصدُّ عني وقد هام الجنان به
بالبين يظلمُ يا صاحبي وما ندمُ
ليلُ الفراق طويلٌ ماله سحرٌ
طالَ الفراقُ وزاد الشوقُ والغرمُ
يا صاحِ عيناي تهمي بالدما أبدًا
لله بلّغه من حالي وما نقموا
لمَّ الهوى بضلوعي سله لي كرما
هل عنده العطف لي يومًا أم الندمُ
طارَ الكرى من جفوني منذُ لاحظني
بفاتك اللحظ في أجفانه سقمُ

ومائس القدّ سهم الجفن في كبدي
سيف الدلالِ وقدري كان يبتسمُ
نظرته بعد نظر بعده نظر
فالعينُ شاخصةٌ والقلبُ مضطرمُ
فعشتُ ما عشتُ في الأسقام حل إذا
بي الحبيب سؤلا كيف حالكمُ
شكوتُ بعد انسكاب الدمع أكثر من
عدّ الحصاة وفيه الرمل والنجمُ
فقال سل تعط وصلا دائمًا أبدا
بشرط ذكرك فخر الخلق خيرهم
دع الشكاية غص في ذكره وتنل
ماذا تروم فمات الهجرُ والألمُ
فقلتُ لبيك يا محبوب أكثر من
ألف آلاف مراتِ فأرتقمُ

- قصيدة رائعة صب الشاعر فيها قدراته الفنية والعلمية في بناء هذه القصيدة الجميلة، وأظهر براعته في النظم، وتمكنه من أدوات القصيد، وأبدع أيما ابداع في استعمال خياله الواسع، فوصف، وتفنن، وأخرج صنوفًا من الصور الفنية البلاغية، وجاء بحكاية عن صد الحبيب، ثم حياته، وبعدها التقارب واللقاء.

- سكن الشاعر في جدة، المملكة العربية السعودية، وكان ذلك في الصيف، وكانت جدة حارة جدا، فذاق الشاعر الأمرين من ذلك الجو الخانق، فانبرى يصف حالته، وما

يعانيه من حرارة الجو، فيقول:

نمـوتُ مـن الحـرّ الشـديـدِ بـجَـدةٍ
ونـشـربُ مـاء الـنـارِ فـي كـلِّ قـهـوةِ
وكنا هنيئي العيشَ في أم القرى
لـقـد أوقـعـتـنـا جـــدةُ بـصـعـوبـةِ
ونصبح مغسولين من طل السما
ونمـسـي كـذلـك مـن عـروق حـرارةِ
نـبـيـتُ بـــأفٍ بـعـدَ أفٍّ مسلسلٍ
ونقعد طول اليومِ في جوف خلوةِ
عـلـى كـل خـــالٍ هـهـنـا نـتـأسفُ
بفيضان أجفان على سلب راحة
ولمـا دخـلـنـا جـــدة بـعـد راحـــة
فـمـتـنـا إلـهـي مـن حـــرارة جـدة
أكـلـنـا هـــواء بـــاردًا فـي طريقنا
عـلـى بـنـت ريـــح عـمـة الـسـيـارة
نـــقـــولُ لـقـهـمـيّ بـعـين تـلـطـف
وتـــفـــضّـــلٍ وتمـــــنٍ وفـكـاهـة

• أبدع شاعرنا في الوصف، كما أبدع في غير ذلك، شاعر متمكن من قواعد الشعر، يستخدم الألفاظ الدالة على المعنى، مع اختيار لبحر مناسب، وقافية من الذلل تناسب الألفاظ التي حشدها لمدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، وتنسيق جيد للأفكار والمعاني التي يريدها، غير أن الشاعر لا يرى في هذه القصيدة استعمال الخيال الشعري، لأنه يريد أن تصل الكلمات إلى الممدوح دون تعقيد، أو غموض، وأسلوبه سهل متيسر، والفهم على قدر حاجة الجمهور، الذي يستمع له، فلا يريد من أحد أن يسأل عن فهم القصيدة.

****

عبدالسلام علي نوشهري

١٣١٦ - ١٣٦٧ هـ / ١٨٩٨ - ١٩٤٧ م

• الشيخ عبدالسلام بن محمد علي بن سيد علي نوشهري الهزاروي[1].

• ولد في مدينة أمب دربند عام ١٣١٦ هـ، وتوفي عام ١٣٦٧ هـ، وتعلم دروسه الأولى فيها على يد أبيه، ثم ذهب على ديوبند ودرس في دار العلوم، ودرس بها الفقه وأصول الفقه، وحفظ القرآن الكريم، ثم يمم تجاه دلهي ودرس بها على يد علمائها، ثم سافر على برامفور فدرس في المدرسة العالية، وبعد ذلك ذهب إلى بهوبال والتحق بالمدرسة الأحمدية، حتى حاز على شهادتها.

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١١ ص ١٥٧.

• عمل مدرسًا في المدرسة الحكومية في بشاور، ثم سافر إلى الحجاز وانضم إلى المدرسة الصولتية الهندية في مكة المكرمة، وعاد بعد ذلك إلى الهند، وعمل مدرسًا للدراسات الإسلامية بالمدرسة التربوية، ثم مدرسًا في مدرسة نوشهره الإسلامية، وكان خطيبًا في مسجد نوشهرة، بالإضافة إلى أنه شاعر ونشيط أدبيًا وسياسيًا، وله اتصالات مع شعراء عصره مثل الشاعر محمد إقبال، وغيره، وهذا يدل على حبه للأدب والشعر، وقد يتبادل المعرفة مع من اتصل بهم من الشعراء.

• صدر له ديوان باللغة العربية باسم» روض الأشعار»، وله ديوان آخر باللغات؛ الفارسية والأردو والبشتونية (لغة أفغانستان وجزء من باكستان).

• نشر له المصدر قصيدة واحدة، يقول فيها:

موج الصبابة دائمًا غشّاني
وأماتني بعد الردى أحياني
أصبحتُ قد تُركَ الفؤادُ ممزقًا
وردِيُّ خدٍّ فاتكٍ فتّانِ
وأذابَ أحشائي ضرامُ غرامهِ
وأسال قلبي اليومَ من إنسانِ
وأذابَ أحشائي لهيبَ صدودهِ
وأماتَ جسمي عسكرُ الأحزانِ
نارُ الصبابةِ أحرقتني لُوَّمي
والعذلُ فيها محرقٌ نيراني
هيهات صبري في الهوى من محنتي
وقريحتي محروقةُ الهجرانِ
أرجو رجاءً كاملا مستحكمًا
من خالقي من رازقي المنّانِ
أن يمنح العبدَ الغريبَ محبةً
في ذاته بالسّرِّ والإعلاني
ومحبّةَ المختار يجعلُ ديدني
وغذاء روحي دائمًا وأماني
ويضيء قلبي في هواه ككوكبٍ
متوقّدٍ متهلّلٍ نوراني
وضريحَ عندٍ يجعلنَّ منوّرًا
بسناء نورٍ باهر اللمعانِ
بضياء نورِ الحبِّ حبّ محمدٍ
نَوّر إلهيّ مرقدي وجناني
حبُّ الرسولِ حياةُ كلّ موحّدٍ
من كلِّ قاصٍ في الورى أو دانِ
حبُّ الرسولِ علاجُ كلِّ بليةٍ
أبدًا لكل الخائف اللهفانِ
حبُّ الرسولِ مزيلُ كل مصيبةٍ
للعاجز الدنفِ النحيف العاني
حبُّ الرسولِ جلاءُ كلّ طبيعةٍ
نورُ القلوبِ وواضحُ البرهانِ
حبُّ الرسولِ شفاءُ أسقام الورى
وحياةُ قلب المدنف الولهانِ

وهـو الـنبيّ الـهاشمـيّ المصطفي

مـخـتـارُ إنـسٍ فـي الـزمـان وجـانِ

وعـلـيـكَ لازلـــتَ صـــلاةُ إلـهـنـا

والآلِ والأصـحـــابِ فـي الأزمـــانِ

وعـلـيـكَ لا بـرحـت صـلاةُ صلاتنا

تـتـرى عـلـيـك وإلـــك الـشـجـعـانِ

انـظـر إلـى عـبـدِ الـسـلامِ بـرحـمـةٍ

وإلـــى الـسـلـيـم بـنـاظـر الإحـسـانِ

- قصيدة فيها الكثير من المعاني، الغزلية والدينية ، بدأها الشاعر بالغزل، ثم أتي على مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليمًا- ثم ختمها بالدعاء لنفسه طلبًا للمغفرة، قصيدة رصينة قوية السبك والتناسق بين أجزائها، شاعر متمكن من الألفاظ العربية، ويبدو أنه قد حفظ كل المفردات العربية، ومعنى كبير في الغزل العذري، والحب الصوفي للرسول، وأسلوبه سهل ميسور، لا غموض في النظم، ولا استعمال لحواشي اللفظ ونوادره.

- ربما ليست هذه القطعة كل القصيدة، وأظن أن لها أبياتًا أخرى لم يتم إضافتها في هذا المصدر، فهو ينظم على طريقة شعراء العرب الأقدمين، وهو النسيب في بداية القصيدة، ثم يأتي على غرضها، حشد الشاعر كل معاني الحب في الغزل العفيف، من لوعة وحزن وألم وفراق، ليصب ذلك في الحرمان من رؤية المحبوبة، أما مدح رسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام- فجاء بقدر قوة الحب، ورؤية المحب للرسول على أنه محلل لكل المصائب والعلل، وهذه نظرات صوفية دافئة.

- يمتلك الشاعر قدرة كبيرة على النظم باللغة العربية لما له من ثقافة عربية كبيرة، وظفها لإخراج هذه القصيدة، وطبعًا لغيرها، حتى تكون في مستوى الشعر العربي، وله قدرة على امتلاك ناصية الفن في النظم، فهو عالم ببحور الشعر العربي، وبالقوافي ، وأنواعها، ووظفها في الموسيقا الداخلية والخارجية، فهو فنان شاعر.

****

عبدالعزيز أحمد الملتاني

كان حيًّا سنة ١٨٢٣ م

- هو الشيخ عبدالعزيز بن أحمد بن الحامد القرشي الفرهاري الملتاني[١].

- لم أجد له تاريخًا للولادة، أو الوفاة، درس علومه الأولى في بلدته، ولكنه توفي في الثلاثينات من عمره، وله مجموعة من المؤلفات منها:

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٧ ص ٢٨٣.

- الصمصام، في ذم التقليد.
- البحر المحيط ، والسلسبيل، كلاهما في التفسير.
- كوثر النبي ، في مصطلحات الحديث.
- الرسالة في رفع السبابة.
- كتاب النبراس، في شرح العقائد، بالعربي.
- سدرة المنتهي، ومرام الكلام ، في العقائد.
- له رسائل وموضوعات أخرى.

• ألف الشاعر بعض هذه الكتب سنة ١٢٣٩هـ، الموافق ١٨٢٣م، وهذا يشير إلى احتمال ولادته حوالي سنة ١٨٠٠م، وكان كثير القراءة والاطلاع، وله قصيدة يشرح بها بعض السنن، حين يقول:

حمدًا لك حمدًا سرمدا
وعلى محمدك السلاك مؤبدا
وعلى صحابته الكرام جميعهم
والعترة الأطهار دام مُخلَّدا
عبدالعزيز يقول نظمًا فابتغوا
حكمًا صحيحًا بالنصوص مؤيدا
قد قيل أول من أتى بقياسه
في رد نص الشرع إبليس الردى
إذ قال إن النار مور زاهر
والعقل ليس بآمر أن يسجدا
فاستخلص من كيد كيدانهم
واترك خلاصته ولا تتقيدا
واستعظمن أهل الحديث فإنهم
مثل الصحابة فاتخذهم مرشدا
ليس التشبه بالروافض باطلا
في كل فعلٍ سيما سنن الهدى
كالأكل باليمنى وحب المرتضى
وقراءة القرآن يا أهل الندى
بل في شعارهم الذي قد أبدعوا
من غير أن يقفوا الرسول الأمجدا
كاللوح من طين الحسين فإنهم
أخذوه في حين العبادة مسجدا
ومن ادعا أن السمون محتم
فإشارة التهليل زائدة سدى
قلنا صنيع الشرع ليس بزائد
أوما ترانا ركعًا أو سجدا
ويقال يحسن ترك ما هو دائر
في الندب والتحريم حين ترددا
قلنا له إن التردد باطل
إذ مذهب التحريم ليس مؤيدا
وأدلة استحبابها لك قد بدت
كالشمس فلا تترددا
هذاك تلخيص المقالة مجملا
ولنا كتاب مستقل مفردا

• صياغة بعض أحكام الحديث شعرًا قدرة كبيرة من شاعر لم نر له أكثر من هذه القصيدة، ويبدو أنه متمكن من

النظم بالعربية،، واستعمال البحر والقافية بشكل جيد مما يشير إلى تضلعه باللغة العربية وفنونها، ولكن هذه القصيدة غاب عنها الخيال الشعري، فهو نظم أمور دينية له رأي فيها أمام المخالفين له.

- تمكن الشاعر من طرح رأيه الفقهي بأسلوب النظم، ربما ليسهل على الطلاب هضم فكرته، ورأيه الفقهي، وهو متمكن من المعجم اللغوي العربي، فاستخدم الألفاظ في مكانها الصحيح، وأدت المعنى الذي أراده، وأوصل الفكرة للقراء، وأسلوبه سهل لا غموض فيه، فهو ناظم أكثر من شاعر له خيال وصور بلاغية، ولا يوجد مصدر آخر لشعره.

****

عبدالعزيز الجالندهري

١٣٤٥ - ١٣٩٨ هـ / ١٩٢٧ - ١٩٧٨ م

- عبدالعزيز خالد بن شاه محمد الجالندهري[1]، ولد عبدالعزيز خالد في جالندهر، الهند، سنة ١٣٤٥هـ، الموافق ١٩٢٧م، كان والده معلمًا، لذا شب عبدالعزيز محبًا للعلم والتعلم ومطالعة الكتب، درس في بلدته، ودرس عند أغا صادق حسين علم العروض والقافية، وبدأ ينظم الشعر بالأردو وهو في المدرسة الثانوية، ثم ذهب إلى لاهور والتحق بالكلية الإسلامية، قم انتقل إلى باكستان بعد استقلالها سنة ١٩٤٧م، ونال درجة الماجستير في الاقتصاد سنة ١٩٥٠م من تلك الكلية، ومن أساتذته؛ حميد أحمد خان، ومولوي علم الدين السالك، والشيخ علاء الدين الصديقي، وغيرهم، عمل في الجمارك حتى تقاعد.

- كان الشاعر محبًا للغة العربية، وحفظ كثيرًا من شعر العرب، وبعد نظمه للشعر بلغة الأردو، بدأ ينظم باللغة العربية، متأثرًا بما في القرآن الكريم من آيات، وبما في الحديث الشريف من معان وأفكار، وضمنها شعره بلغة الأردو، ولكن نظمه العربي قليل، منه قوله في مدح رسول الله-عليه السلام-:

هو ملجأ الآملينْ
هو ملجأ الهالكينْ
هو زبدة الصالحين
هو صفوة العالمين
هو غاية الطالبين
هو نخبة المتقين
هو أجود الأجودين
هو أحمد الحامدين
هو أعبدالعابدين
هو سيد المرسلين

(١) حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان ص ١٢١.

هـــو قـــائـــد المـــؤمـــنـــين
هـــو أبـــصـــر الـــنـــاظـــريـــن
هـــو أذكـــــر الـــذاكـــريـــن
هـــو أشـــكـــر الـــشـــاكـــريـــن
هـــو اصـــبـــر الـــصـــابـــريـــن
هـــو أطـــهـــر الـــطـــاهـــريـــن
هـــو آخـــــر الآخـــــريـــــنْ
هـــو أســـمـــع الـــســـامـــعـــيـــنْ
هـــو أشـــجـــع الـــعـــالمـــين
هـــو أشـــفـــع الـــشـــافـــعـــين
هـــو أوســـــع الـــواهـــبـــين
هـــو شـــافـــع المـــســـلـــمـــين
هـــو أشـــــرف الـــعـــالمـــين
هـــو أصـــــدق الـــصـــادقـــين
هـــو أعـــــدل الـــعـــادلـــين
هـــو أعـــقـــل الـــعـــاقـــلـــين
هـــو أعـــمـــل الـــعـــامـــلـــين
هـــو أفـــضـــل الـــفـــاضـــلـــين
هـــو أكـــمـــل الـــكـــامـــلـــين
هـــو أول الأولـــــين

• وله قصيدة أخرى، يقول فيها:

شـــرُّ المـــكـــاســـبِ كـــســـبُ الـــريـــاء
وشـــــر المـــآكـــل مـــال الـــيـــتـــيـــم
لا تـــســـألـــوا الـــنـــاس شـــيـــئًـــا
تـــغـــدّ تمـــــدّ، تـــعـــشّ تمـــشَّ
يـــا مـــالـــكًـــا غـــيـــر ممـــلـــوك
يـــا قـــاهـــرًا غـــيـــر مـــقـــهـــور
يـــا رافـــعًـــا غـــيـــر مـــرفـــوع
يـــا حـــافـــظًـــا غـــيـــر مـــحـــفـــوظ
يـــا مـــؤنـــس كـــل مـــســـتـــوحـــش
يـــــا غـــــافـــــر كـــــل ذنـــــب

• الشاعر في شعره العربي كان بسيطًا، ناظمًا لكلمات مشتقة من بعضها، ومرددًا لألفاظ متطابقة، الفكرة فيها بسيطة، والخيال غير وارد في أبياته، وآثر القرآن والحديث واضح في شعره، والعاطفة كانت بسيطة، فهو ناظم، ويفتقر شعره لكثير من مقومات الشعر العربي، وابتعد كثيرًا عن الغوص في المعاني المطروحة، وسذاجة الأبيات كانت واضحة، غير أن السجع وتأليف بعض الكلمات مع بعضها متحقق في شعره، ولكن هو طاقة لم يستغلها كما يجب.

****

عبدالعزيز الميمني

١٣٠٦ - ١٣٩٩ هـ / ١٨٨٨ - ١٩٧٨ م

• هو العلامة الأستاذ عبدالعزيز بن عبدالكريم الميمني الراجكوتي الأثري[١]، ولد في راجكوت، ولاية سوراشترا، ساحل الهند الغربي، سنة ١٣٠٦، الموافق ١٨٨٨م، تعلم المبادئ الأولى في قريته، ثم أرسله أبوه إلى بلدة بجوناكره، تعلم اللغة الأردية، والحروف الفارسية، ثم رجع إلى راجكوت ودرس بعض الكتب الدينية، وفي سنة ١٩٠١م أرسله أبوه إلى دلهي لمواصلة الدراسة في علم الحديث، وبقي ثلاث سنوات درس خلالها النحو والصرف الفارسي، وكان له أحد الطلبة المتقدمين في العلم، فلما سأله بعض المسائل لم يستطع الإجابة، وقال له: لا يمكن أن تتقدم ما لم تدرس المسائل النحوية، فكانت البداية.

• عزم على أن يدرس بجد فاختار « فصول أكبري» بالفارسية، و«الشافية» في العربية، وقرأهما واستوعبهما، وجلس مع العلماء المفلقين مثل الشيخ نذير أحمد الدهلوي، الذي اتخذه مرشدًا وموجهًا له، وهو ضليع في اللغة العربية وآدابها، وقال عنه الميمني: « إنه أستاذي الوحيد في العربية»، ثم ذهب على رامبور لاستكمال دراسته، وكانت تعج بالعلماء في ذلك الوقت، ثم التحق بجامعة البنجاب وتخرج فيها، ثم عمل مدرسًا للغة العربية والفارسية بكلية بيشاور.

• عرض عليه العمل بكلية الدراسات الشرقية بلاهور، فقبل العرض وأقام هناك أربع سنوات، وزامل في الكلية مجموعة من العلماء منهم: الشيخ محمد شفيع، والشيخ محمد إقبال، والشيخ محمد طلحة الحسني، وقد بدأت قريحته بالتفتح بنشره مقالات أدبية بمجلة الكلية، وصدور كتابه» ابن رشيق القيرواني» وكتاب «أبوالعلاء وما إليه»، وطار صيته في أنحاء الهند.

• برزت ثقافته من خلال قراءاته الواسعة في الأدب العربي، منها: حفظ المعلقات العشر، وديوان المتنبي، وحماسة أبي تمام، والكامل للمبرد، والنوادر لأبي زيد، والبيان والتبيين للجاحظ، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وفي احدى المرات سأل السيد أبوالحسن الندوي الدكتور عبدالعزي، كم عدد الأبيات العربية التي تحفظها؟ فأجاب بعد تردد قائلا: ما بين خمس وسبعين ألف بيت، ومئة ألف بيت من الشعر العربي.

• في سنة ١٩٢٥م غادر الدكتور الميمني لاهور إلى جامع عليكره الإسلامية، أستاذا مساعدًا للغة العربية وآدابها، وفي سنة ١٩٣٦م عين رئيسًا لقسم اللغة العربية، وظل

(١) مختار الدين أحمد، مجلة المجمع العلمي الهندي، مجلدان كبيران احتفاء بذكرى الميمني. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم شعراء العربية في القرنين التاسعر عشر والعشرين ج ١١ ص٢٤٩. جمال الدين الفاروقي، أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية ص ٣٢٩.

فيه حتى تقاعده سنة ١٩٤٩م. وتم صياغة شخصيته العلمية في تحقيق الكتب والبحث العلمي، وكتب تجاربه العلمية وهو في لاهور، وكتب في الأدب واللغة والتاريخ والتراجم، وأيضًا صدر له تحقيق كتاب» سمط اللآلي في شرح أمال القالي»، وهو تحقيق غاية في الدقة، ونموذجًا للتحقيق العلمي الرصين.

- وفي جامعة عليكره زامل أساتذة مثل: العلامة شبلي النعماني، والأستاذ تومس آرلند، والدكتور جوزيف هروتس، الذي حقق هاشميات الكميت بن زيد، والدكتور أستوري، وغير هؤلاء من العلماء والباحثين الهنود والغربيين، وقد مثل الجامعة في عدد من المؤتمرات العلمية، وقدم أبحاثًا لدائرة المعارف الإسلامية، وغيرها من مجالات الكتابة العلمية.

- ذاع صيته في الدول العربية، وتلقى دعوة من رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق ليصبح عضوًا مراسلا في المجمع، كما تم تعيينه عضوًا في مجمع اللغة العربية في القاهرة، لما له من صيت وسمعة كبيرة في البحث والتحقيق، وفي سنة ١٩٣٥م قام بجولة في الدول الإسلامية للبحث عن المخطوطات العربية، ورجع إلى الهند بعد عشرة أشهر محملا بكثير من الكتب والمخطوطات، وكانت له علاقة علمية وصداقة في مصر والعراق وسوريا، والثقة بعدد من العلماء منهم: محمد علي علوبة، وعبدالرحمن الشهبندر، وزير سوري، ومحمد كرد علي، رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق، والشيخ عبدالقادر المغربي، وشيخ الأزهر مصطفى عبدالرازق، وموسى الجار الله الزمخشري، وأحمد أمين، وعبدالرحمن عزام، ومصطفى صادق الرافعي، وعبدالوهاب النجار، وكامل الكيلاني، وغيرهم.

- حصل الشيخ عبدالعزيز الميمني على تقديرات متعددة من الدول، تقديرًا لدوره العلمي المميز خدمة للعلم، فقد منحته سوريا جنسيتها عام ١٩٥٦م، وأكرمته جامعة الأزهر بمنحه الدكتوراه الفخرية، وحصل على وسام الرئاسة من باكستان ، أما جامعته عليكره وقد خصصت كرسيًا علميًا باسمه، وأطلقت مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق عليه لقب «العلامة» سنة ١٩٤٤م، ومنح درجات الدكتوراه لمجموعة من الباحثين، بالإضافة إلى جوائز أخرى.

- من المصنفات التي ألفها فهي كثيرة منها:
  - **سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، وهو عمل عظيم أشاد به العلماء.**
  - **أبوالعلاء وما إليه، دراسة جادة عن أبي العلاء المعري.**
  - **ابن رشيق القيرواني، حياته وبيئته.**
  - **نسب عدنان وقحطان لأبي العباس المبرد.**
  - **الوحشيات، الحماسة الصغرى، لأبي تمام.**
  - **الطرائف الأدبية، مجموعة من دواوين الشعراء.**
  - **إبراهيم بن العباس الصولي.**
  - **مختارات من شعر البحتري والمتنبي، وأبي تمام وعبدالقاهر الجرجاني.**

- أبواب مختارة من كتاب أبي يوسف بن يعقوب الأصفهاني.
- الفاضل في اللغة والأدبلأبي العباس المبرد.
- لإقليد الخزانه، فهرس للكتب التي ذكرها عبدالقادر البغدادي.
- تنبيهات على أخاليط الرواة، لعلي بن حمزة البصري.
- ديوان حميد بن ثور الهلالي.
- المنقوص والممدود للفراء.
- ديوان سحيم عبدبني الحسحاس.
- رسائل نادرة، ثلاث رسائل.

- إضافة إلى تحقيقات خلال عمله في جامعة عليكره، وتبلغ الثلاثين.

- إضافة إلى ما سبق فهو شاعر باللغة العربية، وله قصائد منشورة في الكتب، أو في المجلات المختلفة منها قصيدة في مدح بلدته التي فيها جامعة عليكره، يقول فيها:

سلام على خيرِ البقاعِ عليكره
ومَصبَحها في طلِّ أمنٍ ومَمساها
سلامٌ عليها إنَّ طيب نسيمها
يجدّد في قلبي على الدهرِ ذكراها
وما ليَ لا أصبو؟ وطيب ترابها
يُشهّي إلى قلبي هوى رحبِ مثواها
ورحبتُها الفيحاء يُشرق جوّها
وروضتها الغنّاء يحظيك رَيّاها
على أنها بالهندِ أولُ معهدٍ
لتأديب ناشيها قد أسس تقواها
وفتيانُ صدقٍ لا يُملّ حديثهم
تجرّد في نشر المعارف مَسعاها
تراها بزيّ واحدٍ فتظنها
وإن لم تكن، في الخَلْق والخُلْقِ أشباها
تخرّجَ خِصّيصون منهم بسبقهم
فأجرَوا عيونًا للعلومِ وأمواها
وصاروا هداةً قادةً لبلادنا
من السُّبل سبل السالكين لأهداها
فقد سددوا أو قاربوا الأمرَ جهدها
ولم يُقحموا دهماءها في ثناياها
فأعمارهم للجيلِ وقفٌ مسبَّلُ
ونهضتها فيها كذلك مأواها
وقل لهم هذا وذا فمماتُها
لرفعِ منار العلم فينا ومحياها
ولم أغلُ في وصفي، فهذا جليّةٌ
وعن باطن الأشياء يُنبيك سيماها
فيا أمتي ماذا عراكِ؟ فإنَّني
أراكِ لم تسكري خمرُ حُمياها
فسِيري بنا البَردَينِ نحو عَلَيْكَرٍ
إلى بقعةٍ أبغي من الله سُقياها
إلى حيثُ ماء المجد غيرُ محللٍ
ولا أرضها الفيحاء ضاقت بسكناها

فربي من ضنك البلاد أراحني
وأصبحتُ لا يبدو لعيني مرآها
فقد قام سوقٌ يهرع الناس نحوها
وأسنى بهاءً من عُكاظٍ لأدناها
وقد نسلوا ن كل أوبٍ ووجهةٍ
إليها رجاءً أن ستكرم مثواها
فأهلا وسهلا بالوفود ومرحبًا
ويُبدلُ من لم يأتها أوه من واها

- قصيدة مدح لمدينة، أو هو وصف لها؟ أظن أن الشاعر قد وصفها مادحًا لها، ومعجبًا بتخرج أبنائها، ولها مكانة علمية في طول الهند وعرضها، وهو الذي امتلك ناصية اللغة العربية وفنونها، وتراكيبها السهلة منها والمعقدة، وأتى على بحور الشعر واختار منها ما يناسب معنى القصيدة، وينسجم مع الفكرة التي يطرحها.

- عاش الأستاذ عبدالعزيز مع مجموعة من العلماء الأفاضل، ويحدث أن يغيب عن الدنيا بعض هؤلاء، فما من الشاعر إلا أن يعبر عن أسفه لغياب ذلك العالم الكبير، فقد انتقل إلى رحمة الله أستاذه الشيخ محمد بشير السهسواني، فينظم شاعرنا مرثية فيه، يقول فيها:

ما لهذي العيونِ منهمرات
ناحياتٍ من شجوها نائحات
جائدات بأدمعٍ فائضات
هاميات لموت ذي السالفات
كنظامِ الفريد قد سقطت منه الـ
ـلآلي بحمق بعض البنات
لا لا لف نأي ولا غربة شـ
ـطت ولا مثلها من الهنوات
بل لبحر العلوم قد غار في الأر
ض فيا للرجال من نائبات
كان في العلم مرجع للناس طرا
والذكا آية من الآيات
كان في الهند كوكبًا درّيًا
ساطعًا في حوالك الظلمات
يا لرزء الدهلي فقد أفل البد
ر والمنبر المضيء في الحفرات
كنت فينا نديًا فقيهًا فريدًا
بعد إبداء سيد السادات
ألمعي قرم نذير حسين
صاحب المكرمات والسابقات
فحويتَ الميراث فرضًا وتعصيـ
ـبًا على رغمهم جميع الجهات
ثم أصبحت تأمر الناس بالعر
ف وتنهاهم عن المنكرات
كنت تهدي الأنام نحو الرشاد
ثم تغشاهم بخير العظات
فغدا الناس بعد دفنك في التر
ب على نهجهم إلى الموبقات

وارث العلم عن بشير نذير
ناشر الحق بين أهل الترات
بشير محمد في البرايا
سيّد الرسلِ صاحب الخارقاتِ
ولعمري لقد غدا العلـ
ـم يبكيه غريبًا بأدمع هاطلات
لم يجد صاحبًا يصاحبه في
ذي البلاد الكثيرة البدعات
جعل الله لحده جنة محت
فة بالمنى وبالشهوات

- هكذا يكون الرثاء، قمة في بيان موضع المتوفي في المجتمع، فهو عالم نشر علمه بين الناس، وبين طلاب العلم، وكان إمامًا في الدعوة والإرشاد، كان هدفه مصلحة الناس، وخدمة للدين الحنيف.

- وله قصيدة يمدح بها حاكم ولاية رامبور، النواب حامد علي خان، وكانت له أيادي بيضاء على العلم والتعليم، يقول فيها:

طاب الزمانُ وراق منظره لنا
وتحبس الأنواءُ فاخضر الدنا
وصفت مياه بالقناة كأنها
قلب المحب ضميره قد أعلنا
وكأنَّ شيخُ الأرضِ أصبح منكرًا
عود الشباب فجاء مزن موقنا
وشدا الحمامة في فصاحة لسنه
فأمال من أغصانها ما اخشوشنا
واجتاب وجع الأرضِ حلة سندس
خضر تراه مهلهلا ومزينا
واحمر خدّ الوردِ من لطم الصبا
وبكى دمًا كالصب ثنت أذعنا
والنرجس الغضُّ الطريُّ محملق
فكأنه يرنو الأمر ما عنى
هو المروّة والفتوةُ والشجا
عةُ والضلاعة والتواضع في الغنى
ألفيتُ محتويًا عليها في الصبا
حامد علي النواب ذاك المحسنا
من بيتِ مكرمة بنى أسلافه
منها بأكمل ما بنوه وأتقنا
يفنى الطرائف والتلاد وباقي
الذكر الجميلِ بعد خير المقتنى
أقصر سحاب لا تحاك نواله
لغياث ملهوف وإسباغ المنى
رأسٍ إذا طاش الحلوم موفرًا
لرؤية جلّى وخطب يعتنى

وأراد طائر عزمه قطف العلى

فعلا على نخلِ المعالي واجتنى

شق الآلاء من اسمه وحبيبه

اسمًا له خير السمات مرقنا

فالله محمودٌ وأحمد حبه

فالحامد الزاكي الجواهر معدنا

صادقت عرصته السما وجنابه

زحل النساء ووجهه شمس المنى

والمصطفى بدرًا منيرًا حوله

يجني من الطوق القطائف والجنى

غدت بمدحته البلابل في الربى

وبفضله حلف الشقاوة آمنا

يشفى مريض الموت من نفثاته

وكلامه وبزيل داءً مزمنا

ويرى الدراية والتقى مستحنًا

ويرى الجهالة والخنا مستهجنا

• نظم الشاعر هذه القصيدة في حوالي سنة ١٩١١م، وهو مازال شابًا، ولكنه مملوء علمًا وحكمةً، الشاعر والأديب والمحقق الأستاذ عبدالعزيز الميمني يمتلك القدرة والمعرفة والعجم اللغوي لينظم قصائد على مستوى رفيع من الأداء المميز لتخرج من فكره قصائد فيها كل ما يحتاجه الناقد من علامات النضج الفكري والفني لبناء قصيدة، أما المعاني فقد كانت قمة الاختيار في الرثاء أو المديح أو الوصف، وكثير من الناس لا يعرفون الميمني شاعرًا، فهو باحث وناثر ومحقق للتراث العربي، وهو أيضًا لا يسمي نفسه شاعرًا، ولم يصدر ديوان شعر، بل شعره مبثوث في المناسبات، أو منشور في مجلة، ولكنه شاعر فحل من أشعر الشعراء.

• جال خياله في المديح والرثاء، وأخرج تناسقًا بين المعنى واللفظ، وأسلوب شعري رصين، وتراكيب جمل واضحة المعنى جميلة المخرج لا غموض فيها، ولم يضع ألفاظًا تحتاج إلى جهد لمعرفتها، مع أسلوب راق لا ينزل إلى مستوى الإنسان العادي، ولا يرتفع على مستوى المثقف، وشعره يعكس مستوى تفكيره وثقافته، وما يمتلكه من قدرة لغوية وفنية لبناء قصيدة ذات معنى.

• وهب الله الشاعر عبدالعزيز موهبة شعرية مع اتساع في الخيال الشعر، وقدرة كبيرة من المعجم اللغوي، وحفظ مئة ألف بيت من الشعر العربي، كل هذا أدى إلى أن تكون الصورة البلاغية الفنية عنده جديرة بالتوقف والتأمل، حيث وظف البيئة من أشجارها وزهورها، والأنواء ليصنع صورة فنية بلاغية، أدت دورًا كبيرًا في المديح والرثاء والوصف، فكان بحق شاعرًا مميزًا.

****

عبدالعزيز ولي اللّه الدهلوي

١١٥٩ - ١٢٣٩ هـ / ١٧٤٦ - ١٨٢٣ م

- هو العالم الشيخ عبدالعزيز بن ولي الله بن عبدالرحيم العمري الدهلوي[١]، لقبه سراج الهند، ولد صنة ١١٥٩هـ، الموافق ١٧٤٦م، وتعلم على يد والده جميع الأمور الفقهية والدراسات الإسلامية، فحصل على الدراية العلمية ، ولما توفي والده كان في السادسة عشرة من عمره، فقرأ على أشهر علماء عصره، وأصدقاء أبيه، منهم الشيخ نور الله البرهانوي، والشيخ محمد أمين الكشميري، وأجازه الشيخ محمد عاشق بن عبيد الله، واستفاد منهم ما فاته من أبيه، وأكمل دراساته على غيرهم من العلماء.

- قرأ معظم كتب الحديث مع تعليقات والده وغيره، مثل صحيح البخاري ومسلم، وشمائل الترمذي، والحصن الحصين، وجامع الترمذي، وكتب الصحاح الست، وغيرها من الكتب، وكانت له هواية الرمي والفروسية والموسيقا، وأخذ العلم فراءة على يد كبار العلماء، حتى أصبح أحد أشهر علماء الهند، ولقبوه بحجة الله، وسراج الهند، وتهافت عليه الطلاب ينهلون من علمه وفضله.

- كان يدرّس ويفتي، ويساعد كل ذي حاجة علمية، ويرشد الناس لطريق الحق، ويخطب في الصلوات، وكان يمشي بين المدرسة والمسجد، ويترقب الناس قدومه والسلام عليه، ويجيب عن أسئلتهم، وقد أصيب بأمراض متعددة، ولكنه لم يفقد السلوك الحسن مع الناس، مع لطف المحاضرة وفصيح المنطق، وجميل المذاكرة.

- وللشيخ الشاعر عدة مؤلفات منها:
  - **فتح العزيز، في تفسير القرآن الكريم.**
  - **الفتاوى في المسائل المشكلة.**
  - **تحفة الاثنا عشرية.**
  - **بستان المحدثين.**
  - **العجالة النافعة، بالفارسية.**
  - **ميزان البلاغة، في علم البلاغة.**
  - **ميزان الكلام، في علم الكلام.**
  - **السر الجليل في مسألة التفضيل.**
  - **سر الشهادتين، في شهادة الإمامين الحسنين. عليهما السلام.**
  - **رسالة في الأنساب.**
  - **عدة حواشي في المنطق.**
  - **شرح أرجوزة الأصمعي.**
  - **تخميس قصائد والده، البائية والهمزية.**

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٧ ص ٢٧٤. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١١ ص ٢١٦.

- له أشعار كثيرة عربية، وما أورده المصدر قليلة.

- قال عبدالحي الحسني عنه: « كان نسيجًا وحده، في النظم والنثر، وقوة التحرير، وغزارة الإملاء، وجزالة التعبير، وكلامه عفو الساعة، وفيض القريحة، ومسارعة القلم، ومسابقة اليد.» وله قصيدة يقول فيها:

يا سائرًا نحو بان الحي والأسلِ
سلّم على سادة الأوطان ثم قلِ
ما زلتُ في بعدكم كالنار في شعلٍ
والأرض في كسلٍ والماء في مللٍ
أريد لمحبة وصلٍ استضيء بها
في ظلمة الهجرِ ضاقت دونها حيلي
إني صليتُ على أنسٍ وتذكرة
لأهلِ ودي وخلق المرْ لم يحلِ
فلا أزالُ بأبكاري أسائركم
إن خدمت كرام الخيلِ والإبلِ
ما العيش إلا خيالاتٍ أوجهها
إلى ذراكم لدى الأسحارِ والأصلِ
أعلل النفس بالآمال أرقبها
ما أضيق العيش لولا فسحة الأملِ
لعلَّ إلمامكم بالدار ثانية
يدب منه نسيم البرء في العللِ
أرجو اللقاء بميعادٍ وعدتُ به
والخلف بالوعد منكم غير محتملِ
فإن عزمتم على إنجاز وعدكم
سعيتُ في طلب الأسباب والوصلِ
أردتُ تفصيل آمالي فعارضني
خوف السآمة في الإكثار والملِلِ
لازال مجدكم في الدهر منبسطًا
وظلكم فيه عنا غير منتقلِ

- قصيدة رائعة في الغزل، يحتذي بها شعراء العرب بل ضمنها بيتًا لشاعر عربي، وهو الطغرائي، من قصيدته لامية العجم، ويبدو أنه يحفظها، ويحفظ كثيرًا من الشعر العربي، وحتى طريقة النظم هي طريقة شعراء العرب، في البحر والمعنى والأسلوب والألفاظ، فهو شاعر متمكن من أدوات النظم باللغة العربية.

- وله قصيدة في مدح رسول الله-صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- وهي قصيدة طويلة، يبدأها بالنسيب على عادة شعراء العرب القدامى، يقول فيها:

ألا يا عاذلي دُم في ملامي
فإنّي لا أحولُ عن الغرامِ
فجفني ساهرٌ ما دمتُ حيّا
وقلبي هائمٌ والدمعُ هامي
فيا ريح الصَّبا عطفًا ورفقًا
إلى ذاك الحمى بلّغْ سلامي
وقل يا أهلَ ودي في هواكم
مضى شهري وأيامي وعامي

وصـرتُ بـعدكم كـالـعودِ جسمي
عـلـى نـار ودمـعـي فـي انسجـامِ
إلام تـظـاهـرون عـلـى كئيبٍ
كـسـيـر الـقـلـب صـبٌّ مـسـتـهـامِ
إلام الـهـجـرُ والإعـــراض عني
وحـتَّـم الـتـمـادي فـي الخـصـامِ
غـرامـي ثـابـتٌ غـض طـريٌّ
وحـبـكـم عـلـى طـرف الـثُّـمـامِ
نـسـيـم عـهـدكـم يـا أهـلَ ودي
كـأنـا مـا الـتـقـيـنـا فـي مـقـامِ
فـإن عـدتم لـوصـلٍ والـتـآمِ
فـأهـلا بـالـعـنـاقِ والـلـزامِ
وإن جـرتم عـلـيَّ فـلـي غـيـاثٌ
بـبـاب المـصـطـفـي خـيـرُ الأنـامِ
إلـيـه تـوجـهـي ولـه اسـتـنـادي
وفـيـه مـطـامـعـي وبـه اعـتـصـامي
أجـرنـي سـيـدي مـن ضـيـمِ سُـقـمٍ
أشـدُّ عـلـيَّ مـن وقـع الحـسـامِ
صـبـرتُ عـليهِ حـتـى عـيل صبري
وكـاد يُـذيـقـنـي طـعـم الحِـمـامِ
فـمـدحـكَ رقـيـتـي وشـفـاء دائـي
إذا مـا خـضـتُ فـي لجـج الـسـقـامِ
وذكـرك سـيـدي حـرزي وحـصـنـي
آتـيـه بـه عـلـى جـيـش الـلـهـامِ
مـواهـبـكَ الـتـي لا نـقـض فـيـها
بـهـا ربـيـت مـن قـبـل الـفـطـامِ
فـمـن لـي بـعـدمـا وعـنـت عـظـامي
إذا اشـتـدَّ الـبـلاءُ سـواك حـامي
وإن أك ظـالمًـا عـظـمـت ذنـوبـي
فـحـبـك سـيـدي مـاحـي الآثـامِ
فـقـد أعـطـيـتَ مـا لـم يـعـطِ خـلـقٌ
عـلـيـك صـلاة ربـك بـالـسـلامِ

- عالم مميز، وفقيه مميز، وأيضًا شاعر مميز، فلا شك أنَّ العلامة الشيخ عبدالعزيز استطاع أن تكون له شهرة كبيرة في أنحاء الهند، ويطلقون عليه الألقاب التي يستحقها، سراج الهند، وحجة الله، وشاعر الهند، وهو كذلك في دروسه وفتياه وكتبه ومحاضراته، أتعب نفسه بالدراسة، واستقى المعرفة من مصادرها الأصلية، من والده الفقيه، ثم من العلماء، وحاز على إعجابهم ورضاهم عن دراسته، وأجازوه بما عنده من علم.

- حفظ شعر العرب، وانعكس ذلك على جودة القصائد التي ينظمها، تبع نمط الشعراء العرب القدامى في بدايات قصائدهم، وأساليبهم في سبك القصيدة، وتناسق أبياتها ومعانيها، فجاءت القصيدة لؤلؤة القصائد، تملك القاموس اللغوي بألفاظه المختلفة، ووظفها في خياله الشعري، ومرج بين اللفظ والمعنى، حتى أنك لا تستطيع أن تفصل بينهما، بحور الشعر العربي وفنونه كانت تحت

يديه، يديرها كيف يحلو له، بشكل لا يخرج عن هدف القصيدة، فصارت قراءة القصيدة قصة بين يديك، والشاعر أحب للغة العربية ففاض ذلك الشعور بقصائد مبدعة.

****

عبدالعلي الإسماعيلي

١١٨٩ - ١٢٣٤ هـ / ١٧٧٥ - ١٨١٨ م

• هو عبدالعلي سيف الدين بن زكي الدين بن بدر الدين الإسماعيلي[1]، ولد في جام نكر، ولاية كجرات سنة ١١٨٩هـ، الموافق ١٧٧٥م، درس المرحلة الأولى في بلدته، ثم تلقى العلوم المدرسية على يد الشيخ رحمة الله بن الحسن الإسماعيلي، وأتقن اللغة العربية، ثم لازم الشيخ هبة الله بن ولي محمد الإسماعيلي الكجراتي، ومن بعض علماء عصره، وكان داعية إسماعيلي، وله مصنفات منها:

• المجالس السيفية الذي ألفه باللغة العربية سنة ١٢٢٤هـ، الموافق ١٨٠٩م، ومن خلال هذا الكتاب كان يدرّس أتباعه على مذهب البهرة ، وكان رئيسًا لطائفته، كما أسهم في إنشاء مؤسسة علمية، وأنشأ معهدًا علميًا، تحول فيما بعد إلى جامعة باسم، الجامعة السيفية، وكان عالمًا دينيا إسلاميًا في طائفته.

• كان الشيخ عبدالعلي شاعرًا جديدًا، متضلعًا باللغة العربية، لذا نظم بها قصائده، منها التضرع لله سبحانه وتعالى، ومنها نصائح للمجتمع، ومن قصائده في التضرع إلى الله، قوله:

إنّـي دعـوتـك يـا إلـهـي طـالـبًـا
مستجديًا مستوهبًا بل راغبا
هـبْ لـي ومـن هـذا سـواك أؤمّـهُ
مستوهبًا إن لم تكن لي واهبا
ولـقـد أتـيـتُـكَ أرتجـي مـا أرتجـي
حاشاك أرجـعُ عن جنابك خائبا
لـم أرْجُ غـيـرَكَ في صلاح فساد ما
عـمَّ الـبـلادَ مـشـارقًـا ومـغـاربـا
أحـسـنـتَ لـكـنّـي أسـأتُ إسـاءةً
وأتـيـتُ مـا لاقـيـتُ مـنـه مصايبا
أبدعتَني ورفعتَ من قدري وما
أهبطتني لو قد خطئتُ الواهبا
وجعلتني رجلا بصيرًا سامعًا
وأريـتـنـي ممـا خـلـقـتَ عـجـائـبـا

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٢ ص ٦٧١. عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٧ ص ٢٩٥.

ومنحتني نُطقًا وعقلا وافرًا
ووهبتني ذِهنًا وفِكرًا ثاقبا
فاختم بخاتمةِ العبادة والتقى
عمري وخَلّصني تقيًا راهبا
وارحمْ عُبيدَكَ إذ يجاور قبره
وارفقْ به لما يراكَ مُحاسبا
واجعلْهُ فيكَ وفي رجائك راسخًا
وعلى الذي يرضيكَ منه مواظبا

• هذا الرجاء والاستعطاف من الشاعر دليل على اتقانه للغة العربية، فقد استفاد من الألفاظ المعبرة عن الاسترحام، والملبية لحاجاته. وله قصيدة يحث بها الناس على طلب المعالي والرفعة، والابتعاد عن التكبر، ونبذ الجهل، ويدعو لاستعمال العقل في أمور الناس، يقول فيها:

اللَّهْوُ عن كسب المعالي مانعٌ
وقتٌ مضى في اللهو وقتٌ ضائعُ
والنومُ للراجي بلوغَ الغاية الـ
ـقصوى مُضرٌ والتنبهُ نافعُ
والكِبر خافضُ من تعاطاهُ من الـ
ـمتكبرين كما التواضعُ رافعُ
والجهلُ عند ذوي البصائر غيهبٌ
متراكمٌ والعقلُ ضوء ساطعُ
فلينهض العقلاء في كسبِ العُلا
ممن لأشتات المعالي جامعُ

• يدعو الشاعر لاستعمال العقل في كل الأمور، فهو زينة الإنسان، والإنسان العاقل له مكانة اجتماعية كبيرة في المجتمع، ويحتاجه الناس في حل كثير من مشكلاتهم.

• وله قصيدة أخرى فيها تنبيه للإنسان الذي يسعى للمعالي، والجد والاجتهاد، فالله سبحانه لا يضيع جهدا بذله إنسان يريد به وجه الله، فكل سعي هو عند الله مقدر ويثاب عليه، يقول فيها:

إنَّ الجديرَ بحمده وثنائه
حامي الرشادِ بجهده وعنائهِ
ما كان للإنسان إلا ما سعى
ذخرًا له لأمامهِ ووراءهِ
اللهُ أعلى أن يضيّعَ سعيهُ
فيهِ ويُحرمه عظيم جزائه
أثار من يسعى لخالص وجهه
مشكورةٌ في أرضهِ وسمائهِ

• لا شك أن هذا الشاعر قد أتقن النظم العربي، وصاغ أبياته على منوال الصالحين من الشيوخ، الذين يرتبطون بالله سبحانه وتعالى، فينصحون الناس بالانتباه لحالهم، وسلوكهم، فقد استخدم الألفاظ الدالة على الأفكار التي

يتبناها الشاعر، مع سبك جيد للأبيات، وتناسق بين اللفظ والمعنى.

- وعلى الرغم من قلة خياله إلا أنه أجاد في صناعته الشعرية، وكانت البحور مناسبة، تتناسب مع القوافي الذلل، فلا معاضلة ، ولا غموض في أبياته ، فهو صريح وواضح، وهكذا دائما الناصحون، لأنهم يريدون الفهم والإدراك للمعاني التي ينظم بها شعرهم.

****

عبدالعلي خان الرامبوري

١٢٠٣ - ١٢٨٥ هـ / ١٧٨٨ - ١٨٦٨ م

- هو المولوي عبدالعلي خان بن عبدالرحيم بن محمد سعيد تراهي الرامبوري[1]، ولد في رامبور سنة ١٢٠٣هـ، الموافق ١٧٨٨م، وتعلم على يد أبيه، وقرأ المختصرات والكتب المدرسية الابتدائية، وكذلك على يد الشيخ المولوي غفران، وأخذ العلم أيضًا من المفتي زبير خان، وكان متوقد الذهن، وحافظًا للقرآن الكريم، ودرس الفقه، وأصول الفقه، والدراسات الإسلامية حتى أصبح مفتيًا في المحكمة.

- تولى الإفتاء في المحكمة، في رامبور، وكان يقرض الشعر في اللغتين العربية والأردية، وله أشعار ومقطعات كثيرة، ولكن المصدر لم يذكر لنا سوى بيتين من الشعر، وهذا قليل على ترجمة أي شاعر.

- بيتان يخاطب بهما ابنه المولوي عبدالغني خان، يقول:

فاجهد بطاعته واقصد بمرضيته
واتبع ما عن القرآن مفهومُ
استغفر الدنيا وصر سائلا أبدا
ولا تقنط فأنت مهد مرحومُ

- يدل هذان البيتان على قدرة في قرض الشعر باللغة العربية، فهو يحسن النظم، بأدوات النظم، وبحر عروضي مناسب لنظمه، لكن لا خيال فيهما، فهذه الأبيات نصيحة أب لابنه، الغرض مباشر، لا غموض فيه ولا استعمال للفظ غير مناسب، يدعو الأب ابنه أن يطيع الله سبحانه وتعالى، ويتخذ من القرآن الكريم هاديًا ومرشدًا، ويقول له كن في الدنيا كأنك سائل، كأنك تسأل، بمعنى أن لا تتكبر في الدنيا وترى نفسك فوق الكل، ولا تقنط من الحياة، فهي دار مؤقتة، وستكون مرحومًا في يوم من الأيام، فهذا إرشاد الأب لابنه.

****

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٦٠.

عبدالغفور البسكوهري

١٣٠٠ - ١٣٩٩ هـ / ١٨٨٢ - ١٩٧٨ م

• ولد الشيخ عبدالغفور بن جعفر خان البسكوهري[١] بقرية بسكوهر حوالي سنة ١٣٠٠هـ، الموافق سنة ١٨٨٢م أو نحو ذلك، وتعلم في قريته، ودرس المرحلة الابتدائية على يد الشيخ المولوي مقصود علي خان الشاه جهانبوري، وأكمل تعليمه في الآداب والعلوم في المدرسة العالية بديوبند وعلى أيدي الشيخ المولوي إعجاز علي والمولوي محمد إبراهيم المليلاوي، وأخذ شهادة الحديث من الشيخ الشاه أنور الكشميري.

• امتهن التدريس في مدرسة بسكوهر، ومدرسة بحر العلوم في أنتري بازار، وسراج العلوم السلفية (نيبال)، ودار الحديث الرحمانية بدلهي، ثم درّس في الجامعة الإسلامية، فيض آباد، بمئو، ومارس التدريس أيضًا في الجامع الأعظم بدلهي، وسراج العلوم في داره لوهنه، وكان يعمل بصمت دون دعاية أو ضجيج إعلامي، وكان أستاذًا مثاليًا وخطيبًا مفوهًا.

• نظم شاعرنا قصائد كثيرة، ولكنها مبعثرة، لم يضمها ديوان واحد، وفي قصيدة ترحيبية نظمها بمناسبة زيارة الملك سعود بن عبدالعزيز ملك السعودية، سنة ١٩٥٥م، ورحب فيها به، يقول فيها:

أهـلا وسـهـلا بضيف وارد جـلـلِ
ومرحبًا بعظيم العُرب ذي الدولِ
يـا سيـدَ الـعـرب الـعـربـاء قائدها
وســـــرور قـلـــوب قـــرة المـقـلِ
قد كنت ألغي لـقـاءً منك من زمن
فـالـيـوم تمَّ وربـــي منـتـهى أملـي
الـعـين فـي قـرة والـقـلـب فـي فـرح
وسـائـر الجـسـم فيـه هـزة الـثـملِ
لـعـلـهـا حـركـات الـفـلـك مـن مـرح
ودارت الأرض مثل السائس الجذلِ
نـرى وجـوه جميع الـنـاس نـاضرة
وأظـهـروا بـهـجـة فـي كـل مـحـتفلِ

• كلمة عادية ترحيبية بضيف الهند في ذلك الوقت، لا شيء فيها غير النظم، المعتاد، والألفاظ مناسبة للمعنى المراد، واختار بحر مناسب، وقافية من الذلل، ولا يوجد خيال شعري، لذا لا صور بلاغية في القصيدة. ونظم أيضًا قصيدة تتكون من اثنين وستين بيتًا بمناسبة عقد مؤتمر كبير لجمعية أهل الحديث، التي انعقدت في شعبان سنة ١٣٤٦هـ، الموافق ١٩٢٨م، يقول فيها:

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٣٢٧.

أيعجبُ سلمى قول من كان واشيا
بهائم القلب لم يكن قَطُّ قاليا
يقول لها لا تقربي منه ساعةً
وقولي له إذ جاء لا تك دانيا
لحا الله أقوامًا وشوا بي عشيةً
أردنا اللقا ليلا وتمّ نشاطِيا
أطاعت على رغمي وشاتي للنوى
وصاح غراب البين ألا تلاقيا
أنامُ وسلمى في سويداء خاطري
وأذكرها إذ صرت يقظان صاحيا
ألا قاتل الله الفراق فإنه
يفرق بين الناعمين تلاقيا
أمرّ مصيفي من نواها ومربعي
وكدّر عيشي بعدما كان صافيا
خلسليَّ جئنا نبكِ من ذكر منزلٍ
نكون به نلقى حسانًا غوانيا
نعدّ هنا طيب السرور لمجلسٍ
يكون به صوت المزامير عاليا
نبا بي فأضحى للطيور أكنةً
ويعوي به سِرحان بيدٍ لياليا
أصاح ترى آثاره بفنائه
تذكرنا عهدًا بجوزاء ماضيا
لقد قتلت بي عائبين ففارقت
وكنت بربي صادق الحب صافيا
كما اختار بعض الناس تقليد بعضهم
فأعرض عن ختم الرسالة عاصيا

• هذه قصيدة قوية السبك، ظاهرة الجمال، نرى فيها خيال الشاعر، نظمها لأجل عقد مؤتمر، ولكنه أدخل الغزل فيها، فبدت مشوقة جميلة اللفظ والمعنى، استطاع الشاعر أن يمزج بين اللفظ والمعنى، واستخدم النمط القديم من نظم الشعر، كما أن آثار الشعر العربي واضحة في كلماته وأبياته، وكان خياله قد طغى على هدف القصيدة، وأبرز شخصه من خلال القصيدة، فكأنه يتحدث عن تجربة شخصية، لا عن مؤتمر لرجال الحديث.

****

عبدالغفور نيّر الدانابوري

٠٠٠ - ٠٠٠ هـ / ٠٠٠ - ٠٠٠ م

• هو الشيخ عبدالغفور نيّر بن إلهي بخش الدانابوري[1]، ولد في دانابور، ولا نعرف متى، ولكنه عاش في القرن العشرين، درس العلم الديني على يد مولانا فيض الله المئوي ، وعلى غيره من العلماء، ثم درس الحديث على يد

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ٢٧١. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج١١ ص ٣٥٣ نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١٣٦. .

نذير حسين الدهلوي المحدث في دلهي، وله مصنفات، لم تذكر، وله قصائد باللغة العربية، أورد له المصدر قصيدة غزلية واحدة، يقول فيها:

بانت سُليمى فما شيءٌ يُسَلّينا
ولوعةُ البين تَشوينا وتُصلينا
قامت تودّعني والهجرُ يمنعها
وقمتُ عانقتُها والحزن يُبكينا
تقول صبرًا جميلا لا تمت أسفًا
أعطاك ربي غداةَ البين تسكينا
فيا لها تركتني هائمًا قلقًا
وودَّعتني وداعًا لا تبالينا
القلبُ ملتهبٌ والعينُ ذارفةٌ
وشبَّ نارُ الهوى والدمع يُروينا
غيداءُ فاتنةٌ هيفاءُ ناعمةٌ
تحكي نسيمَ الصَّبا أعضاؤها لينا
شمسٌ إذا طلعت برقٌ إذا برزت
فتّانةٌ بسهام العين ترمينا
كأنها في ظلام الليل إذ خرجت
برقٌ تنوّرَ من تلقاء بلقينا
خَوْدٌ غدائرها طالت إلى قدمٍ
والفرعُ يحكي سوادًا من لياليا
نفديك شوقًا تعالي واسمحي كرمًا
اللحظُ من طرفك المِمراض يشفينا
حتامَ نشكو بقلبٍ نازحٍ قلقٍ
متنا وإنَّ لقاءً منكِ يُحمينا
ماذا جنينا وليس الحبُّ معصيةً
بأي ذنبٍ هداكِ الله تقلينا؟
مالت إلينا فولّت بعدها ركنت
صدّت فسلّت لنا سيفًا وسِكّينا

- قصيدة جميلة، وقدرة على النظم كبيرة، ويمتلك الحس الشعري بكل محتوياته التركيبية والأسلوبية، ويبدو أنه يحفظ كثيرًا من قصائد الشعر العربي، ويظهر ذلك من خلال هذه القصيدة، استطاع الشاعر أن يثبت تمكنه من اللغة العربية، والشعر العربي، فهو يمتلك المهارة الفنية، والخيال الشعري لينظم قصيدة بمثل هذه القصيدة الجميلة، ولكن مع الأسف لم نر قصيدة أخرى على جانب هذه القصيدة، فهو شاعر ممتاز، يستطيع أن ينظم بكل مقدرة وكفاءة.

- يبدو أن أحد المصادر قد خلط بين قصيدتين من ذات الروي والبحر، بين قصيدة غزلية، كما أوردها عبدالحي الحسني، في نزهة الخواطر، وما أورده نثار أحمد الأعظمي، في ريحانة الشعر، وهذه القصيدة في مدح السيد حسين آل زهرا، حيث يقول فيها:

بلّغ سلامي أيا ريح الصبا كرمًا
دار الكرامة دهلي فيه هادينا
ذاك الإمام الذي جلت محاسنه
قد أرسل الله نورًا ساطعًا فينا
حبرٌ أديبٌ كريمٌ عارف فطنٌ
محدّثٌ فاز ميراث النبيينا

بحرُ العلوم سماء الفضل مقتدرٌ
حَبر الزمان رفيع الشأن هادينا
حاز الفضائل دانيها وقاصيها
فاز المحاسن إعزازًا وتمكينا
نذيرنا عمدة السادات مولانا
حسين من آل زهرا سيد فينا
تنوّر الهند من أنوار بركته
به تزيّنت الدهلي تزيينا
يأتونه شتتًا من كل ناحية
أهلُ الحجاز وأهلُ الشرقِ والصينا
ما إن رأيت فقيهًا ماهرًا فطنا
محدثًا مثله حاز البراهينا
لولاه غي الهند ضلوا أهله شتتًا
وما عرفنا كتاب الله والدينا
سواه في الهند ليس اليوم معتمد
وما رواة سواه ليس يشفينا
عفا من الدهر آثار الهوى ومحا
رسوم بدع من الدنيا ليهدينا
أدامه الله حيًا نستفيد به
ويرحم الله عبدًا قال آمينا

• الشاعر عبدالغفور شاعر مبدع، متمكن من ألفاظ اللغة العربية، ويعرف كيف يوظفها لخدمة الفكرة التي ينظم بها قصيدته، ولا شك أن المعاني التي أوردها في القصيدتين معاني سامية، استخدم الكلمات المعبرة والراقية، دون معاضلة، وتطابق اللفظ مع المعنى، واستخدم البحر المناسب من بحور الخليل، مع أسلوب تقليدي في النظم، وقد أورد بعض الصور الفنية البلاغية، وخاصة في قصيدته الغزلية، فهو متمكن من موضوعات شعره.

• يستخدم الشاعر كل أدوات النظم الجيد من ألفاظ مناسبة إلى بحر مناسب إلى قافية ذلل، واستطاع أن يصنع قصائد ذات معنى لطيف، مع أسلوب سليم في الطرح الشعري، ولكن المصادر خلطت بين قصيدتين، لذا كان صعبًا فصلهما عن بعضهما، ولكن الشعر كان جيد السبك، ولا معاضلة فيه أو غموض.

****

عبدالقادر الحضرمي

٩٧٨ - ١٠٣٨ هـ / ١٥٧٠ - ١٦٢٨ م

• هو الشيخ عبدالقادر بن الشيخ عبدالله بن شيخ بن عبدالله العيدروس الحسيني الحضرمي الهندي[1]، ولد

(١) نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٥ ص ٢٤١.عبدالقادر بن عبدالله العيدروس، النور السافر عن أخبار القرن العاشر ص ٤٤٤. المحبي، خلاصة الأثر ج ٢ ص ٤٤٠.

في أحمد آباد، الهند، سنة ٩٧٨هـ، الموافق ١٥٧٠م، أصل والده من حضرموت، وأمه هندية، تعلم على يد والده الشيخ عبدالله، فحفظ القرآن الكريم، وتعلم اللغة العربية والأدب، وقرأ النحو والصرف، وسلك في طريق الصوفية العيدروسية، وكان يحرص على اقتناء الكتب، ويرسل في طلبها من الأماكن البعيدة، فأصبح مثقفًا شموليًّا ، وألف عدة مصنفات وكتبًا نافعة ، وبعضها في مجالها الأولى، منها:

- **النور السافر عن أخبار القرن العاشر.**
- **إتحاف الحضرة العزيزة بعيون السيرة الوجيزة.**
- **أسباب النجاة والنجاح في أذكار المساء والصباح.**
- **الأنموذج اللطيف في أهل بدر الشريف.**
- **تعريف الأحياء بفضائل الإحياء، إحياء علوم الدين للغزالي.**
- **الحدائق الخضرة في سيرة النبي وأصحابه العشرة.**
- **الدر الثمين في بيان المهم من علوم الدين.**
- **الروض الفاخر فيمن اسمه عبدالقادر من أهل القنين التاسع والعاشر.**
- **الحواشي الرشيقة على العروة الوثيقة.**
- **صدق الوفاء بحق الإخاء، وهو سيرة أحمد الحضرمي.**
- **عقد اللآل بفضل الآل.**
- **فتح الباري بختم صحيح البخاري.**
- **المنتخب المصفى بأخبار مولد المصطفي.**
- **المنهاج إلى معرفة المعراج.**
- **ديوان: الروض الأريض والفيض المستفيض، ديوان شعر.**

- كتابه النور السافر كان من أفضل أعماله، وقد رتبه على السنوات من تسعمئة وواحد إلى الألف الهجرية، وجمع فيه أخبار وتراجم كثيرة عن هذا القرن، ونقل عنه بعض الباحثين والكتاب، وتوفي الشيخ عبدالقادر سنة ١٠٣٨هـ، الموافق ١٦٢٨م.

- أما شعره فقد ضنت المصادر في نقل قصائده وأشعاره إلا القليل منها، وقد تم نشر بعض المقطعات منها:

إذا ما اشتد ليل الهموم ودجا
جعلتُ إلى أهل بدر الالتجا
ما خاب عبدٌ لهم قد رجا
ومتى توسل بهم لله فرجا

- وله أيضًا:

قَسمًا ببديع جماله وبيان لسانه
إنّي لمعاني آداب صفاته رقُّ
فقهتُ من منطقه حديثهُ
وفهمتُ من دِقّة خصره سر يرقُّ
وأينما كنتُ فقلبي طائرٌ نحوه
ومتى أردتُ صرفهُ رأيته يشقُّ

- وله أيضًا:

شافعي أحمد لي عند مالكي
وما خاب من أحمد له شافعُ
بل حقيقٌ أن يغفرَ له زلاته
وينعم عليه بالذي هو طامعُ

• ومنه قوله:

أيّها العاذلون أقصروا عن عتابي
إنّني استعذبتُ في العشق عذابي
ليس لي غير الغرام شَرعًا
إنّني فيه مرسل بالكتابِ

• ومنه قوله:

يا رسولي إذا وصلتَ رَسُو
لِي فهنِّ هناك نفسك بالوصولِ
وإذا جزتَ حيَّهم أجرٍ ذكري
والطفِ القولَ كي يرقوا لنحولي

• هذا الشاعر له أبيات جيدة وجميلة، وذات معنى عميق وكبير، فلماذا لم تنشر له قصائد من ديوانه؟ !

• وقوله أيضًا

مريدي أصدق تنل ما تريدهُ
فكل ذا على الله ليس ببعيدِ
تريدُ قربَ مولاك يا صاحبي
تقرَّب فهو أقرب من حبلِ الوريدِ

• ما أجمل هذا المعنى الكريم، فهو يلخص تخوف بعض الناس من التقرب إلى الله لأن الذنوب تحث على التفكير.

• وله أيضًا:

لما كان حبيبي أصل مبدأ الوجود
وكان في الخلقِ للرسل ختام
صحّ أنهم بيت حُسنٍ بدا
لكن حبيبي كان لحسنهم التمام

• ومنه قوله:

قالت محاسنه تطيق فراقي
ناديتها لا صبرَ لي لا صبرَ لي

• وقال أيضًا:

أنا شيعيّ لآل محمدٍ
ومن مذهبي حبُّ شيعتهِ

• مدح الكتاب والشعراء السيد عبدالقادر العيدروس، نثرًا وشعرًا، ونشروا ذلك على الناس، ولكن بخلوا عن نقل قصائده، ومقطعاته، أو جزءًا من ديوان شعره، فهو شاعر جيد قوي السبك متناسق الألفاظ مع المعاني، استخدم البحور الخليلية، والأسلوب العربي في النظم، ومثل هذا الشاعر لا يجب إهماله، أو غض الطرف عن أشعاره،

وديوانه الذي يضم خمسين ورقة، وكلها أشعار لها قيمتها المعنوية، والفكرية، موضوعات شعره متعددة، فيها الغزل، والوصف والمديح، وغير ذلك من موضوعات شعرية معروفة.

****

عبدالقادر الكندوري

١٣٥٤ - ... هـ / ١٩٣٥ - ... م

• هو الشيخ عبدالقادر مسليار الباقوي القادري الكندوري[١]، ولد في بترورنغادي سنة ١٣٥٤هـ، الموافق ١٩٣٥م، ونشأ ودرس المرحلة الأولى في كندور ، وتعلم الفقه وأصوله، ودرس الحديث الشريف خلال الدروس المساجدية، وتتلمذ على أيدي الشيخ محمد مسليار كرنغناد، والشيخ علوي مسليار إلانغلور، وتخرج الشيخ عبدالقادر من كلية الباقيات الصالحات سنة ١٩٦٥م، وكان ملجأ للفقراء والأيتام، لذا لقبوه باسم» غريب نواز بجنوب الهند»، ونتيجة لذلك أسس دار العلوم الغوثية لمساعدة الأيتام والطلبة المحتاجين.

• كان الشيخ عبدالقادر أحد شعراء المديح النبوي في ولاية كيرلا، وله قصائد في المديح والترحيب والمراثي، وكانت شهرته في المدائح النبوية، وقد جمع أصدقاؤه قصائده في ديوان باسم «القصائد القادرية في إظهار المحبة المصطفوية» ومنها قصيدة يقول فيها:

يا حماةَ ديننا ويا بناةَ مجدِنا
حولَ رايةِ الهُدى تجمعوا لديننا
وطّنوا نفوسكم على محجة الهدى
واصبروا وصابروا ورابطوا لديننا
ناضلوا عن ديننا ودافعوا عن بلا
خيفة وجاهدوا لحفظ عز ديننا
سارعوا ولازموا جمعية النجاة يا
حبذا جمعية الشبان حزب ديننا

• الشاعر عبدالقادر له مشاركات كثيرة في الحقل الاجتماعي، فمن ذلك تكريم الشيخ أبي بكر أحمد، حيث يقول فيه:

لوجهك في الإحسان بسط وبهجة
أنالهما قفو أكرم والد

(١) محمد فيصل تم بي ، تطور الشعر في كيرلا منذ الاستقلال (كلية دراسات الأدب، جامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية د. ت.) مخطوط، غير منشور. ص ٣٦. + محمد فيصل يم . بي ، موضوعات الشعر في كيرلا (جامعة الإنجليزية واللغات الأجنبيةد. ت.) كلية دراسات الأدب ص ٣٠.

لـديـك كـفـيـل بـالمـنـى لمـتـيـمٍ
يـتـامـى مـسـاكـين أرامـل بـالسعد
تـربـي صـغـارًا مـن يـتـامـى وتصلحُ
وتـنـصـح لـلإخـوان دأبـا كـوالـدِ
تشجع العلوم بانيًا للمساجدِ
ومـعـهـد ديـن لا تـبـالـي بملحدِ
وتـذكـر الـلـه الـكـريم بحبه
وحـبـي رسـول الـلـه مـنـه كـأوحـدِ
نـرحـبـكـم سـيـد الـقـوم رأسـنـا
رئـيـسًـا لـسـنـيـن أكـرم والـدِ
ويـا سـادة يـا قـادة ودنـا
نـرحـبـكـم تـرحـيـب أهـل المـوالـدِ
هـذا مـجـلـس يـذكـر خـيـر الـخـلائـق
عليه صلاة الله في اليوم والغدِ

- ويبين شاعرنا مديحه للعلماء المتواجدين في حفل التكريم، فيمدحهم ويعلي مراتبهم، غير أن شعره ليس فيه خيال شعري، إنما هو صف لكلمات مسجوعة، استعمل النمط القديم في الشعر، من حيث الوزن والقافية دون أن يبرز صفته كشاعر يقدم شعرًا جميلا، وإن كان ذا معنى لطيف بالترحيب والإطراء للممدوح وللسادة الحضور، ولكن لا تناسق بين اللفظ والمعنى، وتكرار لفظة «والد» في أكثر من بيت يضعفه، فهو ناظم لألفاظ عربية فصيحة.

****

عبدالقادر المليباري

١٣١٣ - ١٣٥٨ هـ / ١٨٩٥ - ١٩٣٩ م

- أبومحمد عبدالقادر بن يوسف بن صيفي بن محيي الدين البرمكي الفضفري المليباري[1]، من أصول عربية هاجرت منذ قرون إلى مليبار، ولد في دار مدتدسي سنة ١٣١٣هـ، الموافق ١٨٩٥م، تلقى العلم على يد والده حتى أكمل المراحل الأولى، ثم التحق بكلية الباقيات الصالحات، في بلدة «ويلور» فدرس على يد الشيخ محمد عبدالجبار الويلوري، والشيخ آدم بن عبدالرحمن، والشيخ محمد بن عبدالعزيز، وغيرهم.

- للشيخ عبدالقادر مؤلفات عدة، منها:
  - **مجموع الفتاوى.**
  - **تخميس قصيدة «البردة لكعب بن زهير».**
  - **ديوان شعر.**
  - **مجموعة «جواهر الأشعار»، مجموعة خطب ومراسلات شعرية.**
  - **خير الدارين، مجموعة من الأدعية.**

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ١٩٩. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية ج ١١ ص ٥١٦. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٦٧.

- شرح تهذيب الكلام، في المنطق.
- شرح غير الهدى، في قواعد النحو.
- منظومات متعددة.

• من أشهر قصائده ، قصيدة نظمها في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-. استخدمها ألفبائية:

أ: أمـــانٌ لـلـخـلائـقِ كـل حـالِ
أمـــيٌن ذو المـكـــارمِ والمـعـالـي

ب: بديعُ الحسن سامي المجد عالِ
بـهـيُّ الـوجـهِ ثـغـرهُ كـالـلآلـي

ت: تـقـيُّ الـقـلبِ خـير الخـلـقِ فيه
تمـــامُ مـلـوك أرضٍ كـالمـوالـي

ث: ثـمـالٌ لـلأرامـل والـيـتـامـى
ثـرورُ الجـــودِ فـي أهـل امـتـثـالِ

ج: جليل الـنـعـتِ ليس لـه مـثـالُ
جـمـيـل الـــذات بـحـرٌ لـلـنـوالِ

ح: حـوى كـل المـكـارمِ والمـزايـا
حـبـيـبٌ لـلإلـهِ ذو الـتـعـالِـي

خ: خـليلُ اللهِ أصل وجـود خلقٍ
خـتـامُ الأنـبـيـا عـالـي الـعـوالـي

د: دوام الـدهـر دام لـديـهِ فضلٌ
دهـــى إرســالـــه أهـــلَ الـضـلالِ

ذ: ذكـــيٌّ ذهـنـه فـطـنٌ بـلـيـغٌ
ذُرا كـل الـفـضـائـل فـيـه عـالـي

ر: رســولُ الـلـهِ أسـوة كـل ديـنٍ
رؤوفٌ بـالمـؤمـنـين بـلا زوالِ

ز: زمـــامٌ لخـيـر أجـمـعـه لـديـهِ
زهـــا فـــوق كـل فـــي الـفـعـالِ

س: ســراجٌ ســار كـالـبـدرِ الـتـمـامِ
ســرى لـيـلا إلـى عـرش الجـلالِ

ش: شريف الأصلِ والنسب العريقِ
شـفـيـعُ الخـلـق مـنـجٍ مـن نـكـالِ

ص: صدوقُ القولِ ذو النطق الفصيحِ
صـفـيُّ الـلـه ذو وصـف الـكـمـالِ

ض: ضـيـاءٌ لـلـوجـود لـه الـظـبـاءُ
ضِـبـابُ الـبـرّ شـاهـدة المـقـالِ

ط: طويلُ نجاد سيف الفصل جدًا
طـبـيـعـتُـه مـركّـبـة الجـمـالِ

ظ: ظـهـيـرٌ لـلأقـاربِ والأبـاعـدْ
ظـــلامَ الـكـفـر أجـلـى بـالـقـتـالِ

ع: عظيمُ القدر ذو الخلق العظيمِ
عـديمُ المـثـلِ فـي خـيـر الخـصـالِ

غ: غـيـاث لـلأنـام وغـيـثُ بـرٍّ
غـزا الأعـــدا بـسـيـفٍ والجـــدالِ

ف: فـتـوحـاتُ الإلـــه لـه كـثـيـرٌ
فـضـائـلـه تـزيـد عـلـى الـرمـالِ

ك: كـــريمٌ لا يـدانـيـه كـريمُ
كـحـيـل الـطـرف مـن غـيـر اكـتـحـالِ

ل: لئن شطرا لحسن نال يوسفْ
لأنت الأصل فيه بالكمالِ

م: محيّاك المليح لنا ملاذٌ
ملاحُ حُلاك تدعو للوصالِ

ن: نحبّكَ من صميمِ القلب حقًّا
نعادي من تُعادي لا نبالي

و: وإنَّك ذو جاهٍ عريضٍ
وسيلتنا بدنيا والمآلِ

ي: يفيض عليك صبّهما دوامًا
ينابيعًا وأصحابٍ وآلِ

• هذا ترتيب مبدع لشاعر جهبذ، استعمل الشاعر حروف المعجم ليسقط عليها مدحيته لرسول الله - عليه أفضل الصلاة والسلام - فكان يبدأ صدر البيت بالحرف، وكذلك يبدأ عجز البيت بالحرف نفسه، وعلى الرغم من صعوبة التوفيق بين صدر البيت وعجزه إلا أن شاعرنا كان متمكنًا من جميع حروف المعجم، ومن ألفاظه وكلماته، فكان بحق شاعرًا مبدع.

• ليس هذا الفن الذي سلكه الشاعر عبدالقادر في مدح رسول الله، ولكنه أيضًا نظم قصيدة أخرى مخمسة على منوال قصيدة لشاعر آخر، يبدأ باسم رسول الله، محمد، في صدر البيت وعجزه، يقول فيها:

محمدٌ أفضل المخلوق ذو العصمِ
محمدٌ صاحب القرآن والحكمِ
محمدٌ قاسم الأموال والنعمِ
(محمد أشرف الأعراب والعجمِ
محمد صادقُ الأفعال والكلمِ)
محمد جاءنا للرسل خاتمةً
محمد فائض النعماء وافرة
محمد منبع الخيرات راتبة
(محمد تاج رسل الله قاطبة
محمد خير من يمشي على قدمِ)
محمد سائفٌ للكفر جادعُهُ
محمد راحم للخلق نافعه
محمد ساخط للذنب قاطعهُ
(محمد باسط المعروف جامعه
محمد صاحب الإحسان والكرمِ)
محمد لنفاق الكفر غالظه
محمد هادم للشرك غائظُهُ
محمد مظهر للحق لافظه
(محمد ثابت الميثاق حافظه
محمد طيب الأخلاق والشيم)

• كانت لحياة الشاعر ارتباطات كثير بعلماء الهند، وكان يراسل بعضهم شعرًا، وهم يرسلون له أبياتًا شعرية، فيرد على رسائلهم بأبيات شعرية أيضًا، وهذه طريقة معروفة بين شعراء الهند، فتكون كالمثوي مرة، وأخرى قصائد، وفيها التزام بالوزن وأحيانًا بالقافية، وهو نوع من التحدي

الأخوي بين شاعرين، من ذلك ما كتب له صديقه محيي الدين الفضفري ، حيث يبدأ رسالته الشعرية :

وبعد فهذا الخطُّ من عند جاهلِ
يسمى بمحيي الدين خدن التغافلِ

- فيرد عليه شاعرنا بقوله:

وبعد فهذا الخطُّ من عبدٍ قاصرِ
يسمى بعبدالقادر الغرّ فَضْفري
جوابًا لخطّ الخِلّ قرّةِ عيننا
يسمى بمحيي الدين مُحيى المآثر
لقلبي سر نازل فيه دائمًا
شريك شريف شامل للمفاخرِ
حليمٌ حكيمٌ في المهارة فاضلٌ
لدى كل طلاب شبيه الغضنفرِ
ولما تودعنا بقرب حبيبنا
أتانا اضطرار بالبكاء المكثرِ
ومقلة عيني تكثر الماء سائلا
وأحزان قلبِ الحب تبدو لزائرِ
وعيشي هنيءٌ مذ أتيتُ إلى هنا
كذاك بكم ظني كريمٌ المعاصرِ

- ولشاعرنا مراسلات متعددة، منها التبادل الأخوي، ومنها نصائح لأصدقاء رأى منهم بعض ما يكره، ومن ذلك رسالة كتبها لصديق، يقول فيها:

لما تكاثرت بالإلحاف هم به
فعوق الناس من أشرار خناسِ
فصرت ممتثلا لكل مبتسم
يخل وقته بالأفناد والخيسِ
وجه فؤادك يا دعبوس للعمل
وذر مصاحبة الأرذال طغموسِ
ما بال بالك لا يخشى من ضرر
دينًا ودنيا عند الله والناسِ
إن كنتَ تجهلُ معنى ما ذكرتُ عنا
فاسبح وعم ناظرًا في قعر قاموسِ

- شاعر ناصح متتبع لأحوال المجتمع، يرصد حركات الناس سلبًا أو إيجابًا، فهو يتأثر من تلك الأحداث، فإذا فقد أحد العلماء فإنه ينظم أبياتًا في رثائه، ومن ذلك رثاؤه للحاج محمد كوتي، وكان ناظرًا لدار العلوم بوازكات، وكان شاعرنا يدرّس فيها، فقال:

والنفسُ حائرةٌ والعينُ ساهرةٌ
للدمع ساكبةٌ ممزوجة بدمِ
به المليبار باهت بين إخوتها
فمن يقاربه في الهندِ كالعجمِ
مسك تضوّع في الدنيا روائحه
يا ليت مدته دامت بلا دقمِ
لما بنيتَ هنا دار العلوم لنا
كالشمس ضحوتها ضاءت على علم
ظلمات جهلِ مليبارٍ بها نفيت
في الباقيات بل الجنان في أدمِ

• يحب الشاعر عبدالقادر العلم والعلماء، ويطرب لبناء دور العلم، ومعرفة العلماء، ويحتفل معهم في المناسبات المختلفة، وكلية الباقيات الصالحات، كلية دينية، وتحتفل سنويًا بالخريجين، أو أي مناسبة أخرى، فنظم الشاعر أبياتًا في احتفال أقيم في سنة ١٣٤٣هـ، الموافق ١٩٢٤م، يقول فيها:

جمالها في علاها مانع أبدًا
قلوب طلابها عن حب أغيارِ
إن زرتها تر فيها عجائبها
فيها نجوم زهت ما بين أقمارِ
هذي ديار أحبا قد أضاء بها
من حسنهم بهجة تزهو بأنوارِ
فيهم أناسٌ كالأقمار الوجود بهم
لكل من هجر الأوطان أنصار
أهل الصلاح وأهل العز والشرفِ
وليس فيما لديهم قَطُّ من عارِ
واسكن بحجرتها تسلم من العطب
واحفظ قواعدها مع طاعة الباري

• الشاعر عبدالقادر مبدع حركات شعرية، فهو مدح رسول الله بكلمات طرقها قبله كثير من الشعراء، ولكنه نظمها بأسلوب جديد، تدرج بالحروف الهجائية، وأتى بالألفاظ نفسها، والجديد فيها، ثم أن القصيدة تخلو من الخيال الشعري لأنها قصيدة مدح واقعية، ويريد أن تصل كلمات المديح إلى السامعين مباشرة دون معوقات، ولا تحتاج لتفسير.

• وفي مجال الرثاء كذلك لم يزد على إطراء المتوفي وتعديد أفعاله التي أنتجت دارًا للعلم، لذا كان صريحًا في أقواله، واستخدم الألفاظ المعروفة في الرثاء، دون تفلسف، أو خيال يخرج الأبيات عن الرثاء، وهو أيضًا في الوصف لايزال بالدرجة نفسها من اتباع النمط القديم من النظم، فحافظ على الوزن والقافية، ومزج بين اللفظ والمعنى ليقدم الصورة المطلوبة، فكان شاعرًا اجتماعيًا مبدعا في مجال التنظيم والتقديم، والخيال قليل في نظمه.

****

عبدالقادر بن سيد محمد

١٢٦٤ - ١٣٣١ هـ / ١٨٤٧ - ١٩١٢ م

• هو الشيخ عبدالقادر «صاحب الخلوة» بن السيد محمد «الإمام العروس» بن الشيخ أحمد[١]، فقد ولد السيد محمد في كيركري، جنوب الهند، سنة ١٢٦٤هـ، الموافق ١٨٤٧م، ودرس المبادئ الأولى على يد والده، ثم التحق بدروس الشيخ عبدالقادر تكية صاحب كيركري، فحفظ

(١) أحمد زبير، أسرة صدقة الله أبا ص ٢٢٤.

القرآن الكريم، وتعلم فقه الشافعية، والأصول، وتعلم على يد أبيه العلوم العربية وفنونها، ودرس التفسير والتاريخ، والصرف والأدب، والمنطق والنظم، والنثر، وغيرها من العلوم، وبعد تعمقه في هذه العلوم بدأ يدرس التصوف.

- أنتج الشيخ عبدالقادر عدة كتب، منها:
  - تفسير للقرآن الكريم.
  - علوم الدين.
  - قصيدة الوسيلة، ٧٦ بيتًا.

- له أشعار عديدة، وقصائد كثيرة، ولكن كلها تدور حول النصح والإرشاد، وكان هناك رجل مريض دعا الشيخ عبدالقادر أن يدعو الله لشفائه، فنظم الشاعر قصيدة الوسيلة، يقول فيها:

حمدًا إلهي تعالى
قولا وفعلا وحالا
شكرًا له إفضالا
شوقًا إليه وصالا
صلى وسلم ربي
على الرسول النجبِّ
وكل آلٍ وصحبِ
حووا جمالا كمالا
أدعوك ربي قريبي
أحبّ دعاء الغريبِ
عبدك ذا التقريبِ
أعصي العصاة ضلالا
ظلمتُ نفسي وإن لم
تغفر لنا ثم ترحم
نكن خاسرين بآدم
فاغفر لي وارحم نوالا
أيدني بروح قدسِ
ينفث روعي وأسّي
أدنِ لي مطلع شمسي
بشيت كن لي دليلا
بسيد الأنبياء
والرسل والأتقياء
بلغني أهل العلاء
آمالي خطًا مثيلا

- وهكذا يمضي الشاعر في هذا النمط من النظم، ويعدد الأنبياء، ويتوسل إلى الله بهم، وهذا هو دعاء منظوم، وليش شعرًا، فيقرأ هذا النظم في المناسبات الدينية، حتى غدا مشتهرًا جنوب الهند، وللشاعر قصائد أخرى، منها في رثاء زوجته، التي فارقت الحياة سنة ١٣١٦هـ، الموافق ١٨٩٨م، حيث رثاها بقصيدة، يقول فيها:

يـا ربِّ يـا رحـمـنُ يـا رحـيـمُ

يـا أرحـم الـرُّحَـمـا ويـا كـريمُ

اغـفـر لـعـرسـي وارحـم وارض

عـنـهـا بـلـقـائـك الـشـريـف متعنها

وقـدّسـن وطـهـرن روحـهـا

ونـوّرن وضـوّأن مـضـجـعـهـا

أعـلـى جـنـانـك اجـعـلـن مـثـواهـا

وحـضـرة ذاتـيـة مـأواهـا

مـتـبـتـلا مـتـخـشـعًـا مـتـضـرعًـا

أدعـوك يـا رب أجـب لـي الـدعـا

بـحـرمـة رسـولـك الـرحـيـم

الـشـاهـد المـبـشـر الـعـظـيـم

عـلـيـه صـلـواتـي وتـسـلـيـمـاتـي

وآلـه وصـحـبـه الـسـادات

• هذه النماذج من شعره تدل على حفظه للألفاظ العربية، ولكن لم يستطع أن يستخدمها الاستخدام الشعري الفني، فهو ناظم لأفكاره الواقعية، وليس في شعره خيال شاعر، ولا صور بلاغية في قصائده.

****

عبدالقادر خيرالدين العمادي

١١٤٠ - ١٢٠٢ هـ / ١٧٢٧ - ١٧٨٧ م

• هو الشيخ عبدالقادر بن خير الدين العمادي الجنبوري[1]، ولد سنة ١١٤٠هـ، الموافق ١٧٢٧م، درس المرحلة الأولى في بلده، ثم درس عند السيد محمد عسكري الجنبوري، بعدها سافر إلى بهلواري ودرس عند الشيخ وحيد الحق ابن وجيه الحق البهلواروي، ثم رجع ولازم الشيخ حقاني الأميتهوري، الذي قرأ عليه الكتب الدراسية، وبعد انتهائه من التحصيل الدراسي ذهب إلى كلكته، وولي الإنشاء، فتلقى العلوم الغربية من بعض علمائها، وأقام بضع سنوات هناك.

• عاد إلى بلاده وأخذ الطريقة الصوفية من الشيخ باسط علي الحسني الإله أبادي، وأنتج بعض المصنفات منها:

- **المحاكمة بين العلوم الشرقية والغربية.**
- **كتاب في الكيمياء الحديثة.**
- **كتاب تعقيب على كتاب « باكون المغربي».**
- **كتاب العلم والمتعلم.**
- **الدرر الفرائد في تحرير العقائد.**
- **منظومة في المواريث.**

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٧ ص ٢٩٨.

- ديوان الخطب والقصائد.
- منظومة في العروض.
- منظومة في العوامل النحوية.

• كتب رسالة شعرية للشيخ ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي، يقول فيها:

يا مَن يكلُّ به سيرًا يُبَلِّغُهُ
دار الخلافة بلغ حين تأتيها
مني السلام ومازال يتبعه
من المشرق إلى نفس يواليها
إلى مقيم بها قد زاده شره
ورفعة حين يدعى في أمانيها
ذاك الولي الرضي العالم العلم
محيي المكارم باديها وخافيها
تشتاقها أذني والعين فاقدة
لطول آثاره أو كتب داعيها

• هذا نظم عادي من شاعر، يمتلك ناصية اللغة، وهذه قصيدة سلام وتبليغ، ليس فيها خيال شارع، ولا صور بلاغية، ولكن ألفاظه متناسقة، وتؤدي الغرض الذي من أجله كتبها، وأسلوبه سهل وكلماته بسيطة، استخدم النمط القديم الخليلي في النظم، وكان يمكن أن يكون أفضل لو أنه استخدم خياله في ذلك.

• انتقل الشيخ إلى رحمة الله سنة ١٢٠٢هـ، الموافق ١٧٨٧م.

****

عبدالقادر شريف الحسيني

١١٥١ - ١٢٠٤ هـ / ١٧٣٨ - ١٧٨٧ م

• هو الشيخ عبدالقادر بن شريف الدين الحسيني الكنتوري[1]، ولد في الأورنك آبادي سنة ١١٥١هـ، الموافق ١٧٣٨م، حفظ القرآن في صغره، وقرأ العلم على يد الشيخ فخر الدين النائطي، والقاضي شيخ الإسلام خان، ثم لازم السيد غلام علي الحسيني البلغرامي، الذي درس عنده الفنون الأدبية، أما كتب التفسير والحديث والتصوف فقد درسها عند الشيخ فخر الدين الأورنك آبادي الدهلوي، والسيد فخر الدين الترمذي.

• ولي القضاء بعد والده بأورنك آباد، ولكنه اعتزل بعد ثلاث سنوات، ثم سافر إلى مدراس سنة ١١٨٣هـ، المرافق ١٧٦٩م، وحصل على القبول العظيم، وأنتج عدة مؤلفات منها:

- أصل الأصول في تطبيق المنقول والمعقول.
- كحل الجواهر في ترجمة الشيخ عبدالقادر.
- مفتاح المعارف.

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٧ ص ٢٩٩.

- شرح المثنوي المعنوي.
- ديوان شعر بالعربية والفارسية.
- هناك مصنفات أخرى لم يذكرها المصدر.

• له قصيدة وحيدة ذكرها المصدر، يقول فيها:

لله صبٌّ مهاةِ النجدِ يقتلُهُ
تصميه وهو بطيب القلب يقبلهُ
العشقُ من حضرة المنان موهبةٌ
فكيف صاحب نور العقل يمهلهُ
حل الهوى بفؤادي يوم ذي سلمٍ
مبارك من جناب الحق منزلهُ
لم يدرِ لذة هم العشق عاذلنا
لو ذاق منها قليلا ليس يمهلهُ
قلبي يذوب وأجفاني تسيل وذا
من الهوى زاده الرحمن ألله
لم يستطع حمل أثقال الهوى حبل
فكيف صب ضعيف الجسم يحملهُ
قلبي يحن إلى غزلان ذي إضم
حتام حتام يا قومي أعللهُ
يا أيها الصبُّ طورًا بالظباء وطو
رًا بالمها عن خيال الغيد أشغلهُ

• شاعر جيد النظم وسبك الألفاظ مع المعنى، اتخذ من البحور الخليلية طريقًا للنظم ، تراكيب الجمل متناسقة مع الأسلوب، ويمتلك القدرة على النظم العربي، وهو ضليع باللغة العربية متمكن من فنونها، ولكن مع الأسف لم يضع لنا المصدر سوى هذه القطعة القصيرة، لذا الحكم عليه من خلالها سيكون قاصرًا، ولكن تبدو شاعريته من خلالها، كنت أتمنى لو نحصل على قطعة أخرى. وقد انتقل الشاعر إلى جوار ربه سنة ١٢٠٤هـ، الموافق ١٧٨٧م.

****

عبدالقادر طه الأنوري

١٣٦٨ - ٠٠٠ هـ / ١٩٤٨ - ٠٠٠ م

• ولد الشيخ محمد عبدالقادر بن طه الأنوري[1] في قرية تينغابتتم بولاية تاميل نادو سنة ١٩٤٨م، درس في قريته الدراسة الأولى، ثم دخل المدرسة الأنورية ودرس العلوم المختلفة واللغة العربية والفارسية، وتخرج سنة ١٩٦٨م، وعمل مدرسًا للغة العربية والعلوم الإسلامية في عدة

(١) جامعة كاليكوت، قسم اللغة العربية، إسهامات الهند للأدب العربي ص ٢١٠. مذكرة من الشاعر لقصيدة نظمها لمنتدى الشعر العربي بجامعة مدراس.

مدارس؛ منها المدرسة الرحمانية والمدرسة الجمالية، وكانت له رغبة كبيرة بنشر اللغة العربية وآدابها، لذا وفد إليه كثير من الطلاب من الهند وماليزيا، وسري لانكا.

- حبه للغة العربية قاده للنظم بها، فمنذ شبابه وهو يقرض الشعر العربي، فمن قصيدة نظمها في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يقول:

وخُذني إلى خير الورى منك حنة
كما خافه كعبٌ أخاف وأحذرُ
بمن حوله من حارسيه وعنده
جيوش وأطام عليها خوادر
عليه سلام الله والصفح شأوه
فيعصمني مما أخاف وأذعر

- في ملتقى الشعر العربي من منتدى الحلقات الدراسية الجامعية الدولية التي عقدها قسم اللغة العربية بجامعة مدراس، نظم الشاعر عبدالقادر قصيدة طويلة لإلقائها في المؤتمر الذي عقد في يناير ٢٠١٢م، يقول فيها:

أمِنْ حضارةِ أهل الغربِ من أممِ
هجرتَ سنةَ خير العربِ والعجمِ
أو من تَأَشُّبِ أهل البدع قاطبة
من الأهانِدِ والأجناسِ كلهمِ
أم عادت الجاهليات إلى الحضرِ
والبدوِ بعد دخول الناس في السلمِ
أو هاجت الريحُ من ملقى زنادقةٍ
فعفَّت الخط بين الحلِّ والحرمِ
فما لنفسكَ إن زكّيتها رجعت
للنجسِ والرجس والأهواء والحرمِ
وما لقومكَ إن أنصح لهم يأبوا
ويسمعوا ويعوا من كلِّ متهمِ
أيحسبُ الفاسقُ الضلّيل أن له
ما للتقى من الجنّاتِ والنعمِ
حُقَّت لمن أخلصوا للهِ دينهمُ
وأصلحوا لفسادِ القومِ بالهممِ
لولا الفسوقُ لما ألفيتَ مجتمعي
مخلفًا قهقريا غير منتظمِ
فكيفَ تنكرُ حقًّا بيِّنًا ظهرت
آياتهُ لأولي الألبابِ والقلمِ
وأثبتَ البحثُ أنَّ المسلمينَ على
بُعدٍ من العلمِ والتقوى فربّهمِ
وثروةٍ وزعاماتٍ ومن حُكمٍ
فهل ترى منهم في الهندِ من حَكَمِ
وما لهم من ملاكِ الأمرِ إذ سكتوا
ومعظم الدولِ للإسلام في البهمِ
نعم سرى فيكَ من شرق ومن غربٍ
ومن بواقي الجهات غير مُلتَئمِ

نكرتَ أصلكَ والآباءَ والمجدا
فأنتَ شبلٌ رعى بالبهمِ والغنمِ
والدينَ والشرعَ والآياتِ ظاهرةً
ولغةً من بُعثَ بالقرآنِ والحِكمِ
فلا تصحُّ مناجاةُ الصلاةِ بالا
عربيةٍ من لغاتِ العالمِ العمَمِ
وأنتَ ببغاءٌ في الصلواتِ ليس له
فكرٌ وفهمٌ بما ينطقُ من الكَلمِ
هل للصلاةِ التي صليتَ من أثرٍ
وهل يُقدِّرُها الرحمنُ بالقيمِ
إنَّ الصلاةَ عن الفحشاءِ والنكرِ
تنهى وعن كلِّ ما يرديك من أثمِ
فصلِّ للهِ علمًا ما تقولُ بهِ
ولا تكن من ذوي الغفلاتِ والصممِ
وتلكَ تأتيكَ في الدارين سابغةً
بالخيرِ والسعدِ والأوفى من القسمِ
فقم بلغة نبي العالمين علي
جدّ وجهدٍ بلا خجلٍ ولا ندمِ
لغةٌ بها حظيتِ العربانُ وافتخروا
بما لها من خصائصٍ ومن شيمِ
إذا فقهتَ لسان العربِ مجتهدًا
حكمتَ أنَّ لها الأولى من الشَّممِ

وقد تنزَّلَ خيرُ الكتبِ بالعربي
خيرِ اللغاتِ على أخيَرِ النسمِ
وانهض لفهمِ لسانٍ أنتَ تسمعهُ
بعد الممات ينطاعُ كلَّ فمِ
تركتُ هديَ رسول اللهِ من جهلي
وقد ظلمتُ لنفسي غيرَ مُحتشمِ
محمدٌ أولُ الشرّاحِ للذِّكرِ
بالقولِ والفعلِ والتّقريرِ كالدّيمِ
وقولهُ في جميع الآيِ من وحيِ
منهُ إليهِ ومن جوامعِ الكلمِ
فكيفَ أمدحُ من نورِ حقيقتهُ
طهرٌ طريقتهُ من غيرِ مختصمِ
زمن يعدّ من الشعرا مَفاخرهُ
ومادحوهُ فلم يحصوا، فيالهمِ
فهذه روضة الشعراءِ فائحةً
بكل ضربٍ من الأزهارِ مُنفغمِ
خَدمتها بقصيدٍ كنتَ تسمعهُ
عذبٍ فراتٍ رويٍّ سائغٍ شَبمِ
يا ربِّ صلِّ وسلّم دائمًا أبدًا
على النبي وعلى الأصحابِ كالنُّجمِ

• هذه قصيدة طويلة تبلغ سبعين بيتًا من الشعر العربي، واخترت نصف الأبيات فقط، بما يتصل باللغة العربية،

وقد مجّد الشاعر هذه اللغة وأحسن وصفها وأبرز مكانتها في العالم، وقليل من الناس من يفخر باللغة العربية، وقد أبدع الشاعر في نظمه لهذا القصيدة، استخدم بحرًا من البحور العربية، مع قافية من الذلل، وتناسق بين اللفظ والمعنى، فجاءت على أفضل ما تكون.

- استخدم الشاعر خياله والواقع، فصنع صورًا فنية من واقع الحال، وبنى أبياته على ما يراه في المجتمع، وما يتصوره من حال اللغة العربية، وكان قوي السبك ظاهر الوضوح، قوي العبارة، أظهر موسيقاه الداخلية والخارجية، وافتخر بلغته، ويحق له أن يفخر، فلغته سليمة وقدرته على استعمالها كبيرة، مع فنونها وأساليبها.

- الشاعر محمد عبدالقادر الأنوري المدراسي، قد أنار المجتمع بهذه اللغة الحيّة، بتراكيب فنية بلاغية، وتمكن من المعجم اللغوي العربي، ومن دقة وصفه، وعذوبة طرحه ، وحلاوة اللغة التي يكتب بها، وكنت أتمنى أن أجد قصائد أخرى له، ولكن أنى لي ذلك وأنا بعيد عنه كثيرًا، ولكن أتمنى أن أكون وفقتُ في تقييم شعره، وإبراز دوره في اللغة العربية في الهند.

****

عبدالقادر عمر ولي اللّه

١١٩١ - ١٢٧٢ هـ / ١٧٧٧ - ١٨٥٥ م

- هو الشيخ عبدالقادر بن الشيخ عمر ولي الله[1]، ولد في قاهره باتنم في ١١٩١هـ، الموافق ١٧٧٧م، بدأ دروسه الأولى على يد والده، فحفظ القرآن الكريم، ودربه على التصوف منذ الصغر الشيخ سيد الجفري، ثم دربه الشيخ سيد علي، وكان الشيخ عبدالقادر يعرف باسم تكية صاحب قاهره باتنم، بعد تحصيله الدراسي وانخراطه في الطرق الصوفية، بدأ يلقي خطبًا في أنحاء ولاية تامل نادو، جنوب الهند، وكيرلا، وسيلان، ثم أخذ مكان والده في التدريس في مجلس والده، كما كان أيضًا يدير المدرسة العربية، التي أسسها والده.

- ذهب الشيخ عبدالقادر إلى الحج ، والتقى بعلماء أجلاء، ومنهم الشيخ محمد صالح المصري المكي، وتباحث مع العلماء، وزار المدينة المنورة، وذهب إلى ضريح رسول الله، وألقى قصيدة بعنوان «أحمد الله» ، ثم عاد إلى الهند وقد تزود بكثير من المعارف، وبعد ذلك واجه نشاط الاستعمار

(١) أحمد زبير، أسرة الشيخ صدقة الله أبا، ص ١٢٧. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١١ ص ٥٢٨.

الفرنسي والبريطاني، فأخذ يدعو لمحاربة الأجانب المستعمرين.

- كتب رسائل إلى بعض النواب يحثهم على مواجهة الغربيين، ودخل ولاية كيرلا، وانتقدهم لخضوعهم للبريطانيين، وأخذ يحث الناس على التصدي للأجانب، وطردهم، والمطالبة بالاستقلال عن الدول الغربية، وفي ذلك المجال كان ينظم قصائد، وكان ينشر اللغة العربية في أنحاء جنوب الهند، ويحث الناس على تعلمها، وهو معلم لها في مجلس والد، أو في المدرسة العربية.

- كان الشاعر الشيخ عبدالقادر يستعمل الشعر في الدعوة الإسلامية، كما ينظم القصائد في كثير من شؤونه، فعندما قرر الذهاب إلى الحج كانت السفينة تسمى «العيدروس» نظم قصيدة، وفيها يقول:

تَحـــلُّ بـأعـلام الـكـمـال مُـكـلّـلا
على كنف الرحمن في شامخ العلا
فيا «عيدروسَ» السعد لازلت مُسعدا
ولازال منك الفضل فخـرًا مكملا
حـويـتِ كـمـالا لا يـضـاهـى ورفـعـة
وأضـحـى لك الفخر الجليل مُبجلا
فيا مركبًا قد شاع في الناس فضله
بـعـزّ تسامى في المعالي مُجلّلا
ومـركـبـهُ يُـسـدي الـفـقـيـرَ مـكـارمًـا
فـمـن أمَّـــه نـال الـكـمـال المجـمّـلا
فـإن سـار بـالـحـجّـاج فـأكـرمْ بمـا به
يـقـوم بـهـا فـي كـل شـــأنٍ تَـعَـوُّلا
وإن دار فـي هـنـدِ الـبـلاد فـحـبّـذا
رئـيـس بـــه فـي كـل أمـــرٍ تحـفـلا
فـيـا ربِّ سـلِّـمْ مـركـب الـعـز دائـمًـا
فـــلازال فـي حـفـظ الإلـــه مـكـفَّـلا
بسرِّ رسـول الـلـه والـغـوث في الملا
بـعـين إلـه الـعـرش يـجـري مُـهـرولا

- هكذا كان سير الرحلة من جنوب الهند إلى جدة لأداء مناسك الحج، ثم زيارة مدينة الرسول- عليه أفضل الصلاة والسلام- فما كا من شاعرنا إلا أن يحيي رسول الله بقصيدة، يقول فيها:

أحمد الله الولي صلي على خير النبي
باسم خير منجلي يا سيدة خير النبي
توبة طلبتُ منك يا شفيع المذنب
ثوب طهر عن سواك سيدي خير النبي
جد لعندٍ مفلس من انسداد المذهبِ
حبَّ حُبٍّ بخ بخ يا سيدي خير النبي
خِفتُ من نفسي هلاكًا قبل عرفاني مبيـ
ـد العدى مجلِ الصدايا سيدي خير النبي
ذقتُ ذكر هو أذقنا ذكر حق يا نبي
ربَّنا يذيقنا ما ذقت يا خير نبي

زرت كل زايريك بقضاء الأرب
سر لنجو من نخاك سيدي خير النبي
شفه نظرة الرحيم الكاشف للكربِ
صنه عن كل الهلاك سيدي خير النبي
ضمنه كن لو وحتى بقضاء الإربِ
طب بريقك الشفا من دائه خير النبي
ظل أعين الهدى طمسًا من المحجَّبِ
عينه أجر عذب ما يا سيدي خير النبي
هاديًا إلى الطريق القادري المجتبى
لا إله إلا الله محمد خير النبي
يا رحيم المؤمنين أقبل دعا عبدالنبي
أحمد آلٍ وصحبٍ تابعي خير النبي

• هكذا الشاعر ينشد هذه القصيدة التي تدل على الطريقة القادرية الصوفية، وبعد الحج والزيارة عاد إلى الهند، ونزل في ولاية كيرلا، على الساحل الغربي للهند، والرحلة إلى الحجاز تستغرق شهورًا في ذلك الزمان، فلما نزل من السفينة وجد الناس على غير هدى، فقد جلبهم الاستعمار البريطاني إلى جانبه، فبدت منهم عادات قبيحة، فانبرى ينظم قصيدة إصلاحية، يقول فيها:

يقولون أنا قد وجدنا مدى الزمان
على أمة أسلافنا نحن من درى
نغادر أولادًا ونحرم والدًا
بنو الأخت أورثنا كذا عرفنا جرى
أسايلكم من هؤلاء بما يلي
سماهم تجارتهم ربًا كان خاسرا
فدينهم الأعلى بدنيا الدنية
شروا مالهم خط غدا بل لهم خسرا
يعيشون في الدنيا كلابًا على جيف
كحمرٍ لا سفار حواملة وقرا
أبالله آمنتم وصدّقتم النبي
أجيبوا جوابًا شافيًا أهل بندرا
يسمى بلتشير قرأتم وصمتم
حججتم وصليتم وخالفتم برا
يعالجكم بالاستقامة أنتم
تراؤون بالأعمال خلقًا مقهورا
ذللتم لأهل الشرك ذلا تصاغرا
علوتم على أهل التقى بئس متجرا
بذل أنيبوا أسلموا قبل أن أتا
كم الموت توبوا بادروا قبل تسطرا
قسى قلبكم مثل الجلامد بل هو
أشد من الحجار منها تضجرا
أناديكم يا من بطغيانهم عموا
عن الحق كالأعشى وكالأعمش العذرا
أمرتكم بالخير حبًا ورحمةً
عليكم لكم لا لي ولا أسأل الأجرا

- شاعر صوفي يرى الانحراف في المجتمع فيوجهه، وينبهه نحو الطريق السليم، وخاصة عندما يرى الأجنبي يتدخل في شؤونكم، فهو ناصح، ومشفق عليهم من الانحراف والزلل، فشعره نظم ذو هدف سامٍ، ووصفه للواقع الذي شاهده، دون تدخل من خيال، أو إبراز لموهبة، أو تصنع لموقف، بل هو واقعي سهل الأبيات، متناسق مع المعنى، ولا لبس في عباراته، ولا معاضلة، استعمل النمط القديم من النظم، وحاز على المعجم اللغوي، ولكن دون خيال أو غموض، فهو صريح وواضح.

****

عبدالقادر محمد نيني

١١٩٢ - ١٢٦٧ هـ / ١٧٧٨ - ١٨٥٠ م

- هو الشيخ عبدالقادر «تكية» صاحب كيركري[1]، بن محمد نيني بن كنّابلي محمود بن سليمان لبي بن عبدالقادر نيني بن مخدوم نيني، وهذا الاسم مع لقبه المشهور به، ولد في قاهره باتنم سنة ١١٩٢هـ، ١٧٧٨م، وتسمى بتكية صاحب كيركري لأنه نزح إليها من قاهره باتنم، درس العلوم الشرعية، وحفظ القرآن الكريم، وتعلم اللغة العربية واللغة التاميلية، التي كان يخطب بها، وكانت تكيته مركزًا لوفود العلماء وطلاب العلم والمتصوفة، ويتلقون العلم والإرشاد والنصح منه.

- الشاعر عبدالقادر لم يخلف ولدًا، وبقي في زاويته يدرس الطلاب ويتحاور مع العلماء إلى أن وافاه الأجل المحتوم سنة ١٢٦٧هـ، الموافق ١٨٥٠م، ولكن بعد وفاته أدار التكية قريبه الشيخ سيد محمد، الملقب «بالعروس»، فأصبحت الزاوية تسمى» التكية العروسية»، وله كتبًا كثيرة في موضوعات إسلامية وصوفية، وقيل أن كتبه تصل إلى أربعين كتابًا، باللغة التاميلية، منها:

- **كتاب النحو والقواعد العربية.**
- **خلاصة الدراية، وضح فيه الفقه الإسلامي.**

- وقال في هذا الكتاب:

سقيها خلاصة الدراية
من علم دين فهي كالنقابة
آمن بستٍ أسلمن بخمسة
صلّ اثني عشر ركعة من سنة
دوام عليها كل يوم وليلة
بعد العشاء أوتر ثلاث ركعة
لسهل حفظها المثل المبتدي
ومتنه متوسط ومقتدي

(١) ك.م.ع. أحمد زبير، أسرة صدقة الله أبا ص ١٤٠.

فاحفظ أخي بهذه الخلاصه
فمن بها يعمل ينل خلاصه

- كما له قصائد كثيرة في مناسبات معينة، ومنها قصيدة تسمى «الشفعية» يقول فيها:

أبسم بسم الله بدء القصائد
أحمدل للرحمن رب العوائد
أفاض الرحيم ما صلاة على يد
أمانٍ وآله مع الصحاب فرائدِ
إلهية عما سواها تبرًا
أتى خير خلق الله أب أرواحنا
أبوالإنس منه بعثته لنجاحنا
أبان به سبل الهدى لفلاحنا
أبان عن الشرك الخفي لصلاحنا
أسرَّ بتوحيد لمن هو بسَّرا

- ويرى الشاعر أنه تعلم علومًا غير نافعة، وأمضى وقتًا في تعلمها، فشعر بالذنب، واعتبر ذلك تقصيرًا منه، وشعر أنه لم يقتد برسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، ويعلم أن الله سيغفر له ذنوبه، فيقول:

طلبتُ علومًا ما بها أنا عاملُ
ومثلي كمثل الجان إبليس حاملُ
لكل ذنوب إنَّ من هو كاملُ
ثمان جنان مشتر هو شامل
لعلم وتقوى للنعيم تورث
ولكنني أرجو وإن كنتُ عاصيًا
لغفران ذنبي يوم شفع نواصيا
بمدح نبي كان برًا مواسيا
ثنيتُ به عن مدح من كان ناسيا
مدحتُ به طه وإن كنتُ أخبثُ

- كان أهل بلدته يصلون ويصومون، ولكنهم يستثقلون الذهاب إلى حج بيت الله الحرام، لأن السفر بالسفن الشراعية مشقة كبيرة، وتستغرق أشهرًا طويلة قد تصل إلى ثمانية أشهر أو تسعة، فينظم شاعرنا في قصيدته هذه أبياتًا يرغب الناس في الحج، ثم يرشد الناس إلى الاقتداء برسول الله، ويقول:

ألا فاذكروا قول النبي فانظروا
لما قال لا من قال لا لي تنظروا
خذوا من علومي لا لعملي تبصروا
ثلمتُ أنا أركان دين فابصروا
مقالي فذا قول النبي أحدث
وأسوأ معبودٍ بأرض هو الهوى
كذا قال خير الأنبياء وقد روى
ثقات به ما في القرآن له حوى
ردي من قرا ما فيه من عبدالهوى
أزله هواك أجعلن ربي فاظفر
ومن عبدالأصنام قد عبدالهوى
فكلاهما سيان معبودهم سوى

ومن عبدالمولى فما ضل ما غوى
رسول الهدى عبدٌ لرب ولا السوى
لذلك قال الله بالعبد يذكر
جنيت بذنبي نجني تبت نفني
تقي تقي زين ظني يشفّني
شقي يشقين جنب ذنب فبقني
نظيف يقين يشفقن بتيقّني
غنيٌّ تغنيني بغيب تزين

• شاعرنا الشيخ عبدالقادر تكية له قدرة على استعمال الألفاظ العربية، ولكن شعره يخلو مما في الشعر من روح شعرية، فهو ينظم الكلمات لتناسب البحر الذي اختاره، دون أن يضع لمسات شعرية في تلك الأبيات، وليس في شعره سوى محبة الرسول، والاعتراف بالمعصية، وطلب العفو والغفران، فهي خطب منبرية، ولكنها في شكل قصيدة، وعلى الرغم من قدرته اللغوية، وحفظه لبعض الأشعار العربية، وكذلك القرآن الكريم، ولكن لم يستطع أن يوظفها توظيفًا شعريًا، فهمه هداية الناس لطريق الحق، ولم يهتم بتلك الأبيات على أنها شعر، فالعاطفة غالبة في أبياته، والنصح والإرشاد.

****

عبدالقدير الصديقي

١٢٨٨ - ١٣٨١ هـ / ١٨٧١ - ١٩٦١ م

• هو الشيخ عبدالقدير بن عبدالقادر بن فضل الله البكري الحيدرآبادي[١]، ولد في حيدرآباد سنة ١٢٨٨هـ، الموافق ١٨٧١م، درس الكتب الدراسية على يد الشيخ المولوي إلهي بخش ، والسيد ناصر الدين ، والشيخ محمد سعيد، وغيرهم في دار العلوم بحيدرآباد، أما الفنون الأدبية فقد استقاها من الشيخ أبي بكر بن شهاب الحضرمي، وتعلَّم القراءات القرآنية من الشيخ السيد محمد عمر الحسيني، والسيد محمد يونس، وتلقى علم الحديث من الشيخ محمد عمر القادري، وجذبه خاله محمد صديق الحسيني إلى التصوف.

• بعدما تأسست الجامعة العثمانية سنة ١٣٣٧هـ، الموافق ١٩١٨م، اشتغل بها مدرسًا للأمور الدينية، ثم أصبح رئيسًا للقسم الديني في الجامعة العثمانية، وصنف عدة مصنفات منها باللغة العربية والفارسية والأردو:

(١) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص٤٠٠. محمد سلطان محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي ص ٢٢٢. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٣٠٢. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم شعراء العربية قي القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١١ ص ٥٦٦. عبدالحي الحسيني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ٢٧٨.

- الدين.
- ديوان شعر، اسمه « زفرات الأشواق».
- أوراق الذهب.
- التعليم الطبقي، وهومختارات شعرية ونثرية.
- التفسير الصديقي، للقرآن الكريم، بالأردو.
- تنزيل وتأويل ورسالة، بالأردو.
- معيار الكلام، والتوحيد وقول فصل، وكلمة طيبة، وكلها بعلم الكلام.
- الحكمة الإسلامية، في التصوف.
- المعارف، أربعة أجزاء.
- شرح فصوص الحكم، لابن عربي.
- نظام العمل للفقراء.
- معيار الحق، وتحفة الفقير، وتحفة الأطفال. وغيرها .
- رسائل في الفقه الإسلامي.
- ورسائل في التصوف.
- جمع حفيده رسائل التصوف في مجلد كامل.

- كان الشيخ عبدالقدير شاعرًا باللغات: الأردية والفارسية والهندية والعربية، وله قصائد كثيرة باللغة العربية منها قصيدة يقول فيها:

جد الهوى والجوى والسقم والألمُ
والغمّ عمَّ وحبل الصبر ينفصمُ
الجسمُ فيه ضنى والقلب فيه هوى
والصدرُ فيه جوى والنار تضطرمُ

حبًّا لأحمدَ خير الخلق كلهمُ
المصطفى المجتبى طابت له الشِّيمُ
الله عاصمه جبريلُ خادمه
دانت له الرسلُ الأمجاد والأممُ
الشمسُ غُرّتُهُ والليل طرّتُهُ
تبدو نجوم الليالي حين يبتسمُ
غوث غياث وغيث المكرمات
يستشفع العرب عند الله والعجمُ
الظبي لاذ به والجذع حنَّ له
فكيف حال محبٌّ شفه السقمُ
يا راقيًا فوق هام العرش منتعلا
بعزةٍ عجزت عن نيلها الهممُ
من نور وجهك أنوار الهدى انتشرت
به تقوّض ليل الكفر والظلمُ
ظلت لهيبتك الأعناقُ خاضعةً
بحدِّ دينك حد الشرك ينثلمُ
وجود كفك بحرٌ غابَ ساحلُه
أمواجُه كالجِبالِ الشُّم تلتطمُ
أدرك حُشاشة عبدٍ ذلَّ ليس لهُ
سوى جنابكَ يا مولايَ معتصمُ
لئن يئستُ بعصياني الذي كسبت
يدايَ لن بؤنّسني لطف العممُ
صلى عليك إله العرش قم على
آلٍ وصحبٍ إلى أن دامت الدِّيمُ

• هذه قصيدة في مدح رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – ولكن شاعرنا صوفي، وعنده الحب جزء أساسي في تفكيره، فيقول في الحب:

ألا أبلغا عني أُهيلَ مودتي
بأني صريعُ الحبِّ حيٌّ كميتِ
رثا قلب أعدائي بعظم بليتي
فهلا رثا ليَ قلبُ أهل مودتي
فأن تك قد ساءتكم بعض شيمتي
فإني حديثٌ في طريق المحبّةِ
أطوف بأنحاء المدينةِ هائمًا
كأني غريبٌ في مقام إقامتي
أقلّبُ طرفي في الجوانب كلها
لعلي أرى في وجهة وجهَ بغيتي
أبيتُ بليلي ساهرًا فاقد الكرى
وأقضي نهاري في اضطرابٍ وشدّةِ
يقولُ خليٌّ البال مالك هائما
فقلتُ لأني لستُ أملكُ خيرتي
يقولون أضنتك المحبة فاصطبر
فقلتُ إذا كان اصطباري بقدرتي
يقولون لي حتى متى رقة الهوى
فقلتُ لإلى أن يقضي الله عيشتي
أسير الهوى حلف الجوى دائم الضنى
فهل مبلغ عني إليهم بقصتي
لقد ذاب جسمي في فراقكم جوى
فهل عطفه منكم لتبقى بقيَّتي

• قصيدة فيها كل معاني المحبة والصبابة، وعبر فيها عن لوعته وألم فراق الأحبة، وصور نفسه عليلا يحتاج إلى علاج المحب، ويستمع إلى أقوال الآخرين، ولكنه يرد عليهم بعدم قدرته على الانفكاك من ذلك الحب.

• تحتفل كلية دار العلوم بحيدرآباد برعاية المؤتمر الوطني، ومجلس قدامى الطلبة، فينظم شاعرنا قصيدة بهذه المناسبة يقول فيها:

هبَّ روح السرور في الأقطارِ
وصفا وقتنا عن الإكدارِ
وبدا الغيمُ فوق وجه سماء
دام سقيا بديمة مدرارِ
وشدا الورق غي فصون جنانِ
وجرت من روائح الأزهارِ
هات يا صاحبي زجاجة خمرٍ
تدفع الهم من ذوي الأفكارِ
إنما بغيتي حميا علومٍ
حزن من دار علمنا خير دارِ
وعقاري العلوم والكأس كتبٌ
ودروس العلوم دور عقارِ
لا كميت يلقي الشروب كميت
وسباع يسبي عقول خيارِ
أهل فنجاب يشهدون لدار العـ
ـلم أن قد سمت سما فخارِ
بين دار العلوم والدار فرق
ليس بخفى على أولي الأبصارِ

طالبو دار علمنا بزّوا غير
هم في السباق في المضمارِ
كيف لا والشيوخ شيخ تريم
قلزم العلم، نخبة الأخيارِ
وخضم العلوم من أرض كأ
غانٍ فريد الدهور والأعصارِ
وفحول تضلعوا بعلوم
وفنونٍ أتوا من الأمصارِ
وليوث غُلب شداد أفادوا
واستفادوا العلوم في ذي الديارِ
دام سلطانا النظام بمجدٍ
وعلو ورفعة وفخارِ
أرغم الله ذو الجلال أنوفًا
للأعادي بذلة وصغارِ

• شاعر يمجد العلم والعلماء، ويخص بالذكر من أتوا من « تريم» أي من حضرموت، الذين خدموا العلم في حيدرآباد، وكانوا برعاية ملك تلك البلاد السلطان عثمان علي خان، الذي له اليد الطولى في العناية بالعلم، لذا نرى الشاعر ينظم قصيدة في مدح سلطان العلم فيقول:

يا من حباك الله كنز فخارِ
بفضائل ومكارمٍ ونجارِ
حزت المعالي والمحامد والعلى
والمجد والفضل بفضل الباري
عثمان عليخان كنز كل فضيلة
بحر السخاء يجود في الأقطارِ
بين الملوك بطيب ذكرٍ في الورى
سلطاننا كالورد في الأزهارِ
جاروا وماروا في اقتناء محامد
فسبقتهم في ذلك المضمارِ
تحمي حمى الدين وعلم جاهدا
وتجدد ما درس من الآثارِ
أجريت جامعة العلومِ بملكنا
والعلم كان على شفير هارِ
ونشرت فيها من معارف جمة
وعلوم فلسفة لنفعٍ سارِ
وأعنتَها بمدارس شرقية
ليعم نفع العلم في الأقطارِ
في كل فن قد جمعتَ معلمًا
يسمو على الأقران في الأمصارِ
كم خاب من شام البروق لوامع
ما خاب راجي صوبك المدرارِ
حياك ربك في فخار دائم
وعدى علاك بذلة وصغارِ

حتى تبدل بدلة من بدلة
بدلت أعصارًا من الأعصارِ
حتى تجود الغديات هواطلا
حادت يداك بنائل مدرارِ

• لا شك أن الملك عثمان يستحق هذا المديح، لأنه أنشأ كثيرًا من دور العلم والمعاهد، ويكفي الجامعة العثمانية فخرًا، ودائرة المعارف العثمانية، والمستشفى العام في حيدرآباد، وعشرات المراكز العلمية والطبية، تفتخر أنها من إنجاز المير عثمان، وأنه المؤسس لهذه المراكز.

• ينظم الشاعر عبدالقدير قصيدة يذكر بها رسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام- ويطلب شفاعته، ويصف حالته وما يعانيه من عدم النوم، لأنه يفكر في رسول الله، يقول فيها:

فاض دمعي بلبَّتي ونِجادي
وجوى الحبُّ في خِلال فؤادي
صَعُبت عليَّ وعَزَّ شِفائي
وتَمادت كآبَتي بالبعادِ
فرُقادي وسَلوتي في انتِقاصٍ
واضطِرابي وشِدَّتي في ازديادِ
ما مُرادي من الرُّقادِ سوى أن
أجتَلي وَجه سَيِّدي في الرقادِ
مصطفًى مُجتبًى كريمٌ شَفيقٌ
وشَفيعُ الأنامِ يومَ التنادِ
وسِراجُ الظَّلامِ بدرٌ منيرٌ
وإمامُ الأنامِ هادي العبادِ
يا حبيبَ الإلهِ يا باهر المـ
ـجد كريمَ الآباءِ والأجدادِ
حبُّك الدينُ بغضك الكفرُ حتمًا
في كلامِ الإلهِ ربّ العبادِ
فلئن فُزتُ من شفاعتكَ العظمى
بفضلٍ فذاكَ أقصى مرادي

• شاعر متمكن من أداء النظم العربي، ولديه القدرة الفنية لصياغة قصائد المديح والوصف والغزل، مع تنوع في القافية والبحر العروضي، فهو يمتلك ألفاظ المعجم اللغوي، ويوظفها كيفما يشاء، واستخدم فنون الشعر من خيال خصب، وفن القول، دون الدخول في الغموض، أو المعاضلة في نظم القصيد، مع سبك المحتوى بطريقة جذابة، أحيانًا، وساذجة أحيان أخرى.

• وجد الشاعر أن هناك رجالا يستحقون المدح، لما لهم من أيادي بيضاء على العلم والعلماء، وكان السلطان عثمان من هؤلاء، الذين خدموا العلم، وأسسوا له المراكز العلمية المختلفة، فمدح السلطان بما هو أهله، مستخدمًا ألفاظ المدح التقليدية، ولم يخرج عن نطاق المدح الراقي البريء، فالهدف بيان مآثر الممدوح، وأفضاله على البلاد، فكان واقعيًا في مدحه، والشاعر كان عضو هيئة التدريس في الجامعة العثمانية، وله مكانة كبيرة بين أعضائها.

****

عبدالله أفضل العمادي

١٢٩٥ - ١٣٥٢ هـ / ١٨٧٨ - ١٩٣٣ م

- هو الشيخ عبدالله بن محمد أفضل بن الحسين بن الحسين بن الحيدر بن محمد وارث بن خير الدين بن معين بن طيب بن داود بن قطب بن عماد، العمادي[1] البكري التيمي اليماني الهندي، ولد في سنة ١٢٩٥هـ، الموافق ١٨٧٨م، تعلم على يد والدته المرحلة الأولى، ثم درس عند والده الفقه، وأصول الفقه، وعلم الكلام، أما اللغة العربية فتعلمها من جده، وكذلك التفسير والحديث، ثم لازم الشيخ هداية الله الرامبوري الذي قرأ عنده المنطق والحكمة، ثم سافر إلى لكناؤ، وتولى رئاسة مجلة «البيان»، وبعدها سافر إلى أمرتسر، وتولى إنشاء مجلة «الوكيل»، ثم استقر في حيدرآباد، وعمل بدار الترجمة والتأليف.

- كان الشيخ عبدالله متضلعًا بالآداب والتفسير والحديث، وبارعًا بعلم الكلام والمنطق والفلسفة، ويتقن اللغات؛ العربية والفارسية والأردو، وكانت له ذاكرة قوية، وواسع الاطلاع على الكتب والمؤلفات، وله مجموعة من المصنفات، منها:

- معارف الهند.
- الحرية والاستبداد.
- القول الفصل في الرد على الشيعة.
- مقالة على ابن الهيثم.
- ترجمة مروج الذهب.
- ترجمة: تاريخ الرسل والملوك للطبري.
- ترجمة الملل والنحل، لابن حزم.
- ترجمة كتاب المعارف لابن قتيبة.
- ترجمة الطبقات الكبرى، لابن سعد.
- ترجمة كتاب التنبيه والإشراف، للمسعودي.
- ترجمة تاريخ جون بور للشيخ عبدالقادر العمادي.
- شرح المفصل للزمخشري.
- له أيضًا كتب باللغة الأردو.

- بالإضافة إلى هذا الإنتاج الكبير فإنه شاعر يجيد النظم باللغات الثلاث التي يتقنها، ومن شعره العربي:

سقوني عين شمس من بدوري
فميّزتُ البكورَ من الرواحِ
أرى آياته في كل شيءٍ
ففرقت السهول من البطاحِ
تجلّى النور من فوقٍ وتحتٍ
رَبَتْ أضواؤه كيل المساحِ
حياتي بين آيات الكتابِ
وأحياء المساند ارتياحي

(١) محمد سلطان محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم فس الأدب العربي ص ١٨٧. عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ٢٩٧.

معاشي للمعاد، وماء وجهي
جرى بين المعاجم والصحاحِ
ويستغني عن شمس وبدرٍ
قضى له الدراجي والضواحي
إذا ما النفس بالنور استنارت
تكف عن اغتباقٍ واصطباحِ
تناديني ملائكةٌ كرامٌ
هذا تقشعرُّ له النواحي
صلاحك في سيوف ماضياتٍ
يحل الأمر عن كاعب وراحِ
صلاحك في دروعٍ سابغاتٍ
فيا وسنانُ حيَّ على الفلاحِ
نجاتك في سهام صائباتِ
تنجي الشعبَ عن رقٍّ متاحِ
حياتك في ممات المشركينا
وعيشك في إبادة من يلاحِ
ملاحات الزمان قد استعرت
فلا يغنيك ملح من ملاحِ

• قدرة الشاعر كبيرة في النظم، مع معرفة باللغات الأخرى، وكم من الكتب المؤلفة والمترجمة، ومع ذلك فهو شاعر متمكن من النظم العربي، استخدم البحور الخليلية، مع قافية ذلل، وإن كانت صعبة، ويمتلك المعاجم بحسب ما ذكر في القصيدة، ويبني قصيدته على التناسق بين اللفظ والمعنى، وخيال قليل، ووصف حاله مع الكتب والقراءة، وحبه للمطالعة، فكانت حياته بين الكتب، دراسة وتدريسًا وتأليفًا، حتى أصبح علّامة عصره، ومع خيال شاعر متمكن استطاع أن يستخدم الألفاظ المناسبة مع سبك للأبيات، وتناسقها في تركيبات اللغة والبحر العروضي.

****

عبدالله البنغالي الندوي

١٣١٥ - ١٣٩١ هـ / ١٨٩٧ - ١٩٧١ م

• ولد الشيخ عبدالله البنغالي الندوي[1] في «نور فور» بمديرية بيربهوم، البنغال، سنة ١٨٩٧م، ونشأ في بلدته وتلقى دروسه الأولى فيها، ثم توجه إلى دلهي لتلقي العلم، فدرس العلوم النقلية والعقلية على يد الشيخ المفتي كفاية الله الدهلوي، لمدة أربع سنوات، ثم أخذ علم المنطق والتفسير والحديث عند الشيخ الحافظ عبدالله الغازيبوري، ثم ذهب على لكناؤ ليدرس بدار العلوم ندوة العلماء، حتى أكمل علومه، وأثناء تلك الفترة سافر مع

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٣١١.

بعض الطلبة إلى مدراس للاشتراك بمسابقة تعليمية، وكان دائمًا يتحدث بلغته البنغالية، ولكن في تلك المسابقة خطب بلغة عربية فصيحة أعجبت الحاضرين، وعانقه الشيخ سليمان الندوي وقال : إنَّ هذا الولد تغور من خليج البنغال إلى بحيرة العرب» وهنّأه، على ذلك.

- بعد تخرجه من دار العلوم ندوة العلماء حصل على منصب للتدريس في دار الحديث الرحمانية، ومكث أربع سنوات، ثم اشتغل بالمدرسة العالية بكلكته مدرسًا، ولكن طلب منه في المقابلة الشخصية أن يكتب أربعة أبيات من الشعر العربي خلال ثلاث ساعات حول: عند الامتحان يكرم المرء أو يهان، ولكن الشيخ عبدالله كتبها ببضع دقائق، منها :

كثير من أناس يدّعي الفضل
ولكن صدقه عند امتحانِ
رأيتُ العالم النحرير فيه
قعودًا مستكينًا بالهوانِ

- فتم للجنة الامتحان قبوله بين أعضاء هيئة التدريس.

- في بداية تأسيس المملكة العربية السعودية نظم الشاعر عبدالله قصيدة يحيي بها الملك عبدالعزيز آل سعود بالسيطرة على نجد والحجاز، وكان ذلك في أوائل القرن العشرين، فقام شاعرنا بنظم أبيات يشيد فيها بالملك ويقول:

لقد أبدت نواجذها ذئابٌ
معاندة على نجل السعودِ
فهل من يدّعي الإيمان حقًا
يجوز لهم ملازمة القعودِ
عليكم أيها العلماء دفاعًا
عن الإسلام إمداد السعودِ
لقد ظفروا إذا جئتم جميعًا
بأحكام الشريعة بالجلودِ

- هذه أبيات واضحة المقصد، بسيطة التركيب والنظم، قالها على الرغم من المسافة التي تفصل بين الجزيرة العربية والهند، غير أن نظرة الشاعر وتأييده لرؤية حاكم مسلم يسيطر على البلاد الإسلامية كان هدفه، والأبيات لا خيال شاعر فيها ولا صور بلاغية.

****

عبدالله الشائق المئوي

١٣٠٩ - ١٣٩٤ هـ / ١٨٩١ - ١٩٧٤ م

- هو الشيخ عبدالله الشائق بن محمد إسماعيل بن عبدالقادر بن عبدالله المئوي[1]، ولد في مئو، أعظم كره سنة ١٣٠٩هـ، الموافق ١٨٩١م، تعلم الكتب الإبتدائية في

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٣١٩.

اللغة العربية والفارسية على يد الشيخ سلطان أحمد، وكذلك العلوم، تعلمها على أيدي الشيخ إسحاق البردواني، والشيخ مقبول حسين، والشيخ عبدالشكور الكانفوري، والشاه عين الحق الفلواروي، والشيخ عبدالنور المظفر فوري، والشيخ عبدالمنان وفا الغازيفوري، وآخرين. أما الحديث الشريف والتفسير فقد استقاه من المحدث العلامة الشيخ عبدالله الغازيفوري، وبعض علماء ديوبند. ذهب إلى ديوبند وشارك في الامتحانات الحكومية ونجح فيها، وتخرج سنة ١٣٣١هـ، الموافق ١٩١٢م، وكان في مقتبل العمر.

- بدأ حياته العملية في التدريس، فقد درّس في مدرسة «جنيان والي مسجد» في لاهور، وكان الطلاب ممتازين في البحث والمناقشة والجدال، لذا رفضوا أن يدرسهم شيخ بمثل سنهم، لذا ذهب الشيخ عبدالله إلى «بيهار»، فدرّس في مدرسة هداية الإسلام بجمال فورة، ثم في سنة ١٣٣٣هـ، الموافق ١٩١٤م، عاد إلى بلدته ليعمل في الجامعة الإسلامية، ولكن بعد فترة وقع خلاف بين أعضاء التدريس، فترك الشيخ عبدالله الجامعة سنة ١٩١٨م ليؤسس جامعة باسم» الجامعة الأثرية دار الحديث».

- كان الشيخ عبدالله ممثلًا في الحزب السياسي للكنغرس، المساهم في حركة الخلافة في الهند، وعلى الرغم من مشاغله التدريسية والإدارية إلا أنه ألف كتابًا باسم «الآثار المتبوعة في الطلقات المجموعة»، وكان هذا الكتاب يرد به على كتاب الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي «الأعلام المرفوعة»، وانتقل الشيخ عبدالله إلى رحمة ربه في سنة ١٣٩٤هـ، الموافق ١٩٧٥م.

- للشاعر عبدالله الشائق قدرة على نظم الشعر في اللغات الثلاث التي يتقنها، وهي الأردو والفارسية والعربية، ومن شعره العربي، يقول:

جرت العيون بمائها وتتابعت
حتى اضمحل سعادها ذو القارِ
صلى الإله على الصفي محمد
وسقى الغوادي قبره والساري
قد كان من أعضاء ملة أحمد
وحماة دينِ القاهر الجبارِ
وخليفة النفر الأوائل كلهم
في الأمر بالمعروف والإنذارِ

- الشيخ عبدالله شاعر، ولكن يبدو أن شعره بالعربية قليل، والمصدر لم ينقل سوى هذه القطعة فقط، ولكنها جيدة في الحفاظ على صورة النظم العربي، من حيث استخدام البحر العروضي، والقافية من الذلل، والألفاظ السهلة، غير المعقدة والغامضة، لذا فهو شاعر ناظم، ولم يدخل الخيال في أبياته، لأن القطعة كانت رثاء لأحد أصحابه.

- دراسة الشاعر للغة العربية وتعمقه فيها أعطاه القدرة على استخدام الألفاظ السهلة في النظم العربي، وهو لا يريد الدخول في العمق لأن الرثاء لا يحتمل ذلك، فهذه القطعة لا تنم عن المقدرة الكاملة التي أظن أنه يمتلكها.

****

عبدالله الكشميري

١١٦٣ - ١٢٢٦ هـ / ١٧٥٠ - ١٨١١ م

• ولد الشيخ عبدالله بن عبدالرشيد البيهقي في سرينغار[١]، كشمير سنة ١١٦٣هـ، الموافق ١٧٥٠م، تعلم على يد والده جميع الدروس من فقه، وأصول الفقه والحديث والتفسير حتى بلغ العشرين من العمر، وبعد وفاة والده قام مقامه في إفادة الناس بالعلم والتربية الإسلامية.

• أخذ الشيخ عبدالله يطوف أقاليم الهند والمدن، يدعو الناس إلى الدين الحنيف، وكان الشيخ لديه موهبة قرض الشعر باللغة الفارسية واللغة العربية، وصنف كتبًا كثيرة، وله ديوان شعر باللغة الفارسية، حشد فيه الفقه والمسائل الدينية على المذهب الحنفي، وقد بدأه الشاعر بقصيدة عربية يقول فيها:

بسم الرزاق وإله الكريم
فهو رحمن ورحيم والقديمْ
نحمده حمدًا لرب العالمين
كل يوم كل ليل كل حين
فهو موجود معبود خبير
وهو مسجود على كل قدير
فهو كان غيره إذ لم يكن
أظهر الأشياء هو من أمر كن
أمر الإنسان من شرع قويم
أنزل الفرقان في طريق المستقيم
الذي بعث النبي المصطفى
هادٍ ذو الرحمة للورى

• كلمات بسيطة، وفيها تذكير بالله سبحانه وتعالى، ولكن يظهر قدرته على النظم باللغة العربية، وكان له قصيدة عربية أسماها «بدر الدجى»، يقول:

باسم الكريم لأبتدي
بالشوق في نعت النبي
بيّنتُ ماذا قال لي
سلّم عليه ربّنا
الحمدُ منا دائما
لله خالق السما
نعت النبي المصطفى
سلّم عليه ربّنا
لاح الخليل المقتدى
كالشمس في أفق السماء
نجم الرسل منه اختفى
سلم عليه دائما

(١) محمد مظفر حسين الندوي، مساهمة أهل كشمير في اللغة العربية والأدب العربي، ج١: ٢٨٧.

هـــو عـــين الـــعـــالمـــين
يـــس حـــتـــم المـــرســـلـــين
طـــه شـــفـــيـــع المـــذنـــبـــين
ســـلـــم عـــلـــيـــه ربّـــنـــا
أصـــل الخـــلائـــق خـلـقـه
خـــيـــر المـــلائـــك رفـــعـــة
صـــدر الـــرســـل هـــو حـكـمـة
ســـلـــم عـــلـــيـــه ربـــنـــا
كـــل المـــعـــانـــي قـــد عـبـر
مـــا رد قـــطُّ ذو الـــوطـــر
بـــاللـــطـــف تـــطـــفـــى الـــسـقـر
ســـلـــم عـــلـــيـــه ربّـــنـــا

- تقود العاطفة شاعرنا إلى محاولة نظم قصيدة شعرية يعبر بها عن عاطفته تجاه رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – ولكن ليس في أبياته شعرية الشاعر، وقوة سبك الأبيات، ولا جديد في وصفه لرسول الله، فهو ناظم لألفاظ عربية، ولا جمال في الأبيات، ولا صور فنية في هذه القصيدة. وتوفي سنة ١٢٢٦هـ، الموافق ١٨١٢م.

****

عبدالله الكوكني

٠٠٠ – ١٣٢٥ هـ / ٠٠٠ – ١٩٠٧ م

- هو الشيخ عبدالله بن المفتي عبدالقادر جيتكر الكوكني الشافعي[1]، من أصل عربي نزحت العائلة إلى الهند أيام الحجاج بن يوسف الثقفي، خوفًا منه، واستقر بعضهم في مدراس، وهم النوائط، وبعضهم في كوكن، ولد عبدالله في بومبي، وتلقى تعليمه فيها، تعلم على يد أخيه الشيخ أحمد، وعلى غيره من العلماء، وعندما وجد الحاجة إلى إنشاء مطبعة قام بالعمل، وأسس دارًا لطباعة الكتب العربية، وسبق غيره في هذا المضمار.

- اشتهر بقرض الشعر العربي، وله قصائد ومقطعات، ومنها قوله في حفل ندوة العلماء في لكناؤ، وقد نظمها سنة ١٣٢٠هـ، الموافق ١٩٠٢م، يقول فيها:

يـاشـوقُ بـلّـغْ إلـى سـاداتـيَ العُلَما
ســلامَ عـبـدٍ كـئـيـبٍ كـابـدَ الألَمـا
والـثُـمْ ثـراهـم وأخـبـرْهـم بحالته
عـسـى يـزيـلـون عـنـه مـا بـه كـرَمـا

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ٢٩١. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١١٩. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٢ ص ١١١.

قد زاد عَـوْدُ ربـيـع فـي لـواعـجـه
وشـقّ عـن قـلـبـه زهـرٌ إذا ابتسما
أبكاه حـزنًـا غـنـاء العندليب على
ورد الرياض وقد سال العيونُ دما
شـدْو المـطـوّق فـوق الـبـان هيّجه
شجـوًا على إلـفه قد بـال منصرما
إلْـفٌ بـه كـان حـبلُ الأنـس متصلا
فـراغـم الـدهـر حـتـى حَـتَّـهُ جِـذَمـا
والدهر يحجز بين اثنين ما اجتمعا
ولا يــزالُ مُــجِــدًّا فـي فـراقـهـمـا
حتى نرى ما مضى كالطيفِ مدته
أولـم يكن قبل قط الشمل ملتئما
قد ضاع من يده الدر النفيس وإذ
ما اعتاض منه بديلًا هام وهو عمى
ومـا لـه أحـد يـشـفـيـه مـن كـرب
إلا أراكــين نـادٍ نـدوة العلمـا

• ونظم أيضًا قصيدة في حوالي التاريخ نفسه، ليقول فيها كلامًا عن اختلاف المسلمين، وكأنه يتحدث عن الوضع اليوم، وهو بعد قبل سنة:

ألـم تـروا فـات عنكم من تشاجركم
فـوائـد واسـتـفـاد الـغـيـر مغتنما
قد حيّرتني أمـور منكم صدرت
وقـد تـركتم وراءَ الظهرِ مـا لزما
كـان اخـتـلافكم لـلـقـوم رحمتهم
فـصُـحّـفـت لـنـزاع بـيـنـكـم دهـمـا
أمـا لـديـكـم كـتـابٌ جـلَّ مـنـزلـه
هـدى ونـور وتفصيلٌ حـوى حِكما
كـم آيـة خـاطبتكم فـي إقـامـةِ ما
أتـى الـبشيرُ وقـد أحـيـى بـه أمما
والـصـلـحُ خـيـرٌ والإصــلاحُ آمـرة
آيـات حـقٍّ فمن يـعمل لـهـا سلما
فاصفحوا ما استطعتم ذات بينكم
وارعوا حقوق إخاء واحفظوا ذمما
كم ذا الخصام وكم ذا الخلف بينكم
لـقـد فشلـتـم ورزء فـيـكـم عظما
كم ذي الفتاوى وكم تكفير بعضكم
بـعـضًـا وكـيـف شـددتم الـرضـمـا
قوموا فكونوا كنفس وهي واحدةٌ
إنَّ الـتـفـرقَ مـنـكـم ضـيّـع الحـرمـا

• هل هذا حال المسلمين في كل بلد مسلم؟؟!! الوضع بين المسلمين هكذا قبل أكثر من مئة عام، فهم على خلاف بينهم، وكل فرقة تكفر الأخرى، كما قال الشاعر الحكيم قبل مئة عـام، ملاحظات هـذا الشاعر لواقع المسلمين ملاحظات جادة تحاكي الواقع، وهو رجل حكيم، ولديه القدرة على نقل الواقع إلى أبيات الشعر، فكان عظيما فيما رأى، وحكيمًا فيما نظم. وهناك قصيدة طويلة أيضًا لهذا الشاعر المراقب لأوضاع المسلمين، يقول فيها:

دعْ ذكــر ربّــات الـكِـلَـلْ
وذرِ الـصـبـابـةَ والــغــزَلْ
الـقـلـبُ مـشـغـولٌ فـمـا
لـلـعـشـق فـيـه مــن مـحـل

يا للرجال ألو تروا
ماذا بقومكم نزل
هل عُدّةٌ معْ عِدّةٍ
نرجو بها دفع الجلَل
قد عمّنا الداءُ العُضا
لُ من البطالة والكسل
داءٌ أخلَّ بعقلنا
والجسمُ منه قد اضْمَحل
داءٌ به فسد المزا
ج وفي الطباعِ بدا الخلَل
داءٌ لقد سلب القوي
عنا وعوّض بالفشل
داءٌ تعطّل منه إحسا
ساتنا والخطبُ جَل
خَطْبٌ أباد جموعَنا
حتى اتّصفنا بالفشل
خَطْبٌ لهولُ وقوعه الـ
ـدان رأسُهُمُ اشتعل
خَطْبٌ تزلزلتِ الأرا
ضي منهُ واندّك القُلَل
خَطْبٌ أقام قيامةً
قبلَ القيامةِ منذ حل
وا رحمتاهُ لحالنا
إذ نجم عزتنا أفل
وا خيبتاه لقد أحا
ط من الذل الذلل

يا للحمية اسعدي
فتسددي فينا الوصل
هل تستقيم شؤوننا
والحبلُ منا منفصل
قد زال شمسُ نهارنا
في غفلةٍ وبدا الطَفَل
فالآن إن لم ننتبه
هل بعدُ فينا من أمل
ما زاد كثرتنا سوى النـ
ـقصانِ فينا والعطَل
تَثْرى أمام عيوننا الـ
ـآفاتُ تمطر كالهَمَل
يا أيها الملأ انظروا
ماذا بساحتكم نزل؟
هل فيكم من نهضةٍ
تنجيكمُ مما حصَل؟
ما عندكم غير اللسا
ن وليس يتبعه عمل
فلكم وكم بتُّمْ تعُدْ
دون المصائبَ بالجُمَل
هل ما أفاد مقالكم
بين الورى غيرُ الخجل؟
ليس الكلام بمنجدٍ
مادام قائله وَكَل
إنَّ الكلامَ بغير فعـ
ـلٍ كالبكاء على الطَّلَل

كم ذا التّراخي منكمُ ... لله درُّهمُ فكلْ

كم ذا التكاسل والمهَل ... لٌ منهمُ المسعى بذل

كم ذا التعصّبُ بينكم ... لله جهدهمُ فكم

كم ذا التنازع والجدَل ... قد أصلحوا منا الخلل

كم ذا التجاهلُ والتغا ... كم من مسائلَ فيهمُ

فلُ والتساهلُ والمَطَل ... تروي الأنام لدى النِّحَل

أودى تأخُّركم عن الـ ... يا معشر الإسلام فاثْـ

أقرانِ في شر الغِيَل ... تَبعوهمُ وذَروا المَذَل

لن تفلحوا ما دمتمُ ... فهم الأساةُ وعندهم

أسرى لأفكارٍ أُوَل ... لكم الشفاءُ من العلل

والدّهرُ حيث شُغِلتمُ ... وارعوْا حقوق إخائكم

عنهُ بغيركم اشتغل ... ودعوا النزاع على الأقل

للهِ يا قون انهضوا ... ويكون همكمُ إصـ

وخذوا الحِذارَ من الدُّغَل ... لاح الفساد وما أخل

وإلى المعالي سارعوا ... بتفرّقٍ منكمْ لقد

فالجدّ يُعلي من سَفَل ... ضاقت بنا حيَلُ الحيَل

ها ندوة العلماء بيـ ... لن تستقيم شؤونكم

نكم أقامت محتفَل ... والحبل منكم منفصل

من كل غطريفٍ سَدِيـ ... يا للحميّةِ أسعدي

دِ العزم مقدامٍ بطل ... فتشدّدي فينا الوصل

من كل نحريرٍ خبيـ ... حتى نثقف حال أحـ

رٍ عارفٍ سمحٍ أجَل ... داثٍ فأمرهمُ جلَل

لله نادٍ قد حوى ... إنَّ الزمان لمنتهٍ

فضلاء قومٍ واشتمل ... والعمرُ يمضي بالعجل

لا ينفعنَّ تأسفٌ
من بعدِ ما يُقضى الأجل
واللهِ ليس نفوسُنا
تُركت سُدى مثل الهَمَل
فغدًا سيُسأل كلنا
عما جناه وما فعل
ماذا يكون جوابنا؟
أفلا نُجيب إذا نُسَل؟
هذا وما غرضي سوى الذ
ذكرى ولا أبغي بدل
ما الدين إلا النصح وال
هادي هو الله الأجَل

- قصيدة طويلة شخص بها الشاعر عبدالله كوكني حال الأمة الإسلامية من التفرق والتناحر والتباغض، ولم يترك أي خطب جليل إلا وذكره بشكل عام، وتساءل أين أنتم يا مسلمين؟؟ فتكت بكم المحن والكوارث وأنتم بعيدون عنها تتنازعون الترهات والمشكلات تعصف بكم!! ثم يوجه كلامه إلى العلماء في ندوة العلماء بلكناؤ، وهم من قمة الرجال والفضلاء يطلب منهم ترك التناحر والانتباه إلى الواقع المرير، لإصلاح ما يمكن إصلاحه من حال الأمة.

- قدرة الشاعر كبيرة في استخدام الألفاظ المعبرة عن أفكاره النيّرة في نقل تصوره لحال المسلمين، مع المعنى الكبير الذي طرحه في قصائده، ونظر إلى واقع الأمة المسلمة، وسطرها أبياتًا تدق فكر المسلمين وتوعيهم إلى حالهم، كان أسلوبه رقيقًا سهلًا ميسورًا للجميع يفهمون لغته وفكرته، وخياله كان متسعًا لأفكاره، فقد صور الوضع تصويرًا جذابًا، وكأنه قد مرر شريطًا سينمائيًا لواقع المسلمين.

- سهولة الأبيات مع بحر سهل، وقوافي ذلل أقبل له القراء لسهولة اللفظ، وعمق الفكرة التي تحدث عنها، وقد استعمل خطاب الحث والتحريض على نبذ الواقع بالعمل، وليس بالقول فقط، تلك الألفاظ كانت مناسبة للمعنى، ومتناسقة مع الفكرة، إلى جانب السبك الجيد للأبيات، وإن كان بالإمكان تقديم أو تأخير بعض الأبيات لتسلسل الأفكار حتى تبدو طبيعية سلسة التتبع. وعلى العموم هذا شاعر عميق الفكرة حكيماً، ناظم جيد للقصيد العربي، يتساوى مع شعراء العرب في القيمة الشعرية.

****

عبدالله خان العلوي

١٢٠٠ - ١٢٦٢ هـ / ١٧٨٥ - ١٨٤٥ م

- ولد الشيخ عبدالله خان العلوي[1] في شمس آباد حوالي ١٢٠٠هـ، على التقريب، ولا يعرف بالضبط متى ولد، الموافق ١٧٨٥م، ودرس المرحلة الأولى في بلده، ثم ذهب إلى دلهي وتلقى العلم على يد الشيخ إسماعيل بن

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٠.

عبدالغني الدهلوي، حتى برع في الفنون المختلفة، وأتقن اللغة العربية والفارسية، كما تعلم الطب، وأخذ الطريقة الصوفية من السيد أحمد بن عرفان الشهيد، وعمل في دلهي فترة من الزمن، وكان طبيبًا حاذقًا، وخرج من دلهي إلى فرح آباد، وكان هناك النواب محمد عي خان الموسوي، فأمسكه ليكون طبيبًا له، فأقام هناك طيلة حياته.

- أتقن الشيخ عبدالله خان اللغة العربية، وأخذ ينظم بها بعض أشعاره، ولكنه مقل، والمصدر لم يذكر له سوى قطعتين من الشعر العربي، منها:

يا أهلَ نجدٍ اصغوا لقصتي
نشرت منازل حتى النعائمِ
عذلتُ نفسي فيما تضيعت
نقد الحياة بكسب الذمائمِ
فأدلتها بطواف لكعبته
أرجو بذلك عفو الجرائمِ
هي أم رحم دواعي عكوفها
بلغت لهم رحمة من كرائمِ
بيتٌ عتيقُ وصاوي نخيلها
أحسي يسمع من ذكر صبائهم
قالت صدقت ولكن طالما
عاد المحبُّ بفتح الغرائمِ
والله كيف أجاز ولو أجد
أن يترك الحب من لوم لائمِ
كلب الحبيب حبيب لعاشق
أم ظني بيت وصوت الحمائمِ

- على الرغم من أنه هندي، إلا أنه ذكر أهل نجد، وكأن الأماكن العربية جزء من النظم العربي، أو أن الشاعر متعلق بالبلاد العربية؟!!.

- له قصيدة أخرى جميلة جيدة السبك، قوية العبارة، لها رونق خاص، وفيها خيال الشاعر المتمكن، يقول فيها:

لازال عذبةُ سوطهِ متحركًا
يومَ العطاءِ ويومَ حربِ التعصبِ
وله سنان اللحظ دون حمايةٍ
لو ألقيت لترى الحسود مقرعبِ
قام البرايا حوله متدانيًا
لجنوبهم كالصائمين لمشربِ
وسعى أكباش القوم حين ركوبهم
ملقى الأيادي في مؤخر فيقب
لله در الواصفين له بأن
قد فقتَ معنا بالجواد والعشربِ
والغائلين بأنه لما سرى
فالشمس لا تتمز عن كوكبِ

- هو شاعر يمتلك القوة الشعرية التي تنتج قصائد على مستوى عالٍ من القدرة على صياغة الأبيات مستعملًا الألفاظ العميقة المعنى، مع ما بذله من سبك للمعاني التي يريدها، استخدم العروض الخليلية في الوزن، وقوافي ذلل مناسبة للمعنى المراد، وهو بذلك ينظم قصيدة جيدة التنسيق بين اللفظ والمعنى.

- استعمل الشاعر خياله الخصب في إنتاج أشعاره، وذهب بعيدًا في خياله الفكري، ليعطي لنا أبياتًا يحتاج القارئ

أن يفسرها لمن هو في حاجة لفهمها، كما أنه قد حفظ ألفاظ المعجم، وجاء بألفاظ نادرة ليعبر بها عن مكنون قلبه، وفكره، وكان حبه للغة العربية مدعاة للغوص على الألفاظ النادرة ليضعها في شعره، وهو متمسك بالأرض العربية لفظًا وصناعة، وكأنه جزء من هذه الأرض، وأظن هو كذلك.

- لم يسعفنا المصدر بذكر شواهد أخرى من قصائده، ليعطينا فكرة أكبر للحكم على الشعر، فهو شاعر عميق الفكرة، وغامض المعنى، وكثير الغوص على الألفاظ النادرة، فلا بد من توضيح أكثر لأفكاره.

****

عبدالله علي التونكي

٠٠٠ - ١٣٣٩ هـ / ٠٠٠٠ - ١٩٢٠ م

- هو الشيخ عبدالله بن صابر علي الحنفي الطوكي[1]، ولد في طوك، غير معروف تاريخ الولادة، ونشأ في بلدته، وسافر لطلب العلم وتتلمذ على يد المفتي لطف الله بن أسد الله الكوئلي، وغيره، ثم درس الحديث عند الشيخ أحمد علي بن لطف الله السهارنبوري.

- لما اشتد عوده عمل في التدريس، في دلهي بمدرسة مولانا عبدالرب، ثم ذهب للتدريس في الكلية الشرقية بلاهور، ومكث بها مدة من الزمن، وقدره أهل لاهور أيما تقدير، ولكنه ذهب لمدينة لكناؤ ليدرّس بدار العلوم، وبعد ذلك ذهب إلى كلكته ليعمل بالمدرسة العالية، ولكن المرض داهمه، وأصيب بالفالج، فترك كلكته وذهب إلى بهوبال عند ولده، وانتقل إلى رحمته تعالى سنة ١٣٣٩هـ، الموافق ١٩٢٠م.

- للشاعر تعليقات وحواشي منها:
  - **شرح السلم، المسمى بحمد الله.**
  - **عجالة الراكب، في امتناع كذب الواجب.**
  - **له مصنفات أخرى غير ذلك.**

- وله قصائد شعرية رقيقة، ومنها قصيدة يمدح بها الوزير عبيد الله خان الطوكي، التي يقول فيها:

طـاب الأصـيـلُ وطـابـت الأسـحـارُ
واخـضـرَّتِ الأنجـادُ والأغـوارُ
فـي كـل نَـحْـوٍ روضـةٌ وقـرارةٌ
جـادت عـلـيـهـا ديمـةٌ مِـدرارُ
دَرَّ الـغـمـامُ عـلـى الخـمـائـل والربـى
فـزكـا الـنـجـومُ وأوشـع الأشـجـار
وعـلا الـفـروع لـرنـدهـا وعَـرارهـا
واهـتـزّتِ الأنـوارُ والأشـجـارُ

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ٢٨٦. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٢ ص ٧٩.

فشقائقُ النعمانِ تحسبُ أنها
قَبَساتُ نارٍ فوقهنَّ أوارُ
ويفوحُ جاديها ونَشْرُ بهارِها
ويروق ذاك الدّلْبُ والدّرْدارُ
والياسمينُ قد ازدهى بجماله
والوردُ في ألوانه مِفْخارُ
والأقحوانُ مُنوّرٌ بجنوبها
والآسُ قد مُلئَتْ به الأفتارُ
فترى النسيمَ إذا تهبُّ خلالها
سكرانَ خمْرًا أو عليه دُوارُ
وترى على أوراقها وغصونها
تتغرّدُ الذبّانُ والأطيارُ
والناسُ في دعةٍ وعيشٍ مُخْضلٍ
ورفاهةٍ لا يحتوي المقدارُ
وتنعُّمٍ حتى تقولَ كأنهم
في جنةٍ تجري بها الأنوارُ
فسألتُهم ما بال ذا العيش الهنيءُ
ومَنِ الذي انقادت له الأقدارُ؟
فالأرضُ ما بخلت بحُسنِ نباتها
والمُزْنُ ما انقطعت له الأقطارُ
قالوا ألم تشعر بقِيلهِمُ الذي
نضرَتْ بحسن تظامه الأمصارُ
ومن الذي ازدَخرَ الفضائلَ كلّها
وله على كل المديح خيارُ
كهف الورى هذا عبيد الله من
خشعت له الأصواتُ والأبصارُ
ذلّت صُروف الدهرِ في سَطَواتهِ
وتهيّبَتْه السهلُ والأغوارُ

- مما لا شك فيه أن الشاعر عبدالله الطوكي له قدرة كبيرة على النظم، فقد امتلك ناصية اللغة فوظفها لخدمة هذه القصيدة المدحية، فالألفاظ منتقاة بعناية، مع معنى خاص في المديح، فقد جال في الحدائق ورأى الأشجار والأزهار، والورود والرياحين وهي تبتهج للممدوح، فكأن خياله شمل الطبيعة واستخرج منها ما يصنع به باقة جميلة.

- تمكن الشاعر من بحور الشعر، وقافية ذلل، وألفاظ معبرة جعله يرتقي بقصيدته إلى صفوف عليا من المديح الخيالي لشخص وزير جاء من بلدته، تمكن الشاعر من سبك تلك الكلمات والمعاني في أبيات سهلة ميسورة الفهم والإدراك، فلا غموض فيها، ولا معاضلة، فكان بحق شاعر الهند العربي.

****

عبدالله محمد النوراني

١٣٣٣ - ١٣٧٣ هـ / ١٩١٢ - ١٩٥٣ م

• ولد الشيخ عبدالله النورانبدأ في قرية ككيديفرام[١]، في ولاية تاميل نادو، جنوب الهند، سنة ١٣٣٣هـ، الموافق ١٩١٢م، أبوه محمد مسليار كان مدرسًا، وتوفي أبوه وهو صغير، فنشأ في كفالة أخواله، درس المرحلة الابتدائية، ثم التحق بجامع كمارنلور، عند الشيخ كنج مركار مسليار، وبعد ست سنوات، التحق مدرسًا في مدرسة بتانجافور، ولاية تاميل نادو، ولكن حب الدراسة أرجعته لمقاعدها فدرس عند خاله محمد كوتي مسليار، ثم التحق بجامع دار السلام بعمر آباد، وحصل على شهادته، ثم التحق مدرسًا بجامع ترتالا سنة ١٩٣٤م، وبعدها التحق بمدرسة منار العلوم سنة ١٩٣٩م، ولكنه أصيب بمرض نفساني أقعده عن العمل حتى وافاه الأجل المحتوم وانتقل إلى رحمة ربه سنة ١٣٧٣هـ، الموافق ١٩٥٣م.

(١) ويران محيي الدين الفاروقي الشعر العربي في كيرلا ص ٢٣٠.

• بدأ الشاعر النوراني بقرض الشعر وهو صغير السن، وله مداعبات ومراسلات مع أصدقائه الشباب، ولكن أشعاره قصيرة الأبيات، ولا يوجد قصائد طويلة، من تلك المداعبات، أن له صديقًا اسمه موسى، ولكنه لا يحب التعلم، فكان يحثه على طلب العلم فيقول له:

تعلم العلم دون الكسل يا موسى
وكن لكل فنون العلم قاموسا

• فطلب بعض الأصدقاء أن يزيدهم بيتًا فقال:

لا تجهلنَّ فإن الكسل منقصةٌ
وجاعل أحسن الإنسان جاموسا

• وطالبه صديق آخر بالزيادة، فقال:

إنّي أظنك يا بطال جاموسا
إن لم يكن لك شغل فالزم موسى

• هكذا كان شاعرنا يرتجل الأبيات في مداعبات لطيفة مع أصدقائه، وكان له صديق اسمه جمال الدين، وأراد ترك مدرسة دار السلام، فكتب شاعرنا على جدار الغرفة:

جمال الدين يخرج عن قريبٍ
ويترك دارنا دار السلامِ
فتصبح عندنا حوت ابن متي
تمج الدر بعد الإلتقامِ

• كان لشاعرنا عبدالله صديق اسمه المولوي محمد صالح، وكانت له لحية جميلة، وكان هذا الصديق من زعماء حركة الاستقلال، فقال له الشاعر:

واهًا لـلـحـيـة صـالـح واهـا
من شعرها يبدو الصلاح مضيا
خذ أسيل ليس يلثمه سوى
حور حسان لم يلاق بغيا
كم حفصة وصفية وسمية
يعشقنه لشقائهن بكيا
لو كانت امرأة العزيز تناله
ليصير يوسف عندها منسيا

• هذا الصديق كان وسيما، وذا لحية جميلة فيشبهه بسيدنا يوسف – عليه السلام – وكما ذكر الشاعر: لو أن امرأة العزيز شاهدته لتركت يوسف وتعلقت بهذا الصديق الوسيم.

• زار العلامة محمد ضياء الدين باني كلية الباقيات الصالحات، مدينة «فنان» فقام شاعرنا ونظم قصيدة طويلة من ثلاثة وعشرين بيتًا من الشعر العربي، ولكن ما وصلنا منها إلا هذه القطعة:

أيا فنان عاد عليك عيدُ
وطر عليكِ طالعكِ السعيدُ
لماذا ترقصين مسرة هل
أتاكِ ابن السعود أو السعودُ
لقد بوركتِ أنتِ بلمس رجلٍ
يلامسها القيام أو السجودُ
وقد علم البلاد بأن نهضت
وودعكِ الجهالة والجمودُ
تأخر مابلا حتى اقشعرت
لآفاتهم من النشء الجليدُ
كثير منهم صمٌ وبكمٌ
كأهل الكهفِ نوّام رقودُ

• يذكر هنا أهل كيرلا «مابلا» بأن كثيرًا منهم لا يريد التعلم، ولا يسعى إلى المعرفة، فهم رقود كأهل الكهف.

• كان من أعز أصدقائه الشاعر محمد الفلكي، وكانت بينهما مراسلات شعرية، ومحمد هذا كان شاعرًا أيضًا، فكتب إلى شاعرنا رسالة، وهي عبارة عن قصيدة، فرد عليه شاعرنا بقصيدة يقول فيها:

بخ بخ ليواقيت بأثمان
ملأ السما وثرى بل ملأ أكوانِ
لا تشترى نظمت في سلك مرجان
لنظرها لا تطيقن عين إنسانِ
يا خيرَ كلِّ أخٍ يا سيدَ أخدانِ
يا قطعة الكبد يا سلطان خلانِ
سقت قصديك هذا المجترى العاني
كؤوس عشق فحالي حال حيرانِ
فصرت خالص حب فيك في الآن
كحب مجنون ليلى خير نسوانِ
متى أشافه تاجًا خير تيجان
متى نقابل مسرورين وجهانِ

• هذه العلاقة الأخوية بين شاعرين تنتج قصائد لطيفة جميلة تحكي تلك العلاقة الحميمية بينهما.

• كان المولوي محيي الدين صديقًا لشاعرنا، ومدرسًا في قرية ترتالا، وكان يساعد المسلمين في مدينة «فنان» بمبلغ من المال، ويدعو النوراني للعمل مدرسًا في تلك القرية، فنظم الشاعر عبدالله النوراني قصيدة يمدح بها محيي الدين، ويثني على تبرعه للمسلمين في مدينة فنان، ويقول:

آذانها تعلو عن الأمثال في
أرجاء هند مسكن الأعلامِ
إذ عينوه مبلغًا لمعونة
نعم المبلغ ذو المقام السامي
هذا لبيبٌ ألمعيٌّ قد حوى
طيب السجايا خادم الإسلامِ
سمَّوك محيي الدين عند ولادة
فكأنهم علموك بالإلهامِ
وكأنما هم واثقون بأنكم
ستعينون مبلغ الإسلامِ

• عمل الشاعر النوراني مدرسًا في ترتالا فترة من الزمن، فلما أراد مغادرة المدينة كتب وداعًا لتلاميذه، يقول:

أيَا ترتالُ ذا وقتُ الوداعِ
قدِ استودعتُكِ اللهَ العظيما
وأركب قاربًا في نهرِ دمعٍ
وأذهبُ من هنا كذبًا هيوما
تلامذتي ويا أفلاذ كبدي
هداكم ربّنا النهج القويما
ولم تأسين فالفلكي قريبٌ
يحب لك العلا حبًا جسيما

• ويقصد هنا صديقه الودود محمد الفلكي.

• يتميز الشاعر النوراني بحبه لمجتمعه، ويعبر عن ذلك الحب بالأشعار التي ينظمها، ويقترب كثيرًا من أصدقائه، فينظم قصائد في مودتهم، ويتأسف لفراقهم، فيبدو أنه كان نبع الخير في مجتمعه، وعندما يرى من البعض ميلًا نحو الفساد، فيهجوهم بشعره، وينصحهم بالبعد عن الانحراف. فيقول:

ألا علماؤنا ضلوا
فحال اليوم حالهم
جنوا ظلمًا كثيرًا كي
يطيب لهم معيشتهم
قد اشتروا الضلالة بالـ
ـهدى وساءت صناعتهم
وباعوا الدين بالدنيا
فما ربحت تجارتهم

• شاعر اجتماعي مثقف ثقافة إسلامية، يدافع عن قيم الإسلام ومبادئه، فلا يرى اعوجاجًا في سلوك بعض المسلمين إلا وكتب ينصحهم، أو يهجوهم، فكتب مرة نصيحة لعلماء عصره يقول:

أين الإماطة للأذى أين الحيا
وهما من الإيمان والإسلامِ

أنّــا نــقــول بـأنـنـا أهــل الـهـدى
مــع أنـنـا فـي الـغـي والإجـــرامِ
يـعظ الأنـام ويـنـصـحـون فـلا يـرى
مــتــذكـرًا يـخـشـى ولـــو بمـقـامِ

- هذا الشاعر المسلم الاجتماعي، يدعو للحق، ويذم الباطل، يرى اعوجاج المجتمع فينصح، ويقوم ويهاجم ويردع أفراد المجتمع عن إتيان العمل السيء، ويمدح ويطري العمل الجيد، ميزانه في ذلك ما تعلمه من قيم الإسلام، وما تربى عليه في حياته، فكان مخلصًا لمبادئه، وقيم الإسلام، لا يغره المال، ولا الجاه، وهذا هو الشاعر الملتزم، الذي يعرف أن الفن في خدمة المجتمع.

- يقول عن نفسه:

فـنـيـتُ عـمـري فـي قـرض شـعرٍ
يـنـطـفئ مـعـي جـمـيـع أشـعـاري
ومـهـما طـال حـزنـي وطـاب شعري
لـــم يـــبـــدل الأعـــــداء أبـــراري

- كان الشاعر ملتزمًا قواعد النظم العربي، استخدم بحور الشعر الخليلية، وكان حافظًا للألفاظ العربية، من خلال المعجم اللغوي، أو ألفاظ وتراكيب القرآن الكريم، جمله الشعرية سهلة ميسورة الفهم والإدراك، ولها رونق خاص في التعاطف مع جمله وأفكاره، وهناك سبك جيد في الأبيات، مع التناسق بين الألفاظ والمعاني التي طرقها، فجاءت كلماته تصب في مصلحة الفهم للشعر.

- اجتمع في هذا الشاعر شيئان هما: حب اللغة العربية وأشعارها، وحب مهنة التدريس باللغة العربية، لذا برر أن أشعاره طبيعية لا غموض فيها، ولا معاضلة، فهو شاعر مطبوع، تسيل الأبيات من فمه، وكأنه يتحدث بها سليقة، أي كأن شعره هو كلامه العادي، فضلًا عن ارتجاله بالأبيات بديهة، ولا يحتاج إلى وقت طويل ليقول بعض الأبيات القليلة، مما يدل على سليقة وقدرة كبيرة على النظم.

****

عبدالله محمود الدرخواستي

١٣١٣ - ١٤١٥ هـ / ١٨٩٥ - ١٩٩٤ م

- هو الشيخ محمد عبدالله بن محمود الدين[1]، ولد في قرية «درخواست» سنة ١٣١٣هـ، الموافق ١٨٩٥م، حفظ القرآن الكريم صغيرًا، ثم درس المرحلة الأولى على يد والده، ثم تعلم على يد الشيخ غلام محمد دين بوري، ثم أكمل دراسته على أيدي مجموعة من العلماء، ومنهم: مولانا قادر بخش ملك بوري، ومولانا الشيخ أحمد بخش، ومولانا غلام رسول بونتوي، وغيرهم.

(١) حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان ص ٣١٣.

- حصل على إجازة الحديث من الشيخ أنور شاه الكشميري، وبعد تخرجه عمل في التدريس في مدرسة دين بور، ثم في المدرسة العربية بقرية درخواست، ثم بقرية مؤمن، وبعد ذلك حوّل هذه المدرسة إلى مدينة خانبور، وأسماها الجامعة العربية، مخزن العلوم، وكان يرأس الجامعة ويدرّس بها علم الحديث، ثم انتخب أميرًا لجمعية علماء المسلمين بباكستان بعد وفاة الشيخ أحمد علي اللاهوري.

- كان الشيخ عبدالله يستشهد في خطبه بأبيات من الشعر العربي، فقد حفظ آلاف من الأبيات الشعرية القديمة والحديثة، ولشاعرنا بعض القصائد في مدح رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – يقول في احداها:

وجهٌ منورٌ كالبدرِ في الدجى
وخدّهُ منورٌ كالشمسِ في الضحى
قوله حق للناس لازم الاقتداء
وفعله برهان للناس للاهتدا
منكر حديثه منكر القرآن بلا مرا
جاحد فعله محروم عن الصدق والصفا
هو شافع ومشفع في يوم الجزا
هو صاحب عدل ومعدن جود وسخا
هو خطيبٌ وقريب صاحب لوا
هو مخزن علوم ومنبع فيوض وعطا
هو رؤوف ورحيم جميل الحيا
هو هادٍ وداعٍ إلى الرب دائما
مسجده أفضل مساجد الأنبيا
وقبره أفضل قبور الأنبيا
ما إن له نظير في الأرض والسما
وما إن له شريك في العلم والتقى

- قصيدة ركيكة، خالية من سمات الشعر المعروف، لا بحر سليم ولاوزن قويم، ولا قافية ثابتة، فهو وجد كلمات باللغة العربية ويريد أن يصنع منها شعرًا فهو لا يمتلك موهبة، على الرغم من معرفته للغة العربية، ولم يستعمل خياله في صنع صور فنية، ولا موسيقا في أبياته، ولكنه محبٌّ للغة العربية ويريد أن يكون شاعرًا.

- له قصيدة أخرى في مدح رسول الله، يقول فيها:

قلبي محزون بهجر المصطفى
صدري مجروح بفراق المجتبى
أتفكره ليلاً ونهارًا دائما
ولا يفارق قلبي فكر المرتضى
أذكر حديثه في المجامع سرمدا
ولا أترك حديثه قاعدًا أو قائما
هو أشرف الرسل وأكرم الأنبياء
هو خاتم الرسل في الأرض والسماء
هو أشجع الناس وأفضل الأنبياء
هو أحلم الناس ومعدن الصدق والصفاء
جوده أعلى وفيضه أولى
دينه أزكى ووجهه أبهى

مثله لا يوجد في الأرض والسماء

ونظيره لا يخلق سرمدا أبدا

هو بشر في البشرية بلغ العلى

إلهنا واحد لا شريك له أحدا

- هذا شاعر بسيط، لا يملك موهبة الشعر، ولا يحفظ كثيرًا من الشعر العربي، لذا فثقافته الشعرية متدنية، وطريقته في النظم لا تحتذى، غرته العاطفة تجاه رسول الله، وأخذ يسطر كلمات لا تنسيق بينها، ولم يتبع شعراء العرب، لقلة ما يمتلكه من حفظ للشعر العربي.

****

عبدالمعطي حسن الهندي

٩٠٥ - ٩٨٩ هـ / ١٤٩٩ - ١٥٨١ م

- هو الشيخ عبدالمعطي بن حسن بن عبدالله باكثير الحضرمي المكي الهندي[1]، ولد في مكة سنة ٩٠٥هـ، الموافق ١٤٩٩م، ونشأ بها، وتعلم المنقول والمعقول، ودرس على علماء مكة في ذلك الوقت، ثم هاجر إلى الهند ودخل أحمد آباد، وقرأ صحيح البخاري عند الشيخ زكريا الأنصاري، وكان رجلًا لطيفًا محبًا للدعابة وله ملح ونوادر، ولطيف المحاورة، وقد تفنن بالعلوم والفنون، واشتهر بحفظ صحيح البخاري، وله تصانيف منها:

  - **أسماء رجال البخاري.**
  - **له ديوان شعر كبير.**

- الشاعر عبدالمعطي شاعر فنان، نظم شعرًا في كثير من المناسبات والأحداث والشخصيات، مجّد الله سبحانه وتعالى، وذكر رسول الله وأهل بيته الكرام، ونظم في المعمى، والشاي والقهوة، وأنواع من الموضوعات، مع قدرة كبيرة في النظم.

- قال يخاطب الله سبحانه وتعالى:

ضاق ذَرعي مما أُلاقي إلهي

وإليكَ الشكوى من اللأواءِ

يا عليمًا بما يجنُّ فؤادي

يا رجائي في شدَّتي ورخائي

يا بديعَ السماءِ يا مالك الملـ

ـكِ ويا ذا الجلالِ والآلاءِ

يا لطيفًا بخلقه ورحيمًا

بالبرايا يا سابغَ النعماءِ

لك مُلكُ السماءِ والأرضِ والخلـ

ـقِ لك الأمرُ يا سميعَ الدعاءِ

فأقل عثرتي إلهي ويسّر

كلَّ عُسرٍ يا أرحم الرحماءِ

أنلني ما أرتجيه ووسع

لي رزقي براحةٍ وهناءِ

(١) عبدالقادر بن عبدالله العيدروس، النور السافر ص ٤٧٩. عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٤ ص ١٨٨. ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب(بيروت: دار المسيرة١٩٧٩م) ج٨ ص ٤١٧.

• هكذا الشاعر يبدي التماسه من رب العالمين في رفع الضيق والعنت عنه، ولرسول الله وأهل بيته وقفة، يعددهم ويمدحهم، فيقول:

يا آل بيت رسول اللهِ حبُّكم
فرضٌ وفضلكم قد شاعَ في الأممِ
يا آل بيت رسول الله مدحكم
في الذّكر جاء فما مدحي وما كلمي؟

• ويذكرهم بالاسم ويقول:

بالمصطفى وعلي والبتول وبالسـ
ـبطين ثم علي والباقر العلمِ
جعفر وموسى علي والجواد كذا
علي الحسن وكذا المهدي ذي الشيمِ

• والشاعر عبدالمعطي قد نظم في عدة أمور منها الزهور، والطبيعة وعادات الناس، وكثير من الأشياء ومنها ما نظمه في الورد حيث يقول:

الـــورد ســلــطــانُ الــزُّهــو
رِ ومــا ســواه الحاشـــيه
فـلـلـونـه المحـمـر ينـــــ
ســـب حسن خد الغانيه
وإذا تـــضـــوّع نَـشـره
يـــهـــدي إلـــيـــك الـغـالـيـه

• هذا بالنسبة للطبيعة، أما ما يستخدمه الإنسان مثل الشمعة، ولم يصرخ بها، فيقول في المعمى:

وممشوقةٍ هيفاء لدن قوامها
من البيض تزري بالمثقفة السُّمرِ
إذا أصبحت أمست تحدّ سنانها
تفتق درعَ الليلِ من طلعة البدرِ
فضوء سناها قد محى آية الدُّجى
فصار نهارًا أبيضًا ساطع الفجرِ
تمدُّ لسانًا طائلًا غير ناطق
ومن غير أجفان مدامعها تجري
وجلبابها يحكي لُجينًا بياضه
وأحشاؤها زرت على لهيب الجمرِ
إذا جمعت تسمع بتصحيفه ولا
ت حين مناص جاء في محكم الذّكرِ
فدونك لغزًا واضحًا قد شرحته
وبينته لكن بنوع من السترِ

• وقال في شهر رمضان، ويعني الاسم، وهو وأيضًا من المعمى، يقول فيه دون ذكر الاسم:

أيُّ اسمٍ إذا خلا القلبُ منه
صار يا صاحِ قلبه ملآنا
في زمانِ الصبا تجده فخذه
بعد تصحيفه ولا تتوانا
ومضى قلبه بلا طرفيهِ
وإن همَّ بالتصحيفِ تلقَ أمانا
إن تصحف جمعًا فغير مصونٍ
ومصان إن زال حرف وبانا
رمتُ تصحيفه خلا أجمعيه
فغدا واضحًا بيانًا عيانا

• وشاعرنا يدعو إلى المساعدة لكل الناس، فهو شاعر إنسان يقول:

فرِّج همومَ من استطعتَ
من منجدٍ أو متهم
فالخير كل الخير في
تفريج هَم المسلمِ

• هذا الشاعر الفنان قد أدرك حاجة بعض الناس على التسلية، فوضع له هذه الألغاز ليتحدى بعضهم بعضًا، أما ما يحب الناس شربه فيقول في القهوة:

أهلًا بصافي قهوةٍ كالإثمدِ
جُلِيَت فزانت بالخمار الأسودِ
لمّا أديرت في كؤوسِ لُجَينها
بيمين ساقٍ كالقضيب الأملدِ
يحكي بياض إنائها وسوادها
طرفًا كحيلًا لا بكحل المرودِ

• كتب الشاعر إلى السيد عبدالله العيدروس طالبًا جارية، والتزم أن يكون نهاية كل بيت كلمة «جارية» على أن يكون المعنى مختلف في كل بيت، يقول:

يا سيدًا نعمته
فوق الدّراري جاريه
وجود كفيه غدا
مثل الرياح الجاريه
تدوم في عزّك ما
جرت ببحرٍ جاريه
فكلما تريده الـ
أقدارُ فيه جاريه
أنجز لعبد سيدي
وعد رجوع الجاريه
هباتكم مبرورة
من الزمان جاريه
وسيلُ هامي فضلكم
كماء عين جاريه
ولطفكم بعبدكم
كف الدموع الجاريه

• هذا الشاعر الفنان يتلاعب بالألفاظ ويصوغ أبياته كيفما يشاء، ويستطيع أن يطلب ما يشاء بحس أدب وفن، وله رسالة شعرية لأحد الاصدقاء، وهي من القصائد المعبرة، وقوية السبك، وإجادة تامة في النظم، وتدل على مقدرته في النظم، وتمكنه من المعجم اللغوي، يقول فيها:

قُم يا نديمُ فذا الصباحُ قدِ انفلقْ
ومحا بآيةِ نورهِ ظلمَ الغسقْ
قرّب صبوحك فالزمان مساعدٌ
وأدر مروقة حكت لون الشفق
قامت سقاة كؤوسها في حضرة
والمسكُ والكافور فيها قد عبق

قمرٌ يديرُ الشمسَ في كاساته
وبثغره مثل المدامة بل أرق
قدٌّ يحاكي السمهريَّ ومقلة
كالسيفِ واللحظ السهام إذا رشق
قوس الحواجبِ موترٌ لقتالنا
ولذا قلوب العاشقين غدت درق
قَلق الوشاح بخصره وتراه قد
صمتت خلاخله ودملجه نطق
قرَّت نواظرُ عاشقيهِ بحبهِ
لكن من الصّدّ المبرح في أرق
قرأ المحبُّ على صفيحة خدِّه
هذا لعمر الله أحسن من خلق
قد كنتُ همتُ بحسنهِ وجمالهِ
إذ كان جفن شبيبتي فيه رمق
قضيتُ أيامي سدى وسبهللا
ترك الخلاعة والصبابة بي أحق
قد آن أن أثني العنانَ عن الهوى
وأعود عنهُ عودَ عبدٍ قد أبق
قدم المشيبُ فكان أبلغ زاجرٍ
ومضى الشباب كأنه طيف طرق

- استخدم الشاعر أدوات الشعر بكل كفاءة ومقدره فنية، طاوعته الألفاظ فكانت ترصد فكره، وحركاته، وبحور الشعر انساقت لعطائه، وقام بتنسيقها وتنظيمها، في أبيات من الشعر، واستعمل القوافي الذلل، وحتى النفر من القوافي طوعها لخدمته، المقيدة منها أو المطلقة، وأتى بالجميع لصناعة قصائد متماسة، ومتناسقة وجميلة.

- الشاعر فنان ولغوي، ورسام تشكيلي، وظف كل ما عنده من فكر، وثقافة في شعره، وكان لخياله الدور الكبير في رسم الصور البلاغية والفنية في أبياته، وكانت شخصيته وفنه واضحًا في عمله الفني الكبير، فلماذا هو غير مشتهر عند العرب؟ على الرغم من قضاء نصف حياته في البلاد العربية؟!!

- من خياله البكر أنه خلق من جسم الإنسان لوحة فنية، وأنطق الجماد، وهذا أنسنة غير الناطق، والجسم مثل الرمح، إشارة إلى الجسم الممشوق، وكيف تأتى له استعمال كلمة واحدة لثمانية معان مختلفة، وهو مقيد بالأبيات الشعرية، فهذا هو الشاعر الفنان عبدالمعطي.

- يبدو أن الشاعر قد حفظ القرآن الكريم، ودرس المعجم اللغوي، وحفظ أشعار العرب القدامى، وأتى بما لم يأت به أحد في الهند، ولكن الدهر لا يدوم لأحد فقد جاءه القدر المحتوم، وانتقل إلى رحمة الله تعالى سنة تسع وثمانين وتسعمئة، الموافق ١٥٨١م، وبلغ من العمر زهاء أربع وثمانين سنة.

****

عبدالمقتدر الدهلوي

٧٠١ - ٧٩١ هـ / ١٣٠١ - ١٣٨٨ م

• هو القاضي عبدالمقتدر بن محمود بن سليمان الشريحي الكندي الدهلوي[١]، ولد في دلهي سنة ٧٠١هـ، أو ٧٠٣هـ، الموافق ١٣٠١م، أو ١٣٠٣م، بحسب الروايات، نشأ وترعرع في دلهي، ودرس الكتب المدرسية عند الشيخ شمس الدين محمد بن يحيى الأودي، وقرأ الكشاف واليزدوي عند الشيخ نصير الدين بن محمود بن يحيى الأودي، وبعد انتهائه من الدراسة أخذ الطريقة الصوفية من الشيخ نصير الدين.

• برع القاضي عبدالمقتدر في الأدب والشعر والعلوم العالية، حتى أصبح كوكبًا دريًا، وكان الشيخ عبدالمقتدر متضلعًا باللغة العربية، وينظم الشعر بها، وقصيدته «لامية الهند» أكبر دليل على قدرته الفنية في قرض الشعر، وهي قصيدة طويلة تبلغ واحدًا وتسعين بيتًا من الشعر العربي الفصيح، ويبدأها بالنسيب على طريقة شعراء العرب القدامى، يقول فيها:

يا سائقَ الظعنِ في الأسحارِ والأصلِ
سلم على دار سلمى فابك ثم سلِ
عن الظباء التي من دأبها أبدًا
صيد الأسودِ بحسنِ الدّلِ والنُجُلِ
وعن ملوكٍ كرامٍ قد مضوا قددًا
حتى يُجيبُكَ عنهم شاهدِ الطللِ
دارٌ إذا رحلت عنها سُليمُ غدت
مها المهامه فيها، لا مها الكِللُ
أضحت إذا بعدت عنها كواعبها
أطلالها مثلَ أجفانٍ بلا مقلِ
إنَّ الظباءَ التي أصبحنَ رافلةً
فيها لها حَوَرٌ صينت عن الحِوَلِ
إن كنَّ مستغنيات في تزينها
عن الحليّ وكحل العينِ والحللِ
فإنَّ من ملكت قلبي لها شرفٌ
على المها العين والآرام بالإطلِ
فِدى فؤادي أعرابيةٌ سكنت
بيتًا منَ القلبِ معمورًا بلا حِوَلِ
من نورِ وُجنتِها من حُسنِ غرتها
من طيبِ طرَّتِها من طرفها الثملِ
الشمسُ في أسفٍ والبدرُ في كلفٍ
والمسكُ في شغفٍ والريمُ في خجلِ
بخيلةٌ بوصالِ المستهامِ بها
والجودُ في الخودِ مثلَ البخلِ في الرجلِ
كأنها ظبيةٌ، لكنَّ بينهما
فرقًا جليًا بعظمِ الساقِ والكفلِ

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٢ ص ٦٨. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ١٤٩. البروفسور عبدالعلي، القاضي عبدالمقتدر الدهلوي بصفته شاعرًا عربيًا، مجلة المجمع العلمي الهندي، المجلد ٢٤ العدد١+٢ ص ٨٩.

خيالها عندَ من يهوى زيارتها
أحلى من الأمنِ عند الخائف الوجلِ
كيفَ السبيلُ إليها بعدَ أن حُفظَت
بالبيضِ والسمرِ في أعلى درى الجبلِ
طرقتها فجأةً والليلُ في جدلٍ
والذئبُ في كسلٍ والقومُ في شُغلِ
قالت لك الويلُ هلَّا خفتَ من أسدٍ
له البراثنُ كالعسالةِ الذُّبلِ
فقلتُ: إنّي ملِكٌ صيدُهُ أسُدٌ
وصيدُ غيري من ظبي ومن وعلِ
قالت: فما تبغي لا منع قلت لها
كلّا فإني عفيفُ القولِ والعملِ

• هذه مقدمة النسيب، التي اعتاد شعراء العرب القدامى على بدء قصائدهم بها، وجاراهم شاعرنا بها، ثم يأتي إلى غرضه من زيارة المحبوبة، ثم يأتي إلى عالم الواقع الذي يعيشه، هو والناس، فيقول:

يا طالب الجاه في الدنيا تكون غدًا
على شفا حفرة النيران والشُّغُلِ
يا طالب العزِّ في العقبى بلا عملٍ
هل تنفعنَّك فيها كثرةُ الأملِ
يا أيها الطفلُ أنتَ الطفلُ في أملٍ
وشمسُ عمركَ قد مالت إلى الطِّفلِ
يا من تطاولَ في البنيانِ معتمدًا
على القصورِ وخفض العيشِ والطِّوَلِ
لأنتَ في غفلةٍ والموتُ في أثرِ
يعدو وفي يديه مستحكم الطِّيَلِ
فاقنع من العيش بالأدنى تكن ملكًا
إنَّ القناعة كنزٌ عنك لم يزلِ
ثم اغتنم فرصةً من قبل إن ضعفت
قواك من سطوة الأمراضِ والعللِ
ولا تكن لمزيد الرزق مضطَربًا
واقنع بما قسم القسامُ في الأزلِ
لا تغترر بزمانٍ كان شيمتُهُ
إن غرَّ غِرا بعزٍّ منه منتَقلِ
فلا تغرَّنَ دنياكم فإنَّ بها
من عزَّ بَزَّ فكن منها على وهَلِ
أكَّالةٌ أكلت كالهرِّ ما ولدت
حَيَّالةٌ قتلت من جاءَ بالحيلِ
ولا تخل أنها تختالُ دائمةً
وأنتَ مبتهجٌ بالخيلِ والخولِ
وبالشبابِ الذي كالبرقِ في نظرِ
وبالحياةِ التي كانت على عجلِ
فلا تثق بحياةِ من يعيشُ غدًا
يومًا يموتُ أجل مستأخرُ الأجلِ
ما تنسَ لا تنسَ ذنبًا كنتَ فاعلهُ
استغفر اللهَ ذنبًا غيرَ مُعتملِ
ولا مناص من اللهِ العزيز وإن
فررتَ منه إلى الدأماء والقللِ
أمرتُ نفسي شيئًا قد أمرتُ به
يا ليتها قَبلت ما قلتُ من قبلي

فما أبت فأتت بالعذر خائفةً
من الملامةِ والتفريطِ والزللِ
فالعذرُ منها ومني العذلُ واعجبا!
إنّي تحيَّرتُ بين العذر والعذلِ
يا أيها الناسُ إنَّ العمرَ في سفرٍ
وإنَّ أوقاتكم واللهِ كالظللِ
إنَّ المنايا بلا شك لآتيةٌ
وأنتم في المنى والمينِ والكسلِ
طابت حياة لصعلوكٍ له شغبٌ
وقلبه بات ذا صبرٍ وذا جذلِ
العلمُ والحلمُ والإحسانُ دائمةٌ
والصبرُ عند البلايا سنةُ الرسلِ
طورى لذي عسرٍ بالفقرِ مفتخرٌ
وبالجوعِ مبتهجٌ باللهِ مشتغلِ
هيهات أين الأولى كانوا أولي شرفٍ
ومكنةٍ وعلاً في الأعصر الأولِ
لله درُّ فقيرٍ مالكٌ أدبا
وحسنُ خلقٍ بفضل الله مكتفلِ
فجاهد النفس والشيطانَ مجتهدًا
بالفرشِ والنفلِ حتى فاز بالنفلِ

• بعد أن استعرض حياة الناس، من ارتكاب الخطايا، والبعد عن القيم الحميدة، والانصراف عن العبادة في جمع المال، أو الجاه والسؤدد، يأتي الشاعر عبدالمقتدر لغرض القصيدة، وهو مدح رسول الله، الذي شغف قلبه حبه، وينظم في هذا الجزء ثمانية وثلاثين بيتًا من الشعر، فيقول:

ولم يكن فخرهُ إلّا بعزّة من
أغنى الأعاجمَ والأعرابَ بالدُّولِ
محمدٌ خيرُ خلقِ اللهِ قاطبةً
هو الذي جلَّ عن مِثلٍ وعن مَثَلِ
له المزايا بلا نقصٍ ولا شَبَهٍ
له العطايا بلا منٍّ ولا بدلِ
له المكارمُ أبهى من نجوم دجى
له العزائمُ أمضى من قنا البطلِ
له الفضائلُ أجدى من عصا كُسِرت
له الشمائلُ أحلى من جنى العسلِ
له بلاغٌ بليغٌ جلَّ عن خطأ
له كلامٌ فصيحٌ صيتَ من خطلِ
له جلالٌ جليلٌ جلَّ منقبةٌ
بين الأجلةِ أهل المجد والجللِ
له جمالٌ إذا ما الشمسُ قد نظرت
إليهِ قالت ألا ليتَ ذلك لي
أقامَ دينًا متينًا فاستقامَ له
إلا القيامةِ معصومًا بلا خللِ
وأيَّد الحقَ والإسلامَ مُحتسبًا
بالآي والرأي والهنديّ والأسلِ
النصرُ قادمهُ والفتحُ خادمهُ
كلاهما عن حِماهُ غير مرتحلِ

بوجهه يخجل البدر التمام كما
سوادُ الليلِ بفَرعٍ فاحمٍ رَجِلِ
بطيبهِ طَيبةُ كالمسكِ طيّبةٌ
ورملُ مكةَ منهُ دائم الرّملِ
أوصاف جوهرهِ السامي سمت شرفًا
عن البسط وركض الخيلِ والرَّملِ
وعن جميع بحورٍ كانَ قارضها
مثلَ امرئ القيسِ في التجويدِ والكملِ
الجودُ من جودِ كفيهِ إذا هطلا
والبحرُ جم العطايا منه في خجلِ
يا أعظم الناس من حاجٍ ومعتمرٍ
وأكرم الخلقِ من حافٍ ومنتعلِ
أتيتنا بكتابٍ جلَّ منفعةً
وجئنا بسبيلٍ ناسخِ السبلِ
بُعثتَ بالملةِ البيضاء راسخةً
عفا بها سائر الأديانِ والملَلِ
أفحمتَ كلَّ بليغٍ بالكتابِ كما
جادلتَ بالسيفِ أهلَ الجدّ والجَدلِ
رسُلُ الإلهِ عيونٌ في خليقتهِ
وأنتَ فيها بعون اللهِ كالكحلِ
أضحى طلوعك ياشمسُ الضحى أبدًا
وقد غنيتَ عن الميزانِ والحملِ
أم التمني إذا جاءتك سائلةً
أرجعتها وهي في عُقرٍ مع الحبَلِ
نداك أكثره لا ينتهي أبدًا
لكن أدناه أندى من ندى السُّبلِ
إنَّ الحسام كثيرًا فلَّ مَضربُه
وسيفُ عزمك لم يُنسب إلى الفللِ

• ويستمر الشاعر عبدالمقتدر في تعديد مزايا رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – بما هو أهله، وما ورد في كتب السير والأحاديث الشريفة عن حياة رسول الله، ثم يتحول إلى صحابته، ويذكر الخلفاء الراشدين، ومكانتهم عند المسلمين، ثم يتجه إلى نفسه، ويطلب شفاعة رسول الله – عليه أفضل الصلاة والسلام – ويقول:

يا سيدَ المرسلينَ المكرمين أدم
شفاعةَ لِعُبيدٍ ضارعٍ وجلِ
أردتُ مدحَ نبي اللهِ مُجتهدًا
حتى عجزتُ فقال العقلُ لي فقلِ
يا عبدمقتدرٍ أوصافُ سيدنا
تعلو علوًا عن التفصيلِ والحملِ

• وهكذا ينهي الشاعر هذه القصيدة، التي تخطى بها كل ما قيلَ في مدح رسول الله – عليه السلام – من شعراء العرب والعجم، وكان شاعرًا بذل كل جهده في نظم هذه القصيدة العصماء، مستخدمًا كل ألفاظ المديح في المعجم اللغوي العربي، وقد وظفها في تراكيب عجيبة، وسطرها في خدمة أفكاره، أما البحر فكان خليليًا ساعده على سبك الكلمات به، مع قافية موحدة ذلل، ليس فيها معاضلة، ولا غموض.

- استعمل أسلوب الشعراء العرب القدامى، محتذيًا أسلوب الشاعر كعب بن زهير في قصيدته» البردة» التي مدح بها رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – وكذلك مقتفيًا طريقة الشاعر البوصيري في مدح الرسول، ولكنه أخرج لنا قصيدة طويلة نسخت ما قاله شعراء الرسول من مديح لرسول الله.

- اتسع خيال شاعرنا الدهلوي ليصور لنا صورًا فنية بلاغية، أجاد بها، ونم عن قدرة كبيرة على التخيل، ووصف الحسان والجميلات، ولكنه انحرف عن طريقة الشعراء القدامى في عفته وغرضه من زيارة المحبوبة، فكان تصور خيالي الغرض منه إبراز قدرته على رسم صورة جميلة قبل الدخول على مديح الرسول، فكان كما أراد.

- سيطر على فكر الشاعر حب رسول الله، فأعاد رؤية الكلمات الدالة على المديح بصياغة جديدة أحيانا، وتقليدية أحيانًا أخرى، فالألفاظ كانت مساعدة له، وألفاظ كلمات القرآن، وتعبيراته معينة في نسج الأبيات، وبذلك يحتل صدارة المادحين للرسول الكريم، الطريقة التي فتحت لمن جاء من بعده، وأراد مدح رسول الله – عليه أفضل الصلاة والسلام –.

- الشاعر الهندي عبدالمقتدر الدهلوي شاعر فنان، ومبتكر للتراكيب الفنية للمديح النبوي، متمكنًا من قدرته، وفنه، آخذًا بناصية المعاني والبيان، متوجًا بإكليل الفصاحة والبلاغة العربية، وأعطى معنى جديدًا للحب النبوي، وكان دقيقًا في الوزن والقافية، وضليعًا في الشعر العربي.

****

عبدالمنان الدهلوي

١٣٣٤ – ١٣٩٤ هـ / ١٩١٥ – ١٩٧٤ م

- هو الشيخ عبدالمنان بن عبدالسمحان الميواتي الدهلوي[١]، ولد في ميوات سنة ١٣٣٤هـ، الموافق ١٩١٥م، درس المرحلة الأولى في بلدته، ثم ذهب إلى مدرسة دار العلوم العزيزية في مدينة نهبيرة، محافظة سرجوه، باكستان حاليًا، ثم ذهب إلى ديوبند، والتحق بدار العلوم ديوبند، حتى استكمل دراساته، وبعد تخرجه عمل مدرسًا في مدرسة سبحانية، في دلهي، وأخذ الطريقة الصوفية من الشيخ محمد زكريا السهارنبوري، وصحب الشيخ شاه عبدالقادر رائي بوري في الطريقة الجشتية.

- له قدرة على النظم باللغتين العربية والفارسية، واشعاره تدور حول التصور وطريقتهم في موضوعات الشعر، ويحتذي بذلك الصوفيين العرب، في الدعاء والاستغفار،

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٢ ص ٤٩١.

والالتزام بالشعر الصوفي، ونشرها في الدوريات التي تصدر في ذلك الوقت، العربية والفارسية، مستخدمًا بحور الخليل بن أحمد الفراهيدي، مع قافية موحدة، وألفاظ مناسبة. فمن قصائده ما يرثي بها الشيخ أنور شاه الكشميري، يقول:

ألا يا سُليمى عشتِ عيشكِ يخضرُّ
رغيدًا ولا يعروكِ همٌّ إذا يعرو
ولا يفجعنكِ الهجرُ قد ذقتُ طعمهُ
وقلبي إلى وصل الأحبة يضطرُّ
سهادٌ وعيمانٌ وشوقٌ ورنةٌ
لعلّكِ لا تدرين ما يصنعُ الهجرُ
لعلّكِ لا تدرين يومي وليلتي
يَشُفَّانِ قلبي منذ مَسَّني الضرُّ
خيالي وروحي وانصبابي ورغبتي
ودمعي وتذرافي إلى أين تنجرُّ؟
لعلّكِ لا تدرينَ كم سرتُ هائمًا
وقدّامي البيدُ أو المنزلُ القفرُ
لعلّكِ لا تدرينَ كم بتُّ ليلةً
أقلّبُ أجفاني متى يطلعُ الفجرُ
لعلّكِ لا تدرين حالي وحالتي
تقطّعتِ الأحشاء واستُلبَ الصبر
أخوض غمار الحبّ لستُ أخافها
وسيّان عندي في الهوى القرّ والحرُّ
يحنُّ فؤادي والحنينُ طريقةٌ
لمن يأتِ مهجورًا يشوّقُه الذكرُ
إلى من توارى بالحجاب مُغيَّبًا
وما غاب عن عيني محياهُ يفترُّ
فأوحش مشتاق الزيارة نعيهُ
وقد يتمنى أن ينوّره البدرُ
وخيّبَ آمالِ المحبِّ رحيلهُ
إلى جنةٍ من تحتها الماءُ والنهرُ
أظنُّ قلوب الناس تنشقُّ فجعةً
ولا سيما تلميذه «يوسف» الحبرُ
رأيتُ سماءً لم تزل مكفهرةً
كذاك الفلا والأرض والبحر والبرُّ
نهاري كليلٌ مدلهمٌ وما انقضت
عشيةُ بينٍ ينقضي حوله العمرُ
وألمني رزء الحبيب غروبه
بمغربه فالجوُّ أسود مغبرُّ
سترت عن الأبصارِ شيخًا محدّثًا
وحسبكَ هذا القرب يا قبر والفخرُ
فغادرنا - والله قدس سرَّه
يتامى وإنّ العيش من بعده مُرُّ
رزيتهُ هدَّت جبالًا وزلزلت
دعائمَ قصرِ العلمِ وارتعش الدهرُ
فقدنا إمامَ العصرِ والخلقُ يهتدي
بأنواره فالحمدُ للهِ وشكرُ
يفوحُ شذا الأفكار نفحة عنبرٍ
كدكّان عطّارٍ له الطيبُ والنشرُ
وحلَّ عويصاتِ المسائلِ فكره
عميقًا يلسغًا لا يماثلهُ فكرُ

وفيضٌ كهتّانٍ من الغيث هاميا
ودرس كموجِ البحرِ يُلتقطُ الدّرُّ
بصدرٍ رحيبٍ فيهِ أسرارُ حكمةٍ
يفوق الورى والسرُّ موضعهُ الصَّدرُ

• هذه قصيدة رثاء، ولكن بها من الصور البلاغية الكثير، فخيال الشاعر كان طاغيًا حتى فاض إلى الحديث عن مآثر المتوفى، وقد استعمل ألفاظًا قوية ومناسبة للبحر العروضي، مع قافية من الذلل، فجاءت القصيدة ذات سبك جيد وتوازن رائع، وله قصيدة أخرى، في مدح رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – نقتطف منها ما يقول فيها:

كمثلهِ لم ترَ العينانِ حادثةً
فتاكةً شبهها العسالة الذبلُ
حتى إذا جاء أمر الله لست ترى
عونًا وأنت إلى أخراك تنتقلُ
تقوم عند إله العرش مرتعشًا
كما يقول ذليلٌ خائف وجلُ
ولا ملاذ ولا منحى لمعتذرٍ
بحالة مالها أن يضرب المثلُ
هناك تعلمُ ما قدّمته لغدٍ
تُحر من خذلٍ هل فوقه خذلُ
حول الصراط كلاليبٌ معلقةٌ
كشوك سعدانة للناس ما علموا
فالعينُ شاخصةٌ والقلبُ منقلبُ
أمامه خجل من خلفه خجلُ
يحاسب العبدوالأعضاء شاهدةٌ
عليه كيف مضت أيامه الأولُ
ولا شفيع ولا مال ولا ولد
ولا قريب ولا آل ولا نسلُ
فلا فربك لا حل لمشكلة
إلا اتباع رسول لم يزل يصلُ
حل المشاكل من دنيا وآخرة
كيلا تزل بزلات فنخذلُ
وجوده رحمة للناس ساترة
بل للعوالم مهداة لمن غفلوا
يسره أن يكون العبد ممتثلا
أحكام خالقه بالصدق يمتثلُ
ومن عصى متكبرًا فله
نار الجحيم على الحيات تشتملُ
فخاره الفقر لا سرّته ثروته
وقال مالي وللدنيا سأرتحلُ
آلُ النبي ولا آل كعترته
في فاقة منذ أزمان وما أكلوا
نعم وعآمهم أخلاق فاشلة
علامها بذلوا مالًا وما بخلوا
وعظمةُ الآل والأصحاب ثابتةٌ
تبًا لمنكرِها ويلٌ لمن جهلوا
واهًا لسيرته فاقت شمائله
يا حُسن صورته تشتاقها المقلُ

جبينه مطلع الأنوار مشرقة
فالشمس آفلة والبدر مختجلُ
ووجههُ كطلوعِ الصبح منفلقًا
فالأرضُ نائرة والقاع والقللُ
وحسن مبسمه الوضاء مبتسمًا
كفتق زهر وعين زانها كحلُ
له مع الله وقت لا يشاركه
فيه نبي ولا بالقرب متصلُ
في ليلة برقت بالنور ساطعة
مسيرة ببراق سيره عجلُ
فاقت ليالي ميزات ومرتبة
كليلة الوصل لا كلّ ولا ملُ
كقابِ قوسين أو أدنى دنا ودنا
يجيب عما رآها كيف ما سألوا
محمدٌ صاحب الآيات معجزةٌ
حديثه كزبيبٍ نطقه عسلُ

- قصيدة رائعة في وصف رسول الله، وموقف الناس في دنياهم، وما روي عما شاهده رسول الله – عليه السلام – خلال رحلته في الإسراء والمعراج، ثم وصف الرسول وهو يقابل رب العالمين، ووصف أخلاقه وشمائله.

- عالم يحب العلم والعلماء، لذا نراه ينظم قصيدة يمدح بها الشيخ حامد ميان، مؤسس الجامعة المدنية في لاهور، يقول فيها:

جزاك ربّك قد هيّجت لي شجنا
يا من يلام فيمن يُخجلُ القمرا
يا لذتي وقرار الروع مرتبط
بمن يحب حبيبًا فاجتنى ثمرا
بذكر حامدنا الميمون طائره
بدء القصيدة من تشبيبها ندرا
سعى لخدمة دين الله منهمكًا
في رفعه لينال الآخر مدّخرا
بنى ووفقه الخيرات جامعة
مدنية يا لها صيتًا وقد نشرا
راقت بميزتها فاقت بحكمتها
على المدارس قد بينت مختصرا
لله در ذوي فهم أساتذة
حازوا الولاية والطاعات والغررا
رئيسها مستشار الأمر مؤتمنًا
مؤيدًا من جناب القدس مؤتمرا
أحمد علي من خيار الناس مرتبة
ورفعة وذكاء عدّ معتبرا
وجدته كلفًا بالبيت معتمرا
وبالمطاف طوافًا قبّل الحجرا
أمير قافلة تبقى مآثرها
إلى القيامة إحصاء ومستطرا
تحية كعِداد الرمل نازلة
عليه دائمة كالمسك طيب ثرى

• تحية للعالم الذي سخر نفسه لبناء صرح علمي ثقافي، يريد به وجه الله، لخدمة دينه، وتسهيلًا للمسلمين وتعليمهم. وله قصيدة أخرى من الرجز، يقول فيها:

نفسي الفداءُ لمن ترى
جمرُ المحبةِ مسعرا
كم من حرارة شعلة
في صدره لم يظهرا
إنَّ الفؤاد بجنبه
لكن يطير تحيّرا
وبجانبيهِ تلاطمٌ
كالبحرِ يلطم أبحرا
وأتاهُ طيف حبيبه
متنسمًا متعطرا
فغدا يريق دموعه
شوقًا له ولما جرى
ويهيمُ وادي ألفةٍ
متشوقًا مما اعترا
ويريق ماء عيونه
متسائلًا متحدّرا
ويبيتُ يسهرُ ليلةً
رزء التفرق أسهرا
ويظل يحمل كلفةً
وتألمًا وتأثرا
وحوادثًا ونوازلا
وملامةً وتكدُّرا
وتشوّقا وتحرّقًا
وتندّمًا وتحسّرا
جاز الغرام حدوده
حتى يلام ويزدرى
شوق يهيّجه النوى
والبينُ يظهر مضمرا
كم آفةٍ وبليةٍ
لم تُستطع أن تحصرا
تُخفي وتكتمُ أمرهُ
وكفى بجسمك مخبرا
ما لي أراك متيمًا
بين العواصمِ والقرى
وعلى لسانِ بريئةٍ
ذكر الغرام وما عرا
أتظن سهلاً هيِّنًا
حبَّ الأحبةِ فاحذرا

• شخص الشاعر كل ما يعانيه المحب، الذي هجره حبيبه، من آلام ودموع ونفس تضيق حتى يشهق شهقة تخرج منها روحه، وتصور بشكل رائع تلك الشخصية تصويرًا بديعًا للمحب، والقصيدة خفيفة من بحر الوزن، مستعملا أدواته الفنية في صياغة أفكاره، وأحاسيسه، وعلى الرغم من دراسته الصوفية واعتناقه لأفكار التصور إلا أنه صور المحب بهذا التصوير، دلالة فناء النفس في المحبوب.

• الحب عند الصوفية له مغزى آخر غير ما عند الآخرين، فالصوفي يريد الفناء بذات الله سبحانه وتعالى، وتاريخ

التصوّف عند العرب قدم نماذج للمتصوفين، أو قل رهبانية، وبعدًا عن ملذات الدنيا. وله قصيدة أخرى يقول فيها:

صبابةُ مشتاقٍ وحبُّ أحبةٍ
خزانةُ غيبٍ من خزائن رحمةِ
ومعراجُ إنسانٍ ومرقاةُ طالبٍ
ومفتاحُ عرفانٍ ومكثارُ نشوةِ
ونشوةُ نشوانٍ وسكرُ شبيبةٍ
ونهضةُ أطفالٍ وشغلٌ لشيخةِ
وروحُ حياةِ المرءِ عين كمالها
وراحةُ روحٍ بالرضا مطمئنةِ
وجرعةُ راحِ الشاربين كقهوةٍ
ومن عسلٍ أحلى وأعذبُ شربةِ
دليلُ فلاحٍ لا فلاح بدونه
تنالُ به أقصى مراتب قربةِ
هيامٌ وشوقٌ والتهابٌ وشعلةٌ
نتائجه سلٌّ عن قتيل مودةِ
هيدُ الهوى يستقبلُ الموتَ باسمًا
حلاوة قربٍ دائمٍ ومعيَّةِ

- نظر الشاعر عبدالمنان نظرة في الخيال الواسع، وأخرج لنا صورًا بديعةً، من التراكيب البلاغية، والسمو النفسي، وطار بنا في آفاق الكون يصنع منها تلك الأبيات الفنية، المتلازمة، وشكل منها أبياته الشعرية، فالشاعر صوفي، وله أفكار الصوفية، فلا الخمر يعني بها الخمر، ولا العشق عشق آدمي عادي، بل هو تقرب من الذات الإلهية، وبعدًا عن آفات الدنيا ومصائبها.

- الشاعر متمكن من المعجم اللغوي، واستعمل كثير من الألفاظ استعمالا مجازيًا، وكانت تلك الألفاظ تخضع لفكرة الشاعر، واستعمل بحور الخليل، وقوافي ذلل، وخيال خصب، وسبك للأبيات متناغمة مع أفكاره الصوفية، ومع التمازج بين اللفظ والمعنى، فكان بحق إنه شاعر كبير.

****

عبدالمنعم الجاتغامي

٠٠٠ - ١٣٣٣ هـ / ٠٠٠ - ١٩١٤ م

- ولد الشيخ عبدالمنعم الجاتغامي[1] في كلكته، وتعلم المرحلة الأولى فيها، ثم انتسب إلى المدرسة العالية بكلكته، وبعد الانتهاء من دراسته امتهن التدريس في مدرسة ذهاكه، ثم في مدرسة جانغام، ثم أصبح ناظرًا في المدرسة المحسنية، وكان بارعًا في اللغة العربية، والفارسية، وله مؤلفات منها:
  - **تصويب البيان في شرح الديوان، ديوان المتنبي.**
  - **ديوان الشعر العربي.**
  - **رسائل في الأخلاق، بالفارسية.**

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج ٨ ص ٣١٢.

• كان الشاعر عبدالمنعم متضلعًا في اللغة العربية وآدابها، وعالمًا في النحو واللغة والبلاغة، والمعاني والبيان، وكذلك في العروض والشعر العربي، وله قصيدة مديح في رسول الله – عليه أفضل الصلاة والسلام، يقول فيها:

إليك رسول الله أهدي ثنائيا
وأبغي به قربًا وإن كنتُ نائيا
أقرّبُ نفسي من جنابك سيدي
عسى أن أرى روحًا على البعد دانيا
عسى تكشف البلوى وكم بك أفرجت
غوائل إذ نوديتَ أدرك غياثيا
أؤملُ منك العطف عطف عواطفٍ
وإن كنتُ عما يجلب العطف قاصيا
فإنّكَ شمسٌ يستضاءُ بنورها
وما كلّ شيء يقبس الضوء صافيا
أتيتكَ أرجو من نوالك رشحةً
وما خاب مستسقٍ أتى البحر صاديا

• يمدح شاعرنا الرسول – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – بكلمات عادية، ولم يخرج عن نطاق ما قاله الشعراء الهنود من قبل، وهو التماس العطف، والتقرب منه، ويطلب من الرسول الشفاعة.

• وله قصيدة مدح في رجل يسمى عبيد الله، يقول فيها:

جرى دمعي المهراق شجوًا بمنزلٍ
رأينا به دارا تراءت كعوكلِ
وروضًا بهوجُ الريح صارت غصونهُ
أيادي ندبٍ فوق رأسٍ لعيطلِ
ذكرتُ بها سلمى أؤملُ وصلها
وكيف الرجا يا قلبُ لي في عقنقلِ
فقلتُ لعيني سامحيني بعبرةٍ
فلبَّت فجأتني بدمعٍ مسلسلِ
رأينا بها عينًا تولّت فلم تعد
كدأبِ مذ هاجرتني لم تحوَّلِ
فهل بعدَ صدٍّ زورةٌ منك خفية
تداوي بها قلب الكئيب الذلَّلِ
أعيني بسجعٍ يا حمامةُ ضارعًا
هعنى وقد أعياهُ نوحُ التعزُّلِ
تراكمت الأحزان والقلبُ واحدٌ
تزاحمت الأثقالُ في كورِ محملِ
وما عيشُ من قد باتَ يبكي تقطعًا
بنابٍ جديدٍ أنشبت أم رنقلِ
وكيفَ التذاذ الراح ممن تصادمت
هليهِ مرازٍ لم يطق صدرَ أعبلِ
صعودُ العُلا همي وما كنتُ خائبًا
تنفَّس صعدائي ترى غير أسفلِ
تقلبني الأيامُ تقليبَ قلَّبٍ
تحوِّلني الأحوالُ تحويلَ حوّلِ

أيا دهرُ هل لي منك لطفٌ تداركًا
لبلبالِ بالِ المستهامِ المقتَّلِ

• هكذا فنان يتلاعب بالألفاظ، كما فعل بعض شعراء العصر العباسي، الذين كان همهم إخراج براعتهم في صياغة الأبيات الشعرية بطريقة مختلفة، وشاعرنا هذا أراد إبراز براعته في ذلك الفن اللفظي، فجاء باشتقاقات من جذر الكلمة، وتؤدي معنى يريده، وهذا يدل على التضلع في اللغة، وحفظ كثيرًا من شعر العصر العباسي، وللشاعر قصيدة أخرى، يقول فيها:

يا ليتَ لي بمراتع الآرامِ
من نزلة تطفي اضطرام غرامي
كانوا الضياء وفارقوا فبقاعهم
بعد الضياء تبرقعت بظلامِ
رحلوا وقد رحل الحبيبُ لظعنهم
قد خلَّفوا الأكبادَ بالآلامِ
رحلوا وقد سلبوا العقالَ وأضرموا
نارَ الجوى بجوانحي وعظامي
لهفي على دارٍ ترى بقطابهم
قطبت بُعَيدَ تهلُّلٍ نسّامِ
لا خيرَ في عيشِ الفتى وحبيبهُ
مستنكرٍ لمودةِ الأحلامِ
لاموا المشوق وأشفقوا من حبِّهِ
لضنّى به وكآبة وسقامِ
أوكلُّ من عشقَ استحقَّ سلامةً
لا والذي بيديهِ كلُّ زِمامِ
أألامُ فيهِ على الحِمامِ وإنني
أحببتُ لو لاقيتُ فيه حِمامِ
لو يعلمون من الذي أحببته
ما لامني بعدَ الهوى لُوَّمي

• الشاعر الفنان عبدالمنعم، متضلع باللغة العربية، حافظ لتراث العرب الشعري، أعطاه الله موهبة كبيرة، وقدرة على التلاعب بالألفاظ، سطر بها قصائده بشكل مختلف عن سائر شعراء العربية من الهنود، فكان حب اللغة متمكنًا في قلبه وعقله، لذا لا عجب أن يخرج هذا الفن الشعري منه، فقد احتوى على ألفاظ وتراكيب لغوية جميلة، صنع منها صورًا بلاغية، وكان لخياله وثقافته دورًا كبيرًا في صنع هذه الصور الفنية الجميلة.

• استخدم الشاعر بحور الشعر العربي التقليدية، مع اختياره لقواف ذلل، وربما واحدة نفر، ويمكنه من استخدام ألفاظ معبرة عن حفظه للغة العربية، واستعماله لاشتقاقات مختلفة لخدمة غرضه من القصيدة، قرأ هذا الشاعر الشعر العربي، وبخاصة الشعر العباسي، وظهر الأثر في تركيباته اللغوية، مقلدًا بعض شعراء العصر العباسي.

• جاءت أبياته متناسقة اللفظ والمعنى، مع سبك جيد للألفاظ مع البحر العروضي، والوزن الداخلي والخارجي ورنة الموسيقا تتضح من خلال السجع والجناس التي استخدمها في القصيدة، وصور بيانية معبرة، أحيانًا عن ذاته ورؤيته، وأحيانا أخرى مجرد خيال الشاعر، الطريقة التي صنع بها الشاعر قصائده طريقة مستحدثة في الشعر العربي الهندي، ربما يتساوى معه بعض الشعراء الهنود، ولكن أبيات شاعرنا جذابة وتتسم بالطلاوة وحلاوة النغم فيها.

• انتقل الشاعر عبدالمنعم إلى رحمة الله سنة ١٣٣٣هـ، الموافق ١٩١٤م.

****

عبدالنبي الكجراتي

١٢٧٠ - ١٣٣٦هـ / ١٨٥٣ - ١٩١٧م

• ولد الشيخ عبدالنبي الكجراتي[١] سنة ١٢٧٠هـ، الموافق ١٨٥٣م، تعلم في كجرات، ولازم شيوخها، وتعلم اللغتين العربية والفارسية، ولديه قدرة على قرض الشعر على طريقة شعراء الدين، ومن شعره قصيدة في مديح رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - يقول فيها:

إلـهـي يـا مـجـيـبَ المستـهـامِ
سـألـتُـكَ بـالـنـبـي فـخـر الأنـامِ
حـبـيـبِك مصطفى الـصـدرِ المعلى
رسـولِـك سـيـد الـرسـل الـعـظـامِ
مـحـمـد الـنـبـي شـفـيـع خـلـقٍ
وجـيـهـك مـسـتـجـابـك بـالـكـلامِ
صـلاة الـلـهِ ألـفًـا بـعـد ألـفٍ
إلـى أبـدٍ عـلـيـه مـع الـسـلامِ
خـصـوصًـا بـالـعـتـيـق رفـيـق غـارٍ
أبـي بـكـرٍ لا سـلامـي إمـامِ
وبـالـفـاروق قـامـع عـرق كـفـرٍ
وعـثـمـان المـجـمـع لـلـكـلامِ
ومـولانـا عـلـي حـيـدر الـلـه
ظـهـيـر مـحـمـد فـي الازدحـامِ

• شاعر عادي، وهو ناظم لبعض الكلمات التي يقولها في الدرس، ولا يوجد خيال شاعر، ولا سبك جيد بين الألفاظ، ولكنه حافظ لقواعد النظم من بحر وقافية وصف للكلمات التي تدل على فكره، ولا يوجد لدينا قطعة أخرى لشعره، لذا يبقى الحكم على الشاعر ناقصًا.

****

(١) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٣١٥.

عبدالوحيد الزروبوي

١٣٤٠ - ١٣٨٩ هـ / ١٩٢١ - ١٩٦٩ م

• ولد عبدالوحيد القاسمي بن مظهر جميل في قية «زروبي»[١] سنة ١٣٤٠هـ، الموافق ١٩٢١م، درس مراحله الأولى في بلدته، ثم على أيدي أساتذة ؛ منهم: حبيب الله، وعبدالرءوف، وسكندر خان، وعبدالرحيم، صدر المدرسين بدار العلوم الحقانية بأكورة ختم، بعدها ذهب إلى ديوبند والتحق بدار العلوم، وتتلمذ على أيدي المشايخ، الشيخ حسين أحمد المدني، والشيخ إعزاز علي، والشيخ محمد إبراهيم بلياوي، وغيرهم، وبعد تخرجه عمل مدرسًا بالجامعة الأمينية بدلهي، وتولى التدريس بدار الحديث الرحمانية، ثم ذهب إلى لاهور ليعمل بالجامعة الأشرفية، ونال شهادة مولوي فاضل من جامعة بنجاب سنة ١٩٤٩م، وبعد ذلك عين بالمدرسة الثانوية الحكومية في لاهور.

• بدأ في قرض الشعر العربي وهو شاب، وحفظ كثيرًا من القصائد العربية، حتى أنه تعلق ببعض الأبيات وضمنها ما ينظم من أبيات، فمن ذلك قوله:

(١) حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان ص ١٥٥.

فـــؤادي بـــين لاهـــور ودلـــهـــي
يـسـافـر كـل بـــومٍ فـي الـصـحـارى
ومـــا عـلـمـي بـــأن هـــذا إلام
يـــدوم مـعـي ولا يـعـطـي الـقـرارا
لأن أعـطـى بـشـارة قـتـل بسيف
غـــدًا أحـــرى صـديـقـي افـتـخـارا
وشـــأنـــي شـــأن دلـــيـــل قـــوول
إذا مـــرَّ المـــنـــازل حـــين ســـارا
(أمـــر عـلـى الـديـار ديـار لـيـلـى
أقـبّـل ذا الجـدار وذا الجـدارا)
(ومـــا حـب الـديـار شـغـفـن قـلـبـي
ولـكـن حـب مـن سـكـن الـديـارا)

• نلاحظ أن آخر بيتين هما لمجنون بني عامر، مجنون ليلى، مما يدل على تعلقه ببعض أبيات العرب الشعرية. وكتب رسالة إلى صديقه مولانا فضل هادي القاسمي، يقول فيها:

لـقـد أرسـلـت مـكـتـوب المـــرادِ
إلـــيّ لمحض فضلك فضل هـادي
ســوى الألـفـاظ مـا عـنـدي بشيء
رفـيـقـي مـــورث شـكـر الجـهـادِ
لأمـــر أي أمـــر كـــان وقـت
تـمـيـز بـه الـخـطـيـئـة عـن سـدادِ
وإحـــســـان عـلـــيّ لـكـل مـــرءٍ
عـظـيـم يـنـتـهـي ثـغـر الـشـدادِ

فـهـذا مـن وحـيـد نـظـم نـثـر
يـحـاضـر فـيـك فـاقـبـل بـالـردِّ

• جميل جدًا أن يتراسل الأصدقاء برسائل شعرية، وقد تبادل بعض شعراء الهند مثل هذه الرسائل، وكذلك فعل بعضهم بالترحيب بالزائرين لمعاهدهم وجامعاتهم، فينظمون قصائد ترحيب، منها ما نظمه شاعرنا مرحبًا بضيوف قادمين إلى مدرسته، دار العلوم، يقول:

حـمـدتُ لمـن لـه شـأن الجـلالِ
ويـظـهـر مـنـه أوصـاف الـكـمـالِ
وبـعـد تـذكـري لـلـه يمـنًـا
أطـالـبُ مـنـه خـيـرًا مـن سـؤالِ
فـمـسـألـتـي بـحـضـرة تـعـالـى
صـلاة مـحـمـد مـع كـل آلِ
ألا بـعـد الـفـراغ مـن المحـامـد
أقـول لـضـيـفـنـا مـا لـلأعـالـي
مـراد مـنـه تـكـريم لآتِ
إلـى دار الـعـلـومِ مـن الـعـوالـي
وقـولـوا أيـهـا الخـلان طـرًا
لـه أهـلاً وسـهـلاً بـارتـجـالِ
وإن كـنـتـم عـلـمـتـم بـالـخـطـايـا
فـسـتـرنـهـا لمـن حـسـن الخـصـالِ
كـلام لـي لـهـذا الجـمـع هـذا
كـفـى مـنـي لأمـر الامـتـثـالِ

سـلـوا المـولـوي عـبـدالـوحـيـد
مـن الـرحـمـن روحًـا كـل حـالِ

• قصيدة ترحيبية ميسرة، لضيف يرد إلى دار العلوم، غير أن الشاعر لم يذكر من الذين زاروا الدار. غير أنه لديه قصيدة هجاء أيضًا لبعض الناس المكروهين، يقول فيها:

لمـن شـفـاه أغـلـظ كـل غـلـظٍ
تحـيـة لـعـنـة مـنـي دوامـا
ووسـع بـاب فـمـك أخـت نـار
كـأنـك جـامـع فـيـهـا الـلـئـامـا
فـلـعـنـة ربـنـا أعـداد رمـلٍ
عـلـى مـن مـزج الخـيـر الحـرامـا
وصـفـرة لـون جـلـدك عـيـم عـارٍ
لـعـل بـطـنـك المـرض الجـذامـا
ومـن عـيـنـيـك يـقـطـر دمـع جـرحٍ
وأنـت تـعـاذل الـنـاس الـكـرامـا
وتـزدحـم الـريـاح لـديـك عشـقًـا
ومـنـك يـفـرح فـتـن ذا إلـى مـا

• قدرة الشاعر على النظم العربي كبيرة، واستعمال خياله في معظم قصائده واضح، وقد طرق معظم موضوعات الشعر، وله أيضًا قصيدة رثاء، يقول فيها:

أخـذ الإلـه لـهـم بـرفـق خـلـيـل
وأغـاثـهـم بـعـطـاء حُـسـنٍ مـقـيـلِ

وعفا عن العثرات عنهم كلها
وجزاهم حسنًا وخير عديلِ
ولئن عفا عنهم وأدخلهم إلى
دار النعيم ودار كل جميلِ
فهو لائق به وهذا شأنه
وجليل شان خير شان جليلِ

- في هجائه ورثائه لم يذكر المهجو ولا المرثية له، وكان عموميًا، ربما يتحاشا ذكر الأسماء، ويتجنب الإحراج، ولكنه جدير بنظم الرثاء والهجاء، وكذلك المديح والوصف، فقد جمع شاعرنا معظم الموضوعات الشعرية، وكان متمكنًا من اختيار الألفاظ ومناسبتها للمعاني المختلفة.

- يتمتع الشاعر بموهبة كبيرة، حباه الله بها، واستغلها في النظم العربي، وكان موفقًا خير توفيق، واستخدم بحور الشعر، وأسلوبه كان مناسبًا للكبير والصغير، ولا غموض في أبياته، ولا معاضلة، وكان سلسًا، وأما خياله فكان جيدًا، واستطاع أن يصنع بعض الصور الفنية البديعة.

- قدرة الشاعر كبيرة في حسن استخدام أدوات النظم، وله قوة في إظهار القدرة على النظم، وظهرت موسيقاه من خلال المحسنات البديعية، وسجع الألفاظ، واشتقاق بعض الألفاظ من بعضها، وأبدع في التنسيق بين اللفظ والمعنى.

****

عبيدالله أمين الميدني

١٢٥٠ - ١٣٠٣ هـ / ١٨٣٤ - ١٨٨٥ م

- هو الشيخ عبيدالله بن أمين الدين الشهابي الصديقي الميدني فوري[1]، ولد في «جيتوا» بمديرية ميدني فور، البنغال، سنة ١٢٥٠هـ، الموافق ١٨٣٤م، تلقى المرحلة الابتدائية في بلدته، ثم سافر إلى كلكته، حيث مدرسة عالية، وأكمل العلوم والفنون.

- عين أستاذ في جامعة هوغلي، وظل فترة، ثم حصل على منصب العميد في جامعة داكه، وله دراية تامة باللغات: البنغالية، والفارسية، والإنجليزية، والعربية، والسنسكريتية، وألف بعض الكتب منها:
  - **طراز الأزهار في سير الفلاسفة الكبار.**
  - **تشحيذ الإدراك في حقيقة حركة الأرض والأفلاك.**
  - **دراية الأدب في لسان العرب.**
  - **مفتاح الأدب في النحو والصرف.**
  - **المناهل الصافية في مسائل الجغرافية.**
  - **ديوان شعر.**

- له قصيدة مخمس يوازن شيخ الرئيس، يقول فيها:

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٦٢.. عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ٢٩٩.

من بعد ما سكنت بعيشٍ أمنعِ
من فوق رأس القد روض ممرع
بألذ عيش أرغد متبرع
حبطت إليك من المحل الأرفعِ
ورقاء ذات تهزز وتمنع
من كل ساجعة هدير معارف
في كل لحنٍ تالد أو طارفِ
مستورة في ستر ظل وارف
محجوبة عن كل مقلة عارفٍ
مع أنها سفرت ولم تتبرقع

• نموذج قصير جدًا لشاعر يتقن النظم العربي، وقد استخدم الألفاظ الدالة على المعنى، مع أسلوب مناسب، وألفاظ مناسبة للمعنى، لديه خيال بسيط، ووزن جيد ومناسب للقافية، ولكن هل يمكن الحكم على شاعر بهذه القطعة الصغيرة من الشعر، ولكن المصدر لم يذكر سوى هذه القطعة، لذا من الصعب الحكم على شعر الشاعر، ولو أنه يمتلك القدرة من خلال دراسته العربية، وحفظه لقصائد الشعر العربي، وهذا قصور من صاحب المصدر. انتقل إلى رحمة الله تعالى سنة ١٣٠٣هـ، الموافق ١٨٨٥م.

****

عثمان بن علي حسن

١٣٣٣ - ١٤١٣ هـ / ١٩١٤ - ١٩٩٣ م

• هو الشيخ محمد عثمان بن الحافظ علي حسن، ولد في مبارك فوري[1] سنة ١٣٣٣هـ، الموافق ١٩١٤م، والده كان له المعلم الأول، ثم درس بمدرسة إحياء العلوم، بمباركفور، وبدأ تعلم اللغة العربية والدروس المتوسطة على أيدي الشيخ شكر الله المبارك فوري، والشيخ محمد عمر المظاهري، والشيخ شبير أحمد، وغيرهم.

• وسافر إلى مراد آباد والتحق بالمدرسة القاسمية وقرأ صحيح البخاري وسنن ابن ماجة وأبي داود على يد السيد فخر الدين، وسنن الترمذي على يد السيد محمد ميان، ثم صحيح مسلم على يد الشيخ محمد إسماعيل السنبهلي، وبعدها حصل على شهادة التخرج.

• كان الشيخ عثمان مولعًا بالأدب العربي، ودرّسه في عدة مدارس وكليات، مثل: جامعة عربية إحياء العلوم بمباركفور، ومدرسة بيت العلوم بماليغاؤن، وجامعة حسينية بجونفور، ومدرسة ضياء العلوم، ومدرسة منبع العلوم، وغيرها.

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٣٤١.

• كان شاعرنا محمد عثمان يقرض الشعر بالأردو واللغة العربية، ونشر قصائده العربية باسم: القصائد الغالية، وقد أرسل رسالة تعزية للسيد أبي الحسن الندوي، يعزيه بوفاة ابن أخته الشيخ محمد الثاني الندوي، يقول فيها:

إلى بحار أبي الحسن أخي الهادي
يرى بشوقِ التداني قلبي الصادي
أمائل القوم يأتون بحضرته
محاسن القول قد يجنون في النادي
نظام دار العلوم الجل ينظمه
بنان تدبيره المتبوع بالزادي
ترى نجوم السماء شخصه يسري
بساحة الشام يومًا ثم بعدادِ
رنوه قد بلغ الغايات شهرته
وهمه ناطق لم يأتِ ميعادي
يقود عاطفة الدين القديم أرى
من الشمالِ بأرض حيدرآبادي

• أهذه قصيدة رثاء، أو رسالة تعزية، أو كلاهما؟! فقد بيّن الشاعر مكانة المتوفى العلمية، التي اشتهر بها، وكان مثالًا للعالم الملتزم بالمبادئ والقيم الإسلامية، ثم أن أبا الحسن الندوي قرظ تلك الرسالة التعزية بالإعجاب.

• وللشاعر محمد عثمان قصيدة رثاء في الشيخ محمد الثاني الندوي، وهذه منفصلة عن رسالة التعزية، يقول فيها:

تجري الدموع تباعًا من مآقيها
لقد تباعد عنا من يدانينا
فالعين دامعةٌ والقلبُ منقطعٌ
صار الرقادُ بعيدًا عن مآقينا
كيف العزاء وكيفَ الصبرُ والسلوة
غابَ الحبيبُ الذي كان يواسينا
لقد تقطع أوصال الرجيّات
قد كان يعلمُ مرجوًا لنا فينا
ترى البلابل نائحة على الغصنِ
كل المناظر في البلوى يحاكينا
كان الرجاءُ يقوينا بمنطقه
تقلّب الحال قد خابت أمانينا

• هذه قصيدة رثاء للمرحوم الشيخ محمد الثاني، عبر بها الشاعر عن ألمه وحزنه من وفاة الشيخ، وكان رثاءً قويًا في معانيه، وأسلوبه، وطريقة صنع هذه الأبيات تذكر المرء بقصيدة ابن زيدون:

أضحى التنائي بديلًا من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بِنتُم وبِنّا فما ابتلت جوانحنا
شوقًا إليكم ولا جفّت مآقينا

• فقلد الشاعر تلك القصيدة العصماء لابن زيدون، وهذا يدل على تأثر الشاعر بتلك القصيدة فنسج على منوالها قصيدته في الرثاء.

- استخدم الشاعر بحرًا عروضيًا، مع قافية من الذلل، وربط بين اللفظ والمعنى، وفي تصوره قصيدة ابن زيدون، فجاء رثاؤه قوي السبك، مع خيال خصب، فصنع قصيدة يحفها الجمال وحلاوة النظم، وكان الشاعر مبدعًا في تعداد فضائل المتوفى، ومدى حرقته على فقده، والشاعر عثمان متمكن من قواعد النظم العربي، وحافظًا لأشعار العرب، ويظهر ذلك من خلال الألفاظ والتراكيب اللغوية، وأطلق لخياله الفرصة لصنع صور فنية بلاغية.

- تبدو قدرته على التمكن والاستعداد الفني لبناء قصائد عربية جميلة، وموضوع واحد غير كافٍ، وخاصة أنه مقيد بالمناسبة، ومجبر على تعديد مآثر المتوفي.

****

عزيز الرحمن العثماني

١٢٧٥ - ١٣٤٧ هـ / ١٨٥٨ - ١٩٢٨ م

- هو المفتي الشيخ عزيز الرحمن بن فضل الرحمن العثماني الديوبندي[١]، ولد سنة ١٢٧٥هـ، الموافق ١٨٥٨م، ونشأ في ديوبند، وقرأ العلم في المدرسة العربية في ديوبند، وظل يتلقى العلم على أيدي مشايخ ديوبند حتى تخرج، وتعلم العلوم واللغات والفقه وأصول الفقه، ودرس التفسير والحديث، وأصبح عالمًا دينيًا، امتهن التدريس والإفتاء بالمدرسة العالية بديوبند، واستمر في التدريس إلى سنة ١٣٤٥هـ، الموافق ١٩٢٦م، وترك المدرسة مع أخيه شبير أحمد، والشيخ أنور شاه الكشميري.

- توجه إلى زابهل في ولاية كجرات، وكان يدرس بها، ألى أن وافاه الأجل المحتوم سنة ١٣٤٧هـ، الموافق ١٩٢٨م. وكان قد بايع الشيخ رفيع الدين الديوبندي على الطريقة الصوفية النقشبندية، وسافر إلى كنج مرادآباد واشتغل بالحديث الشريف، أخذه عن شيخه فضل الرحمن البكري.

- كان يفتى باللحظة، ويتحرى الدقة في الفتوى، ولا يرجع للمصادر إلا نادرًا للتأكد، كان كثير التواضع، نافعًا للناس، وبخاصة الأرامل والعجائز، فيذهب كل يوم بعد صلاة العصر يدور على بيوتهن ويسألهن عن حاجاتهن من السوق، فيذهب بنفسه ويشتري الحاجات ويوزعها، وفي وقت الأمطار يصلح بيوت الفقراء بنفسه، وغلبت عليه الرأفة والشفقة بالناس المحتاجين، مع صبر على المكاره، وشغله إسعاد المستفتي بالفتيا، التي يصدرها.

- للشاعر عزيز الدين خادم الفقراء بعض المؤلفات، وهي قليلة، منها:

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ٣٢٠. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٣ ص ٨٣.

- حاشية على ميزان البلاغة، للشيخ عبدالعزيز الدهلوي،
- ومجموعة فتاوى في مجلدات.
- منحة الجليل ببيان ما في معالم التنزيل للبغوي.

• شاعر صوفي، وشعره لا يخرج عن النصح والإرشاد والتوجيه، ومنها قصيدة في رثار أحد العلماء، وهو الشيخ عبدالرحيم، يقول فيها:

دارُ الغرور فما لنا من دارِ
ما مرجعٌ إلا بدارِ قرارِ
ما هذه الدنيا مقام مقيمِها
هل هذه إلا متاع بوارِ
ما هذه إلا معابرُ عابرٍ
أو دارُ من ليسَت له من دارِ
فات الملاذُ فما لنا من ملجأٍ
كهف الخلائقِ بدْوُهُم وحضارِ
«عبدُالرحيم» إمامُنا لما مضى
دُكّت جبالُ العلمِ بعد قرارِ
ضاقت أراضينا برحبِ فنائها
صارت مساعينا هباءَ غبارِ
قد كان شيخًا عارفًا متواضعًا
ذا منطقِ عدلٍ وأهلَ فخارِ
ساد التقاةُ بهديهِ وتقاتهِ
صعدَ الكمالَ بعزةٍ ووقارِ

• لم أجد قطعة أخرى للشاعر الإنسان عزيز الرحمن، ولكن شعره قليل وبسيط، وكلماته واضحة وصريحة، وهو يخاطب الناس بقدر فهمهم للغة العربية، ومعظمهم من البسطاء المتعلمين، لا خيال في قطعته هذه، وتعبيره فيه أسف وألم لوفاة هذا العالم، ولكن الألفاظ التي استخدمها كانت مناسبة مع بحر الوزن وقافية ذلل، ولا يوجد شيء يختلف عما اعتاد عليه بعض الصوفية من كلمات وأشعار واضحة المغزى، وأسلوب عادي، ولا غموض في الشعر، ولا معاضلة كلمات وتحتاج إلى شرح، فهو شاعر عادي.

****

عصمة الله الرحماني

١٣١٨ - ١٣٩٧ هـ / ١٩٠٠ - ١٩٧٦ م

• هو الشيخ المولوي الطبيب عصمة الله بن محمد إسماعيل الرحماني[1]، ولد في مئو سنة ١٣١٨هـ، الموافق ١٩٠٠م، درس في المدرسة الإسلامية اللغة الفارسية والعربية في مئو، ثم التحق بمدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور، وبعدها التحق بالمدرسة اليوسفية ليدرس المعقولات، ولم يمض سنة حتى غادرها إلى البنجاب، والتحق بمدرسة دار الحديث في سيالكوت حيث تلقى جميع العلوم

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٣٢٥.

العقلية والنقلية، ثم تتلمذ على يد الشيخ محمد إبراهيم السيالكوتي.

- ذهب إلى دار الحديث الرحمانية بعد تأسيسها في دلهي سنة ١٣٣٩هـ، الموافق ١٩٢٠م، ثم ذهب إلى لكناؤ ليدرس الطب على يد الطبيب طلحة، ثم عاد إلى وطنه مئو، وأخذ يمارس مهنة الطب، وله بعض المؤلفات منها:
  - **عمدة البيان في جواز خطبة الجمعة.**
  - **رد علة كتاب الأعلام المرفوعة للشيخ حبيب الرحمن.**
  - **روض الأزهار في في مناقب الأخيار، ديوان شعر.**
- وله غير ذلك رسائل بسيطة، ومنها أشعاره في اللغة العربية واللغة الفارسية ولغة الأردو، وله قصيدة ترحيبية في قيام الدولة العربية السعودية، بقيادة الملك عبدالعزيز آل سعود، يقول فيها:

إلـــه الـعـالـمـين لـــك الـثـنـاءُ
إلـيـك إنـابـة وبـــك اهـــتـــداءُ
وإنـــك مـــالـــك مـلـك رحـيـم
فـتـفـعـل مـا تـريـد ومـــا تـشـاء
وتـسـمـع قـول مـن يـدعـوك سـرًا
لـديـك الجـهـر والاخـفـا سـواء
ألا مـنـهـم إمـام الرشـــــد عبد
العـــزيز اليـــوم ليس له كفاء

- كلمات بسيطة عبر بها الشاعر عما يكنه في صدره من قيام المملكة السعودية، ثم نظم قصيدة أخرى في مدح الملك سعود عندما زار الهند سنة ١٩٥٥م، وينظم شعره على الطريقة القديمة محافظًا على الوزن والقافية، وشعره يخلو من الخيال، وهو ترحيب ليس فيه غموض، ولا معاضلة للألفاظ، فهو فصيح ومعبر، ومتناسق الجمل مع الفكرة، فيه شيء من الموسيقا، تتمثل في السجع، والقافية الموحدة، مع سبك الألفاظ والكلمات، ولم يذكر المصدر أشعارًا وقصائد أخرى للشيخ عصمة الله الرحماني، ولكن يبدو أن له قدرة في النظم العربي.

****

عطاء المنعم البخاري

١٣٤٥ - ١٤١٦ هـ / ١٩٢٦ - ١٩٩٥ م

- ولد السيد عطاء المنعم الشاه بن عطاء الله البخاري[١] في مدينة آمرتسهر سنة ١٣٤٥هـ، الموافق ١٩٢٦م، ينتهي نسبه بالإمام الحسن بن علي بن أبي طالب - عليهما السلام - درس في بلدته، وحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ كريم بخش، بمدينة آمرتسهر، ثم ذهب إلى جالندهر ودرس ست سنوات، ثم ذهب إلى ملتان بعد انفصال باكستان، وتخرج سنة ١٩٤٩م.

(١) حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان ص ١٦٣.

• كان والده عطاء الله البخاري من أشهر الخطباء، فاقتفى أثر والده، وعمل في التدريس في عدة مدارس، وله عدة مؤلفات منها:

- مجمع المصادر العربية.
- دستور مجلس أحرار الإسلام.
- مقدمات أمير الشريعة.
- دستور مجلس خدام الصحابة.
- الأحرار وحركة مسجد منزكاه.
- الشيخ حسام الدين، حياته وسيرته وأفكاره.
- مفكر الأحرار أفضل حق، حياته وسيرته وأفكاره.
- له مقالات مختلفة في موضوعات شتى، ونشرت في الجرائد والمجلات.

• إلى جانب ذلك فهو شاعر له قصائد متعددة باللغة العربية، ومن قصائدة قصيدة في مدح اللغة العربية، يقول فيها:

بأبي البدورِ الطالعاتِ قواربا
اللابساتِ من الشفيفِ جلاببا
الناعمات الكاعبات العاتقا
ت الزاهيات محاجرًا وحواجبا
المسفرات الضاحكات بثغرها
الباشرات المعنقات ترائبا
وجناتها محمرة كالورد يعـ
ـلوه الشياب من الربيع مناسبا
وشعورها بتأرج مسودة
كالفحم فوق المنكبين ذوائبا
مخضوبة بدم القلوب بنقها
نشبت بها صقر العيون مخالبا
أين اللغات الأعجمية من اللسا
ن مقصح عن مضمرات جوانبا
سهل الطريقة منطقًا وتجاورًا
عذب المذاق مناهلًا ومشاربا
خدامها أهل المعالم والفنو
ن ممهدين فروشها ومآدبا
يحمونها بحماية القرآن والـ
ـآثار فيها يركبون مصاعبا
عن كيد كل مغتن ومزندق
مزور الأقوال يعرف كاذبا
الحاملين لواء علم الأولي
ـن من الدهور مدارسًا ومكاتبا
القاطعين رؤوس وضع وافترا
ء بالمزاير كالسيوف قواضبا
القالعين بناء دجل تنبّأ
بمعاول المجهود فيه رواسبا
إن تلقهم لا تلق إلا مجلسًا
أو محفلًا أو مسجدًا أو محاربا
أو خاشعًا أو خاضعًا أو قانتا
أو هاجدًا أو صائمًا أو ناصبا

أو راغبًا أو عالمًا أو فاضلا
أو حاذقًا أو ماهرًا أوطالبا
أو موضحًا أو مفسرًا أو راويا
ومحدثًا أو مفتيًا متعاقبا
أو منطقيًا فلسفيًا ناقدا
ومهندسًا ومحققًا متغالبا
أو لوذعيًا ألمعيًا منشئا
أو مصقعًا أو شاعرًا أو كاتبا
أو عارفًا أو كاملًا أو مرشدًا
أو واعظًا أو داعيًا أو نادبا
أو سيدًا أو قيّمًا أو قائدًا
ومحاسبًا أو ناظرًا أو حاجبا
أو باسلًا أو ضاربًا أو غازيا
أو غانما أو للشهادة كاسبا
عميت خفافيش الغواية إذ جلت
شمس الهداية من حجاب سحابا
وعوت كلاب الإلتحاد إذا بدا
قمر الشريعة في الظلام غياهبا
فلسان تنزيل الكتاب مشرف
بكلام رب العالمين مخاطبا
الكاملات بصيغة وخليقة
أجسادهنَّ العادلات قوالبا
كلمات لغة أو ألسنة الورى
صعدت بآيات الكتاب مراتبا
أسجاعها مطبوعة بجواهر الـ
ألفاظ تأتي في الكلام مراتبا
لفواصل الآيات غاية رقة
ولطافة وبها تصير حبائبا
لروادف الأشعارِ شدة جولة
فتلوح في عرض القريض متائبا
هي نخبة من ألسن الأقوام في
قصر وإيجاز يفيد مكالبا
قد يحتوي لفظ معاني جهة
مثل المعادن للجواهر غالبا
معنى يعير عن وجوه أدائه
ألف من الأسماء تعجز كاتنا
ومصادر الأفعال قد ضمت بها
كالأم تحجز الصغار ربائبا
وثمال أيتام يكفل رحمة
لمعرب ومولد متراقبا
فتزينت وتبرجت بحليها
وثيابها وهي الصفات مناقبا
بسلاسة وطلاقة ومصاحة
وبلاغة صارت بهنَّ محالبا
أين الرطانة من كلام فيه نو
رُ الوحي والإيمان يبدو ثاقبا
ولسان من هو أفصح الأعراب وال
أعجام قاطبة وفاق نرايبا
فعليه صلوات الإله وصحبه
ما دام تزدان السماء كواكبا

• قصيدة رائعة عدد بها الشاعر مزايا اللغة العربية وصفاتها، ولم يتمكن أحد الشعراء العرب عن مجاراته في هذه القصيدة الطويلة المشتملة على دقائق اللغة العربية وآلياتها المختلفة.

• وله قصيدة أخرى في مدح رسول الله – عليه أفضل الصلاة والسلام – بعنوان: «حب من سكن الديارا»، يقول فيها:

بغديةٍ قد نيطتِ الأعباءُ
وتفارقتني رفقة جمعاءُ
شدَّ الجمال وكورها وترحلت
نحو المدينة حرقة رفقاء
مثوى الحبيب المرسل المتبجل
ضربت عليه قبة خضراء
روضاتها ممطورة ذو نضرة
جناتها مخضرة غلباءُ
غداوتها مسعودة ميمونة
روحاتها محمودة حسناءُ
فنمت بقلبي لوعة لهجابة
داء رسيس ليس منه شفاءُ
وتأججت في القلبِ نار صبابة
فتحرقت بلهيبها الأحشاءُ
دنف شجين هائم متحسر
كلف حزين نفسه ولهاءُ
نابتني الأهوال قد خسّرت بها
شمر الجبال ورضتُ الصماءُ
ثم السماحة والمروءة والندى
والصفح ثم العفو والإيحاءُ
طابت بطيب وجوده وتشرفت
دعصاءها وكديدها البطحاءُ
عيناي يسكنها وصول دياره
والبعد في جفنيهما أقذاءُ

• يتميز شعر شاعرنا بالفصاحة والبلاغة، وسمو القصد، فلا عجب أن يطري اللغة العربية بكل ما هو جميل وصحيح، فهو متمكن من النظم، عظيم القدر في الأبيات، وأسلوب جميل رائق، وقدرة على تناسق الألفاظ والمعاني، دون أن يختار الألفاظ النادرة، فلا غموض في أسلوبه، ولا معاضلة في الألفاظ.

• حفظ الشاعر دواوين الشعر العربي، فظهرت بعض التركيبات اللغوية في شعره، واستنسخ بعض العبارات، مما يدل على تعمق الشاعر في دراسة الشعر العربي القديم والحديث، استعمل خياله الواسع في صنع صور فنية بلاغية، جعلت القصائد جميلة وذات رونق حسن، ولها شخصية مميزة.

• الشاعر عطاء المنعم معجب باللغة العربية، لذا كانت قصيدته في وصفها تحير العقلاء، وتشع منها المحبة والفخر بها، وكان أبلغ العرب رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – ولهذا كان مدحه للرسول حبًا

له وللعربية التي ينطق بها، مستخدمًا طريقة الشعراء العرب في الوصف، محافظًا على بحور الشعر، والقافية الموحدة، مع اختيار جيد للألفاظ، حيث إنه متمكن من حفظ المعجم اللغوي العربي، وكان تنسيقة جيدًا، وإجادته تامة للنظم الممزوج بحب العربية ومدلولاتها.

****

عطاء يعقوب الغزنوي

٠٠٠ - ٤٩١ هـ / ٠٠٠ - ١٠٩٨ م

• هو أبو العلاء عطاء بن يعقوب الغزنوي الكاتب[١]، ولد حوالي بداية القرن الخامس الهجري، وتوفي في سنة ٤٩١هـ، الموافق ١٠٩٨م، عندما وصل السلطان إبراهيم ابن مسعود الغزنوي فاتحًا للهند ووصل إلى لاهور، كان أبو العلاء مسجونًا لمدة ثمان سنوات، فتم إطلاق سراحه، وكان له ديوانان من الشعر؛ أحدهما باللغة العربية، والآخر باللغة الفارسية، وعندما كان في السجن نظم قصيدة بائية، يشكو فيها دهره من حيث المعاملة التي يلقاها في السجن، يقول فيها:

يا دهرُ ويحكَ كم وكم بي تلعبُ
طورًا تُحاربُني وطورًا تَحزبُ
ما مرَّ يومٌ واحدٌ بل ساعةٌ
إلّا غزاني من جيوشك نقنبُ
كالعودِ أُقشر مرَّة والعود أُحـ
ـرَفُ تارةً والعودُ حينًا أضربُ
أَعرّيْتني من كلِّ ما مَلَكت يدي
والسّيفُ عريانًا أحدُّ وأهيَبُ
صيَّرتني كالزير من فرطِ الضّنا
فإذا ضربت تهشّ منه وتطربُ
مهلاً فإني فوق نحركَ درَّةٌ
رفقًا فإنّي بين أفقكَ كوكبُ
أصبحتُ مغمومًا فزادَ خلائقي
طيبًا ومغموم البنفسج أطيبُ
ذنبي إليكَ فضائلٌ لو أنها
في الشمس لم يَحجَب سناها المغربُ
دع عنكَ تأديبي وتعذيبي فإنّـ
ي بالخصال الصالحاتِ مؤدبُ
أهلوكَ مثلُكَ قد تأهبَ كلهم
لهضيمتي وتألّبوا وتكتّبوا
نبحوا على عرضي النقي كأنّني
قمرُ الدجى نبحت عليه الأكلبُ

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج١: ٦٥. همام الدين الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، ت: عدنان آل طعمة ص ١٥٢. أبو الحسن الباخرزي، دمية القصر وعصرة اهل العصر ج ت: سامي العاني ج٢: ٢١٨. كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء ج٣: ٣٩٠.

فجميعهم عند التقابلِ حيَّةٌ
لكنهم عند التدابرِ عقربُ
وكرامهم مثل اللئام دناءة
وقطاهم مثل الفواخت تكذبُ
حالي مع الزمن الغشومِ ولعبه
في حالِ عصفور وطفل يلعبُ
يا مقلتيَّ ويا حبيبيّ مهجتي
والله إنَّ أخاكما لمعذّبُ
حبسوه في بيتٍ كليلٍ مظلمُ
لكن كواعبُه دموع سكَّبُ
حشراته العشرات في تطوافها
وفدُ الحجيج تجيءُ فيه وتذهبُ
ومواكب الذبّان إرسالٌ له
ما مركبٌ إلا تلاهُ مركبُ
مثلَ البعوض شراره متطايرٌ
مثلَ الحريقِ هواؤه متلهّبُ
فكأنها شربٌ قد اجتمعت على
دمه لتشربَ لا هناها المشربُ
برغوثها زقَّاصُها وذبابُها
صناجها والبقُّ شادٍ مُطربُ
وأخوكما حيران بين بلابلٍ
وسلاسل بين اللظى يتقلّبُ
في القلبِ برق خاطفٌ في العظم رعـ
ـدٌ عاصفٌ في العينِ عينٌ تسكبُ

• صور الشاعر معاناة الأسير في ذلك التاريخ، وكيف يتلقى الإهانات والأذي، والضرب، ويواجه الحشرات والديدان، وكذلك الأمراض، ولا أحد يهتم بحياة الأسير، وخاصة إذا كان الأسر لمدة طويلة، فلا حقوق له، ولا معاملة إنسانية، على الرغم من حرص الإسلام على حياة الأسير.

• كما له قصيدة ميمية جميلة، يقول فيها:

الله جار عصابة ودعتهم
والدمعُ يهمي والفؤادُ يهيمُ
قد كان دهري جنةً في ظلهم
ساروا فأضحى الدّهرُ وهو جحيمُ
كانوا غيوث سماحة وتكرم
فاليوم بعدهم الجفونُ غيومُ
رحلوا على رغمي ولكن حبهم
بين الفؤادِ المستهامِ مقيمُ
قد خانهم صرف الزمانِ لأنهم
كانوا كرامًا والزمانُ لئيمُ
طلقتُ لذاتي ثلاثًا بعدهم
حتى يعود العقد وهو نظيمُ
الله حيث تحملوا جار لهم
والأمنُ دار والسرور نديمُ
والعيش غضٌ والمناهلُ عذبةٌ
والجوُّ طلقٌ والرياح نسيمُ

• أما قصيدته اللامية، فقد كتب العميد أبو سهل الجنبذي قصيدة إلى العميد أبي بكر بن بيدر، فأنشأ أبو العلاء بن يعقوب هذا الجواب: فيقول فيه:

نظمكَ العجزُ المباركُ فالا
قد سقانا من عينه سلسالا
فروينا وما روينا ولكن
قد سقينا بها القلوب النِّهالا
واجتنينا لألئ العقد منه
واجتلينا السعود والإقبالا
رقَّ لفظًا فقيل: خمرٌ حرامٌ
راقَ معنى فخيلَ سحرًا حلالا
كم معانٍ كأنها فكُّ عانٍ
قد تجشمتَ نظمها لي فالا
لم يقل مثله بديعًا بعيدًا
كلُّ من خطَّ فوق سِفرٍ قالا
ولقال العتاقُ: جاء قوافيها
عُلا لا تشبّهًا ومثالا
ما رأينا مثالها قط لكن
قد رأينا جميعها أمثالا
إن توسمت كنَّ راحًا شمولا
أو تنسَّمتَ صِرنَ ريحًا شمالا
وتصورتَ كل بيتٍ شَرود
حُسنَ عينٍ ولطفَ جيدٍ غزالا
مِسكهُ عَرف كل معنى بديعٍ
روقه فوقه الرويّ على لا

كذاكَ دم الغزالِ يصيرُ مسكًا
بأكل الحنظل المر المذاقِ

- وله بيتان يقول فيهما:

نجيعي من مرارة ما ألاقي
غدا مسكًا وربّاهُ اشتياقي

- شاعر عربي اللسان، قوي اللفظ والكلمات، وأسلوب يجاري أكبر الشعراء قدرة، شاعر فصيح اللسان، يمتلك قدرة كبيرة لاستحضار الألفاظ العربية ليضمنها أي بحر عروضي يريد، وقوة السبك في تناسق الألفاظ والمعاني، وتراكيب لغوية جميلة، تنم عن قدرة فائقة في النظم.

- استخدم الشاعر كل أدوات النظم العربي، وأتى بها إلى قصائده ومقطعاته، فسلكها في جمل بديعة، وتعبيرات راقية، استعمل خياله الخصب ليصور لنا مجموعة من الصور الفنية البديعة، كما أنه كان دقيقًا في الوصف، وواقعيًا في المعاني، فكان بحق شاعر فحل، أدرك عصر الفخامة اللغوية في العصر العباسي.

- أبدع الشاعر في جميع القصائد التي نظمها، واستخدم مع البحور ما يناسبها من القوافي، وكانت القوافي سهلة ميسورة تتوافق مع المعنى المراد.

- والشعر عند أبي العلاء عطاء فن من الفنون، وقدرة على النظم تحت أي ظرف من الظروف، فكانت حياته بين السجن والحرية، وفيهما نظم الشعر الجيد، ووصف المواقف، وصور خياله صورًا بديعة، وأفكار تتوارد على

خاطره زادت من جمال التراكيب اللغوية، والأبيات الفنية، والمعاني المختلفة.

- استعمل الجناس والطباق باعتدال، لذا جاءت طبيعية لا تكلف فيها، ولا غموض في معانيها، فالمحسنات البديعية ما هي إلا لتعميق الفهم، وجمال اللفظ، وحلاوة اللغة التي يكتب بها، لذا فهو شاعر مطبوع، لا يريد من شعره التصنع والابتذال في المعنى المراد.

****

علوي الكوتوري

١٣٦٢ - ٠٠٠ هـ / ١٩٤٣ - ٠٠٠ م

- ولد الشيخ علوي كوتي[١] بقرية كوتور بمقاطعة ملابورام سنة ١٩٤٣م، درس المرحلة الابتدائية في بلدته، ثم التحق بالدروس المساجدية للتعلم الديني، ومن أساتذته الشيخ محيي الدين مسليار، الذي حرضه على قرض الشعر، وكان الأستاذ قد اختبر تلاميذه في نظم جزء من علوم الدين، فلم يستطع أحد إلا شاعرنا علوي، واستمر علوي كوتي في الدراسة، وبعد التخرج التحق مدرسًا في المساجد.

- أجرت الحكومة اختبارًا للمتقدمين لوظيفة مدرس لغة عربية ففاز الشاعر بهذا المنصب، وبدأ يعمل مدرسًا في المدارس الحكومية، ثم في المدرسة المتوسطة الحكومية في كوتاكل، وبعد تقاعده عمل في مجمع نجم الهدى في كوتاكل.

- بدأ ينظم أشعاره منذ أن فاز بالنظم عند أستاذه، وله قصائد نشرتها الصحف المختلفة، وكان شاعرًا للأطفال أيضًا فقد نظم أناشيد للأطفال، وله شعر لطيف، وذو معاني سامية، وأغراض متعددة، فمنها المديح والأمور الاجتماعية، وله أيضًا عتاب، وله أشعار جيدة ذات أسلوب جيد.

- للشاعر قصيدة يمدح بها أحد أصدقائه بعد أن نال شهادة الدكتوراه من جامعة كاليكوت، يقول فيها:

إنَّ العلومَ لَدُرٍّ ضاعَ من أممٍ
فمن لوامعِها ملءُ فيافينا
لكننا جلنا من لقطها قلقٌ
واهًا علينا تفقدنا غوالينا
فيا عرائس حورٍ في الخيام على
وجوههنَّ نقلب كن يدنينا
وصالهنَّ جزيل الحظ نطمعه
لكن عن الكشف جل كان عنينا
فهنَّ إذ خطب الممدوح قد كشفت
أستارهنَّ له ما كنَّ يدرينا

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، شعراء العربية في كيرلا ص ٣٠٧.

كمثلِ قَطْعِ نسا مصرَ الأيادي إذ
رأينَ يوسف لم يذكرنَ سكينا
جدا فقد وجد الفوز المهم به
كشفًا عن الشعراء الكيرليينا
فصرتَ من أدباء جهبذًا وعلى
فطاحل العلم آتا جا تباهينا
فأنتَ فائق نقاد القصائد والـ
أشعارِ حقًّا وألّفت الدواوينا

• هذه قصيدة تهنئة لصديق، ولكن الشاعر يهنئ أيضًا الكليات والمعاهد العلمية، ومن ذلك نظم قصيدة تهنئة لكلية الإحسان العربية، بمجلة ولور، بمناسبة مهرجانها السنوي، يقول فيها:

تنوّر فينا زهرة العلم ضوءُها
ينيرُ النواحي بالهدى زانَ نورُها
بتحسينه للمسلمين هداية
وتربية عضوية فاض صيتُها
تفتح منها عشرة من تويجها
تفوح بطيب الدين فينا نسيمها
بتوفيق رب العالمين ومنه
وآلائه الكبرى التي لا نحدها
فشكر جزيل حق فينا ولا يفي
بأقوالنا بل لا يوافي مزيدها
لك الحمد كلَّ الحمد نحمد ربنا
ونشكرك الشكر الجميل نديمها

• في سنة ١٩٢١م وقعت ثورة كبيرة في ولاية مليبار، وكانت الثورة تطالب بالاستقلال، بعد أن حكمت بريطانيا الهند عشرات السنوات، وخاصة بعد ثورة الهنود سنة ١٨٥٧م، ولكن الشعر الهندي أخذ يقاوم الحكم البريطاني بين فترة وأخرى، ومن مقاومة الهنود للبريطانيين هذه الثورة في مليبار، ولكن الإنجليز دمروا الثوار وهتكوا الأعراض وقتلوا المئات من الشعب الهندي، لذا نرى الشاعر علوي ينظم قصيدة تتحدث عن تلك الثورة يقول فيها:

أَسَرُوا بلا جرمٍ سوى عدلٍ إلى
نفي لبلادي على ما شاءوا
شدّوا وراء عجال ثورًا قوّدوا
صوب الرصيف ترور قهرًا ساءوا
والجند أجلسهم ولكن جلهم
عبطوا جياعًا كلهم ظلماءُ
وأتى قطارٌ للبضاعةِ ثم في
عرباته زحموا وهم أملاءُ
ضربوا بساق البندقية ما بدى
عضوًا وقفل بابها الأعداءُ
فجرى قطارُ بضاعة عرباتها
حشيت بلحم الناس وهم أحياءُ
عطشوا وجاعوا عض بعض بعضهم
أشرابهم أبوالهم ودماءُ
من ثقب مسمار تنفس بعضهم
غباً فأبقوا في الخياة رجاءُ

لما توصل بو تنور مديرها
فتح القفول فجلهم خنقاءُ

• وكانت تلك الثورة واحدة من ثورات الشعب الهندي، وظلوا يناضلون حتى حصلوا على الاستقلال في أغسطس سنة ١٩٤٧م، فنظم الشاعر قصيدة في ذكرى الاستقلال، يقول فيها:

قد صرتَ يا وطني هنيئة حرًّا
يا هند في استقلالك الإغرامُ
بذلتُ لك القيم الغوالي غير ما
قد ضحى الأبطالُ والأعلامُ
في حركة استقلالك المتجسد
كم من رجال نابهم أعوامُ
فبمحكم الدستور ديمقراطية
أشهى بجمهورية وسلامُ

• ثم يفسر الحالة التي تلت بعد ذلك بقوله:

لكن تغير هذه الأحوال قد
عمَّ التعصبُ والتدمي السامُ
إنَّ الزنادقةَ الجماهير انطووا
ضد الأقليات دومًا ضاموا
قتلوا أبا الهند مهاتما غاندجي
بدأوا به ويظلهم أوهامُ

• وبعد ماذا حدث في الهند، فقد خرجت عصابات التطرف والإرهاب تفتك بسلام الناس وعيشتهم، فقال شاعرنا:

في كل جيلٍ من الأقوام طائفةٌ
تطرفًا توقد الأخدود نيرانا
يشتد هذا بإرهابية ولهم
جند فدائية ينهدّ بركانا
ويجبرون بها الغير اعتداء لهم
يهبطون بهم فيها كما كانا
كم من حتوف جرت في العالمين
بها من أبرياء مساكين فسبحانا
فالبلشفية والهندوس سيغ وهو
د والنصارى بهم تطرف بانا
لا لا تطرف في دين ولا ملل
إلا تحكمهم ظلمًا وطغيانا
لا سيما ملة الإسلام يأمر بالـ
إنصاف والعدل كل الناس إخوانا

• ومن ضمن قصائد الشاعر ما حدث في ولاية غجرات، وكانت حادثة أليمة، نظم الشاعر قصيدة يقول فيها:

أوقدوا القطار بالركاب في
غودرا وحرقوا ركبانها
قتلوا الكثير بهتانًا على
منع إرهابية يا هولها
قطعوا أطرافهم أموالهم
قد أغاروا دمروا بيوتها
مزقوا أعراضهم واستهزأوا
بالأقليات حقدًا نحوها

دبـــروا اســتــأصــال جــنــس قل
مــن بــيــنــهــم يــنــجــزون وعــدهــا

- شاعر متابع للأحداث السياسية، والوطنية، ويرى رؤيته في تلك الأحداث ويسجلها في قصائده، وبعضها جيد، والبعض الآخر يحتاج إلى تصحيح، ولكن الشاعر يراقب الحروب الداخلية، أو بين بعض الدول، والإرهاب، فيقول:

بــأقــوى دولـــة الــدنــيــا عــلــيــهــا
بــقــوة قــهــرٍ هــم يــسـيـطـرونـا
إلــى دول عــلــى أخـــرى بــحــربٍ
بــــلا ســبــب مــهــم يــحــرضــونــا
يــبــيــعــون الــســلاح خـــلال هــذا
يــريــدون الــتــجــارة يــربــحــونــا
كــإســرائــيــل يــحــرضــهــا دوامـــا
فــلــسـطـيـنـا بــحــقــدٍ يــهــلــكــونــا
يــنــاطــح ثــعــلــب كــبــشــيــن طــمــعًــا
لِــلَــحْــسِ دم وســخــرا يــبــسـمـونـا
بــطــشــتــم بــطــش جــبــارٍ عــنــيــدٍ
كــبــولــيــس الــدنــا تــتــمــثــلــونــا

- فكرة عظيمة يطرحها الشاعر، ولكنها تحتاج بعض الإصلاح، والواقع أن بعض الدول تتاجر بالسلاح، لتلهي الدول الأخرى عن واجباتها الأساسية، وهي بناء الدولة، وتوفير كل ما يحتاجه الناس.

- يحمل هذا الشاعر أفكارًا معتدلة في تعامل الناس مع القوة والتعصب، فهو يرى القتل في التطرف، أو تجار السلاح، أو المعارك غير المبررة بين الدول، ولكن الشاعر ينظم القصيدة وفي ذهنه الفكرة، غير أنه مقيد بالألفاظ المناسبة، والوزن والقافية، فهو يتبع النظام القديم في نظم الشعر العربي، مستخدمًا الوزن في بحور الشعر، والقافية الموحدة، والأسلوب القديم.

- قدرة الشاعر كبيرة في احتواء الفكرة، ولديه الألفاظ المساعدة، ويعرف بحور الشعر، ولكن الخيال قليل، ربما لأنه يكتب عن أحداث معينة، ويريد أن يصف تلك الأحداث بكل تفاصيلها، دون أن يتدخل في تنظيم الفكرة وقولبتها في إطار البحر العروضي، والقافية.

- أفكار الشاعر جيدة ومناسبة لأحداث العصر، ولكن الشعر في جمال الأبيات، وبلاغة اللفظ، وسبك التراكيب، وحلاوة الصنعة، ولكن شاعرنا قد نظم قصائد جيدة الفكرة وخالية من البلاغة والسمو اللفظي، وأسلوب المحاورة والاستنكار للأعمال الأخرى، فهو ناظم لألفاظ حواها وزن وقافية، ولم يستطع أن ينسق ألفاظها بشكل جميل لتؤثر أكثر في القارئ أو السامع.

****

علي آغا التوستري

١٢٥٢ - ١٣٢٤ هـ / ١٨٣٦ - ١٩٠٦ م

- ولد الشاعر الطبيب سيد علي آغا بن سيد أبي الحسن الموسوي الجزائري التوستري[١] في حيدرآباد حوالي سنة ١٢٥٢هـ، الموافق ١٨٣٦م، درس الكتب الدراسية المعروفة على يد والده، حتى برع فيها، ودرس الطب حتى حذقه، ثم تقرب من النواب شجاع الدولة مختار الملك، فقربه وجعله مربيًا ومعلمًا لولده، وعين له راتبًا شهريا، ولما توفي شجاع الدين أصبح ابنه علي خان ملكًا فضاعف راتب معلمه، وكان من أشهر أطباء الهند، وأنعم عليه النواب علي بلقب «سلطان العلماء».

- كان متضلعًا باللغة العربية وله قصائد كثيرة، وتخميس بردة البوصيري، وكتب مقدمة للتخميس تعتبر من أبدع المقدمات، أقتطف بعضًا منها لنفاستها، يقول فيها:

- «إنّي لما ارتديتُ بردة الترعرع، واكتسيتُ باشتمال الصّماء برداء التبرع، بل منذ وضعوا عنّي التمائم، ووضعوا على رأسي العمائم، تحلى لي التلبس بلباس الأدب، والإتزاء بزي من أوضاع العرب، فتحملتُ منها بالنفائس على قدر العاقلة كما يتأتى بالطبع لا بالتطبع، بعد ما حفظتُ من التغزل والتشبيب، والحماسة والنسيب والزجيرة، والنشيدة، والمجّانية، والقصيدة، والمفاخرات والخمريات من الجاهليات والإسلاميات في كل من الأقسام ما تنيف على سبعين ألف، أو تسعين ألف مع أسامي منشديها على التعيين، وقلتُ فيما تزيد على ما رَويت ورَوت عني أهل الرواية، مثل ما أوعيتُ ووفيتُ، وذلك بعد إحرازي للعلوم الشرعية والفرعية عن أدلتها الوضعية غِب التبرع في علوم آلاتها التسعة، وأثر الترفع عن مدارج الفحول بقدر الاستطاعة، والسعة في أغرر التشرع لإيراد صاحبي غلّاتها، وإبراء مصاحبي عِلّاتها

- وكثيرًا ما كان يختلج ببالي ويتلجلج في خيالي، أن أستثمر غرس المعارف في مديح النبي وآله، وهي القصوى التي يُنيب إليها العارف لسعادة الدارين في حاله وماله، فإنه لا شجر يُخلِف الثمرين، ولا ثامر يقضي الوطرين بأسمح من هذه الشيمة التي يستحسنها، حتى الطفل في المشيمة، فلما حوّلتُ عن مطية الإنتقاد في الشعر، وفرستُ وجوّلتُ خيل خيالي في ميدان اجتبائها وتفرستُ ورأيتُ البوصيري في كلامه مع فرط ولعه في حب النبي، وغرامه في كثير شوقه بتحسين المديح، وتزيين الثناء الفصيح بوافر هيامه، وراجز تهيامه، أنه قيّد السلاسة والجزالة في كل مطلقة الأعنة مما يجيلها في مضمار الجوالة، فلقد سبق من سبق في الجاهلية، بعلم الفصاحة، وإن تأخر وما لحق في الإسلامية في فن البلاغة..... »

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ٣٢٣. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١١٨. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٢٨٥. محمد سلطان محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي ص ٣٢٧.

• هذه القطعة جزء من مقدمة تخميس بردة البوصيري، وهي مقدمة طويلة تنم عن مقدرة كبيرة في فن الكتابة العربية البلاغية، التي كتبها قبل فن التخميس:

أمن تصور معنى الحل والحرمِ
أو من تخاطر مغنى العلم والحِكمِ
أمن تناسى عهود الحبّ في الذممِ
(أمن تذكر جيران بذي سلمِ
مزجتَ دمعًا جرى من مقلة بدمِ)
أم نثر العقد من أقوال ناظمة
فألقطوها أولو خيل شياظمة
أم سحّر الوجد من تشبيب واظبة
(أم هبت الريح من تلقاء كاظمة
أو أومض البرق في الظلماء من إضمِ)
فيا عشوقا نكات الحب إذ نعتا
مطأطأ رأسه للأرض قد نكتا
ما بال أذنيك إن فلتُ أصمما صغتا
(وما لعينيك إن فلت أكففا همتا
وما لقلبك إن قلت استفق يهمِ)
العينُ غابرةٌ والوجهُ مصطرمُ
والقلبُ منخفقٌ والصبرُ منهدمُ
هذي شهودٌ ومنها العشق مختتمُ
(أيحسبُ الصّبّ أن الحبّ منكتمُ
ما بين منسجمٍ منه ومضطرمُ)
لو لم تكن هائمًا تصبو إلى أملٍ
ما كان حالك ذا وحد وذا مللِ
لو ما الصبا لم تفق من ذكر منعلمِ
(لولا الهوى لم ترق دمعًا على طللِ
ولا أرقت لذكر البانِ والعلم)
على جميع الورى فرضت طاعته
صنيع رب له جاءت صناعته
قد استهلت من الدنيا براعته
(هو الحبيبُ الذي ترجى شفاعته
لكل هولٍ من الأهوال مقتحمُ)
جواهر الصنع ضيت في خزائنه
فقُسمت بعضها من جود خازنه
من ذا هو الغرد حسنًا في مكامنه
(منزه عن شريك في محاسنه
فجوهر الحسن فيه غير منقسمِ)
أهملتَ سيرة من فاق الورى عملا
ودمعه في صلاة الليل قد همل
الطهر طهِ عليه رحمة نزلا
(ظلمت سنة من أحي الظلام إلى
أن اشتكت قدماه الضرّ من ورمِ)
وكم مشتقاته لله حين نوى
من الصلاة وصوم للثلاث أوى
فكل ذلك عنه المخلصون روى
(فشدّ من سغب أحشاءه وطوى
تحت الحجارة كشحا مترف الأدمِ)
إن الرياضات من كدّ ومن سغب
لله منه مزهد مع غنى أرب

أما رأيت له زهدًا على وهب
(فراودته الجبال الشمّ من ذهب
عن نفسه فأراها أيّما شمم)
الزهد مع شدّة الحاجات سيرته
إذ جبلت بعفافات سريرته
تأبى الدناءة من دنياه غيرته
(وأكدت نفسه فيها ضرورته
إنّ الضرورة لا تعدو على العصم)
خير النبيين في القربى نجيّهم
وقبل آدمهم هذا صفيّهم
وبعد ربّ الورى هذت وليهم
(دع ما ادّعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئتَ فيه المدح واحتكم)
فما ادّعتها فمن حمقٍ ومن سرف
من لم يلد لم يكن يولد بلا كلف
قل في النبي بما أوحى بلا جنف
(فانسب إلى ذاته ما شئت من شرف
وانسب إلى ذاته ما شئتَ من عظم)
نزّله عن ربه وارفعه تفضله
على الورى وبشيء لا تعادله
قل في النبي بأعلى ما تخيّله
(فإنّ فضل رسول الله ليس له
حد فيعرب عنه ناطق بفم)
بطيب أنفاسه لم يتزن عبق
بفوح أخلاقه لم بعندل نشقِ

لا نكهة الورد يدنو ما له عرق
(أمرم بخلق نبي زانه خلق
بالحسن مشتمل بالبشر متسم)
فالخلق والخُلق كل منه ذو طرف
كالنور شقف والنور في أنف
والدر في صدف والورد في عرف
(كالزهر في ترف والبدر في شرف
والبحر في كرم والدهر في همم)
عطية الله لا يحصى لمحتسب
وصفوة الله لا يؤتى لمنتسب
وعزة الله لا يعطى لمنحسب
(تبارك الله ما أوحى بمكتسب
ولا نبي على غيب بمتّهمِ)
سما براقك عن شنق وعن خرم
إذ خصك الله بالزلفى على درمِ
سرى بجسمك ربّ العرش عن كرم
(فظلت ترقى إلى أن نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم تُرمِ)
فقاب قوسين أو أدنى محل بها
نور القديم وقرب الحق منك زهى
سبحان من جلّ عن حلّ ومنه نهى
(وقدمتك جميع الأنبياء بها
والرسل تقديم مخدوم على خدمِ)
في كل منشدة أو في مكالمة
شفاء قولي في بدء وخاتمة

على الصلاة على طه بباسمة
(فأذن لسحب صلاة منك دائمة
على النبي بمنهل ومنسجم)
والآل من بردة التطهير تشملهم
محمد كلهم حتى يكملهم
والصحبُ من في «كزرع» قد يمثلهم
(والآل والصحبُ ثم التابعين لهم
أهل التقى والنقى والحلم والكرم)
مديح بوصيري العالي أميل به
ومن شفيع البرايا استنيل به
خمّسته وهو عرض أستطيل به
(خدمته بمديح استقيل به
ذنوب عمر مضى في الشعر والخدمِ)

• بعد المقدمة الضافية التي سطرها الشاعر المبدع، ظهرت قدرته في النثر والشعر، وظهرت قدرته على مجاراة الشاعر البوصيري في مديحه لرسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - وكان بحق قد تشرب العربية في معاجمها وشعرها وفنونها، وهو الذي حفظ حوالي تسعين ألف بيت من الشعر العربي، جدير بأن يخمس قصيدة رائعة مثل بردة البوصيري، ولكن الشاعر علي بن أبي الحسن لديه قصائد أخرى مختلفة عن التخميس، فقد أرسل قصيدة إلى النواب الشيخ صديق حسن خان القنوجي يمدحه فيها إذ يقول:

أمير الهندِ ليس له نظيرُ
وهل من مثله فيها أميرُ
أمير في الإمارة لا يضاهى
له العليا نديم أو سميرُ
دبيرٌ في المهام بأصغريه
كما الدنيا عطاردها دبيرُ
أبيّ كفو سوا العلياء قدما
لذا ازدوج العلا فهو القدير
هو السلطان في بهوبال ألا
متى رتق المهام هو الوزيرُ
رووا عنه المحامد في المعالي
ثقاة لا يردهم الخبير
إليه تشد من عرب رحال
خوال وهي ملائي إذ تسيرُ

• يمتدح الشاعر رجالات البلد، لما لهم من فضل عليه، وعلى البلاد، وقد مدح علي آغا الشوستري المولوي وحيد الدين بقصيدة يقول فيها:

إلى فرد المكارمِ والمعالي
وموئل كل صبٍّ كالموالي
وحيد الدين ما أحد يوازي
طبيعته الرصيعة بالغوالي
وفى بالوعد وهو الطبع منه
فيا لسجية بدر الكمالِ

ومن والاه يبذله يقينًا
بما في وسعه حد المنالِ
فلو أن روحه في الكفِّ فرضًا
لجاد بها وليس بها يبالي
سلام الله في شكري إليهِ
على الأيام دومًا والليالي
فلم تلد الكريمة مثل هذا
عساه يدوم في مرقى الجلالِ

- هذا شاعر متضلع باللغة العربية، وكتب بهذه اللغة عشرات المقالات النثرية، ومئات الأبيات الشعرية، وهذا شاعر وطبيب، وهوايته اللغة العربية، حفظه لآلاف الأبيات الشعرية مكنه أن يكون شاعرًا جيدًا، وناظمًا متمرسًا، بلغت براعته في النظم أن تسامى فوق كثير من شعراء العربية في الهند، وفاق بعض شعراء العرب في الإبداع الفكري واللغوي والفني.

- استخدم الشاعر العروض الخليلية بكل كفاءة، وامتلك المعجم اللغوي فاستخرج منه ما يعاضد به أبياته، وينثرها في بحور شعره حتى تجانست وترابطت مع سبك قوي للمادة، ومجاراة للبوصيري في بردته، ومديحه فن قائم بذاته، فكانت قوافيه ذللا، وأبياته سهلا فهمها، وقليل منها فيه صعوبة، ولكن في محلها الذي وضعها فيه الشاعر الفنان.

- وكان أسلوبه مسايرًا لأساليب الشعراء العرب، مع تراكيب جديدة للجمل، واختيار موفق للألفاظ الموحية، وإبداع في نظمها، وتنسيقها بحيث توافق فكرة البوصيري في بردته، وهى الرسائل التي يرسلها لصديقه العلامة عباس الجرياكوتي تتسم بالفن والإبداع، وكانت بينهما مساجلات شعرية.

- كان الشاعر يوفق بين اللفظ والمعنى، بحيث أن المعنى لديه قوة يختار ما يريد من اللفظ، وأحيانا يفرط في المعنى على حساب اللفظ، ولكنه يرى أن للمعنى المكانة الأولى في النظم، أحيانًا، ويجمع بين جزالة اللفظ، وقوة المعنى، وأحيانا أخرى يحتذي حذو الحريري في العناية باللفظ، واصطناع السجع والجناس في بعض الأبيات، ولكن يظل المعنى تحت سيطرته، مع إحساس كبير بالمحبة، وتدفق العاطفة تجاه رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - لذا كانت الأبيات تشع من وميض المحبة، وصدق العاطفة.

****

علي جلال الكشميري

١٣٤٥ - ١٤١٣ هـ / ١٩٢٦ - ١٩٩٢ م

- هو أبو محمد علي جلال الدين الغازي بن قاسم علي الأصفهاني الكشميري[١]، ولد سنة ١٣٤٥هـ، الموافق ١٩٢٦م، وكان أجداده قد نزحوا إلى كشمير سنة ٧٨١هـ، الموافق ١٣٧٩م من أصفهان، حفظ جلال الدين القرآن

(١) محمد مظفر حسين الندوي، مساهمة أهل كشمير في اللغة العربية والأدب العربي ج٢: ٢٦٩ - ٣٢١.

الكريم، وتعلم الفارسية والعربية، وأخذ العلوم الإسلامية من الكلية الشرقية التابعة لنصرة الإسلام، ونال شهادة: مولوي فاضل، من جامعة البنجاب، ثم أصبح معلمًا في الكلية الشرقية.

- لما أنشأ حجة الإسلام السيد محمد يوسف جامعة «باب العلم في بدجام» عمل جلال الدين في هذه الجامعة، ثم أصبح عميدًا لها، وظل يخدم هذه الجامعة لمدة طويلة حتى وافاه الأجل المحتوم سنة ١٤١٣هـ، الموافق ١٩٩٢م.

- الشاعر جلال الدين متمكن من أدوات النظم بكل أشكاله، والمصدر نقل قصائد متعددة له، وسأقوم باختيار عدة قصائد له، منها قصيدة بعنوان: حديث الكشف، يقول فيها:

أنينُ الشوقِ للعشّاقِ راح
يحومُ حولَ عرشٍ له جناحُ
دعاء في الظلامِ لنا دواءُ
نطيرُ من ترابٍ لنا أحاحُ
دويُّ النحلِ من باكين سهمٌ
ولا تخطي لسهام لها فلاحُ
بريشِ الشوقِ نجتازُ الثريا
وفي أعناقنا منه وشاحُ
وفي منقارنا ذكرٌ وحمدٌ
لنا جرحٌ يداويهِ جراحُ
ولـلأرواحِ بالأرواحِ قربٌ
كما شهد العراف لنا نجاحُ
فطورًا في الجنانِ ترى نعيمًا
بذي من قاصراتٍ لها سماحُ
ورقص في الجنانِ لكل وردٍ
وريحانٍ وقضبٍ لا براحُ
وجوهٌ من عذارى ناعماتٍ
لها قَدٌّ شهيٌّ ولا جناحُ
درّي اللون لون وطول طولِ
وريٌّ في الخلخال ولا جماحُ
وطابَ ليتها طاب وطابَ
وطابَ عرفها عزفٌ نفاحُ
فيناء عجزاء وسمراء
لها مهرٌ وللمهرِ صحاحُ
وقد ضمن الصداقُ عليَّ أعلى
كما شهدَ الكليني ولا جناحُ
يطيرُ بعضنا بعض يسيحُ
وللقومِ طيارات مراحُ
وقد زرتُ الذي هو صدرُ بدرٍ
له نورُ فداء له صباحً
سقاني من كؤوسات الوصال
وكان الحسنُ نورًا في شباح
بنبرُ العالمين بضوء خدٍّ
يكادُ أن يضيء ولا قداحُ
أراني قائمًا تحت ثبيرٍ
مع الأعلام والرحراح راحُ
ومخملة الثيابِ بوشي زهرٍ
على الجدران تبر له جناحُ

فتشتُ أمَّ وحداح ورمت
إذا في روضة منها طماحُ
ولما أن شبعتُ قلتُ كافٍ
كفاني يا إلهي ألا براحُ
سألتُ أن أعودَ إلى مكاني
مقادير السخامِ لها متاحُ
إلهي رقص أزهارٍ وفرع
وقضبان مراح لي وراحُ
كشفنا عنك في الآياتِ حق
فلا حول ولا لا انشراحُ
إذا لم تعط حولًا ولا خولا
فلا ليلٌ يكون ولا صباحُ
(حديثُ الروح للأرواح يسري
وتدركه القلوب بلا تراحُ)
(هتفتُ به فطار بلا جناح
وشقَّ أنينه صدر الفُواح)

• آخر بيتين من قصيدة الشاعر محمد إقبال، وهذه قصيدة طويلة عظيمة القدر، أبدع بها الشاعر، واستجمع كل قدرته لينظمها، وتتبع أسلوب الشعراء القدامى، وصنع من خياله صورًا بديعة.

• كان الشاعر قد ذهب إلى بومباي، ونزيل دار النجفي، فنظم بهذه المناسبة قصيدة أخرى طويلة، تسمى «عبرات وبسمات» يقول فيها:

فدى لدارِ الحوزة الآياتُ
ولهم اليقينِ من معينِ حياةِ
منازلُ للقربى مدارس للهدى
وللصومِ والتطهيرِ والصلواتِ
أساتذةٌ جهابذةٌ شويهًا
أرى غرَّ أترابٍ وغير موات
يبثون بالأنفاس من حرِّ جمرةٍ
لذي فضلٍ ومن علماء آتِ
وما الناس إلا حاسدٌ ومُدلّسٌ
ومضغنٌ ذو إحنّةٍ وتراتِ
وجمعٍ من طلّابٍ طلاب علمٍ
لقد شرِّفوا بالحق خير سماتِ
فيا لائمٍ أتراك ملام ولا تكن
على شكٍّ وشقٍّ من الشبهاتِ
ولئن تراني منه قد اتعزل
قسمًا فؤاد به رهينُ موات
أضاقت بك الأرض التي قد رحبت
لفضلِ أتاني الله والحسناتِ
فيا عين بكّي ثمة اندبي
كما ناح قمريٌّ على الشجراتِ
هلمّا لأن نلم على هلم الذي
له مدح غزير من ضرَّات
له تاجٌ من وهاج من كمالٍ
من الأنوارِ لا يعطى لعاتِ
محمد بالاسم ودرٌّ من نجف
يضيءُ لذي الأسرار في ظلماتِ

ولكن ومن أنّى يساجلُ زلفةً
يُخافُ ذراهُ الهوج من هضباتِ
فمن كان أمسى بالمدينة رحله
فإني وقيارٌ لفي صدماتِ
فلولا الذي أرجوه من حبي له
تمزق احشائي لأمر شتاتِ
فمن لي بذكرى أو طيف من التي
سقتني غبوقًا جرةً بجراتِ
ومن حبها ديني وفخري وعزّتي
ومن عندها من نفحة الروضاتِ
أَلِمّا على ليلى وعُوجَا وابكيا
فإنّي أراني دونها في مماتِ
حسنت إلى ريّا ونفسك باعدت
مزارك من ريّا بست جهاتِ
قفا ودّعا نجدًا ومن حلَّ بالحمى
وقل لنجدٍ عندنا من حماةِ
بنفسي تلك الأرض ما أطيب الربى
ولكن فلربّ اشتهى غرباتِ
فليست عشيات الحمى برواجع
إليك زلكن خلِّ بالمبراتِ
واذكر أيام الحمى ثم انثنى
على كبدي من خشية الصدماتِ

• هذا الرجل شاعر كشمير بلا منازع، فقصائده في قمة الفخامة وعلى الرغم من بعض الهنات إلا أنها قليلة لا تقلل من قيمته، وله قصيدة قالها في الشيخ صدر المؤتمر الشرعي في كشمير، السيد يوسف، وهي من القصائد الطويلة أيضًا، وقد أسماها» القصيدة الغراء» يقول فيها:

إذا سطع الصبحُ وغابت شهابُ
فللشرقِ مني زحرة وحبابُ
فأسدى إلى لقياك يا من فتنتني
إذا حال من دون النجومِ اللعابُ
وقد كنتَ قدمًا في ضنى هذه المها
إذا حلَّ بينٌ كنت منه أصابُ
في نشوتي إذا سمعتُ مناديًا
كما باح منه سورة وكتابُ
ينادي ويهتف للنجاة والهدى
فطوبى لقومٍ سمعوا وأجابوا
فأحيا رسوم الدار عفت معالمه
وأسفاه إعصارٌ وأبلى الرِّبابُ
مدارس آياتٍ بنى بعد قفرها
بإنفاق مالٍ حمَّ منه سحابُ
وأخمد نيرلن الجهالةِ والردى
فبنيانُ الشركِ غامر ويهابُ
ترى همّه في دينِ أحمد والوصي
فاتباع نفس الشوم منه غضابُ
يحيي الليالي بعد إحياء يومه
فكلا يديه سنة وكتابُ
تراه ينادي للصلاةِ في الدجى
إذا حال من دون النهار ضبابُ

ويخطب مسقابًا على منبر النبي
بقوة نفسٍ وهي فيه كعابُ
إذا زرته في قومه قلتَ مليك
جليل ملوك الأرض منه غضابُ
أيا من يسمى يوسف في ذا الورى
وشكس العلوم ليس منه حجابُ
قضى عمره في خدمة شرع النبي
له في الجنان حلةٌ وحبابُ
وحورٌ ونورٌ في خيام روضها
كواعب أترابٍ له وشرابُ
له أكبر الأولادِ فينا المصطفى
كشبلِ ليثِ الغاب منه يعابُ
ترى همه في الرضا عند عمه
له في العلومِ حصة ونصابُ
وآخر في الطلاب أغلى باقرٍ
يطالع أسباقًا لديه كتابُ
هداه الإله للعلومِ والهدى
يُشمُّ لا على العلم منه ملابُ
وآخر من ذا الدوحِ اسمه علي
له من رضاب العلمِ في الضم نابُ
وكان غريقًا في بحار المعرفة
يناجي الإله غير نقض يشابُ
تراه جليسًا في مقاصير جنةٍ
وهو مع الغلمان فيها الشابُ
فيا نفس قرّي عندهم واعذريهم
فهم معشرٌ غرٌ كرامٌ يجابُ

إذا نلتَ منهم ودًا فالمالُ هيّنٌ
وكل الذي فوق الترابِ ترابُ
فهم قطبٌ للناس في الأمر كله
يدارُ رحاهم حولهم وتجابُ
لهم آدابٌ من نبي وآله
وأخلاق خير ليس فيه كذابُ
تلذّ لديهم حلوة من جنيهم
جني النحل منها أين منها الشرابُ
لهم سيرةٌ من فقر النبي وآله
فكل متاع البيت منهم ترابُ
ترى منهمُ صدقًا ورأيًا وروعةً
كما نال للقمان منه خطابُ

- هذه ثلاثون بيتًا من الشعر العربي من قصيدة تبلغ ستين بيتًا، وهي لا شك تنم عن فكر الشاعر وقدرته على المديح، والوصف لعائلة علمية فيها الأب والأبناء، وجميعهم من العلماء الأخيار، فلم يترك مجالًا لخدمة هذه الأسرة إلا وأتى به، من حيث ديانتهم وثقافتهم.

- نظم الشاعر جلال الدين علي قصيدة موجهة إلى السيد يوسف، صدر المؤتمر الشرعي بكشمير، يقول فيها:

ألا يا سيد السادات اسمَعْ
فإنّي قد سئمتُ بمضعٍ هِمخَع
وإنّ في جوارك في الرزايا
بدين فوق دين فليس مطمع
ولم أحصل بمالر أو بوفرٍ
لفقيرٍ قد بلاني بأرضِ بلقع

فدع عن ذكر دارٍ أو عقارٍ
طريفٍ تالدٍ أو خير منفع
وصار فرش أضلاعي حصيرٌ
وضاق الدارُ من ضيفٍ وأفزع
فلم يبق نضارٌ ولا ثوبٌ
ولا سروالٌ تزيينٍ لموضع
وصار القلبُ منهم من جمادٍ
فلا شكوى تفيد فليس مطمع
وإنّي قد وقفتُ ببابِ علمٍ
فلم تسمع لقولٍ وقلتَ ازمع
فلو أني بكيتُ سنين عندك
لقلت لا يفيد القول اربع
فمن يا سيد السادات طرًا
نحوح عنك إليه نفزع
نشدتك بالنبي وآل بيتٍ
وأصحابٍ لهم في الخير أجمع
أيرضي الله منك في صدود
وإعراضٍ ولم تسمح وتجمع
وكنتَ أنتَ داعينا إليك
فجئنا ممرعين بأرضِ بلقع
وكنا قد ظننا القولَ منك
كلامُ الله في طورٍ وأرفع
ولما كتبتُ إليك الشكوى
فقلتَ لا يُفيد القول افجع
فإنَّ القلبَ مني من جمادٍ
فلا يجديكَ قول فتجزع

فلما أن رأيتُ فكدتُ أبكي
من القول الشديد اللفظ أفجع
فلا تمنع ولا تبخل علينا
فإنَّ اللهَ يرزق الناس أجمع
فإنا ذاهبين وسابلين
أليس الله كافٍ حين نرجع
فإنَّ القلبَ مني في احتراقٍ
بوعدٍ غير ذي صدقٍ وأضيع
فإنا راحلون لجدب أرضٍ
ولا نرضى بتربٍ ذات يرمع

• شاعر وإنسان له باع في النظم، استطاع نظم القصائد الطويلة المعبرة عما يشعر به من مشاعر، لذا هو يرى أن لله عليه فضل، فنظم قصيدة مناجاة لله عز وجل، يقول فيها:

إلهي ومولايَ لإليكَ أرغب
وحمدكَ من ماء الحياة أعذبُ
إلهي وكيفَ الحمدُ من كان قاصرًا
له عقدة في القولِ وإليكم أقرب
لذنبٍ عظيمٍ ثم أقبح فاحش
وعلم كغيم برقٍ منه خلب
وإتيان لذّاتٍ للنفسِ صالح
لها وزر أعمالٍ وجهلٌ مركب
إلهي كيف الحال إذ كنتُ راحلا
ولم يك عندي الزّاد ام كيف أطلب

إلهي وكيف الحال من لم يكن له
جوادٌ من الأعمال أم كيف يركب
وكان عليه الطّود والظهر قوسه
ولم يك قدحٌ في الكنانة يتعب
إذا الناس في الأكفان مستور عورة
وما كان عندي الريش أيّان أطلب
إذ الناس في شأن على غير شأنه
ويسمع شهيق النار والنارُ يلهب
إلهي أأبكي الحشر أم ضيق حفرتي
وما القبرُ إلا جنة أو مخرّب
إلهي بحق آل بيت محمدٍ
وحرمة أطهار هم لك رهب
إلهي فارحم حالتي وامحُ حوبتي
وأينَ الضعيف والإله المهيب
فلا تعرض الوجه الكريم عن الذي
له دمعة في العين فيك يرغب
ألهي فانقذني من النار سيدي
فإني مقرٌ خائفٌ منك مذنب

- هكذا يتضرع الشاعر لله سبحانه وتعالى، ويستمر في هذا الإطار من وصف حالته، ومقر بذنبه، وخائف من العذاب والنار.
- يمتلك الشاعر قدرة كبيرة على النظم، وموهبة أعطاه الله إياها، فكان أبدع شاعر من بين شعراء العربية في الهند، استخدم البحور الشعرية العربية القديمة، وكذلك القوافي الذلل منها والنفر، فكان مبدعًا في كل الأحوال، واستطاع أن ينظم في كل الموضوعات الشعرية، تقريبًا، وكان جديرًا بأن يكون شاعرًا في صفوف الشعراء العرب، حفظ كثير من القصائد العربية، أو الدواوين، وبرز ذلك من خلال بعض التعابير والجمل التي استخدمها شعراء العرب الأقدمين.
- برز فن الشاعر من خلال خياله الواسع، فصنع صورًا فنية بلاغية، جعلت الشعر له قيمة فنية كبيرة، وامتلك ناصية اللغة العربية، وأخرج منها الألفاظ المعبرة عن أفكاره وأساليبه، وكان يسبك الأبيات جيدًا، وتناسق الكلمات مع الأفكار سببًا لحلاوة شعره، وبيان قدرته على النظم، وتمكنه من جميع أدوات النظم العربي.

****

علي حسام المتقي الهندي

٨٨٥ - ٩٧٥ هـ / ١٤٨٠ - ١٥٦٧ م

- هو الشيخ علي بن حسام الدين بن عبدالحكيم بن بهاء الدين المتقي الهندي[1]، ولد في برهانبور سنة ٨٨٥هـ،

(١) نجم الدين محمد الغزي، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، ج٢: ٢٢٠. عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٤: ٢٠٦. خير الدين الزركلي، الأعلام ج ٤: ٢٧١. جمال الفاروقي وآخرون، أعلام المؤلفين في البلاد الهندية ص ٤٨.

الموافق ١٤٨٠م، تعلم على يد والده، ثم وضعه أبوه مريدًا عند الصوفي بهاء الدين البرهانبوري، ثم صحب حسام الدين المتقي الملتاني، وقرأ عليه تفسير البيضاوي، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين، وأخذ الطريقة القادرية والشاذلية من الشيخ أبي الحسن الشافعي البكري، ثم من الشيخ محمد السخاوي، وقرأ الحديث عند الشيخ أحمد بن حجر المكي.

- أقام في مكة مجاورًا الكعبة، وكان يتردد على زيارة الهند خلال حكم السلطان محمود شاه الصغير الكجراتي، ونصحه بترك بعض القوانين المخالفة للشريعة، ثم عاد إلى مكة،، وابتنى له دارًا فسيحة قريبة من منزل شريف مكة، ويستضيف بها أتباعه من السند، وله عدة مؤلفات، منها:

- **تبيين الطريق إلى الله.**
- **غاية الكمال في بيان أفضل الأعمال.**
- **ترتيب الجامع الصغير للسيوطي.**
- **مختصر النهاية في اللغة.**
- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال.**
- **البرهان في علامات المهدي آخر الزمان.**
- **النهج الأتم في ترتيب الحكم.**
- **جوامع الكلم في المواعظ والحكم.**
- **الوسيلة الفاخرة في سلطة الدنيا والآخرة.**
- **له كتب ورسائل أخرى.**

- لم يكن الشيخ علي المتقي من الشعراء، ولكن ينفث على لسانه بعض الأبيات، خلال كتاباته، أو في بعض المناسبات، منها قوله:

في مكة الوقتُ صفا لي
بطيبِ جارٍ بها ودارِ
وخفض العيش جوار ربٍّ
فذاك خفض على الجوارِ

- الشعر هو حاجة في نفسه، ولم يرد أن يكون شاعرًا، والمصدر لم يحفظ لنا أكثر من هذين البيتين.

****

علي حسن المرزوقي

٠٠٠ - ٠٠٠ هـ / ٠٠٠ - ٠٠٠ م

- علي بن حسن المرزوقي[1]، لم أعثر على ترجمة لولادته ووفاته، ولكنه من أبناء القرن الثاني عشر الهجري، ولكن ما قيل عنه مديح فيه كما ذكره صاحب السلافة، لأن الشاعر المرزوقي مدح والده الذي يسكن في الهند، أحمد

(١) علي صدر الدين المدني، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل عصر ص ٤٦٨. محمد سعيد الطريحي، ملوك حيدرآباد ص ١٤٥.

نظام الدين، وعدّه الطريحي من سكان حيدرآباد، الدكن، الهند.

• كان الشاعر يرتاد مجلس السيد أحمد نظام الدين، وكان قد نزل من القلعة على البلد، ربما من قلعة (كولكوندا)، موجهًا كلامه إلى السيد نظام الدين أحمد، فقال في ذلك:

سِـــواك يـقـول ولا يـفـعـلُ
وغـيـرك يـجـبن أو يـكـسـلُ
وأنـــت الـــذي بـشـبـا سـيـفـه
يـــذل لـــه الأســـد المـشـبـل
أتـــدري المـنـــازل مـــن حـلـهـا
أضـــاء يـهـا بـدرهـا الأول
رسـا فـي مـقـر الـعـلـى يـذبـل
وعـــاد إلـــى غـمـده المـنـصـل
وأرخـــت الـــدار مـــن بـشـرهـا
أضـــاء بـأصـحـابـه المـنـزل

• هذه حال الشاعر عندما وفد على السيد نظام الدين، وله أيضًا قصيدة يعارض بها قصيدة السيد أحمد نظام الدين، ويمدحه، يقول فيها:

تـألـق مـن نـحـو الـكـثـيـب ووهـدهِ
بـريـق تـلالا فـي حـمـائـل بـردهِ
تـراءى لـعـيـنـي قـد تـقـرح جفنها
وعـوض عـن طـيـب المـنـام بسهده
فهيج وجـدًا مضمرًا في سرائري
وابـدى مصونًا ما استطعتُ لرده
فـنـتُّ كـئـيـبًـا والـه الـقـلـب شيّقا
بـبـحـر غـــرام بـــين جـــزر ومـده
ومـا افـتـرإلا جـاد بـالـدمـع نـاظـري
وأذكـرنـي مـاء الـعـذيـب ووردة
ومـسـرح غـــزلان يـرحـن عشية
بـذات الـلـوى والأبـرقـين وثـمـده
ومـيـادُ غـصـنٍ مـذ تـثـنـى بعطفه
لـوى عقربي صدغيه خـفـاق بنده
كـثـيـر الـتـجـنـي والمـجـون وطـالـمـا
جنى سيف لحظ منهُ وهـو بغمده
لـه حـدق صـحـت بسقم جفونها
ومـن عـجـبٍ تـقـويم شـيءٍ بضده
وإنـي إذا مـا جـنَّ لـيـلـي تخالني
أحـــنُّ حـنـيـن الـثـاكـلات لـفـقـده
وتـطـربـنـي صـدح الحـمـامِ بأيكه
إذا صـاح قـمـريُّ الـبـشـامِ بـرده
وتـنـبـيـه شـحـرورٍ يـرتـل شـدوه
بـغـنـتـه إدغـــامٌ ولـــينٌ بمـده
وتـرجـيـع صـوت الـعـنـدلـيـب كأنه
غـدا راهـبًـا فـيـه زعـيـمًـا بـورده
وإن شقَّ نحر الفجر ناجت بلابل
تـسـبّـح لـلـه الـقـديم بـحـمـده
وإنـي عـلـى ودي مقيمٌ على الوفا
وما ملتُ بل باقٍ على حفظ عهده

ألا في سبيل الله دهر قضيته
على ظمأ لم يروه ماء صده
أبيتُ على جمرِ الغضا متقلبًا
وفي طي أحشائي تلظ بوقده
وقد جبلت نفسي على حبه كما
جبلن أيادي أحمد قبل وعده
فما البحر إلا من شآبيب جوده
وما المزن إلا من سحائب رفده
رؤوف رحيم ناسك متبتل
وطلق المحيّا عند إقبال وفده
فلا زال محروسًا بعين عناية
من الله ما افترت كمائم ورده
وما دار كأس العتب في ملة الهوى
على مذهب العشاق في شرع جنده

- قصيدة غزلية مدحية، تفنن الشاعر في نظمها، وغالى في مدحه للسيد أحمد، واستطاع أن يصف المحبوبة بأبدع الأوصاف، ووصف جميل للطيور وتغريدها، وشبهها بحالته، التي هو عليها من عشق ومحبة، بصوت حبين الحمام والطيور.

- وله قصيدة يخاطب بها العفيف عبدالله بن الحسين الثقفي، وقد كتب نظام الدين رسالة إليه يسأل عن حاله، فنظم الشاعر هذه القصيدة، يقول فيها:

أرحيقُ أمْ شمولُ أم ضرب
أم أقاح أم زلال أم حبب
أم نسيم الوصل أهدى خبرًا
طيب النشر شحيرًا حين هب
وشفى جسمًا عليلاً طالما
شفه الوجد وأضناه الوصب
يا رضيع الود بل غايته
من جزا من حبَّ إلا أن يُجب
وقديم العهد في صحبته
فاز في السبق بغايات الرتب
لا تشم برق زرود واللوى
يا أخا الحب إذا الحب اقترب
أي عقدٍ رام يحكي نظمه
قل له فاتك والله الشنب
در لفظ ساقه الفكر على
قالب الحسن وتقصار الذهب
حارت الألباب في تأليفه
ومعانيه التي لا تكتسب
بطل يحمي حماه بالقنا
وعروس الخيل إن رام انتدب
باسل في الحرب إلا أنه
شمس عرفان فخذ عنه الأدب
وعباب الفضل في ساحله
جوهر فرد إذا المد احتجب
وخضم الجودِ يوليك المنى
ظله الممدود إن عزَّ الطلب

لا تقل كانوا كرامًا سلفوا
وبقى ذكرهم يروي عجب
فابن معصوم ختام لهم
سابق من كان منهم قد ذهب
فتمسك بعراه إنه عروة
وثقى لمن يخشى العطب

- هكذا يحث الشاعر العفيف عبدالله الثقافي أن يتمسك بصداقة نظام الدين، ويمدحه، ويبيّن مكانته بين الكرماء، والشاعر مداح لطيف المعشر، قوي الأسلوب يمزج المديح بالوصف، والمعنى باللفظ، فهو شاعر فنان، يعرف كيف يدير القصيدة بمدارها المطلوب.

- استخدم الشاعر القوافي: الباء والدال واللام؛ وهي قواف ذلل، وظفها في بحور الشعر لينتج أبياتًا جميلة، فالمعجم اللغوي بين يديه وفي فكره، ويبني من الألفاظ الموحية كلمات معبرة وجملًا لطيفة المعنى، قوية اللفظ، واستطاع أن يمزج بين اللفظ السليم والمعنى المراد من البيت الشعري، وكأن الألفاظَ خدم للمعنى، مع أنها قوية في ذاتها، واشتقاقات الألفاظ تعبر عن الرؤية الجميلة.

- يتمتع الشاعر بخيال خصب، ونظرة عميقة، فاستطاع أن يبني مجموعة من الصور البلاغية الفنية لتزيد المعنى جمالًا، والجمل أبهة وحلاوة، وأوجد صورًا بلاغية، ربما تكون الأولى بين شعراء العربية في الهند.

- يتميز الشاعر علي المرزوقي بمزجه المديح بالغزل وبالوصف فقصيدة المديح معظمها قصيدة غزلية، ثم يأتي إلى الممدوح في آخرها، وخاصة إذا كان الممدوح شاعر، فهو يجتهد في نظم قصيدة جميلة ذات اتجاهين، ويستعمل أدواته الفنية الشعرية بكل اقتدار، فهو شاعر متيقظ لتراكيب اللغة، وبناء الأبيات الفنية بحيث تأتي القصيدة وقد ملأت مكانها بين الشعر العربي الهندي.

- قدرته الفنية واللغوية كبيرة، وتوظيفه للصور البلاغية موفق كل التوفيق، وأسلوبه جيد يقتفي شعر شعراء العرب القدامى، وهذا يدل على حفظه لآلاف الأبيات الشعرية، التي حفظ معظمها وأنتجت هذه القصائد الجميلة.

****

علي عباس الجرياكوتي

١٢٣١ - ١٣٠٢ هـ / ١٨١٥ - ١٨٨٤ م

- ولد الشيخ علي عباس الجريّاكوتي[1] في قرية جريّاكوت في حدود ١٢٣١هـ، الموافق ١٨١٥م، تلقى التعليم على يد عمه الشيخ أحمد علي الجريّاكوتي، ودرس هداية الحكمة وشرح ميبذي على يد الأستاذ مولانا أبي الحسن المنطقي،

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ٣٣٠. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٥٤.

وأتقن العلوم المتوسطة على يد مير زاهد والقطبي، وبدأ يقرأ الكتب بنفسه حتى ذاع صيته، وأخذ يحل المسائل في المنطق والفلسفة، وفي العلوم الأخرى، دون أستاذ مساعد، ثم بدأ يطالع الكتب المختلفة حتى قرأ معظم الكتب القديمة المؤلفة، أو المختصرة.

- كان الشيخ علي عباس ذكيًا مثقفًا يناقش العلماء، ويجيب على الأسئلة بكل وضوح ومقدرة، وله مقدرة على الكتابة العربية، وقرض الشعر العربي، ثم سافر إلى حيدرآباد، ونظم قصيدة في مدح الأمراء والولاة، ولكنه لم يحظ بشيء فرجع إلى بلدته خائبًا، ونظم قصيدة يهجو بها أمراء حيدرآباد، يقول في مقدمتها:

من (حيدرآباد) اهربن ولا تقم
فيها فؤاد أولي المكارم يصدأ

- سكن في بهوبال فترة من الزمن في عهد النواب سكندر بيكم، وتحت رعايته، ولكن لم يطب له المقام، لأنه كان يحب المناظرة والبحث، فعاد إلى بلدته ليعمل في التدريس، والقراءة والبحث حتى سمع عنه شجاع الدولة مختار الملك النواب علي خان الحيدرآبادي استدعاه، وذهب إلى حيدرآباد مرة أخرى، فعينه النواب شجاع الدولة في مناصب مهمة، فعاش هناك مدة طويلة، حتى التقاعد والعودة إلى بلدته.

- صنف الشاعر علي عباس عدة كتب منها:
  - **نبراس الفطانة، في المنطق.**
  - **القيطون في المناظرة.**
  - **خلاصة الصرف.**
  - **أبحاث الصرف.**
  - **رقية النجاة.**
  - **حل الكافية، في النحو.**
  - **الأبحاث في الإرشاد.**
  - **ميزان الأوزان.**
  - **الوسواس الخناس.**
  - **الهلالية، مجموعة رسائل.**

- وكان الشيخ الجريّا كوتي يحسن قرض الشعر العربي، ومن أبياته قوله:

يا من كان يشكو ضيعة الأدبِ
أبشر فقد زاح ما بالنفس من وصبِ
أشكاك تأليف شفن لوذعٍ فطن
من لا ضَهَى له في العجم العربِ
أعطاه في ذي الزمان الله جل وعلا
من المفاخر ما الإنسان لم يهبِ
إن شئتَ حب رسول الله فادل به
لا بدّ للصرح والأفلاك من عتبِ
فيا لها من كتاب جامع سير الرْ
ـرَسولِ أرسله بالصارم الذربِ
لا تعجبوا إن علا كتب الذين مضوا
فإنَّ في الخمرِ معنى ليس في الكتبِ

- يبدو أن الشاعر علي عباس يستطيع قرض الشعر لما قرأ من كتب الأدب، وقصائد الشعر العربي، استخدم الوزن المناسب، وقافية كذلك مناسبة، وألفاظًا متناسقة مع الفكرة، فهو من حيث قدرة النظم فهو يمتلكها، لكن قلة ما في أيدينا من شعره يحد من الحكم على شعره.

- لا شك أن الشاعر يعرف القاموس العربي، ولكن تنظيم تلك الكلمات والتراكيب اللغوية تحتاج إلى مهارة، ودراية أكبر، وهو ناظم للألفاظ، وغاب عنه الحس الشعري، وحلاوة النظم، وقوة العبارة الشعرية، التي تجذب القارئ بكل قوة نحوها.

- وتوفي الشاعر سنة ١٣٠٢هـ، الموافق ١٨٨٤م.

****

علي فريد الكشنوري

١٣٢٨ - ١٤٠٨ هـ / ١٩١٠ - ١٩٨٧ م

- ولد علي بن فريد الكشنوري[1] في قرية كشنور، ولاية كيرلا سنة ١٣٢٨هـ، الموافق ١٩١٠م، درس علومه الأولى في قريته، ثم التحق بدروس المساجد، واستمر يتلقى التعليم بها لمدة اثنتي عشرة سنة، وبعد ذلك التحق بدار العلوم بوازكات وحصل على شهادتها «أفضل العلماء» سنة ١٩٣٧م، وبعد تخرجه عمل مدرسًا للعربية في المدرسة العالية الحكومية بترور، ثم في كويلاندي، ثم تقاعد من تدريس العربية سنة ١٩٦٦م، ليعمل في الكلية العربية أنصار العلوم بولونور، ثم ترك العمل ليستريح، وانتقل إلى رحمة الله سنة ١٩٨٧م.

- شاعر عروبي الهوى، يعشق اللغة العربية، ينظم بها قصائده، ويعتز بتعلمها، ويرى انها اللغة العالمية الأولى، ولأن الله نزل كتابه بها، يقول فيها:

عربيةٌ أرقت جذور أصولها
وتشبكت بطبيعة الإنسانِ
فيها نعبر عن ضمائرنا بإيـ
ـجازِ الكلام وأفصح التبيانِ
فحجازُ طينتها وفاح نسيمها
في مصر ثم الشامِ واللبنانِ
أعلى مزيتها إله العرش بالـ
تنزيل فيها محكم القرآنِ

- هذا الاعتزاز باللغة العربية قاده إلى أن يُعلمها للطلاب، ويحيي كل من متعلمها، والتمسك بالقرآن عربي اللغة، ويهنئ مدرسة سراج الهدى في احتفالها، ويرحب بالضيوف، ويقول:

نرحبهم بأيدي الحب والبشرى وتهنئة
وندعو بابتهال أن يدوم لكم سلام الله

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ٢١٧.

وإنا نحن أطفال صغارٌ نجتني أحكا
م عِلْم من رياض سراج الإسلام بفضل الله

• ذهب الشيخ جلال الدين الندوي لزيارة مليبار، وفيها علماء وشعراء، فوقف شاعرنا يحييه ويهنئه بالوصول، ويقول:

فلقد أهلَّ بأرضنا قمرُ الهنا
فأضاءت الآفاق ذات جمالِ
وتنادت الشهب الكواكبَ خفيةً
برحيلِها وغروبها وزوالِ
يا أيها اليوم العظيم تحيةً
سرت فؤادي جميعنا بوصالِ
أرجاء بلدتنا معطرة به
لقدومه فالفال أسعد فالِ
يا قرة لعيوننا فقلوبنا
مملوءة بنفائس الآمالِ
فالكل في شوقٍ وحبّ غرامة
لأبي الجلال لجوده الهطالِ

• قصيدة ترحيب عادية، بألفاظ عادية تقال في الاحتفالات، ويحكم النظم السرعة في العمل الفني، الذي يحتاج إلى روية في النظم، وكذلك ما نظمه الشاعر في رثاء الشيخ أبي سلمى محمد جمال الدين، فلقد بكاه بدموع وآهات، وزفرات، يقول:

فما انفكت دموع العين تجري
كأنّ لها غرامًا مستديما
ولا يُرجى التجلدُ من عيونٍ
تفقدت الأليف أو النديما
يجادل بالبشاشة والتأني
وإن من يخاصمه خصيما

• هذا نظم فيه الوفاء لرجل رحل عن الدنيا، وقد عبر الشاعر عما في قلبه تجاه المتوفى، الذي كانت له مكانة في صدر شاعرنا، غير أن هذا الشاعر له مطولة في سيرة رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – نظمها في أكثر من ألف بيت من الشعر شملت السيرة النبوية بأكملها من خلال الأحاديث الصحيحة، وقد أسماها «خلاصة الأبصار في سيرة المختار»، وقد نظمها سنة ١٣٧١هـ، الموافق ١٩٥٢م، يقول فيها:

وهذه أرجوزة مستمهلةٌ
على حياة المصطفى مشتملةٌ
وطالما سعيتُ في تقريضها
إلى قلوب الناس من أسلوبها
سمّيتها خلاصة الأخبار
في سيرة للسيد المختارِ

• وهكذا يسير في تناول سيرة الرسول في هذه المنظومة، وقد جبل الشاعر علي الكشنوري على إعلاء شأن العلم والعلماء، والترحيب بهم، ورثاء موتاهم، ويري أن دور العلم تستحق الإشادة والتكريم، ومن ذلك كلية فاروق التي أسسها الشيخ أحمد علي الأزهري، وانتشرت فروعها في انحاء كيرلا، يقول فيها:

أفلا تعرجُ بالهضاب وترتوي
بمناهلِ العرفانِ والكرماءِ
فهناك تدرك أنّ كل حضارة
مربوطة بثقافة العلماء
مما نسر ونحتظي بنشوئه
كلية الفاروق في الفيحاء
نشأت ببذل جهود عالم عصرنا
خريج أزهر مركز النبهاء
أحمد علي أبي الصباح الحبر من
أغنت مكانته عن الأنباء
كي تستردَّ ثقافة قد طالما
نبكي على فقدانها برثاء
قد أنزل الرحمن صيب نعمة
وعناية في أرضها الجرداء
فيها ازدهرت زربت وأنبتت الكلا
واخضرت الفلوات بالبيداء
وغدت رباها روضة فينانة
أنس الورى متعطر الأرجاء
ما شئت من ثمر يلذّ وزهرة
طيب الأريج بروضها العناء
فكان بهجتها لراء من علٍ
مثل الثريا الأنجم الزهراء

- إنه يحب العلم والعلماء، ويكره الظلم والظالمين، يرى الحق في قضايا المسلمين الذين يعانون في بعض البلاد من الظلم، ولا سيما ما يحدث في فلسطين من مآس في ظل الإسرائيليين، فيقول شاعرنا:

فابك الدموع على الضحايا واعتبر
مما ألم لنا من الخسرانِ
دارت رحى إعدام أمة أحمد
في كل أقطار من البلدان
هل تُسترد القدس من أيدي العدى
فعود عزّة قومنا بأمانِ
وتكون أولى القبلتين غنيمة
لجماعة الإسلام والإيمانِ
كلا سنغلبهم بعزة ديننا
فالله يظهره على الأديانِ

- يتابع الشاعر أحوال المسلمين، ويعبر عن خلجات نفسه، وأفكاره بطريقته في نظم الشعر، واستنهاض الأمة للدفاع عن حياض الأمة الإسلامية.

- جرت في ولاية كيرلا نقاشات بين المسلمين في اتجاهين، بين الإصلاحيين والتيار التقليدي من الإسلاميين، وظل هؤلاء العلماء يتجادلون في أيهما يتبعون، علمًا بأنهما يسعيان إلى رفعة المسلمين في الهند، ولكن كل له طريقة في ذلك، وشاعرنا يراقب تلك النقاشات، ويكتب:

تلك الشعائر للإسلام عندهم
كأنما هي ينبوع الكراماتِ
فلا يزحزحهم قول الوشاة ولا
لمز العداة ولا شنع المقالاتِ
وكلنا نحوهم نحذو مطيتنا
فلنلتقيهم بإهداء التحياتِ

- يبذل الشاعر وقتًا طويلًا في تتبع أحداث المجتمع، ونظم قصائد في تلك الأحداث، فهو شاعر اجتماعي سياسي تربوي، يناصر العلم والعلماء، ويشيد بدور العلم، ومراكز التعلم، ويمدح العلماء ويرثيهم، فقد كتب على نفسه ذلك العمل الخيّر خدمة للعلم، وتشجيعًا للطلاب على الاقتداء بالعلماء وتشرب العلم.

- استخدم الشاعر بحور الخليل بن أحمد، مع ما اختاره من قواف ذلل، وأسلوب عربي قديم وحديث، وكان مجمعًا لأفكار النخبة من العلماء، معظم ما نظمه لا خيال فيه، وخاصة في الترحيب والرثاء، وكانت الألفاظ مناسبة للمعنى، مع ركاكة في التركيب اللغوي، قد يكون معذورًا للمناسبات الطارئة.

- لا شك أن الشاعر لديه موهبة نظم الشعر العربي، ولكن طريقته وأسلوبه في النظم لم تكن على درجة واحدة، وأرى في بعض ما نظم أنه مجرد ناظم للألفاظ العربية، وفي وصفه أيضاً إطراء بغير وصف شعري في شعور الشاعر وروحه المتعطشة إلى النظم الفني.

****

علي معصوم الدستكي

١٠٥٢ - ١١١٧ هـ / ١٦٤٢ - ١٧٠٥ م

- هو علي صدر الدين بن أحمد نظام الدين بن محمد معصوم بن أحمد بن إبراهيم بن سلام الله بن مسعود ابن محمد بن غياث الدين منصور بن الدستكي[1]، ويصل نسبه إلى جعفر بن زيد بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم، ولد بالمدينة المنورة، وقيل في مكة المكرمة، سنة ١٠٥٢هـ، الموافق ١٦٤٢م، ويعرف بابن معصوم الدشتكي المدني الهندي.

- تلقى علومه الأولى في المدينة، إلى أن طلبه أبوه، الذي يعيش في الهند، بطلب من عبدالله قطب شاه، سلطان حيدرآباد، فذهب علي خان إلى حيدرآباد، الدكن، فوصلها سنة ١٠٦٨هـ، الموافق ١٦٥٧م، واستفاد من مجلس أبيه المتكون من العلماء والأدباء، وظل في رعاية والده إلى سنة ١٠٨٦هـ، الموافق ١٦٧٥م، حيث توفي والده، وبعده توفي السلطان عبدالله قطب، وساءت العلاقة مع من جاء بعده أبو الحسن تانا شاه، فأرسل علي خان رسالة سرية إلى السلطان أورنك زيب عالمكير، الذي أرسل رسالة إلى أبي

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٦ ص ١٨٥. علي صدر الدين المدنيابن معصوم، سلافة العصرفي محاسن الشعراء بكل مصر، المقدمة. محمد سعيد الطريحي، ملوك حيدرآباد ص ٧٦.

الحسن يطلب منه إرسال علي خان وأولاده، فذهب إلى أورنك آباد، ورحب به السلطان وخلع عليه، وعينه في وظيفة عنده.

- يبدو أن السلطان أبا الحسن أرسل وراءه من يُرجعه، ولكنه استطاع الإفلات وقال في ذلك:

وحِثّوا الجيادَ السابحاتِ ليلحقوا
وهل يلحق الكسلان شأو أخي الجدِّ
فساروا وعادوا خائنين على رجا
كما خاب من قد بات منهم على وعدِ

- مكث الشاعر علي عند السلطان سنوات عديدة، ولكن استأذن السلطان في الذهاب إلى زيارة الحرمين والحج، فأذن له، وسافر بالسفينة، ويبدو أنه كان مغضبًا، من السلطان، أو من المنافسين له، فقال:

إذا ما امتطيتُ الفُلْكَ مقتحمَ البحرِ
ووليتُ ظهري الهندَ منشرحَ الصدرِ
فما لمليك الهند إن ضاق صدره
عليّ يدٌ تقضي بنهي ولا أمر
ألم يصغ للأعداء سمعًا وقد عدت
عقاربهم نحوي بكيدهم تسري
فأوتر قوس الظلمِ لي وهو ساخط
وسدد لي سهم التغطرس والكبر
وسدَّ عليَّ الطرق من كل جانب
وهمَّ بما ضاقت به ساحة الصبرِ
إلى أن أراد الله انفاذ أمره
على الرغم من منه في مشيئته أمري
فرد عليه سهمه نحو نحره
وقلد بالنعماء من فضله نحري
فأمسيت من تلك المخاوف لآمنًا
وعادت أموري بعد عسر إلى يسرِ

- أمضى في الهند ستة وأربعين عامًا، تزوج بها وأنجب أولاده، ثم غادرها. وذهب إلى الحج وزيارة ضريح رسول الله - عليه السلام - ثم ذهب إلى فارس حيث وافاه الأجل المحتوم، واختلف في سنة وفاته، ١١١٧هـ، أو ١١١٩هـ، الموافق ١٧٠٥م، أو ١٧٠٧م.

- لشاعرنا مصنفات عديدة منها:
  - سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مص.
  - سلوة الغريب وأسوة الأديب، رحلته إلى حيدرآباد.
  - الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة.
  - أنوار الربيع في أنواع البديع.
  - الكلم الطيب والغيث الصيّب، في الأدعية.
  - رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين.
  - الحدائق الندية في شرح الصمدية.
  - شرحان على الصمدية، صغير وكبير.
  - موضح الرشاد في شرح الإرشاد، في النحو.
  - رسالة في أغلاط الفيروز أبادي في القاموس.
  - التذكرة في الفوائد النادرة.
  - المخلاة، كتاب منوع.
  - الزهرة في النحو.
  - نغمة الأغان في عشرة الإخوان.
  - رسالة في الأحاديث المسلسلة بالآباء.

- الطراز الأول فيما عليه لغة العرب من المعول.
- ديوان شعر، في ١٨٣ صفحة، قيل أنه خمسة آلاف بيت.
- له شروح واختصارات لبعض كتبه.

- نظم قصيدة نونية وهو في حيدرآباد، يقول فيها:

تـذكّـر بـالحـمـى رشـأ أغـنّـا
وهـاج لـه الـهـوى طربًـا فغنّى
وحـنَّ فـؤاده شـوقًـا لـنـجدٍ
وأيـنَ الـهـنـدُ مـن نجـدٍ وأنّـى
وغـنّـت فـي فـروع الأيـك ورق
فـجـاوبـهـا بـزفـرتـه وأنّـا
وطـارحـهـا الـغـرام فـخـين رنّـت
لـه بـتـنـفـس الـصـعـداء رنّـا
وأودى لاعـج الأشـواقِ منه
بـوريـق بـالأبـيـرق لاح وهـنّـا
مُـعـنّـى كـلـمـا هـبّـت شـمـال
تـذكّـر ذلـك الجـيـش المـعـنّـى
إذا جـنَّ الـظـلامُ عـلـيـهِ أبـدى
مـن الـوجـد المـبـرح مـا أجـنّـا
سقى وادي الغضى دمعي إذا ما
تـهـلل لا الـسـحـاب إذا ارجـحـنّـا
فكم لـي فـي ربـاه قضيب حسن
تـفـرد بـالـمـلاحـة إذ تـثـنّـى
كـلـفـتُ بـه ومـا كـلّـفـت فرضا
فـأوجـب طـرفـه قـتـلـى وسـنّـا
وأبـدى حـبـه قـلـبـي وأخـفـى
فـصـرّحَ بـالـهـوى شـوقًـا وكـنّـى
تـفـنّن حـسـنـه فـي كـلِّ مـعـنـى
فـصـار الـعـشـقُ لـي بـهـواه معنى
بـدا بـدرًا ولاح لـنـا هـلالا
وأشـرق كـوكـبًـا واهـتـزَّ غصنا
وثـنّـى قـده الحـسـن ارتـيـاحًـا
فـهـام الـقـلـبُ بـالحـسـن المثنى
ولـو أن الـفـؤاد عـلـى هـواه
تمـنـى كـان غـايـة مـا تمنى
بـكـيـتُ دمًـا وحـنَّ إلـيـه قلبي
فـخـضَّـب مـن دمـي كـفًـا وحـنّـا

- الغزل والنسيب عند شاعرنا طاغ على كل أفكاره، ولكنه مع ذلك ينظر إلى الأشياء الأخرى في فكره وباله، منها مدحه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب - عليه السلام - يقول:

أمـيـرَ المـؤمـنـينَ فـدتـكَ نفسي
لـنـا مـن شـأنـك الـعـجـب الـعـجـابُ
تَـولاك الأُولـى سَـعِـدوا وفـازوا
ونـاواك الـذيـن شَـقّـوا فخابوا
ولـو علـم الـورى مـا أنـت أضحوا
لـوجـهـك سـاجـديـنَ ولـم يـجـابوا
يمـيـنُ الـلـه لـو كـشـف المغطى
ووجـه الـلـه لـو رفـع الحـجـابُ
خـفـيتَ عـن الـعـيـونِ وأنـت شمسٌ
سـمـت عـن أن يـجـللـهـا الـسـحـابُ

وليس على الصباح إذا تجلى
ولم يبصره أعمى العينِ عابُ
لسر ما دعاك أبا تراب
محمد النبي المستطابُ
وكان لكل من هو تراب
إليكَ وأنت علته انتسابُ
فلولا أنتَ لم يخلق سماء
ولولا أنت لم يخلق ترابُ

• غادر ابن معصوم الدستكي موطنه المدينة المنورة متجهًا إلى والده في الهند سنة ١٠٦٦هـ، ووصل إلى حيدرآباد سنة ١٠٦٨هـ، واستغرقت الرحلة تسعة عشر شهرًا، سجل خلالها كل مشاهداته في البر والبحر، وطبعها في كتاب، وهناك كثير من المشاهد والأبيات التي نظمها، ومنها الشكوى وألم الفراق، يقول:

لقد ظلمتني واستطالت يد النوى
وقد طمعت في جانبي أي مطمع
إلى كم أقاسي فرقة بعد فرقة
وحتى متى يا بينُ أنت معي معي

• وقد قاسى في رحلته الطويلة، وهو شاب، ولكنه كان ينظم الأبيات عن حاله في تلك السفرة الطويلة، يقول:

أفي كل يومٍ للبعادِ ملمةٌ
تلم بنا لا نستطيع دفاعها
أشاعت بنا أيدي الفراق فأصبحت
تؤم بنا شُم الذرا وتِلاعِها
نجوبُ قفارًا ما وقفنا بقاعها
ونقطع بيدًا ما خللنا بقاعها
تميلُ بنا الأكوارُ ليلًا كأننا
نشاوى سلاف قد أدمنا ارتضاعها
فمن مهجة لا يستقر قرارها
ومن كبدٍ يُخشى عليها انصداعها

• هذه صورة لما يعانيه المسافر في سفر طويل ومتعب، في البحر تارة، وفي البر تارة أخرى. وعندما يكون الراكب أديبًا وشاعرًا فإنه يستغل الفراغ على ظهر السفينة، أو أي مركوب ويسطر بقلمه معاناته.

• عندما استقر شاعرنا علي بن أحمد نظام الدين في بلاد الهند تذكر المرابع والديار، وساح خياله فيها فقال:

سلِ الديارَ عن أُهيلِ نجدٍ
إن كان تسأل الديار يجدي
وقف بها نبك الطلول ساعةً
لعله يشفي غليل وجدي
منازل قد حزت فيها أربي
ونلتُ سؤلي وقضيتُ وعدي
ما عنَّ لي ذكرُ زمانٍ قد مضر
في ظلها إلا أهاج وقدي
أصبو من الهندِ إلى نجدٍ هوى
وأين نجد من ديار الهندِ
وألتقي كل رياح خطرت
أحسبها ليلًا نسيم نجدِ

آهِ من البين المُشتِّ والنوى
كم قرّحًا من كبد وخدِّ

• الشاعر فنان اجتماعي، يتحيّن المناسبات لينظم قصائده، وفي تلك المناسبات سعيدة منها، وأليمة أحيانًا، ومن ذلك ما مدح به الشيخ جعفر البحراني، حيث نظم قصيدة يقول فيها:

هو طودُ علمٍ لا يبارى رفعةً
ومحيطُ فضلٍ لا يزال مديدا
أحيا رباع المكرمات بفضله
من بعد أن كانت مهامهَ بيدا
وإليه ألقى الفضلُ صعبُ زمامه
ودنا له طوعًا وكان بعيدا
كم حجة في الخلق شاد عمادها
كرها وأرضى العدل والتوحيدا

• سبب المديح بحسب رؤية الشاعر هو العلم والمكرمات، بجانب العدل منه، فقد مدحة بصفات محببة إلى الناس، وخاصة إشاعة العدل بينهم، والحاكم لا ينظر إلى الرعية إلا على هذا الأساس، فيرى أن الفضائل ترفع مكانة الحاكم، وينزهه عن الوقوع في الظلم والاستبداد.

• نظم الشاعر علي قصيدة في وصف الجمال، ويقول:

ألا ربّ ظبي كالهلال جبينه
رماني بسهمٍ من جفونٍ فواترِ
يشير بطرف وهو يرتاع خيفة
كما ارتاع ظبيٌ خوف كفة جازرِ
وعيناه مملوءان دمعًا كنرجسٍ
عليه سقيط الطلِّ ليس بقاطرِ

• إنها صورة فنان يرسمها بالكلمات، وليس بالريشة، وهذا الوصف المبدع يبيّن مدى قدرة الشاعر على استعمال الألفاظ ليشكل منها صورًا جميلة رائعة، ومنها أيضًا ما وصف القهوة بقوله:

يا قهوةً قشريّةً
حكت النضار بلونها
ولكم حباك حَبَابها
بخلاصها ولُجينها
جلبت عليَّ مصونة
بزفافها وبصونها
وكأنَّ كل حبابة
ترمو إليَّ بعينها

• جمع الشاعر علي الدستكي محاسن اللفظ ومحاسن الفكر، فجاءت قصائده تجمع الحسنين والجمالين، استطاع أن يبرز لنا قوته الشاعرية، وأفكاره اللامعة الجوهرية، فملك ناصية اللغة يتصرف بها كيفما يشاء، لتدخل في قصائده، وتنتج فنًا وفكرًا وصورًا بديعة، من إبداعاته، وتصوراته.

• استخدم بحور الشعر العربي بكل جدارة، واختار لها ألفاظًا مناسبة مع قواف ذلل سهلت له صياغة فكره، وأدبه المتميز، واستعمل الأغراض الشعرية في بيان تمكنه منها، فقد وصف ومدح وتغزّل وتفنن في الأغراض، وكأنه

قد ملك كل الأغراض الشعرية، وأوردها في قصائد لا تخلو من جمال الفكرة، وبلاغة القول، مع سبك للأبيات يتفق مع المعنى المراد، وشاعر مطبوع، لا تكلف ولا غموض ولا معاضلة في أبياته وفكره، فهو واضح الفكرة جميل الصنعة، واستطاع أن يبني قصائد ذات أثر في النفس البشرية.

****

علي نعمة البهلواروي

١٢٠٢ - ١٣٣١ هـ / ١٧٨٧ - ١٩١٢ م

• هو الشيخ علي نعمة بن عناية رسول الجعفري البهلواروي[1]، ولد في قرية بهلواري، مديرية أعظم كره - الهند، سنة ١٢٠٢هـ، الموافق ١٧٨٧م، تلقى دروسه الأولى في مسقط رأسه، ثم سافر لطلب العلم، وقرأ الكتب الدراسية على يد الشيخ عبدالله الغازيبوري، ثم ذهب إلى دلهي ودرس الحديث الشريف على يد الشيخ نذير حسين المحدث الدهلوي، حتى أخذ الإجازة منه، وبعد اكتمال تعليمه عمل في التدريس، وتتلمذ على يديه طلاب كثيرون.

• له شعر جميل، وقصائد في المناسبات، ومدائح لعلماء، فمن قوله:

أسفي على طللٍ جفته مَعالمُهْ
مُذ هاجرت هنداته وفواطمُهْ
طورًا أحنُّ وتارةً أبكي إذا
تبكي لهنَّ بذي الأراك حمائمه
قد زال عقلي في الهوى حتى بدا
ما كنتُ أخفيهِ وكنتُ أُكاتِمُه
يا عاذلي رفقًا بصبٍّ هائمٍ
وبمدنفٍ قد أسقمتْهُ لوائمُه
فأنا الذي لعب الفراق بقلبه
قد قطّعته بِيضُه وصوارمُهْ

• تعلم الحديث الشريف على يد المحدث الدهلوي نذير حسين، فنظم في مدحه:

الحبُّ لا يستطيعُ الصبُّ يكتمُهُ
حلَّ الغرامُ به ودمعُه ودمُهْ
وقلبهُ حزنٌ والعينُ باكيةٌ
تفيض في الخد هتانا وتسجمهُ
وإن يكن صامتًا وليس يظهره
فحاله كل ما يخفي يترجمهُ

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ٣٣٢. مؤسسة عبد العزيز البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٤ ص ٥٧. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١٣٤.

أضاءَ سقمًا فما أبقى سوى رمقٍ
منه فراقُ الحبيب وهو يظلمهُ
وعيشه بات مرًا في الهوى فغدا
نهاره مثل ليل جنَّ مظلمهُ
ممسٍ وخوفُ النهارِ دام يُسهره
ومصبحٌ وسهاد الليل يسقمهُ
الوحشُ أصحابه والفقرُ مربعهُ
والدمعُ مؤنسهُ والهمُّ محرمهُ
مه لا تلمهُ فلم تنظر بناظره
ولا شعرتَ بماذا فيه يعلمه
ولم تذق ما يعاني من شدائده
فكيف تعذله جهلًا وترغمهُ
فاسمح كريمًا ودعهُ لي سأسمعه
مديح من لم يخب من ذاك ملزمه
لعله يستريح من بلابله التي
أذابت حشاه وهي تؤلمهُ
وهو ملاذٌ للورى شيخي ومستندي
الأريحي عظيم الفضلِ أعظمهُ
السيدي المقتدى ممهد الكرمِ
كهف الأثيم أعز الناس أكرمه
فرد الجلال فريد العصرِ أوحدهُ
فرد الوجودِ أبر القلبِ أسلمهُ
مستغرق الشرف العريض مصدره
مستجمع الخلقِ الأصفى متممهُ

- قصيدة فيها السمو الخلقي، من تلميذ إلى أستاذ، بذل الشاعر فيها قوة نظمه، وقدرته على النظم العربي، بدأها بتعريف آثار الحب على الإنسان، وما يعانيه من ألم وحرقة في أحشائه نتيجة للصد، أو الفراق، ولم يحبس مشاعره تجاه من يحب، وأخرج كل لوعات الحب وآثاره.

- استخدم بحرًا من بحور الشعر العربي، وامتلك المعجم اللغوي العربي، واختار ما يناسب ذلك البحر من ألفاظ تؤدي المعنى المراد، وأتى على تنسيق تلك الألفاظ مع الأسلوب السهل السلس، ليقوم بصنع صور فنية جميله فيها الخيال الشعري الفني في تلك الأبيات التي نظمها، وتصوير خلجات القلب شيء ليس سهلًا، ولكن شاعرنا استطاع أن يوصل لنا مشاعره بطريقة فنية جميلة تأسر القارئ.

- الشاعر متمكن من النظم بقدرة كاملة، وأسلوب رقيق، وقدرة على فرض الألفاظ المعبرة في التراكيب الشعرية المناسبة، فكان شاعرًا تفيض قريحته بالنظم الجيد، ولكن ليس لدينا أكثر من هذا النموذج من شعره، الذي أبدع فيه أيما إبداع، وأخرج قصيدة أيما إخراج لفنه الجميل.

****

علي النقي اللكناوي

١٣٢٣ - ١٤٠٩هـ / ١٩٠٥ - ١٩٨٨م

• هو السيد علي النقي بن السيد أبي الحسن النقوي بن السيد إبراهيم شمس العلماء بن ممتاز العلماء السيد تقي بن السيد حسين بن السيد دلدار علي[١]، ولد في لكناؤ سنة ١٣٢٣هـ، الموافق ١٩٠٥م، تلقى دروسه الأولى على والده، ثم سافر إلى النجف بالعراق، وهو ابن حوالي أربع سنوات، ودرس هناك على يد العلماء، فبدأ يتلقى العلم واللغة والأدب حتى برع فيه، ثم عاد إلى أرض وطنه، لكنؤ، وقدم اختباراته، وحاز على شهادة «ممتاز الأفاضل» من الجامعة الناظمية بلكناؤ، وصدر الأفاضل بسلطان المدارس، وشهادة العالية بإله آباد، وشهادة الفاضل في الأدب العربي من جامعة لكناؤ. وكان أديبًا فاضلًا.

• ظهر تعليمه العربي من خلال شعره، وبدأ يكتب باللغة العربية المقالات، وينظم الشعر بها، نشر مقالاته في مجلات الهند، وعمل في التدريس في الناظمية، وفي عام ١٩٧٨م رحل إلى العراق مرة أخرى، وبقي خمس سنوات يتلقى العلم على أيدي كبار العلماء، حتى حصل على إجازات مختلفة من المراجع، وعاد إلى الهند، فعمل مدرسًا للقسم الديني في جامعة لكناؤ، وبعد ذلك دعي من قبل جامعة عليكره، فذهب ليكون مدرسًا مساعدًا في القسم الديني، وترقى ليكون رئيسًا للقسم، وبعد تقاعده سكن في عليكره، وتم حرق بيته وكتبه بأيدي المتعصبين والمنافقين من العامة، وتأسف على ذلك أشد الأسف.

• نظم الشاعر علي النقوي الشعر وهو صغير، وكان يحاكي شعراء العرب في نظمهم وأسلوبهم، ومن ذلك قصيدته الخائية، وهي من القوافي الصعبة، يقول فيها:

في عصرنا عسر التسابق والعُلى
ماذا يخط على اسمنا تاريخُ
نومٌ عميقٌ والنشاء دائمٌ
وعلى المذلة والهوان رضوخُ
وتخاذل وتدابر وتقاطع
وبغير فخرٍ في الأنوف شموخُ
قولٌ بلا عملٍ ودعوى كلها
جوفاء لكن شنها منفوخُ
نتعهد التذكار عن جيش مضى
وقديم عهد شرعة منسوخُ
قد صار ذاك العهد طيفًا ساريا
أضحى وجنح ظلامه مسلوخُ

• بمثل هذه القافية أبرز شاعرنا قدرته على النظم الصعب، واختار أقوى الألفاظ ليبني بها قصيدته، وهو شاعر درس اللغة من مصادرها، ونظم الشعر صغيرًا، ولكنه طرق أبواب معظم الأغراض الشعرية.

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٤ ص ٦٢. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٣٣٣.

• شاعت في الأوساط الأدبية العربية قصيدة أبي ماضي «لست أدري»، ورد عليه بعض الشعراء العرب، ومن بين من عارض أبي ماضي شاعرنا الشيخ علي، حيث نظم قصيدة على منوال «لست أدري»، يقول فيها:

طرب الكونُ من البِشْر وقد عَمَّ السرورْ
وغدا القُمريُّ يشدو في ابتسامٍ للزهور
وتهانت ساجعاتٍ في ذرا الأيك الطيور
لِمَ ذا البِشر؟ وما هذي التهاني.....؟
لستُ أدري

تلعبُ الريحُ وفيها الدوح قامت راقصاتِ
وبها الأوراق تزهو بالأكفِّ الصافقات
ضاربًا سجْعُ هزارِ الغصنِ أوتارَ الحياة
مِمَّ هذي الدوحُ أضحت راقصات؟.....
لستُ أدري

قد كسا وجه القرى من سندس وشي الربيع
فتهادى مائسًا في حلل الخصب المريع
وغدا يختال بالأرياش والشأن البديع
قائلًا: هل أحد يوجد مثلي؟.....
لستُ أدري

والنسيمُ الغضّ قد يهمس في سمع الأقاحْ
فتُرى باسمةَ الثغر نشاطًا وارتياح
وهزار الغصن يبدي شأن زهوٍ ومراح
ما الذي قالت فردت بابتسام؟.....
لستُ أدري

طَبَّقَ الأرضَ لهيبًا نارُ مُحمرِّ الشقيقِ
فغدا البلبل مُرتاع الحشا خوف الحريق
صارخًا هل لنجاتي عن لظاها من طريق
هذه النار أتتني كيف أُطفي؟.....
لستُ أدري

أشرقتْ طلعة نورٍ عمّت الكون ضياءَ
لا أرى بدرًا على الأفق ولم أُبصرْ ذُكاء
وتفحصتُ فلم أدرك هناك الكهرباء
فبماذا ضاء هذا الكون نورًا؟.....
لستُ أدري

كان هذا الروض قبل اليوم رهنًا للذبولِ
ساحبات فوقها الأرواحُ قِدْمًا للذيول
كيف عاد اليوم يزهو في شذاهُ؟.....
لستُ أدري

قمتُ أستكشف عنه سائلًا هذا وذاك
فرأيت الكلَّ مثلي في اضطرابٍ وارتباك
وإذا الآراءُ طرًا في اصطدامٍ واصطكاك
وأخيرًا عمَّها العجزُ فقالت.....
لستُ أدري

• طريقة جديدة لنظم الشعر العربي، ابتدعها الشاعر إليا أبو ماضي، وسار خلفه بعض الشعراء العرب، والآن هذا شاعر هندي يقتفي الأثر، ليخرج لنا براعته في النظم، وقدرته في نسج الخيال، هذه قصيدة فيها الفن الشعري

الجميل، وروعة التتبع الفكري لما يطرحه من رؤى من خلال أبيات ليست على نمط الخليل بن أحمد، بل ربما على طريقة الموشحات الأندلسية.

- من قصيدة للشاعر بعنوان «بان الهدى» يقول فيها:

بنفسيَ نور الإله الذي
أضاءت به للحيارى السُّبلْ
تجلّى سناه بطور الحراءِ
فبان الهدى والضلال اضمحلْ
تصدّعَ من خشية الله خا
شعًا حيث أشرق فوق الجبل
وأصبح يفترُّ ثغرُ الهدى
لوحي به جِبْرئيلُ نزل
فقال له: اقرأْ وقم منذرًا
بنار جهنّمَ ذات الشعل
وأنجِي الورى من مهاوي الردى
وأنقذهم من مساوي العمل
وأضحى سحاب إفاضاته
بجودهم غيثَهُ المنهمل
وأصبح يَشفي ظماءُ الهدى
غليلَهمُ منه نَهْلًا وعَل
وجاهد في الدين حق الجهادِ
فقام على سوقه واستقل
فبين مُلَبٍّ لدعواتهِ
وفادٍ له النفسَ يومَ الوهل
وناصره في مثار الحروبِ
بضرب السيوف وقرع الأَسَل
وبين عنيدٍ أخي عشوةٍ
تعامى وعن لاحب النهج ضل
وأيُ الحقيقة مَجلوّةٌ
ولكنّ بالقوم داءَ الخبل
وأضحى يناديهمُ أحمدٌ
بفصل الخطابِ وحسن الجدل
فلم ينطقوا بجوابٍ كمن
بهِ سنَّةٌ أو عراه الثمل
فويلٌ لهم أوَما أبصروا
براهينَ صدقٍ عليه تدل
ومازال أخبار رسل الإله
ببعثته للقرون الأول
فطوبى لمتّبِعٍ هديه
وبؤسًا لمن عن هُداهُ عدل
فإنَّ الذي يقتفي إثره
غدا برياض النعيم يحل
وأمّا الذي صَدَّ عن رشده
وآنس نور الهدى فاعتزل
فأهونُ من فوزه بالنعيم
بِسَمِّ الخِياط ولوجُ الجمل
رويدك يا طالبًا شأوه
فهل يشبه الشمسَ يومًا زحل؟
به ازدان جِيد العلا حليةً
ولولاه كان رهينَ العطل

وأتـــــاهُ بـــارئـــه مـصـحـفًـا
عـقـود الـــدراري بـه أم جمل
وأضـحـى لـتـصـديـقـه مـعـجـزًا
عَـنَـتْ دونـه الـفـصـحـاء الـنُّـبُـل
وأسـرى بـه الـلـه نـحـو الـسـمـاء
فـــأزرى عـــلاه بِـشُـمِّ الـقُـلـل
فـكـان بـه قـــاب قـوسـيـن مـن
مـنـيـع حـمَـى قُـدْسِـه أو أقـل
وآبَ إلـــى الأرض مـسـتـبـشـرًا
بـــروقًـــا أســـاريـــره تـسـتـهـل

• يتجنب الشعراء نظم قصائدهم بالقوافي الحوش، لصعوبتها، وقلة القصائد المنظومة بها، ولكن شاعرنا يسير عكس التيار فينظم في تلك القوافي ولا يبالي، فمن قافية الخاء، إلى قافية الظاء، حيث يقول:

مـا لـلأوانـسِ قـد بـرزنَ سـوافـرٌ
بـشـوارع مـن جـمـعـهـا تـكـتـظُّ
أصـبـحـن يـنـثـرنَ الجـمـال
سـمـاحـة فـبِـحُـسـنـهـنَّ حـظُّ

• هكذا تحدي هذا الشاعر لنفسه وللشعراء الآخرين الذين لا يجرؤون على المغامرة في نظم القصائد بقوافي الحوش، ولكنه أيضًا ينظم بباقي القوافي الذلل والنفر، ويستطيع أن يصنع قصائد ذات معنى، ويحدث أن تتعرض البلاد لحوادث طبيعية، مثل الزلازل، فينظم شاعرنا أبياتًا يصف الزلزلة، فيقول:

بـ«كـوطـة» والأنـــامُ فـيـهـا نـيـامُ
وعـيـش الـنـائـمـين بـهـا رخـاءُ
تـزلـزلـت الـبـلاد بـسـاكـنـيـهـا
فَـهُـدِّمَـتِ المـسـاكـنُ والـبـنـاءُ
وظـلَّ الـهـاجـعـون بـطـيـب نـومٍ
مُـذ الأيـــام لـيـس لـهـا انـقـضـاءُ
لـقـد عـمـرت بـطـون الأرض منهم
وذلـــك ظـهـرهـا مـنـهـم خـلاءُ

• من خلال قصائده يتضح مقدرة الشاعر الكبيرة على النظم، وقدرة عالية على أصعب القوافي، واستعمل البحور العربية المعروفة، غير أنه شذ في بعضها، وأتى بتقليد جديد في الشعر العربي في الهند، أشعاره لا تقل عن أي شاعر عربي في القديم أو الحديث.

• استخدم البحور العربية في نظم قصائده، كان يمتلك المعجم اللغوي العربي، بسبب نشأته في العراق، استطاع أن يمزج تلك القوافي مع المعنى ليخرج قطعة شعرية، ولم تعجزه صعوبة القافية، واستطاع أن ينظم سيرة الرسول – عليه أفضل الصلاة والسلام – لطريقة فنية إبداعية، ويغوص في السيرة ليخرج لنا كل ما فيها ويسلكها في قصيدته الغراء.

• سبك القصائد كان رائعًا مع التنسيق بين اللفظ والمعنى، فالألفاظ متساوية مع معنى الفكرة، وخياله احتوى الفكرة بجدارة، وهو شاعر مبدع، استطاع أن يخرج الشعر العربي الهندي من الرتابة والتقليدية في الطرح إلى الإبداع حتى في نظم السيرة النبوية، وتأمل قصائده تجد أنها مختلفة عن سائر الشعراء الهنود، ما عدا القليل منهم، الذي كانت أشعاره جيدة وراقية في الخيال والفن.

• يدرك الشاعر علي النقي مدى أهمية إبراز روح الشعر وطريقة صنعه، فصاغ أبياته بطريقة فنية، ووضع كل حرف في مكانه، لذا جاءت القصائد متسقة البناء، عجيبة الصنعة الفنية، فلا غموض في أبياته، ولا معاضلة، فالفكرة واضحة، والأبيات سليمة ومعبرة عما يريد تحقيقه، ولا تتعب القارئ في فهم النص الشعري، على الرغم من خياله فقد أخرج صورًا بلاغية جميلة، فيها إيقاع موسيقي بارع، مما يدل على الذوق الفني الرفيع، وحلاوة الأبيات المعبرة. أتمنى لو يقوم أحد النقاد بدراسة الصور الفنية البلاغية في شعر هذا الشاعر الهندي الكبير.

****

عمار بن بركات الحسني

٠٠٠ - ١٠٦٩ هـ / ٠٠٠٠ - ١٦٦٠ م

• هو عماد الدين عمار بن بركات بن جعفر بن بركات بن أبي نمي[١]، ولد في مكة وتعلم بها، وذهب إلى الهند، إلى حيدرآباد، وقد اتصل بالسيد أحمد نظام الدين، والد صاحب السلافة، ومدحه بقصيدة منها:

زرتُ خـلاً صبيحةً فحباني
بسؤالٍ أشفى وأرغم شاني
قالَ لما نظرتُ نور محيا
هُ ونلتُ المنى وكلّ الأماني
كيفَ أصبحتَ كيفَ أمسيتَ ممّا
ينبتُ الحبَّ في قلوبِ الغواني
فتحرجتُ أن أفوه بما قد
كان مني طبعًا مدى الأزمانِ
يا أخا المجدِ والأكارم والفضـ
ـلِ ومن لا أرى له اليومَ ثاني
أدرك أدرك متيمًا في هواكم
قبل تسطو به يد الحدثانِ
وابقَ واسلم منعمًا في سرورٍ
ما تغنت ورقٌ على غصنِ بانِ

• حافظ السيد عمار على علاقته الحميمة بالسيد نظام الدين، وقد كتب السيد علي صدر الدين، نجل السيد نظام الدين قصيدة للسيد عمار يقول فيها:

هل يعلم الصحبُ أني بعد فرقتهم
أبيت أرعى نجوم الليل سهرانا

• فرد عليه السيد عمار بقصيدة يقول فيها:

يا من تذكّر خلانًا وجيرانا
وصار يمسي سمير النجمِ سهرانا
صادٍ إلى موردٍ قد كان يألفه
عذبٌ به يشتفي من كان ولهانا
له به مرتعٌ طابت موارده
واليوم بالهندِ يا لله ما حانا

(١) محمد سعيد الظريحي، ملوك حيدرآباد ص ١٣٢.

يا ماجدًا حاز سبقًا في القريض وفي
نهج البلاغة حتى فاق أقرانا
أحسنتَ لازلتَ في أمنٍ وفي دعةٍ
جزاك ربك بالإحسان إحسانا
وحقِّ جدكَ أنَّ الهينَ في غرقٍ
والقلبُ في حرقٍ وجدًا لما آنا
عليكَ بالصبرِ يا مولايَ معتصمًا
إنَّ النفيسَ غريبٌ حيثما كانا
كذا الليالي عهدناها مبدّلةً
بالقربِ بعدًا وبعد الوصلِ هجرانا
فلا رأيت مدى الأيامِ حادثةً
من الزمانِ ولا همًا وأحزانا
قد ضاق صدري بما أبديت من كمدٍ
من لاعج البين ليت البين لا كانا
لكنَّ لي أملاً في الله خالقنا
وحسن ظني متى ندعوه أولانا
أن يجمع الشمل في تلك البقاع وأن
يروي غليل صد مازال حرّانا
بحقّ آباك الغرّ الكرام ومن
غدوا لنا عن جميع الناس أعوانا

• شاعر متمكن من الشعر العربي، لأنه عربي ودرس على أيدي العلماء العرب، ونبغ في اللغة العربية وآدابها، وأجاد النظم منذ ريعان شبابه، لذا فإنه يستطيع النظم في جميع الأحوال والأوقات، ويرد على كل من يطلب منه إجازة بيت، وقد ذيّل بيت أبي زمعة، جد أمية بن أبي الصلت:

اشرب عنيئًا عليك التاج مرتفقًا
في رأس غمدان دارًا منك مجلالا

• فقال الشاعر عمار مادحًا السيد نظام الدين أحمد:

تسعى إليك بها هيفاء غانيةٌ
ميّاسةُ القدِّ كحلا الطرفِ مكسالا
إذا تثنت كغصنِ البانِ من ترفٍ
وإن تجلت كبدرٍ زان تمثالا
كأنها - وأدام الله بهجتها -
تكونت في مُحيا دهرنا خالا
وكيفَ لا وهي أمست فيه ساحبةً
بخدمةِ السيد المفضال أذيالا
ذاك الذي جلَّ عن تنويهِ تسليةٍ
شمسٌ عَلت هل تَرى للشمسِ أمثالا
الباسمُ الثغرِ والأبطالُ عابسةٌ
والباذل المالِ لم يتبعهُ أنكالا
عارٌ من العارِ كأس من محامده
لا يعرفُ الخلف في الأقوال إن قالا
إن قالَ أفحمَ ندب القومِ مقولهُ
أو صالَ أخجلَ ليث الغابِ إن صالا

علا به النسبُ الوضّاح منزلةً
عن أن يماثلَ إعظامًا وإجلالا
خذها ربيبة فكرٍ طالما حبست
لولا علاك وود قط ما حالا
واسمح بفضلك عن تقصير منشئها
وحسن بشرك لم يبرح لها فالا
ثم الصلاة على أزكى الورى نسبًا
وآله الغر تفصيلًا وإجمالا

- قدرة كبيرة على النظم العربي، وتمكن من آليات النظم العربي القديم ببحر عروضي، وقافية ذلل موحدة، وكان ذا أسلوب رقيق، وألفاظ جميلة معبرة عن الفكرة، ومتناسقة معها، يبدأ قصيدته بالنسيب على منوال شعراء العرب القدامى، ثم يسترسل في الغزل ويأتي إلى الممدوح وقد أظهر كل نواحي الغزل ليلقيها عن ذلك المحبوب، فيرفعه إلى مقام العشق له، ومبيّنًا فضائله وكرمه وأخلاقه.

- استرسل في خياله، وصنع صورًا فنية بلاغية، وتشبيهات جميلة مستخدمًا أجمل ما في الطبيعة من جمال ليحيي بها الممدوح، وتنساب في ثنايا أبياته الموسيقا الداخلية بتناسق كلمات الأبيات وجمالية اللفظ، وموسيقا خارجية بالمحسنات البديعية، فكانت قصائده تشع بالروح الوثابة، والفتوة القوية، وهو مفعم بالشباب والحيوية.

****

عمر علي المليباري

١١٧٧ - ١٢٧٣ هـ / ١٧٦٣ - ١٨٥٦ م

- عمر بن علي المليباري[1]، ولد الشيخ عمر بن علي في بلنكوت سنة ١١٧٧هـ، الموافق ١٧٦٣م، وكان أبوه علي مسليار عالمًا كبيرًا، وقاضي البلدة، ولكن والده توفي فكفله أخواله، ودرس في مدينة فونان القريبة من قريته، ثم التحق بدروس المساجد، وقرأ ألفية ابن مالك، وتضلع باللغة العربية، وكانت له محاولات شعرية مع زملاء الدراسة، وبعد أن أنهى دراسته تم تعيينه قاضيًا في بلدته بلنكوت، ثم تمدد ليصبح قاضي البلاد المجاورة.

- كانت له علاقة بعلماء عصره في الهند، وسافر إلى مكة لأداء مناسك الحج وزيارة ضريح رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم -، ثم كان له دور في مقاومة الاحتلال الأجنبي لبلاده، ويسانده السيد علوي بن محمد الحضرمي، وقد حرض الشاعر عمر الناس على عدم دفع الضرائب للحكومة البريطانية، فسجنته الحكومة، فقامت المظاهرات ولكن تدخل الشيوخ للتهدئة، وطلبوا من الحاكم المحلي إطلاق سراحه ففعل، وكانت هذه أول محاولة لمقاومة الاحتلال الإنجليزي.

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ٩١. جمال الدين الفاروقي، أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية ص ١٧٠.

- كان الشيخ عمر بارعًا في علم الفلك والهيئة، وكان متمكنًا من اللغة العربية، وله قصائد فيها، في المديح والفقه والتصوف والحكم، والتربية والفكاهة، وغيرها، وكان يراسل بعض شعراء العرب، ويوجد في كتاب عن حياته بعض هذه القصائد، والكتاب بلغة مليبار، غير أن معظم أشعاره مفقودة، له بعض المؤلفات منها:
  - **نفائس الدرر، مجموعة من الأشعار وخاصة في مدح رسول الله.**
  - **مقاصد النكاح، مجموعة أشعار اجتماعية.**
  - **أصول الذبح، كتاب في طرق وأحكام الذبح والذبيحة.**
- له قصيدة في مدح رسول الله - عليه أفضل الصلاة والسلام - تسمى القصيدة العمرية، وقد نظمها أثناء أدائه للحج وزيارة ضريح رسول الله، وقد تأثر كثيرًا بتلك الزيارة، يقول فيها:

صلى الإله على ابن عبدالله ذي
خلقٍ بنص الله كان عظيما
فظًا غليظًا لم يكن بل لينًا
بَرًا رؤوفًا بالمؤمنين رحيما
صلوا عليه وسلموا تسليما
في قاب قوسين دنا أو قربا
من ربه هذا النبي المجتبى
فرأه عينًا وفؤادًا مرحبا
فسقاه كأس نحبة تسنيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

- يأتي الشاعر من مكان بعيد لزيارة قبر الرسول، ولكن الحراس يمنعونه، ولا يفتحون له الباب، فانفجر بالبكاء والحزن والأسى، ويقول:

يا أكرم الكرما على أعتابكم
عمر الفقير المرتجي لجنابكم
يرجو العطاء على البكاء ببابكم
والدمع في خديه سال سجيما
صلوا عليه وسلموا تسليما
لا من كريم مثلكم للمرتجى
فيمن مضى قبل ولا فيمن يجي
وأنا اللهيف فكربة لي فرج
حيران من ذنبي أسفت كظيما
صلوا عليه وسلوا تسليما
ما جف دمع سال من عينين
لكنه يجري على خدين
من حب قلبي سيد الكونين
حيًا وميتًا في التراب رميما
صلوا عليه وسلموا تسليما
إذ جئتُ طيبة روم زورة قبره
فهناك قمتُ أشم ربا نشره
أغميتُ مدهوشًا لهيبة قدره
حيًا وإن كنت المسيء أثيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

• فجع الشاعر بوفاة صديقه وزميله في مقاومة الاستعمار البريطاني، السيد علوي بن محمد الحضرمي، فنظم قصيدة رثاء في حقه يقول فيها:

الحمدُ لله حقّ الحمد قد قهرا
كل البرايا يموت لازمًا قدرا
قطب الزمان سراج الأرض سيدنا
من دار دنيا إلى دار البقاء سرى
شيخ لديه استواء التِّبر والمدر
فمال دنيا له لا شيء فاحتقرا
معين كل عباد الله محسنهم
بما يطق عليه كيف ما قدرا
عجائب حاله لم يخشَ من أحدٍ
لإلا من الله لا جِنًّا ولا بشرا
وكلهم خائفوه هيبةً ودعا
يحبه كل خلق بر أو فجرا

• لمديح رسول الله – عليه أفضل الصلاة والسلام – مكانة عند الشاعر، لكونه عالم دين، يجد في مديح رسول الله رفعة وسموًا، وقربًا من الله سبحانه وتعالى، ففي قصيدة له طويلة تشمل على أكثر من ستمئة بيت، يقول فيها:

حمدتُ حمدًا وافيًا حق الشكرْ
أهل الثنا آلاؤه لا تنحصرْ
سبحانه هو واحد فرد وتر
منزّه عما على بال خطر
لا ذو البصيرة ناظرًا نحو الأثر
بل للمؤثر بالذهول عن الأثر
فيرى بفعل فاعل حال النظر
في كل شيء فالصواب كما ذكر
لا شيء في الأكوان من شيء ذكر
إلا جمال جلاله ليس البشر
سبحان من بالانكشاف قد استتر
والخلق كالخفاش في ضعف البصر
عجبًا لِظَامٍ حاملٍ فوق الظهر
ماءً فماء يبتغي ممن يمر

• بعد ذلك في جزء من قصيدته يذكر رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – فيقول:

بحرُ العطايا المصطفى العالي القدرْ
أهلُ الشفاعة خير من جا بالزُّبرْ
ركن الهدى وبل الندى وهو البدر
بتمامه ولنوره استحيَ القمر
أتى بدين فائق عالي الظهر
على جميع الدين حقًا فاشتهر
أحكامُه فيها السماحة لا العسر
أي مثلما فيمن مضوكم من أصر
بوجوده جِيد الوجود من الدرر
ومن اليواقيت القلائد فافتخر

• من ضمن قدرته في اللغة العربية وتضلعه بها، أن نظم قصيدة في مدح رسول الله – عليه السلام – خالية من

النقط، مما يدل على حفظه للمعجم اللغوي العربي، وقدرته على استعمال الألفاظ غير المنقوطة، يقول فيها:

لاح الـهـلال لامـع الـعـلـمِ
لـلـه داع رسـول الـلـه لـلأمـمِ
الحاكم العادل الصدر المعد له
كل المكارم سمح واسع الكرمِ
مدعو كل هو المأمول موعده
حالٍ كلامه وصول واصل الرحمِ
معط مكارمه مول مسالمه
مصم مصادنه معطر الأدمِ
محمد أحمد مكرم علم
مؤمل كامل مسدد الكلمِ
روح العوامل سعد الله حامده
حام لعاص إمام الرسل كلهم
الطاهر الأصل مسعود وللملِ
ماح مكمل سعد الحل والحرمِ
مُهْدٍ وهادِ مدارُ العدل مهَّدُه
ومطمس معهد الإلحاد مصطلم
له معالٍ عوالٍ لا عدادَ له
له اللوا وله راموا لهولهم
وسر أهل السما إرساله لسما
وكلهم كلموه أكرم الكَلِمِ

• ويستمر الشاعر عمر المليباري في هذا النمط من النظم، والواقع أنه متكلف، ومتكرر الأفكار، ولكن تظهر هنا قدرته اللغوية، واختياره للألفاظ المعبرة عن الفكرة التي يطرحها، ولكن خياله في هذه القصيدة قليل، ومتكلف الصنعة، والشعر إذا كان سجية وعلى الطبع، فهو الأفضل والأمثل، وفيه روعة الجمال اللفظي، والتركيب الجميل للغة.

• للشاعر نشاطات أخرى اجتماعية يضمنها في أشعاره، منها ما نظمه حول الزواج، وعقد النكاح، فقد نظم قصيدة في ذلك تتكون من ألف بيت من الشعر العربي، كما ورد في قوله:

أحمدُ ربي حلّلَ النِّكاحا
في ديننا وحرَّمَ السّفاحا
صلى إله الخلق ما تناكحوا
معَ السلام سرمدًا أو صرحوا
على النبي خير من تزوجا
ومن طلاق سَنَّهُ ما حرجا
وبعد فالتوفيق من فتاح
أرجو على مقاصد النكاح
النية من ضمنها الخلاص
من تحفة ساغت بلا غصاصة
واضحة منظومة الألفاظ
ليسهل الأحكام للحفاظِ
بما بها تغنيك عن مراجه
مطولات غالبًا في الواقعة

جمعتها مختصرا ملتقطا
من كل باب نبذة تبدي العطا
يا من إليه النظر في النكاح
وليت أمر الناس للإصلاح
إياك والتفريط كم مسكين
قد صار مذبوحًا بلا سكين
فقم أن تهديهم لصلاح
واحذر عن الإيقاع في السفاح
كل من الرعاة عن رعايا
يسأل والقضاة عن قضايا

- وهكذا شاعرنا يوضح سير الزواج، وينبه القضاة بعدم الزيغ، والبعد عن واقع الناس، ويبدي تعاطفه مع المتزوجين، وعدم تكليف الزوج ما لا يطيق من طلبات أهل الزوجة.

- تعتري الشاعر مشاعر كثيرة من المحبة، والتآلف بين مجموعات الشعب الهندي، فقد قام بأعمال للتقرب من غير المسلمين، ويقدم لهم أيضًا المساعدة في بعض أمورهم، لذا كان محبوبًا من الجميع، حتى لا يستغل الإنجليز الخلاف الديني حتى لا يتحدون في المقاومة، فهو زعيم الأمة في كيرلا.

- يتمتع الشاعر بقدرة كبيرة على النظم باللغة العربية، حافظًا لألفاظ المعجم اللغوي، ويتبع النظام القديم في النظم، كالبحور الخليلية، مع ألفاظ ميسرة، وقوافي متوافقة مع الفكرة، التي ينظم بها الشاعر، ولديه القدرة والمعرفة في التناسق بين اللفظ والمعنى، فهو متمكن من ذلك، فضلًا عن تعدد موضوعات شعره، مع الالتزام بالهاجس الاجتماعي في البلد.

- يستطيع الشاعر أن ينظم قصائد كثيرة في مديح رسول الله – بسبب المحبة التي تملأ قلبه بحب الرسول، وزيارته للمدينة فجرت تلك المحبة بقصائد مختلفة، وله قدرة على اختيار الألفاظ غير المنقوطة ليصنع منها قصيدة، ولكنها متكلفة، وعلى الرغم من سمو الفكرة وروعتها إلا أن الطبع أفضل، وله الأثر الكبير في المجتمع، فهو يملك أدوات النظم، لذا أخذ على عاتقه نظم أشعار في القضايا المجتمعية.

- خيال الشاعر قليل، وأفكاره كبيرة، وألفاظه كثيرة، وقدرته عظيمة، ولكن يجب على الشاعر أن يكون الخيال جزءًا من فكره، ليخلق صورًا فنية بلاغية، لأن جمال القصيدة تجذب القارئ والسامع، فالتصوير ملكة عند الشاعر، الذي يملك القدرة على صنع الصورة بما يختاره من لفظ لبناء المعنى الفني، ولكن يتفاوت الشعراء فيما بينهم بحسن الاختيار، وبلاغة الصورة الفنية.

****

عمر ولي اللّه عبدالقادر

١١٦٢ - ١٢١٦ هـ / ١٧٤٨ - ١٨٠١ م

• هو الشيخ عمر بن الشيخ عبدالقادر بن الشيخ محمود ابن الشيخ حسن بن الشيخ محمود[١]، ولد في كايل باتنم في سنة ١١٦٢هـ، الموافق ١٧٤٩م، تلقى العلم أولًا على يد أبيه، ثم درس على يد محمد نسكي القاهري، والسيد شريف والسيد محمد البخاري، ثم سافر إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج، ولكنه درس على يد الشيخ محمد محسن الحبيبي، الذي طلب منه العمل مدرسًا في مكة، فمكث خمس سنوات يعمل فيها مدرسًا، ثم رجع إلى الهند، ولكن لم يمارس مهنة التدريس إلا قليلًا وتفرغ للدعوة والإرشاد.

• اعتنق الشيخ عمر الطريقة الصوفية القادرية، عن طريق دراسته عند الشيخ صوفي بخاري تانكال، فتعلم منه أسرار التصوف، وذهب إلى جزر الهند الشرقية، وقابل كثيرًا من مشايخ الصوفية، وقضى أربعة عشر عامًا، وبنى مدارس ومراكز علمية، فأسلم على يديه الآلاف من الناس، ثم عاد إلى الهند، ونشر الطريقة القادرية الصوفية في جنوب الهند وسرنديب، ونظم القصائد بالعربية ولغة التاميل.

• ألف الشيخ عمر ولي الله ديوانين من الشعر: نور العينين، ومخمس ذخر المعاد، وكلها تدور حول الموضوعات الصوفية، ومن أطول قصائده وأفضلها قصيدة تسمى «ألف الألف»، يقول فيها:

ألفَ الألِف نظام مدح أعلى العالِ
عال أول السطورِ بسن الله بدا القال قال
أحمد الله مصليًا مسلمًا على
أحمد والآل والأصحاب من لآل آل
بالغ المدّاح في أوصافه فما بلغ
بالغٌ معشارَ ما أتى بما في البال بال
تاه قلبي مذ أتيتُ وادي النقا فما
تاب عن وداد طاها تاليًا للتال تال
ثاب ثابتُ الذرى نت السرى إلى الثرى
ثانيًا ما ثالثًا بل ثاني الأمثال ثال
جود من جاد الوجود بجوده جاد الجوى
جمعًا وفرقًا بعد جمع الجمع للرجا لجال
حبُّ حبي حبةٌ في لب قلبي أنبتت
حبوبها ما كل حبٍّ منه للمحال حال

(١) تاج الدين المناني، اللغة العربية في تاميل نادو، ص ٣١٢. ك. م. ع. أحمد زبير، أسرة صدقة الله ص ١١١. علي صدر الدين المدني، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ص ٣١.

زر ضريح المصطفى وزد إقامة به
زرت حاميم زاويا عن قلبك الزلزال زال
سل سبيلًا سار فيه سيد السادات سر
سلسبيلًا تسق في الحالات كالسلسال سال

• ويسير الشاعر في قصيدته، ليظهر براعته في حفظ المعجم اللغوي العربي، ولكن هل هذا شعر؟ أظن أنه استعراض، مما في المعجم، ويؤدي إلى نظم قصيدة تعتمد على الألفاظ التي تأتي من جذر واحد، ولكن لاتوجد روح الشعر، وأسلوب البناء الشعري، وخيال الشاعر في صناعة صور فنية بلاغية، لذا هي نظم لألفاظ واشتقاقات من الجذر اللغوي.

• وله قصيدة تسمى «طريق الوصل» يقول فيها:

طريقُ الوصلِ سهلٌ يا أخي من
طريقِ السير فاطلبني تجدني
شهودي ليس يُعد له شهود
من المقوت فاطلبني تجدني
مقالي دائما شرع شريف
بإذن الرب فاطلبني تجدني
وحالي حال أهل الله حتى
أكون به له اطلبني تجدني
وسرى ظاهر من حب طه
وغوث أعظم سلطان كون
في شغف عن الأشعار يلهي
ولي سكر قديم دام مني
تعلق بالذي أهواه تنجو
من الشرك الخفي وكل فنِّ
ومن يك مشركًا يهوى بنارِ
بنار نَار هجر كنت أعني
طريقي ذو أمان ليس يخشى
به ماش وسار القوم عني
وإن تك تبتغي مني فربي
سريع الأخذ فاطلبني تجدني
تجدني عند ذكرك أن تردني
ففي معناك فاطلبني تجدني
لسان الحق قال على لساني
عبيد وارد مني تجدني
وقال الشيخ عز الدين جل
الرموز فقال: فالبني تجدني

• شعر الشاعر عمر تسابيح، وترتيلات للصوفية، نظمها لأصحابه ومريديه، تتعلق بطلب العفو والمغفرة من الله سبحانه وتعالى، ليس فيها خيال ليصنع من خياله صورًا فنية بلاغية، وليس فيها جمال الشعر وروعته، استخدم بحور الخليل بن أحمد، وملأ أبياته بألفاظ مناسبة للفكرة التي يرومها، وأتى بشيء من التنسيق بين الأبيات والمعاني المطلوبة.

• وله قصيدة تضرع إلى الله، يقول فيها:

إلـــهـــي كـــم تـبـقـيـنـي
لإلـــيـــك لا تـــرقـيـنـي
وعـــنـــي لا تـنـقـيـنـي
بـفـيـض مـنـك يـا الـلـه
إلـــهـــي كـــم تـــزل تـبـدي
لأســـــرار ولا تـــبـدي
لـــســـر جـــامـــع مـبـدي
جـمـيـع الـســر يـا الـلـه
إلـــهـــي أنـــت ذو الجـــود
وطـــه مـــنـــبـــع الجـــودِ
وغـــوث أعـــظـــم الجـــودِ
ولانـــا بـيـنـنـا الـلـه

• هكذا يرسل الشاعر تضرعه وخشوعه لله سبحانه وتعالى، والقصيدة كلها من هذا النوع من الألفاظ التي يتضرع بها إلى الله، ولا يوجد غير هذا النوع، لم يكن الشاعر يقصد الشعر بذاته، ولم يدر بخلده أن يكون شاعرًا، ولكنه رأى أن هذه الطريقة المسجوعة والمقفاة أقرب إلى الحفظ من النثر العادي، فلديه القدرة على اختيار اللفظ المناسب للمعنى، وعنده البحور التي يستخدمها فتبع الطريقة هذه ليصل إلى مبتغاه.

****

عيسى بن أبي بكر المدني

١٣٧٥ - ٠٠٠ هـ / ١٩٥٥ - ٠٠٠٠ م

• ولد الشيخ عيسى بن أبي بكر المدني في قرية كيزومري[1]، ولاية كيرلا، سنة ١٣٧٥هـ، الموافق ١٩٥٥م، درس في قريته المرحلة الأولى ثم التحق بالكلية العربية بمدينة العلوم بفلكل، وتخرج فيها حاملًا شهادة «أفضل العلماء» سنة ١٩٧٥م، وبعد تخرجه عمل مدرسًا بالكلية العربية للفتيات، أنوار الإسلام، بمنغم، ثم غادر الكلية ليعمل في الخليج العربي.

• عندما كان شابًا بدأ ينظم الشعر العربي، وأيضًا بلغة الميالمية، وقد نظم في عدة موضوعات سياسية واجتماعية، ومن أشعاره قوله في الفراق:

ومـــا لـلـدهـر يـفـرق كـل شـملٍ
ويـجـمـع كـل ذي بـعـد شـهـيـقِ
وكـنـا قـبـل فـي جـسـديـن قـلـب
كـذلـك عـيـشـنـا دون افـتـراقِ
ألا هـل عـنـدكـم لـي مـن خـطـابٍ
صـغـيـرٍ وكـبـيـر مـن صـديـقِ

• هكذا حال الدنيا، تجمع المشتتين، وتبعد القريبين، ويفترق الأحبة، بين هجرة ووفاة، وتبقى القلوب حرى، والدموع لها

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ٣١٥.

دليل، وفي الصدور لها رنين، ولشاعرنا عيسى نظرات في الحياة، ويرى حال الأمة من تمزق وتفرق، فينظم أبياتًا يصف بها حال المسلمين، يقول:

إلـهـي ظـلـمـني الأعـــداء ظـلـمًـا
وقـد هـجـمـوا عـلـيَّ بـكـل سـمٍ
إلـهـي احـتـلـت الأعـــداءُ قـدسـي
ويـنـتـهـكـون حـرمـاتـي وعـلـمـي
وجـعـلـوا الـديـن فـي خـسـف وذل
وهـو يـرمـون صـوبـي كـل سـهـمِ

- يتحدث عن احتلال إسرائيل للقدس الشريف، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ويبدو أن الشاعر له نظرة فيما يصيب المسلمين من كوارث ومآسي، وقد كان للسياسيين دور في تلك المصائب، لذا نرى أن شاعرنا يخاطب السياسيين، وسلوكهم في كل بلد إسلامي، بقوله:

رأيـــتُ فـي الـشـارع هـؤلاء
عـجـبًـا الـعـجـاب أمـر كـل أولاءِ
يـغـدون فـي الـطـريـق يمرحـون
حـينًـا فـحـيـنـا فـي الـصـبـاح مساء
هـم يـرفـعـون الـصـوت يـصـرخـون
ويـزلـزلـون الجـو ضـوضـاء
نـعـم سـكـارى لـيـس بـالـنـبـيـذ
لـكـن دمـيـة حـمـيـة جـوفـاء
نـعـم قـد مـس الجـمـيـع جـنـون
لـكـن جـنـون سـيـاسـة بـتـراء

- يبدو أن السياسة شغلته، ولكن لديه وقت لرؤية أصحابه وأحبابه، فمنهم من يشاطره الرأي، ومنهم من قضى نحبه، وانتقل إلى رحمة الله، فقد فَقَد الشاعر صديقه الشيخ محمد الفلكي، فرثاه بقصيدة، يقول فيها:

يـا شـعـر كـفـكـف أنـت دمـعًـا جـاري
لـيـس الـبـكـا يـجـديـك غـيـر خـسـارِ
وجـدًا عـليّ لـفـلـكـي الـذي قـد سـدّ فـي
أفـــلاك أدب الـعـرب والأشـعـارِ
لا لا ألـومـك إن بـكـيـت عـلـيـه
أو ســال دمـعـك مـثـل شـلـيـار
كـيـف الـمـلامـة لـيـس بـعـد المـولـوي
فـي كـيـرلا لـلـشـعـر مـن أمـيـرِ
إن كـان بـعـض الـنـاس عـيـد الشعر
فـاعـلـم بـأن قـد كـان رب الـشـعـرِ

- يبدو أن للشاعر أصدقاء لهم مكانة عنده، لذا ينظم القصائد في رثائهم، وحبهم، وفراقهم يصعب عليه، وهو متمكن من النظم العربي، ويمتلك القدرة والنية لفرض الشعر، ولكن يشده وضع المسلمين والأصحاب، فيتأثر بحالة المسلمين، فمن مواجهة الاستعمار، إلى مواجهة فراق الأحبة.

- يستخدم الشاعر الطريقة القديمة في النظم الموزون والمقفى، له قدرة على استيعاب الفكرة في الشعر، ويمتلك الألفاظ المعبرة، ولديه خيال بسيط في الصور الفنية، وهذا نتيجة لانشغاله بالسياسة، ومتابعة الأحداث السياسية.

- لا شك أن عيسى المدني شاعر، ولديه القدرة على النظم العربي، ويمتلك ألفاظًا مناسبة للنظم، غير أن خياله بسيط في عمل الصور الفنية البلاغية، ربما الواقع يفرض عليه ذلك، أو أنه لا يعتني بالخيال الفني كثيرًا، غير أن لديه القدرة في عمل أكبر من تلك النماذج الشعرية.

****

المحتوى

(ز)

- زين الدين علي المعبري ٥

(س)

- سام شهاب الدين سليمان ١٣
- سبط الحسن الجائسي ١٦
- سعد الله الحنفي المرادآبادي ١٧
- سعيد بن بكار سيدوتي ١٩
- سعيد يعقوب المجددي ٢١
- سليمان بن أبي الحسن ٢٣
- سيد نبي سيد إسماعيل ٢٧
- سيف الدين بن حسين ٣٠
- سيف بن حسين القطيعي ٣٢

(ش)

- شاه الحميد بن سيد محمد ٣٧
- شاه حيدر الحسيني ٣٨
- شاه محمد حليم عطا ٤١
- شبلي النعماني ٤٤
- شبير حسين الجون فوري ٤٦
- شيخ بن محمد الجفري ٤٧
- شير علي شاه البيشاوري ٥١

(ص)

- صالح سالم باحطاب ٥٩
- صدر الحسن محمد الندوي ٦٢

- صدر الدين الكشميري ٦٦
- صدقة الله سليمان صادق ٦٧
- صديق حسن القنوجي ٧١
- صلاح الدين بن سليمان ٧٥

(ض)

- ضياء الحق أصغر علي ٧٩
- ضياء الدين العمري ٨٣
- ضياء الدين بن عبدالنبي ٨٤

(ط)

- طاهر إبراهيم الرضوي ٨٩
- طاهر بن سيف الإسماعيلي ٩١
- طفيل محمد البلغرامي ٩٢
- طلا محمد البشاوري ٩٤

(ظ)

- ظفر أحمد العثماني ١٠١
- ظهور أحمد البنجابي ١٠٦
- ظهور الحق بن الحسن ١٠٩

(ع)

- عالم بن حسين الهندي ١١٥
- عباس الموسوي اللكناوي ١١٨
- عبدالأول كرامة الجنبوري ١٢٢
- عبدالباسط المدراسي ١٢٥
- عبدالجبار بن بدر العمربوري ١٢٨

- عبدالجبار بن عبدالله الغزنوي ١٣٠
- عبدالجليل بن أحمد الحسيني ١٣٢
- عبدالجميل البيشاوري ١٣٤
- عبدالحميد الصادقبوري ١٣٧
- عبدالحي أحمد السورتي ١٣٩
- عبدالحي بن فخر الحسني ١٤١
- عبدالرافع الباقوي الجمالي ١٤٣
- عبدالرحمن آزاد المئوي ١٤٦
- عبدالرحمن الأريكلي ١٤٧
- عبدالرحمن الأمروهي ١٥١
- عبدالرحمن الديوبندي ١٥٣
- عبدالرحمن الغازي بوري ١٥٦
- عبدالرحمن الفضفري ١٥٧
- عبدالرحمن الكاشغري ١٦٠
- عبدالرحمن الكاملفوري ١٦٢
- عبدالرحمن الكجراتي ١٦٥
- عبدالرحمن الكدفلي ١٦٦
- عبدالرحمن الكريادي ١٦٧
- عبدالرحمن الكنياتي ١٦٩
- عبدالرحمن اليماني ١٧٣
- عبدالرشيد الكشميري ١٧٥

- عبدالسلام سليم الهزاروي ١٧٦
- عبدالسلام علي نوشهري ١٨٠
- عبدالعزيز أحمد الملتاني ١٨٢
- عبدالعزيز الجالندهري ١٨٤
- عبدالعزيز الميمني ١٨٦
- عبدالعزيز ولي الله الدهلوي ١٩٢
- عبدالعلي الإسماعيلي ١٩٥
- عبدالعلي خان الرامبوري ١٩٧
- عبدالغفور البسكوهري ١٩٨
- عبدالغفور نير الدانابوري ١٩٩
- عبدالقادر الحضرمي ٢٠١
- عبدالقادر الكندوري ٢٠٤
- عبدالقادر المليباري ٢٠٥
- عبدالقادر بن سيد محمد ٢٠٩
- عبدالقادر خيرالدين العمادي ٢١١
- عبدالقادر شريف الحسيني ٢١٢
- عبدالقادر طه الأنوري ٢١٣
- عبدالقادر عمر ولي الله ٢١٦
- عبدالقادر محمد نيني ٢١٩
- عبدالقدير الصديقي ٢٢١
- عبدالله أفضل العمادي ٢٢٦

- عبدالله البنغالي الندوي ٢٢٧
- عبدالله الشائق المئوي ٢٢٨
- عبدالله الكشميري ٢٣٠
- عبدالله الكوكني ٢٣١
- عبدالله خان العلوي ٢٣٥
- عبدالله علي التونكي ٢٣٧
- عبدالله محمد النوراني ٢٣٩
- عبدالله محمود الدرخواستي ٢٤٢
- عبدالمعطي حسن الهندي ٢٤٤
- عبدالمقتدر الدهلوي ٢٤٨
- عبدالمنان الدهلوي ٢٥٢
- عبدالمنعم الجاتغامي ٢٥٧
- عبدالنبي الكجراتي ٢٦٠
- عبدالوحيد الزروبوي ٢٦١
- عبيدالله أمين الميدني ٢٦٣
- عثمان بن علي حسن ٢٦٤
- عزيز الرحمن العثماني ٢٦٦
- عصمة الله الرحماني ٢٦٧
- عطاء المنعم البخاري ٢٦٨
- عطاء يعقوب الغزنوي ٢٧٢
- علوي الكوتوري ٢٧٥

- علي آغا التوستري ٢٧٩
- علي جلال الكشميري ٢٨٣
- علي حسام المتقي الهندي ٢٨٩
- علي حسن المرزوقي ٢٩٠
- علي عباس الجرياكوتي ٢٩٣
- علي فريد الكشنوري ٢٩٥
- علي معصوم الدستكي ٢٩٨
- علي نعمة البهلواروي ٣٠٣
- علي النقي اللكناوي ٣٠٥
- عمار بن بركات الحسني ٣٠٩
- عمر علي المليباري ٣١١
- عمر ولي الله عبدالقادر ٣١٦
- عيسى بن أبي بكر المدني ٣١٨
- المحتوى ٣٢٠

****

عناوين مكاتب
مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية

الكويت: ص. ب **599** الصفاة **13006**
هاتف: 22406816 (965+)
22415172 (965+)
فاكس: 22455039 (965+)

مصر: القاهرة – ص. ب **509** الدقي **12311** الجيزة
هاتف: 33030788 (202+)
فاكس: 33027335 (202+)

إيطاليا: روما – شارع توسكولانا **(650)**
هاتف: 57335212 (3906+)
فاكس: 57335366 (3906+)

الموقع الإلكتروني للمؤسسة: www. albabtaincf.org
البريد الإلكتروني: info@albabtaincf.org

معجم البابطين

لشعراء العربية في بلاد الهند

المجلد الثالث

غ ي

د. عبدالله القتم

الكويت

2021

معجم البابطين

لشعراء العربية في بلاد الهند

الإخراج الداخلـي

الأمانة العامة للمؤسسة

ردمـك: **978 - 9921 - 704 - 31 - 0**

رقـم الإيـداع: **0818 - 2021**

الطبعة الأولى 2021

حقـوق الطبع محفوظـة

مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية

هاتف: 22415172 (965+) - فاكس: 22455039 (965+)

www. albabtaincf.org / info@ albabtaincf.org

غلام أحمد المتنبئ

١٢٥٦ - ١٣٢٦ هـ / ١٨٤٠ - ١٩٠٨ م

• هو غلام أحمد بن غلام مرتضى بن عطاء محمد بن كل محمد برلاس القادري المتنبئ[١]، ولد سنة ١٢٥٦هـ، الموافق ١٨٤٠م، درس النحو والصرف ومسائل المنطق والحكمة على يد الشيخ علي شاه، ثم درس الكتب الدراسية على أيدي أساتذة آخرين، اشتهر في بداية أمره بالدفاع عن الإسلام والمسلمين، وألف كتابًا باسم «براهين أحمدية»، ادعى أنه المهدي، ثم قال بأنه نبي، وتبعه أناس كثيرون، فكان يظهر الكرامات، ولكن العلماء الأعلام ردوا عليه.

• ادعى أنه نبي وكتب كتابًا اسماه الأربعين ولكن لم يظهر منه سوى أربعة، دافع عن الحكومة الإنجليزية، وأمر الناس بطاعتها، وذهب إلى أفغانستان، ثم رجع إلى الهند وتنقل في أجزائها، يبشر بدينه الذي ابتدعه. تحداه الشيخ ثناء الله الأمرتسري، بأنه كذاب ومفترٍ، ودعا عليه بأن الله سيقضي على الكذاب منهما، وتوفي بعد تلك الادعاءات والكلام غير المصدق، سنة ١٣٢٦هـ، الموافق ١٩٠٨م.

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ٣٤٠. محمد صدر الحين الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٣٠٠.

• كان غلام أحمد الشاعر يخدع السذج من الناس، ويبني أفكاره على حبه لرسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - فهو يدعي بأنه نبي مثل محمد النبي، وينظم أبياتًا في مدح رسول الله، منها:

فاقَ الورى بكماله وجمالهِ
وجلاله وجنانهِ الرَّيانِ
لا شك أن محمدًا خيرُ الورى
ريق الكرام ونخبة الأعيان
تمت عليه صفات كل مزية
ختمت به نعماء كل زمانِ
والله إن محمدًا كردافة
وبه الوصول إلى سدة السلطانِ
هو فجر كل مطهر ومقدس
وبه يباهي العسكر الروحانِ
هو خير كل مقرب ومتقدمٍ
والفضل بالخيرات لا بزمانِ
والطل قد يبدو أمام الوابل
فالطل طلٌ ليس كالتهتانِ
ألفيته بحر الحقائق والهدى
ورأيته كالدر في اللمعانِ

• نظم هذه القصيدة جيد، ولكن وراءها شيء آخر، وهو أن النبي محمد - عليه السلام - لم يكن آخر الأنبياء، وإن سيدنا عيسى - عليه السلام - قد مات، فيقول:

قد مات عيسى مطرقًا ونبيـ
ـنا حي وربي إنه وافاني

ها أنت ظنيت ابن مريم عائشًا
فعليك إثباتًا من البرهانِ
أفأنتَ لا قيت المسيح بيقظةٍ
أو جاءك الأنباء من يقظانِ
انظر إلى القرآن كيف بين
أفأنت تعرض عن هدى الرحمن
فاعلم بأن العيش ليس بثابتٍ
بل مات عيسى مثل عبد فانِ

• هذا الشاعر أراد أن يشق وحدة المسلمين ويشككهم ببعض معتقداتهم، وإن رسول الله حي يرزق، وقد قابله، ليقول له بأن غلام أحمد نبي مرسل من الله، وله قصائد أخرى. جاء لبعض عقائد المسلمين يشكك بها، فأراد أن يقول بأن سيدنا عيسى توفاه الله، وسيدنا محمد موجود، لذا قال: ونبينا حيٌّ إنه وافاني، أي رسول الله قابله، تلك العقيدة مما أوجدته بريطانيا في الهند لشق عصا المسلمين، وإبعاد غير المسلمين عنهم، بعد الثورة الهندية سنة ١٨٥٧م.

• كان الغرض من مدح رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - تقريب المسلمين منه ليبث من خلالهم معتقداته، ومما نظمه في رسول الله قوله:

ولما تجلى نوره التام للورى
ولوّح وجه المنكرين وسوّدا
كريم السجايا أكمل العلم والنهى
شفيع البرايا منبع الفضل والهدى
بشيرٌ نذيرٌ آمر مانع معًا
حكيم بحكمته الجليلة يُقتدى
له درجات ليس فيها مشارك
شفيع يزكينا ويُدني المُبعّدا
وما هو إلا نائبُ الله في الورى
وفاق جميعًا رحمة وتودّدا
تخيّره الرحمن من بين خلقه
وأعطاه ما لم يعط أحد الندى
وأرسله الباري بآيات فضله
إلى حرب قوم كان لدّا مفسدا

• القصائد ذات معنى، وآليات النظم متوفرة بها، وقد استخدم بحور الشعر العربي، ليسهل عليه نظم الفكرة، وتنميتها، وقصيدة المديح تعتمد على قوة اللفظ وسمو المعنى، ولكن الخيال قليل، والصور الفنية قليلة، غير أن الهدف من المديح هو أنه قابل رسول الله، الحي الموجود، وتوفي سيدنا عيسى، ولماذا توفي؟ لأنه يريد أن يكون المسيح الذي يظهر آخر الزمان.

• القصائد من حيث البناء الشعري جيدة، ولكن الغرض سيّئ، وهو إظهار أنه نبي، وأخذ النبوة من رسول الله محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - لذا ادعى النبوة، أو المهدي قبل ذلك، حتى يجذب أكبر عدد من التابعين، يؤسس لدين جديد، كما تريد بريطانيا، لذا يأمر أتباعه بسماع أوامر الحكومة الإنجليزية الهندية.

****

غلام النبي الفاروقي

١٣١٣ - ١٣٩٨ هـ / ١٨٩٥ - ١٩٧٧ م

• ولد الشيخ غلام النبي بن عبدالرحمن الفاروقي[١]، في قرية مردان، الهند، درس على يد والده المراحل الأولى، ثم على يد بعض الشيوخ، في بعض المدارس، ثم التحق بكلية سهارنبور، ثم بكلية دار العلوم، ديوبند، التي التحق بها سنة ١٩٢٧م، وبعد تخرجه عمل في التدريس والخطابة في المساجد.

• نظم عدة قصائد في مديح رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - في كتاب باسم «القصائد العربية في تذكار خير البرية»، ثم له ديوان آخر ضم مجموعة من قصائد الرثاء والوصف والمديح، باللغات العربية والفارسية والبشتو، وله أيضًا كتابا حول سيرة رسول الله بلغة البشتو، ومن أشعاره العربية في مدح الشيخ أحمد السرهندي، يقول فيها:

حمدًا لمن يُعطي الأنام نوالا
عِلمًا وحكمًا للعقول عقالا
ثم الصلاةُ على النبي وآلهِ
وعلى الصحابة كلِّهم تتوالى
لله في غرض البسيطةِ أنفسٌ
مقبولةٌ عند الإله تعالى
هم وارثون عن الرسولِ لدينهِ
هم ناقلونَ لدينه أجيالا
هو جامعٌ لشريعةٍ بطريقةٍ
بحرُ الهدى يسقي العطاشَ زلالا
كانت بأرض الهند عند ظهوره
فتنٌ تجرُّ إلى القلوب ضلالا
قد أشربتْ في الناس ألفةَ بدعةٍ
لم يتركوها غافلين مآلا
خلط الرعايا في التناكح بينهم
بالمسلمين مع اليهودِ عيالا
نُصبَ الكنائسُ في جوار مساجدٍ
خلطوا الشمائلَ ضيعوا أعمالا
فالشيخُ خالفَ كلَّ فعلِ معاندٍ
ضدَّ الشريعةِ روّجوه خبالا
بديانةٍ وأمانةٍ ومتانةٍ
وفطانةٍ ورزانةٍ إكمالا
بسياسةٍ شرعيّةٍ نبويةٍ
حنفيّةٍ دينيّةٍ أعمالا
كجبلّة الفاروق شيمة شيخنا
يمجو المفاسدَ كلَّها إبطالا
حتى رأى «جنكيز» خير منامه
فأراد استخلاصَه إجلال

(١) مؤسسة عبدالعزيز البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٤ ص ٣١٩.

فأبى إلى أن أصلحَ المطموح مِن
دين الرسولِ وحار فيه جمالا
أما الملوكُ فسوف يسلبُ ملكهم
ذو الفضلِ والنعمِ الجسام جزالا
وأبو ترابٍ قال ربِّ اغفرْ لنا
آثامَنا إجرامنا أثقالا
أنت الكريمُ ولا تخيِّبُ سائلا
وسواك ينتقص العطا ونوالا

• لا شك أن هذا الشاعر لم يأت بجديد، وغابت عنه روح الشعر، ولكن العاطفة ومحبة الرسول واضحة في شعره، دون أن يخرج عما هو معروف من السيرة النبوية.

• وله قصيدة أخرى يقول فيها:

كأنَّ رسولَ الله شمسٌ توسَّطت
سماءَ العلا بالضوء لما تجلّتِ
تضيءُ بسيطَ الأرض والفلك والعلا
بشعشعةِ الأنوار لما استثارتِ
فأعلنَ بالتوحيدِ للناسِ كلِّهم
وأبطلَ رسمَ الشركِ شكرًا لمنَّةِ
وحسَّن أخلاقَ الخليقةِ كلِّها
وبلّغ حكمَ الله في كلِّ وجهةِ
له رفقاءٌ كالنجومِ بنورها
إلى الله يهدي كلَّهم بهدايةِ
وقال عليكم أصلحوا ذات بينكم
برحمتهِ جميعًا فكونوا كإخوةِ
تراهم سجودًا خاضعين لربهم
وجوهُهمُ يبدو بسيما سعادةِ
يعيشون فيها بينهم بمحبَّةٍ
ويبدون للأجيالِ أكملَ رحمةِ

• شيوخ دين ينظمون شعرًا دينيًا ليس له من قيمة شعرية شيئًا كبيرًا، فهم ناظمون للأحاديث الشريفة، دون أن يكون للشاعر تدخل سوى احتواء تلك الأحاديث في قوالب بحور الشعر، مع ألفاظ مناسبة للأفكار المطروحة، لا سبك جيد، ولا خيال خصب، ولا صور فنية بلاغية، سوى العاطفة تجاه رسول الله – عليه الصلاة والسلام.

****

غلام النصير الجلاسي

١٣٥٧ – ٠٠٠ هـ / ١٩٣٨ – ٠٠٠٠ م

• ولد الشيخ غلام النصير[١] في «جلاس» سمة ١٣٥٧هـ، الموافق ١٩٣٨م، تلقى العلوم على أيدي علماء بلدته، وبعد أن أكمل دراسته عمل في التدريس في عدة مدارس، وكان أيضًا يمارس الإرشاد ونشر تعاليم الإسلام، وكان يتحدث بلغة الأوردو والفارسية والعربية، وينظم فيها أشعاره،

(١) حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان ص ١٧٩.

ونشر دواوين متعددة، منها:

- المعارف اللدنية.
- متاع مؤمن.
- معدن التوحيد.
- ديوان ينابيع الحكمة.
- تحالف قدسية.
- فيوضات ربانية.
- زاد مسافر.
- ديوان عشق.
- وله دواوين أخرى بالفارسية والأردو.
- له كتاب: التبيان في شعر رمضان.

- للشاعر قصائد باللغة العربية، وفيها اقتباسات من القرآن الكريم والحديث الشريف، ويتضمن ما في الكتاب والسنة، وهو ينظم بشكل علمي، لا أدبي، ومن قصائده ما يتحدث عن الأخلاق، بقوله:

فكن راحة القوم لِنقي الخطابِ
وبيّن برفقٍ مراد الكتابِ
وزيّن خطابًا بحسن الدليلِ
وبلّغ ضليلًا إلى سلسبيلِ
وقالَ محمدٌ عليه السلام
عطاء العطايا برفق الكلام
فكن أعظم الجود مثل الشجر
وكن للبرايا قدّ الثمر
فلا تُسمع الخلقَ قول الجدل
من الفم أخرج عيون العسل
فلا تحزنوا بعده من عسير
على اللهِ كان صعب يسير
إلى اللهِ في المقتضى ارجعوا
أما قال مني فلا تقنطوا
ألا اسمعوا عن فقير الجلاس
بلياتكم في قنوط وياس
وهذا صحيح فمن قال لا
شكوك له في كتاب الهدى
ومن شك في آية من كتاب
سقيمٌ عظيمٌ بيومِ الحساب
ألا إنَّ ربي مجيبٌ عجيب
أما قال إنّي قريبٌ أجيب
وإن شاع عسرٌ بأسبابه
سل اليسر في العسر عن بابه
فإن تقنطوا من كريمٍ مبين
فلا شك في كونكم جاهلين
ففروا من الغير في المعضلات
وميلوا إلى اللهِ في المشكلات
وإن كنتَ فينا عظيم الخطا
أما كان ربّ عميم العطا
فربي جميلٌ حليم كريم
وربي جليلٌ رءوف رحيم
وبيّنت أوصافه بالألم
فما جاء حرف بدمع القلم
وأوجبتُ توصيفه في الكلام
وهذا كملح لنا في الطعام

فلا تجتنب عن سواء السبيل
توكل على الله نعم الوكيل
إلهي إليه بلا احتياج
رسولي رسول بلا احتجاج

- يمضي الشاعر في بيان ما هو موجود في القرآن الكريم، والحديث الشريف، وأداته النظم لما عرف وعلم، وهذا نظم جميل، ومعاني طيبة، وأخلاق حميدة يبثها هذا الشاعر للناس لعلهم يرتدعون، ويسلكون السبيل القويم، ولكن ليس في هذا النظم شعرية الشاعر، ولا خياله.

- ومن أشعاره أيضًا وبالطريقة نفسها يقول:

أتيتكَ يا مليكي بالمعاصي
كمثلي ليس في ذا القوم عاصي
رأيتُ القومَ ما فيهم بخيرٍ
بذاك الوصف فيهم اختصاصي
سمعنا عن خطيب القومِ يومًا
على أمثالكم ربي رحيمُ
فخف الخوف قد جفت دموعي
ركبتُ على قصورٍ يا كريمُ
ولو كنّا مشاهيرًا بإثم
على باب الكريم لنا القيامُ
فقال القلبُ لما طال يأسي
شفيع الاثمين لنا الإمامُ
فنحمد للكريمِ الحي شوقًا
على أنّا خلقنا مسلمينا
نصلي بالخلوص وقعرِ مُلبٍ
على من كان مبعوثًا يقينا

- يمتلك الشاعر القدرة على النظم، ولكن غلب عليه الإرشاد والتوجيه، ووعظ الناس، فالأبيات عظيمة المعنى، واختار لها كلمات من القرآن والسنة، ونظمها على شكل أبيات شعرية، وفيها بعض التشبيه، ولكن غاب الخيال الشعري، فلا صور فنية، على الرغم من تناسق الألفاظ والمعاني، وأسلوبه سهل الفهم، لا يحتاج إلى شرح، فلا غموض فيه، وكان هم الشاعر توصيل الفكرة بشكل مختلف عن النثر، فجاء هذا القدر من النظم.

****

غلام علي آزاد البلغرامي

١١١٦ - ١٢٠٠ هـ / ١٧٠٤ - ١٧٨٥ م

- هو العلامة السيد غلام علي بن السيد نوح الحسيني الواسطي البلغرامي[1]، ولد في بلغرام سنة ١١١٦هـ،

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٦ ص ٢٠٣. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ١٩٣. جمال الدين الفاروقي، أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية ص ١٤٠. مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز لخدمة اللغة العربية، الثقافة العربية في الهند ص ٣٣٥.

الموافق ١٧٠٤م، درس المرحلة الأولى على يد السيد طفيل محمد الحسيني البلغرامي، وأخذ اللغة والسيرة النبوية وسند الحديث، والشعر العربي والفارسي من جده لأمه السيد عبدالجليل بن مير أحمد البلغرامي، وتعلم العروض والقوافي والأدب من خاله، محمد بن السيد عبدالجليل، وأخذ الطريقة الصوفية من الشيخ لطف الله الحسيني البلغرامي.

- ذهب إلى الحج سنة ١١٥١هـ، الموافق ١٧٣٨م، حج وزار ضريح رسول الله - عليه أفضل الصلاة والسلام - فقرأ صحيح البخاري على الشيخ محمد حياة السندي، وصحب الشيخ عبدالوهاب الطبطاوي وأخذ عنه علومًا، واستفاد منه، ثم عاد إلى الهند وسكن بأورنك زيب آباد، واشتغل بالتدريس والتأليف، فمن مصنفاته:

- **سبحة المرجان في آثار هندستان، من أكبر كتبه، وفيه تاريخ وبلاغة وتراجم، ومعارف أخرى.**
- **ديوان السبعة السيارة، سبعة دواوين شعرية عربية.**
- **مظهر البركات، ديوان شعر آخر.**
- **ضوء الدراري في شرح صحيح البخاري.**
- **الشجرة الطيبة في أنساب السادة من أهل بلغرام.**
- **سند السعادات في حسن خاتمة السادات.**
- **أوج الصفا في مدح المصطفى.**
- **الدر الثمين في محاسن التضمين.**
- **لامية المشرق، منظومة شعرية.**
- **مرآة الجمال، منظومة شعرية في وصف محاسن المعشوقة.**

- يقول في نهاية المنظومة الشعرية:

أمليتُ في وصف المهاة قصيدةً
حسنيّةً تحوي أدقّ معاني
في سبعة فوق الثمانين التي
مئة وألف بعدها حسباني
سَمَّيْتُ مرآة الجمال قصيدتي
طابت برؤيتها قلوبُ حِسانِ

- هكذا هذا الشاعر المجدد، فقد أوجد في الشعر العربي بعض أنواع البديع في الشعر الفارسي والهندي، ونقلها إلى الشعر العربي، وتميز شعره بالقوة والسبك الجيد للقصائد، وتعدد الموضوعات، والقوافي والبحور الشعرية، فهو شاعر مفلق، متجدد، اعتمد على الشعر العربي القديم، ثم أضاف إليه ما رآه في الشعر الفارسي والهندي، فلا يوجد شاعر في الهند بلغ مبلغه، ونظم سبعة دواوين أسماها «السبعة السيارة»، بالإضافة إلى ديوان مظهر البركات، ومنظومات أخرى.

- نظم كثيرًا من القصائد في مدح رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - لذا لقبوه بحسان الهند، تيمنًا بحسان ابن ثابت - رضي الله عنه - وهو من الشعراء القلائل في الهند ممن أجاد في صنعة الشعر وتميزه، في سبكه وأسلوبه ولغته الفخمة، وبلاغته وفنه الشعري المميز.

- من قصيدة نظمها في مدح رسول الله - عليه أفضل الصلاة والسلام - وهي لامية، يقول فيها:

لله مائسة كغصنِ الصندلِ
أرجت بريّاها حواشي المحفلِ
إضنية نشرت روائحَ مسكها
فشفت من الخفقانِ قلبَ مؤملِ
سمراء معتدل القوامِ كأنها
قصبٌ وسكره حلى تدللِ
إن أبصرَ الطاووس زينة نومها
يخفض لحضرتها جناح تذللِ
يا حبذا أن حمني لهب الهوى
إنَّ السعيرَ لجنة لسمندلِ
أين النسيمُ متى يجيء عناية
حتى تعطرني بنفحة سنبلِ
قولوا له أنتَ الكريمُ المرتجى
فاسمح بنكهة عنبر وقرنفلِ
أمّلتُ منقلبِ الحسانِ جوى الهوى
وطمعتُ في شيءٍ عجيبٍ مشكلِ
فيهِ البرودة كالطباشير الذي
تحويه أجواف القنيّ الذبلِ
يا صاحِ فيمَ تحومُ حول المنحنى
والرقْمَتيْنِ ورامتينِ وحوملِ
أتُميلُ قلبكَ حيثُ شئتَ من الهوى
ما الحبُّ إلا للحبيبِ الأولِ
الأبطحيِّ الهاشميِّ محمدٍ
خيرِ البرايا النبيِّ المرسلِ
شجر ترعرع في حديقة هاشمٍ
أقرن بدوح في العلا متأصّلِ
أثمارُه ممتازةٌ عن غيرها
يفشي السفرجل ما يسر الحنظلِ
فردٌ جليلٌ لا يشاهد مثله
فالله رؤيته شفاء الأحولِ
هدم الإله حصون من جحد الهدى
ووفى النبيّ عن العدى في العنظلِ
جعلت له شم الرواسي عسجدًا
ما عدها قطعًا لحبة خردلِ
حاز الثرى ثم الثريا عارجًا
حتى أتاها بالطريق الأسهلِ
قد خلّصَ البيتَ الحرامَ مِن العدى
لقناتهِ مفتاح باب مقفلِ
فاضت بأوصاف النبي براعتي
بحر النبوة أصل هذا الجدولِ
صبى الإله على الرسول المجتبى
ما أرّج الأرجاء عرف المندلِ
وعلى أقاربه الذين تَطهَّروا
وعلى صحابته الكرام الكُمّلِ

• ينظم السيد غلام علي مجموعات من القصائد في مديح رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – ويختار الباحث في أيهم ينقل إلى هذا الكتاب، ولكن نختار بعضها، يقول في قصيدته البائية:

محمد فاتح البرايا
وإن أتانا على العقيبِ

جـمـالـه فـائـض بـنـور
وخـلـقـه فـائـح بـطـيـبِ
دعـاؤه جـاء بـالـغـوادي
وكـفـه جـاء بـالـصـيـبِ
قـد ارتـقـى فـي الـسـمـاء حقًّا
وحـلّ بـالـمـنـزل الـرحـيـبِ
لـقـيـمـة الـلـحـم خـاطـبـتـه
ودرّت الـشـاة بـالحـلـيـبِ
نـظـمـتُ فـي مـدحـه جـمـانـا
وهـذه شـيـمـة الأديـبِ

• لا يتوانى الشاعر غلام علي إلا أن يكون أبدع شعراء الهند، وأكثر من مدح الرسول الكريم، ولقبه «حسان الهند» جاء مُستحقًّا، ويقول في قصيدة أخرى:

مـحـمـد زيـنـة الأفـلاك عـنـصـره
ووشـيُ أرديـة الأسـحـار والأصـلِ
فـوق الـعـبادِ وبـعـد الـرّب مرتبةً
وجـوهـر نـزه عـن وصـمـة المثـلِ
تـبـارك الـلـهُ بـدرٌ لا مـحـاق لـه
وخـاتمٌ فـصّـهُ نـورٌ بـلا حـولِ
لا غـرو أن أخـر الخـلاق بعثته
هـو المقدم في المعنى على الرسلِ
الحمد لله رب العطّول شرفنا
بأشرف الخلق هادي أشرف السبلِ
جلا عروسًا من الدين الجميل على
منصة الدهر في حل وفي حللِ

• وقال أيضًا لرسول الله:

سـرى لـيـلًا إلـى فـلـك محيط
ونـور سُـوح يـثـرب بـالسكونِ
ولـولا نـوره الأعـلـى مـقـامًـا
لـمـا ظـهـرت خـفـيـات الـشـيـونِ
لـقـد فـاضـت أصـابـعـه زلالا
رويًـا فـارتـوى غـلـل الـعـطـونِ
ومـا قـبـلَ الـقـسـاة هـداه جـهـلا
ومـا فـازوا بـصـادقـة الـظـنـونِ
وإن لـم تـقـبـل الأحـجـارُ نـبـتًـا
فـلـيس الـنـقـص مـن قـبـل الـهـتـونِ
أبـوا أن يـقـرأوا الـسـبـع المثـاني
وفـاهـوا بـالـخـلاعـة والمـجـونِ
وشـتـت رعـيـة سـمـل الأعـادي
فـصـيّـرهـم كـمـنـفـوش الـعـهـونِ
يـل الـغـاوون صـاروا مـثـل عـصـف
تـغـيّـره الحـرارة فـي الـبـطـونِ

• للشاعر قصائد اجتماعية كثيرة، منها الغزل والرثاء والوصف، ولكن رثاء الأحبة أكثر إيلامًا، وخاصة عندما يكون المنوفى أحد أفراد الأسرة ومعلمه، وفضله عليه كبيرًا، ففي رثائه لجده لأمه السيد عبدالجليل البلغرامي، يقول:

بـرق أضـاء مـن الـزوراء يشجيني
يـا رب مـا بـالـه يـبـكي ويبكيني

إنـي لـسـان يـؤدي شكـر نـعمتـه
بـالمـاء والـنـار يـرويـني ويـوريـني
لا يـذهـب الـغـل مـاء المـزن مـن كبدٍ
بـل مـاء يـاقـوتـة الـلـمـساء يـرويني
تـدور فـي مـقـلـتـي أيـام لـقيـتـهـا
هل ما مضى من زمان العمر يأتيني
طيف الـتـي قتلتني يـوم ذي سلمٍ
أن جـاء فـي مـنـام المـوت يحييني
لا أبـتـغـي أن تـرانـي مـلء مقلتها
لـحـظ قـلـيـل مـن الـعـيـنـين يكفيني
مـا لاح مـنـي قـصـور فـي محبتها
بـأي ذنـبٍ، وقـاهـا الـلـه، تقليني
تـكـفّ عـنـي بـيـن الـنـاس مقولـهـا
لـكـنـهـا بـرمـوز الـعـين تسليني
إنـي لشمع قبيل الصبح محتضر
مـا سرعـة الأجـل المـوعـود تبقيني
تبكي وتذكرني بعد الوفاة فهل
بُـكـاؤُهـا بـعـدَ مـا ثـويـتُ يُجديني

• هكذا يكون الرثاء، عبارة عن قطعة فنية، يرتاح القارئ، والسامع لقراءتها وسماعها، فالمتوفى لا يفيده البكاء والعويل، بل يفيده العمل من أجله فيما يرفع من مقامه ومكانته.

• قيل أن شاعرنا يميل إلى النظم في زمن الربيع حيث الأجواء الجميلة، والخضرة تملأ الأراضي والأماكن العامة والخاصة، فقريحته تزدهر في تلك الأيام، وكان للجمال دور في كثير من قصائده، فبلاغة اللفظ ورقي المعنى، وسمو التراكيب يؤدي إلى إخراج قصائد ذات معنى ونغم، وكان معروفًا بين الناس أنه يستطيع نظم قصيدة في يوم واحد، أو بعض يوم، وليست بالطويلة المملة بل متوسطة الطول، وحلوة النغم الموسيقي.

• في إحدى غزلياته يقول:

أدركْ عـلـيـلًا لـقـاءٌ مـنـكَ يـكفيـهِ
وطرفك الـنـاعس المـمـراض يشفيهِ
كـتـمـتُ دائـي عـن الـعـذال مجتهدًا
ما كنتُ أدري نحول الحسم يفشيه
فـداونـي عـن سـقـامٍ أنـت مـنـشـأهُ
ونجـنـي مـن ضـرامٍ أنـتَ مـوريـهِ
لـقـد ثـنـى عـطـفـهِ مـن مـغـرمٍ دنـفٍ
مـهـفـهـف ثـقـل الأردافِ يـثـنـيـهِ
رعـى الإلـهُ سـقـامـي لـو يـعـالـج من
أحـبـبـتـه بـدواء الـخـمـر مـن فـيـهِ
وحبذا العيش لو يمشي على مقلي
غصن رطيب من العينين أسقيهِ
شـأنُ المحـبّ عـجـيـبٌ فـي صبابته
الـهـجـر يـقـتـلـه والـوصـل يـحـيـيـهِ
لـولاه مـا شـاقـه عـرف الصَّبا سَحَر
ولـم يـكـن بـارق الـظـلـمـاء يشجيهِ
يـا جـارةً هـيّـجـتِ بالنصح لوعتَهُ
بـحـق مـقـلـتـه الـعـبـراء خـلـيـهِ

إليك يا رشأ الوعساء معذرة
أأنت عن رشأ البطحاء تسليهِ
لوائمي قطعت أكبادهنّ متى
رأينهُ في كمال الحسن والتيهِ
أيا صواحب أكبادٍ مقطعة
فذلكنَّ الذي لمتنني فيهِ
إذا رنا فمهاة البيد تشبهه
أو ماسَ فالبانة الخضراء تحكيهِ

• أبدع وصف ضمن شعراء العربية في الهند، يحاكي بوصفه كبار شعراء العرب، بل ينافسهم في مضمار وصف المحبوب، وله قصائد كثيرة في هذا المجال، فحلاوة القطعة الشعرية يبدو من خلال التراكيب الفنية للألفاظ، وارتفاع القيمة المعنوية للقصيدة الغزلية. وفي قصيدة أخرى يقول:

قدر القلوب من الصفاء يلوحُ
ثمن الجواهر بالجلاء يلوحُ
يتمخض العشاق في نار الهوى
لب السبيكة في العلاء يلوحُ
أخذ الفراش عن السراج ضياءه
نور البقاء من الغناء يلوحُ
قصدتُ ظباء النجد أن يقتلنا
أسلوبهنَّ من الهواء يلوحُ
والخوف من طرز الخرائد واجبٌ
شنآنهنَّ من الولاء يلوحُ
لا يطمئن من الكواعب خاطري
إخفاءهنَّ من الوفاء سلوحُ
ظلمت سعاد ولا غياث يغيثنا
إنصافًا صبح الجزاء يلوحُ
غدّارةٌ تبكي على مقتولها
أثر السرور من البكاء يلوحُ
أزادُ عبديا أميمةُ فائقٌ
ونقاؤهُ بعد الشراء يلوحُ

• فن المديح عند السيد غلام علي في أجمل صوره وأسلوبه، ولكنه دائمًا يبدأ قصائده بالنسيب، كما درج عليه الشعراء العرب القدامى، ومنهم كعب بن زهير، البوصيري، وغيرهما من الشعراء، وانتقل هذا التقليد إلى شعراء العربية في الهند، وشاعرنا تبع ذلك الخط الجميل فكان يبدأ قصائده بالنسيب، كما يظهر من بعض قصائده، يقول فيها:

لمحت إليَّ بعينها الكحلاء
فمرضتُ طور العمرِ بالسوداءِ
ولقد ثملتُ بلحظةٍ سمحت بها
من نرجسٍ ريّان بالصهباءِ
ما للعواذلِ هل أطيق قطيعةً
عن بانة هي أعرقت بحشائي
ضاءت غدائرها بنور جبينها
فيهنَّ حس الليلة القمراءِ
والثغرُ في فمها وميض كامن
يبدو إذا ابتسمت على الخضراءِ

أو أقحوان يرتوي من ريقها
أو جوهرٍ في الحقة الحمراءِ
ولقد أتتني ليلة فحسبتها
ماء الحياة في الظلماءِ

• هذه قصيدة همزية، أما هذه القصيدة فهي لامية، يقول فيها:

يا قوم ملقي على الوعساء مقتولُ
هل في القبائلِ أهل النجدِ مسئولُ
قولوا لنا كيف هذا الأمرُ منكم
وعن بصائركم لم يخف مجهولُ
إني لأعرف أعرابية قتلت
متيّما دمه المسفوح مطلولُ
لكنني أين وسعي أن أبوح به
هذا دم من لسان الخلق مغسولُ
فرغت عن ذبح صيدٍ لا حراك به
ففيم حبلك فوق الخدِّ مسدولُ
قالت: أتحسبني للمرءِ قاتلة
وإنما قاتل العشاق عُقبولُ

• وقال أيضًا:

لواحظ التي تعمي الرمّاي
سهام لا تدافع بالتروس
ومن لدغته طرفها تقضي
هلاك المرء لدغ القطربوس

• الشاعر غلام علي البلغرامي شاعر فنان متمكن من عمله الفني البلاغي الكبير، فقد وضع في باله كل أنواع القريض، وأتى بألفاظ المعجم اللغوي، واختار لقصائده ما يتوافق مع فكره، ويكون ضمن البحور التي اختارها، وجال خياله في الآفاق، وصور الصور البلاغية الفنية، فجاءت كما يحلو للشاعر والقارئ، فلا يوجد لفظ شاذ، أو تركيب مختل، أو بحر لا يفي بالغرض، فكان بحق شاعر تفخر به الهند، ويتنازعه العرب مع الهنود.

• قوة سبك القصائد أدى لحلاوة النظم، وأسلوب الشاعر كان الاقتداء بالعرب، ولكنه اختط لشعره طريقًا مخالفًا، وأتى بأفكار جديدة، وتصور خيالي رائع، فكسب القوة المعنوية واللفظية، حيث وظف الألفاظ في خدمة تراكيب الجمل، مراعيًا كل المراعاة نظام اللغة العربية، وسمات الألفاظ ورونقها، وأعطى من نفسه وفكره ما يؤيد النظرة السليمة والفنية لما ينظم من أبيات.

• استعمل الشاعر القوافي المناسبة للمعنى، بغض النظر ما إذا كانت القافية من الذلل، أو من الحواشي والنفر، فقد برع في استخدام جميع القوافي، وطوّعها لتساير الفكرة التي ينظم بها القصيدة، فهو شاعر من الدرجة الممتازة من بين مئات الشعراء الهنود الذين نظموا الشعر بالعربية.

****

غلام قادر السربازي

١٣٦٥ - ٠٠٠٠ هـ / ١٩٤٥ - ٠٠٠٠ م

• ولد غلام قادر[١] في مدينة سرباز حوالي ١٩٤٥م، وتلقى دروسه الأولى في بلدته، ثم ذهب إلى كراتشي لمزيد من العلم، والتحق بالمدرسة العربية الإسلامية وتخرج سنة ١٩٦٠م، ثم ذهب إلى المدينة المنورة، ودخل الجامعة الإسلامية وتخرج سنة ١٩٦٨م، وبعد تخرجه عمل مدرسًا في دار الحديث بالجامعة الإسلامية، وبعدها ذهب إلى سوريا، ثم عمان وبيروت، عاد بعدها إلى المملكة العربية السعودية، ومن ثم عاد إلى بلاده، وإلى مدينته، سرباز.

• للشاعر الشيخ غلام قادر قدرة على الخطابة باللغة العربية، والكتابة بالعربية وقرض الشعر بها، فمن أشعاره، يحمد الله سبحانه بقوله:

انظر لغين الخالقِ
بين الربوع الشاسعهْ
انظر طيورًا صادحه
تحمد ربًّا عابده
انظر قضاءً واسعًا
انظر سماءً غاليه
انظر لواحات الخضر
انظر شهيات الثمر
انظر لآفاق الغبر
انظر رياضًا وارفه
انظر مياهًا طيبه
الجارية في الأوديه
فالشكر لله الأحد
من قلبنا والألسنه

• كلمات بسيطة، وأسلوب سهل، ورجز عادي ليس فيه خيال ولا صور فنية، وله قصيدة أخرى، يقول فيها:

فلما أرى في الحبِّ أنكَ حاضري
رأيتُكَ شهودًا بكل مكانِ
فخاطبتُ معروفًا بغير تكلم
ولاحظتُ معلومًا بغير عيانِ
أيا من فوضتني للشجون
حرام أن تريحي بالركونِ
لقد صوبتُ نظرًا بالهدوء
أثارت خفقة القلب الأمونِ
ومهلًا لا تراعي بالشجون
فتلك نديمه لذوي الجنونِ
فهل يرجى مراجعة بسلوى
نعم ثق رحمة الرب الحنونِ

(١) حامد أشرف همدان، شعراء العربية في باكستان ص ١٦٩.

• للشاعر قدرة على النظم البسيط، ويمتلك القدرة العادية في النظم، شاعر بسيط، ولكن لا غموض في شعره، والسبك كان عاديًا، فهو يفتقر إلى اشباع الأبيات بفن خلق الصور الفنية المعبرة عما يريد.

****

غلام محمد جلوانوي

١٣١١ - ١٣٧٥ هـ / ١٨٩٣ - ١٩٥٦ م

• ولد الشيخ غلام محمد جلوآنوي[1] في قرية مخدومان شريف سنة ١٣١١هـ، الموافق ١٨٩٣م، درس المراحل الأولى في بلدته، ثم لازم الشيخ شير محمد شاه الكيلاني، وأقام حوالي ثماني عشرة سنة في مدينة ساهيوال، وأمضى حياته بالوعظ والإرشاد، وإصلاح الناس، إلى جانب عمله كان يؤلف بعض الكتب، منها:

- **أسرار المقطعات ورموز المتشابهات.**
- **تحقيق العارفين في سيرة سيد المرسلين.**
- **نور الولاية.**
- **ديوان العاشق.**
- **أسرار التوحيد.**
- **مديحة النبي، ديوان شعر بالفارسية والعربية.**

(١) حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان ص ١٧٢.

• ينظم الشاعر تفسيرًا لبعض آيات القرآن الكريم، منها:

«ألـــم. ذلـك الـكـتـاب لا ريـب فـيـه»

الألـــف عـــين الـــذات هـو
حـــق تـعـالـــى شـأنـه
والـــلام مـنـبـسـط عـلـى
الأعـــيـــان هـــي أكـوانـه
والمـــيـــم مـظـهـر ذاتـــه
والـــعـــين بـــل إنـسـانـه
لا ريـــب فـــي هـــذا الـكـتـا
ب وهـــكـــذا عـرفـانـه

• ومنها أيضًا:

«ألمـــص، كـتـاب أنـزلـنـاه إلـيـك»

الألـــف هـــي أحـــديـــة
والـــلام وحـــدانـــيـــة
والمـــيـــم عـــين الـوحـــدة
هـــي حـــضـــرة جـمـعـيـة
والـــصـــاد صـــورة ذاتـــه
فـــي بـيـنـهـا عـيـنـيـة
هـــذا عـلـــوم كـتـابـنـا
فـــي صـــدرك مـخـفـيـة

• وهكذا شعره عبارة عن تفسير لبهص بدايات الصور القرآنية، ومنها أيضًا:

«ألـــر كـتـاب أحـكـمـت آيـاتـه»

الألـــــف اســـــم أعـــظـــم
وهـــــو الإلـــــه الأقـــــدم
والـــــلام عـــلـــم قـــديمـــه
فـــهـــو الـــعـــلـــيـــم أعـــلـــم
والـــــراء روح أقـــدس
هـــو فـــي الحـــقـــيـــقـــة آدم
هـــذا كـــتـــاب أحـــكـــمـــت
آيـــاتـــه هـــو عـــالـــم

• هكذا يفسر هذا الناظم بعض بدايات الصور القرآنية، فلا وجود لشعر، ولا فيه مقومات الشعر المعروفة، فلا خيال، ولا رأي، ولا شعرية في الأبيات، فهو ناظم لبعض ألفاظ القرآن، صاغها بشكل أبيات شعرية.

****

غلام محيي القصوري

١٢٠٣ - ١٢٧١ هـ / ١٧٨٨ - ١٨٥٤ م

• هو الشيخ غلام محي الدين بن غلام مصطفى بن غلام مرتضى الفصوري الصديقي[١]، ولد في قصور، قرب لاهور، سنة ١٢٠٣هـ، الموافق ١٧٨٨م، درس في بلدته، ثم درس المراحل التقليدية في الهند، وأخذ الحديث من العلامة الشاه عبدالعزيز بن ولي الله الدهلوي، اشتغل بالتدريس في بلدته، وأخذ الطريقة الصوفية القادرية من عمه، وخلفه فيها بعد وفاة العم، وكان نشيطًا في مجال نشر العلوم الدينية، والثقافة الإسلامية، والطريقة الصوفية.

• للشاعر عدة مؤلفات، منها:

- مجموعة خطب للعيدين.
- الحلية المباركة في مقام النبي الكريم.
- مكاتيب مولانا غلام محيي الدين.
- سلالة المرورة في تجويز أسماء مشهورة.

• نظم شاعرنا شعرًا عربيًا صوفيًا، وما توفر منه قصيدتان، يقول في إحداها:

الحـمـدُ لـلـه الـذي بـجـلالـهِ
أحـيـا الأنـام ودينـه بمحـمّـدِ
لـم يـخـلـقِ الـرحـمـن آدمَ والـذي
مـن نـسـلـه إلا أحـب مـحـمـد
رأسٌ عـلا فـي المجد رأسُ محمدِ
أذنٌ لـوعـي الـوحـي أذن مـحـمـد
عـينٌ رأت مـن خـلـفـهـا مـثـل الـذي
قـدّامـهـا عـيـنُ الـنـبـيّ مـحـمـدِ
فـتـبـارك الـرحـمـن أحـسـن خـالـقٍ
خـلـق الـعـبـاد عـلـى حـروف محمدِ
ظـلـت بـحـار الـكـفـر غـائـضـةً بـه
وتـفـجّـرت أنـهـار بـيـن مـحـمـد

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٤ ص ٣٢١.

فـد فـال حـسّـانٌ وقـولـي قـولُـهُ
فـي مـدح خـيـر الـعـالـمين محـمـدِ
مـا إن مـدحـتُ مـحـمـدًا بمقالـتي
لـكـنْ مـدحـت مـقـالـتي بمحـمـد
يـا ربّ أكـرمْـنـا وأكـــرمْ نُـزْلَـنـا
واغـفـرْ لـنـا وارحـــمْ بـحـقّ محـمـدِ

• ونظم الشاعر قصيدة أخرى في مديح رسول الله – عليه أفضل الصلاة والسلام – بشكل مختلف عن السابقة، وإن كانت في الموضوع نفسه، يقول فيها:

إمـــامُ الأنـبـيـاءِ حـبـيـب ربـي
شـفـيـقٌ مـشـفـقٌ حـــقٌّ هـــداهُ
رســـول الـلـه مـبـعـوثٌ لـكـل
إلـــى جـــنٍّ وإنـــسٍ مـا ســواهُ
مـحـمـدُ: مـيـمـه مـــوتٌ لـكـفـرٍ
ودالٌ خـيـرُ دالٍ لا اشـتـبـاهُ
شـفـيـعُ المـذنـبـين مـــلاذ قـــومٍ
ومـــن يـكـفـرْ بـه تَـبَّـتْ يـداهُ

• لا تختلف طبيعة الصوفيين عن بعضهم إلا قليلًا منهم، فتمجيد رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – هدف أساسي في نظمهم، وهذا المدح لا يخرج عما ورد في السيرة النبوية، فقط يقوم الشاعر بتنظيم تلك الأحاديث في قالب شعري، لا يدخل فيه الخيال الشعري الفني، ليصنع منه صورًا فنية بلاغية، وشاعرنا هذا من هذا النمط غير المتكلف، وليس فيه غموض في الأبيات، أو تناقض في الفكرة لأنها مستمدة من الأحاديث، حتى وإن كانت غير صحيحة السند، أو المتن، ولكن الشاعر يوردها تقربًا من الرسول الكريم.

****

غلام نقشبند اللكناوي

١٠٥١ – ١١٢٦ هـ / ١٦٤١ – ١٧١٤ م

• هو السيد غلام نقشبند بن السيد أحمد بن ضياء الدين ابن السيد يحيى بن شرف الدين بن نصير الدين بن السيد حسين العثماني اللكناوي[1]، ولد بقرية «كهوسي» سنة ١٠٥١هـ، الموافق ١٦٤١م، تعلم على يد المير محمد شفيع بن محمد مقيم الدهلوي، وأتم علومه وهو ابن ثماني عشرة سنة، ثم قرأ السنن والتفسير على يد بير محمد اللكناوي، وانتمى إلى الصوفية، وله مؤلفات منها:

- **له تفسير ربع القرآن الكريم، وتعليقات له على بعض التفاسير.**
- **فرقان الأنوار، واللامعة العرشية.**
- **شرح القصيدة الخزرجية، في العروض.**

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٦ ص ٢١٤.

• نظم قصائد ومقطعات، منها ما رثى به شيخه محمد شفيع بقوله:

خَليليَّ هل هاتانِ دارةُ جلجلِ
ودارة سلمى في قفاف عقنقلِ
عليها سواري المزن سحت مطيرة
فمحت مبانيها مُحوح المهلهلِ
أَرَبْعُ الحبيبةِ صار للوحش موطنًا
فيار عجبًا من صنع دهر محولِ
أمنزل سلمى عل تفرّج غمتي
وتكشف عما ظعن ذات التدللِ
على أي أرضٍ خيمت ذات هولة
تهول بوجهٍ كالضحى متهللِ
فمنذ غداة البين قد بتُّ في الهوى
بصدر جويٍّ أو بقلبٍ مقتّلِ
أعيني مهلًا عبرة الوجد والجوى
أثنكما أزمعتما اليوم مقتلي
وهل يدفع المبكى عيون ذوارفًا
إذا وجّهت سلمى ركاب التبتلِ
حبيب إذا ما جوَّد الغنج عينها
فيا للمهيمن لا حين معولِ
إذا لمحت من وجهها يوم برقت
فما المحي فيه واجد موئلِ
لها عارض تبريقه غير عارض
أسيل صقيل حسنه كالسجنجلِ
إلام تميتني وفيك تلون
وحتام تلهيني بوعد نحيلِ
مواعيد عرقوبٍ نقرمط بينها
كقرمطة النحلان نحل المنولِ
له همة عليا تنوف على السما
ومجد مجيد نيله لم يسهلِ
بجيل جليل من شفيع كاسمه
ومن جده خير الورى خير مرسل
ازهرة زهراء ووردة حيدر
ويهزأ خلقًا عطر دار التجملِ
لنور به الأفلاك والأرض نورت
وتشويد تسويد شرق مكللِ
إذا ما هداة الناس عدت فراسهم
وعاد بهم المقدام من كل أمثلِ
وبينا سبيل الحق يمشون ظلمة
إذا انبلجت شمس هداة فتنجلِ
معارفه جلت معاليه قد علمت
أشم جبال يا أفخم مفضلِ
لديه علة لا يرام فناءها
وأسرار لوحٍ في الأساريرِ تنجلي
ولم يؤثر الدنيا الدني نعيمها
وينعم عند الله أحسن مفضلِ
لقد دام بالرحمن حظ شهوده
تجني جنا العرفان غير معللِ
تجلى له في كل آنٍ تجليًا
لدينه تجلى الطور لم يتجملِ
ومن سره قد ذاق بعلول طاهر
السرائر منه فهو بالنور ممتلي

شفيعي ليوم الحشر حرزي وموئلي
ووجـهـة قـلـبـي غـوث كـل مـومـلـي
لـكـل عـصـام واعـتـصـامـي بفضله
كفاني قـوامـا ذات يـوم التجلجلِ
مـــآثـــره لا يـــهـــديـــن بـعـدهـا
ومحصي الحصا محصي الرمال وجندلِ
يـطـوف حـوالـيـه المـكـارم والـعـلـى
طـواف حـجـيـج حـول بـيـت مبجلِ

- قصيدة رثاء أبدع بها الشاعر غلام نقشبند، اتبع طريقة شعراء العرب القدامى، وشيد صرحًا مميزًا لرثاء شيخه، وكان هذا الصرح مملوءًا بالصور الفنية البلاغية، استعمل الألفاظ القديمة التي وردت في الشعر الجاهلي، مع بحر عروضي، وتناسق اللفظ والمعنى، وكان يسير سيرًا جميلًا يسعد القارئ والمستمع، على الرغم من أنها قصيدة رثاء إلا أنه حشاها بخياله الخصب، وبهجة النظم والإبداع.

- قرأ الشاعر غلام نقشبند الشعر العربي وحفظ قصائد من الشعر الجاهلي، ظهرت بعض كلمات امرئ القيس، وبعض ألفاظ القرآن الكريم مع خياله في صنع الصور الفنية، سبك الأبيات وتناسق اللفظ والمعنى أديا بالقصيدة إلى مستوى من النظم الجيد للقصيدة، وبالغ في خياله، ووصف المحبوبة، والوجد الذي أظهره من الفراق، أدى لحسن الوقع الطيب على القارئ، مع جمال العبارة وحسن التراكيب اللغوية، وطبع موسيقي خلال النغمات التي نظمها.

****

ق

فضل حق آبادي

١٢١٢ - ١٢٧٨ هـ / ١٧٩٧ - ١٨٦١ م

- هو الشيخ فضل حق بن فضل إمام الخير آبادي[١]، ولد في خير آباد سنة ١٢١٢هـ، الموافق ١٧٩٧م، التحق بوالده في دلهي، وهناك تلقى تعليمه في جميع العلوم النقلية على يد الشيخ عبدالقادر الدهلوي، والشاه عبدالعزيز الدهلوي، أما العلوم العقلية فتلقاها عن والده الشيخ فضل إمام، وأخذ الحديث من الشيخ عبدالقادر بن ولي الله الدهلوي، ودرس المنطق والحكمة والفلسفة وعلم الكلام، والأصول والشعر.

- كان ينظم الشعر العربي، وبلغت الأبيات التي نظمها أكثر من أربعة آلاف بيت من الشعر، عمل بعد تخرجه بالتدريس في دلهي، ثم ذهب على لكناؤ للتدريس أيضًا ثم عمل بمكتب المعتمد البريطاني، في دلهي، ثم ذهب إلى لكناؤ وتم تعيينه على مرتب صدر الصدور، ثم استقال وزار عدة مدن وعمل رئيسًا للمحكمة القضائية، مع رئاسة التدريس في المدرسة العالية في رامبور.

- كان للشيخ فضل حق نشاط سياسي حيث اشترك بثورة ١٨٥٧م، ضد الوجود البريطاني في الهند، وواجه بعض المعارضة من العلماء، إلا أنه استمر بالاتجاه الوطني، وكان دوره الوطني كبيرًا مما اضطر الإنجليز إلى نفيه إلى جزيرة «اندمان» وبقى هناك إلى أن وافاه الأجل المحتوم سنة ١٢٧٨هـ، الموافق ١٨٦١م.

- شاعر يغلب عليه الصنعة اللفظية، والمحسنات البديعية، ويتشبه بشعراء العصر العباسي في العناية بالسجع وحلاوة الألفاظ، وله قصائد في مدح رسول الله - عليه السلام - وفيها أيضًا كلام مسجوع، ومحسنات لفظية، ولكنه متأثر باللغة العربية، ويحب فنونها، وبلاغة مبانيها اللغوية، لذا يطرب من سجع الكلمات، أو المحسنات البديعية، والجرس الموسيقي فيها.

- من أهم القصائد التي نظمها قصيدته الدالية، التي يقول فيها:

لا تنصبغْ بهوى بيضِ الأماليدِ
فاخمر الموت في أجفانها السودِ
في غمز ألحاظها فتك الأسود وإن
حاكينَ ريمَ الفلا بالطرف والجيدِ
قد خاب من غازل الغِزلان يأملها
وساد من رام أنس الريم في البيدِ
دعِ المراشفَ واستعذ بهنَّ ففي
تلك العذاب عذاب غير مردودِ
كم في هوى الحور من حورٍ وكم يهوى
نواعس الطرف من هم وتسهيدِ

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٧ ص ٣٨٣. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٤ ص ٥٥٥. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٢٤٣. نثار أحمد الأعظمي ص ٢٩.

فلا يروقنَّك لين في معاطفها
إنَّ القلوب لمن أقسى الجلاميدِ
يبكي المشوّق بعبراتٍ مورّدة
ما في مياسمها من حسن توريدِ
إنَّ العقائلَ يعقلن العقول ولا
يعقلن مقتولهنَّ المهلك المودي
أشفارهنَّ شفارٌ بل أحدُّ ظُبا
ومرسل الصدغ أحبول التقييدِ
فيهنَّ قبل التصابي ذلٌّ مبتهلٌ
وبعد صيد المعنّى عزّة الصيدِ
قد صادني نابل يرمي بلا خطأ
ويلاه من عامدٍ في قتل معمودِ

• ثم يأتي إلى الحديث عن رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – ومدحه، بقوله:

ما أطيبَ العيش لولا أنَّ مرجعَهُ
عما قريبٌ إلى قبرٍ ويلحودِ
صرفتُ ريعان عمري في هوى وودٍّ
وما لذلك من عذرٍ وتمهيدِ
فلا ملاذ سوى خير الورى جمعًا
في الخلقِ والخُلُقِ والإنسان والجودِ
ولذا نجيد بمغناه الرحيب تفر
فكم بمغناه من جود بمنجودِ
جداه نقد لمن يأتيه معتفيًا
فكم هناك من قودٍ لمنقودِ
ماضي الحدود مراعيها يجود على
المحدود عفوًا بعفوٍ غير محدودِ
أحمي الصناديد مأوى الناس مفزعهم
إذا يفزعون لأهوال من صناديدِ
هو الشهيدُ عليهم والشفيع لهم
في يوم هولٍ شديد الهم مشهودِ
اختاره الله محبوبًا وأرسلهُ
لرحمته والإرشاد وتسديدِ
لأمةٍ قد تمنى الرسل لو حسبوا
منها على ما روى أهل المسانيدِ
فاق النبيين طرًا في الكمال وفي
الجمالِ والعزم والإجمال والسودِ
قلا يدانيه موسى في العروج ولا
في اليمن عيسى وفي الملك ابن داودِ
ولا ابن يعقوب حسنًا والخليل قرى
ونوح عزمًا لدى نصحٍ وتهديدِ

• نلاحظ تلاعبه بالألفاظ، واستخدامه للمشتقات اللغوية، في عمل سجع وجناس وصوت موسيقي في الأبيات، مما جعل أبياته استعراض لغوي للمفردات المعجمية، وله أيضًا قصيدة ميمية في مدح الرسول – عليه أفضل الصلاة والسلام – وهي بالطريقة نفسها، وتتكون من خمسة وتسعين بيتًا من الشعر، يقول فيها:

فؤادي هائمٌ والدمع هامي
وسهدي دائمٌ والجفنُ دامي

فقلب ما فتى بجوى ولوع
ولوع في اضطراب واضطرامِ
وطرفٌ أرمدٌ يوذيه غمضٌ
وليلٌ سرمدٌ ساجي الظلامِ
طويلٌ لا يقاس به زمان
فساعته كشهرٍ بل كعامِ
كأنَّ كواعب الجوزاء نيطت
بأجفانٍ دوام بالدوامِ
حِمامي حاضرٌ والوجد باد
وجسمي ذابل والشوقُ نامي
سرى فيَّ الغرامُ فصار غرمًا
وذاك الغرامُ من أوهى الغرامِ

• كانت هذه مقدمة القصيدة، ولكنها في مدح رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم –، وقد أخذ الغزل والنسيب خمسين بيتًا، ثم يأتي على ذكر الممدوح، رسول الله، فيقول:

شفيع الخلقِ أحمدهم جميعًا
حميد الخلق محمود المقامِ
سما من في السما والأرض فخرًا
فليس له سمي أو مسامِ
مشاع الفضل منقسم العطايا
وما للفضل فيه من انقسامِ
فليس له عديلٌ في اعتدالٍ
وعدل أو قسيم في القسامِ
محى وحمى أباطيلاً وحقًّا
فما أعلاه من ماحٍ وحامِ
حمى وسما فما حامٌ وسامٌ
يَليهِ في بني حَامٍ وسامِ
شواهد صدقه حجج رواها
مسلسلة إمام عن إمامِ
كلام بهائم وحنين جذعٍ
ونطق الحصى وتسبيح الطعامِ
بمولده هوى إيوانُ كسرى
وأشرف ما بناه على انهدامِ
فعاد بصدعه كسرى كسيرا
وألصق أنف كسرى بالرّغامِ
بدا نور فبصَّر دون بُصرى
لأعين قاطني البلد الحرامِ

• تفنن الشاعر في التقاط الكلمات المتشابهة من المعجم اللغوي، وأضاع ثمرة المديح النبوي، فأصبحت القصيدة استعراض لمقدرته على اختيار اللفظ ومشتقاته ليودعها في أبياته الشعرية، فكانت له قدرة عجيبة في ذلك، وهذا يدل على تمكنه من حفظ الألفاظ المختلفة، والمتماثلة، فكان السجع والجناس والطباق والتمثيل وغيرها هدفًا للشاعر.

• استخدم الشاعر بحور الخليل، وألفاظ المعجم، وصفّها صفًا ففقدت رونقها وجمال لفظها، وأبدع في بعض الصور الفنية، وجنح خياله نحو اللفظ، وأهمل المعنى

المتسق مع اللفظ، وكان لغويًا حافظًا لألفاظ اللغة العربية، ولكنه استعملها لإخراج قدرته على استنباط المعنى من خلال ضبط إيقاع الحروف مع بعضها، ولكن بشكل بعيد عن الموسيقا العذبة، على أصوات متضاربة.

- لا شك أن السجع والجناس والجرس الموسيقي في القصيدة تبين جمالها، ورونقها إذا وظّف الشاعر تلك المحسنات البديعية توظيفًا معتدلًا جميلًا متناسقًا مع الألفاظ الأخرى، فهذا مطلوب، وجزء من جمال اللفظ والموسيقي، ولكن الإكثار من المحسنات يُفقد القصيدة رونقها واعتدالها، ويضيع الهدف منها في خضم تلك الكثرة الكثيرة من المحسنات.

****

فضل محمد السواتي

١٣٣٧ - ١٤١٩ هـ / ١٩١٨ - ١٩٩٨ م

- ولد الشيخ فضل محمد بن جان محمد الصديقي السواتي[١] في مديرية سوات سنة ١٣٣٧هـ، الموافق ١٩١٨م، درس المراحل الأولى في بلدته، ثم ذهب إلى مدينة ديوبند، وهو في العاشرة من عمره، ودرس على أيدي علمائها، ودرس اللغة العربية والفقه والأصول، والحديث النبوي، وكان من بين أساتذته الشيخ حسين أحمد المدني، والشيخ محمد إعزاز علي، والشيخ أصغر حسين، وغيرهم.

- بعد تخرجه عمل مدرسًا للعلوم الشرعية واللغوية بمدرسة قوة الإسلام في مدينة دهكام، ثم عمل في بلدته أعوامًا، وبعد ذلك يمم تجاه كراتشي وعمل معلمًا في دار العلوم عدة سنوات، ثم ذهب إلى مدينة بنوري تاون ليعمل في جامعة العلوم الإسلامية، وفي أخريات حياته عمل إداريًا في مدرسة مظهر الإسلام حتى وفاته سنة ١٤١٩هـ، الموافق ١٩٩٨م.

- ما بقي من قصائده قليل، وضاع معظم ما نظم، على الرغم من قوة نظمه، وله في المديح النبوي لكونه عالم دين، وله نصائح وإرشاد، كما أن له مراثي، ويقول في قصيدة له مقصورة يرثي بها أستاذه الشيخ محمد شفيع عثماني، يقول فيها:

الشمسُ والقمرُ المنيرُ إذا تلا
والبرقُ والنجمُ المضيء إذا هوى
مرّيخ شعري والثريا جَدْيها
والقطبُ والجوزاء في وسطِ الدجى
وطلوعُها وغروبُها ورجوعها
وشروقُها ورواحُها ثم الضحى
وغدوُّها وعشيُّها وأصيلُها
والليلُ في حلل الظلام إذا سجى

(١) مؤسسة عبدالعزيز البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٤، ٥٥٧.

كلٌّ تناديـنا بأعلى صوتها
إنا خُلقنا للفنـــاء وللعَـنا
نجمُ الهدى ورّاث علم نبوّةٍ
غربوا وغابوا في جلاميدِ الثرى
فإلامَ تهوي في عمايات غفلةٍ
أولستَ تدري أن موتك قد دنا
وإلامَ في نسج العناكب تقتني
وإلى متى لا ترعوي وإلى متى؟
لا دارَ بعد الموتِ يسكنُها الفتى
إلا التي قبلَ الممات له بنى
أوما سمعتَ بوقعِ رزءٍ هائلٍ
فُتّتْ به الأكبادُ وانصدع الحشا
واغبرّت الخضراءُ وانكدرت بنا
تاهت من الأهوالِ ألبابُ الورى
فهوى منار العلمِ والتقوى معًا
فتزلزل الأكوانُ من فَرْط الشجا
فخرُ العلا طودُ الهدى علمُ التقى
جَمُّ المناقبِ كهفُ أرباب الحِجا
يا وحشةَ الإسلام يومَ وفاته
يا غربةً للمسلمين إذا انقضى
من للسياسة والسيادةِ إذ بدت
أسدٌ عظامٌ في ميادين العِدا
أو للفتاوى والمعارفِ إذ عرت
بالدين مشكلةٌ ومعضلةُ العمى
أو لدغةٌ أو لسعةٌ أو لفحةٌ
أو خطفةٌ أو غارةٌ بيد الهوى

أو حيرةٌ أو وحشةٌ أو آفةٌ
أو نزغة السطواتِ من أهل الغوى
من للتقيِّ وللرفيع وللرضيْ
ومن الشفيعُ لهم إذا ناب الأذى؟
لا غروَ أن دفنوه تحت حُفيرةٍ
بين الجنادلِ في «الكرنجي» والفلا
فعلومُه وفيوضُه وعيونُه
الباقياتُ الصالحاتُ بلا مِرا
وصفاتُه وسماتُه وصلاتُه
آياته العَبقات من فوق الذرا
أقوالُه أفعالُه أحوالُهَ
لدلائل الخيرات في آفق العلا
دارُ العلوم وكلُّ تصنيفاته
من فيضه الجاري على أهل النهى
باللهِ قلْ لي كيف يفنى عالمٌ
حيٌّ له عملٌ على صفح الدنا
صبرًا عليكم ثم صبرًا يا تَقيْ
يُ ويا رفيعُ وذاك منكم يُرتجى
فالموتُ آتٍ كلّ حيٍّ لا يُدَفْـــ
فَعُ بالسيوف وبالجيوشِ وبالقَنا
يا ربِّ فاغفرْهُ ونوِّرْ قبره
أمطر عليه من شآبيب الرضا
وحباه روضاتِ الجنان بفضله
وسقاه مختومَ الرحيق وما صقا
حَيّاه عن وجه البشارة قائلا
يا ضيفَنا أهلًا وسهلًا مرحبا

• هذه القصيدة جيدة من حيث الوزن والقافية، وأخرج الشاعر ما بداخله من أسى في فقد شيخه، وفيها توجيه للناس بعدم الاغترار بالدنيا وزينتها، فالكل سيواجه الموت، ولكن الخيال قليل بها، فهي عبارة عن افتراضات يوجهها للناس، ولكن الشاعر كان موفقًا في اختيار الألفاظ وترتيبها في أبيات شعرية. وله أيضًا قصيدة نصح وإرشاد وتوجيه للشباب خاصة، يقول فيها:

إلى الأجداث بادر قم بادرْ
فعمرُك غادرٌ والعيش هاجرْ
تأهبْ للرحيلِ وجمعِ زادٍ
إلى صوتِ القبورِ غدًا تُسافر
فيذهبُ حسنُ وجهك بعد ضوءٍ
ويبلى جسمُك العلجُ المفاخر
يصير القحفُ للديدانِ كأسًا
تسيلُ على خدودك كالعساكر
فسلطانُ الزمانِ حذاءُ موتٍ
أسير العجز مكسورٌ المغافر
وإيوانٌ لقيصرَ أو لكسرى
كبيت العنكبوتِ لدى الدوائر
فهذا الموتُ لا يرثي لباكٍ
ولا هو من أنين الثُّكل فاتر
إلى كم ذا التغافل والتناسي
لأحياء تساق إلى المقابر
مضى لسبيله بحر خضم
لأنواع المعالي والجواهر
إمام سيد مولى همام
فداء أبي وأمي والعشائر
فمن ذا مثله في أهل بيـ
ـت الرسول ومن له تلك المفاخر
إلهي فاسقه كاسات خلد
مضيف أنت وهو لديك زائر
ونور قبره وارحمه واغفر
بفضل واسع للعبد سائر
بجاه نبيك الهادي أغثنا
ووفقنا لتعميل الأوامر

• هذه قصيدة انذار لمن يعتقد أنه باقٍ في الحياة بطول سنين عديدة، ولا يفكر في الموت، ولا يتعظ من الحوادث المؤلمة، التي يمر بها الإنسان، فهو في لهو ولعب، ولا يدرك أن الموت أمامه بطريقة عادية، أو بصورة مفاجئة.

• وله قصيدة رثاء في أحد أساتذته، يقول فيها:

قفا نبكِ من ذكرى جليلٍ مبجّلِ
توارى بواد في ضريحٍ مجندلِ
بمنعطف الأتلال في الأيك حوله
قبور كأكم بالكديد المركلِ
ضعا الخد والصدر الكئيب بقيره
وبثا دماء من فؤاد كهطلِ
وبكّا فما يغني البكاء لفاقدٍ
ولكن جوى يشفيه بعض التبللِ
على ماجد سهل العريكة نافع
كريم المحيّا بارع متهللِ

وليت العدى مادي المكارمِ والعلى
وغيث نداء محصب كل ممحلِ
زكي له قلبٌ نقي منور
قنوت الدياجي للملمات مجتلي
وقرمُ أبيّ سيد ومسود
ومجد أصيل بالمعالي مكللِ
تمادى بإحياء العلومِ ونشرها
يتابع آثار الهدى غير مؤتلِ
فيا عجبًا طود تغيَّب في الثرى
مضى بان عنا قيادة هيطلِ
وقد خلّف الأحباب في لجج النوى
وأجج نيران الفراق المهوّلِ
فيا مؤنس الأحباب يا معدن الوفا
فمن للعيون الجارياتِ كمنهلِ
ويا ملجأ للعلم والحلم والهدى
فمن لعطاش العلم في كل مشكلِ
ومن للبكاة قاسم ثم طيبٌ
وذي المجد عبدالله ناقف حنظلِ
وماذا يسلي الشيخ طود فضائل
فكلكله بالحزن يغلي كمرجلِ
ومن لحبيب الخلق يوسف دهره
نجي هموم من فقيد مؤثلِ
وإن مت همًا في ملمة سيدي
فلم أوف حقًا واجبًا لمعوّلي
وإن قيل مجنون فجنني النوى
وإن قيل مسقام فذا لتململي
غفلنا وحادي الموت يحدو بإثرنا
ينادي المنايا من علو وأسفلِ
سقى الله مثواه بأمطار لطفه
وأنزله عزًا بأطيب منزلِ
وصلّ على خير البرايا وآله
وأصحابه وارخم مذللِ

- قصيدة رائعة اقتفى بها شعراء العصر الجاهلي، وضمنها بعض التعبيرات من شعرهم، وكان خياله واسعًا، وقدرته اللغوية قوية، وسبك القصائد دقيق، وصنع بفكره صورًا فنية بلاغية، وحافظ على الموروث العربي من بحر عروضي وقافية موحدة، وللموسيقا دور في جمال وحلاوة القصيدة، مما يدل على تمكنه من النظم وأدواته، أسلوبه كان عظيمًا، واستطاع أن ينسق بين اللفظ والمعنى.

- استخدم الشاعر بحرًا عروضيًا، وألفاظًا معبرة استعملها في معنى محدد، وهدفه واضح، الرسالة في هذه القصيدة واضحة المعالم، لا غموض فيها، ولا معاضلة للألفاظ، فهو شاعر ناصح ويشفق على اللاهين في الحياة، لا يهتمون بمواجهات أعباء الحياة، أو العمل للآخرة.

- استعمل قافية ذللًا، وألفاظًا مناسبة للمعنى، وواضحة المعالم، وكان يستخدم الخيال، مع واقع الناس، وعمل بعض الصور الفنية الجيدة، ولا شيء غير عادي في شعره، فله موهبة شعرية فذة، ومع ذلك استخدم الألفاظ

بشكل عادي، ومتفقة مع المعاني، ويبدو أنه حفظ آلاف الأبيات من الشعر العربي، وخاصة القديم، كما الحديث أيضًا.

****

فضيل الجلال الكالبوي

٠٠٠ - ٠٠٠ هـ / ٠٠٠٠ - ٠٠٠٠ م

• هو الشيخ فضيل بن الشيخ جلال الواصل[١]، ولد في كالبي، ولم يعرف تاريخ ولادته، ولكن ذكر أنه عاش في القرن العاشر الهجري، أثنى عليه بعض كتاب الأدب، ولكن المعلومات عنه شحيحة، وقد ذكر أن له تقريظ على كتاب» سواطع الإلهام» لأبي الفيض بن المبارك الناكوري، منها هذه الأبيات:

كلام كليم أم كلام ابن مريم
أدر لبحر القدس غير منظمِ
أم الورد ورد عطر فاق عنبرًا
ومسكًا وكافورًا وكل مشممِ
عجيبٌ غريبٌ معجز أهل عالم
صنيعٌ بديعٌ ما تحداه ذو الفمِ
فصاحته أمحت فصاحة صاحب
بلاغته أنست بلاغة ملهمِ

• من خلال هذه الأبيات القليلة تتضح شاعرية الشيخ فضيل، فله قدرة على قرض الشعر العربي، مع إمكانيات جيدة للتعبير عما يجول في خاطره، وضن علينا المصدر بغير هذه الأبيات، استخدم بحرًا من البحور القديمة الخليلية، مع قافية ذلل، واستطاع أن يقرظ الكتاب المذكور، واستعمل ألفاظًا مناسبة للمعنى، وتناسق بين اللفظ والمعنى، ولكن الخيال بسيط، لأن الأبيات قليلة، والخيال يحتاج إلى أوسع من ذلك، والكلمات والجمل التي استخدمها عبرت عما يريد الشاعر فضيل أن يقوله في هذا المجال.

****

فيض أحمد البدايوني

١٢٢٣ - ١٢٧٤ هـ / ١٨٠٨ - ١٨٥٧ م

• هو الشيخ فيض أحمد بن غلام أحمد بن شمس الدين بن محمد علي العثماني الأسدي[٢]، ولد في مدينة بدايون سنة ١٢٢٣هـ، الموافق ١٨٠٨م، تلقى العلم المنقول والمعقول

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٥ ص ٣١٧. زبيد أحمد، الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص ٤٤٥.

(٢) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٢٤٢. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٢. عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٧ ص ٣٨٩. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٤ ص ٦٢٥.

على يد خاله، فضل رسول بن عبدالحميد البدايوني، وأخذ من جده من أمه، الشيخ شاه عبدالمجيد الفضل التصوف والتقوى وطريق السلوك والإرشاد.

- بعد استكمال دراسته عين بإدارة الإنشاء ببلدة الله آباد، وعلّم السير وليم ميور حاكم الولايات الشمالية اللغة الفارسية، وكان يساعد في التأليف والتصنيف، ثم ترجم قانون الضرائب إلى الأردو، ويساعد الحاكم في تتبع الدلائل والشواهد في التأليف وتصنيف الكتب. وكان من الذين يقاومون الوجود الإنجليزي في الهند، ويسعون لاستقلالها، وذهب مع الدكتور وزير خان إلى دلهي وأخذ مناصب ذات أهمية في الحركة، وبعد سقوط دلهي، ذهب إلى روهيل كهند، ثم خرج إلى غيرها واختفى أثره. وله بعض المصنفات، منها:

- **حاشية على شرح هداية الحكمة للشيرازي.**
- **حاشية على فصوص الحكم للفارابي.**
- **كتاب تعليم الجاهل، ردًا على «تفهيم المسائل» لبشير القنوجي.**
- **ثلاثة دواوين شعر؛ باللغة العربية، والفارسية، والأردية.**

- ومعظم ديوانه العربي قصائد في مدح السيد عبدالقادر الجيلاني، ومن شعره قصيدة تائية يقول فيها:

لا يُـفـزِعَـنَّـك أنـــواءٌ وسـاعـاتُ
ولا يـهـمَّـنْـك أيـــامٌ ولـيْـلاتُ

ودَعْ من الظنّ ما تُنْبِي النجومُ به
فـإنـهـا لـوجـود الحـــقّ آيـــاتُ
ولا تَـعَـلَّـقْ بـهَـجْـو الـدهـر والشُّـهُـرِ
فـإنمـا هـــيَ أوقـــاتٌ وآنـــاتُ
ونـادِ شيخك واستشفعْ بـه عجِلا
ولا تـؤخِّـرْ ففـي الـتـأخـر آفـاتُ
تـبـاركَ الـلـه لا صَـحْـوٌ ولا سَـكَـرٌ
فإنها من كـؤوس الـوصـل نشْـوات
وجَمعُ جمعٍ وجَمعُ الفَرْقِ والجُمَعِ
لـه عـن الـلـه أحـــوالٌ عليّـــــاتُ
ومـن يـعـاديـه تـلـك الـنـار مـوعـدُه
حـيـاتـه ومـوتـه والحـــيُّ حـيّـات
رأي الإلـــه بـعـين الحـق مـوجـودًا
ولـيس طُـورٌ ولا شـرطٌ ولا ميقاتُ
جِـوجًـا لمـن كـان مـحـتـاجًـا ونـاداه
فليس يبقى له في الدهر حاجاتُ
بـكـل حـــينٍ وآنٍ ذكـــرُه فـرضٌ
لا كـالـصـلاة لـهـا شـرطٌ وأوقـاتُ
نـورٌ مـن الـلـه فـي الآفـاق منتشرٌ
مصباحه صبحة والشمس مشكاةُ
مُـلْـكُ الـسـمـاواتِ أجـرامٌ مـنـوّرةٌ
يـحـملـنَ أنـواره فـهـي الـزجـاجـاتُ

وليس غيرك موجودًا ومشهورا
فكيف أنعي ونفسي الغير إثباتُ
أخرجتَ جمعًا من الأحياء أحياءً
من بعد ما غرقوا في البحر بل ماتوا
وسيف قهرك لا يبقى ولا يذر
ولا يكون لسيف الله نبواتُ
متى ولدت بأرض الله ياغوثي
تريد أن تلثمَ الأرضَ السماواتُ
ومن رأك رأى المختار من مصر
ولا هنالك مرثى ومرآتُ
وكان في مجلس التذكير شمس هدى
وحوله أولياء الله هالاتُ
ألحاظه أسيوف أم بروق دجى
ألفاظه أم عقود لؤلؤاتُ
كلامه أم شذى مسك وكافور
أنفاسه أم من الأعجان نفثاتُ
بغداد ويمن الإيمان فيه من الر
حمن تنبث أنفاس ونفحاتُ
وكل قطر من الدنيا له طور
وكل وقت له للوصل ميقاتُ
عليه من ربه لطف ومغفرة
إليه مني تحيات زكياتُ
ويوم حشر من الأعمال إن سألوا
أقول لي في مديح الشيخ أبياتُ

• عبر هذا الشاعر عن حبه للسيد عبدالقادر الجيلاني، بكل شفافية ومحبة، وأخرج ما في قلبه من مكانة كبيرة تجاه الشيخ عبدالقادر، واستخدم القافية الذلل، وبحرًا عروضيًا قديمًا، وألفاظًا مناسبة للفكرة، وهي تكريم السيد الجيلاني، وقد أكثر من الإطراء، والمديح، والمبالغة في هذا الوضع محمودة.

• وللشاعر قصيدة في مدح رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - يقول فيها:

ملك الورى بكماله وهب الهدى لرجاله
سمح العلى لعياله قطر الندى بنواله
برع العوامل كلها ملك المكارم كلها
جمع المحاسن جمعها بجماله وجلاله
خرق الحجاب فلا هناك حاجب وممانع
شرب الكؤوس على الكؤوس مرة بوصاله
بلغ الأقاصي والأداني رشح بحر فيوضه
أسف على أسف على متكبر وضلاله

• تمكن الشاعر فيض أحمد أن ينقل بصدق مشاعره تجاه السيد عبدالقادر ورسول الله، ولكن نظم أبياتًا في حق الجيلاني أعظم مما نظمه في حق رسول الله، وارتبط بالوزن والقافية الذلل، وكانت ألفاظه معبرة عن هدفه من

القصيدة، وله قدرة على النظم العربي باتباع نظام النظم، ولكن الخيال كان بسيطًا، وغير مجد، وتناسق الألفاظ مع المعنى كان جيدًا، وإطالة الإطراء بحق السيد عبدالقادر غير مطلوب، ولكن قد يكون معذورًا لحبه له.

- قصيدة مديح عبدالقادر فيها تكرار للمعاني، ووضعه في مكان لا يصل إليه حتى الأنبياء، وقال: يجتمع حوله الأولياء، وهذا غير مستساغ، ويذكر له كرامات دون دليل، ولكن الشاعر أدى دورًا في الرثاء، ولم نر أبياتًا أخرى، حتى يكتمل النقد بأركانه، ونرى غير الذي قلنا.

****

فيض الحسن السهارنبوري

١٢٣٢ - ١٣٠٤ هـ / ١٨١٦ - ١٨٨٦ م

- هو الشيخ فيض الحسن بن علي بخش بن خدا بخش القرشي الحنفي[١]، ولد في سهارنبور سنة ١٢٣٢هـ، الموافق ١٨٨٧م، درس على يد والده الكتب الدراسية العربية والفارسية، ثم سافر إلى رامبور وأخذ العلم من الشيخ فضل الحق بن فضل إمام الخيرآبادي، ثم ذهب إلى دلهي وتلقى الحديث من الشيخ أحمد سعيد العمري الدهلوي، ودرس الطب على يد الحكيم إمام الدين، وتعلم النظم الشعري على يد الشيخ إمام بخش الصهباني.

- عمل في التدريس، وبعد ذلك امتهن الطب، ثم عمل في جمعية العلوم الطبيعية مترجمًا للكتب العربية والأردو، ثم عمل في الكلية الشرقية بلاهور رئيسًا للقسم العربي، وقد خرج بعض العلماء في فن الشعر، أمثال شبلي النعماني، وألطاف حالي، والسير أحمد خان، والشيخ حميد الدين الفراهي، والشيخ وحيد الدين سليم، والشيخ عبدالله التونكي، وغيرهم.

- كان مفسرًا للقرآن الكريم، ومعلمًا للأدب والنحو الصرف والأشعار، وأيام العرب، وكان محبًا للتدريس وللغة العربية وفنونها، وعمل في التدريس بالكلية الشرقية سبعة عشر عامًا حتى تقاعد، وانتقل إلى رحمة الله سنة ١٣٠٤هـ، الموافق ١٨٨٦.

- له عدة دواوين شعرية، ومنها قصيدة في مدح رسول الله - عليه أفضل الصلاة والسلام - يقول فيها:

يـا مـن يَـلـوذُ بـه الـكـرامُ لاذو
مـا لـي وراءك مـلـجـأ ومـلاذُ

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج ٨ ص ٣٦٦. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٤ ص ٦٢٦. نثر أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٦٣.

لا يرتجى جود الغوادي مرتع
من بعد ما أرواه منك رذاذُ
حملتُ وزرًا من ذنوبه جمة
إن حطّ عن حاذي يخف الحاذ
لا ينبغي لك أن تصيبك زلة
إذ أنت معصوم وأنت معاذُ
كبدي تقطع خشية ومخافة
فدموع أملاقي بها أفلاذُ
بل ابرهنّ ولا أفوز بمطلبي
كلا وإني سائل شحاذُ
في النفس حاجات كتمت ولم أقل
لك أن تقول إليك يا سرباذُ
ما مقصدي من دون طيبة بلدة
ولرب نفس قصدها بغداذُ
ويل نفس لم تزرك تهاونًا
ولا بل لها ولمثلها الفولاذ
وأنا الذي مازلت حولك عاكف
لولا على نفسي استحواذ
نحن العتاة ولا صريح لنا فلا
إلا عليك الفك والإنقاذ
الأمرُ أمرك ما تقل ولفعل فما
إلا إلى الأمر والإنقاذُ
طوبى لمن يسعى إليك وما لهم
ظهر وقد ثقلت لهم أفخاذُ

من قال إنك ميتٌ ولا يرتجى
فليقطعن لسانه الأستاذُ
من لم يلذ بك بات في تيه الهواء
ونجا الذين من الهوى بك لاذوا
لن يبلغ المطلوب دونك جاهدًا
شهم ذكي أروع نفاذُ
لو كنت لي ما كنت زير نواعم
كانت بها لي بهجة ولذاذُ
لو كان قربك لم يكن فيما مضى
سي وبين الصالحات خواذُ
فاليوم حظي حسرة وندامة
والعين عبرى والفؤاد جذاذُ
ما لي وراءك من يفرج كربتي
ويزيحها حتى الخليل الماذُ
ولأنت حبلٌ لا انفصام له به
يستمسك الأشراف والأنباذُ
صلى الإله عليك خير وسيلة
ما دامت الحلال والشذاذُ
أهدي إليك من الصلاة هدية
في ليلتي وإنني هذاذُ

• على الرغم من أن قافية الذال صعبة إلا أن شاعرنا استطاع أن ينظم قصيدة مدحية كاملة بهذا الحرف، مما

يشير إلى قدرته الكبيرة في النظم والتمكن من تجميع الألفاظ المناسبة لهذه القصيدة. وله قصيدة أخرى بحرف الخاء، وهو حرف صعب ايضًا، يقول فيها:

إذ أحسن سلمى ليس عنها برائحِ
فيا حبها زدني جوى في جوانحي
أرى حبها روحي وقد سيط من دمي
فما دمتُ حيًّا ليس عني يبارح
كان فؤادي جذوة من جذى الغضا
وعيني غرب من غروب النواضح
مل العين عين لم يفر قط ناءها
ولو فار سالت فورة بالأباطحِ
تحنُّ إليها إذ تحن مُهيجتي
ونسعى إليها حين تسعى جوارحِ
شربتُ كؤوس الحب تترى ولم أبل
فها أنا أذري كل سكران طافحِ
هنيا مر بالي بتاريخ شوفها
فلا برحت من قبل نوح النوائحِ
دعوني ووجدي ما أبالي بلائمِ
وزدني ومالي ما أصيخ لناصحِ
جزى الله عني من يريد أذيتي
فيغري بمثلي كل قال وكاشحِ
ولولا الهوى ما كنت صبًا متيما
ولولا الهوى ما طوحتني الطوانحِ

تركتُ لها أهلي وسهلي فإنني
كبير بقفرٍ بلقع وهي نازح
أبثُّ لما في البث روح ولم أكن
أبوح بأمر فاضح غير واضحِ
فإن كان ذكر البيض حلوًا فذكرها
ألذ وأحلى من سلاف وناصحِ
يقولون لي من غير علم وحجة
على وهم من بين قالٍ وناصحِ
نقاسي همُّ للحسان النواعمِ
وما لك من يوم لديهن صالحِ
نعم ليس لي منهن حظ ولا أرى
لديهن يومًا صالحا من مصالحِ
وإني امرؤ لا أبتغي ما يباح لي
فكيف بأمر بين الخطر طالح
أخاف مقامي عند ربي وأرتجي
شفاعة حبي يوم كشف القبائحِ
شفيعٌ كريمٌ جلَّ عن وصف واصف
ويقصر عما فيه اطراء مادحِ
هو العروة الوثقى ومن يعتصم به له
يجد عصمة من قاصم الظهر فاضحِ
ومن ضل عنه ضل عن سنة الهدى
ولما يصب من رأيه غير راجحِ

عليه صلاة الله طلًا ووابلا
مدى الدهر ما غيث الورى بالدوائحي

• أبدع الشاعر في مديح رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم – حيث نظم قصائد على حرفي الذال والخاء، وهما من القوافي الحوش الصعبة التي نظم بها شعراء العرب ولكنهم لم يفلحوا في نظم قصائد جيدة فيهما، غير أن شاعرنا استخدمهما ونجح إلى حد ما في نظم قصائده، وهذا يدل على تمكنه من اللغة، والقدرة على تذليل كل صعب.

• للشاعر قصائد أخرى جيدة السبك، وقوة النظم، منها قوله في قصيدة هائية، أي من قوافي النفر، يقول فيها:

أشكو إلى الله بيضَ الناعماتِ غدًا
مما فعلن بأمثالي وأشباهي
لي صاحب من فؤادي لا يفارقه
حبُّ النواعم دون المال والجاهِ
يَنهَى عن الخير والحسنى ويأمرني
بالسوء ويلٌ له من أمرٍ ناهِ
قد ضقتُ ذرعاً وصدري من حريق هوى
يغلي كما بات يغلي مرجل الطاهي
حبُّ النواعم داء لا دواء له
وقد تعيَّا به ذو فطنة واهِ

• بعد تلك القوافي الصعبة نأتي مع شاعرنا الشيخ فيض الحسن إلى قوافي الذلل، وفيها إبداعه، ففي قصيدة له على حرف الباء، يقول فيها:

بُليتُ ولم يكد يبلى شبابي
فنيتُ ولم يزل عني حبابي
أحبُّ نواعمًا وأحيد عما
يراد فلا أحيد عن التصابي
ألاعبهنَّ قم أبيتُ ليلي
على لهو بجارية كَعابِ
أقبِّلُ ثمّ أرشفُ مُستلذًا
وما شيء ألذُّ من الرضابِ
أطيبُ بها وكيف أطيبُ عنها
على وجدي وما أدراك ما بي
وحورٍ قد خلوتُ بها خليًا
نشيطًا باتَ في طيبٍ وطابِ
فعدتُ تقول لي لازلتَ حيًّا
ولا سُلت ثيابك من ثيابي
لهوتُ وما صحوتُ وعدتُ ألهو
ولا ألهو وقد صفرت وطابي
فهل داء كدائي إذ عراني
وهل قلب كقلبي إذ طحا بي
طحا بي قلبُ صبٍّ مستهامِ
شديد الوجد مَتبولٍ مصابِ

هـوت أمـي هـويـتُ إلـى حسـانِ
سـقـاكِ غـوادٍ مـا بـقيت هـواطلُ

فـدأبـي حـبـهـنَّ وبـئـس دابـي
وآخـر دعـوانـا أنعمي ثُمّتَ أنعمي

وأصـطـاد الـظـبـاء ولا أبـالـي
عفاكِ البلى حتى نكِرناكِ بعدما

وقـد نـاب البِلى ظفري ونـابـي
عُرفت ولـم نـعرفك قبلَ التوهمِ

ومـا كـاذبـتُ نـفسي مـذ تمنت
كـأن لـم يكن عـهدٌ لنا بـك سابقًا

ولـيتَ الـصدق لـي في ذا الـكذابِ
ولـم نـكُ يـومًا فيك نلهو ونرتمي

لـعـمـرك طـالمـا أوجـفـتُ فيـها
كـأنّ لـم يكن فيك اصطفاف مزاهر

فـلا خـيـلـي نـفـدنَ ولا ركـابـي
ولـم تسقنا كاساتها ذات مبسمِ

أرانـي غـيـرَ صـاحٍ عـن هـواهـا
ولـمـا تـبـسـم عـن أقـاحٍ مـنـور

فـأنَّـى أوبـتـي ومـتـى مـتـابـي
ولـما تمس فينا بكشح مهضمِ

فـلا أنـا أبـتـغـي مـرضـاة ربـي
كـأن قـيـنـة عـزَّافـةٌ لـم تـغـنـنـا

ولا أنـا اتّـقـي يـومَ الحسابِ
ولـم تـلـهـنـا عـنـا بـحسن الـترنمِ

فـإن لـم يـهـدنـي ربـي ويـرحـم
فـيـا لـكِ مـن دارٍ عفتها روامسٌ

رسـول الـلـه يـدركـنـي عـذابـي
ولـو كـان فـيـهـا أهـلُـهـا لـم تـهـذّمِ

على رحيلها كانت تضيق إذا انتجى
بها الناس لا يبقى بها وضع سمسمِ

• قصيدة رائعة غزلية لشاعر هندي، أبدع بها، وأظهر قدرته الفنية، وعاش لحظات من حياته، وأخبرنا عما يفكر به من خيال وفن شعري، لا يتأتى لكثير من الشعراء، بمن فيهم الشعراء العرب.

تـذكـرنـا والـذكـر نـارٌ ذكـيـةٌ
لـيـالـيَ كـنـا فـي بـدورٍ وأنجـمِ

• يجول الشاعر في أنواع الشعر، فمن مديح إلى غزل إلى رثاء، فقد رثى شاعرنا أحد شيوخه، فوقف يعزي أهله ونفسه بقصيدة، يقول فيها:

خـوت فعفت من كل طل ووابـلِ
إذا جـاد لـم يـقـصر ولـم يـتـصرمِ

عِمي دارَ سلمى فاسلمي ثمّت اسلمي
فـعـادت كـأن لـم تـغـنِ فـيـنـا نـواعـم

وإن لـم تُجـيـريـنـي وإن لـم تكلمي
حـسـانٌ سـمـانٌ مـن أولات الـتـنـعـمِ

نقضنَ عهودًا لي عليها شواهد

فرُحنَ فمن يرثي لصبٍّ متيمِ

• كفاءة عالية ومقدرة فنية وبلاغية يتمتع بها هذا الشاعر الفنان، استخدم شاعرنا كل ما لديه من حفظ للمعجم اللغوي، وبحور خليلية، وصاغ قصائد تتمتع بجمال اللفظ مع جمال الصور البلاغية فجاءت القصائد في غاية الروعة والجمال، وأعطى من فكره وثقافته ما أودعه في هذه الأبيات الجميلة، فكان بحق شاعر الهند العظيم.

• قوة السبك، وعمق الفكرة مع ألفاظ غاية في الجمال، ووظف خياله ومقدرته في تلك القصائد، وتناسق اللفظ مع المعنى، وسمو المعنى مع اللفظ والخيال صنع الصور البلاغية، وكان لاستعمال القوافي النفر والحوش تحد صارخ لقدرة الشاعر على النظم، ولكن الشاعر فيض الحسن كان لها، وأنتج قصائد مترامية الألفاظ والإتقان.

• نظم الشاعر في القوافي الذلل مثلما نظم في قوافي النفر والحوش، ونجح في الخروج من هذا النظم بقصائد جيدة، وأبدع في خياله العميق، وبنى عليه تصوره للأبيات، وكيف تكون مع المزج بين تراكيب الجمل واختيار البحر واللفظ ويضمنها المعنى المراد، فكانت ثقافته الشعرية قد ملأت فكره وظهرت ألفاظ الشعر العربي في أبياته، مما يدل على حفظه لآلاف القصائد الشعرية العربية.

****

فيوض الرحمن الديوبندي

١٣٠٥ - ١٣٧٨ هـ / ١٨٨٧ - ١٩٥٨ م

• ولد الشيخ فيوض الرحمن الديوبندي[1] سنة ١٣٠٥هـ، الموافق ١٨٨٧م، درس العلم في بلدته، ثم تلقى العلم في دار العلوم بديوبند، ونسب إليها، له مؤلفات لم نستطع رؤيتها، ولم يذكرها المصدر، وكان متضلعًا بالدراسات الدينية واللغوية، وكان ينظم الأشعار باللغة العربية والفارسية، وله قصائد في مدح رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - منها قوله:

إليكَ عني فإني عنك في شُغُلِ

ومُهجتي في ضريمِ النارِ مشتعلِ

يا فارغ القلب حبًّا كيف تخذلني

وما رمتك سهام الأعينِ النجلِ

وما صَلِيتَ بنار الشوقِ في كبدِ

وما بُليتَ بذوق الحب في أملِ

أمضّني بلظى هجره ومضى

عن غادر القلبِ في النيران والشعلِ

(١) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٣٩٩. حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان ص ٢٠٠.

إنـي أكـفّ لـسانـي أن أسميه
قد سار ذكراه في العشاق كالمثلِ
أشكو الفراق بأحزان تحمّلها
قلبٌ جريحٌ بجرحٍ غير مندملِ
رمى على الخدِّ وجدٌ ذاب من حرقٍ
ففاض من مقلتي كالعارض الهطلِ
قالوا نراك حزينًا هائمًا قلقا
لاح المشيبُ وذاك السقم لم يزلِ
قلتُ اعذروني فمالي عنه مصطبر
أفنيتُ ما كان من حولي ومن حيلي
قد كنتُ في ليلتي أرعى كواكبها
كأنها في الدجى درّ على حللِ
نوذيتُ يا هائمًا في الحب منجدلا
أكثر صلاة على من ساد في الرسلِ
محمدٌ هاشميٌّ شافع لهم
حيث انتفى النصرُ والأقدام في زللِ
والناسُ في حرجٍ والجمعُ في لجبٍ
والعينُ شاحبةٌ والقلبُ في وجلِ
جلى غياهب كفرٍ مظلم وأتى
بالملة السهلة الغراء في الملِ
لما استنارت نجوم الدين بازغة
وضاء أنوارها للسهلِ والجبلِ
يا رب صلِّ وسلم دائمًا أبدا
على نبيك هادي الخلق للسبلِ

• هذه الأبيات تعبر عن حب الشاعر لرسول الله - عليه أفضل الصلاة والسلام - في هذه الأبيات استخدم الشاعر أحد البحور العربية في النظم، وألفاظًا مناسبة للمعنى، وعبر عن مدحه للرسول بكلمات بسيطة، وشرح ماذا حدث بعد أن بدأ الرسول في التبشير بالإسلام، وكأنه يقرأ في التاريخ الإسلامي.

• وللشاعر قصيدة مدح للمولوي محمد شفيع، يقول فيها:

الناسُ نوعانِ نوعٌ لا خلاقَ لهُ
سوى المعيشةِ للدنيا وما جَمَعا
وآخرون أثاروا العلم وانتحروا
منهم شفيعٌ سعى للمجد وارتفعا
حتى إذا نال مما رام غايتَهُ
تخبّر العقلُ في إعجاب ما صنعا
جدًا وجهدًا وصدقًا في عزائمهِ
تلك الخصالُ العُلى خير لمن طمعا

• شاعر حكيم يقيّم سلوكيات الناس، ويراهم صنفين، صنف لا هم له إلا الأكل والشرب، وصنف آخر عنده الحكمة والعلم، وجاء هذا بناء على نظرته للحياة، فالعلماء لهم الأهمية، والمكانة العالية، وهم ثمار الحياة، واستعمل

الشاعر فكره وخياله في النظرة إلى المجتمع، وأتى بصور فنية وتشبيهات للدلالة على فكرته.

- ذكر المصدر أن الشاعر من كبار العلماء، وله مؤلفات، ولكنه لم يذكرها، وأطراه بكلمات، وهذه الأبيات تدل على أنه شاعر، وحكيم وله نظرة علمية فاحصة تدل على ثقافته وعلمه، وأرى أن الحكم على الشاعر ناقص، ونحتاج إلى قصائد أكثر. وقيل أنه انتقل على رحمة الله تعالى سنة ١٣٧٨هـ، الموافق ١٩٥٨م.

****

ق

قاسم شاه البخاري

١٣٣٠ - ٠٠٠ هـ / ١٩١٠ - ٠٠٠٠ م

• ولد قاسم شاه بن عبدالكبير البخاري الكشميري[١] سنة ١٣٣٠هـ، الموافق ١٩١٢م، درس العلم في بلدته على أيدي السيد عبدالرسول البخاري، والسيد إبراهيم البخاري، والشيخ محمد حسن البخاري القادري النقشبندي، توفيت أمه وهو ابن ثلاث سنوات، وتوفي والده وهو ابن اثنتي عشرة سنة، فاضطر للذهاب إلى أمرتسر ليدرس مجانًا، ثم انتقل إلى دلهي فالتحق بالمدرسة النعمانية، وكان تحت وصاية العلماء مولانا محمد وجيه الدين النقشبندي، ومولانا أحمد السهارنبوري، والشيخ عبدالمنان السواتي.

• ذهب شاعرنا إلى ديوبند والتحق بدار العلوم، ودرس على يد شيخ الأدب إعزاز علي، ومولانا إبراهيم البلياوي، ومولانا ظهور الحق، ومولانا شبير أخنج العثماني، ومولانا حسين أحمد المدني. ثم انتقل إلى كليات أخرى، وتتلمذ على أيدي شيوخ متعددين، ثم أكمل دراسة الحديث على يد الشيخ محمد كفاية الله، ومولانا ضياء الحق، ومولانا خدا بخش، وغيرهم.

• نظم شاعرنا مقدمة لكتاب «تاج العارفين»: للعلامة بابا داد الخاكي، وهي مقدمة منظومة، يقول فيها:

(١) محمد مظفر الندوي، أماثل كشمير ص ٣٧٦.

للأماجدِ من بخارى التماس للدعا
فالرجاء من رحيم كونه له غافرا
سادتي ما رمت تعريبَ قصيدةِ شيخنا
شيخ خاكي قد مدح الشيخ حمزة مؤثرا
ولعمري صرتُ حيرانَ لمّا شاهدت فيه
نت مقام شيخ حمزة وشيوخه غامرا
فالقصيدةُ الشريفة قد حوت في قعرها
كتب هذا الفن طُرًّا وتزيد ذاكرا
ولذا كنتُ أفر أمر تعريب الكتاب
لأجل علمي كان باعي منه حمًا قاصرا
بيد أن الرحمن ألقى في الفؤاد
أن تعريب الكتاب منك حقا زبرا
يا كريم يا رحيم أنت حالي تعلم
جئتُ بابك طالبًا للعفو كنتَ ساترا
وأقـــدّم إليك رحمة للعالمين
لتحل معضلاتي كنتَ أنت أقدرا
وبحبك املأ قلبي حب المصطفى
وبآله وصحبه في الكتاب الأشهرا

• وهذه قصيدة طويلة لا تخلو من معضلات، وعيوب، وهذا نظم للكلمات، وليس فيه من فن الشعر شيئًا، لذا اختصرت كثيرًا من هذه القصيدة، ولكنه كان أجود وأفضل في قصيدة رثاء لعمه الشيخ عبدالرسول البخاري، يقول فيها:

فيا أسفي أيّ الناد الجاني
فوا حسرتا على ما أصمّ آذانِ

فيا عمّا على ما طال بي لبي
فيا لله على ما أظلم إنساني
وفاة عمي وأستاذي الذي علمني
رهلا كتاب ربي موسمًا بفرقانِ
خلاصة غفّار سلالة رحمتي
ومطلوب خلان ذي عزّ وذي شانِ
وجد أب عرفان وبكاه أزمان
وطلاب رحمة واع غفرانِ
عزّت عليك مصائب الموت وما بوّأت
مكارمك التي صدرت منك بإحسان
وأهل دارك يبكون لك يا عمي
وما أبكيك إلا بدمع أحمر قاني
فيا رب أمطر جدثا جدثا على عمي
شآبيب رحمة وقطرات غفران
سقت قبرك بالتوالي يا سيدي
بوادي غوادي ومحيا بفيضانِ

- الشاعر قاسم هو في الحقيقة ناظم لكلمات من المعجم، فقد فاضت مشاعر الأسى والحزن عليه بوفاة عمه، ولكن تفتقر أبياته مما في الشعر من أدوات سوى البحر واللفظ المناسب للموضوع، ولا يوجد خيال أو صور فنية، ولا حلاوة اللفظ وقوة السبك، ونظام الشعر المعتاد، فلا موسيقا، لا داخلية ولا خارجية، فهو نظم ألفاظًا عبر بها عما يشعر به.

****

كفاية الله الدهلوي

١٢٩٢ - ١٣٧٢ هـ / ١٨٧٥ - ١٩٥٢ م

• هو الشيخ كفاية الله بن الشيخ عناية الله بن فيض الله الشاهجهانفوري[١]، ولد في مدينة شاهجهانفور، بولاية أترابرادش سنة ١٢٩٢هـ، الموافق ١٨٧٥م، درس في المدرسة الإعزازية، ثم ذهب إلى مرادآباد ودخل مدرسة شاهي، وأخذ العلم من الشيخ عبدالعلي الميرتي، والشيخ محمود حسن، وكان يصنع القلانس ويبيعها ليعيش منها، ثم ذهب إلى ديوبند ودخل المدرسة العالية، وكان من أساتذته: منفعة علي، والحكيم محمد حسن، والشيخ غلام رسول، والشيخ خليل أحمد، ثم رجع إلى شاهجهانفور وعمل بالتدريس والإدارة في مدرسة عين العلم، وبعد ذلك ذهب إلى دلهي ليكون عضوًا في التدريس بمدرسة الأمينية، وبعد وفاة مديرها أصبح شاعرنا مديرًا للمدرسة، وتوسعت المدرسة، وذاع صيتها بسبب نشاطه في المدرسة.

• كان لشاعرنا نشاطًا سياسيًا وطنيًا يسعى لمقاومة الإنجليز، وتحرير البلاد منهم، وأسس مع زملائة جمعية العلماء، وكان رئيسها لمدة عشرين سنة، وحكم عليه بالسجن مرتين بسبب نضاله ضد الاستعمار الإنجليزي، وسافر إلى السعودية لحضور مؤتمر إسلامي، ثم زار مصر لأجل قضية فلسطين، وكان يتألم من وضع المسلمين، ولما واجه واقع المسلمين في الهند انصرف عن السياسة، وانكب على الإفتاء والتأليف، والذكر والعبادة، حتى توفاه الله سنة ١٣٧٢هـ، الموافق ١٩٥٢م.

• كان الشيخ كفاية الله متضلعًا في الأدب والشعر، ولكنه كان قليل النظم، وكذلك النشر، فلم يبق من قصائده إلا القليل، ومن شعره الذي نظمه في شيخه المعتقل في جزيرة مالطا، وقد نفاه الإنجليز، يقول فيها:

ألا يا «مَلطةً» طوبى وبشرى
ثوى بك من محا آثارَ كفرِ
ولم تكُ قبلهُ إلا خرابًا
خمولًا غيرَ معروفٍ بخيرِ
فلما حلّها عادتْ رياضًا
منضّرةً من التقوى وذكرِ
مكلَّلةً بأزهارِ المزايا
وأزهارُ المزايا خيرُ زهرِ
ألا يا «ملْطةً» كوني سلامًا
على محمودِنا الراضي بقَدْرِ
إمامُ الخلق قدوتهم جميعا
له كرم إلى الآفاق يسري

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨ ص ٣٧٤. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٣٧٦. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٥ ص ١٤١. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٧٨.

جُنيدُ العصر سَرّيُّ الزمانِ
غيوثُ فيوضهِ تهمي وتجري
فريدٌ في خلائقهِ العِذابِ
وحيدٌ في التُّقى نت غير فخرِ
أشد الناس أمثلهمْ بلاءً
فيا شمسَ الهدى يا طودَ صبرِ
ذكَرْنا يوسفَ الصديقَ لما
أسرتَ بغير ما استحقاقِ أَسْرِ
لحرِّ البينِ في صدرِ الكئيبِ
تفيضُ دموعهُ حُمرًا كجَمرِ
سيُنزلُكَ العزيزُ محلَّ عِزٍّ
وينصُرك النصيرُ أعزَّ نصرِ
سيكفيكَ الإلهُ فأنت مَرْءٌ
كفاكَ اللهِ قِدْمًا كلَّ شرِّ

- الشاعر كفاية الله مجاهد وثائر ضد الاحتلال البريطاني للهند، قاومه الشعب الهندي، وقام رجالُ الدين المسلمون بقيادة المقاومة، وتعرضوا للسجن من قبل الحكومة الإنجليزية الهندية، ولكنهم صبروا، وشاعرنا سبق له أن سجن، ونفي زميله إلى مالطة، ونظم قصيدة في مديح رسول الله – عليه السلام –، التي يقول فيها:

قم الصلاة على الذي جاءنا
بشريعة غراء ذات أمانِ
بيضاء صافية نقي لونها
عن عصمة التحريف والنقصانِ
الهاشمي الأبطحي محمد
من حول الأعداء كالإخوانِ
الحامد المحمود أحمدنا الذي
نجى الورى من حفرة النيرانِ

- قطعة من قصيدة، بين بها مزايا رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم – وكان كمثل غيره من الشعراء المقلين، فكان عاديًا، لا خيال شعري في شعره، على الرغم من قدرته على النظم باللغة العربية، فقد استخدم البحر العروضي، مع ألفاظ مناسبة للمعنى، ولم يكن في شعره إبداع جديد، ولكن العاطفة غلبت عليه في النظم دون النظر إلى الجزء الفني من نظم الشعر، وكانت القوافي ذلل، سهلة التركيب، وعفوية طرح الفكرة الشعرية، وهو غير متفرغ لقرض الشعر، لذا كان الشعر عنده لقضاء حاجة في نفسه.

****

كنجامو بابا البالكي

١٣٣٥ – ٠٠٠ هـ / ١٩١٥ – ٠٠٠٠ م

- ولد الشيخ كنجامو في قرية إدابالي[1]، قرب كوتشن، سنة ١٣٣٥هـ، الموافق ١٩١٥مم، تعلم في قريته أولًا ثم درس العلوم الإبتدائية، وبعدها دخل المدارس الإسلامية،

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ٢٤٩.

وحصل على شهادة» أفضل العلماء»، بعد تخرجه عمل معلمًا في مدرسة الفاروق العليا بشيرانلور حتى تقاعده، ثم عمل طبيبًا يداوي الناس ويصف الأدوية، على طريقة الطب العربي، ويسمى في الهند الطب اليوناني. ومع ذلك كان ينظم الشعر، وله قصائد ومقطوعات، منها تهنئة لمجلة المعلم، التي أصدرتها جمعية المعلمين، في ولاية كيرلا:

هنيئًا للمعلم ذي الكمالِ
وللأحباب طلاب النوالِ
أحبك يا معلم أنت خلي
يحبك كل ذي علمٍ وبالِ
فأنت رسولُ تحقيقِ الأماني
وأنت لسانُ أعلامِ الرجالِ
وأهلُ السنَّةِ الغراء باهوا
بوجهك ذي الملاحَةِ والجمالِ

- كانت التهنئة للمجلة، ولكن الشاعر وضعها للمعلم ذاته، وكأن المجلة هي المعلم. وتهنئة أخرى لحفلة الرابطة الإسلامية بكيرلا، والتي انعقدت في كاليكوت، ويذكر الشاعر أن الرابطة رفعت صيت الإسلام والمسلمين في الهند، يقول فيها:

لقد شيدوا في الهند أركانَ حزبنا
على رغم قومٍ عاندوا بعد قسمةِ
وقد رفعوا أعلام مجد وسؤدد
فسدنا وكنا نعتلي كل أمة
عليها يد المولى تعالى وعونه
يدوم ويبقى دون شك وريبة
إلى الراية الخضراء صفوفًا تنقلوا
خذوا باتحاد تظفروا بالسعادةِ

- يحث الشاعر المسلمين في الهند على الاتحاد، وليكونوا تحت راية الرابطة الإسلامية، ولم يقتصر نظم شاعرنا على التهاني، بل كان للموضوعات الأخرى نصيب من شعره، فعندما توفي أحد أساتذة إدابلي نظم قصيدة يرثي بها الفقيد، المولوي أبا بكر الكوتالي، يقول فيها:

ولازم ذكْرَ اللهِ في الصحو كلهِ
بصبرٍ فلم يجزع بشكوى البليةِ
ولبى نداء الرب وهو ابن أربع
وسبعين شيخًا في شباب الكهولةِ

- كان شاعرنا مشاركًا في الأنشطة السياسية والاجتماعية، وكان عضوًا في الرابطة الإسلامية في كيرلا، وعندما توفي رئيس الرابطة السيد عبدالرحمن بافقيه رثاه شاعرنا بقوله:

لقد كنت للإسلام والقوم خادمًا
فحققت معنى سيد دون ريبةِ
فقيهًا وصوفيًا زعيمًا وقائدًا
وشهمًا شجاعًا بل رفيعًا بهمّةِ
فمازلت عضوًا أو مشيرًا وناصحًا
لجمعية ترجى لخيرات أمة
عنيت بجندريكا وشيدت ركنها
مجلة إسلام لسان الجماعة

- كان الشاعر كنجامو واضحًا في شعره، وسهلًا في فهمه، فلم يذهب إلى الغموض، أو المعاضلة، استخدم البحور الخليلية، وألفاظًا مناسبة له، ومعاني تنبع من فكره تدور حول الشؤون الاجتماعية، والتربوية، ألف بين اللفظ والمعنى، وأوضح غرضه، ولكن الخيال كان واهيًا غير واضح، فلم يستعمل خياله ليخرج صورًا فنية بلاغية، وسبك الأبيات كان هادئًا، ولكن رؤيته للأحداث كانت عالية، وفي مستوى المسؤولية الاجتماعية والدينية، وكان الشاعر يمتلك القدرة اللفظية وأدوات النظم العربي، ولكنه كان مقلًا، أو لم يصل لنا من شعره إلا القليل.

****

لطافت الرحمن السواتي

١٣٤٠ - ١٤٢١ هـ / ١٩٢٠ - ٢٠٠٠ م

- ولد الشيخ القاضي لطافت الرحمن بن فضل السواتي[١] في مديرية سوات سنة ١٣٤٠هـ، الموافق ١٩٢٠م، تعلم على يد والده فضل مولى، الصوفي والقاضي، وتعلم منه المراحل الأولى للتعليم، ثم على يد القاضي عبدالكريم وملا داد، ومولانا مفتاح الدين، ثم ذهب إلى ديوبند، والتحق بدار العلوم، ومن أساتذته الشيخ حسين أحمد المدني، والشيخ إعزاز علي، ومولانا شمس الحق الأفغاني، ومولانا فضل الحق الرامبوري.

- بعد انتهاء دراسته عمل في التدريس بمدارس وكليات في أماكن مختلفة، ثم قام بتدريس العلوم والفنون في مدينته، وبعدها تم تعيينه مدرسًا في الجامعة الإسلامية بمدينة بهاولبور، ليقوم بتدريس التفسير والحديث والأدب، وبعد ذلك اشتغل بالتدريس في مدارس وكليات أخرى، ومحاضرًا في الجامعة الإسلامية مخزن العلوم بكراتشي، ولكن المرض أجبره على العودة إلى بلدته، وتوفي سنة ٢٠٠٠م.

(١) حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان ص ٢٠٣.

- أنتج القاضي لطافت الرحمن بعض المؤلفات، منها:
  - أحسن التحقيقات في شأن المتشابهات.
  - الأدب الجاري في صحيح البخاري.
  - أشرف المقال في مسألة رؤية الهلال.
  - الفتاوى الرشيدية.
  - رجال التوحيد.
  - درس التوحيد.
  - فيوض اللطافة، ديوان شعر مخطوط.
  - مقدمة صحيح البخاري.

- إلى جانب ذلك كان يقرض الشعر في اللغات: العربية والفارسية والأردو والبشتوية، وطرق في شعره العربي عدة موضوعات، ويقتفي في شعره طريقة الشعراء العرب القدامى.

- للشاعر قصائد في اللغة العربية منها قصيدة في رثاء السيد حسين أحمد المدني، يقول فيها:

اليوم أذكر مولانا وسيدنا
حسين أحمد شيخي بعد أزمانِ
علامة الدهر أستاذ الورى المدني
شيخ المشايخ من أفذاذ أقرانِ
حوى علومًا وأخلاقًا ومنزلةً
رفيعةً جاوزت مجهود إنسانِ
وجاهةً ووقارًا عظمة وتقى
وسؤدد العلم في حلم وخضعانِ
دروسه في الكراسات التي كتبت
في الترمذي والبخاري حرز إيمانِ

وشأنُه شأنُ شيخِ الهندِ قدوتهُ
وقدوة الرشد والتقوى وعرفانِ
فلم يكن نسك أسلاف جهابذة
بل المذكر أسلافًا طوي شانِ
محدّثًا ثقة ثبتًا فليس له
في زمرة العلماء الحل من ثانِ
وكان طودًا عظيمًا في عزائمهِ
فنال فضلاً ومجدًا حسب إمكانِ
عظيم هم رحيب صدرٍ متّئد
حاشا من الضعف في سرٍّ وإعلانِ
محيي الليالي بذكر الله مبتهل
يتلو على ظهر قلب جزء قرآنِ
واليوم والليل في درس الحديث له
كلاهما في رضاء الرب منانِ
درس الحديث مدى عمر وظيفته
بشوق قلبٍ بحب الله ملآنِ
وجوده لا كجود الحاتم الطائي
بل المزيد بعلم ثم إحسانِ
وقد توارث من أستاذه شغفًا
بأن يخلص هندًا من بريطانِ
فكان ما انفك مشغولًا بحرب عدى
حرب السياسة في تحرير بلدانِ
محرر الهندِ أشياخ ذوو همم
وفرّ إنكليز في ذل وخسرانِ
وهذه نفثات قد نفثت بها
بأمر أكرم خلان وإخوانِ
المقرئ الحافظ الحاوي على جللٍ
من الفيوض فيوض الله رحمن
فالله أولاه في الفردوس تكرمة
والله آواه في جنات رضوانِ

• قصيدة فيها كل مقومات الرثاء، من ذكر المتوفى وأعماله العلمية ومكانته، وسلوكه بين تلاميذه، وكان لعلماء المسلمين في الهند دور في مقاومة الاستعمار البريطاني، وكانوا يساعدون السياسيين في الثورة للحصول على الاستقلال. وقد درج شاعرنا على رثاء بعض شيوخه، ولكنه لم ينس الدار التي تخرج فيها؛ دار العلوم ديوبند، حيث وصفها بقوله:

ديوبند أكبر مركز لجهاد
فتفوقت لشرافة ببلادِ
بكرامة وشهامة وسعادة
بين البقاع تلالها ووهادِ
قد خصها ملك الورى بمكارمٍ
وعوارف وعواطف وأيادي
بعظيم نعمته إقامة دينه
ببناء مدرسة بذاك الزادي
واد تقدس بل تعظم حرمة
أختير للتعليم والإرشادِ
فهناك ينبوع المعارف قد جرى
بزلاله يشفي غليل الصادي
لا بل هو البحر الخضم تموجًا
أمواجه سامت إلى أنجادِ

فالعلم شاع وذاع كل مواطن
في الأرض من ديوبند ذات عمادِ
ديوبند مركز علم دين المصطفى
والعروة الوثقى لدى إسنادِ
دار العلوم بديوبند بناؤها
من قاسم الخيرات مولى هادِ
وتخرج الكملاء من فيضانها
زادوا من الإحصاء والتعدادِ
كل أئمة دهرهم بعلومهم
بلغوا أقاصي مبتغى لعبادِ
فهم رجال العلم أصحاب التقى
وكبار أهل الله كالأطوادِ
وتدارسوا درس العلوم جميعها
وتمددوا تحريرها بمدادِ
هم صنفوا أسفار علم والهدى
فيها جلاء غياهب ودآدي
وهم الذين لهم بقايا صالحة
عَمَّت جميع حواضر وبوادي
ولطافت الرحمن معتقد بأنْـ
ـنَ محبة العلماء خير الوادِ

• هذا ما يعتقده كثير من الناس، بأن محبة العلماء خير الزاد، وقد أبدع الشاعر في وصف دار العلوم ديوبند الشهيرة، وهي من المراكز العلمية والدينية التي أنشئت في الهند إثر فشل الثورة الهندية ضد الاستعمار البريطاني، وقد أظهر الشاعر محبته لعلماء ديوبند حيث كان تلميذًا لهم.

• وكما أن اهتمام الشاعر بمراكز العلم والعلماء، كان له اهتمام بالكتب النافعة، ومن تلك الكتب، «علوم القرآن» كتاب للشيخ شمس الحق الأفغاني، فقد أطراه ووصفه، وذكر مؤلفه فقال:

ألا إن هذا شمس علم تلألأ
على أفق القرآن من كل جانبِ
كتابٌ ونبراسٌ ونور وحكمةٌ
وفي كلّ سطرٍ من علم العجائبِ
فإن أنت تشهي أن تفوز ففز به
معارف شمس الحق السحائب
له علمُ أسلافٍ وتدبيرُ خالفٍ
وشرحُ كلامِ الله جلُّ المطالبِ
به تدفع الزيغ الذي شاع عندنا
لأهل الهوى من كل أهل الأكاذبِ

• اهتمام الشاعر لطافة الرحمن بمراكز العلم والعلماء وانتاجهم اهتمامًا كبيرًا، وتمر عليه مناسبات أخرى يرى أن من واجبه أن يسجل رأيه في المناسبة، ومن ذلك احتفال جرى في الجامعة الإسلامية بهاولفور بمناسبة مؤتمر السيرة النبوية، فكان له وقفة مع الشعر، فنظم قصيدة بهذه المناسبة يقول فيها:

نفسي الفداءُ لمولانا وسيدِنا
نبينا الأكرمِ الداعي إلى أحدِ

أبو الندى والجدى والصالحات معا
طفلًا وكهلًا وفي شَب وفي مُردِ
قد جاء والناس قد فروا من نصائحه
كأنهم حمرٌ فروا من الأُسدِ
لم يسمعوا منه آيات ولا حكما
بها يقوّم ما في القلبِ من أودِ
رسوم كفرٍ قد استولت بهم فيها
تروّج الجهلَ فيهم من مدى مددِ
لا يؤمنون على الله العظيم ولا
يسلّمون جلال الله في الخلدِ
ولا يدينون دين الحق بل لهم
مشاغل الحربِ والتخريب والجلدِ
ويدفنون بنات لسن إن فعلت
شيئًا من الوزر لا قولًا ولا بيدِ
الله أرسله بالحق مؤتمنًا
وصادقًا أمينًا كل معتمدِ
دعا إلى الله فالمستمسكون به
مستمسكون بحبل محكم السندِ
أوحى إليه إله العرش جاء به
جبريل من عندِ ربّ بارئ حمدِ
فبلغ الناس أنَّ اللهَ ربهم
وما سوى الله ما بالسيل من زبدِ
محمد سيد الكونين والثقلين
لطيف قلب نظيف الروح والجسدِ
قد أوتي الخلق الأسنى ونور هدى
هدا به الناس نهج الرشد والسددِ
فبعثه منة عظمى بنا ولنا
من ربنا أسوة فيه إلى الأبدِ
ونحن نشهد أنَّ الله مرسله
وأنه خير خلق الله ذي المددِ
وإنه العروة الوثقى لأمته
من حالة المهد حتى الدفن في اللحدِ
مولاي صلّ وسلّم دائمًا أبدا
على النبي الجليل الشأن من أددِ
وصحبه وجميع المقتفين بهم
وكل متمسك بالدين ذي رشدِ
فالاعتصام على ذاك الريم كفى
عزًّا وفخرًا وذخرًا نافعًا بغدِ
ففي جناب رسول الله مؤتملي
وفي جناب رسول الله مرتصدي
وإنه الشافع المرجو نصرته
وإنه الدين والدنيا لدى وبدِ
وليسلي عملٌ أرجو النجاة به
إلا استناد نبي خير مستندِ
أدعى لطافت رحمان به ثقتي
لغفو ما فات زلاتي من العددِ

• شاعر متمكن من النظم العربي، ومن إدراك فهم اللغة العربية وفروعها ومشتقاتها، فهو ضليع بها، حفظ آلاف الأبيات العربية، وظهرت تراكيب الشعراء العرب من خلال أبياته، وكذلك ما حفظ من القرآن الكريم والحديث الشريف، فقد أحاط نفسه بكل ما يعاضد لغته العربية، وبحور الشعر وقوافيه.

- استخدم الشاعر بحور الخليل بن أحمد، واختار قوافي ذلل ليصنع أبياته وشعره، وكان موفقًا في الاختيار، كما ألف بين اللفظ والمعنى، مع حسن السبك، وقوة العبارة، وتعبير جيد عن الأفكار التي نظم بها، وعن رسول الله – عليه أفضل الصلاة والسلام – سرد بعض ما تعرض له الرسول في حياته، ومواجهة كفار قريش، ثم طلب الشفاعة، فهو الأسوة الحسنة، ولديه شفاعة الأمة، واختار ألفاظ السيرة النبوية، وما ورد في الحديث عن حياة الرسول.

- كان خياله واسعًا، وتصوراته جيدة، وخلق صورًا فنية أدت لجمال الأبيات وحلاوتها، واستطاع أن يذكر أصدقاءه، ويترحم عليهم، أما الوصف فكان دقيقًا، ولا ينسى المراكز العلمية، ونتاج العلماء، فقد أورد تشبيهات، وتراكيب مختلفة تؤدي إلى بيان مكانة العلماء، وإنتاجهم.

****

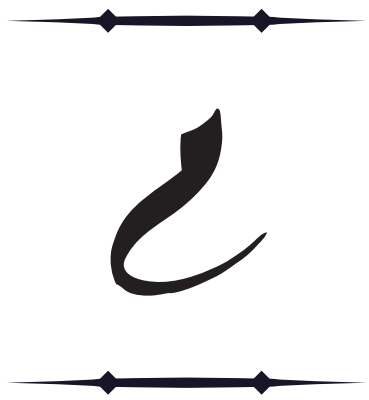

مجيب خان بشير الحيدرآبادي

١٣٩٠ - ٠٠٠ هـ / ١٩٧٠ - ٠٠٠٠ م

• ولد الشيخ محمد مجيب خان بن محمد بشير خان[١] في كورم بيت سنة ١٣٩٠هـ، الموافق ١٩٧٠ن، قرأ المرحلة الأولى في بلدته، ثم حفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالجامعة النظامية، وتخرج فيها سنة ١٩٩٦م، تلقى العلم على أيدي مشايخ النظامية أمثال: الشيخ خواجة الشريف، والشيخ طاهر الرضوي، والشيخ عبدالله القرشي الأزهري، والشيخ ولي الله وغيرهم.

• عمل الشيخ مجيب خام مدرسًا في الجامعة السنية دار العلوم طيبة، وأصبح رئيسًا للهيئة التدريسية، ومنذ صباه وهو يحب قرض الشعر، وله قصائد متعددة، ومنذ أن كان طالبًا في الجامعة، وقصائده دينية تدور حول مواضيع محددة، فمن أبياته التي نظمها في مولد رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - يقول فيها:

المصطفى خيرُ البريةِ أمجدُ
في الكون ذكر علوّه قد يخلدُ
أهلًا بمولده السعيد ومرحبًا
أجمل بوقتٍ جاء فيه الأسعد
لم يأت مثله في الورى ولقد أتى
بمحاسن في نيلها هو أوحدُ
من ليس يبلغ حدّهُ مَلِكٌ ولا
جِنٌّ ولا إنسٌ، تقي أزهدُ
سبقت إليه أجبل بتحية في
طوعه الأشجارُ سارت تسجدُ
لا ترفعوا أصواتكم قد أنزلت
في رتبة الحب الذي يتحمّدُ

• يبدو أن الشاعر متأثر بما في القرآن الكريم من آيات تدور حول الرسول، وفي قصيدة أخرى حول رسول الله - عليه أفضل الصلاة والسلام - يقول فيها:

يا مصطفى أنتَ الحبيبُ المرسلُ
في كل خلق الله أنت الأجملُ
بمجيئك ازدهرت دهور جمةٌ
بقدومك انبعث الضياءُ الأشملُ
ولقد مُنحتَ خزائنًا ومفاتحًا
من شئتَ من نعم الإله لتبذل
أنتَ الشفيعُ وأولى لتشفع
ومن الأنام وبك الشفاعة تقبلُ
إنَّ الخلائقَ كلها في طوعه
الشمس قد رجعت إليه تتذللُ
بشرى لكم يا إخوتي إذ إنهم
من خير أمته التي هي أمثلُ
نلتَ المكارمَ والمحاسنَ كلها
من كل عيبٍ مبرأً يا أجملُ

(١) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٤٥٣. محمد عبدالمقتدر حسا، تطور الحديث النبوي في حيدرآباد ص ١٤٥. (مخطوط).

سُميتَ باسم محمد وبأحمدٍ
في الأرض والأفلاك أنت تُبجّلُ
يا خاتمَ الرسل الكرام حبيبنا
فبغير حبك مؤمن لا يكتمل
معه اللواء والمرسلون جميعهم
يوم القيامةِ تخته هو حاملُ

- الشاعر متمكن من النظم العربي، من بحر وألفاظ وسجع، ولكن الخيال مفقود، لذا لا ثروة بلاغية إلا القليل، ولكن عاطفته قوية تجاه رسول الله، ويبدو أنه متأثر بألفاظ القرآن الكريم وآياته، وبالحديث الشريف، حتى وإن كانت أحاديث غير صحيحة، ولكنه عبر بشوق وحنان.

****

محمد إبراهيم فاني

١٣٦٥ - ٠٠٠ هـ / ١٩٤٥ - ٠٠٠٠ م

- ولد الشيخ محمد إبراهيم بن عبدالحليم[١]، صدر المدرسين، في قرية «زروبي» سنة ١٣٦٥هـ، الموافق ١٩٤٥م، درس المرحلة الأولى على يد والده، الذي كان صدر المدرسين بدار العلوم الحقانية، ثم دخل محمد إبراهيم دار العلوم الحقانية، سنة ١٩٧١م، وتخرج سنة ١٩٧٨م، وبعد تخرجه عمل مدرسًا بدار العلوم الحقانية بأكورة ختك، وله بعض المؤلفات منها:

- حياة صدر المدرسين، سيرة والده.
- إفادات حليم، دروس الحديث النبوي لوالده.
- حياة شيخ القرآن، سيرة أستاذه عبدالهادي منصوري.
- شرح كافية ابن الحاجب، بالأردو.
- دواوين شعر بالأردو، والبشتو، والفارسية والعربية.

- للشاعر قصائد متفرقة، وأغلبها في رثاء أشخاص، منها في رثاء أبيه، عبدالحليم صدر المدرسين بدار العلوم الحقانية بأكورة ختك، يقول فيها:

نعى الناعون شيخًا ذا وقارِ
حليمًا فاضلًا درّ البحارِ
مفسر وقته برهان ربه
محب نبيه بالافتخارِ
محدّث عصره في الفقه أجلى
نظير الترمذي ثانِ البخاري
يتيمة دهره بالفضل أخرى
فواحرّ مائنا من بدر ساري
حنيفة قرنه حقًّا وحقًا
نُجيمًا ثم هامًا وقاري
أمين رموز محمود وقاسم
حفيظ كنوز أنوار المنارِ
فريدًا في التكلم والتفلسف
وحيدًا في الأصول بلا نكارِ

(١) حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان، ص ٢١٣.

لبيبًا جرم ورع شِبح لطف
رفيقًا بالكبار والصغارِ
شجيعًا بارعًا حرًا خطيبًا
وفي أقواله فوح العَرارِ
كريم النفس ليس له مثيل
وسيع الحلم معدوم النظارِ
كثير الخير حقًا طور جود
وعين فيوضه في البرحارِ
صبورًا في الحوادث والبلايا
شكورًا في العطايا واليسارِ
فقدنا معدن الخيرات فضلا
فوا أسفًا على هذا الخسارِ
صديق الصدق في كل الأمورِ
بعبد الحق حَبرٍ ذي نضارِ
ألا قد طال ليلي بالفراقِ
فكيف سكينتي بالاصطبارِ
ألا قد سال عيني بالدموعِ
وفي قلبي أنينٌ بالجهارِ
ترحم أيها المولى بروحه
بجاه نبينا خير الخيارِ
وعاملْهُ وجاملْهُ بلطفٍ
وأكرمْ نُزلَهُ في خير دارِ

• هكذا وفاء الولد لأبيه، عدد مزاياه، وشخص سلوكياته، وثمن علمه، وأطال في الثناء عليه، ثم حرقة قلبه على رحيل والده من الدنيا، ثم الدعاء له عند رب السماوات والأرض بجاه المصطفى محمد. وله مرثية أخرى في الشيخ مولانا محمد طيب القاسمي، يقول فيها:

وسيعُ الحِلم مشهودُ الأنامِ
قسيم العلم محمود المقامِ
زكي النفس محمود الزمانِ
وأعلى الناس عزًّا واحترامِ
وحيد العصر ليس له نديد
جميل ذو احتشامِ واعتصامِ
خطيبٌ ألمعي لوذعي
نبيل ماجدٌ فخر الهظامِ
شهير في المشارق والمغارب
وفي الأطراف كالبدر التمامِ
شهابٌ ثاقبٌ صدر الأفاضل
ومشكاة المعارف في الظلامِ
ونبراس الجهابذة والأكابر
وأذكى الناس من خاص وعامِ
وشمس العلم والعرفان حقًا
محيي السنة الغراء وحامِ
فروحي في اضطرار واضطراب
وكرب واحتراق بالدوامِ
بحور الدمع جار من عيوني
يسيل الدم عن قلب هيامِ
إلهي اسقه من حوض خلدٍ
واجعل داره دار السلامِ
وعامله برفقٍ ثم لطفٍ
بجاه نبينا خير الأنامِ

• يبدو أن شاعرنا تخصص في الرثاء، أو إن المصدر لم ينقل لنا سوى الرثاء، وله مرثية أخرى، وهي في رثاء الشيخ عبدالحق، مدير دار العلوم الحقانية، ومؤسسها، يقول فيها:

نعى الناعي بأن حان الرحيلُ
لشيخ الوقت ليس له بديلُ
وصاح الهاتف الحزن الملولُ
ألا قد مات أستاذ جليلُ
ويبكي ابنه المولى «سميع»
«مدير الحق» للدار الكفيلُ
تذوق الموت كل النفس حقًّا
فليس لها من الموت السبيلُ
دموع جاريات من جفوني
وعيني لا تنام ولا تقيلُ
ففي الأكناف آهات رنينٌ
وفي الأطراف صيحات عويلُ
قلوب الناس باكية عليه
ودمع الهجر من عين وبيلُ
رأينا في الدنا أشياخ علمٍ
فمثلُ الشيخ في الدنيا قليلُ
مضى أستاذُنَا أستاذُ كلٍّ
رشيد مرشد هادٍ دليلُ
مناط العلم في إقليم هند
فخار القومِ ذو حسن جميلُ
تلألأ وجهُه كضياء شمسٍ
صبيح فائح عطر بتيلُ
ويسعى مغضبًا لدفاع ظلمٍ
لقمع الكفر صمصام صقيلُ
لترويج العلوم ونشر حقٍّ
له جهد وتحريك طويلُ
تقي غارف وولي عصره
فهيم بارع حبر نبيلُ
على الاطلاق شيخ في الحديث
ذكي لا يقابله زميلُ
دوام المرء في الدنيا محال
فصبرًا أيها القلب العليلُ
وإنّ الموت منهاج قويمٌ
فترضى ما قضى المولى الوكيلُ

• قدرة الشاعر في النظم العربي كبيرة، ولكن أن يقتصر النظم على موضوع واحد يقلل من مكانته الشعرية، وحيث إن الشاعر يجب أن يطرق جميع الموضوعات حتى يبرهن عن قدرته القوية، وهذا شاعر يبدو أن لديه قدرة، ولكنه لم يستغلها في النظم الموسع للموضوعات.

• استخدم الشاعر بحور الشعر العربي، وحافظ على القافية الموحدة، واستطاع التنسيق بين اللفظ والمعنى، وتمكن من الاحتفاظ بروح الموضوع، فلم يخرج عن الرثاء، ولكن خياله قليل، واستعمل المترادفات، والتشبيه، عوضًا عن الصور الفنية البلاغية، وأسلوبه سهل بسيط مفهوم.

• اخياره للألفاظ المعبرة كان جيدًا، وتوظيفها في مكانها قدرة في النظم، وكان من الممكن أن تظهر قدرته لو نوع

في الموضوعات، واستعمل خياله في صنع الصور الفنية، لأن في الرثاء يمكن أن يصنع صورًا غنية.

****

محمد أبوالصلاح الباقوي

١٣٣٨ - ١٤١٧ هـ / ١٩١٩ - ١٩٩٦ م

• محمد أبو الصلاح الباقوي[١] ولد في قرية كتيكاتور، قرب كاليكوت، سنة ١٣٣٨هـ، الموافق ١٩١٩م، بعد أن أنهى المرحلة الابتدائية التحق بدروس المساجد، ثم التحق بكلية العلوم بوازكات سنة ١٩٣٤م، وبعدها التحق بكلية الباقيات الصالحات سنة ١٩٣٩م، وحصل على شهادة «أفضل العلماء» من جامعة مدراس، وبعد تخرجه عمل مدرسًا بدار العلوم بوازكات، ثم التحق مدرسًا بالكلية العالية بكاسركوت.

• في سنة ١٩٤٨م عمل في الكلية العربية روضة العلوم بفاروق، ثم ترقى ليصل إلى أن يكون عميدها، ولكنه لم يستمر فقد انتقل ليعمل أستاذًا في الكلية العربية الإصلاحية، حتى وفاته سنة ١٩٩٦م.

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا، ص ٢٦٧.

• له عدة مؤلفات منها:

- **الوجيز الوافي في العروض والقوافي.**
- **الوجيز في إصلاح الحديث.**
- **منظومة معجم المفردات.**
- **ترجمة كتاب الهند للبروني إلى اللغة المليالمية. بالاشتراك.**
- **معجم مليباري لمفردات القرآن.**
- **له قصائد ومقطعات شعرية عربية.**

• نظم شاعرنا قصيدة وصف للكلية العالية بكاسركوت، يقول فيها:

ملئت بأشجار العلوم فإنها
تؤتي دوامًا أكلها وشذاها
أضحت خرافات العدى بقيامها
سحر المدائن عند قذف عصاها
كملت بكل محاسن فكأنها
حسناء لا تختار أنت سواها

• شاعر يحب العلم وينظر باحترام وتقدير للعلماء، وعندما توفي الشيخ محمد المولوي، نظم قصيدة رثاء، يقول فيها:

وبفقده خسروا زعيمًا مرشدا
متفلسفًا ومثقف الإخوانِ
خسروا إمامًا مخلصًا ومبلغًا
فجرًا يشق ظلام جهلٍ جانِ
إن كان للإصلاح ركن قائمٌ
في كيرلا فهو الرئيس الباني

فكساه زي فضيلة وكرامة
ربي فودع فيه للأوطانِ
كم من نتائج فكره أهدى بها
كم من تراث رابح ذي شانِ
من ذاك أولاد كرام إنهم
يتلألأون كأنجم اللمعانِ

• الشاعر محمد أبو الصلاح رجل اجتماعي محبٌّ للعلم، مساهم في نهضة العلوم في كيرلا، وجاء شيخ من مصر وبنى روضة العلوم بفاروق، هو الشيخ أبو الصباح أحمد بن علي الأزهري، ولما توفي، نظم شاعرنا قصيدة في رثائه يقول فيها:

توفي وهو شمسٌ للصباحِ
ويهدينا إلى مرقد الفلاحِ
وأبقى خالد الآثار فينا
ضياءً مسفرًا نهج الصلاحِ
تغيب الشمس ولكن ما وجدنا
لشمس بعدها ضوء الصباح
إذا كان الصباح له افتخار
بأضواء فأنت أبو الصباح

• الشاعر الوفي يذكر الناس بمجيء المتوفي الشيخ أبي الصباح الأزهري من القاهرة، ودراسته في الأزهر الشريف، يقول:

تخرج حاملاً قبسًا مضيئًا
لجامع أزهر للجهل ماحي
إلى هندٍ فطاف بقاعها كالسـ
ـراج يضيء في كل النواحي
أخيرًا حلَّ في فاروق ألقى
بها جوًا صفيًا للصباحِ
فأسسَ روضةً للعلم تؤتي
ثمارًا في الغدوِّ وفي الرواحِ
وكان الشيخ ذا عزم كبيرٍ
ومِقدامًا سريعًا كالرياح
وقام بمعجز الأعمال لما
أحالوها فواجه بالكفاحِ

• شاعر متمكن وفيٌّ محب للعلم، وله نظرة إسلامية للمجتمع، تؤيد الجوانب الإيجابية، ويحترم من يؤدي خدمات للمسلمين، ومن الذين أسسوا الجماعة الإسلامي السيد أبي الأعلى المودودي، ولما انتقل إلى رحمة الله رثاه شاعرنا بقصيدة شعرية، يقول فيها:

فقد غاب عنا نيّر النجم بعدما
سعى في سماء العلم للدين حاميا
تلاقى جلال الموت روح جلاله
فأدخله في رحمة الله راضيا

بعلم غدا بحرًا خضمًا ملاطما
بأمواج خدمات إلى الله راجيا
وما كنتُ أدري قبله أنَّ كوكبًا ضيئًا
ببطن الأرض يصبح جاريا
أزال ظلام الجهلِ من كل بقعة
كبدر الدجى إذ كان في الجو باديا
أقام لتوحيد الصفوف جماعة
على روح ذكر الله للخلف ماحيا
رسا فصلها في الأرض وامتد فرعها
إلى ما وراء البحر والجو ماضيا

• لا شك أن الشاعر باقوي قوي في النظم، وله وقدرة كبيرة في استخدام العروض والقوافي، حتى قوافي النفر استخدمها ونجح في نظم قصيدة بها، وقام بالتنسيق بين اللفظ والمعنى، واستعمل خياله قليلًا في صنع صور فنية بسيطة، ولم يذهب بعيدًا في تصوره، وكان معتدلا في أسلوبه وطريقة نسج أبياته الشعرية.

• لقد أبرز الشاعر بعض الجمال في قصائده، وأظهر جمال اللفظ إذا تطابق مع المعنى، وهو قادر على إيجاد الألفاظ المعبرة عن الفكرة، ويبدو أنه قد حفظ شيئًا من الشعر العربي، وإن كان قليلًا، فتظهر بعض الألفاظ وتعابير القرآن من خلال قصائده.

****

محمد أبو كمال الكادري

١٣٢٤ - ١٤١٤ هـ / ١٩٠٦ - ١٩٩٤ م

• هو الشيخ أبو الكمال محمد بن حسن[1]، ولد في قرية ميلمري سنة ١٣٢٤هـ، الموافق ١٩٠٦م، بعد أن أنهي المرحلة الابتدائية التحق بدروس المساجد، في مدن كيرلا، ثم التحق بكلية الباقيات الصالحات بويلور، سنة ١٩٢٩م، وحصل على شهادة «الفاضل»، وبعد تخرجه عمل مدرسًا في أحد المساجد، ثم عمل في الكلية العربية نور الهدى بكانجرافلي، وكان مدرسًا للدين واللغة العربية.

• كان الشيخ محمد متمكناُ من اللغة العربية، وكتب بعض الكتب بلغة المليبار، وكان رجلًا مشاركًا في عدة أنشطة منها؛ محررًا لمجلة «البيان» وعضوًا في جمعية أهل السنَّة والجماعة، وعضوًا في هيئة التعليم الإسلامي، وعضوًا في تأليف الكتب الدراسية، ولكن في آخر حياته كان قعيد منزله وتراكم عليه الضعف والمرض، حتى انتقل إلى رحمة الله سنة ١٩٩٤م.

• كان الشاعر أبو الكمال شاعرًا يتحسس واقع المسلمين، ويرى تفرقهم، واختلافهم، ويرى أن حب المال أعمى

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ٢١٢.

بصيرتهم، وفقدوا الاهتمام بقيم الإسلام، فنظم قصيدة حول اختلاف المسلمين، يقول فيها:

المسلمون كأنهم في الوصلة
مرصوص بنيان شديد المنعةِ
أو جسم شخص إن أصيب ببعضه
يبقى حزينًا كله بالسهدةِ

- ويروي حاله، وتجاربه الشخصية، فيقول:

قد كنت في دهر كثير الغدرة
لم يبق شيء فيه غير خدعة
الناس في لذات دنيا زانهم
حب الغنى والجاه رغم حقيقة
قد كان نصب العين منهم درهما
فالدين عندهم قليل مثابة

- قصيدة سهلة الكلمات، واقعية الحال، ضعيفة السبك، ولكن مشاعر شخص هاله ما يرى من المسلمين. وعندما توفي والده نظم قصيدة رثاء في حقه، يقول فيها:

رزءٌ يجل عن السلوِّ فطالا
خطبٌ ألمَّ فهيَّج البَلْبالا
قطع الشباب عن العبادة والتقى
بالوعظ والتدريس عالٍ عالا
إنَّ الرجال من الأقاصي قد أتوا
قصدًا إليهِ كالبين كمالا
متحملًا للكارثات صبورا
متجملًا بالصالحات جمالا

- من عظم المصيبة على المرء أن يفقد أحد والديه، وخاصة إذا كان الإنسان على خلق ودين، فتأثيره على الأبناء كبير، وإذا كان الوالد هو المعلم، فكيف تكون المصيبة؟ ونظم الشاعر مرثية إثر وفاة الشيخ كنجيدو القادرمني، يقول فيها:

امتاز بالإعراض عن أهل الغنى
من بين علماء لهم أحبالُه
اختاره الله العلي بفضله
للعلم والعيش الزهيد جماله
ترك الأحبة في عنان فادحٍ
ومشت لمرضاة الرحيم نعاله

- كلمات بسيطة ساذجة، ليس فيها خيال، ولا سبك ألفاظ، ولكنه رثاء، وعبر عن واقعه، ووصف فقيده، وله قصيدة رثاء أخرى في الشيخ الشاعر أحمد الشعراني، يقول فيها:

سميت أحمدُ لاحتواء محامد
واللقب شعراني شعار سماكا
فإن أشعار يراعك ينظم
كما من العربي يظن سواكا
جاح الزمان فسدتَ غير مسوّد
ورفعت أقوامًا فنلت علاكا
أصبحت مصباحًا لأقران كما
قد شاع بين الناس سيب جداكا

- يقرر الشاعر واقع المتوفى، ولا يزيد عن ذلك، لضعف في قدرته على الاتيان بأفضل مما نظم.

• كافحت الهند الاستعمار الإنجليزي، وتعرض بعض الزعماء الهنود للسجن والقتل، وحدثت مجزة للناس في وقت من الأوقات، وسقط فيها الشهداء في واقعة أومنور، فيذكر الشاعر هؤلاء ويرثيهم، ويقول لهم:

فلا شيء أجدى عندنا من وجوهكم
إليكم توجهنا إنّا نتكدرُ
بذلتم نفوسًا في رضى الله
إنه نهايو جودٍ مثلها لا يصغرُ
فمن كان بذّلًا لنفس فإنه
لبذل لما دون النفوس يحقرُ

• وللشاعر قصائد أخرى؛ رثاء ومديح، ولكن شعره دون المستوى المطلوب، فهو ناظم لألفاظ عربية فصيحة، ونظمها في بحور خليلية، ولكنه لم يستطع أن يرتقي بها إلى مستوى الجمال اللفظي، والتنسيق الفني بين اللفظ والمعنى، على الرغم من إلمامه باللغة العربية الفصيحة، ومعرفته لأوزانها وفنونها، إلا أنه لم يستعمل خياله في صناعة شعره، فبقيت كلمات جافة تخلو من الجمال.

• لدى الشاعر قدرة قليلة في نظم الشعر، والتصور الفني للأبيات ضروري لإخراج قصائد ذات معنى ولفظ جيد، وطرق معاني جيدة، ولديه عاطفة قوية تجاه قضاياه، ولكن يجب أن يكون مع العاطفة حس شعري، وموهبة في النظم حتى تخرج القصائد مستوية الأركان، ذات سبك جيد، وصور فنية جميلة، وليس نظم الكلمات يكون الهدف الأساسي من إنشاء القصيدة الشعرية، فلابد من شعرية النص.

****

محمد أحمد التونكي

١٢٧٣ - ١٣١٤ هـ / ١٨٥٦ - ١٨٩٦ م

• هو أبوالرضا محمد بن أحمد التونكي[1]، أو الطوكي، ولد في تونك، ولاية راجستان، سنة ١٢٧٣هـ، الموافق ١٨٥٦م، حفظ القرآن الكريم، ثم درس الكتب الدراسية في بلدته، ثم درس كتب دراسية أخرى على يد المفتي لطف الله بن أسد الله، ثم على يد فيض الحسن السهارنفوري، الذي درس على يديه الأدب والشعر، وبعدها سافر إلى دلهي ليتلقى علم الحديث على يد الشيخ نذير حسين الدهلوي المحدث.

• كان الشيخ محمد سريع الحفظ، ويشرح الكتب بسهولة، ويعلق عليها، وله قدرة على الخطابة، وكان يستشهد بالأشعار، وكان يناظر الأحناف، ويهجوهم ويتعرض لهم بالمواقف السيئة، لذا اضطر الحاكم إلى سجنه، ولكن توسط عمه عبيدالله خان فأطلق سراحه، وذهب إلى بهوبال عند النواب صديق حسن خان، الذي قرر له مكافأة، وبقي هناك فترة طويلة، ثم عاد إلى تونك في آخريات حياته، حيث توفي سنة ١٣١٤هـ، الموافق ١٨٩٦م.

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨: ٣٨٤. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٥: ٤٧٥. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٩٤.

- له عدة تصانيف منها:
  - شرح مبسط لديوان الحماسة لأبي تمام.
  - حاشية على قصيدة لامية العرب للشنفرى.
  - الدراسة الوافية في العروض والقافية.
  - القصيدة البديعة في ذم المقلدة الشنيعة، تشمل 282 بيتًا.
  - إفادات الأريب ترجمة دراسات اللبيب.
  - رسالة تزكية الأصحاب.
  - رسالة في تحقيق غنية الطالبين.

- الشاعر محمد لديه قدرة كبيرة على قرض الشعر العربي، وذكر أن شعره جيد سهل المأخذ، وحسن السبك. ومن قصيدته البديعية قوله:

هواكم بقلبي والجوى في تمدُّدِ
وشوقي للقياكم مُقيمي ومُقعدي
أبى القلبُ أن يسلو الأحبة صابرًا
وأن يرتضي نومًا بجفنٍ مسهّدِ
أناجي نجومًا طولَ ليلي كأنني
أطارت كرى عينيّ ليلهُ أرمدِ
لقاؤكمُ المطلوب أحلى من الكرى
وأشهى من العيش اللذيذ المرغّدِ
وكم بتُّ أبكي من تذكّر جيرتي
وأرعى عهودًا كنَّ في خيرِ معهدِ
بكت عينُ قلبي بالدّماء تحزُّنًا
إذا ذكرت أيّام وصلٍ مبعّدِ
وما لي لا أبكي وقد حازني النوى
ولم أُعط منكم نظرة المتزوّدِ
أطارت تباريحُ الهوى كلّ منيتي
وملَّ طبيبي طولَ سُقمي وعُوَّدي
إلى كم أقاسي شِدةً من فراقكم
أذوب بنارٍ في الحشا متوقّدِ
رحلتم فبالله كم من حبائلٍ
تصيد فؤادي من أغاني المغرّدِ
سُلبتم لذيذ العيشَ لا عيش بعدكم
أعيش وعيشي عيشُ حيرانَ أكمدِ
أقاسي أوامًا في هجير غرامكم
ولم أرضَ غير الوصلِ والدهرُ موردي
وأنتمْ شفائي لا دوائي غيركم
ومنكم أُرّجي الفوز في نيل مقصدي
فمنُّوا عليَّ من يرتجي بقدومكم
حياة فؤادي بالسرور المجدّدِ
وإن لم تلاقوني بأنُسٍ ورغبةٍ
فيا وجدُ لا تذهبْ ويا حسرةُ اشهدي

- قصيدة رائعة لمحب دنفٍ، استطاع أن يعبر بكل قدرة عن مشاعره، وأمنياته، ولكن للأسف المصادر لم تذكر سوى هذه القطعة الجميلة، وهذه قصيدة جيدة السبك، وقوية المعاني، ولها حلاوة اللفظ والمعنى، استعمل الشاعر خياله وعاطفته ليخرج لنا صورًا فنية بديعية، فزادت من جمال القصيدة ورونقها.

• وله قصيدة بعنوان، إلى الله أشكو، يقول فيها:

إلى الله أشكو المشركين ببلدةٍ
بُليتُ بها منكم بكربٍ وغربةِ
أقمتُ لديهم مدة في ديارهم
كئيبًا حزينًا من أذاهم وجفوةِ
أصِبْتُ بحقدٍ منهم وقِلائهمُ
فكم شدةٍ قاسيتُها وبليّةٍ
وأُقضّي الليالي ساهرًا متفكرًا
مخافةَ كيدٍ منهمُ وخديعةِ
وضاقت عليَّ الأرضُ جدًّا برحبها
هجومًا لأنواعِ الخطوب الملمّةِ
وجدتهمُ عُمْيًا عن الحقِّ والهدى
ومُقْتحمي لجّ إلا لضلالة وبدعةِ
فنبّهتهم عن غفلةٍ ودعوتهم
إلى دين رب العالمين وشرعةِ
وذكّرتُ بالقرآنِ سرًا وجهرةً
ورغّبتُهم في الاتباع بسنّةِ
نصحتُهمُ باللين كي يأخذوهما
ويصفوا إلى قولي بأنسٍ ورغبةِ
وأخبرتُ عن بطلان تقليد مذهبٍ
وعرّفتهم ما جاءنا بالأدلةِ
وكررتُ تذكيري رجاءً لنفعه
وردّدتُ نصحي مرةً بعد مرةِ
وأسمعتُهم فيما أُمِرنا بأخذه
أحاديثَ ترغيبٍ وآثارَ رتبةِ
فلم يُذعِنوا للحقِّ بل زاد زيغهم
وطغيانُهم دون الرجوعِ وتوبةِ
ولم ينتهوا عن غيهم وضلالهم
وساءتهمُ مني مذمّةُ بدعةِ
وأغضبَهم إنكار تقليدِ مذهبٍ
وعزَّهم إنكارُ زورِ بكثرةِ
فأعرضَ عني كلُّهم وتأخّروا
وقد أنفوا عن أخذِ نهجِ طريقةِ
ولو كان من يدعو إلى الزيغ والهوى
أجابوا إلى التقليد من غير فترةِ
وكيف تلقّوا بالقبول هدايتي
وقد آمنوا بالجبت من طول مدةِ
أصرّوا على ما ضلَّ آباؤهم به
ولم يأخذوه على دليلٍ وحُجّةِ
مذاهب اختاروا برأي معوج
على الملة الغراء غير محجةِ

• يتميز الشاعر بقدرة كبيرة على النظم تحت كل الظروف، وعلى الرغم من آرائه التي آمن بها إلا أنه كان قاسيًا على المخالفين له، ولم يدع الناس بالحسنى، ولكنه شعريًا كان متمكنًا وقادرًا على النظم العربي الفصيح، استخدم البحور العربية القديمة، وكان يمتلك زمام اللغة العربية، فصاغ قصائده على نمط الشعر العربي.

• استطاع أن يختار الألفاظ الجيدة التي تناسب المعنى المراد، واستطاع أن يصنع من التناسق بين اللفظ والمعنى طريقًا لنظم أبيات جيدة السبك، وقوية الأثر، لذا لجأ معاندوه إلى الحاكم ليضعه في السجن، ولكنه لم يترك ما يدعو إليه من عدم جواز التقليد.

• كان لخياله الكبير طريق الوصول إلى إبداع فني وخيالي عظيم، أخرج صورًا فنية بديعة، وأعطى جمالًا للأبيات، وأشرك القارئ في فكره وأسلوبه في النظم بقوة، ودراية، فشعره يصل إلى مستوى عال من الجودة، ومقدرة على العمل الكبير لإنتاج قصيدة تحمل أفكاره، وتكون طيعة لأدوات النظم العربي.

****

محمد أحمد الفاكهي

٩٢٣ - ٩٩٢ هـ / ١٥١٧ - ١٥٨٤ م

• هو أبوالسعادات محمد بن أحمد بن علي الفاكهي[1]، المكي الكجراتي، ولد في سنة ٩٢٣هـ، الموافق ١٥١٧م، قرأ المذاهب الأربعة، ومن شيوخه: الشيخ أبو الحسن البكري، والشيخ ابن حجر الهيتمي، والشيخ محمد بن الخطاب، وغيرهم. صنف عدة مصنفات، منها:

- **رسالة حول آية الكرسي.**
- **شرح مختصر الأنوار.**
- **رسالة في اللغة.**
- **باب السلاطين.**

• كان قد زار السادة آل باعلوي في حضرموت، وعاد إلى مكة، ثم دخل الهند، وأقام بها، وعاد إلى بلده، ثم رجع إلى الهند على آخر حياته، فقد توفي بمدينة أحمد آباد سنة ٩٩٢هـ، الموافق ١٥٨٤م.

• له مقطعات صغيرة، ولم أقرأ له قصائد طويلة، ومن شعره قوله:

طبعتُ على حبّ المعزَّةِ والثنا
وأرجوهما في طول عمري وديدني
وها أنا أوصي كلَّ خلٍّ معزز
بأن لا يداني للدنا من يدي دني

• قيل بأن أبا العلاء المعري نظم بعض الأبيات، فرد عليه شاعرنا بقوله:

لعمركَ إنَّ القولَ فيك لصادقٌ
وتكذب في الباقين منشطٌ أودنا
كذلك إقرار الفتى لازمٌ له
وفي غيره لغوٌ بذا جاء شرعنا

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج ٤: ٢٥٢. عبدالقادر العيدروس، النورالسافر ص ٥٢٧.

- ذكروا أن تلك القطع من قصائد، ولكن المصادر لم تنقل لنا القصائد إلا بعض الأبيات، وهذا لا يكفي، من ذلك قول الشاعر:

يـا أهـل تـدريـس الـعـلـوم جميعه
وذوي عـقـول قـد صـفـت مـن ريـبـة
هـل تـعـلـمـون مـحـلـة مـعـروفـة
جـمـعـت كـمـكـة فـي عـداد فضيلة

- هذا تكريم لمكة المكرمة التي عاش بها سنوات من عمره قبل أن ينتقل للعيش في الهند، وقد أجابه أكثر من شاعر حول هذا التساؤل. والشاعر الفاكهي شاعر قدير، ولكن المصادر شحيحة حول شعره، ولكن من خلال هذه النماذج القليلة نستطيع القول بأن الشاعر له قدرة كبيرة على النظم، فقد تربى في مكة، وأتقن اللغة العربية، وحفظ كثيرًا من الشعر العربي، فهو لا شك أنه شاعر مبدع، استخدم بحور الشعر التقليدية، وضمنها الأفكار التي عناها، مع ألفاظ مناسبة للفكرة وسبك جيد للأبيات، مع وضوح الفكرة، لا غموض في شعره، ولا صعوبة في الفهم.

- استعمال الخيال في نماذج بسيطة ضرب من الاستحالة، ولكن شاعرنا استعمل خياله بشكل بسيط، وابتعد عن الابتذال، والإسراف في تعميق الفكرة، وألف بين اللفظ والمعنى، وأقام صورًا معبرة عما يريد.

****

محمد أحمد الكدنجي

١٣٣٦ - ٠٠٠ هـ / ١٩١٧ - ٠٠٠٠ م

- محمد بن أحمد الكدنجي[١] ولد في قرية كدنجي، ولاية كيرلا، سنة ١٣٣٦هـ، الموافق ١٩١٧م، وبعد أن أنهى دراسته الإبتدائية التحق بدروس المساجد، ثم ذهب إلى منجيري ليدرس في الكلية العربية روضة العلوم، التي أسسها أبو الصباح الأزهري، وبعد تخرجه عمل مدرسًا بالكلية العربية العالية بكاسركوت سنة ١٩٤٧م، وبعد سنتين ذهب إلى كوشن ليعمل عند الجماعة الإسلامية، ثم التحق بمجلة «الدعوة» المليبارية، كمحرر مساعد، ثم أصبح محررها الرئيسي.

- نشر الشيخ محمد كثيرًا من المقالات باللغة المليبارية، وترجمت بعض أعماله إلى الإنجليزية، وكان متضلعًا باللغة العربية، وله أشعار كثيرة يقولها في المناسبات الاجتماعية، مثل التهاني والمراثي والمراسلات الأخوية والمديح، ومن شعره، ما هنّأ به المجلة التذكارية للكلية الإسلامية، يقول فيها:

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ٢٥٦.

مدت إليك لكي تحظى بها يدُها
حمرٌ أساورها بيض خلاخلها
ما أحسن لجيدٍ جيد لريم ضاء من الـ
ـياقوتِ والدر والمرجان كاهلها
حوراء مقبلة جيداء مدبرة
تكاد تقتل شوقًا من يقابلها
زفت بشتى مقالاتٍ نفائس من
فطاحل الأدبا فاقت منازلها

• كلمات بسيطة، وتعبير رقيق، واقتباس من الشعر العربي، وتحتاج تصحيح بعض العبارات، ولكن الشاعر عبر بفكره من خلال هذه القطعة.

• يبدو أن شاعرنا يحب العلم، ويرى في نشره بكل الطرق هدفًا للمثقفين والعلماء، وكانت المجلات العربية واحدة من طرق نشر العلم الإسلامي، واللغة العربية، لذا نراه يمتدح أي مجلة تصدر، أو تحتفل بمرور بعض الأعوام على صدورها، فهو يرى في مجلة «المرشد» التي صدرت في مدينة ترونغادي أنها تؤدي عملًا كبيرًا في هداية الناس ولإرشادهم، يقول فيها:

يا مرحبًا بمحياك الذي انكشفت
عن نوره كل أسدال وأستارُ
فاهتز جم غفير بهجة طربا
بل الحسود بواد الغيظ والنار
فأرشدي القومَ هم في غفلة عمهوا
وشوّهوا غرة الإسلام بالقارِ
إلى التمسك بالقرآن حجتنا
وسنة المصطفى يا ذخر أحرارِ

• إذن العمل العلمي لا بد له من هدف سامٍ يقوم به، وعندما رأى الشاعر ما آلت إليه أحوال المسلمين وجد أن على وسائل التوعية أن تنبه الناس إلى أخطائهم، وتدعوهم إلى العمل الصالح، ومن تلك الوسائل المجلات الرصينة.

• كان للشاعر مكاتبات شعرية، يرسلها إلى أصدقائه ومريديه، ومن أصدقائه، وزملائه في روضة العلوم كان محيي الدين فيرسل رسالة له يقول فيها:

قد كان قلبي من جواه يذوبُ
ورمتُ فؤادي بالسهام كروبُ
وتراكمت في الجو سود غيومه
حتى شعاع الشمس ليس يجوبُ
ترك الجبال مطبقًا بالقلج أبـ
ـخرة خرجن من الفؤاد يذوبُ
فكأنني مكسور أجنحة غدا
ملقى إلى وسط الفلاة كئيبُ
إن كان مقدور الأحبة وحشة
فلديهم كأس الردى محبوبُ
فلعلهم وصلوا إلى أوطانهم
لكن أخوهم في البلاد غريبُ

• ذكرنا سابقًا بأن الشاعر يحب العلم والعلماء، وإذا كان أحد العلماء من الأقرباء، وأستاذًا للشاعر، وانتقل إلى رحمة الله، فكيف يرثيه القريب والتلميذ، إثر وفاة خال الشاعر الشيخ أحمد مسليار، إمام الجامع، ينظم شاعرنا قصيدة رثاء في خاله، يقول فيها:

صه لا أبا لك يا عذولي إنما
يشفي العليل من الفؤاد عويلُ
أنا لستُ أسمع قولة رسمية
صبرًا جميلًا إنني مشغولُ
لكنها من فلسفات حكمها
عند العقولِ مسلم مقبولُ
ليس القلوبُ كما زعمتَ وليتها
تبعًا تهدى لإليه عقولُ
من سره سادوا وشادوا وابتنوا
للمجد صرحًا ليس فيه فلولُ

• والشاعر مرتبط بالعلماء، والبيئة التي احتضنته، فأي حادثة تحدث في المجتمع نجد صداها في شعر شاعرنا، ومن ذلك وفاة أحد العلماء، المقربين إليه، وهو المولوي عز الدين الفضفري، الذي انتقل إلى رحمة الله سنة ١٣٩٩هـ، الموافق ١٩٧٩م، فرثاه شاعرنا بقوله:

ذرونـي عذلي تجري دموعي
على الخدين كالسيل الدفوعِ
لقد حقَّ البقاء على عيونٍ
شفاء سقامها فرط الجزوعِ
أيا خير التلال أراك تزهو
كأنك في نضارات الربيعِ
كأنك قد نسيتَ ضنوك عيش
مضى إذ كنتَ كالطفلِ الرضيعِ

• كان الشاعر يتلقى العلم في كلية روضة العلوم، وكان صديقه، سي بي أبو بكر المولوي معه في الكلية، ولكن جاءت عطلة الصيف وافترقا، فأسف الشاعر لافتراقهما، ونظم أبياتا يعبر بها عن حزنه وألمه من هذا الفراق، يقول:

كأنَّ نفسي غداة البين إذ رحلوا
طير يريد فرارًا من يد الجاني
فالنفسُ حائرةٌ والعينُ ساهرةٌ
والدمعُ يسكب مزجاً بالدم القاني
لا غرو أن حياة المرء ضائعة
إذا أصيب بهجران وحرمانِ
كالبدر غرته والبحر راحته
في الحسن قامته كالغصن للبانِ
كم أمسكت عفة في الدين سيمته الـ
ـقدح المحلى له في حفظ أحصانِ

• الشاعر رجل اجتماعي، محبًا للعلم والعلماء، وله صلات قوية مع الأقرباء والأصدقاء، ومقطعاته هذه تبيّن نظرته للحياة، ومكانته عند رفقائه، وقد أبدى مشاعره وأحاسيسه تجاه من يحب، ومسؤوليته تجاه مجتمعه، وقد نظم شعرًا عربيًا فصيحًا، استخدم بحور الشعر العربي القديم، واختار ألفاظًا مناسبة للمعاني التي نظم بها، مع تناسق بين اللفظ والمعنى.

• كان خياله قليلًا، وصوره قليلة جدًا، فلم يستعمل خياله لبناء صور خيالية غنية، ولكن كان واقعيًا من حيث

استعمال الشعر لأغراض معينة، لا يرجو من ورائها سوى تسجيل ردة فعله للحوادث، فهو ناظم جيد، يغلب عليه الأسلوب التقريري، ولا وجود لفلسفة معينة في شعره، فجميع قصائده واقعية.

****

محمد أحمد الكوتلنغادي

١٣٣٢ - ٠٠٠ هـ / ١٩١٣ - ٠٠٠٠ م

• ولد الشاعر محمد بن كنج أحمد في قرية كوتلنغادي[١] سنة ١٣٣٢هـ، الموافق ١٩١٣م، تلقى دروسه الأولى من أبيه وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بدروس المساجد، وتعلم أيضًا في مناطق أخرى، وأخذ العلم من الشيخ صدقة الله المولوي، والشيخ عبدالرحمن المولوي، والشيخ كنيات أحمد مسليار، وغيرهم، ثم التحق مدرسًا في أحد المساجد لمدة خمس عشرة سنة.

• كان الشاعر ينظم الأشعار وهو صغير السن، ولكنه لم يحتفظ بكثير من أشعاره، وينظم في المناسبات، أو الأحداث الطارئة، ومن شعره قصيدة يدعو فيها للتمسك بتقليد أحد المذاهب الأربعة، فهو ضد التغيير، منها قوله:

أرى التقليد يمنعه العجولُ
ولا يدري فيدري ما يقولُ
هل التقليد إلا أخذ من لا
له علم بما أيدي الفحولُ
تشق عصا الجماعة من هنّاتٍ
تدين بها وليس لها دليلُ
وضوء الشمس للخفاش ليلٌ
وللفَراش نارُ قِرى وبالُ
رجوت سفاهةً ما قد رجاه الْـ
أُخيطل قبل ليس له حصولُ

• كان الشاعر ضد حركة التجديد والإصلاح الهندية، فهو تقليدي، ولا يحب التجديد. وكان الشاعر قد ذهب إلى الحج، فوصف رحلته منذ أن غادر بلدته، ولما وصل إلى بومبي لأخذ السفينة إلى بلاد الحرمين لم يتيسر له ذلك، لذا سافر بالطائرة، فيقول فيها:

وحجّاج بيت الله ساروا وعاقنا
عن القصدِ عدم الفلك فاليأس حفنا
إذا نحن مجبرون بالعود قهقرى
وموج عباب الغم بالصدر دندنا

• وبعد أداء مناسك الحج، تحركت القافلة إلى المدينة المنورة لزيارة رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يقول:

وقافلة الزوار شدوا رحالهم
إلى طيبة العظمى ويقرع سمعنا

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ٢٤٢.

فودعتُ بيت الله والدمع سائلٌ
وسرنا مع الزوار أول ليلنا
نبي الهدى ما خاب زوار بابكم
فلا تنسوني يوم يشتد هولنا
أتيتُ إليكم راغبًا نيلَ جودكم
نبي العدى في الزائرين ذوي المنا

- الحج إلى بيت الله الحرام غاية كل مسلم، ويشعر بقربه من الله، ويؤدي المناسك وهو في قمة المحبة والعطف والرغبة في التوبة، ثم زيارة ضريح رسول الله فيها بهجة وسرور، وأمنيات للزائرين، ومحبة صادقة لرسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام- لذا تتفجر عنده الطاقات فينظم الشاعر أبياتًا يعبر عن حبه وشوقه لرسول الله.

- يشق على الإنسان وفاة أحد والديه، وخاصة إذا كان ذلك الوالد له تأثير كبير على الإنسان، وشاعرنا فقد والده، ومعلمه الأول، فنظر إلى فكره فما عساه يقول في والده، الذي كان له نعم الأب والمعلم، يقول فيه:

بها يَلتذّ غرٌّ لم يشاهدْ
تقلبَها بتشتيتٍ وداءِ
وكيف ألذّ بعد أبٍ شفيقٍ
عطوف ذي المودة والوفاءِ
فإنّكَ قد أجبتَ بطيبِ نفسٍ
لداعي الحق أسرع من هواءِ
وحولك من بنين ومن بناتٍ
وضيفان دعوتَ إلى قراءِ

- استخدم الشاعر بحور الشعر العربي القديم، وتأثر ببعض شعراء العرب، واختار الألفاظ المناسبة للفكرة التي طرحها، ولكن موسيقاه قليلة مع عدم الاهتمام بالصور الفنية في نظمه، لذا كان خياله بسيطًا، ولكنه كان حاضرًا في نقل أحواله، ومشاعره الصادقة تجاه من يحب.

****

محمد أحمد الكيلاني

٠٠٠ - ١٠٥٠ هـ / ٠٠٠٠ - ١٦٤٠ م

- هو الشيخ محمد بن أحمد بن حكيم الملك شمس الدين الكيلاني المكي الهندي[1]، ولد في مكة، وقرأ بها دروسه، ونبغ بالأدب والشعر، تقرب من الشريف محسن، شريف مكة، ولكن الشريف أحمد بن عبدالمطلب كانت علاقته معه سيئة، فنهبت داره، وحرقت كتبه، وأخذ ماله، فأمنه بعض الأشراف، ثم ذهب إلى اليمن، ومنها إلى الهند، فاستوطنها، وكان ذلك أيام شاهجهان عالمكير، الذي ولاه على دار العدل، وبقي فيها إلى وفاته.

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٥: ٣٤١.

• لا نعرف له أنشطة في الهند سوى ما ذكر، وله قصيدة طويلة، يقول فيها:

صوادح البان وهنا شجوها بادِ
فمن عذير فتى في فتّ أكبادي
صبٌّ إذا غنت الورقاءُ أرّقه
تذكيرها نغمات الشادن الشادِ
فباتَ يرعفُ من جفنيهِ تحسبه
زبرج الدمع والوكاف بالجادِ
جافي المضاجع إلف السهد ساوره
سم الأساور أو أنياب آسادِ
له إذا الليلُ واراه نشيج شجٍ
وجذوة في حشاه ذات إيقادِ
سمّاره حين يُضنيه توحشه
فيشرئبُّ إلى تأنيس عوادِ
وجدٌ وهمٌ وأشجانٌ وبرح جوى
ولوعة تتلظى والأسى سادِ
أضناهُ تفريق شملٍ ظلَّ مجتمعًا
وضنَّ بالعودِ دهر خطبه عادِ
فالعمرُ ما بين ضنّ ينقضي وضنا
والدّهرُ ما بين إبعادٍ وإبعادِ
لا وصل سلمى وذات الخال يرقيه
ولا مؤمل من سعدى لإسعادِ
أشجى فؤادي واستوهى قوى جسدي
أقوى ملاعب بين الهضب والوادِ
عفت محاسنها الأيام فاندرست
واستبدلت وحشة من أنسها البادِ
عطلتها الرزايا وهي حالية
بساكنيها وروّادها ووارادِ
وعاثَ صرفُ الليالي في معالمها
فما يجيبُ الصدى فيها سوى الصادِ
دوارج المور مارت في معاهدها
فغادرتها عفا الساحات والنادِ
وناعب الموت نادى بالشتات بها
فأهلها بين أغوارٍ وأنجادِ
وصوّحت بالبلى أطلالها وخلت
رحابها الفيح من هيدٍ ومن هادِ
أضحت قفارًا تجر الرامسات بها
ريحًا جنوب وشمل ريحها الخادِ
كأنها لم تكن لبيض مهًا
مراتعًا قد خلت فيهنَّ من هادِ
ولم تظل مغانيها بغافية
تغني إذا ما ردى من بدرها رادِ
ولا عطا نبتها ريم ولا طلعت
بها بدور دجى في برج مصطادِ
ولا تثنّت بها لمياء ساحبة
ذيل النعيم دلالًا بين أندادِ
فارقتها وكأني لم أظل بها
في ظل عيش يجلي عذر حسادِ
أجني قطوف فكاهاتٍ محاضرة
طورًا وطورًا أناغي ربة الهادي
هيفاء يزري إذا ماست تمايلها
بأملد من غصون البان ميّادِ

بجانب الجيد يهوي القرط مرتعدًا
مهواه جد سحيقٍ فوق أكتادِ
شِفاهها بين حقِّ الدرِّ قد خزنت
ذخيرة النحل ممزوجًا بها الجادي
إذا نضت عن محيّاها النقاب صبا
مستهترًا كلّ سجادٍ وعبّادِ
وإن تحلت ففيما فد جلته دجى
لتائهٍ بالدآدي أيما هادي
وميض برق ثناياها إذا ابتسمت
يعارض الدمع من مهجورها حادِ
وناظران لها يرتد طرفهما
مهما رنت عن قتيلٍ ماله وادِ
وصبح غرتها في ليلِ طرتها
يوماي من وصلها أو هجرها العادي
تلك الربوع التي كانت ملاعبها
أخنى عليها الطي أخنى على عادِ
إلى مراتع غِزلان الصريمِ لها
يحنُّ قلبي المعنّى ما شدا شادِ
بُعدًا لدهرٍ رماني بالفراق لها
ولا سقة كنفيه الرائح الغادي

• القصيدة طويلة تبلغ ثمانين بيتًا من الشعر، وفي وسطها يتذكر مصارع بني هاشم، في فخ، فيقول:

عمري لئن عظمت تلك الفوادح من
خطوبة وتعدّت حد تعدادِ
لقد نسيت وأنستني بوائقه
تلك التي دهدهت أصلاد أطوادِ
مصارع لبني الزهرا وأحمد قد
اذكرن فخًا ومن أردى بع الهادي
لفقدهم وعلى المطلول من دمهم
تبكي السماءُ بدمعٍ رائحٍ غادِ
وشقّ جيب غمام البرق من حزن
عليهم لا على أبناء عبادِ
كانوا كعقدٍ لجيد المجدِ مذ فرطت
من ذاك واسطة أودى بتبدادِ
هو امليك الذي كان حمى
مذ ماس من برده في خير إيرادِ
كانت لجيران بيت الله دولته
مهاد أمن لسرح الخوف زرادِ
وكان طودًا لدست الملك مجتبيًا
لاقتناص المعالي أي نهّادِ
ثوى بصنعاء فيا لله ما اشتملت
عليه من مجده في ضيق ألحادِ
فقد حويت به صنعاء من شرفٍ
كما حوت صعدة بالسيد الهادي
فحبذا أنتِ يا صنعاء من بلد
ولا تغشى زيادًا وكفَّ رعادِ
مصابه كان رزءًا لا يوازيه
رزء ومفتاح أرزاء وآسادِ

وكان رأسًا على الأشراف منذ هوى
تتابعوا إثره عن شبه ميعادِ
لهف المضاف إذا ما أزمة أزمت
من خطبِ نائبةٍ للمتن هدّادِ
لهف المضاف إذا ما أمحلت سنة
يضنُّ في محلها الطائي بالزادِ
لهف المضاف إذا كرَّ الجيادُ لدى
حرّ الجلاد أثارَ النقع بالوادي
لهف المضاف إذا ما يستبح حمى
لفقد حام بورد السكر عوّادِ
لهف المضاف إذا جلى به نزلت
ولم يجد كاشفًا منها بمرصادِ
لهف المضاف إذا حمل المغارم في
نيل العلى أثقل الأعناق كالطادِ
لهف المضاف إذا نادى الصريخ ولم
يجد له مُصرخًا كالليث الصادي
لهف المضاف إذا الدهر العسوف سطا
بضيمٍ جارٍ لنزل العز معتادِ
بل لهف نفسي ذوي الآمال قاطبةً
عليهم خير مرتاد لمرتادِ
كانت بهم تزدهي في السلم أنديةٍ
وفي الوغى كل قدّاد وهنّادِ
على الأرائك أقمارٌ تضيء ومن
تحت الترائبِ آساد لمستادِ

تشكو عداهم إذا شاكي السلاح بدا
شك القنا ما ضفا من نسج أبرادِ
إلى النحور وما تحوي الصدور
وأرته في جنحها ظلمات أجسادِ
بادوا فباد من الدنيا بأجمعها
من كان فكّاك أصفادٍ بأصفادِ
وقد ذوت زهرة الدنيا لفقدهم
وألبست بعدهم أثواب إحدادِ
واجتث غرس الأماني من فجيعتهم
وأنشد الدهرُ تقنيطًا لروادِ
يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ
في جميع رحلك واجمع فضلة الزادِ
يا قلبُ لا تبتئس من هول مصرعهم
وعز نفسك في بؤسى وأنكادِ

• وهكذا يسرد تاريخ ثورات الهاشميين، ثم يأتي إلى أحد أئمة اليمن، ويقول:

بحائز إرثهم حاوٍ مفاخرهم
كما حوى الألف من آحاد أعدادِ
وذاك زيدٌ أدام الله دولته
وزاده منه تأييدًا بإمداد
أليس قد لاح في تأسيس دولته
من جده المصطفى رمز بإرشادِ
دامت معاليه والنعمى بذاك له
مصونها وهو ملحوظ بإسعادِ

ما لاح برق وما غنت على فنن
صوادح البان وهنا شجوها بادِ

- قصيدة غزلية تاريخية مدحية، وفقد جمع فيها الشاعر الكيلاني ما عرفه من تاريخ بني هاشم، وما جرى عليهم من محن ومصائب، ثم الدعاء لصاحب اليمن، وأظنه ملوك اليمن في عهده، وكان شاعرًا متمكنًا من النظم، والتاريخ، والعبارات الجميلة التي سطرها.

- قصيدة طويلة فيها التناسق بين اللفظ والمعنى، وفيها قوة السبك وحلاوة البيت الشعري، بما حواه من صور فنية بلاغية، وكان لخياله دور استنباط تلك الأخيلة، التي زادت من جمال التركيب، وأدت المعنى بكل وضوح، ولم يلجأ إلى الغموض، أو استعمال النادر من الألفاظ، وكان سهلًا ميسور الفهم والإدراك، جاءت القصيدة متسلسلة، متبعًا طريقة الشعراء الأقدمين في النظم، فالنسيب في بداية القصيدة، ثم يعرج إلى التاريخ، وخاصة ما حدث في موقعة فخ، ثم بناء دولة الأشراف في اليمن، وكان واقعيًا، وحافظًا للتاريخ، وقد أتى بأساليب سهلة وممتعة، واستخدم بحرًا خليليًا، وقافية من الذلل، وسهلت مهمته في ذلك، فمن هذه القصيدة يتضح مقدرة الشاعر، وتمكنه من أدوات النظم، واسترساله في تتبع الأحداث، وثقافته العالية، وبعده عن الإسفاف والمعاضلة.

- نعرف أنه ولد في مكة، ولكن لم نعرف تاريخ مولده، غير أن المؤرخين ذكروا تاريخ وفاته سنة ١٠٥٠هـ، الموافق ١٦٤٠م.

****

محمد أحمد النهروالي

٩١٧ - ٩٩٠ هـ / ١٥١١ - ١٥٨٢ م

- هو الشيخ المفتي قطب الدين محمد بن أحمد بن محمد ابن محمود النهروالي[1]، ولد في لاهور سنة ٩١٧هـ، الموافق ١٥١١م، تلقى العلم على يد والده، ثم رحل إلى مكة لطلب العلم، وتلقى العلم من الشيخ أحمد محب الدين العقيلي النويري، وعن وجيه الدين عبدالرحمن بن علي الديبع الشيباني الزبيدي، وعن الشيخ شهاب الدين أحمد المغربي، وشيوخ مكة في ذلك العصر.

- سافر إلى مصر سنة ٩٤٣هـ، الموافق ١٥٣٦م، واجتمع بأبي عبدالله محمد بن يعقوب العباسي، ثم أخذ الطريقة الصوفية من الشيخ علاء الدين الكرماني النقشبندي، وزار مصر مرة أخرى، ثم تفرغ للتدريس في مكة، وتولى الإفتاء في مكة، وعندما تأسست المدرسة العثمانية في مكة تولى شيخنا التدريس بها، فكان يدرس بها الفقه والحديث.

- له عدة مصنفات، منها:
  - **الإعلام بأعلام بيت الله الحرام.**
  - **البرق اليماني في الفتح العثماني.**

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٤: ٢٥٤.

- منتخب التاريخ، في التراجم.
- تمثال الأمثال النادرة.
- الكنز الأسمى في فن المعمى.

• أن الشيخ المفتي شاعر، وله قصائد ومقطعات، منها ما مدح به السلطان مراد بن سليم العثماني، سلطان الدولة العثمانية، يقول فيها:

إنَّ سلطانَنَا مرادَ لظلُّ اللهِ
في الأرض باهر السلطانِ
ملك صار من مضى من ملوك
الأرض لفظا وجاء عين المعاني
ملك وهو في الحقيقة عندي
ملك صيغ صيغة الإنسان
ملك عادل فكل ضعيف
وقوي في حكمه سيّان
سيفه والمنون طرة رهان
لحلوق العدو يبتدران
كمّل المسجد الحرام بناء
فاق في العالمين كل المباني
هكذا هكذا وإلا فلا
إنما الملك في بني عثمانِ

• في هذه الأبيات يمدح السلطان مراد، إلا أنه لم يأت بجديد فهو تقليدي، والمصدر لم ينقل لنا سوى هذه القطعة القصيرة، ولم نعرف ما نظم في الموضوعات الأخرى.

• ربما كانت مهنة التدريس والإفتاء شغله دون النظر إلى الشعر، ولكن بعد تلقي الرتب من السلاطين العثمانيين لا بد له من نظم شيء في حقهم، فلم يعطنا خياله، ولم نعرف موقفه من سبك القصيدة، وتناسقها، وجمال التراكيب اللفظية.

****

محمد إقبال القادري

١٣٦٦ - ٠٠٠ هـ / ١٩٤٧ - ٠٠٠٠ م

• ولد الأستاذ محمد حسين إقبال القادري[1] سنة ١٣٦٦هـ، الموافق ١٩٤٧م، في قرية فيصل آباد، وتلقى تعليمه في بلدته، ثم التحق بالكلية الحكومية، وحصل على الليسانس، ثم التحق بجامعة بنجاب وحاز على درجة الماجستير في اللغة العربية، من الكلية الشرقية سنة ١٩٦٩م، ثم عمل في التدريس.

• له ديوان شعر عربي مطبوع، ويمتاز شعره بعدم التكلف، وتنوع موضوعات شعره، ومن قصائده في مدح رسول الله - عليه أفضل الصلاة والسلام - يقول فيها:

(١) حامد أشرف همدان، شعراء العربية في باكستان ص ٢٦٦.

الصدقُ ينبعُ من حكيم مقالهِ ... ومبشر للمؤمنين بجنة
والحسن يظهر من عظيم فعالهِ ... وكذاك للعاصي بسوءِ مآلهِ
والفضلُ يبدو من صفيحة وجههِ ... داعٍ إلى تقوى الإله بحكمةٍ
ويطيب محيا الخلق من إفضالهِ ... ساعٍ لقمع الشرك واستئصالهِ
وإذا يقال من الفتى كل الفتى ... صدر العلى شمس الهدى خير الورى
في علمه وأناته وفعالهِ ... نور التقى كشف الدجى بجمالهِ
بدرت إليه من الأنام نواظرٌ ... أخلاقه محمودة ومناقب
ورأوه فذًا في جميع خصاله ... لم يحصها الإنسان في مكيالهِ
والناس إذ فرحوا بمكرمة لهم ... غيثٌ فيستسقى الغمامُ بوجهه
فاق الورى بالجود من أنفاله ... كرمٌ إذا العافي أتى لسؤالهِ
كان الخلائقُ غافلين عن الهدى ... نبراس حق يستضاء بنوره
فهداهم الرحمن باستقباله ... علم الهداية لم يكن كمثالهِ
لمّا أتاهم للكتاب معلمًا ... لا نقص يوجد في رشاقة قده
أسنى بيان حرامه وحلالهِ ... لا سيما في حسنه وجمالهِ
مازال يسعى في هداية قومه ... والله نضّر وجهه بصباحهِ
حتى استنار الأكثرون بآلهِ ... تقضى الحوائجُ في جوار رحالهِ
وسعى لنصر الدين كلُّ مجاهدٍ ... يقضي إذا قصد الخلائق بابه
بحسامه وقناته ونباله ... حاجاتهم بعطائه ونوالهِ
أمّا الكفورُ فلم يزل متمردًا ... بالعدلِ يقضي بين أهل خصومة
يبدي العداوة طالبًا لزواله ... ويفرّغ المجهود من أثقالهِ
هو رحمة للعالمين ونعمة ... حارت فلاسفة الدنا من عقلهِ
كبرى يُنجّي المرء من أهوالهِ ... شهدت جهابذة الورى بكمالهِ
وشفاعة للمذنبين وعمدة ... ويزيد من بدر السناء تلألؤاً
فيجيرهم بيمينه وشمالهِ ... ويفوقه في نوره وجلالهِ
وتزود للمتقين وعصمة ... والشهد أدنى من حلاوة قوله
لأرامل نعمَ الجواد بمالهِ ... وفصاحة السحبان دون مقاله

في الحرب أشجع من ضراغم غابة
أضحى صريعًا من أتى لقتالهِ
ويفر من ضرباته أُسد الوغى
والخصم يفرق من شديد محالهِ
ويهابه الأبطال هيبة ضيغمٍ
يحمي عدوًا لائذًا بظلالهِ
صبرٌ إذا جاء الزمان بشدةٍ
نصر بيوم كريهة لرجالهِ
عفوٌ إذا الجاني أتاه بتوبةٍ
تعسًا لإنسان أتى لنضالهِ
موفٍ إذا وعد أمرًا بعطية
يفضي بإنسان إلى آمالهِ
إنَّ المروءة والسماحة والندى
في قبة بنيت عليه وآلهِ
بالوحي زيّنه الإله لخلقه
يزداد لمع السيف بعد صقالهِ
متقدم في حسن معرفة الإله
ويحب المخلوق مثل عيالهِ
وسعادة الدارين تحت لوائه
ودليلُ إيمان محبة آله
تفسير آيات الكتاب حديثه
بالقول والتقرير أو أفعالهِ
دع عنك ذيل الخلق واتِ المصطفى
تجد المنى باللمس من سربالهِ
يا أيها الباغي لرحمة ربه
سلم على خير الأنام وآلهِ
من ليس في ذات الرسول براغبٍ
يشقى ويبقى في مساءة حالهِ

• هذه قصيدة طويله، وذكرت معظم الأبيات، ولاشك أن الشاعر يمتلك القدرة الكبيرة على النظم باللغة العربية، فقد بدأ القصيدة متبعًا شعراء العرب القدامى، أي براعة الاستهلال، واختيار الألفاظ الموحية الجذابة، وأخرج كل ما لديه من قدرة في صنع هذه القصيدة، وتفنن في ذكر خصال رسول الله – عليه أفضل الصلاة والسلام – وكيف ينحرف عنه بعض الناس مع ما يتمتع به من سلوكيات حسنة، وسمات ملائكية، وحلم وعلم وروح وثابة إلى المعالي.

• وللشاعر قصيدة أخرى في الوعظ والحكمة وتجارب الحياة، يقول فيها:

لا يستقر الماء في الغربالِ
لا تقدم النسوان ضد نزالِ
لا يبلغ الأهداف غير مكابدٍ
والمرء لا تمشي إليه معالي
من جدَّ في طلب المعالي نالها
ويخيب عن نيل المرامِ كسالي
لا تسكن العقبان في أوكارها
بل يشتهين شواهق الأجبالِ
وإذا الفتى لم يجتهد لمرامه
ما ساقه قدر إلى الآمالِ
لا تُهزم الأعداء من أمنيةٍ
قم بالسلاح لخصمك المختالِ

واستخدم الأسياف في حرب العدى
وإذا بدا لك فارمهم بنبالِ
شدّد على الكفار وطأك إنهم
تبلى بسالتهم لدى الأقتالِ
واغلظ على أهل النفاق فإنهم
في المرفقين بأسوأ الأحوالِ
لتنال نصرًا أو تلاقي رفقة
في جنة للخالق المتعالي
صدق اللبيبُ فإنَّ كفرًا ملة
مخذولة مهزومة في الحالِ
والحق يعلو ليس يغلب أن رأى
من باطل جيشًا أتى بمحالِ
سبح بحمد لرب كل عشية
وصباحها وضحى وعند زوالِ
وسل الكريم فلاح نفسك إنه
ينجي الورى من ذلة وخبالِ
والله خير الرازقين وإنه
لا يحرم الإنسان عند سؤالهِ
واسلك طريق فضيلة وسعادة
وعليك بالحبل المتين العالي
من يعتصم بالعروة الوثقى فقد
أمن العثار وفتنة الدجالِ
ومن اتقى الشبهات في الدنيا فإن
الله يحفظه من الأهوالِ

فليخشَ إنسان معادلة الإله
فإنه ذو عظمة وجلالِ
والمرء يحسد من تقدمه بِنْيـ
ـل العلم والدرجات والأموالِ
وإذا سمعت من الحسود مثالبًا
يومًا فتلك شهادة لكمالي
والمرء يفرط في العداوةِ والمودْ
دَةِ لا يخاف ملامة العذالِ
إنَّ النفوس تلج في العصيان إن
جنبتها شيئًا دنت في الحالِ
نفس الفتى تواقة الأخبارِ إن
أهملتها نسلت وراء خيالِ
وإذا بليت بدار ذل أو نبا
بك منزل فالخير في الترحالِ
إن تعط مخضوب البنان رئاسة
تندم وباق عاره لرجالِ
إنّ المحب يرى الحبيب مزينا
بمحاسن الأقوال والأفعالِ

• قصيدة طويلة أيضًا من هذا الشاعر المفلق، فهو شاعر بعيد عن التكلف والتصنع في النظم، وله قصائد كثيرة منوعة ومختلفة الموضوعات، ويميزه براعة الاستهلال، فهو متمكن من شعره وقدراته، وينظم الشعر بشكل طبعي، ويستخدم بحور الشعر العربي، مع قوافي متعددة.

• أرسل الشاعر رسالة شعرية إلى صديقه الدكتور أظهر، يقول فيها:

يا أيها الأستاذ يقسم حكمة
أصبحت عند القوم ذا الأكرمِ
وعلوت ظهر المكرمات بهمة
لا تستطاع بلهذم وحسام
وكشفت عن خدّ العلوم نقابه
طمحتَ إليها عيم كل عام
ودخلت لجة بحر علم نافع
ونشرته في خدمة الإسلامِ
وبفيضك ازدهر المعارف جمّة
وبدت محاسنها لكل أنامِ
أنت المقام في مجال خطابة
لك الاقتدار على عنان كلامِ
وإذا أردت الشعر جاءك طائعًا
وتجيد نثرًا آخذًا بلجامِ

• جميل أن تكون المراسلة بين الأصدقاء بالشعر العربي، وفيه تحية وإطراء للصديق، وهذا ما فعله شاعرنا مع صديقه، فقد أبرز محاسنه وأفضاله وعلمه. خيال الشاعر خصب وواسع، لذا صنع صورًا فنية بلاغية، وقد أبدع في بعضها، وظهرت موسيقا الشعر الداخلية والخارجية بتناسق الكلمات وقوة سبك الأبيات، وما حوت القصيدة من محسنات بديعية، فظهرت حلاوة القصيدة، وجمالها ورونق ألفاظها، وكانت الحكمة في قصيدته تنم عن عقل ناضج، وخبرة في الحياة، ونظرة ثاقبة لحوادث الزمن.

• ظهرت في شعر الشاعر محمد حسين ثقافته الشعرية، ومدى تأصل الشعر العربي في ذهنه، لذا ظهرت بعض أفكار الشعراء العرب، وإن صاغها بأسلوبه وكلماته، فأسلوبه مميز، وأفكاره نابعة من طول قراءاته للشعر العربي، وتعلقه بالمبادئ الإسلامية والحديث الشريف، ذلك ما صاغ فكره وثقافته الواسعة، فجاءت القصائد تحاكي قصائد العرب، إن لم تتفوق عليهم في بعضها.

****

محمد الآصفي الكجراتي

٩٤٦ - ٠٠٠ هـ / ١٥٣٩ - ٠٠٠٠ م

• هو الشيخ محمد بن عمر سراج الدين الآصفي الألغخائي ابن عبدالله كمال الدين النهروالي الكجراتي[١]، وأثناء وجود والده ووالدته، مع صاحبه الوزير عبدالعزيز بن محمد الكجراتي، المعروف باسم آصف خان، ولد في مكة سنة ٩٤٦هـ، الموافق ١٥٣٩م، وبقي في مكة يتلقى العلم

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٥: ٣٦٠.

على أيدي مشايخها، منهم: الشيخ عز الدين الزمزمي، والشيخ أحمد بن حجر الهيتمي، وغيرهما.

- رجع الشيخ محمد إلى الهند سنة ٩٨١هـ، الموافق ١٥٧٣م، وبعدها تقرب من الأمير سيف الملوك مفتاح الفخاني، وخدمه طويلًا ثم أصبح في خدمة الأمير صلابة خان وصنف له كتبًا، ثم بعد ذلك كتم في خدمة عبدالكريم ابن جنجهار خان، الملقب بفولاذ خان، وقد صنف: فواتح الإقبال، وفواتح الانتقال، في التاريخ.

- له شعر قليل، ومن قصائده في كجرات قوله:

كجرات من ألقى عصاهُ بها يجدْ
عنها بهندٍ ما يسوء بمعزلِ
مرآة فردوسٍ لذلك سلوة
فيها لآدمَ كان أول منزلِ
روح وريحان وفاكهة كذا
طير ويجري ماؤها بتسلسلِ
إليَّ تلفت لو يكون بداره
لثلثه يذهبن حزمًا يختلي
ولدانها كالحورِ عزَّ منالُهم
أنّى الثريّا من يد المتناولِ
أنفوا التكحلِ غيرةً منهم كما
يحمون ثغرًا باردًا عن تنبلِ
كانوا فبانوا ثم حلّ بأرضهم
من لايرى رأي الفتى المتأهلِ
ففشا التكحلِ والتنبلِ فابتلى
يا صاحِ من سكنى الغريب من ابتلى

- هذه القطعة الوحيدة التي ذكرها المصدر، ولا يوجد غيرها، ومن هذه القطعة نستطيع القول بأن الشاعر محمد بن عمر لديه القدرات الفنية لنظم القصيد العربي، فهو يصف مدينة كجرات، وما بها من حياة نباتة أو حيوانية وإنسان، وقد أبدع في وصفه، استخدم بحر من بحور الشعر العربي، وقافية سهلة من الذلل، وأوجد تناسقًا يين اللفظ والمعنى.

- يتمتع الشاعر بقدرة خيالية جيدة، فصنع صورًا فنية بديعة، وبين في الألفاظ التي استخدمها مدى مطابقتها مع المعنى، ولكن، قلة ما بأيدينا من شعره يقلل من نقد الشعر، لأنه سيكون قاصرًا.

****

محمد الحسيني الكالبوي

١٢٧٩ - ١٣٥١ هـ / ١٨٦٢ - ١٩٣٢ م

- هو السيد محمد بن محمد هادي بن علي أحمد بن خيرات علي الحسيني الترمذي[1]، ولد في كالبي سنة

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ج ٨: ٤٠٠. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٣٥٦. مؤسسة عبدالعزيز البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٦: ٧٨. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١٢٥.

١٢٧٩هـ، الموافق ١٨٦٢م، تقريبًا، تعلم المرحلة الأولى في بلده، ثم ذهب إلى كانفور فدرس على يد محمد علي الحسيني، وغيره من العلماء، فقرأ الفقه والأصول والحديث والتفسير والبلاغة والأدب، وبعدها سافر إلى غازيفور وتتلمذ على يد محمد فاروق العباسي، ثم ذهب إلى لاهور ليدرس الأدب وفنونه عند الشيخ فيض الحسن السهارنفوري.

- اشتغل بالتدريس في المدرسة العربية بسيهور، ثم انتقل إلى أجّين فعمل في التدريس إلى آخر عمره، وكان رجلًا سمحًا متعمقًا باللغة العربية وآدابها، فكان الطلاب يأتون إليه من أماكن بعيدة، وكان حسن السلوك وقليل التكلف، وكان ينظم الشعر العربي مقلدًا شعراء العرب القدامى.

- نظم قصائد متعددة، ولكن لم نر له سوى قصيدة واحدة في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- وتتكون من أربعة وثمانين بيتًا من الشعر، وهي جيدة السبك، ويظهر بها قدرته، يقول فيها:

ماذا عليَّ بدمعٍ خالطَ العلقا
أم ارتدَى علقًا أو ألبس الشفقا
هيَّجتَ طوفانا إذا سكَّت له
أجفانُ عيني والآماق والحدقا
اخْترتُ حبًّا ولم ادركْ عواقبَه
يا ربِّ سهّلْ ويَسّر كيفما اتفقا
بئسَ الذي هو دون العشق مصطَبِرٌ
وبئسَ دونَ عزاء القلبِ من عشقا
قصدي لقاء سُليمى قصد مفتقدٍ
عندي النوى وغرابُ البينِ قد نعقا
إليَّ عني جزاها اللهُ إذ نظرت
ترمي بسهمٍ أصابَ القلبَ فانفلقا
لا الصدرُ لا القلبُ لا الأحشاءُ لا كبدي
ما كان من لوعة الأشواقِ محترقا
يحكي الجحيم معاذَ الله من خلدي
ما دمتُ حيًّا فلي قد شاء مرتفقا
ما بالُ صبٍّ وكتمُ الحب مقصده
أجفانه ذرفت والقلبُ قد خفقا
ماذا يفيد ملامُ الناس في رجلٍ
لم يترك الحبَّ إلّا روحه رمقا
تبًّا للائمِ صبٍّ لا يزالُ به
حبُّ النبي رسول الله ملتصقا
بدرٌ سراجٌ مُنير نيّرٌ قمرٌ
قد نوّرَ الأرضَ والأفلاك والأفقا
نورٌ بوجهك يا من حسنه عجبٌ
كأنَّ وجهكَ شمسٌ ضوؤها شرقا
أمسى جبينك من آثارِ مكرمةٍ
برقًا بريقًا ضياءً لؤلؤًا فلقا
نور الظلامِ ففي أنوار عزتهِ
إليهِ في الليلِ يمشي الطارق الطُّرُقا
ما نمْتُ شوقًا إلى أنوار عارضه
خياله في عيوني ألزم الأرقا
لو كانَ ربق الأعناق طاعته
لكان أحسنُ مما زيّن العنقا

يعفو عن الناس من حلمٍ ومن كرمٍ
لـولا أحـبّـكَ حـبَّ المـاء فـي ظمأ

عـن الـرقـابِ يـفـك الـغـلّ والـربـقـا
لـم يـسـقِـنـي الـلـه مـاءً بـاردًا غدقا

ويكظم الغيظ عند الغيظ مرحمةً
لا يـرتـدي جـاره خـسـفًـا ومظلمة

ولا يـقـولُ سـوى وحـيٍ إذا نطقا
ولا يـرى مِـهَـنًـا إلـيـه مـن أبـقـا

للمؤمنين جـنـاحَ الـرفـقِ يخفضُهُ
إنـا عـرفـنـاك إذ أنـبـتّ مـعـجـزةً

مثل الأب البـرّ بـالأولادِ قد رفقا
في يابس الشجر الأغصان والورقا

روحـي فـداهُ ومـن مالي ومـن ولـدي
يـا سيدي يـا رسـولَ الله خذ بيدي

مـن جـاءه خـائـفًـا قـد صـانـه ودقـا
إنـي امـرؤٌ مـذنـبٌ ممـن عـلا رنـقـا

مـن جـاءه مؤمـنًـا بـالـذنـبِ معترفًا
يـا سيدي أنـت لـي كـهْـفٌ ومُـلْـتَـحـدٌ

فـلا يـخـافُ بـه بـخـسًـا ولا رهـقـا
إذ لا أرى فـيَّ إلا الـخـوف والـفَـرَقـا

قد أصبح الفاخر الأثـواب ملبسَه
إذا وجـدت ذنـوبـي لا انـتـهـاء لها

وكـان يـلـبس ثـوبًـا واهـنًـا خلقا
فـأنـتَ شـافـعُ ذنـبـي عـنـد مـن خلقا

زيّـنْـتَ مـثـلَ عـروسٍ كـلَّ أرمـلـةٍ
كيف اضطرابـيَ إذْ آتـيـك مُلتجئًا

كان الرداء عليها الصوف والخِرَقا
تـبـقـي عـلـيَّ إذا لـم يـبـقَ مـن ومَـقَـا

فـيّـاضُ نـافـلـةٍ مـدرار أعـطـيـةٍ
أنـت الشفيعُ فـربُّ العرش يغفر لي

بـحـرُ المـراحـمِ لا طـرفًـا ولا رنـقـا
إنـي أعـوذُ بـه مـن شـرّ مـا خلقا

مـالـي أراك لـدى عـهـدٍ ومـوعـدةٍ
في بحر معصيةٍ أرجـو النجاة به

أوفى وأصدق من أوفى ومن صدقا
ولا أخـاف بـه الـطـوفـان والـغَـرَقـا

نـال المـكـارمَ والأخـلاقَ قـاطـبـةً
يـوم الـقـيـامـةِ لا تـرجـى شفاعته

فـاق الـكـرام عـن الـغـايـات قـد سبقا
لـمـن يـكـون عـلـى الـبـدعـات مرتفقا

إذ يفتُقُ الـنـاس شيئًا فهو يرتُقُه
يـجـر ذيـلَ فـؤادي حـبُّ روضـتـه

ولا مـجـالَ لـغـير رتْـقُ مـا فـتـقـا
بـالـرأس كيف إليها لستُ منطلقا

ومـا وجـدتُ رجـالًا خـيـرة شرفًـا
صـلـوا عـلـيـه صـلاةً فـاح نفحتها

ولا حـيـاءً ولا حـلـمًـا ولا خُـلُـقـا
وسـلـمـوا بـسـلامٍ طـيـبُـهُ عَـبِـقـا

- شاعر متمكن قوي اللفظ والعبارة، استخدم بحرًا قديمًا وقافية مناسبة لقصيدته، أسلوبه سهل، لا تعقيد فيه ولا غموض، يستعمل الألفاظ الموحية المعبرة عن فكرته، مع تناسق بين اللفظ والمعنى، له قدرة على اختيار الألفاظ الواضحة، وغير الوحشية، عنده خيال واسع جيد، خلق بعض الصور الفنية، غير أنها ليست كافية بسبب موضوع القصيدة المحصور في مدح رسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام- ولكن ظهرت صوره في البداية.

- استطاع أن يتسلسل في مديح الرسول، وتناول صفاته وأخلاقه، وما يتمتع به من خصال، وكيفية الحكم عنده، وعطفه على المسلمين، وخاصة الفقراء منهم، كما أنه لا يلبس الملابس الفاخرة، فكان شخصًا عاديًّا وبسيطًا في لبسه، وكان يساوي نفسه بالآخرين، وكان طلب شفاعة رسول الله ﷺ هدف الشاعر.

- من الأمور التي حرص الشاعر على بيانها هي رقة الرسول مع أصحابه، وعطفه عليهم وقربه منهم، وحتى المسيء منهم يجد العفو والصفح، كما أنّ أخلاقه كانت مما في القرآن من سلوك إلهي عظيم، يتصور الشاعر أنه مذنب، ولا أحد يستطيع أن يفكه من العذاب سوى شفاعة رسول الله ﷺ

****

محمد الحسيني المدني

٠٠٠ - ٠٠٠ هـ / ٠٠٠٠ - ٠٠٠٠ م

- ولد محمد بن حسن بن شدقم الحسيني[1] في المدينة المنورة، وتعلم فيها، وأتقن اللغة العربية، وبدأ ينظم الشعر شابًا، ثم استدعاه والده السيد حسن بن شدقم إلى الهند، فذهب إليها، وعاصر صاحب السلافة، علي صدر الدين المدني، فمن شعره مذيلًا قصيدة أبي دهبل الجمحي التي يقول فيها:

وأبرزتها بطحاء مكة بعد ما
أصاب المنادي بالصلاة فأعتما

- وشاعرنا السيد محمد، جعل الكناية عن المرأة، لا عن الناقة، فيقول فيها:

فطيبُ ريّاها المقام وضوّأت
بإشرافها بين الحطيمِ وزمزما
فيا ربّ إن لقيت وجها تحية
تحيي وجوهًا بالمدينة سهما
تجافين عن مس الدهانِ وطالما
عصمن عن الحناء كفًّا ومعصما
وكم من جليدٍ لا يخامره الهوى
فشنَّ عليه الوجد حتى تتيما

(١) علي صدر الدين المدني، سلافة العصر في محاسن الشعراء في كل مصر ص ٢٥٠.

أهـانَ لـهـنَّ الـنـفس وهـي كـريمـةٌ
وألـقـى إلـيـهـنَّ الـحـديـثَ المكتما
تـسـفـهـت لـمـا أن مـــررتُ بـدارهـا
وعـوجـلـتُ دون الحـلـم أن أتحلما
فـعـجـرت نـقـري دارسًـــا ومشكرًا
وتسأل مصروفًا عن النطق أعجما
ويـــوم وقـفـنـا لـلـــوداع وكـلـنـا
يعد مطيع الشوق من كان أخرما
نـظـرتُ بـقـلبٍ لا يعنف في الـهـوى
وعـين متى استمطرتها قطرت دما

• لا شك في شاعرية هذا الشاعر، وقدرته على النظم، وخياله الواسع، بحيث صنع صورًا فنية بديعة، ولكن قلة ما عندنا من قصائده توقف الناقد عن النقد، ولكن هذه الأبيات تنم عن تمكنه من أدوات النظم العربي.

****

محمد الحلي الهيكلي

٠٠٠ - ١٠٦٩ هـ / ٠٠٠٠ - ١٦٦٠ م

• ولد جمال الدين، محمد بن علي الحلّي الهيكلي[1] في الحلة، العراق، ودرس بها حتى نبغ في العلوم والفنون

(١) علي صدر الدين المدني، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر ص ٥٦٦. محمد سعيد الطريحي، ملوك حيدرآباد ص ١٢٢.

وأخذ ينظم الشعر، ولكن ضيق ذات اليد دفعه للهجرة فذهب إلى البلاد الأعجمية، ومنها دخل الهند، وأخذ يمدح سلاطينها، ثم وفد على السيد نظام الدين أحمد فرقبه، وبنى له دارًا ليسكن بها، فقال في تلك الدار:

يـا مَـن لـه دار المـكـارمِ ساميهْ
من عهد آدم في القرون الخاليهْ
لـك بـيتُ فـضـلٍ لا يُـحَـاكي رفعةً
فـبـنـيت دارًا لـلـنـواظر حاكيه
شـيـدتَـهـا وسـمـاءَهـا حـتـى غدت
لـلـسـبـع ثـامـنـة فـصـرن ثـمـانـيه
حـاشـا لـفـضـلـك أن يـسـاميه بنا
ولـبـيـت مـجـدك أن تـنـال أعـالـيه
لـن تـبـن قـبـل وبـعـد دار مثلها
ولـو أنَّ أفـلاك الـزمـان الـبـانـيه
طـيـبـت نـكـهـتـهـا فـخـلـنـا إنمـا
أجـزاؤهـا مـن عـنـبـر فـي غـالـيه
هـذا لـسـان الحـال أبـلـغ خـاطـب
قـد قـام ينشد للقصور الساميه

• وقد كان هدف الشاعر هو مدح سلاطين الهند للحصول على الجوائز والهبات، ومن ذلك قوله في مدح أحد السلاطين قوله:

مُـهَـفـهَـفَـةٌ نجـلاء زيَّـنـهـا الـكـحـلْ
خَـدَلَّجَـةُ الساقينِ مدموجةُ الكَفَلْ
حكى جِيدُها إذ أعرضت ريم رامةٍ
وألحاظها في الرميِ تحكي بني ثعْلْ

سقتني كميتًا خندريسًا معتقًا
وباتت تداوي القلبَ بالعلِّ والنهلْ
بروضٍ أنيقٍ فاح ريّا عرارهُ
وجثجاثه لم تبغِ عن حوله حولْ
مليكٌ حكاهُ حاتمٌ في نواله
ونافَ بما تهمي يداه على الأولْ
سخيٌّ حييٌّ أروعٌ غضنفرٍ
تقيٌّ نقيٌّ ذو يراع وذو أسلْ
فلولاه كان المجدُ أخفى رسومَهُ
ولولاه كان الوفدُ في الهندِ كالمهلْ
غدا مثلًا بين الملوكِ عطاؤه
وبين الملا طرًا وفي السهلِ والجبلْ
رحيبٌ فناء لم يحب قط آمل
بساحته حاشاهُ من خيبة الأملْ
يُسقى نجيعًا سيفه كلما صدا
وليس سوى هام العُداة له خللْ
وإن حميتْ نارُ الوطيسِ وزمجر الـ
ـخميس وأضحى للمواضي به زحلْ
سطا فوق طرف كالظليم وقلبه
جرى بعزمٍ قاطعٍ غير ذي فشلْ
وجَدّلَ منهم كلَّ أشوسَ أصيدٍ
وأردى برازًا كل قرنٍ لهم بطلْ
سريتُ من الفيحاء فوق عرندسٍ
قطعت به البيداءَ والهدَّ والقللْ
ولما شكا مجرى الحشاش أجبته
أيا جَملي لا تخش بؤسًا وحيهلْ
فخبَّ سريعًا في الهواجرِ راقصًا
وكم مَهْمَهٍ في دلجة الليل قد عسلْ
إلى أن نزلنا في حماه وربعهِ
أجلّ حمى فيه أخو أملٍ نزلْ
ففاضت علينا من عطاياه أنعمٌ
همَى غيثُها بالبتر لا القطعِ واسْتَهلْ
فيا مالكًا جِيد الأنام بجودهِ
ويا فائق الأجوادِ إن جادَ أو بذلْ
مضى كلّ جودٍ عند جودك وانقضى
وأنت الذي أضحى به يضرب المثلْ
لمدحك زفَّ الهيكلي خريدةً
مرصعة بالدرِّ والحلي لا عطلْ
كساها جلابيبَ البهاء قبولهم
وألبسها أفضالكم أفضل الحُللْ
فدم في سرور وارتفاع وعزةٍ
وسعدٍ وإقبال إلىآخر الأزلْ
ولا زلت يا ابن الأكرمين معانقًا
لِجيدِ العلى والمجد ما دامت الدولْ

• وللشاعر قصائد أخرى، فقد نظم السيد نظام الدين أحمد قصيدة مطلعها:

مطالعُ أنوارِ البدور الثواقبِ
شوارقها قلبٌ من الحبِّ ذائبُ

• فراجعه شاعرنا بقوله:

بقلبي من عين سهام ثواقبُ
تسددها كحلاء والقوس حاجبُ

لنا حاجبٌ من كلّ سهمٍ نرده
وليس لسم الحب والله حاجبُ

سقيمة أجفان وكشح وموعد
أرى السقمَ يبري وهي فيه تغالبُ

إذا برزت فالناس فيها ثلاثة
طعين ومضروبٌ وساهٍ يراقبُ

ولم يرَ عسال سوى قد بانة
وليس لها إلّا الجفون قواضبُ

وإن أسفرت ليلى جلى الليلُ وجهها
وخرّت لها خوف الكسوف الكواكبُ

وإن طلعت يومًا فللشمس ضرة
عليها من الجعد الأثيث غياهبُ

ومن عجبٍ للبدرِ والشمس مغرب
وليلى بها كل القلوب مغاربُ

إذا ما النوى زمت ركاب أحبتي
فللشوق في قلبي تحول ركائبُ

ولبي مسلوب وجسمي واهن
ودمعي مسكوبٌ وقلبي واجبُ

وما العيشُ إلّا والحبيبُ مواصلُ
وما الحتف إلا أن تصد الحبايبُ

لك الله من قلبٍ أصايد سهمها
ومن كبد منها الظباء لواعبُ

ومن جسدٍ قد سقمته يد الهوى
ومع سقمه للحب فيه ملاعبُ

عليه لأنواع الخطوب تناوبٌ
فإنَّ فاته خطبٌ عرته نوائبُ

تعودتها كالألف حتى لو أنني
تفقدتها حلت لنقدي مصائبُ

طويتُ على شكوى الزمان ضمائري
وأغضيتُ عنه باسمًا وهو قالبُ

ولو أنني يومًا نبذتُ أقلها
لضاقت بها ذرعًا عليَّ المعائبُ

وإنّي على مرّ الزمانِ لصابرٌ
وإن ساءني دهرٌ فما أنا عائبُ

وللصبرِ أحلى من شماتة حاسدٍ
وقولُ خليلٍ ملّ شكواك صاحبُ

ولم أخش ضنكًا من حياة لأنني
شروبٌ وإن سدت عليَّ المساربُ

مبشر آمالي مسكن روعتي
بأني إلى البحر الزلال لذاهبُ

تطالبني في كل حينٍ يمر بي
مديحكَ نفسي والفؤادُ يجاذبُ

لأنك يا نجلَ الرسول هوى لها
كذا كلّ نفسٍ في هواها تطالبُ

وللوردِ ماء الورد فرع يزينه
ولليث شبلُ الليث مثلٌ يقاربُ

عشقت العلى طفلًا ولم يك عاشقًا
سواك وشبه الشيء للشيء جاذبُ

فأنت لها ابن وأنت لها أبُ
وأنت لها صِنوٌ وأنت الأقاربُ

كذاك عشقت العلم والجود والتقى
وللناس فيما يعشقون مذاهبُ

قذفتَ لنا يا أيها البحر موجةً
من النظمِ في أثنائها الدرُّ راسبُ
وكلّفتني حالًا محالًا بأنني
أعارض درًا لم يثقبهُ ثاقبُ
فلم أسطع خلفًا لأمرك إنه
لأمر على كلّ البرية واجبُ
فكنتُ كمن قد عارض الدّر بالحصى
فها أنا بالتقصير طبعي أحاسبُ
وحسبي عذيرًا أنني لك طائعٌ
كما أن حسبي أنني فيك راغبُ
ولا زلتَ في روضٍ من العيشِ ناضر
إلى دارك العليا تؤوب الرغائبُ

- أفضل ما نظمه هذا الشاعر من قصائد، لقد استوفت أغراضها، وأظهرت مقدرة الشاعر الفنية واللغوية، وبينت تمكنه من النظم الجيد، والخيال الواسع، ومعارضة قصيدة نظام الدين أحمد هي له تحدٍّ.

- استخدم الشاعر بحور الشعر العربي القديم، مع القوافي الذلل، تقعر في بعض ألفاظه ليظهر براعته في حفظ الألفاظ الوحشية، ولكنه أيضًا يتمتع بقدرة على النظم، وتعدد البحور والقوافي، غير أن سبك بعض القصائد لم يكن في المستوى المطلوب، لأنه استعمل النادر من الألفاظ، فكبل نفسه بذلك.

- أطلق العنان لخياله في قصيدة التحدي المعارض، وأبرز تمكنه من حشد اللفظ الجيد، والفكرة العميقة، فكان أفضل ما قال من نظم، وأبرز تناسق اللفظ والمعنى، ولا يمكن للشاعر أن يبرز قدرته دون استعمال الخيال الشعري، لأن الشعر فن، وله طرق للنظم ويدخل الخيال في صنع الصور الفنية البلاغية.

- ينظر الناقد للعمل الفني من خلال بعض معطيات النقد الأدبي، مثل قوة السبك وتناسق العبارات، ومناسبة اللفظ للمعنى، واختيار البحر العروضي المناسب للفكرة، والموسيقى الداخلية والخارجية، ولكن شاعرنا أهمل بعض متطلبات النقد من حيث اهماله لموسيقا بعض أبياته الشعرية، وعدم الالتفات إلى حلاوة الجمل الشعرية، وطلاوة الأبيات في سمع المستمع، أو القارئ.

****

محمد الفلكي مسليار

١٣١٨ - ١٤٠٢ هـ / ١٩٠٩ - ١٩٨٢ م

- ولد محمد الفلكي بن محيي الدين كوتي مسليار[١] في مدينة فونان سنة ١٣١٨هـ، الموافق ١٩٠٩م، درس على يد أبيه دروسه الأولى، ودرس في المرحلة الإبتدائية في مدرسة في بلدته، ثم التحق في دروس المساجد للعلوم

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ١٤٣.

الإسلامية، وبعدها إلى مدرسة الشيخ شاليلاكت كنج أحمد، ثم تعلم في بعض المساجد الأخرى، ثم ذهب إلى مدراس ليدخل إلى الكلية الجمالية العربية، ودرس عند الشيخ محمد يوسف كوكن، ومولانا البخاري، وحصل على شهادة» أفضل العلماء».

- عمل مدرسًا في بعض المدارس، ثم عاد إلى الدراسة ليحصل على شهادة البكالوريوس في اللغات الشرقية سنة ١٩٤٢م، ثم تم تعيينه مفتشًا لتعليم المسلمين في منطقة مليبار، ولكنه لم يستمر في منصبه وعاد إلى التدريس مرة أخرى حتى تقاعد سنة ١٩٦٨م.

- بعد تقاعد الشاعر محمد عمل مدرسًا في كلية جمال محمد للفنون والعلوم بترشي، لمدة أربع سنوات، ثم عمل مدرسًا في الكلية العربية في ترونغادي، وبعدها عمل في الكلية العربية الجمالية، ولكنه أصيب بمرض أقعده عن العمل فرجع إلى بلدته حيث وافاه الأجل المحتوم سنة ١٤٠٢هـ، الموافق ١٩٨٢م.

- لم يتم جمع ديوان له، ولكن المجلات والصحف المليالمية نشرت كثيرًا من قصائده، لذا تم حفظها من الضياع، وكان يشارك في المنتديات الشعرية، وله مراسلات شعرية مع أصدقائه، ونظم القصائد منذ أن كان صغيرًا، فقد تفتحت موهبته الشعرية، وبدأ ينظم أشعاره وينشرها بين الأصدقاء، ثم بين الصحف والمجلات، وفي المنتديات، ومن نماذج شعره يبدو أنه رجل اجتماعي، ويحظى باحترام كبير بين الناس، وقصائد الترحيب والرثاء تدل على قربه من الأحداث، وتفاعله معها.

- نظم الشاعر قصيدة تهنئة لكلية روضة العلوم، يقول فيها:

موتوا بغيظٍ أيها الحسادُ
إنّ المعارفَ غصنَها ميّادُ
في روضة هبت رباها الصَّبا
تترى فطابت أنفس وبلادُ
في روضةٍ هبّت رياحُ علومِها
فارتاحتِ الأرواحُ والأجسادُ
أشجارُها هي باسقاتٌ كلها
وإلى جَناها تضرب الأكبادُ
فلكم على أغصانها وفنونها
للبلبل التغريد والإنشادُ
ولكم لها ظل ظليل نحوه
للطالب التأويل والإيساد
أفياؤها وظلالها غيها الهدى
آجامها منها العلوم تصادُ
وقضيبُ بانٍ فاح عنه عبيره
لشذاه في أجوائها إروادُ
كم رنمت عذباتها ريح الصَّبا
وعلى ذراها الطيرُ رقّادُ

هـي أزهـر الـهـنـدِ الـذي يـرتـاده
مـن قـد رجـوا نـيل الـعلا وأرادوا
كـم قـد تـخـرج مـنـه أربـاب الـعلا
فـكـأنـهـم فـوق الـثـرى أوتـادُ
فـيه ثـقافة أرض وادي الـنيلِ مع
أرض الـحـجـاز وتـلـوهـا بـغـدادُ
إذ شـيـخـهـم خـريـج أزهـر الـذي
فـيـه لـكـل ثـقـافـة إيـجـادُ

• تم إنشاء دار للأيتام بمدينة ترورنغادي، وكانت مميزة في التعامل مع الأيتام الصغار، فوقف الشاعر يشاهد أوضاع الأيتام منذ الصباح الباكر، فيصفهم قائلًا:

ألا هـبَّ أيـتـامٌ وقـامـوا
صـبـاحًـا بـعـد أن رقـدوا ونـامـوا
وسـاروا مـسـرعـين تجـاه نـهـرٍ
وبـعـدئـذٍ قـد انـغـمـسوا وحـامـوا
مـصـلاهـم فـضـاء فـي رمـالِ
وهـم فـيـهـا قـعـودٌ أو قـيـامُ
وهـذي الـدر مـفـخـرةٌ يـقـيـنًـا
لأرض الـهـنـدِ وهـي لـهـا وسـامُ
بـهـا افـتـخـرت مـلـيـبـار وصـارت
بـهـا بـيـن الـبـلاد احـتـرامُ
بـهـا أصبحت تـرورنـغـادي محسو
دةٌ حـسـدتـه مـصـر قـم الـشـامُ

ولا تـصـغـوا إلـى مـتـاع حـيـرٍ
ومـنـع الخـيـر مـحـظـور حـرامُ
ولا تـصـغـوا إلـى إغـواءِ رهـطٍ
هـمُ الجـهـالُ والـقـوم الـلـئـامُ

• هـذا الـشـاعـر ينصح القـائـمين على دار الأيـتـام بعدم الاهتمام بما يقوله بعض الحاسدين والحاقدين، وإنَّ هذه الدار مفخرة للهند.

• شاعر يحب العلم، ومراكز العلوم، فكان له قصائد في مديح تلك المراكز فيقول في كلية جمال محمد للعلوم والفنون، التي عمل بها فترة من الزمن:

مـن عـلّـم الإنـسـان مـا لـم يـدْرِهِ
فـامـتـازَ بـالـشـرف الـرفـيـعِ الأمـجـدِ
وهـدى الـسـراط المستقيم عباده
وأنـالـهـم أوج الـعـلـة والـسـؤددِ
قد أسسوا للعلم دورًا في القرى
تـهـدي الـبـرايـا كـالـسـراج الـمـوقـدِ
مـنـهـا بـنـاء شـامـخ ذو رفـعـة
فـي أرض تـرشـي قـد زهـا كالفرقدِ

• وأيضًا أنشأ قصيدة تهنئة للكلية العربية أنصار العلوم، يقول فيها:

تعلمي وانـهـضـي يـا بـنـتَ أخـيـارِ
تـهـذبـي ثـم صـبـري زيـنـة الـدارِ

فالعلمُ زينٌ وتشريفٌ لصاحبه
والعلمُ يهدي البرايا مثل أنوارِ
تأدّبي بحسنِ الخلقِ فاجتذبي
كلّ القلوبِ وكوني فخر ملبارِ
تثقفي ثم صبري خير آنسة
تطهري من عيوب الجهلِ والعارِ
والعلمُ خير لباس البنت دون مِرَا
هو الحلى لها والثوب والساري

• في سنة ١٩٢١م قامت في ماليبار ثورة ضد وجود البريطانيين، وما تلقوه من إهانات وسوء معاملة، وسجن وغير ذلك، وسيرة على البلاد، فهب الشعر ضد الوجود الأجنبي، وقام الشعراء بنظم قصائد حول تلك الثورة، فقال شاعرنا:

سبحان ربي جاعل الشهداءِ
في رتبةٍ أعلى مِن الجوزاءِ
وهم الأولى بأنفسهم جادوا لأن
يجلو من الأوطان أهل خناء
أهل البريطانية الأعلاج من
ظلموا عباد الله دونَ مِراء
قد أركبوهم في قطار بضائعٍ
قد أغلقت أبوابها بعماء
قد أركبوهم من ترور عربة
قد أسرعت نحو الردى كهواء
ماتوا جميعًا باختناق يا لها
من قسوةٍ وصرامةٍ صماء

• ويدعو لاستئصال الاستعمار من أرضهم، ويقول:

استأصلوا استعمار من في أوربا
من أرضنا فنجتْ من البلواءِ
قد جددوا عهد الأولى شهدوا الوغى
مع خير خلق الله ذي النعماء
كم خاطروا بنفوسهم كي يطردوا
عنا الأجانب أهل كل عواء
والآن نبكيهم بدمع هاطلٍ
يجري على الخدين مثلَ الماء

• تأثر الشاعر كثيرًا بفقد أحد العلماء، وهو الشيخ عبدالرحيم، عميد الكلية العربية، الباقيات الصالحات، فنظم شاعرنا قصيدة رثاء يقول فيها:

أضحى كرامُ عباد الله فَانِينا
وصار ما تركوا كنزًا لباقينا
سرعانَ موت كرامٍ عمرهم بذلوا
لهيكل المجدِ والعلياء بانينا
والدّهرُ ركبُ عمٍ من شجنٍ
يصير العقلا طُرًا مجانينا
وغار علمٍ كثيرٍ في الثرى معه
وكفّنوا معه الآداب تلقينا

سقوهُ أدويةً بل غير مجديةٍ
هل يدفع القدر تدبير المداوينا
قالوا توفيَ مولانا فقلتُ لهم
كلا هو الآن حبٌّ خالدٌ فينا
لا الدهرُ يفنيه بل يبقى ويخلده
كالبدر يهدي في سبيل الرشد سارينا

• يتأثر الشاعر كثيرًا بوفاة العلماء ومن لهم فضل على الوطن، ومن هؤلاء الشيخ كي أم سيدي صاحب، الذي كان يدعو المسلمين في الهند للارتقاء والتقدم، وبذل الجهد في سبيل العلم، فانبرى شاعرنا يرثيه بقصيدة يقول فيها:

يا عين جودي بالدم القاني الذي
يجري كماء المزن فوق خدودي
ما كنتُ أحسب أنَّ شعلةَ ذهنهِ
تعدو عليه اليوم كف خمودِ
من كان فخر الهندِ وبهجة كيرلا
وبهاء أرض إلهنا المعبودِ
بوفاته غاب المكارم والنهى
وبفقده غاب نجم سعودِ
هل من سلو بعد فقدك سيدي
لأسير حزن آسف نكبودِ

• شاعر اجتماعي مرتبط بالمجتمع ومشكلاته، ويتعاطف مع شعور الناس لفقد زعمائهم الدينيين، ومرشديهم المريدين، ويرى الشاعر ما يحدث في المجتمع، وأثر كل عالم وأستاذ في ذلك المجتمع، فيتفاعل وينظم القصائد في الحدث، وقد تمكن من احتواء بناء القصيدة العربية، غير أنّ السبك ليس دائما إلى جانبه، فمعظم قصائده نظم، بلا روح شعرية، وسبب ذلك عدم إدخال الخيال الشعري في النظم، وأحيانا عدم تمكنه من اختيار اللغة المناسبة للفكرة التي يطرحها.

• هو ناظم للألفاظ العربية بقالب بحر عروضي، وأفكاره جيدة، ويسارع لتسجيل الحدث حتى يكون له دور في ذلك الحدث، غير أن النظم يحتاج إلى روية، والاختيار أحيانًا يكون صعبًا، والشعر لا يتأتى للشاعر في كل وقت، وفي جميع الأحوال، وشاعرنا، ربما، لا يملك الوقت الكافي لنظم قصيدة رثاء أو مديح، لذا جاء شعره نظمًا دون روح الشعر وقوته.

****

محمد المالكي

٠٠٠ - ١٠٨٦ هـ / ٠٠٠٠ - ١٦٧٥ م

• هو الشيخ محمد جمال الدين بن عبدالله النجفي المالكي[1]، ولد في النجف، العراق، وهو من أحفاد مالك

(١) محمد سعيد الطريحي، ملوك حيدرآباد ص ١٢٦. علي صدر الدين المدني، سلافة العصر في محاسن الشعراء في كل مصر ص ٥٥٤. علي الخاقاني، شعراء الغري ج١٠: ٢١٧.

الأشتر، وتعلم بها الفقه وأصول الفقه، واللغة العربية وآدابها، دخل الهند وخدم سلطانها، وتوفي بحيدرآباد، الدكن سنة ١٠٨٦هـ، الموافق ١٦٧٥م. والظاهر أنه دخل الأراضي الهندية في عهد السلطان عبدالله قلي قطب شاه (١٦٢٦ - ١٦٧٢).

• بعد أن غادر النجف اتجه إلى أصفهان، ومنها أرسل قصيدة إلى أصحابه في النجف، يقول فيها:

أيا ريحُ هل باكرتَ حي بني بكرِ
فقد هاج شوقي ما بطيك من نشرِ
هززت قدودًا ثم رنحها الصبا
خلال الرماح السمر والأغصن الخضر
وجزتُ رياضًا خلتهنَّ لياليا
تفتح فيها النور كالأنجم الزهرِ
خليليّ قد عاثت بصبري يدُ الهوى
وأحلى الهوى ما مرَّ يلعبُ بالصبرِ
لقد راعني فعل السحاب بدارها
ورب مريب فعله وهو لا يدري
أسائلكم عن بارقٍ تأنسونه
امتقد الأحشاء أم باسم الثغرِ
سقى العهد من أرض الغري معاهدًا
بها يتقي ليث الوعى ظبية الخدرِ
فيا لكِ من أرضٍ تتيه حصاتها
على الدّرة الزهراء والكوكب الدّري
إذا ما ثغور البيض يومًا تبسمت
يكلم من يرضى بألسنةِ السمرِ
إذا ما انتضى الصمصام هزته نشوة
فتحسبه غصنًا تلوى على نهرِ
ستثني على تلك البحار قصائدي
ثناء أزاهير الرياض على القطرِ
إذا ما نجوم الشعرِ باتت لوامعًا
طلعن على أفرادها طلعة الفجرِ
وما كان لفظي في القوافي نفاسة
أخا الدرّ حتى كان قلبي أخا البحرِ

• كانت للشاعر صحبة في الهند بالسيد أحمد نظام الدين، وبابنه السيد علي صدر الدين المدني، فأرسل شاعرنا قصيدة للسيد علي يقول فيها:

أتاك بها الهوى تختالُ كبرا
فتاة من سلاف الدل سكرى
تكلف جفنها المخمور نهضًا
فيطفحُ كأسه غنجًا وسحرا
فمن نظم النجوم الزهر عقدا
وقدَّ لها أديمُ البحر نحرا
ومن جعل السحاب لها جفونًا
وصاغ لها وميض البرق ثغرا
إذا خطرت سقاك الدل كأسًا
وإن نظرت سقاك الغنج أخرى
تخيّل ثغرها حببًا إذا ما
رشفت من الرضاب العذب خمرا
رأتني فاعتراها الروع جهرًا
وما علمي بما تخفيه سرا

أرتني الدّر من ثغرٍ وطرف
غداة وداعنا نظمًا ونثرا
كشفتُ لها إذا عن صبر حرّ
تظلُّ النائبات لديه أسرى
فهزَّته النوى فرأته طودًا
وزاحمه الهوى فرآهُ صخرا
سلي غيدًا لهوتُ بهنَّ دهرا
وخضتُ الحبَّ ضحضاحًا وغمرا
عدلنَ فهل شكوتُ لهنَّ وصلا
وجرنَ فهل شكوتُ لهنَّ هجرا
شربتُ الصبرَ شهدًا في مساغٍ
يرى فيها الوقورُ الشهدَ صبرا
أعدّ فتوتي في المجدِ فرعا
وأذكرُ مالكًا في الفخرِ بحرا
نجيبٌ لم يلد إلا نجيبا
أغرٌ لم يلد إلا أغرا
أبٌ درّ له أبناء حرب
غدو لوطيسها شررًا وسعرا
وخاث لهم بنجدٍ كلّ صقرٍ
مضى لم يرضَ غير المجدِ وكرا
يموتُ بكفه الخطي رعبا
فيودعهُ فؤاد الشهمِ قبرا
وتغشى عشير الهيجاء ليلا
فيفلق فيه للصمصامِ فخرا
هم سبكوا السجايا الغر تبرا
وأبقوهنَّ للأنباءِ ذخرا
سرى نحو روض العزِّ عزمٌ
يريني الشهبَ بين يديَّ زهرا
فأقحمني حبات البحر شهبًا
وأوطأني حصى المعزاء جمرا
إذا ما لحتُ في أفق هلالا
فسرعته عساك تصيرُ بدرا

• والقصيدة طويلة، ولكن في نهايتها يقول:

فيا من لم أقل بنداه إلا
وأنحلتَ الورى بدوًا وحضرا
تركت بحبك الأحشاءَ بحرًا
وقلتُ بمدحك الألفاظ درا
أطعتُ الحبَّ فيك وكنتَ مرءاً
أبيًّا لم يطع للحبِّ أمرا
فدم وأقصر هواك على المعالي
وطل بدوامها باغًا وعمرا

• أبدع الشاعر في نظم هذه القصيدة، وأظهر كل ما لديه من فكر وخيالٍ وقدرة فنية، ليصنع هذه القصيدة العصماء، وكان الممدوح قد استدعى الشاعر إلى جلسة ثقافية علمية، فاعتذر الشاعر عن عدم الحضور بقوله:

يا بارعًا في حيازة الحسبِ
وبارزًا في شرافة النسبِ
وحاويًا نور كلِّ مكرمةٍ
فضيها بين نرجس الشهبِ
عزَّ على عبدكَ المتيم أن
دعوته مكرمًا فلم يجبِ

عـارضـه مـن زكـامـه حـصـرٌ
أصبـح منـه الـفـؤادُ فـي لـهـبِ
فـخـاف أن زاركـم بـعـارضـه
يمـنـعـه مـن رعـايـة الأدبِ

• توفي والد صاحب السلافة السيد أحمد نظام الدين سنة ١٠٨٦هـ، الموافق ١٦٧٥م، فنظم صاحب السلافة قصيدة رثاء في والده، ولما اطلع الشاعر جمال الدين عارضه بقصيدة يقول فيها:

أودى أخـو الإسـعـاد والإسـعـافِ
فـتـيـقـظ الـعـانـي ونـام الـعـافـي
أودى فما المجد الأثيل من العلى
أولـى بـصـوب المـدمـع الـزرافِ
وتجـاذب الأحـداث أهـداب المنى
جـذلًا بـرحـلـة سـيـد الأشـرافِ
مـن آيـس الأخـلاق مـن درك المنى
وإيـاك نـقـض أفـاضـل الأسـلافِ
مـن يـعـتـفـيـه المـجـتـدى بـعـزيمةٍ
ثـقـة بـنـائـلـه الـكـفـيـل الـكـافـي
مـن لـم يـجـد مـن غـيـره مـنّـاً بلا
مـنٍّ ولا وعـدًا بـلا إخـلافِ
مـا اخـضـرَّ روض عـلائـه الأعـلـى
سـحـب الـنـدى وجـداول الأسـيـافِ
مـادام إنـصـاف الـزمـان يـد الـورى
والـدّهـرُ لـيـس بـدائـم الإنـصـافِ
فـمـضـى ومـن درر المـدايـح عـزة
مـثـل الـسـمـاءِ مـكـوكـب الأطـرافِ
أبـقـي الجـفـونَ سـحـائـبٌ منهلة
ومـضـى مـضـيِّ الـبـارق الخـطـافِ
يـا مـن إذا مـا اسـتـنـهـضـوه لـحـادث
نـهـض الـغـمـام مـهـدّل الأكـتـافِ
ومـتـى تـربـع لـلـعـطـاء بمـحـفـلٍ
وقـف الـزمـان هـنـاك لـلإتـحـافِ
سـعـدت بـك الآلاف إلا أنـه
كـان الـنـدى بـك أسـهـد الآلافِ

• القصيدة طويلة وفيها تعداد لفضائل المتوفى، ثم يخاطب السيد علي صدر الدين، نجل المتوفى ليقول له:

أعـلـيّ دع للصبرِ في طريق الأسى
أثـرًا يـغـور إذا قـفـاه الـقـافـي
أعـيـاك لـلـصـبـر الجـمـيـلِ وإنـنـي
لـيـذوبُ مـن جـزعٍ عـلـيـه شـغـافـي
إن كـان هـبَّ عليك عاصف حادثٍ
مـنـه فـفـي بـرديـك طـود الـعـافـي
أنـت الـذي قـد أرهـفـتَ آراؤه
أبـدي الـتـجـارب أيـمـا إرهـافِ
وزهـت بـه أوصـافـه حـتـى غـدت
كـالـزهـرِ بـيـن حـدائـق الأوصـافِ
لا زال بـيـتـك بـيـت حـج لـلـورى
وفـنـاؤه الـوافـي فـنـاء طـوافِ

- إنها قصيدة وتعزية ومواساة، جمع فيها خصال المتوفى، وتعزية خاصة للابن الشاعر الأديب، وتذكير بمكانة الأسرة من كرم وسؤدد.

- قدرة كبيرة، وإمكانيات متوفرة لديه للنظم استغلها في نظم قصائد طويلة، وهذه قدرة أخرى، فهو ملتزم ببحر عروضي، وقافية موحدة، ولكن خياله كان واسعا، فصنع صورًا فنية بلاغية كثيرة، خلق من الجماد والكلمات المعنوية شخوصًا تتحرك وتنطق، وقد نظم في معظم البحور والقوافي، لم يقف أمام أي إشكال في النظم، وكان أسلوبه قويًا وسلسًا، وله سرد قوي، وألفاظ مناسبة للمعاني.

****

محمد أنيس الكشميري

١٣٥٧ - ٠٠٠ هـ / ١٩٣٨ - ٠٠٠٠ م

- هو الشيخ محمد أنيس[1]، ينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق، ولذا يقال له الكاظمي، ولد بقرية جونده بوره بسرينغار، كشمير سنة ١٣٥٧هـ، الموافق١٩٣٨م، درس القرآن الكريم عند عمه السيد حسين، والسيد مرتضى، فتعلم بعض الكتب الدينية، والأدبية على يد حسين المير كندي، ثم التحق بجامعة باب العلم، وتتلمذ على أيدي العلماء في الجامعة، وخاصة العلامة مولانا جلال الدين الحكيم الميثم، كذلك تتلمذ على يد السيد يوسف الموسوي، مرجع الشيعة.

- حصل الشاعر على شهادة المولوي عالم، ثم التحق بالكلية الشرقية الحكومية، بباغ دلاور فان، وحصل على شهادة المولوي الفاضل سنة ١٣٩٢هـ، الموافق ١٩٧٢م، وحصل على شهادة المنشئ الفاضل.

- للشاعر قصائد متعددة، تدور حول الدين والنصائح الاجتماعية، ومنها قصيدة نظمها بطلب من الشيخ جلال الدين الغازي لتكون مقدمة لقصيدته «القصيدة الغراء»، يقول فيها:

ألا يا خليلي حان نبكي لفقدهم
على الفلك الدين الشموس غيابُ
لعمر كان المستحيل نظيرهم
كعنقاءِ قاف ليس فيه كذابُ
وهبّت رياحُ الجهلِ من كل جانبٍ
وبنيانُ عدلٍ بعدهم لخرابُ
فيا سيدي مولاي ميثم ألا ترى
ففينا دليل القومِ صار غرابُ
لقد أظلمت عين الهدى بعد فقدهم
مسرارة إيمان لذاك تذابُ

(١) محمد مظفر حسين الندوي، مساهمة أهل كشمير في اللغة العربية والأدب العربي ج٢: ٣٨٩.

فكحل الجواهر غاب عنا عند افتقادهم
مدينة علم سدَّ عنها البوابُ
أرى الناس أتباع الهوى في زماننا
سواءً لهم الخبث والأطيابُ
أرى همهم الظلمَ والجهلَ والجدل
وكل خطاء عندهم لصوابُ

• وهي قصيدة طويلة يعيب فيها تصرفات بعض الناس، ولكن نظم قصيدة أخرى مناجاة، دعا فيها لأساتذته، يقول فيها:

على كل أستاذي من الله رحمةٌ
وروحٌ وريحانٌ لهم وثيابُ
لقد فاز كل منهم فوزه العظيم
فطابت مراقدهم جميعًا وطابوا
وفي الملأ الأعلى أراهم مخلدين
فقد قدست رباتهم وجنابُ
تغيرت البلدان من غيبة الإمام
وغابت مياه العذب شاع سرابُ
ووارث بطحي منزويًا عن الورى
وصار بأيدي النائبات مصابُ
إلهي بحق الهاشمي نبيّنا
وآل كساء مصطفين اللبابُ
إلهي وألبسني الخطا ثوب سوأتي
وما سارَ بي نحو الرضا ركابُ
وأفنيتُ بالتسويفِ عمري وفي الأمل
عظيمُ رجائي لي إليك متابُ
لئد حلَّ شيبٌ في المفارق والهرم
فهل يرجعا أخرى إليَّ شبابِ
فهب لي إلهي موبقاتِ الجرائرِ
فإليك ملجاي إليك مآبُ
واستر علينا فاضحات السوائرِ
إذا كنتُ مدفونًا حواني ترابُ
وظلّل على ذنبي غمام الرغائبِ
بحقّ نبي من أتاه كتابُ
إلهي وقلبي لا تزغ بعد إذ هديتُ
يكون دعائي سيدي مستجابُ

• وهذه قصيدة طويلة أيضًا، تضرع إلى الله لأساتذته ونفسه أن يرحمهم برحمته، ويعفو عن أخطائهم. ولكنه لا ينسى الشباب، فيوجه نصيحته إلى الناس لعلهم يهتدون، ويسمعون النصائح، يقول في قصيدة له:

دعِ الشركَ والإلحادَ والفكر والشقاقْ
وطهّر وزكِّ النفسَ عن لعنة النفاقْ
ولا تعبدِ الأوثانَ إن كنتَ مؤمنا
فشركٌ عظيمُ الظلم لو كنتَ موقنا
توكّل على الحيّ الذي هو خالقُ
وحيدٌ فريدٌ مدركٌ هو رازقُ
فريدٌ وحيٌّ صادقٌ متكلمُ
قديمٌ غنيٌّ راحمٌ متكرّمُ
ولا تشركوا بالله شيئًا أحبتي
ففيه رضى الله وفيه منيتي

وصدّق كتاب الله والسيرة النبيّ
وجنب من الشرك الجلي والخفي
وكيف تطيبُ النفس بسجدة العباد
ألـو يعلـم المشـرك بـأنَّ لـه عبـاد
أتـأخـذ قبـر العـبـد أنـت مساجد
ويـنـزل عليك مـن السـمـاء لمائدا
فلا ربّ دون اللهِ ذو المجدِ والعلى
كريمٌ عليمٌ صاحب الطور والنهى
ولا يـخـلـق المـخـلـوق إلا خـالـقٌ
ولا يـرزق الـنـسمات إلا الـرازقُ
تـعـوّذ مـن الـشـرك ونـصبُ بربنا
فـعـفـوك أعـظـم ربّـنـا مـن ذنـوبـنـا
فلا يغفر الذنب العظيم إلا العظيم
ولا يرحم المملوك قط إلا الرحيم

• نذر الشاعر نفسه للطرق الصوفية، والأمور الدينية، فلا يخرج منها، ولا يعرف سواها، فهو يرجو الآخرة، لذا كان شعره لا يخرج عن هذا الاتجاه، وحافظ الشاعر على النمط القديم من نظم الشعر ببحر عروضي، وقافية موحدة، ولكنه كان حرًا في النصائح، فتعددت قوافيه، متبعًا طريقة الأندلسيين في نظم الموشحات.

• لم يترك الشاعر المجال لخياله لكي يصنع صورًا بلاغية، وكان واقعيًا لا خياليًا، ولم نعثر على قصائد أخرى للشاعر، غير أن قصائده طويلة، وهذه قدرة له في النظم، وتمكن من اللغة العربية وبحور الشعر، وكان أسلوبه سهلا لا تعقيد فيه، ولا غموض، فالهدف واضح، وسلامة اللفظ وتناسقه مع المعنى يحسب لصالح الشاعر، ولو كانت له قصائد أخرى لصح الحكم على شعره.

****

محمد بحرق الحضرمي

٨٦٩ - ٩٣٠ هـ / ١٤٦٤ - ١٥٢٣ م

• هو القاضي محمد بن عمر بن مبارك عبدالله بن علي الحميري[1]، الشهير ببحرق، ولد في حضرموت سنة ٨٦٩هـ، الموافق ١٤٦٤م، وتعلم بها وحفظ القرآن الكريم، ودرس «الحاوي» و«منظومة البرماوي» في الأصول، وألفية النحو، وأخذ من الفقيه محمد بن أحمد باجرفيل، وفي عدن درس عند عبدالله بن أحمد مخرمة، فدرس الفقه والأصول والعربية، وقرأ عليه ألفية ابن مالك، وسيرة ابن هشام، والحاوي الصغير في الفقه، وغيرها من الكتب المعتمدة.

• ارتحل إلى زبيد ودرس عند الشيخ محمد بن أبي بكر الصائغ علم الأصول وعلم الحديث والتفسير والنحو،

(١) -عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٤: ٢٧٢. عبدالقادر بن عبدالله العيدروس، النور السافر ص ٢٠٢. شمس الدين محمد السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ج: ٨: ٢٥٣.

وأخذ عن السيد الحسين بن عبدالرحمن الأهدل، وألبسه خرقة الصوفية، ثم لازم أبا بكر العيدروس، وفي الحج سمع من شمس الدين السخاوي، ولزم الجد والاجتهاد في العمل.

- كان محمد بن عمر بحرق شاعرًا وناثرًا، وله اليد الطولى في النثر والشعر، وله تصانيف منها:
  - تبصرة الحضرة الشاهية الأحمدية بسيرة الحضرة النبوية.
  - الأسرار النبوية في اختصار الأذكار النووية.
  - مختصر الترغيب والترهيب للمنذري.
  - الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثيقة.
  - عقد الدرر في الإيمان بالقضاء والقدر.
  - العقد الثمين في إبطال القول بالتقبيح والتحسين.
  - الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول.
  - العقيدة الشافعية في شرح القصيدة اليافعية.
  - الحواشي المفيدة على أبيات اليافعي في العقيدة.
  - ترتيب السلوك إلى ملك الملوك.
  - مختصر المقاصد.
  - ذخيرة الإخوان.
  - متعة الأسماع بأحكام السماع.
  - شرح لامية ابن مالك، في التصريف.
  - شرح الملحة للحريري.
  - وله رسائل ومختصرات أخرى.
- يتفاعل الشاعر مع المجتمع، ويرى من الحكام الذين يخدمون العلم والعلماء، فيثني عليهم ويمدحهم، ومنهم عامر بن عبدالوهاب عندما اعتزم بناء مدارس في زبيد، اليمن، فقال شاعرنا:

أيدت درنكَ يا ربُّ العلا أبدا
بناصرٍ لملوكِ الأرضِ قد ضهدا
أعني به عامرًا شمس الملوكِ فكن
نصيرهُ أبدًا في كلِّ ما قصجا
وناصرًا ومعينًا فهو شمس ضحى
أخفى نجومَ ملوك الأرضِ منذ بدا
سمَّيته عامرًا لما أردتَ به
صلاحَ دينك إرغامًا لمن جحدا

- كانت للشيخ محمد بن عمر مراسلات مع الشيخ حسين ابن عبدالله العيدروس، الفقيه الصوفي، ونظم شاعرنا قصيدة مدح فيه مسمطة، يقول فيها:

سأبيحُ بالغرامِ
كم ذا تستر بعشقي
وأرفع ذا اللثام
أو خذ نصيبي ورزقي
زدني في الملامِ
يا عاذلي لا تبقي
وأشهر ذا الكلامِ
في كلّ غربٍ وشرق
ما للناسِ معي
إذا هويتُ كل رعنا
واحنيتُ إصبعي
في عشق سلمى ولبنى

وأصـــغـــي مـشـمـعـي
لـــكـــلِّ مـعـنـى ومـغـنـى
وســـأشـــربُ مـــن مـــدامِ
الحـــبّ يـا صـــاحِ وأسـقـي
مـــا فـــي الحـــبِّ عـــارٌ
كـــلاّ ولا فـيـه مـــن بـاسِ
ســأخـلـع ذا الـعـذار
وأحـمـلـه شـهـري عـلـى الـراسِ
وأعـــصـــي مـــن أشـــارَ
وأتـــركُ رضـا الـنـاس لـلـنـاسِ
مـــن كـــان مـســتـهـام
مـثـلـي فـيـأتـنـي بـشـقٍّ
والـلـــــه الـعـظـيـم
لا أرعـــــوي لـلـعـذالِ
لـــي ربّ كـــريمٌ
بـجـوده الـكـلُّ شـامـل
كـــرّر يـــا نـــديمُ
مـن مـطـربـات الـبـلابـل
حـــرّك يـــا غـــلامُ
الـــدّف مـــن كـــل طـرفـي
ســـأصـــرِّحُ وأقـــول
عـشـقـتُ زيـد المُـسـمَّـا
وأغـــنـــم ذا الـقـبـولِ
مـــن قـبـل إمـــا وأمـــا
مـــا لـلـنـاس فـضـولٌ
مـن هـابـهـم مـات غـمّـا
دعـــهـــم فـــي ســـلامٍ
يـسـعـد حـد الـلـهِ ويـشـفـي
ســأنـثـرُ فـي الجـلـوسِ
عـقـود درٍّ وعـقـيـانِ
فـي ابـن الـعـيـدروس
عـالـي المـقـامـاتِ والـشـانِ
مـنـفـوس الـنُّـفـوس
ومـنـتـهـى كـل إنـسـانِ
طـال عـمـرهُ ودام
لـكـل فـتـقٍ ورتـقِ

• للشاعر الفنان قصائد ومقطعات، ومنها مقطعة من بيتين، يقول:

أنـا فـي سـلـوة عـلـى كـلِّ حـالِ
إن أتـانـي الحـبـيـبُ أو إن أبـانـي
أغـنـم الـوصـلَ إن دنـا فـي أمـانِ
وإذا مـا نـأى أعـش بـالأمـانـي

• وله أيضًا مقطوعة من بيتين يقول فيها:

لـئـن بـلـغ الـزوارُ خـيـفَ مـنّـى منّا
وأمنا برمي الجمر من لهب الجمرِ
فبالمنحنى من أضلعي والعقيقُ من
دموعي على التشريقِ شاركتُ في الأجرِ

• وللشاعر مواقف، وآراء في كثير من الأحداث، وله مكانة شعرية كبيرة، وقد أجاب بعض الممتحنين له من أهل زمانه، ممن أرادوا امتحانه في قرض الشعر، فكان رده:

يا من أجادَ غداةً أنشدُ مقولا
وأفادَ من إحسانه وتفضّلا
إن كنتَ ممتحني بذاك فإنني
لستُ الهيوبة حيث ما قيل انزلا
وإذا تبادرت الجيادُ بحلبةٍ
يومَ النوالِ رأيتَ طرفي أولا
قسمًا بآياتِ البديع وما حوى
من صنعتيه موشَّحًا ومسلسلا
لو كنتُ مفتخرًا بنظم قصيدةٍ
لبنيتُ في هامِ المجرة منزلا
من كلِّ قافيةٍ يروقُ سماعها
وتُعيدُ سحبان الفصاحةِ باقلا
ويرى لبيدُ في بليدٍ قلبه
حصرًا وينقلبُ الفرزدق أخطلا
وعلى جريرٍ نجرُّ مطرف تيهنا
ومهلهلًا يُنديهِ نسج مهلهلا
ولئن تنبّا ابن الحسين فإنني
سأكونُ في تلكَ الصناعةِ مُرسلا
أظننتَ أنَّ الشعرَ يصعبُ صوغهُ
عندي وقد أضحى لدي مُذللا
أبدي العُجابَ إذا برزتُ مفاخرًا
أو مادحًا للقرمِ أو متغزلا
لكنني رجلٌ أصونُ بضاعتي
عمّن يُساومُ بَخسها متبذلا
وأرى من الجرمِ العظيمِ خريدة
حسناء تهدى للئيمِ وتجتلى
ما كنتُ حسبُ عقربًا تحتكُّ بالـ
ـأفعى ولا هُبعًا يزاحمُ بُزّلا
وأنا الغريبُ وأنتَ ذاكَ وبيننا
رحمٌ لمثلها أن توصلا

• كفاءة وقدرة على صياغة الشعر، بتحدي أي شاعر يباريه، لله دره من شاعر، له من الإمكانيات ما هو أهله، فقد كانت بحور الشعر تحت يديه، والقوافي الذلل والنفر والحوش مسيطرًا عليها، والتناسق بين المعنى اللفظ من صناعته، أما خياله فكان طاغيًا فاستخرج جملًا فنية بلاغية ما تحدى بها أفضل الشعراء.

• يتميز الشاعر محمد جمال الدين بجمال الأسلوب، وقوة السبك في أبياته، واختيار موفق لألفاظه وعباراته، وتراكيب الجمل وتآلفها زاد من جمالها ورونقها، وكانت صناعة الشعر عنده سليقة، لا يتصنع، ولا يأتي بالغريب، ولا يطرق الحوشي من الألفاظ، ولا معاضلة في شعره، فهو سهل ميسور، فلا غموض، وصعوبة في الفهم، ويبدو أن ثقافته كانت تمده بكل ما يحتاج إليه من التاريخ،

أو الشعر ونقده، وكانت له اطلاعات على سير الملوك والعظماء، يتجلى ذلك في شعره واضحًا، أو مواريًا، ومع ذلك كان محبًا للخير، وقريبًا من أفكار طلبته، ومتصفًا بالإنصاف والعدل، بكونه قاضيًا، وشيخ دين مثقفًا.

****

محمد بن أحمد (العروس)

١٢٣٢ - ١٣١٦ هـ / ١٨١٦ - ١٨٩٨ م

- هو الإمام السيد محمد بن السيد أحمد، الملقب بالعروس[1]، ولقبوه بذلك لأنه يلبس ملابس نظيفة وجديدة دائمًا، لذا كان يشبه العروس في كل وقت، ولد الإمام العروس سيد محمد في (قاهرة) كايل باتنم سنة ١٢٣٢هـ، الموافق ١٨١٧م، ثم انتقل إلى كيلكري، مقر والده، تعلم من والده الدروس الأولى، وحفظ القرآن الكريم، وتعلم اللغة العربية، ولغة التاميل ولغة الأردو واللغة الفارسية، وكانت له ملكة نظم الشعر وهو صغير السن.

(١) ك. م. ع. أحمد زبير، أسرة الشيخ صدقة الله أبا ص ١٦٥. جامعة كاليكوت، قسم اللغة العربية، إسهامات الهند للأدب العربي (كاليكوت، جامع كاليكوت ٢٠١١م) ص ٢٠٩.

- درس السيد محمد عند الشيخ تيكا عبدالقادر، وكان مشهورًا بين الناس بغزارة علمه، وكان صوفيًا ووليًا صادقًا، ومولعًا بالأحكام الشرعية، وكان ماهرًا باللغة العربية تحدثًا وكتابة، وألف السيد محمد عدة كتب منها:

- **مواهب المجيد في مناقب شاه الحميد.**
- **منحة سرنديب في مولد الحبيب.**
- **أحسن المواعظ وأزين الملافظ.**
- **مواهب الزين في مناقب الحسنين.**
- **مولد زنجبيل سلافة قرشية في سجنجيل.**
- **مناهج رب الأرباب في مدائح قطب الأقطاب.**
- **مراغب أولي الألسن في مناقب أبي الحسن.**
- **منحة الباري في مدحة البخاري.**
- **مولد عطاء الرسول في مدحة سخاء البتول.**

- وله كتب صغيرة أخرى، وذهب إلى الحجاز لأداء مناسك الحج، واجتمع مع عدد من العلماء في مكة فأعجبوا من فصاحته باللغة العربية وبلاغته في الخطابة، وكان السيد يعمل في التجارة، ويجلب بضائع من أماكن بعيدة في الهند، وأسس عدة مخازن في جنوب الهند، وقام ببناء عدة مراكز تعليمية في سرنديب، وجنوب الهند للتعليم وحفظ القرآن والتثقيف.

- حول دراسته الأولى يصف الدرس بقوله:

بدايته درس القرآن وحفظه

وعلمٌ وتعليمٌ وإحياء ملةِ

نهايته غوص ببحر المعارف
وشوقٌ وذوقٌ ثم وجد الحضيرةِ
تصوّفٌ عند الشيخ أستاذه المسمى
بعبدالقدير الحبر بحر الحقيقةِ
وقرأ فصوص الشيخ محيي لديننا
وحِكَمَ أبي مدين عليه بحملةِ
وغيرهما مما يُبلّغُ ســـالكًا
لأقصى كمالٍ بعد علم العقيدةِ

• كان لمقام والد الشاعر مكانة كبيرة عند الإمام العروس، وأن يذكره دائمًا، فلما انتقل إلى رحمة الله رثاه السيد محمد بأبيات يقول فيها:

ومستوفرًا عمرَ النبي محمد
عليه تحايا كلّ حيّ ومـيّتِ
عشا ليل سبتٍ رجب مُرجَّب
لتاريخ ما أتلوه من عامِ هجرةِ
إلهي بيِّض وجه أحمدَ والدي
وألجئه يا الله عدن أجلة
دفينًا بيمنى الجامع الكركري غدا
لغربيّ روض القطب جدي صدقة
فلا زال من مولاي صيِّبُ رحمة
على قبره صبًّا بلطفٍ ورفقة

• أبيات رثاء والده تشير إلى العلاقة الحميمة بين الابن والوالد، فهو معلمه الأول، ووالده الرحيم، وموجهه في الحياة.

• ونظم الشاعر كتابًا من القصائد يسمى: منحة سرنديب في مدح الحبيب، فقد نظمها في جزيرة سرنديب» سري لانكا» وكتب مقدمة لها طويلة وحشاها بفنون القول، أما الشعر فيقول:

يا أيها الحضار ملجا على المختار
في الأصل والأبكار تستبعدوا سقرا

• وهذا الكتاب يحتوي على أربع عشرة قصيدة بها مئة وثمانية وثمانين بيتًا من الشعر، كما نظم قصيدة في مدح السبطين» الحسن والحسين، يقول فيها:

وحبّ الرسول وحب الآل ركنان
لا فرق بينهما يا أهل إيمانِ
من ودَّ طاها ولا يرضي عشيرته
فهو المداهنُ والعاصي لرحمنِ
وهم نجابٌ سادة سفنٍ
ينجو بها غارق في بحر طغيانِ

• لهذا السبب لقبوه بـ«مادح السبطين». ومن الأعمال التي قام بها الإمام العروس بناء مسجد، بعد أن هجم البرتغاليون على منطقة كتجي وادي، وهاجر منها المسلمون إلى منطقة غالي، ليس بها مسجد فقرر إنشاء ذلك المسجد وقال:

أيها الطالبون للاهتداءِ
والمريدون قدوة الأولياءِ

إن عزمتم غنيمةَ الخير سعدا
فعليكم بمغنم السعداء
مسجد زانه عمارات تقوى
وبشارات من بجو السماء
نازل فيه رحمة الله تترى
وبها نورهم مضيء السناء
ممثل أرضه بجمع الصلاة
مرة بعد مرة بالولاء
ركّعًا سجدًا خضوعًا خشوعًا
مبتغي فضل ربهم بالرضاء
وبجمع جلوا به عاكفين
ذاكرين القدوس بالاختفاء
يا له ضم مشهدًا جامعًا من
يذكرون القيّوم بالأصداء
فاشكروا قوم ذاكرا ذاكريه
خلوة أو بجلوة بالكفاء
روضة من رياض جنان عدنٍ
طاب من يرتعوها بالهناء

• نظم لكلمات ليس فيها خيال، ولا سبك للأبيات، ولكن المعنى كان كبيرًا في العمل الإسلامي والإنساني، وهو هنا ناظم، وربما أراد الشاعر سيد محمد أن يظهر براعته في النظم العربي، فنظم قصيدة تخلو من الحروف المنقوطة، واقتصر على الحروف غير المنقوطة، فقال:

صلِّ وسلم كرور حول ودهر
للرسول المحل وسط اللواءِ
راحمًا للعرموم والملوك
أعط ملك المدراس العطاء
وأمره مدرعًا درع اللواء
ذو أصعده سلم العلماء
أعطه مصلحًا لروحٍ وروح
عالمًا داء صدره والرواء
أكسه سؤددًا وعلمًا وحلمًا
وحصول المراد كل السماء
أهده سالكًا لأهل السراط
عادلًا حاكمًا لحد السواء

• إلى آخر هذه القصيدة التي تكلف الشاعر في نظمها، لا تعني شيئًا، فلا الموضوع واضح، ولا الكلمات مناسبة، بل فيها صنعة وتكلف غير مناسب، وقدرة الشاعر لا يمكن أن تأتي عن هذا الطريق، بل الخيال والصناعة الجيدة للنظم، وهذه القطعة تخلو من مضامين النظم الشعري، ولا يوجد بها ما يبرهن على قدرة الشاعر اللغوية، بل إنه أظهر فقط أنه يعرف ألفاظ المعجم اللغوي.

• قدرة الشاعر على النظم قدرة بسيطة، وربما كانت المناسبات تحكم قوة نظمه، ومع أنه يمتلك قدرة اختيار

البحر العروضي، والقافية الذلل، ولكن خياله الفني يتوقف عنده، وهو في هذه الحالة ناظم للألفاظ، فلا نجد صورًا فنية بلاغية، ولا يوجد موسيقا خلال الأبيات، وميزة الشعر الموسيقا التي تبنى على الخيال الشعري، وصناعة الجناس والطباق، والموسيقا الداخلية والخارجية.

****

محمد جان بن يعقوب

١٢٨٤ - ١٣٣٨ هـ / ١٨٦٧ - ١٩١٩ م

• ولد الشيخ محمد جان بن يعقوب العمري في البحري آباد[1]، أعظم كره، الهند، وحفظ القرآن صغيرًا ودرس المختصرات، ثم درس تحت يد مولانا محمد فاروق بن علي أكبر العباسي، ثم لازم دروس الشيخ عين القضاة بن محمد وزير الحيدرآبادي، فدرس الفقه والأصول وعلم الكلام، وبعد ذلك عمل في التدريس في مدرسة مهابت خان بجوناكره، غوجرات، مدة من الزمن، ثم عمل مع شيخه عين القضاة في المدرسة الفرقانية.

• توفي الشاعر عام ١٣٣٨ هـ.

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٨: ٤١٦. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ١٧: ٣٣٢. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١٧٥.

• ينظم الشاعر قصائد باللغة الفارسية والعربية والأردية، ومن شعره يمدح مولانا الشيخ أحمد سر هندي، بقوله:

بركاتُه عمَّتْ ووافت كلَّ ما
ذرّت عليهِ الشمسُ من بحرٍ وبرْ
عمَّ الورى طُرًّا سنا آثاره
قرت لرؤيتها عيون ذوي البصر
الرشدُ ظلَّ بسعيهِ متهللا
من بعد ما قد كان منطمِسَ الأثر
والشرك والإلحاد قد مُحيا به
والغَيّ أدبر والضلالُ نأى وفر
كم محدثٍ نيرانُه خمدتْ به
إذ طار من نيرانه شرر وشر
بحرٌ خضمٌ منه كم نبعتْ وكم
سألت عيونٌ أو جرى منه النهر
كم من موات القلب نال حياته
من قيضه فَزَها وراق به النظر
سلسال عرفانٍ به فد ميّزوا
ما كان منه صفا وما منه الكدر
كم جاهلٍ غِرٍّ أتاه لرشده
فالجهلُ زال برشده وكذا الغَرَر
كم مَن أتى سعيًا لإبيهِ بقلبه الـ
قاسي وروحٍ قد أحاط به الكدر
أو نفسه قُهِرتْ فجاء ونفسه
مقهورةٌ أما هواه فقد هجر
والروح منه بنظرةٍ منه انجلى
والقلب لان وكان أصلدَ من حجر

- يمدح الشيخ الصوفي العالم أحمد سر هندي، الذي ذاع صيته في العالم، وكانت له مواقف نادرة مع الناس، والإلهام الذي تخلى به، ومدحه ما هو إلا شيء من العرفان لهذا العالم الجليل.

- استخدم الشاعر بحرًا عروضيًا، مع قافية ذلل، وألفاظًا متناسقة مع الفكرة، والمعنى، فعبر عن احترامه لهذه الشخصية العظيمة، لا شك أن الخيال ضعيف هنا، لأن الهدف مدح الشيخ أحمد، فيرى الواقع هو الحكم على سلوكه، غير أن السبك كان جيدًا وتناسب الألفاظ في الجمل، وأورد بعض الصور الفنية، مثل الشرك والإلحاد فر، أو هرب فهذا أنسنة الأشياء المجردة، ويعي ما يقوله، ويفهم الناس المقصد والهدف من إيراد مثل تلك الصور.

****

محمد حسين الأنصاري

١٢٧٣ - ١٣٤٤ هـ / ١٨٥٦ - ١٩٢٥ م

- هو محمد بن حسين بن محسن بن محمد الأنصاري الخزرجي السعدي اليماني[1]، ولد في الحديدة، اليمن، سنة ١٢٧٣هـ، الموافق ١٨٥٦م، تلقى العلم على يد والده، فدرس فقه الشافعي والنحو، ثم درس على أيدي عمه محمد بن محسن، وعمه زين العابدين، وأخذ عنهما الفقه والأصول والحديث الشريف، وقرأ على المولوي عبدالله البلغرامي رسائل في المنطق والنحو والأصول، وأخذ من الشيخ يوسف علي الكوبتموي الكتب الدراسية في الفقه والأصول والحكمة، وعنه أخذ العروض والقافية.

- درس كذلك صحيح البخاري، وبلوغ المرام من القاصي محمد بن عبدالعزيز المجهلي، ثم سافر إلى الحرمين الشريفين، فحج وزار الرسول، وجلس عند علماء الحرمين وأجازوه فيما قرأ، ثم عاد إلى بهوبال، الهند وعمل في التدريس، ثم ذهب إلى الحجاز مرة أخرى، وزار الشارقة «الإمارات»، ثم عاد إلى الهند ليعمل مدرسًا في دار العلوم، لكناؤ، وقرأ علمي العروض والقوافي، ومقامات الحريري، وديوان المتنبي، وحماسة أبي تمام، والمعلقات السبع.

- للشاعر عدة مصنفات، منها:
  - **الطرز الموشى بفوائد الإنشا.**
  - **المورد الصافي في العروض والقوافي.**
  - **النور الساطع من محاسن الدر الطالع.**

- بالإضافة إلى نظمه للشعر في مناسبات متعددة، وموضوعات مختلفة، ومما نظم حول ندوة العلماء، قوله:

دعاها إذا غنت على الروضة الغنا

فأنا وجدنا في المغاني لها مغنى

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٨: ٣٨٨. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٠٠.

وقولا لحادي العيس فليحمد السرى
فأنا سمعنا في الأغاني لها لحنا
وقولا لغزلان النقاء لك البقا
لقد طلبتما عيشًا بعيش هو الأهنى
ولا تسألا غير الصبا عن صبابتي
فعنها رويت اللطف لطفًا له معنى
سرتُ وعليل الطرف لا يعرف الكرى
ومهجته حرى وقتب له مضنى
وما أشتاق لا والله للمدح ناظري
ولا لغزال الريم والغادة الرعنا
ولا نظرت عيني إلى ما يسرها
ولا شاهدت في الربعِ جلَّاله يُغنى
رعى الله ذات الطوق كم حركت هوى
وكم بذلت صوتًا وكم أخذت منّا
وساق صبيح الوجه راق صبوحه
كما راق ماء الحسن في الروضة الغنا
أتاني بها صرفًا وأومأ بطرفه
فقلتُ له بالله من هذه زدنا
فما الراح إلا الروح عند بزوغها
فعجّل بها صرفًا ودع فرجها عنا
شربنا على ذكر الحبيب مدامة
سكرنا بها من قبل أن نعرف الدنا
لها الكأس بدرٌ وهي شمس يديرها
هلال وكم بندو إذا مزجت معنى
وقائلة ما بال قلبك مولعُ
بعالمها الأعلى ورفرفها الأسنى
وحتّام تسعى لبناء معالم
من العلم قد أسهرت في حوزها الجفنا
لعمرك من يسعى لنيل فضائل
فقد حارب الدنيا ومات بها حزنا
يرى شربه فيها سرابًا وعقله
عقالًا لما يبغي وقوته وهنا
فقلتُ دعيني من حديث خرافة
فإنّا أناس نعشق المجدَ مذ كنّا
لنا أنفس تأبى الهوانَ وترتقي
إلى المنهج الأعلى ولم تطلب الأدنى
لنا سلفٌ ساروا على خير شرعةٍ
ونحن على آثار شرعهم سرنا
ولا خير في الدنيا إذا لم تجد بها
حبيبًا وتجني من جداك بها عدنا
ولا خير فيمن يجمع المالَ للغنى
فأوزاره تبقى وصاحبه يفنى
وليس الغنى إلّا التعفف والتقى
ومأثره تنمى ومكرمة تجنى

• الشاعر محمد الأنصاري شاعر مبدع مطبوع السليقة، متمكن من أدوات البناء الفني للقصيد، وله خيال صنع منه عقودًا من الصور البلاغية، ولا عجب في ذلك فقد رضع البلاغة والفن من بلاد الأصل، اليمن، فكان شاعرًا فاق قرناءه الشعراء. وله قصيدة نظمها في أعضاء ندوة

العلماء الذين ذهبوا إلى مدراس للاحتفال سنة ١٣٣٥هـ، الموافق ١٩١٦م، يقول فيها:

شكت بلسان الحال طول جفاها
ونادت ولكن من مجيب نداها
وشدّت إلى مدراس أمراس رحلها
لتبلغ منهم ما يزيل عناها
وجاءت إليهم تستغيثُ من الأولى
جَفوها ولم يَعنوا برفع بناها
ولم يُكملوا ما قد بقى غير كاملٍ
ولم يَعبَأوا بالطالبين ولاها
ولم يجهدوا غيها لتتميمها فقد
شكت بلسان الحال طول جفاها
عسى أهلُ مدراس ومن حلَّ قربهم
أولو همةٍ عليا تشيد سماها
فيا ندوة قد كدَّر الدّهرُ صفوها
وطال عليها كربها وعناها
خليليَّ لم يبقَ الجفاءُ لناظري
بكاء فهل عين تعيرُ بكاها
فأبكي من هجرٍ طويلٍ وغربةٍ
بدار منى أدعو أجاب صداها
أحاطَ بها الإفلاسُ من كلّ جانبٍ
فطلابها من لومها وصداها
يصيحون فيها كلّ يومٍ وليلةٍ
جياعًا وأظمأهم شديدٌ صداها
فيا أهلَ دين الله قوموا فبادروا
لنصرِ عباد الله من علماها
فجاءوا إلى مدراسَ يستنجدونهم
يقودهم ابن الوصي وطاها
يقودهم حبر نبيل معظمٌ
وذلك عبدالحي بدر سماها

• يتميز الشاعر محمد بن حسين الأنصاري بالإبداع الشعري، فهو شاعر مطبوع تنساب بين يديه وفكره الكلمات العربية الفصيحة، لتصنع جملًا جميلة تسر القارئ، وتبعث الدفء في ثنايا وجدانه، واستعمل أدوات النظم الفني، ونافس شعراء العرب، في عصره أو العصور السابقة، ومنها له قصيدة تهنئة أرسلها إلى السيد عبدالحي الحسني ولادة ابنه عبدالعلي مهنئًا له، يقول فيها:

سُرَّ قلبي بذلك المولودِ
لصفي خلٍّ وفي ودودِ
فاضلٌ كاملٌ تقيٌّ نقي
سعيدٌ عاقلٌ لبيبٌ مجيدِ
هذه الغانياتُ أطربنَ بالدفِّ
وباللحنِ والغناء والنشيدِ
كل حوراء ناظرات بطرفٍ
كعيونِ المها وطرفِ غيدِ
كسهامٍ أهدابُها راشقات
وتقدّ القلوبَ قبل الجلودِ

بـقـدودٍ كـأنـهـا غـصـن الـبـا
ن تـرنَّـحـنَ لـلـمـحـب الـعـمـيـدِ
ذات فـرعٍ كـأنـهـا الـلـيـل إذ
يسجو على قلبِ عاشقٍ معمودِ
حسبي الله كم أقاسي صعابًا
من هواها ولم أنل مقصودي
فلذا رمتُ أن أخلص نفسي
بمديحي لسبط خير الوجودِ
فلعلي أرجو النجاةَ بمدحي
لأهل الكساء أهل السجودِ
قام في منبر القلوب خطيبًا
فسرى طيب نشره في جلودي
جدد العهد بالسرور وأضحى
يتجلى بكل سعدٍ جديدِ
هي بشرى لسيد ذي بحار
بشرته بنجله المولودِ

• نظم الشاعر قصيدة وأرسلها للسيد عبدالحي الحسني، ويذكر فيها أهل بيت رسول الله – صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم –، يقول فيها:

كتبتُ كتابًا بالسلام والوردِ
وبالمسك والكافور والعطر والندِ
وعفرته بالزعفران كرامةً
لما فيه من ذكر الأحبة والسودِ
إلى قمرِ الدنيا إلى غاية المنى
إلى من لا عنده بعض ما عندي
إلى الفاضل النحرير والعالم الذي
يسمى عبدالحي يا لك من عبدِ
هو ابن رسول الله وابن وصيه
وابن الحسين واسطة العقدِ
عليهم سلام الله ما ذر شارق
وماسح ودق في خمائل من وردِ
سلام عليهم كلما لاح بارق
وما غنت الورقا على ورق الرندِ
سلام عليهم كلما هبت الصبا
وما جاءت الأخبار منهم إلى عندي
فوالله ما طابت حياتيَ بعدكم
ولا أنتمُ طابتْ حياتُكم بعدي
حرامٌ عليَّ النومُ حتى أراكمُ
ولو كنتُ في الفردوس أو جنة الخلدِ

• دراسة الشاعر للغة العربية وفنونها انعكس على شعره، فهو شاعر ويمتلك القدرة اللغوية والفنية لنظم الشعر، وهو يعلم تاريخ الإسلام، وسيرة الرسول، قدرة الشاعر قدرة كبيرة، تتمثل في حفظه للقرآن الكريم، والشعر العربي القديم، فاستطاع أن يبني أبياته مستمدًا ألفاظه

من تراثه، فظهرت في شعره بعض ألفاظ القرآن الكريم، وبعض ألفاظ الشعر العربي القديم.

- استخدم الشاعر بحور الشعر الخليلية، وقوافي من الذلل، فسهلت مهمة نظم الشعر، وخاصة في موضوعات دينية وتاريخية، مع سبك الأبيات بأسلوب راق، وعفوية جذابة، استعمل خياله، وقدرته ليصنع لنا صورًا بلاغية فنية، فكانت قصائده تتمتع بالرونق الجميل، مع عذوبة اللفظ، ودقة المعاني.

- تطرق الشاعر إلى الصلة بين الممدوح وبين رسول الله في النسب، وجعل ذلك جزءًا من المديح، ولم يغفل صفات الممدوح من النشاط العقلي، والفطنة والذكاء، كما أنه وصف دارًا للعلم، وشجع الناس على المساعدة في بنائها في جمل متناسقة الألفاظ والمعاني، وكان مبدعًا في اختيار الموضوع، واستطاع أن يصور كلية بندوة العلماء، لما لها من فضل على العلم والتعليم.

- فنية الشاعر تتضح من خلال خياله، فقد بدأ بالنسيب على طريقة الشعراء القدامى، ثم يأتي على الموضوع، وهو يمتلك قدرة على استدعاء الماضي لمدح الحاضر، ولم يكن غائبًا عن الحوادث التاريخية، فهو بحق شاعر مميز في أسلوبه وكلماته.

****

محمد حسين الجزائري

١٢٠٧ - ١٢٨٧ هـ / ١٧٩٢ - ١٨٧٠ م

- هو الشيخ محمد حسين بن الشيخ محمد علي بن نور الدين بن نعمة الله الحسيني الجزائري[1]، ولد بشيراز سنة ١٢٠٧هـ، الموافق ١٧٩٢م، وتلقى العلم على أيدي علماء عصره، وأتقن اللغة الفارسية والعربية، كان والده في الهند عند ابن عمه الوزير أبي القاسم بن الرضي الجزائري، فلما وصل إلى حيدرآباد علم بوفاة والده، ووفاة ابن عمه الوزير، فتلقاه منير الملك، وأكرمه وزوجه، لذا استوطن حيدرآباد، وعاش بها.

- صنف بعض الكتب منها:
  - **مختار الجوامع.**
  - **ديوان الشعر الفارسي.**
  - **ديوان الشعر العربي.**

- كان الشيخ محمد حسين عالمًا في العلوم الحكمية، كما كان طبيبًا، ومع ذلك كان يقرض الشعر العربي، ومن شعره قوله:

ويطمع المرء في أن يتركوه سدى
ولا يحاسبه ربّ الورى أبدا

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٧: ٤٤٨.

كــلاّ سيـأتـيـه يــومٌ لا مــردَّ لـه
إن لم يمت أمس محسورًا يموتُ غدا
اصبر على حادثات الدَّهرِ منتظرًا
لــروحِ ربّ البـرايـا حسبما وعـدا
واستغنِ بالعلمِ والتقوى وكن رجلا
لا يـرتجـي غـير رزّاق الـورى أحـدا

- شعره جيد، ولكن لم يعطنا المصدر سوى هذه القطعة القصيرة، ويظهر فيها قدرته على النظم، فيها تملكه للألفاظ العربية، وقافية ذلل وبحر عروضي، وقليل من الخيال، غير أن الناقد لا يستطيع الحكم على شعره من خلال قطعة صغيرة كهذه، ولكن يبدو أن لديه أصول الفن الشعري، وخاصة أن له ديوان باللغة الفارسية، التي تتشابه مع العربية.

****

محمد خواجة الحيدرآبادي

١٣٥٩ - ٠٠٠ هـ / ١٩٤٠ - ٠٠٠٠ م

- ولد الشيخ محمد خواجة شريف[1] في قرية قريبة من حيدرآباد سنة ١٣٥٩هـ، الموافق ١٩٤٠م، درس المرحلة الأولى في قريته الصغيرة، ثم ذهب إلى المدرسة التحتانية بكوشة محل، وبعدها التحق بالجامعة النظامية، وتخرج منها، ثم سافر إلى دلهي والتحق بالمدرسة الأمينية وقرأ هناك الصحاح الستة على أيدي الشيخ محمد ميان والمفتي عبدالرحمن والمفتي مشعور الحسن.

- وبعد تخرجه أسس مدرسة دينية وعمل بها ثلاث سنوات، ثم عين أستاذًا في الجامعة النظامية، وكان يدرس الفقه واللغة العربية عدة سنوات، وبعدها عين رئيسًا لقسم الحديث في النظامية.

- ومن نشاطاته أنه أسس مدرسة للطلبة المسلمين الصغار، وميزة هذه المدرسة أن لغة التدريس بها هي اللغة العربية، وهي أول مدرسة تعتمد في تدريسها اللغة العربية، كما يرأس الشيخ مجلة الأضواء، التي تطبع باللغة العربية، وكان مغرمًا بهذه اللغة، ويشجع الناس على تعلمها، وخاصة صغار المسلمين، وكذلك ينظم الشعر العربي، وله قصائد في مدح رسول الله - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم -، ولكنه كان تقليديًا في ذلك المديح، إذ يقول:

بـنـور رسـول الـلـه أشـرقـتِ الـدّنـا
فـفـي نـوره كـلُّ يـجـيء ويـذهـبُ
بـراهُ جـلالُ الحـق لـلـخـلـق رحـمـة
فـكـل الـورى فـي نـوره يـتـقـلّـبُ

(١) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٤٤٣.

بتوراةِ موسى نعتُه وصفاتُه
وإنجيلُ عيسى بالمدائحِ يطنبُ
بشيرٌ نذيرٌ مشفق متعطفٌ
رؤوفٌ رحيمٌ محسن لا يثربُ
بأعلى السما أمسى يكلم ربه
وجبريلُ ناء والحبيب مقربُ
برياه طابت طيبة ونسيمها
فما المسك ما الكافور رباه أطيبُ
بأوصافه الحسنى تطيبُ قلوبنا
وتهتز شوقًا والركائب تطربُ
بمدحك أرجو الله يغفر لي
ولو كنتُ عبدًا طول عمري أذنبُ

• مدح رسول الله كا كما وصفه الواصفون، لم يأت بجديد، وكان تقليديًا في طرحه، وفضله على الأنبياء جميعًا، وصفاته في الإنجيل والقرآن، وهناك قطعة أخرى يمدح بها نبي الله محمد - عليه السلام -، يقول فيها:

يا سيدَ الكونينِ والعربان والعجمِ
يا من به شرف للوح والقلمِ
يا صفوةَ اللهِ خير الخلق مرحمة
يا من به الطيب في الأحواء والأطمِ
أنت الأنيس لنا نفديك مهجتنا
في ذي الحياة وبعد الموت والألمِ
بالمؤمنين رؤوف راحم كرم
أنت المشفع فينا شافع الأممِ
صلى الإله عليك دائمًا أبدًا
مادام في الغصنِ يشدو الطير بالنغمِ

• أظن أن الشاعر قد اقتبس من شعراء آخرين بعض جملهم، فله قدرة قليلة في استنباط المديح، لذا يلجأ إلى الاقتباس والأبيات معادة من شعراء آخرين لم يزد شيئًا جديدًا، ولم يبتكر جملًا مدحية، بل كان مقلدًا لغيره.

****

محمد شريف آبادي

٠٠٠ - ١٣٧٢ هـ / ٠٠٠٠ - ١٩٥٢ م

• ولد الشيخ محمد شريف بن خدا بخش بن قلندر بن حسين[1] في مدينة مصطفى آباد في أواخر القرن الثاني عشر من الهجرة النبوية، وهو من أسرة غنية، درس المرحلة الأولى على يد والده، ثم درس عن الشيخ المحدث عبدالرحمن المباركفوري، بعده التحق بالمدرسة الحنفية

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٨٨.

بجونفور، وتتلمذ على يد الشيخ هداية الله خان، والشيخ محي الدين بإله آباد، ثم سافر إلى تونك فتعلم جميع العلوم العقلية والنقلية والطب والحكمة على يد الشيخ أبي البركات.

- بعد حصول الشيخ محمد شريف على المؤهلات العلمية اشتغل في التدريس في كلية شمس الهدى ببتنا، ثم أصبح رئيسًا لهيئة التدريس، وأثناء ذلك بايع الشيخ الشاه بدر الدين متولي على الطريقة الصوفية، ثم انتقل إلى مدرسة مصباح العلوم، واستمر عشرين سنة، وساهم في حركة الثورة الهندية ضد الاستعمار البريطاني سنة ١٨٥٧م.

- انتقل إلى بناري ليعمل مدرسًا في مدرسة مظهر العلوم، ثم في دار العلوم معينية بأجمير، ويحصل على أجرة من حيدرآباد الدكن، ولكن حدثت احتجاجات من الطلاب، وقدموا شكوى ضده، مما اضطر حيدرأباد إلى إرسال مبعوث إلى المدرسة لاستقصاء الأمر، ولكن بعد دراسة الوضع عرفوا أن الاحتجاجات غير منطقية، وغير مفيدة، لذا طلبوا من الشيخ الاستمرار في عمله.

- للشاعر محمد شريف عدة مصنفات منها:
  - **الإفاضة القدسية في المباحث الحكمية.**
  - **نسيم الكلام في تأييد شريعة خير الأنام.**
  - **جواهر الحكمة في شرح السلم.**
  - **رموز الحكمة، أردو.**
  - **الأسئلة والأجوبة على كتاب نور الأنوار، أصول الفقه.**
  - **كتاب قطبي ومير قطبي، في المنطق.**
  - **حاشية تفسير البيضاوي.**

- له قصائد ومقطعات في الشعر العربي، ومنها ما نظمه في تقريظ كتاب ألفه الشاه بدر الدين القادري، يقول فيه:

أذاك كتابٌ محكمٌ بالدلائلِ
أم السيف سيف الحق في كل باطلِ
أذاك بيان مبطل سحر بابل
مقر الدراري غامضات المسائلِ
لعمري هو الريحان في الروض فائحٌ
بل العروة الوثقى نجاة القبائلِ

- قطعة قصيرة من الشعر، ولكن تحمل لنا قدرة الشاعر على النظم العربي، بحر عروضي، وقافية موحدة، وتناسق بين اللفظ والمعنى، واستطاع هذا الشاعر أن يعبر عن المعنى بألفاظ جيدة، وسبك جيد، وأسلوب عربي رصين، ولا غموض أو أي إشكال في فهم المقصود.

- إمكانية الشاعر كبيرة، ولكن المصدر لم ينقل لنا سوى هذه القطعة، ولكن خياله قليل لذا كانت صوره الفنية قليلة، واستطاع أن ينقل بعض أفكار الكتاب بأقل الكلمات بأسلوب سهل وميسور.

****

محمد شفيع الديوبندي

١٣١٥ - ١٣٩٦ هـ / ١٨٩٧ - ١٩٧٦ م

- هو الشيخ محمد شفيع بن محمد ياسين بن خليفة تحسين علي بن ميان جي[١]، ولد الشيخ محمد شفيع في ديوبند سنة ١٣١٥هـ، الموافق ١٨٩٦م، بعد دراسته الأولى التحق بدار العلوم ديوبند، ودرس الدراسات الإسلامية وتخرج سنة ١٣٣٦هـ، الموافق ١٩١٧م، وبعد تخرجه عين مدرسًا بالكلية نفسها سنة ١٩١٨م، ثم تولى منصب الإفتاء ١٣٥٠هـ، الموافق ١٩٣١م، إلى أن هاجر إلى باكستان سنة ١٩٥٨م، حيث أسهم في صياغة دستور باكستان، وأسس في كراتشي دار العلوم، التي أصبحت بعد ذلك الجامعة العربية المركزية.

- توفي عام ١٣٩٦ هـ في مدينة كراتشي.

- له عدة مصنفات باللغات الفارسية والعربية والأردو، منها:
  - كتاب النغمات، يجمع بين الشعر والنثر.
  - تفصيل الخطاب في تفسير آيات الحجاب.
  - السعي الحثيث في تفسير لهو الحديث.
  - الازدياد السنيّ على اليانع الجني.
  - كشف الريب عن علم الغيب.
  - التصريح بما تواتر في نزول المسيح.
  - تكميل الحبور بسماع أهل القبور.
  - بداية المهديين في آيات ختم النبيين.
  - تحفة الوطن شرح نفحة اليمن.
  - أصول اللغة.

- كان للشاعر عدة قصائد، منها ما نظمه في مديح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، يقول فيها:

من ذكرِ طيبةَ مغراها فمماساها
جرت شؤوني بسم الله مجراها
يا ليت شعري من أسرى فأرقاها
ومن بداهية السهيد أبلاها
فيمن تبيت قريح العين ساهرة
ومن بمقلقة الأشجان أشجاها
سهرُ العيون لغير الله مندمةٌ
وحسرةٌ لسواهُ طول مبكاها
بلى وحب حبيب الله مجلبة الـ
ـخيرات أجمع أولاها وأخراها
علا ففاق معالي الخلق أجمعهم
قد حلَّ من شرفات المجد أعلاها
حسبي شفاعته حسبي وسيلته
لكل هول من الأهوال أخشاها
واهًا لطيبة لازالت منوّرةً
طابت مشارقها من طيب ريّاها

(١) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٤٢٥ . مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج١٨: ٩٩.حامد أشرف همداني، الشعر العربي في باكستان ص ٢٨٥.

• عبر الشاعر عن مكنون قلبه تجاه رسول الله-صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- وأيضًا نظم قصيدة طويلة في رثاء أستاذه، وأكبر العلماء الهنود، وهو العلامة الشيخ أنور شاه الكشميري، ذلك العالم الفذ في تاريخ علماء الهند، يقول فيها:

نعى بك ناعٍ سُحْرَة الفجر فانبرى
يضجّ السما والأرضُ والبدرُ والقُرى
وأبكى الجبال الشامخات نَحيبُه
ووبـرًا ومـدْرًا والفلا ثم أبحرا
وأبكى دروسًا والمدارسَ جمةً
كذلك أقصى مسجدٍ ثُمّ منبرا
نعينا بجَمّاع العلوم وسيّما الـ
ـحديث وقرآنًا كريمًا مفسّرا
فلم أدر أرثي عالمًا أو عوالمًا
وعلمًا وحلمًا ثم صدرًا مصدَّرا
وفقيهًا وتحديثًا ورأيًا وحكمةً
وورْعًا وزهدًا في السماء مشهَّرا
ووجهًا طليقًا باسمًا مُتهلّلاً
إذا زرتَ زرتَ البدرَ تِمًّا منوّرا
أحقًا عباد الله أن لستَ زائرًا
بعينيَّ بعد اليومِ شيخيَ أنورا
بخاريُّ عصرٍ ترمذيُّ زمانه
وزهريُّ وقتٍ لا خلاف ولا مِرا
فلو أنها رزءٌ من الدهر واحدٌ
ولكنه عظمٌ أحاط فأمطرا
فطاب ثرى من راح في الله واغتدى
لنشر علوم الدين قام مُشمِّرا
ولم يألُ في إعلاء دينٍ ونشره
تراه لوجه الله سيفًا مشهَّرا
فذاك اللعينُ القاديانيُ إذ بدا
فغادر أرض الله للكفر محورا
وكان رسول الله أخبر أنه
سينزل فيكم أبن مريمَ آخرا
ليملأ أرض الله قسطًا ومعدلاً
كما قد غدا للظلمِ مأوى ومفجرا
أتى وادّعى أني المسيح وإنني
لمصداق ما قال الرسول وأخبرا
وإني خليلٌ ثم موسى وأحمدٌ
تكاد السما من فِريةٍ أن تفطَّرا
مسيلمة البنجاب دجّال عصره
تنشَّأ في كذبٍ على الله مفترى
فلما طغى دجلاً وقد طمَّ خطبُه
أتاح له الجبار شيخيَ أنورا
فنادى طواغيت الضلال مهدّدًا
لينصر دين الله نصرًا مؤزّرا
فشيّد أركان الهدى وأنارها
ومذّر بنيان الضلالة وبذّرا
وشنّف آذان الورى بفرائدٍ
فجادت بها الأجفانُ غدوةَ أدبرا
فوَيْ لسويعات الوصالِ وطيبها
وصفوِ حياةٍ لا يزال مكدّرا

ولـلـه أيـامٌ تملّـيت طيبها ... إذا أدبرتْ كانت على المرء حسرةً
بروض الأماني أخضلًا ثم أخضرا ... وإن أقبلت صارت همومُك أكثرا
وعـدتُ بـه والحـمـدُ لـلـه فـائـزًا ... تـفـكَّرْ تجـد فـي كـل دارٍ سكنتها
وأسـعـدَ حـظًـا ثـم أربـح متـجـرا ... مـقـابـرَ لـلآمـال لـلـخـلـق مـنـحـرا
فحسبي به في العلم والدين قدوةً ... وسـوف تـرى مـا قـد جمعتَ مكابدًا
وحسبي به في مشهد القوم مفخرا ... ستُسلبُها إلا قميصًا ومئزرا
لـعـلّ الـرؤوفَ الـبَـرَّ يُـلـحِـقـنـي به ... وأسـعـد خـلـقٍ مـن تـدرّع بـالـتـقـى
وإنّـي لأرجـو الـلـه خـيـرًا وأكـثـرا ... وإن كـان فـي دنـيـاه أشـعـث أغـبـرا
وإلّا فـمـا فـضـل الجـدود بنافعي ... فـواهًـا لـه مـن رائـحٍ حـلَّ روضـةً
وإن كنتُ مـعـزوًّا إلـى أوثـق الـعُـرا ... بـجـنـبِ المصلَّى لا يـزال منضَّرا
فـلـيس لمـن لـم يـنـحُ منـحـى جـدوده ... سقَتْها غـوادي رحـمـةِ الـلـه بُـكـرةً
بـعـزوتـه فـي الـديـن عـزًّا ومـفـخـرا ... فـعـادت سـواريـهـا بـلـيـلٍ مـكـرّرَا
فمن صُلبِ نـوحٍ ابـنُـه غير صالحٍ ... فـيـا حـيُّ يـا قـيـوم لـطفًا ورحـمـةً
وإنّ خـلـيـل الـلـه مـن نـجـل (آزرا) ... وفـضـلًا بـه عـوَّدت يـا ربّ أنـورا
وذاك أبـو جـهلٍ أخـو الـذلّ والعمى ... بـجـاه إمـام المـرسـلـيـن مـحـمـدٍ
وإنَّ بـلالً فـاق أحـرار حِـمْـيـرا ... وصحبته الأخيار من جمهر الورى
عـلـيـك بـأعـمـال الـبـصـيـرة فيهم ... عـلـيـه سـلامُ الـلـه مـا ذرّ شـارقٌ
وإن تـأتـسـي آثـارهـم مـا تـيـسّـرا ... بـعـهـدة مـن صـلـى وصـام وكـبّـرا
فما عبرتي إلّا لـذي الـعـين عبرةٌ ... فـيـا خـيـرَ خـلـق الـلـه صفوة رسله
ووعـظ وإنْ لـم تستطع أن تعبِّرا ... نـبـيَّ جـمـيـع الأنـبـيـاء ومِـــرا
ومـاذا لـتشكو مـن زمـانٍ وصنعه ... أتـيـتُـكَ لمـا عِـيـلَ صـبـري وهمتي
إذا كـان أمـر الـلـه قَـدْرًا مـقـدّرا ... وفـاقـت ذنـوبـي أن تـعـدّ وتُـحـصـرا
وفـي سـالـف الأيـامِ مـا فـيـه عـبـرةٌ ... أتـيـتـك إذ ضـاقـت عـلـيَّ مـذاهـبـي
وفَـهـمٌ لـذي عـيـنـين رام الـتـبـصُّـرا ... أذلَّ عُـبـيـد الـلـه أحـقَـر أفـقـرا
ومـن أمـعـن الـدنـيـا ونـضـرةَ دمْـنِـهـا ... فـإن لـم تُـنـلـنـي منك فضلًا ورحمةً
يجد نكْرها عُرفًا كذا العرفَ منكرا ... شفاعتك الحسنى لكنتُ المخسَّرا

وعــدّة أبـيـاتـي حـسـابُ وفـاتـه

ورابــع عشر قــرنه خـذ محـررا

- هذه قصيدة طويلة جال بها الشاعر بين المتوفى والواقع، وتصديه للقادياني، من ذوي الانحرافات، إلى النصائح للناس، على الدعوة للميت، وأخيرًا لنفسه طالبًا الشفاعة، وكان الشاعر موفقًا إلى حد ما في النظم، وقدرته على إيجاد الألفاظ المناسبة للتأبين، مع تناسق اللفظ والمعنى، وقافية من الذلل، وفكرًا واضحًا لا غموض فيه ولا معاضلة، ولكن الخيال قليل جدًا، لذا انعدمت الصور الفنية البلاغية من شعره، لأنه لا يراها تناسب الموقف الذي يقفه، فهو يواجه موت الأستاذ والعالم الكبير، الذي واجه الانحراف في العقيدة الإسلامية بظهور الشيخ غلام أحمد القادياني، وادعاءاته التي استنكرها العلماء في الهند.

- للشاعر قصيدة يلجأ بها إلى الله، متوسلًا متضرعًا إليه، يقول فيها:

يا ويح نفسي في الأهواء أهوى بي

ولـو صبرتُ لكان الصبرُ أولـى بي

أمـرتـهـا فـأبـت نـهـنـهـتـهـا فـأتـت

حتى هوت بي فيما ليس يجرى بي

يـا رب فاكفف هـمومًا لـي أكابدها

واجـعـل لنفسك تطوافي وتطلابي

أنـت الـولـي إذا ولـى الـولاة غـدًا

وأسلـمت جسدي للـترب أترابي

وأنـت أقـربُ مـن نفسي إلـى نفسي

وأنـت عـن سـائـر الأدنـين أدنـى بي

أتـيـتُ بـابـك لمـا عـيـل مصطبري

وحسـن ظنـي فـي نـعـمـاك أتـي بي

فـإن طـردت وذاك الـعـدل يـا صمدي

فـمـا لـعـنـدك فـيـمـا بـعـد مـن بـابِ

- وقال الشاعر في الحكمة والعظة:

وهـاتـف حـق كـل كـون وكـائـنٍ

بـأعـلـى نـداء إن صـغـيـت لـقـاهـا

ظـهـور جـمـال الحـقِّ أورثـه الخـفـا

بـه ضـلـت الأقـوام يـا لـضـلالـهـا

تحـيـرت الآراء حـتـى تـفـرقـت

على فـرق حسب الـقـوى ومجالها

- للشاعر قدرة على النظم باللغة العربية، وله باع طويل في استخدام المعجم اللغوي، وحفظ الأحاديث النبوية، وتاريخ حركة الردة في الهند، ثم الدعوة إلى حفظ الدين الحنيف، ولو كان لدينا نماذج أكثر من نظمه لكان النقد لشعره أصوب وأنفع، غير أن قصيدته هذه في الرثاء جمعت مشاعره، وأحاسيسه تجاه المجتمع، وبينت قدرته على الإحاطة بأدوات النظم العربي.

****

محمد طيب القاسمي

١٣١٥ - ١٤٠٤ هـ / ١٨٩٧ - ١٩٨٣ م

- ولد الشيخ محمد طيب بن محمد أحمد بن محمد قاسم[١] في مدينة ديوبند، ولاية أترابراديش، حفظ القرآن الكريم وهو في التاسعة من عمره، ثم التحق بالقسم الفارسي والأردو، بجامعة ديوبند، ودرس دراسات عليا حتى تخرج سنة ١٩١٩م، وتولى إدارة جامعة دار العلوم، بعد والده، وكان له نشاطًا اجتماعيا حيث شكّل هيئة الأحوال الشخصية للمسلمين الهنود، وظل يرأسها منذ ١٩٢٧م حتى وفاته.

- له عدة مؤلفات منها:
  - مذهب علماء ديوبند.
  - علماء ديوبند، اتجاهاتهم ومزاجهم المذهبي.
  - له قصائد شعرية باللغة العربية.

- من شعره قصيدة يمدح بها جده، يقول فيها:

نفسي الفداءُ لقاسمِ الخيراتِ
وبمهجتي أفدي لذي البركاتِ
فيضانُه بالعلم عمَّ بحارَهُ
مأواه عند الله في الجنّاتِ
أولى الأعاظمِ رتبةً وكرامةً
أعلى الأماجدِ قامعُ البِدْعاتِ
شيخُ الأئمةِ مُقتدَى الأعلامِ
صدرُ الأجلّةِ قِبلة الحاجاتِ
نصٌّ محقٌّ حُجَّةٌ وشهادةٌ
أو آيةٌ في الكون في الآياتِ
تنشقُّ من أنواره حجُبُ الدجى
هو في المحامدِ آيةُ الآياتِ
منه استقام أساسُ دينِ محمدٍ
وبه تجدَّد رونقُ الحسناتِ
إني أراك وإن خفيتَ بتربةٍ
بمسائح الغُدُرات والروحاتِ
بيني وبينك في المحبة نِسبةٌ
مستورةٌ من عالم الآفاتِ

- يمتلك الشاعر موهبة شعرية، ولكنه اقتصرت موهبته على الشؤون الدينية، ورثاء الأهل، غير أنه حافظ على بحور الشعر، مع القوافي الذلل، وله قصيدة حول القرآن الكريم، يقول فيها:

نزولُ كتاب الله في سبع أحرفٍ
تعدّد لفظًا لاعتداد معانِ
فإما لغاتٌ من قبائل سبعةٍ
فصاحتُها امتازت بحُسنِ بيانِ
قريشٌ هذيلٌ ثم طيٌّ هوازنٌ
ثقيفٌ تميمٌ ثم أهلُ بيانِ
وإما قراءاتٌ بأنواع لهجةٍ
تُسبَّعها القُرّاء بالإتقانِ

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٨: ٢٠٧.

وإمـــا يـــراد بـسـبـعـةٍ تـنـويـعُـهـا
بـــأنـــواع أحـكـــام مـــن الـــقـــرآنِ
حـــلالٌ حـــرامٌ مـحـكـمٌ مـتـشـابـهٌ
فـزجـرٌ وأمـــرٌ والمـثـــال بـشـانِ

- شعر الشاعر محمد طيب مقصور على الدين، أو ما يقربه، والرثاء، ولكنه في هذا الأمر لديه قدرة على النظم العربي، استخدم بحور الخليل، وقوافي ذلل، ولديه الألفاظ التي تيسر له تصوير المعنى، مع الاحتفاظ بالتناسق بين اللفظ والمعنى، والخيال قليل، لأنه مرتبط بالدين، ولا ينظم إلا في ذلك الاتجاه، وهو لا شك شاعر يعرف بحور الشعر العربي، نظمه جيد، ومتناسق، وأفكاره جيدة، وحفظه للقرآن ساعده على النظم المتيسر.

****

محمد طيب المكي

٠٠٠ - ١٣٣٤ هـ / ٠٠٠٠ - ١٩١٥ م

- هو محمد طيب بن محمد صالح الكاتب المكي الهندي[1].
- ولد في مكة المكرمة وتوفي في مدينة رامبور (الهند) عام ١٣٣٤ هـ.

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٨: ٤٣٥. مؤسسة عبدالعزيز البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج١٨: ٢٠٦.

- درس عند والده، وعلى أيدي غيره، ثم قدم الهند في ريعان شبابه، فدرس عند الشيخ إرشاد حسين العمري الرامبوري، وأخذ العلوم الحكمية من الشيخ عبدالحق بن فضل حق الخير آبادي، وأخذ الحديث من الشيخ حسين ابن محسن الأنصاري، وبعدها تولى التدريس في المدرسة العالية برامبور، وعمل فترة في دار العلوم ندوة العلماء.
- كان حافظًا لعلوم كثيرة، ومنها تاريخ العرب، وأنسابهم وأشعارهم وكان ذكيًا حاضر الذهن، وله عدة مؤلفات منها:
  - **رياض الأدب.**
  - **النفحة الأجملية في الصلات الفعلية.**
  - **الملاطفة في الرد على المولوي أحمد رضا.**
  - **الانتقاد على العلامة محمد الشنقيطي.**
  - **القبسة في الفنون الخمسة، المعاني والبيان والبديع والعروض والقوافي.**
  - **المكالمة في اللغة الدارجة.**
  - **الأحاجي الحامدية.**
  - **ما جرى من الفصول.**
  - **الحسن والأحسن.**
  - **القراءة خلف الإمام.**
  - **شرح لامية العرب والرد على الشنقيطي.**
  - **رسائل علم الغيب.**
- كانت للشيخ محمد طيب مراسلات مع أصدقائه، وخاصة الشعراء منهم، وله قصائد وأشعار باللغة العربية يرسلها إلى الشعراء، ومنها ما كتبه إلى الشيخ محمد بن الحسين اليماني، يقول فيها:

ماسُ الجبين وتلكمْ جزعة الحدَقِ
أبهى من الورد لولا لؤلؤ العرقِ
ومزنةُ الريقِ في برقٍ سحائبه
من العقيقِ يحاكي العِقدَ في نسقِ
والسّحرُ مقلتُها والشعرُ ريقتُها
والسيمياءُ لجفْنٍ دقَّ عن خلقِ
وفضَّةُ الكفّ فيها القوس من ذهبٍ
كالشمسِ فيها هلالٌ صيغَ عن شفقِ
جاءت إليَّ وعيني قطُّ ما نظرتْ
شخصًا سواها ولم ترحل عن الأرقِ
في روضةٍ وقفتْ أغصانُها عجبًا
من ميلها واجتماع الصبح والغسقِ
فالقدُّ يرقص بين البانِ من فرحٍ
والفرع يلثم خدَّ الروضِ من شبقِ
بتنا وللراح حكمٌ في جوانحنا
وللعناقِ أيادٍ طلْنَ عن حدقِ
لمستُ ياقوت حُقّ العاج من غُصُنٍ
وقلتُ للصدر داوِ الصدر من حُرَقِ
وبتُّ أشكرُ صنع الدهرِ منبسطًا
كما فرحتُ بمكتوبٍ من الرشقِ
كتبتُ يا شمس بل والشمسُ دونكم
وإن وضعتك فوق الرأس من شفقِ
آمنتُ أنكَ قطبُ الشعرِ بل قمرٌ
لكل علْمٍ ومحيي الفضل من رَمَقِ
فلِمْ بعثْتَ بأبياتٍ ومعجزةٍ
وجيش فهمي لكم منقادُ بالخلقِ
أنا المدُّ لأن الاسمَ اسمُكُمُ
فالفضل منكم ومن علياكُمُ سبقي
وما أتيتُ بهذا الشعر ممتدحًا
بل جئتُ ممتثلًا بالطوعِ متّسقِ
فكيفُ أمدح من جلّت مدائحه
عن البديع وعن شعري وعن لبقي

• فأجابه الشيخ محمد بن الحسين بقصيدة مطلعها:

فيروزج الحسن أم ذا فيلق الفلقِ
أم بدر تمَّ يحاكي طلعة الأفقِ
أم تلكَ شمس بدت في الناس ظاهرة
فأشرقت ببهاها ظلمة الأفقِ
أتلك غانيةٌ أمست مداعبة
فقد جلت لبناها حندس الغسقِ

• وهي قصيدة طويلة، وفيها صورًا بلاغية وفنية كثيرة، غير أن شاعرنا رد عليه بقصيدة بالروي نفسه والبحر العروضي كذلك، يقول فيها:

تقنّعتْ بدمي شمسٌ بلا شفَقِ
فهل لشمس الضحى يا صاحِ من شَفَقِ
فتّانةٌ كلما تفترّ عن بَرَدٍ
تبسّم العشقُ عن نارٍ وعن أرقِ

وكلما كتبت أقلام بانتها
سحرًا يحدّثُ حرف العين بالرشقِ
وعندما حجلت أزهارُ وجنتها
جاءت وقاحةُ موج الردفِ بالشنقِ
بها لبستُ ثيابَ الوجد مذ لبستْ
ثلجًا بجسمٍ لقد هنّته بالحُرَقِ
فكلما طفلُ عيني شدَّ مئزره
جسمي استحال وعظمي صار كالعلقِ
وما استُبيح دمي إلا بمبسمها
ففيه للدر أكنانٌ وللوُرقِ
وفيه برقٌ ولكن لاح من شفقٍ
وفيه شبهُ مقال الفاضل الحَذقِ
محمد بن حسين من محاسنه
كالجوهر الفرد أو كالقطر في نسقِ
ماذا أقولُ وباعي في أناملِه
يغوص دهرًا فظنَّ البحرَ في الأفقِ
العلمُ فيه انتهى والفضل دانَ له
وحلْقة الصبح محفوظٌ من الغسقِ

• هذه المراسلات الشعرية التي تثري الصداقة، وتظهرُ الود والبشرى بين الأصدقاء، والشيخ محمد طيب لديه قدرة كبيرة على عمل القصائد الطويلة، ولديه الخيال الواسع في صنع الصور البلاغية العجيبة، فقد استعمل خياله وفنه لينظم أبياتًا فيها من الجمال ما هو واضح في شعره، فخياله كان طاغيًا ومناسبًا لأفكاره.

• حفظ الشاعر كثيرًا من قصائد الشعر العربي، وهو يتمتع بالموهبة الكبيرة التي وهبها الله له، فاستخدم بحور الشعر العربي، وانتقى له أفضل الألفاظ المعبرة عن الفكرة التي يطرحها، وكان اختيار اللفظ يتفق مع المعاني التي ينظم بها، وكان هنا التناسق بين الفكرة واللفظ تحت سيطرة تلك الموهبة الفذة.

• لقد أبدع الشاعر في استخدام أدوات البناء الفني للقصيدة، قافية ذلل، وبحر عميق التقبل للأفكار، وأنتج صورًا فنية غريبة، وتكلمت الجمادات، ونطقت المعاني، وعزفت الموسيقا ألحانًا من الجمال الفني، فاستمتع القارئ بهذه الأبيات الجميلة، وهذه التصورات الرائقة، فهذا هو الشعر العذب، والنسق الفني العظيم.

****

محمد عابد السندي

٠٠٠ - ١٢٥٧ هـ / ٠٠٠٠ - ١٨٤١ م

• هو الفقيه الشيخ محمد عابد بن أحمد علي بن محمد مراد ابن يعقوب الحافظ بن محمود الأنصاري الخزرجي[1]، ولد

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر/ ج ٧: ٤٥٧. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج١٨: ٢٠٨.

ببلدة سيون، حيدرآباد السند، (باكستان حاليًا)، حوالي أواخر القرن الثاني عشر، تعلم محمد عابد على يد عمه محمد حسين، ثم تلقى العلم على أيدي علماء اليمن والحجاز، بعد نزوح الأسرة إلى بلاد العرب، وكانت له صلات بإمام اليمن، وهو الذي نقل هدية إلى حاكم مصر محمد علي باشا.

- ألف الشيخ محمد عابد عدة مؤلفات منها:
  - المواهب اللطيفة على مسند الإمام أبي حنيفة.
  - طوالع الأنوار على الدر المختار.
  - شرح تيسير الوصول لابن الديبع.
  - حصر الشارد في أسانيد محمد عابد.
  - شرح على كتاب بلوغ المرام لابن حجر.
  - مع رسائل أخرى مختلفة.

- وكان الشيخ ينظم الشعر العربي، وله مقطعات وقصائد منها تخميس قصيدة لأحد أئمة اليمن يقول فيها:

يا من يحلّ وثاق أرباب الهوى
أشجى فؤادي ما لقيت من الجوى
وحشاشةٌ ذابت وصبري قد هوى
وحمامةٌ غنت على فَنَنِ اللوى
فغدا يسيلُ دمي من الآماقِ
يا ما أحيلاه بعود زمرّدِ
باتت تجسّ عليه كلّ ملذّذِ
وتميس عجبًا فوقه بتلذّذِ
تشدو وقد خلصت من القفص الذي
قد قيّدت فيه عن الإطلاقِ
فشفَتْ بهاتيك اللحون عليلَها
ورَثَتْ بمهجة مبتلىً يرثي لها
مذ رجّعت في مسمعي تعليلها
ناديتُها لما سمعتُ هديلها
يا ذات طوقٍ نحن في الأطواقِ
قالت تسلّيني كلامًا في الحلي
فاصبرْ لتنظر لطف مولاك العلي
فأجبتها والجفنُ من دمعي ملي
لي منك ما بك يا حمامةُ فاسألي
مَن حلَّ قيدكِ أن يحلَّ وثاقي

- تخميسة موفقة لشاعر متمكن من أدوات النظم العربي، أشبع أبياته جمالًا ولطفًا وجزالة، استخدم بحرًا عروضيًا، وقوافي معظمها ذلل، وصنع قصيدة مخمسة، تتناسب مع الأصل، وتخرج ما نفس الشاعر من عاطفة، وتنظيم جميل في استخدامه لخياله الفني البلاغي في صور تصورها، وإبداع صنعه في هذه القصيدة.

- مما لا شك فيه أن الشاعر يمتلك قدرة كبيرة في استخدام اللفظ المناسب للفكرة التي كتب بها، فجاءت

أبياته متناسقة مع أفكاره وبينها سبك جيد، وبساطة في شكلها لا غموض فيها، ولا معاضلة لفظية، وبدت القصيدة جميلة العبارات، مريحة للقارئ، في شكلها وفهمها وإدراك ما وراءها من أفكار.

- حرمنا المصدر من قطع أخرى للشاعر محمد عابد، الذي أبدع في تصوره، وأخرج قصيدة قوية السبك جميلة المظهر، ذات عمق فكري، وبساطة في الطرح، والشاعر له قدرة كبيرة على النظم، ولكن قطعة واحدة لا تكف، فلا شك أن له قصائد ومقطعات أخرى، ولكن المصدر لم ينقل إلا هذه القطعة التي تنم عن مقدرته في النظم، وتمكنه من اللغة العربية، والأدوات الفنية في إنشاء القصيد.

****

محمد عالم القلعداري

١٢٩٤ - ١٣٧٤ هـ / ١٨٧٧ - ١٩٥٥ م

- ولد الشيخ محمد عالم القريشي بن فضل أحمد[1] في بلدة « قلعدار»، كجرات، سنة ١٢٩٤هـ، الموافق ١٨٧٧م، تعلم في بيت أهله، ثم تعلم من علماء بلدته، وغيرها، ودرس العربية والفارسية والأردو، ونظم الشعر العربي، على الرغم من ركاكة شعره، إلا أن له ديوان شعر، غير مطبوع، ومن قصيدة له يمدح بها الأستاذ محمد جمال الله، رئيس المدرسين بالمدرسة الثانوية بمدينة» كجرانوالا»، يقول فيها:

أبـاريـحَ الـصَّـبـا بـلـغْ سلامـي
إلـى مـخـدومِـنـا مـولـى الأنـامِ
جـمـال الـلـه لـه اسـم شـريـف
عـلا فـي فـضـلـه أعـلـى المـقـامِ
عـلـى سـيـمـائـه نـور مـبـيـر
كـبـدر لاح مـن تـحـت الـغـمـامِ
غـصـيـحٌ نـاطـقٌ صـدقًـا وعـدلا
فـنـثـر بـالـلآلـي فـي الـكـلامِ
خـلـيـقٌ مـحـسـنٌ حـبـرٌ أديـبٌ
وبـالإخـلاص لـلإسـلام حـامِ
شـريـف صـالـحٌ بـر جـواد
وفـيـاض الخـواص مـع الـعـوامِ
رزيـنٌ كـيّـسٌ لـبـقٌ أمـيـنٌ
خـضـم مـصـقـع كـهـف الأنـامِ

- شاعر ناظم للكلمات العربية، اختار الوزن، واختار القافية، ولم يأت بجديد، بكلماته البسيطة الساذجة، ولكنه عبر عن شعوره تجاه رئيسه في العمل، لم يدخل الفن الشعري

(١) حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان ص ٣٠٩.

إلى أبياته، لذا لا توجد صور فنية بلاغية، ولكن في أبياته بعض السجع، والتشبيه، وكان صادقًا في وصفه للممدوح، ولم ينقل لنا المصدر قطعة أخرى من شعره.

****

محمد عبدالعزيز الكالكوتي

٩٨٠ - ١٠٢٥ هـ / ١٥٧٧ - ١٦١٦ م

- هو القاضي محمد بن القاضي عبدالعزيز بن القاضي أبي بكر بن رمضان[1]، ولد في كاليكوت سنة ٩٨٠هـ، الموافق ١٥٧٧م، درس على يد أبيه المبادئ الإسلامية، ثم علي يد الشيخ عثمان لبا، والشيخ عبدالعزيز المعبري، حتى أصبح عالمًا فقيهًا، فعمل قاضيًا بعد أخيه في كاليكوت، واستمر في منصبه حتى وفاته سنة ١٠٢٥هـ، الموافق ١٦١٦م.

- للشاعر محمد أرجوزة تبلغ خمسمئة وثمانية وثلاثين بيتًا من شعر الرجز، باسم: الفتح المبين للسامري الذي يحث المسلمين. حول واقعة الحرب التي جرت بين البرتغاليين والهنود في سواحل كيرلا. يقول فيها:

الحمدُ لله القوي القادرْ
المالك المعني العلي القادرْ
القاصمُ الملوكَ والجبابرةْ
وكاسر القيول والأكاسرةْ

- ويتحدث عن الملك السامري، فيقول:

وهو محب ديننا الإسلام
والمسلمين بين ذي الأنام
والمسلمون كلهم رعيه
وإن يكن في أي أرض بلدته
ولا يقوم في يمينه أحد
في العيد إلا مسلم إلى الأبد
فالسامري أرسل هذا الخبرا
إلى السلاطين مرارًا تترى
شكاية للطلب العمارة
ليستريح الخلق في الحماية
ومن ملوك مصر جاء أولا
أميره الحسين مع جيش ملا
وملك الروم سلمان باشا
أتى بعده سليمان باشا
ومعهم المخدوم ذو الاتقانِ
عبدالعزيز المعبري الفنانِ
وهكذا قاضي قضاة المسلمين
عبدالعزيز الكالكوتي كالمعين
ومنهم مقدم الشجعان
كنج علي المشهور في البلدان

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، ٤: ٢٦٩. ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ٧٨.

وقد جرت عجائبٌ في ساعة
وكانت الساعة مثل الساعة
وبالبخار والدخان العالي
قد أصبح النهار كالليالي
وكالرعود صوت كل المدفع
ولمعان السيف مثل اللمع
كذا رماحهم مع النشاب
يتابع الأعداء مثل الشهاب
وحجر المدفع والسهام
كمطر يمكره الغمام

• وهكذا يستمر الشاعر في وصف تلك المعركة، التي انتهت بإنهاء احتلال البرتغاليين لبعض سواحل الهند. وهكذا هذا الشاعر يتفاعل مع الأحداث ويسجلها شعرًا، ويذيعها بين الناس، ومن ذلك أيضًا رثاؤه للشيخ عثمان لبي القايلي، يقول:

أيا من إليه المشكلات تَحطُّ
ومن نحوه الطلاب رحلهم حطُّوا
سلام عليكم نور الله قبركم
سلام خديم حال بينكمُ سط
فما طابَ عيشي منذُ غبتم ولا هَنَا
ولا زاد لي علمٌ وفضلٌ ولا خطُّ
وصارت رياضُ القلب بعدك يابسًا
كما صارت الغبرا إذا وقع القحطُ
ولم تلد الأيام بعدك سيدي
من الولد إلا وأكثرهم سقطُ
فواللهِ لم أحنثْ إذا كنت حالفًا
بأني لم أبصر لكم مثلًا قطُّ
أرى كل من دوني يساقون للعلى
وعبدكم المسكين لازال ينحطُّ
ولو أن طيرًا حلّ في جنب بابكم
يكن ببغا حقًا وإن هي بَطُّ

• لقد أعلى الشاعر مكانة ذلك العالم الذي رحل عن دنيانا، ويرى أن العلم مجموع عند هذا العالم، فلا مثيل له في علمه وكرمه وفضله، والشاعر كان أحد تلاميذه، ولكنه أظهر الوفاء له بعد وفاته.

• يتفاعل الشاعر مع المحيط الاجتماعي الذي يعيشه، ويرى طغيان الأمور المادية على ما سواها من الروحانيات، والعمل المخلص لله، وخاصة الشباب، لذا نظم أرجوزة يحث الناس فيها على العمل للدار الأخرى، يقول فيها:

إلى كم أيها الإنسانْ
على التسويف والنسيانْ
وتزهو العفو والغفرانْ
وتعصي ربك الرحمنْ
ولا تغتر عن الدنيا
لما فيها من العليا
وما الدنيا سوى الرؤيا
إذا فكرتَ يا إنسانْ
وفي لذاتها مرّ
وفي خيراتها شرّ

وفـــي جـــذوتـــهـــا ضـــرُّ
وفـــي مـربـحـهـا الخـســرانْ
فـمـا لـلـقـلـب لا يـخـشـعْ
ومـــا لـلـعـيـن لا تـدمـعْ
ومـــا لـلـنـفـس لا تجـزعْ
بمـــوت الخـلـق والإخـــوانْ
فـيـبـكـي خـلـفـك الإخـــوان
وتـنـدب فـوقـك الـنـسـوان
وكـــان لـك الـــورى قـسـمـان
فـفـرحـان وذو أحـــزان
ونـــادت ألـسـن الـقـدرهْ
ألا يـا صـاحـب الـفـكـرهْ
أمـــا يـكـفـيـك ذا عـبـرهْ
ومـا قـد جـاء فـي الـقـرآنْ
ومـنـهـا قـد خـلـقـنـاكـمْ
وفـيـهـا الآن نُـدخـلـكُـمْ
ومـنـهـا ســوف نـخـرجـكـم
إلـى الـعَـرَصَـات والمـيـزانْ

• يتميز الشاعر بقدرته السريعة على النظم وشعره يتفق مع الفكرة السريعة للنظم، وقد استخدم الألفاظ المناسبة وقد برع الشاعر في شحذ خياله، وتضمن شعره بعض الصور الفنية.

• تراكيب الجمل سليمة، وميسورة الفهم، وقوية المعنى، مع ألفاظ مناسبة، وأسلوب في متناول فهم القراء، أو السامعين، وله أيضًا قصائد تدور حول مهنته كقاضٍ، فالزواج له قصيدة، وما يتبع ذلك من شروط ومضامينه، وله قدرة على النظم في هذا المجال.

****

محمد عرفان الطوكي

١٢٦٥ - ١٣٣٢ هـ / ١٨٤٨ - ١٩١٣ م

• هو السيد محمد عرفان بن يوسف بن يعقوب بن إبراهيم ابن عرفان الحسني الراي بريلوي[1]، ولد في بلدة تونك سنة ١٢٦٥هـ، الموافق ١٨٤٨م، درس الكتب الإبتدائية عند الشيخ عبدالغفور، والشيخ عبدالملك، والقاضي إمام الدين، ثم سافر إلى ديوبند وتعلم على يد الشيخ محمود الحسن الديوبندي، ومولانا يعقوب بن مملوك، ثم ذهب إلى بهوبال وقرأ بقية الكتب عند القاضي حسين بن محسن الأنصاري، ثم سافر إلى دلهي ليأخذ الحديث من السيد نذير حسين الدهلوي.

• بعد أن حصل على إجازة الحديث ذهب إلى سهارنفور لدراسة الأدب عند الشيخ فيض الحسن السهارنفوري،

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨: ٤٣٩. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٨: ٤٤١. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١٤٩.

وكان شاعرنا جامعًا للأخلاق، وكلامه قليل، وقراءته للقرآن مبدعة، وكان يكثر العبادة، وكان يجمع بين العلم والعمل، وكان سلوكه من الأحاديث الصحيحة، ولا يقلد أحدًا، وله قصائد ومقطعات، وفي شعره سهولة ويسر، ولا يبالغ في مدح أحد، ولا يتجاوز عن الواقع،

- ومن شعره ما كتبه إلى القاضي زين العابدين اليماني.

- نظم قصيدة يعاتب بها القاضي زين العابدين اليماني، يقول فيها:

ما لي أراك نسيتَني وتركْتَني
من بعد حُبٍّ خلْتُهُ مستحكِما
وعيادةٍ مسنونة وزيارةٍ
منكم أُخَيَّ تلطّفًا وترحّمًا
أظننتَ أني قد برئتُ فصدَّكُم
وزعمتَ شيئًا لم يكن أن يزعما
يا صاح إن اشتدّ دائي بعدكم
يومًا فبتُّ توجعًا وتألما
وشربت يومًا مسهلًا لي ثالثًا
قد كان أمر الله أمرًا مبرمًا
وقعدت ضعفًا بعده ونقاهة
قد صد أن أمشي وأن أتعلما
ما كان ضرك لو أتيت فزرتَني
وجلستَ عندي ساعة متكلّما

- هذه العلاقة بين الأصدقاء، عندما تحدث جفوة وزعل، لا بد من المراسلة والعتاب، والعفو والمصالحة. وله قصيدة إلى النواب إبراهيم علي خان يقول فيها:

أعطيتني علمًا نفيسًا نافعًا
طوبى لمن يُدعي بذلك عالما
علمٌ يفرّق بين حقّ ثابتٍ
والباطل الموضوع فرقًا ناعما
علمٌ به علم الحديث وأهله
في عصمةٍ أكرِمْ بذلك عاصما
لولاه ما امتاز الظلام من الضيا
ولصار أصل الدين خَرَّ دعائما
أعطيتَ ما لا أستطيع ثناءه
فحباك ربي كل خير دائما
بُلّغتَ كلّ مناك تَتّبع الهدى
ترضي إلهك والرسول مداوما
لا زلت فينا سيّدًا ومسوّدًا
زين الرئاسة والإمارة حاكما
ووقيتَ ريب الدهر تفرح دائمًا
وبقيت في حفظ المهيمن سالما
وحَيِيت تعلو فوق كل عزيمة
ووَجِدتَ تبني في الأنام مكارما
ودعاء خير للأمير خليلنا
حق قعودًا بالدوام وقائما

قد نلت من هذا ومن آبائه
نعمًا وأرجو منه بعد مراهما

• مديح متوسط، لم يعط الممدوح فوق طاقته، ولا علا به فوق البشر، بل كان متزنًا في مديحه، وحافظًا لكرامته فلم يتذلل، ولم يتملق الأمير الممدوح، ومن القصيدة ما يحث على العدل والإحسان:

بقيتَ بعزٍّ واقتدارٍ وإمرةٍ
يصاحبها الإقبال والنصر دائمًا
بقيتَ بروح للأنام وراحةٍ
ولا زلت في نعماءِ ربك سالما
نراك تُقوّي الدين من بعد ضعفه
فأصبح مخدومًا وأصبحتَ خادما
تقدّم حكم الشرع ما اسطعتَ دائمًا
تعظّمه قلبًا وتكرم عالما
نظنك شمس الدين والخير إننا
رأيناك مما جانب الشرق قادما
فينصرك الرحمن نصرًا مؤزرًا
فكنت بأعباء الوزارة قائما
تُدَبِّر تدبيرًا تسوس سياسة
وتَعْمر ما قد خرّبوه فطالما
فأدرِكْ عباد الله مَنْ قد وجدتم
أضرَّ بهم من كان من قبلُ حاكما
فكن أنت جبارًا لكسرٍ أصابهم
قديمًا وأيضًا للجروح مراهما
وتأخذ للمظلوم من كل ظالمٍ
وتنصر مظلومًا وجدت وظالما
وكنت لأهل البغي حربًا محاربًا
وكنت لأهل الرشد سلْمًا مسالما
تقوّي ضعيفًا قد أتاك بضعفه
وتضعف من كان للخلق هاضما
وصدّقْ ظنون الناس فيك جميعهم
فإنهمُ يرجون منك مراجما

• هذا طلب الناس من الحاكم العادل، فهم يريدون العدل والمساواة، وينصرون الحاكم العادل ضد من يعاديه، وشاعرنا يتلمس مشاعر الناس، ويدرك مدى أهمية إقامة العدل بين الناس.

• وللشاعر قصيدة رثاء في ابن عم له السيد محمود مهدي، يقول فيها:

جلّ المصابُ وعَمَّ خَطْبٌ فادحٌ
حزن القلوب وفاضت العينانِ
إنّا رُزئنا خير إخوانٍ لنا
من آلِ عثمانَ ومن عرفانِ
إنّا رزئنا من يعزُّ نظيرُهُ
فينا ومن هو نخبة الإخوانِ
قد كان محمودًا ومهديًا ومن
آل النبي خلاصة الإنسانِ

قد كان ذا رفقٍ بنا وطبيبنا
عضد العشيرة عمدة الجيرانِ
قد كان ذا خلقٍ يمازح دائمًا
طلق المحيّا ضاحك الأسنانِ
فليبكه المرضى الذين أتوا
ذهبوا به معهم بكل أرانِ
لقد كان يخدم من يداويه خدمةً
بيديه والرجلَيْنِ ثم لسانِ
ولربما أعطى الدواء من عنده
لله محتسبًا ليومٍ ثانِ

• هذا شاعر متمكن من النظم في جميع المراحل والحقول، فمن الناحية الاجتماعية والسياسية والتربوية، ونراه يقف أمام الآية الكريمة: «إنه كان وعده مأتيا» فينظم قصيدة تربوية، يقول فيها:

يا خليليْ لا تيأسَنْ وترجّى
وإن أجْرمتَ بكرةً وعشيّا
وتناهيتَ في فجور وفسقٍ
وضلالٍ وتكبّرًا وعتيّا
وتنحّيت وانصرفت علوًّا
إذ هوى الناس سُجّدًا وبكيّا
رحمةَ الله وارجُ منه نجاةً
يمحُ ما جئتَ ذاكرًا ونسيّا
وتجدْ ربنا حَفَا بك حفوًا
إنه كان بالعباد حفيّا
وعدَ الله ربنا الذي تا
بَ ثوابًا يوم الجزاء وفيّا
فتيقّنْ لوعد ربك وافرحْ
إنه كان وعده مأتيّا

• لا شك في قدرة الشاعر على الإتيان بالبديع والسهل والميل، فهو يستطيع النظم في جميع بحور الشعر، واستخدام قواف متعددة، وأساليب مختلفة للنظم، كيف يعزي صديقًا له في فقد الشيخ محمد بن الحسين لابنه، يقول:

إنَّ العزيز أعزه الرحمنُ
فمقامه فيما نظن جنانُ
فرطا لكم عند الإله الباري
أمحمد بن الحسين الأنصاري
حمدًا وشكرًا في قضاء اللهِ
مافيه مزدجر لقلبٍ لاهِ
إن كان فارقكم لأمرٍ مُنْزَلِ
فهو السبيل وليس فيه بأولِ

• تمكن الشاعر من النظم العربي بجميع موضوعاته يجعله من أوائل الشعراء الهنود، نظمًا وفهما لأدوات النظم، وحسن اختيار للفظ والمعنى، فهو يقرض الشعر بسهولة ويسر، ويستخدم بحور الشعر العربي، ويختار قوافي مختلفة من الذلل والحوش، ولخياله دور في صناعة أبياته الشعرية، فأخرج لنا مجموعة من الصور الفنية

البلاغية، وكان خصب التفكير قوي العبارة ذا سبك للجمل والتراكيب الفنية، يستطيع أن ينظم في البحور القصيرة والطويلة.

- يمتلك الشاعر محمد عرفان قدرة عالية فنية في اختيار الموضوع، أو فرض عليه الموضوع، كحالة وفاة، أو مناسبة أخرى، فقدرته غير محدودة، فهو شاعر اجتماعي، نظم في العتاب والرثاء، والنصيحة والتربية، وكان عونًا للفقير، وناصحًا للتاجر، وموجهًا للحاكم، لم يقف عاجزًا أمام حدث في المجتمع، أو أن تمر مناسبة دون أن يخط قلمه أبياتًا من الشعر يعبر بها عن موقفه من الحدث.

****

محمد علي الأصفهاني

١١٠٣ - ١١٨٠ هـ / ١٦٩١ - ١٧٦٦ م

- هو الشيخ محمد علي بن أبي طالب بن عبدالله بن عطاء الله الأصفهاني[1]، ولد في أصفهان سنة ١١٠٣هـ، الموافق ١٦٩١م، تعلم من والده دروسه الأولى، ثم قرأ العلم على أيدي الشيخ كمال الدين حسن الفسائي، والشيخ عناية الله الكيلاني والسيد حسن الطالقاني والشيخ محمد طاهر بن أبي الحسن القائني، ثم سافر إلى شيراز ودرس عند الشيخ المعمر شاه محمد الشيرازي والشيخ محمد مسيح بن إسماعيل الفسائي، وغيرهم.

- سافر إلى الحجاز، ثم رجع إلى كرمان ولار، وبعدها دخل الهند في بهكر، ومنها إلى ملتان، ثم لاهور، وبعد ذلك ذهب إلى دلهي، فلما علم بقدوم نادر شاه إلى الهند اختفى عند علي قلي خان الداغستاني، خوفًا من نادر شاه، حتى رجع نادر شاه إلى بلاده، فذهب شاعرنا إلى لاهور فأراد زكريا بن عند القادر صاحب لاهور، أن يؤديه فحماه حسن قلي خان الكاشي، فذهب إلى دلهي، وأعطاه سراج الدين علي خان الأكبر آبادي إيرادات كثيرة.

- ينقل الشاعر محمد علي في مدن متعددة من بلاد الهند، حتى حط رحاله في مدينة بنارس، وأقام بها ولم يخرج منها، واشتغل بالشعر والدراسات، وكان ينظم شعرًا باللغة الفارسية، وقيل أنه نظم أكثر من عشرين ألف بيت من الشعر الفارسي، وله أيضًا قصائد ومقطوعات باللغة العربية.

- ومن شعره العربي قوله:

وليس عنك سواد العين منصرفًا
مهما تشاهد بالتدعيج والكحلِ
اسمع كلامي ودع لامية سلفت
الشمسُ طالعة تغنيك عن زحلِ

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٦: ٣٣٣.

فمن أنين حمام الأيك في طربٍ

قد اقتدى زفيري واقتفى رتلي

مني الأنين ومنكم ما يليق بكم

بذلتُ جهدي لكم لا بدَّ من بدلِ

- كلمات رائعة عبر بها الشاعر عن مشاعره، وآهاته لمن يحب، ولكن المحب منصرف عنه، ويلتمس من الماضي ما يركن إليه، فهذا عتاب ومحبة، وللشاعر أيضًا قطعة أخرى يقول فيها:

فوالذي حجت الزوراء كعنته

وكم هنالك من داعٍ ومبتهلِ

جرى مجاري دمعي حبّ حضرته

وأشرق الشوق في صدري بلا طفلِ

ليس اصطباري بعد الدارِ عن سكن

بل من نحولي يا غوثي ومن فشلي

وكم دعوتك يا كهفي ومعتمدي

مستنصرًا بالنصر على عجلِ

- هذا شاعر مفلق، ومتمكن من أدوات النظم العربي، بحر من البحور الخليلية، وقافية من الذلل، واختار من الألفاظ ما يؤدي المعنى بكل انسيابية، دون معاضلة، أو غموض في الشعر، وطريقة بناء الأبيات لا لبس فيها، ولكنها تحتاج لدراسة وتقييم.

- استعمل الشاعر خياله في صنع صور فنية بلاغية، وأجاد بها، وجعل الطبيعة تحاكيه وجعل المعنويات كالواقع الملموس، فهو شاعر قوي السبك، حلو الجمل والعبارات، متناسق بين اللفظ والمعنى، ومعبرًا عن ذاته، وشوقه لمن يحب، واستطاع الشاعر أن يقفز بفنه إلى مرتبة الجودة العالية، والقدرة الكبيرة على النظم العربي، وقد أحسن في الجرس الموسيقي الداخلي والخارجي.

****

محمد علي الحشري

٠٠٠ - ١٠٩٥ هـ / ٠٠٠ - ١٦٨٣ م

- هو الشيخ محمد بن علي بن محمود بن يوسف بن محمد ابن إبراهيم العاملي الحشري[1]، ولد في لبنان، ودرس علومه فيها، ونبغ في قرض الشعر، وأتقن اللغة العربية وفنونها، وعكف على المطالعة والدراسة حتى أصبح من المعدودين في علو الثقافة والعلم، ثم ذهب إلى الهند

(١) علي صدر الدين المدني، سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ص ٣٢٣. محمد المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، ج ٤: ٦٥. عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٥: ٣٥٤.

وحظي باستقبال كبير من سلاطينها، واشتهر بين الناس لعلمه وأدبه.

- بعد شهرته الواسعة استدعاه أعظم وزراء السلطان، ثم استخلصه السيد نظام الدين أحمد، وأصبح من ندمائه وخاصته، بعدها قصد الحج وذهب إلى مكة ومكث سنتين في الحجاز، ثم عاد إلى الهند، وبعد عودته أمر نظام الدين أحمد أولاده للاستفادة منه، فقرأ عليهم الفقه والنحو والبيان، والحساب، وكذلك في فنون الأدب والشعر، حتى تبدلت الحال وحسده الحاسدون وفارق تلك البلاد إلى مناطق أخرى منها، حتى توفي حوالي، سنة ١٠٩٥هـ، الموافق ١٦٨٣م.

- لشاعرنا قصائد كثيرة، وله قدرة على النظم في كل البحور ومع جميع القوافي، فمن قوله:

باجتلاء المدامِ في الأقداحِ
وبمرآة وجهك الوضّاحِ
لا تذرني على مرارةِ عيشي
أكل واشٍ ولا فريسة لاح
صاحِ كِلْنِي إلى المُدامِ ودعني
والليالي تجول جولَ القداحِ
لا تخفْ جور حادثات الليالي
نحن في ذمة الظّبَى والرماحِ
طوى أيدي الخطوبُ رهن المنايا
تتخطى بها إلى صفاحِ
قلّدتني المشيبِ على عذاري
لجامًا كفّ رأسي عن جماحي
صاحِ إنَّ الزمان أقصرُ عمرًا
من بكاءٍ بدمنة ونواحِ
رقّ عنا ملاحف الجوّ فاسمح
برقيق من طبعك المرتاحِ
يا مليكَ الملاحِ إنَّ زمانًا
أنت فيه زمانُ روحٍ وراحِ
طابَ وقت المدامِ فاشرب عساه
يا صباحي يطيب وقت الصباحِ
واسقنيها سقيت في فلق الفجـ
ـرِ على نغمة الطيور الفصاحِ

- شاعر غزل، وقدرة كبيرة على الخيال، وصنع الأبيات الفنية البلاغية، فمن قصيدة نظمها يقول فيها:

ما أنس لا أنسى خيالًا سرى
يسترشدُ الشوقَ إلى مضجعي
حسبتُ بدر التِّمّ قد زارني
فبتُّ لا أقفو سوى المطلعِ
أسألُ عنهُ الشوقَ لو يرعوي
وأنشدُ البينَ به لو يعي
أليتُ والدار لها حرمةٌ
لا أسألُ الدارَ وصبري معي
كان دمي حجرًا على حاجزٍ
فلم أباحتهُ مهى الأجرعِ

عـــلالـــة كـــان وقـــوفـــي بـهـا
أبـغـي شـفـاءَ الـقـلـبِ مـن المـوجـعِ

• حيرتني تلك القصائد والمقطعات، فماذا أختار منها؟ ولا أستطيع أن أنقلها كلها، ولكن أنظر على هذه القطعة حيث يقول:

قف بـالمـنـازلِ حـيثُ أوقـفكَ الـهـوى
وكـل الـبـكـاءِ إلـى الـحِـمَـام العنيفِ
إنّـي غسلتُ مـن الـعـيـون أنـاملـي
ونـفـضـتُ مـن أثـرِ الـبـكـاءِ كفوفي
وقـفـتُ فـي الـوجـنـاءِ بـين طلولهم
لـولا مـكـان الـريـب طـال وقـوفـي
أرتـــادُ فـي عـرصـاتـهـا كـأنـنـي
طـيـفٌ ألـــمَّ بـنـاظـر مـطـروفِ
فصممتُ حـتـى لا يـجـبنَ مسائلي
وعـمـيـنَ حـتـى لا يـريـن عـكـوفي

• ما أجمل هذا الشعر، وهذا الخيال الرائع، وذلك السبك المتقن، وقصيدة أخرى طويلة، يقول فيها:

شـرّق فـي حـكـم الـنـوى أو غـرّب
مـا أنـتَ أولُ نـاشـبٍ فـي مـخـلـبِ
فـي كـل يـومٍ أنـتَ نـهـبَ مـحـاسـنٍ
أو ذاهـــبٌ فـي إثـرِ بـرقٍ خُـلّـب
مُـتـألـقٌ فـي الجـــوّ بـيـن مـشـرّقٍ
غـص الـفـضـاء بـه وبـيـن مُـغـرّبِ
يبكي ويضحك والـريـاضُ بواسمُ
ضحكَ المشيبُ على عذاري الأشيبِ
أزعـمـتَ أنّ الـــذلّ ضـربـة لازبِ
فـنـشـبتَ فـي مـخـلابِ بـاز أشـهـبِ
لعبت بلبط كيف شاء لها الهوى
مـقـلٌ مـتـى جـدَّ الـنـواظـر تـلـعـبِ
زعـمـت عُـثـيـمـةُ أنّ قـلـبـك قـد صبا
مـن لـي بـقـلـب مـثـل قـلـبـك قُـلّـبِ
قـد كـنـتُ آمـلُ أن تمـوتَ صبابتي
حـتـى نـظـرتُ إلـيـكِ يـا ابـنـة يـعـربِ
فطربتُ مـا لـم تـطـربـي ورغـبـتُ مـا
لـم تـرغـبـي وذهـبـتُ مـا لـم تـذهـبـي
ولـقـد دلـفـتُ إلـيـهـم فـي فـتـيـةٍ
ركبوا من الأخطارِ أصعبَ مركبِ
جعلوا العيونَ على القلوبِ طليعةً
ورمـوا الـقـفـارَ بـكـلِّ حـرفٍ دغـلـبِ
تـرمـي الـفـجـاجَ وقـلـبـهـا مـتـصـوّبٌ
فـي الـبـيـدِ إثـر الـبـارق المـتـصـوّبِ
هوجاء ما نفضت يدًا من سبسبٍ
إلّا وقـد غـمـسـت يـدًا فـي سـبـسـبِ
تـسـري وقـلـب الـبـرق يـخـفـق غـيـرةً
مـنـهـا وعـيـن الـشـمـس لـم تـتـنـقـبِ
تطفو وترسب في السرابِ كأنها
فـلـكٌ يـشـق غـبـاب بـحـرٍ زغـربِ

تفلي بنا في البيد ناصية الفلا
حتى دفعتُ إلى عقيلة ربربِ
وأتتك تخلط نفسها بلداتها
والحسنُ يظهرها ظهور الكوكبِ
كفريدة في غيهبٍ أو شادنٍ
في ربربٍ أو فارسٍ في موكبِ
تمشي فتعثر في فضول ردائها
بحياء بكرٍ لا بنشطة ثيّبِ

• أتحفنا المصدر بمجموعة من القصائد الرائعة، وكلها في الغزل، فنختار أي قصيدة نختار، ومعظمها قصائد راقية وجيدة السبك والمعنى الجميل، وكلما قرأت قصيدة وجدت أختها بالجمال نفسه، وفيها من الخيال ما يخلب اللب، فمن قصيدة له يقول فيها:

أرأيتَ ما صنعت يدُ التفريقِ
أسلمت من قتلت بسعي النوقِ
رحلَ الخليط وما قضيتُ حقوقهم
بمنى النفوس وما قضينَ حقوقي
علقوا بأذيال الرياحِ ووكّلوا
للبينِ كلّ معرّجٍ بفريقِ
وغدوتُ أصرفُ ناجذي على النوى
وأغصُّ من غيظِ الوشاةِ بريقي
هجروا وما صنع الشباب عوارضي
عجلان ما علق المشيبُ بزيقي
فكأنني والشيبُ أقربُ غاية
يوم الفراقِ كرعت من راووقي
لا راق بعدهم الخيالُ لناظري
إن حنَّ قلبي بعدهم ارحيقِ
لعبَ الفراقُ بنا فشرد من يدي
ريحانتي صديقتي وصديقي
لله لِيلتنا وقد علقت يدي
منه بعطف كالقناة رشيقِ
عاطيته حلب العصير وصدنا
عن وجه حاجتنا يد التعوقِ
ما كانَ أسرعُ ما دحته وإنما
دهش السقاة به عن الترويقِ
أيقظته والليلُ ينفضُ صبغه
والسكر يخلط شائقًا بمشوقِ
والنومُ يعبث بالجفونِ وكلما
رقَّ النسيمُ قست قلوب النوقِ
والبرق يعثر بالرجالِ وللصبا
وقفات مصغٍ للحديث رفيقِ
باتت تحرش والقنا متبرمٌ
بين الغصونِ وقدّه الممشوقِ
فأجابني والسكر يعجم صوته
والكأس تضحك للثنايا الروقِ
لولا الرقيبُ هرقتُ مضمضة الكرى
وغصصتُ صافية الدنانِ بريقي
ثم انثنيتُ وزلفه بيد الصبا
وشميمه في جيبي المشقوقِ

• يبدو أن الشاعر مغرم بالغواني، ويميل إلى الجمال ورقة العذراء، فمن قصيدة إلى أخرى، لا ينفك عن التغزل والتفنن في إخراج القصائد إخراجًا لغويًا جذابًا، وخياله شرّق وغرب في نسج أبياته وتراكيبه الجميلة، فمن قصيدة له، يقول فيها:

ما التصابي على من شاب من باسي
أما ترى جلوة الصهباء في الكاسِ
الناس بالناسِ والدنيا بأجمعها
في درة تعطفُ الساقي بالحاسي
يئستُ واليأس احدى الراحتين وكم
جلوتُ عني صدى الأطماع بالياس
في كلِّ غانيةٍ من أختها بدلٌ
إن لم تكن بنت راس فابنة الكراسي
أودعتُ عقلي إلى الساقي فبدده
في كسر جفنيه أو في ميلة الكاسِ
لا أوحش الله من غضبان أوحشني
ما كان إبطاء عن بري وإيناسِ
سلمت يوم النوى منه وأسلمني
إلى عدوين نمّام ووســـواسِ
ذكرته وهو لاه في محاسنه
عهود لا ذاكر عهدي ولا ناسي
وددتُ إذ بعته روحي بلا ثمنٍ
لو كنتُ أضرب أخماسًا لأسداسِ
يا ويحَ من أنتِ يا لمياء بغيته
ما كان أغناه عن فكرٍ ووسواسِ
قامن تغني بشعري وهي حالية
به ألا حبذا المكسو والكاسِ
تقولُ والسكر يطويها وينشرها
أي الشرابيْنِ أحلى في فم الكاسِ
يا حبذا أنتِ يا لمياء من سكنٍ
وحبذا ساكن البطحاء من ناسِ
ما إن ذكرتكِ إلّا طار في طربي
وطاب ريح الصبا من طيبِ الناسِ
ولا ذكرتُ الصبا إلّا وأذكرني
لياليًا أرضعتني درّة الكاسِ
وجيرة لعبت أيدي الزمان بهم
أنكرت من بعدهم نفسي وجلّاسي
أيام أختال في ثوبي بلهنية
ومِيعة من شباب ناعمٍ عاسِ
عارٌ من العارِ حال بالصبا كاسِ
كأني والصبا في برد أخماسِ
أنضيتُ فيه مطايا الجهلِ والباسِ
عريتُ منه وما عرّيتُ أفراسي
في صبية كنجوم الليلِ أكياسِ
كان أيامهم أيّام أعراسِ
أسمو إليهم سمو النوم للراسِ
أدبّ فيهم دبيب السكر في الحاسي
يا عاذلي أنت أولى بي فخذ بيدي
فأنتَ أوقعتني فيهم على الراسي
ويا حمام اللوى هلا بكيتَ معي
على زمانٍ تقضى أو على ناسِ

• فكرة ومعنى وخيال من شاعر غزل، تنتج أبياتًا جميلة المعنى بعيدة الخيال، قوية السبك والجمال، كيف ينظم الشاعر أبياتًا يتذوقها كل قارئ كقوله:

ووفَــتْ شمائلـه فقلتُ نسيم
وزكَــتْ خلائقهُ فقلتُ شميمُ
قصر الكلام على الملامِ وإنما
للخط في وجناته تكليمُ
شرفت معاطفه بأمواه الصبا
وجرى عليه بضاضة ونعيمُ
قد كاد تشربه العيون بضاضةً
لكنّ سيف لَحاظه مسمومُ

• كيف يتجنب المؤرخ قصيدة من قصائد هذا الشاعر؟ الذي جمع فنون الشعر بها، من فكرة إلى لفظ إلى تراكيب، واختار لها وزنًا تشايعه قافية من الذلل وبحرًا عروضيًا مناسبًا للأفكار والجمل، يقول الشاعر في قصيدته الرائية:

وقد جعلت نفسي تحنُّ إلى الهوى
حلًا فيه عيش من بثينةَ أو مرّا
وأرسلتُ قلبي نحو تيماء رائدًا
إلى الخفرات البيض والشدن العفرا
تعرف منها كل لمياء خاذل
هي الريم لولا أنَّ في طرفها فترا
من الظبيات الرود لو أن حسنها
يكلمها أبدت على حسنها كبرا
وآخر إن عرفته الشوق راعني
بصدّ كأني قد أتيتُ له وترا
أناشد فيه البدر والبدر غائر
وأسأل عنه الريم وهو به مُغرى
فما ركب البيداء لو لم يكن رشًا
ولا صدع الديجور لو لم يكن بدرا
لحاظ كأنَّ السحرَ فيها علامة
تعلّم هاروت الكهانة والسحرا
وقد هوى الغصنُ الرطيبُ كأنما
كسته تلابيب الصبا ورقًا نضرا
رتقتَ على الواشين فيه مسامعًا
طريق الردى منها إلى كبدي وعرا
أعاذلتي واللؤمُ لؤمٌ ألم ترى
كأنَّ بها عن كلِّ لائمةٍ وقرا
بفيكِ الثرى ما أنتؤ والنصحُ إنما
رأيتُ بعينيكِ الخيانةَ والغدرا
وما للصبا يا ويح نفسي من الصبا
تبيتُ تناجي طول ليلتها البدرا
تطارحه والقولُ حقٌّ وباطلُ
أحاديث لا تبقي لمستودع سرا
وتلقي على النمام فضلَ ردائها
فيعرفُ للأشواق في طيها نشرا

يعانقها خوف النوى ثم تنثني
تمزّقُ من غيظٍ على قدك الأزرا
ألمّا ترى بأنَّ النقا كيف هذه
تميلُ بعطفيها حنوًّا إلى الأخرى
وكيف وشى غصنٌ على غصنٍ هوى
ومن رشأ يوحى إلى رشأ ذكرا
هما عذلائي في الهوى غيرَ أنني
عذرتُ الصبا أو تقبلين لها عذرا
هبيها فدتك النفس راحت تسره
إليه فقد أبدته وهي به سكرا
على أنها لو شايعت كثب النقا
وشيح الخزامى إنما حملت عطرا

• كلما هممتُ على أن أقف عن نقل القصائد وجدت أن القصيدة التالية أجمل من سابقتها، وفي رقتها، وأكثر تعبيرًا عن الشوق والمحبة، وفيها من الخيال شيئًا جديدًا، فيقول في النونية:

نسخت سحرَ بابل مقلتاه
فتنبى في فترة الأجفانِ
في ربوعٍ كأنهنَّ جِنان
عطفت حورها على الولدانِ
ورياض كأنهنَّ سماء
أطلعت أنجمًا من الأقحوانِ
بين ورق كأنهنَّ قيان
ركبت في حلوقهنَّ مثاني
وغصون كأنهنَّ نشاوى
يترقصنَ عن خدود الغواني
وأقاحٍ كأنهنَّ ثغورٌ
يتبسمنَ في وجوه ألحانِ
ونسيم الصبا يصح ويعتل
على برده وحر جناني
كلما غنت البلابلُ فيها
رقص الدمعُ بالبكا أجفاني
عطفتني على الرياض قدودٌ
خلعت لينها على الأغصانِ
يتلقاني الأقاح ببشرٍ
وغصون النقا على حرّانِ
قل لعتبٍ وما أظن نوالا
عند عتبٍ لواجد سيّانِ
أين قلبي لا أين إلّا طلولا
أذهبتها الرياحُ منذ زمانِ
اذكريني معاهدًا وربوعًا
كاد يدمى لذكرهنَّ بناني
حيث غصني من الشباب رطيبٌ
وعيون المها إليَّ رواني

أطـرد الـنـوم عـن جـفـون نـشـاوى
بـحـديـث أرق مـن جـثـمـانـي
وقـوافٍ لـو سـاعـد الجـد نـيطت
مـوضـع الـدرّ مـن رقـاب الـغـوانـي

• كان الهدف من إيراد هذه النماذج من القصائد بيان قدرة الشاعر الفنية والمعرفية في نظم الشعر العربي، وكما رأينا تلك المقدرة في استخدام عدد من البحور الشعرية، وعدة قوافي من الذلل، والنفر والحوش، وفي كلها أصاب وتفنن في استعمالها في قصائده، وكان الشاعر قد سبك الأبيات بشكل جيد، ووضع بينها التناسق والترابط بين الأفكار والألفاظ.

• سرح خيال الشاعر في هذه القصائد، وأورد مجموعة من الصور البلاغية الفنية، وأطلق لخيالة الواسع قدرة على خلق تلك الصور الجميلة، وهذا أنسنة للجمادات، والمعنويات، وأورد من الألفاظ ما يغطي خياله، ويبني نمطًا من الصور الفنية، والحديث عن تمكن الشاعر حديث طويل، ولكن مخافة الإطالة نتوقف، لأن هذا الشاعر يحتاج إلى دراسة مستقلة تظهر فيها قدراته اللغوية والفنية.

****

محمد علي اللكناوي

١٢٩٨ - ١٣٦٠ هـ / ١٨٨١ - ١٩٤١ م

• هو المفتي محمد علي بن المفتي محمد عباس التستري[1]، ولد في لكناؤ سنة ١٢٩٨هـ، ١٨٨١م، تعلم على يد أبيه العلوم الأولى، ثم درس عند المولوي نجم الحسن في المدرسة الناظمية، وأخذ المعقولات من المولوي جعفر حسين وغيره، ثم درس الأدب على يد المولوي محمد مهدي.

• سافر إلى العراق، ودرس في النجف الأشرف، على يد علمائها، وألف رسالة في علم الأصول، وهو في النجف، وتتلمذ على أيدي الشيخ كاظم حسين، والشيخ حسين، والسيد محمد باقر، والشيخ علي المازندراني، والسيد كاظم الطباطبائي اليزدي، وغيرهم من العلماء، حتى حصل على درجة الاجتهاد من السيد كاظم، والشيخ علي المازندراني، كما حصل على لقب «الفاضل الهندي»، وعاد إلى الهند ليعمل أستاذًا للأدب في كلية الشيعة العربية، ثم حصل على إجازة الاجتهاد من نجم العلماء السيد نجم الحسن.

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٥٨.

• نظم الشاعر محمد علي مئات الأبيات باللغة العربية من المراثي والوصف وغيرهما، وبلغ مكانة عالية، بجده واجتهاده، لذا نظم قصيدة عن حاله يقول فيها:

وجهُ العُلى مُستبان غيرُ منتقبِ
لكنه بالآلامِ والكُربِ
والمجدُ آنسة ما كادَ يخطبها
إلّا الذي خاض في الأهوالِ والنوبِ
هو المُدام ولكن لن تفوز بها
من قبل حسوِكَ راح الوجد والعطبِ
ردّ الرزايا إذا ما المجدُ تطلبهُ
فقاطف الوردِ واطَ شوكة النسبِ
ولا أحبّ عُلاً راقت مطارفها
قد حاكها يدُ أم أو بنان أبِ
وإنما المجدُ مجدٌ أنت كاسبه
بسيف جِدِّك مهرٌ يقادم اللعبِ

• كنت أتمنى أن يذكر المصدر قصيدة أخرى للشاعر، فهذا شاعر مفلق، متمكن من النظم العربي، محافظًا على النمط القديم من النظم بقافية موحدة وبحر عروضي، واستعمل خياله في صنع صور فنية بلاغية، مع سبك جيد للأبيات.

• الشاعر محمد علي استقى فنه أولًا من أبيه، ثم في وقت دراسته في النجف جاور بعض شعراء العراق، واكتسب معرفة وخبرة منهم، ثم القراءة الكثيرة في الشعر العربي أطلقت لسانه وفكره في نظم القصائد، وكان أسلوبه في هذه القطعة قويًا، وسهلًا لا غموض في الأبيات، ولا معاضلة للألفاظ، مع تناسق بين اللفظ والمعنى، فجاءت أبياته جميلة متناسقة وذات معنى كبير، أودع الشاعر فيها ما قاساه في الدراسة، حتى وصل إلى تلك المكانة.

****

محمد علي المئوي

١٢٨٦ - ١٣٥٩ هـ / ١٣٥٣ - ١٩٤٠ م

• ولد الشيخ محمد علي بن حسام الدين بن عبدالوهاب[1] في مئو سنة ١٢٨٦هـ، الموافق ١٨٦٩م، تعلم في بلدته، وحفظ القرآن الكريم عن طريق والده، وقرأ الكتب الدراسية النظامية على يد الشيخ فيض الله المئوي، كما تعلم اللغات الفارسية والأردو والعربية على يد الملا حسام الدين، ثم سافر إلى بتنا وأكمل تعليمه، ولكنه أراد الاستزادة من دروس الحديث فقصد دلهي وتعلم على يد السيد نذير حسين الدهلوي المحدث الشهير، وأخذ محمد علي الشهادة في الحديث، فرجع إلى بلاده، فتم تعيينه إمامًا للمسجد الجامع في دانافور.

• وكان الشيخ محمد علي يمارس التدريس أيضًا إلى جانب إمامة المسجد، ثم ذهب إلى دهوليان بالبنغال وبدأ يفتي

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٤٢.

ويمارس الدعوة والإرشاد، ونشر الدين الحنيف، وكان يجمع التبرعات لجمعية خيرية في البنغال، وإلى جانب ذلك له عدة مصنفات منها:

- نظم اللآلئ بلطائف القرآن الكريم.
- الرأفة المهداة في سبيل النجاة .
- إظهار الهفوات عن إزالة الشبهات. أردو.
- القول المحكم. مخطوط.
- ترجمة مصابيح في التراويح للسيوطي.
- الأقوال المحققة في رد جواب النكاح غير المطلقة.
- جامع المسائل، فتاوى.
- البيان في تحقيق الجلالة ودعوة الختان.
- زلة فضل الرحمن في تأييد مذهب النعمان.
- تفريج المؤمنين في مناقب زين العابدين.
- شرح طبقات ابن سعد، أردو.
- شرح القصيدة الميمية للفرزدق.

- وله أشعار بالأردو والفارسي والعربية، ولكنه مقل، وأشعاره بسيطة، وينظمها في المناسبات الدينية والاجتماعية، ومن شعره حين تم تأسيس مسجد في البنغال وتكميله، قال:

إنَّ هـذا معبدٌ للمؤمنيْن
قد بناهُ باذلٌ بر نبيلْ
اسمه السامي رحيمٌ قبل بخش
إنَّ إبراهيم ذي المجد الأنيل

قال فيضي عامه في بنغله
نعم هذا مسجد الرب الجليل

- شعر ساذج يعبر عن الحدث دون أن يستعمل خياله، أو يصنع صورًا فنية، ولكنه استخدم بحرًا عروضيًا وقافية موحدة، ويبدو أن الشعر العربي لديه غير ذات أهمية في حياته بجانب الأعمال الأدبية التي قام بها.

****

محمد فاروق الجرياكوتي

٠٠٠ - ١٣٢٧ هـ / ٠٠٠٠ - ١٩٠٩ م

- ولد الشيخ محمد فاروق بن علي أكبر العباسي الجرياكوتي[1] في جرياكوت، دون معرفة سنة ميلاده، درس عند أخيه الكبير عناية رسول، وعلى يد الشيخ المعمر أبي الحسن المنطقي، وتعلم الهيئة من الشيخ رحمة الله بن نور اللكنوي، وأخذ الفقه والأصول من المفتي يوسف بن محمد أصغر اللكنوي في المدرسة الإمامية الحنفية، ثم ذهب إلى الحج والزيارة، ودرس هناك، ثم عاد إلى الهند، وعمل مدرسًا في دار العلوم في لكنؤ.

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٨: ٤٥١. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج١٨: ٦٣٠.

• له رسائل متعددة في بعض الفنون، وينظم الشعر باللغة الفارسية والعربية، ذكر المصدر له قصيدة وحيدة، يقول فيها:

هنيئًا للذي جابَ الموامي
ورام رقيّ أعلام الكمالِ
على ظهر الخيولِ يقيم يومًا
وأيامًا على قَتَدِ الجِمالِ
وكم بحرٍ يسبح بغير زادٍ
وكم أرضٍ يجوبُ بلا انتعالِ
تحامى زهرة الدنيا نفورًا
وأنكر جمعَ مالٍ والموالي
ودامَ معاقرًا كُرَبَ الرزايا
وعاش مواظبًا سهرَ الليالي
من الأظعانِ من طابت سُراهم
إلى أخذ العلومِ من الرجالِ
رجالٍ عارجين ذرا التسامي
بأقدامٍ عَلَت قُلَلَ التعالي
فنالوا منزلًا ولقد تَرقّوا
إلى ما يُنال من المنالِ

• لم يذكر المصدر سوى هذه القطعة من الشعر، ويبدو أنه متمكن من النظم العربي، ولديه قدرة على استخدام أدوات البناء الفني للقصيدة، فقد استخدم بحرًا عروضيًا، وقافية ذلل، وسبك جيد للأبيات، وتناسق بين اللفظ والمعنى، وهذه قصيدة تحث على بذل الجهد في سبيل التعليم، وطلب المعالي، أوجد تناسقًا بين اللفظ والمعنى، ومن خياله صنع بعض الصور الفنية.

• الحكم على قدرة الشاعر لا تأتي من قصيدة وحيدة، ولكن تبدو قدرته على العمل الفني في النظم، وكونه يحث الناس على التعليم دليل على حبه للعلم، والتعلم، وحتى لو تكبد الإنسان المشاق في سبيل الحصول على أكبر مقدار من العلم.

****

محمد فيض الله المئوي

١٢٧٥ - ١٣٥٢ هـ / ١٨٥٨ - ١٩٣٣ م

• ولد الشيخ أبو المكارم محمد علي بن فيض الله[1] في قرية مئو، أعظم كره سنة ١٢٧٥هـ، الموافق ١٨٥٨م، درس عند الشيخ عبدالله بن عبدالرحيم الغازي فوري، وتعلم العلوم العقلية والنقلية، ثم ذهب إلى دلهي وتلقى الحديث وأصوله على يد المحدث نذير حسين الدهلوي، ثم رحل إلى لكناؤ ودرس الطب عند الحكيم عبدالعزيز ابن إسماعيل، وكذلك عند الطبيب عبدالحفيظ، وحصل على شهادة الطب.

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٣٦. عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨: ٤٤٩.

- اجتهد الشاعر في القراءة والتعلم حتى حذق الطب والأدب، وبرز ككاتب، ونشر أبحاثه، وكتب « المحن المحمدية» الذي تأثر به البواب صديق حسن خان فقرر له راتبًا، وقضى حياته متمتعًا بالجانب الديني، وكانت له ثروة فساهم في بناء المساجد، ومساعدة الفقراء.

- كان جامعًا للعلوم والمعرفة، وبرز بين الناس بالتواضع، والفضل والمكانة المرموقة بين الناس، ونظم فيه الشيخ تقي الدين الهلالي قصيدة يمدحه بها منها:

قصدتُ أبا المكارم كي أراهُ
بشوقٍ كان يجذبُني إليهِ
فلما أن رأيتُ، رأيت فردًا
ولم أرَ من بَنيهِ من لديهِ

- للشاعر عدة مصنفات منها:

- **جوهر منظوم، استخرج فيه الألفاظ العربية من الفارسية.**
- **تعليقات على المعلقات السبع.**
- **تحقيق قصيدة امرئ القيس.**
- **تحقيق قصيدة طرفة بن العبد البكري.**
- **الكلمات اللغوية في قصيدة زهير بن أبي سلمى.**
- **له قصائد باللغة العربية.**

- ومن أشعاره القليلة قوله:

كتابٌ لو تراه بعين فهمٍ
رأيتَ الحقَّ فيها بلا حجابِ
كتابٌ ناطقٌ بلسان حالٍ
بأنّي كامل في كل بابِ
وإنّي غالبٌ في كلِّ بحثٍ
بإسكات المخالفِ بالجوابِ

- قطعة صغيرة من شعره، هذا ما جاد به المصدر من شعر الشاعر، وهو متمكن من النظم، ولكن لا حكم عليه بسبب قلة ما لدينا من قصائده، ولكن يبدو أنه على علم بأدوات النظم العربي، البحر العروضي، والقافية الموحدة، ونظم الكلمات المعبرة عن الفكرة.

****

محمد قاسم الشيرازي

كان حيًّا عام ١١١١ هـ / ١٦٩٩ م

- ولد الشيخ محمد مؤمن بن محمد قاسم الجزائري[1] في شيراز، وتعلم الفقه والتفسير والنحو والأصول على أيدي الشيخ علي زين العابدين الحائري، والشيخ علي بن محمد التهامي، والشيخ صالح بن عبدالكريم البحراني، حتى برز في تلك العلوم، ومن ثم ذهب إلى الهند سنة ١١١١هـ، الموافق ١٦٩٩م، في عصر السلطان أورنغ زيب

(١) علام علي آزاد البلغرامي، سبحة المرجان في آثار هندستان ج٢: ٢٥٠. عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٦: ٣٥٦.

عالم كبير(ت: ١١١٨هـ الموافق ١٧٠٦م) وقضى معظم حياته في الهند إلى أن توفاه الله.

- صنف الشاعر محمد مرمن عدة مصنفات منها:
  - مجالس الأخيار، عدة مجلدات.
  - قرة العين.
  - تميمة الفؤاد.
  - جامع المسائل النحوية.
  - سماء ثمر الفؤاد.
  - شرح القصيدة البهائية.
  - بيان الأدب.
  - مصباح المبتدئين.
  - مشكاة العقول.
  - ديوان ثمرة الفؤاد.

- بدأ نظم الشعر صغيرًا، وهو في شيراز، فلما ارتحل إلى الهند كانت له تلك الموهبة فمارسها في الهند بنظم القصيد، والمقطعات، فمن شعره بعد وصوله إلى الهند، قوله:

لا غرو وإن سرتُ نحو الهند من نعبٍ
فالعينُ إذ رمَدت ترتاحُ في الظُّلَمِ

- ومن قصيدة له يقول فيها:

قفا بنا لي قد تحيّرتُ في أمري
أشكو تمامي البعد أم قلة الصبرِ
يشقُّ عليَّ الموتُ في أرضِ غربة
يقلُّ صراخ النائحات على قبري
تقضَّت ليالٍ كنتُ أجهلُ قدرها
سفاهًا وما أدراك ما ليلة القدرِ
وجاءت ليالٍ ما أشدُّ سهادها
بها عذّبت روحي إلى مطلع الفجرِ
وقائلة صبرًا على ما تذوقه
فقلتُ وهل شيءٌ أمرُّ من الصبرِ
بلى أتداوى داء صبري بمثله
كما يتداوى شاربُ الخمرِ بالخمرِ
ومازلتُ أشكو البينَ حتى عشيرتي
يقولون قد جنَّ الغريبُ وما يدري
يقولون صبرًا يا غريبُ وإنني
لاحلفَ ما عندي على الهجرِ من صبري
وهب أنني نلتُ المنى بعد شيبتي
فمن أين لي عهد التمتع بالسرِّ
لحى الله هذا الدهر كيف اعتدائه
على المؤمن العلامة ألا وحد الحَبرِ

- كيف يصف الشاعر حياته، وتطارده الذكريات، وتصل نفسه لحد اليأس، على الرغم مما وصل إليه من مكانة، وما حصل عليه مما كان يأمل، ولا نعرف كيف أمضى حياته في الهند، ولكن أظن أنه حصل على أشياء كثيرة، وقرّبه السلطان، وأسبغ عليه الجوائز، ولكن هناك جوانب غير معروفة من حياته، وكيف كانت حياته الاجتماعية.

- ومن أشعاره قوله:

خطبتُ عذراءَ بعد الشيبِ فاعتذروا
والعذرُ عند كرام الناس مقبولُ
فقلتُ إن شابَ فودي فالفؤاد علي
عهد الشبيبة مفطورٌ ومجبولُ
أنشدتهم حين قالوا ما تزوجها
من خاطبٍ هو محذولٌ ومعزولُ
فقلتُ خلوا سبيلي لا أبا لكم
فكلُّ ما قدّر الرحمنُ مفعولُ
فكل أنثى وإن طالت سلامتُها
يومًا على آلةٍ حدباء محمولُ

• آخر بيتين نقلهما من بردة الصحابي كعب بن زهير في اعتذاره لرسول الله-عليه السلام-، ينظم الشاعر قصائده وهو متمكن من أدوات النظم العربي، وله قدرة على اختيار البحر والمعنى.

• ذكر المصدر للشاعر مقطعات وأبيات فردية، منها قوله:

اغسل بدمعكَ ثوابَ الجسمِ من دنسِ
الآثامِ بل بدمٍ كالغيث مُنسجمِ
فإنها حدثٌ لم يرتفع يسوى
دمٍ تساقط من دمعٍ بغيرِ دمِ

• وقال أيضًا:

قلبي سرى في كسبِ أنواعِ العلى
من الصبا إلى المشيبِ فانجلى
فصحَّ عندي مثلٌ بين الورى
عندَ الصباحِ يحمدُ القوم السرى

• وقال أيضًا:

على جسدي من تربِ مسراكِ أملس
ولكنه من دمعِ عيني الممزّقِ

• ويقول أيضًا هذه المقولة، التي ربما تعني التجربة الشخصية في الزواج، أو هكذا يراها للشاعر:

نكحتُ جهلًا ولستُ أدري
أنه أصلُ كلّ شرِّ
فوزنُ مهرٍ وقصمُ ظهرٍ
وعيشُ شهرٍ وهمُّ دهرِ

• لا شك أن الشاعر له قدرة كبيرة على النظم، مستعملًا جميع أدوات النظم العربي، فله موهبة وهبها الله له، ودراسة استقاها من أساتذته وكتبه، وحفظ قصائد وأشعار الشعراء العرب القدامى، مما أدى إلى أن يبدو ذلك من خلال شعره.

• استخدم بحور الشعر العربي القديمة، وقوافٍ ذلل، وحفظ ألفاظ المعجم العربي، وبدأ ينظم وفي فكره ثقافته العربية، وعمل تناسق بين اللفظ والمعنى، وقوة سبك للأبيات، واستطاع أن يبرز جمال اللفظ معانقًا المعنى، ومدركًا في خياله فنه الذي أنتج صورًا بلاغية أظهرت حلاوة الشعر وجماله.

• النظم بحد ذاته جيد، ولكن الخيال يجعل له طلاوة وحلاوة وقوة في السبك، وترصيع ذلك بالمحسنات البديعية،

فالقارئ يتشوق لقراءة الشعر، ونقده لإبراز أوجه الفن الجمالي للأبيات الشعرية، لما فيها من موسيقا عذبة تطرب السامعين والقراء، فهو متمكن من نظم القصائد. غير أن المصدر لم يحتفظ لنا بغير هذه القطع، ولم نجد قصائد طويلة له.

****

محمد مخدوم القادري

١٢٩٨ - ١٣٦٤ هـ / ١٨٨١ - ١٩٤٤ م

• ولد الشيخ محمد مخدوم الحسيني القادري[١] في قرية بلهاري سنة ١٢٩٨هـ، الموافق ١٨٨١م، درس في قريته، وحفظ القرآن الكريم، ثم ذهب إلى حيدرآباد فواصل دراسته في علوم الحديث والتفسير والفقه، وبرع في اللغة العربية والفارسية والأردو، ثم عمل مدرسًا في الجامعة النظامية لتدريس الفقه، ثم أسند إليه منصب الفتوى، فكان يدرّس ويفتي، حتى ذاع صيته فاستدعاه السلطان أصفجاه لتدريس ابنه النواب صلابت جاه بهادر، والنواب بسالت جاه بهادر.

(١) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٣٧٢.

• كان الشيخ يحسن نظم القصائد باللغة العربية والفارسية، وله مؤلفات باللغتين، ومن أشعاره قصيدة نظمها في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يقول فيها:

يا إمامَ الهدى سلام عليكْ
يا أمان الورى سلام عليكْ
أشرق الأرض والسماء بك
أنتَ شمس العلى سلام عليك
ما اهتدينا الرشاد لو لم تكن
يا نبي الهدى سلام عليك
فضلكمْ لا يحدّ ولا يحصى
خاتم الأنبياء سلام عليك
هادي الخلق حامي الأمة
من جميع البلاد سلام عليك
نستغيث بك إلى الله
يا غياث الورى سلام عليك
وعدنا الله وعد مغفرة
لجميع الخطا سلاك عليك
جُد علينا بجود رحمتك
أنت غيث الندى سلام عليك
قد حضرنا لديك فاشفع لنا
عند ربّ الورى سلام عليك
جعلك الله عبده المختار
في الورى المصطفى سلام عليك

كـــن لـــنـــا جـــنـــة مـــن الـــنـــار
واكـــف كـل الـبـلاء ســلام عليك
كـافـلًا فـي الـشـفـاعـة الـكـبرى
يـا مـــلاذ الـــورى ســـلام عليك
ســيـدي ومـــرشـــدي ومـــولاي
أنـــت مـخـدومـنـا ســـلام عليك
أحـــقـــر الـخـــادمـــين مـخـدوم
مـنـك نـرجـو الـعـطـا ســلام عليك

- هذه قصيدة نظم لألفاظ اللغة العربية، كان الهدف مدح رسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام- ولكن طريقة بناء القصيدة يضعفها، فهو لم يزد على بعض كلمات المديح المصفوفة في بحر عروضي، تخلو من آيات النظم الطبيعي للشعر، وإن تم اختبار بعض الألفاظ لها، إلا أنها تخلو من الخيال الشعري، وليس بها من الوصف الدقيق لحياة الممدوح، وليس بها صور بلاغية فنية.

- لدى الشاعر قدرة جيدة للنظم، ولكن تكرار كلمة: سلام عليك، يضعف الشعر، ويخرجه من النطاق الفني للشعر، وهذا من العيوب، وعيوب الشعر كثيرة، مثل الإيطاء والتكرار والإقواء، وغيرها فما بالك إذا كان التكرار لكلمتين في كل بيت!!!

- لا يوجد تناسق بين اللفظ والمعنى، فكل بيت قائم لوحده، فلا يوحد وحدة للموضوع، ولا سبك للنظم، ولكن يغلب عليها مشاعر الشاعر الذي يريد أن يتقرب من الرسول الكريم، ولكن الطريق لم يعبد تعبيدًا جيدًا ليسلك سلوكًا تنظيميًا جديرًا بالقراءة، ويرفع مستوى الشاعر الفني.

- أفرغ الشاعر ما في قلبه من حب لرسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- كل ما لديه من محبة وقرب من الرسول في هذه الأبيات المتكررة المعاني، دون أن يكون له دور في تنظيم الأبيات بشكل سليم، وكان واضحًا في مدحه، لا غموض ولا سوء فهم للأبيات، ولكنه سجل موقفه وشعوره.

****

محمد مسليار ترنغالي

١٣٥٢ - ٠٠٠ هـ / ١٩٣٣ - ٠٠٠٠ م

- هو الشيخ أبو الفضل محمد بن عبدالرحمن، المدعو بباب مسليار[1]، ولد في مدينة ترورنغادي سنة ١٩٣٣م، وهو من أسرة دينية، درس المرحلة الأولى في مدينته، ثم تعلم مبادئ الشريعة على يد الشيخ عبدالله مسليار تيل، بعدها التحق بدروس المساجد، وتعلم النحو والصرف من الشيخ ماين مسليار كندوتي، ثم درس القرآن الكريم والحديث الشريف والبلاغة على أيدي علماء في المساجد، وتتلمذ على يد الشيخ محمد مسليار كرنغبارا، ثم على يد

(١) محمد فيصل يم. بي.، تطور الشعر العربي في كيرلا منذ الاستقلال/ ص ٤٤.

العلامة الشيخ زين الدين كدي مسليار المخدومي، ثم التحق بجامعة الباقيات الصالحات.

- بعد تخرجه عمل مدرسًا في فدينغادي لمدة أربع عشرة سنة، ثم في كروان تروتي، وبعدها أصبح عميدًا لكلية دار المعارف، ويعمل مدرسًا في الوقت نفسه في مجمع الدعوة الإسلامية، وكان عضوًا في جمعية عموم علماء كيرلا، ومع ذلك كان يقرض الشعر في موضوعات متعددة.

- اهتم الشاعر أبو الفضل محمد بالتخميس، فقام بتخميس عدة قصائد:
  - تخميس القصيدة الرحمانية.
  - تخميس القصيدة المنقوشة، خارج جدار الحجرة النبوية.
  - تخميس قصيدة الفاكهة المصطفوية، للشيخ الحداد.
  - تخميس قصيدة الحبيب الحبشي.

- فمن تخميسه للقصيدة الرحمانية، يقول:

لم ألهَيَّ والله بابنة معبدِ
كلا ولا بعنيزة من خردِ
بل طلُّ نفسي مولع بمحمدِ
بك لي قلبي مغرم يا سيدي
وحشاشة محشوة بهواكا
وإذا قصدتُ ففيك قصدي كله
وإذا فعلتُ ففيك فعلي كله
وإذا تركتُ ففيك تركي كله
وإذا سكتُّ ففيك صمتي كله
وإذا نظرتُ فمادحًا عليكَ
والله لو كتب الأمامُ جميعهم
صبيانهم وكهولهم وشيوخهم
والأرض كل طباقهم قرطاسهم
والله لو أنَّ البحارَ مدادهم
والعشبُ أقلام جعلن لذاكا
والجنُّ طرًا شاركوهم ظهره
وتحملوا فيه عنّأ وضرورة
طول الزمانِ وما استراحوا مرة
لم تقدر الثقلانِ تجمع نزره
أبدًا وما استطاعوا له إدراكا
لولاه لا ندري إلهًا ليعبدا
بحقٍّ ولا ندري معادًا وموعدا
كنا جميعًا في جهنَّم سرمدا
به الله أنجانا من الشركِ والردى
ومن عمل الشيطان والجبت والنصبِ
يا ملجئي يا حبيب الواحد الصمدِ
يا منقذ الخلق من أمواج هول غدِ
وكلهم فيه يا ذخري إليك صدى
يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي
مالي سواك ولا ألوي على أحدِ

- تخميس القصيدة الرحمانية لشاعرنا فيه شيئان؛ احتفظ بالمعاني للقصيدة الأم، ولكنه لم يحسن التخميس، حيث أدخل تعابير تحتاج إلى شرح وإفهام، وغرض التخميس هو السير على منوال القصيدة الأم، مع زيادة محصولها

اللغوي والفني، وكأن التخميس بالنسبة لهذا الشاعر شيئًا بسيطًا، ولكنه لم يضف شيئًا، وكانت كلماته أقل من المستوى المطلوب.

- استخدم الشاعر النمط القديم من النظم، من خلال البحر والقافية، التي كانت ذلل، واستطاع أن يوفق في تناسق اللفظ والمعنى، وتخلى عن الخيال لصنع صور فنية، فلا بلاغة في تخميسه، أما السبك والتراكيب فكانت بسيطة، وأحيانًا مهلهة، فهو ناظم للألفاظ، وابتعد عن التعمق في طرح الأفكار، وكان له قدرة على أن يفعل أكثر مما عمله، في هذه القصيدة.

****

محمد مهدي المصطفى

٠٠٠ - ١٣١٧ هـ / ٠٠٠٠ - ١٨٩٩ م

- هو الشيخ محمد مهدي بن نيروز علي الحسيني[1]، ولد في قرية مصطفى آباد، ولم نعرف تاريخ ميلاده، ذهب إلى لكناؤ منذ صباه، وتعلم على يد السيد حامد حسين ابن محمد قلي الموسوي، ثم أخذ من المفتي محمد عباس ابن علي التستري، وأقام عنده فترة من الزمن، وتعلم منه الأدب والشعر، وكان المفتي يفتخر به، وكان الشيخ محمد مهدي أديبًا وشاعرًا، وأوقف حياته على خدمة اللغة العربية وآدابها.

- وله مجموعة شعرية باسم « الكواكب الدرية»، وله مجموعة أخرى، ومن قصائده التي نظمها في رثاء شيخه المفتي محمد عباس التستري، المتوفى سنة ١٣٠٦هـ، الموافق ١٨٨٨م، يقول فيها:

قفا بديارٍ دارساتٍ بلاقعِ
عفت من رياح عاصفات زعازعِ
طلول علومٍ أوحشتها يد الفنا
وما غاب من آثارها غير راجعِ
تعفّى العلومُ بالخطوب فأصبحت
قفارُ الديارِ خاوياتِ المراتعِ
خوالدُ صمًّا بالإكامِ كما ترى
أثافي سفعًا في فناء المرابعِ
لقد لعب الدّهرُ المِشتُّ بأهلها
فأظعُنِهم تبًّا له من مخادعِ
فقد ظعنوا عنها جميعًا وغادروا
معالم من أقلامهم والأصابعِ
بذا اليوم قد صاروا رهين مقابرٍ
وبالأمسِ قد كانوا رؤوس المجامعِ
فجعنا بقومٍ شيَّدوا دين ربّهم
زما قصّروا في ذاك قيد الأكارعِ

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨: ٤٥٧. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٩: ٢١٥ . نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١٠٢.

ولا سيما حَبرٍ فصيحٍ ومُفْلقٍ
فقيهٍ نبيهٍ قائم الليلِ خاشعِ

• رثاء عاقل، وشعور متزن في هذه القصيدة، تنم عن المحبة، والاحترام للفقيد، وما يمتلكه من علم وفقه، وكان الشاعر رزينًا في التعبير عن حزنه لوفاة أستاذه، وله قصيدة أخرى أسماها « فتيت العقيان» يقول فيها:

كلفتُ بها مذ ميط عني تمائمي
فليس بمغنٍ عنه لومة لائمِ
قلما رنت نحو الطلولِ ركائبي
وقفنَ ولم يسمعنَ زجر اللوائمِ
وذكر حبيبي في الفؤادِ عواذلي
فما نفعهم من حلِّ عقد الرتائمِ
إليكَ فإني ليس مثلي بغادرٍ
وفي طرقات الحبِّ لستُ بهائمِ
شكوتُ إليها حرَّ وجدٍ لهيبه
بدمعٍ غزيرٍ كالسيول وساجمِ
ولستُ بسالٍ عن مودتها التي
منيتُ بها ما بينَ واشٍ وشاتمِ
وإن سلّوا عن صبابة فرعها
أعزُّ علينا من عضاض الأراقمِ
غدائرها طول الليالي ذكرتها
إذا ما رأيتُ كلَّ أسود فاحمِ
لعمري فدت نفسي وعيني ومهجتي
على كلِّ وجهٍ منيرٍ وباسمِ
خليليَّ قد سُرقَ الفؤادُ فاطلبا
من الظبي ذي جيدٍ تليعٍ وناعمِ
على كلِّ باكٍ في الفضيلةِ سابقِ
فهيَّج مبكانا بكاء الحمائمِ
لقد سُلبت طيب الكرى من كريمتي
عقيلة غيد الدهرِ فخر الكرائمِ

• شاعر واثق من فنه وتمكنه من النظم العربي، له قدرة كبيرة على تصور الفكرة التي ينظم حولها شعره، وهذه القصيدة بها من الجمال ما يفوق الوصف، وبها حلاوة النغم وموسيقا الأبيات المعبرة عما يشعر به تجاه المحبوبة، ويصف جمال المحبوبة وما تتمتع به من نواجي الجمال ومدى تعلقه بها.

• كل قصائد الشاعر لها أسماء يسميها، ومنها قصيدته «شقائق النعمان» التي يقول فيها:

طار الكرى من بينكم عن مآقي
فترفُّقًا بالهائم المشتاقِ
يا حبذا يومٌ تحمّلتم به
نحو الغريِّ على متون عتاقِ
يومٌ تحمّلتم وفي وجناتكم
أثر الجوى بالمدمع المهراقِ
يومٌ تحملتم فهيَّج لي البكا
مبكاكُمُ قلتم فهل من واقِ
يوم تحملتم وفي آثاركم
سمحت بدمعٍ ساكبٍ أماقي

فحَشايَ قد أودعتمُ جمر الغضا
فمُنيتُ بالإقلاقِ والإبراقِ
ودّعتموني مستهامًا بعدما
أحرزتُ حظًا وافرًا بتلاقِ
ظعنوا عن الصَّبِّ المشوقِ ومعْهُمُ
سحبوا الحشا بأعنّة الأشواقِ
غادرتم الصبَّ العميد وسرتمُ
أو ما رضيتم عنه باسترقاقِ
مُنّوا على المأسور بالهند التي
شدت فأضحى في أشدِّ وثاقِ
بالسَّوْقِ والإطلاق والإذهابِ والـ
ـإخلاصِ والإنقاذِ والإعتاقِ

دنفٌ كئيبٌ لا يملُّ سهادَهُ
صبٌّ شجٍ يبكي بدمعٍ دامِ
جاءت تخافِتُ من سماعِ مراقبٍ
ذهبت تجنَّبُ أعين اللوّامِ
بيضاءُ يلمعُ في البراقعِ وجهها
أفلت متى برزت من الحمّامِ
وبكرتمُ في كِلَّةٍ وبراقعٍ
فغدوتم كالزهرِ في الأكمامِ
أودعتها قلبي وهنَّ ظعائنٌ
والدمعُ في التسكابِ والتسجامِ
وبدار آنسةٍ وقفتُ وإنني
أبكي على الأطلالِ كابنِ حزامِ

- هكذا يكون الشوق وألم الجوى، والمحبة الصادقة، فهو يشتاق إلى الغري، وهو وادي النجف في العراق، ربما أراد الشاعر إبراز شوقه تجاه من دفن في النجف الأشرف، وهو الإمام علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وإن لم يسمه بالاسم، أو زيارة ضريحه، وهو بالهند كالأسير، فالرغبة شديدة، والشوق غلب عليه فخاطب من معه.

- ومن أشعاره الغرامية قصيدة بعنوان: شفاء الأسقام، يقول فيها:

قد قام عني عُوّدي لغرامي
أعيا الطبائب كلهم أسقامي
صار الأقارب والأجانب كلهم
في لوعتي ومدامعي وسقامي

- تخصص شاعرنا في الأدب، وعلمه للطلاب، ومال إلى الشعر، بشكل خاص، فهو شاعر متمكن من كل صنوف الشعر، حافظًا للشعر العربي القديم، ومقتبسًا بعض العبارات والتراكيب اللغوية، وله باع طويل في الخيال الشعري، وقدرة كبيرة على الدخول إلى عالم الفن والنظم العربي.

- استخدم الشاعر محمد مهدي بحور الشعر العربي القديمة، فصنع قصائده عليها، كما كان له قدرة على استعمال القوافي الذلل، هذا على الرغم من صعوبة بعض القوافي، فأظهر قدرته في صنع أبياته الجميلة، واستطاع المزج بين اللفظ والمعنى بتناسق وجدارة كبيرة.

- يبدو أن الشاعر يتمتع بخيال خصب، وتوظيف في صنع الصور البلاغية الفنية، وأرشده خياله إلى وصف المحبوبة، وموقف العذال منه، وحرقة القلب والنفس مما يعانيه من ألم الفراق، وشدة الشوق، فيواجه اللائمين والعذال بكل برود، لأنه لا يستطيع أن يترك قلبه وحبه.

- الصور الفنية التي أبدعها تترك أثرًا في القارئ، أو المستمع، فيرق حالهم له، وهكذا صوّر الشاعر بألفاظه وقنوات النظم إبداعه وفنه، وكان للموسيقا الداخلية والخارجية صدى في الأبيات، ورنة الجرس الموسيقي بادية من خلال القصائد، فهو مبدع في التذوق الجمالي للقصيدة، ومنه للقارئ، أو السامع.

****

محمد موسى بازي

١٣٥٤ - ١٤١٩ هـ / ١٩٣٥ - ١٩٩٨ م

- هو محمد موسى بن أحمد روحاني بازي[1]، ولد في ديرة إسماعيل خان (باكستان حاليًا) سنة ١٣٥٤هـ، الموافق ١٩٣٥م، تلقى تعليمه الأولي في قريته والقرى المجاورة، وتعلم اللغة الفارسية، والفقه وأصول الفقه، وتلقى النحو والصرف، وقرأ الكافية وكتب المنطق، ودرس شرح الجامي، ومختصر المعاني، وكتب المنطق، وتدرج إلى سلم العلوم، ومقامات الحريري، وأصول الشاشي، وشرح الميبذي لهداية الحكمة، وشرح الوقاية في الفقه، وبعض كتب القراءات والتجويد.

- والتحق بدار العلوم الحقانية في بلدة أكورة ختك (بيشاور) حيث تلقى علوم الطبيعيات والمنطق والإلهيات وهندسة إقليدس، إلى جانب أصول الفقه، ومسائل الميراث والأدب العربي، ثم ذهب إلى روالبندي حيث قرأ معاني القرآن الكريم، وشرحه وتفسيره، على يد مولانا غلام الله خان، ثم التحق بمدرسة قاسم في ملتان ومكث ثلاث سنوات درس فيها بعمق وتخرج في علوم الفقه والحديث والتفسير والمنطق والفلسفة وعلم التجويد والقراءات السبع.

- بعد تخرجه امتهن مهنة التدريس، فتولى وظيفة أستاذ الحديث بالجامعة الأشرفية في مدينة لاهور، كما أسهم في المعارك الفكرية دفاعاً عن الإسلام ضد الأفكار المخالفة، والطرق الأخرى التي تعارض التيار الإسلامي.

- وله حوالي خمسين كتابًا ورسالة علمية باللغات الأردو، والنشتو، والفارسية والعربية، منها:
  - **شرح ديوان أبي الطيب المتنبي.**
  - **شرح ديوان حسان بن ثابت.**
  - **الرياض الناضرة شرح محيط الدائرة.**
  - **في عروض الشعر.**

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٧: ٦٥١.. حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان ص ٣١٥.

- كتاب الوافي شرح الشافي خصائص اللغة العربية ومزاياها.
- الفوائد الملكونية في أن الأحاديث حجة في العربية.
- شرح سنن ابن ماجة.
- شرح سنن الترمذي.
- النهج السهل في مباحث الآل والأهل.
- فتح الله بخصائص اسم الله.
- الفلكيات الجديدة.
- رسالة في تعريف البلاغة.
- كتاب لطائف الفوائد.
- إلام الكرام بأحوال الملائكة الكرام.
- أحوال الصالحين والزاهدين.
- رشحات القلم في الفرق بين المصدر الصريح والمؤول.

- برع الشيخ محمد موسى في نظم الشعر العربي، وله قصيدة طويلة، نظمها بمناسبة المئة عام من عمر دار العلوم بديوبند، الهند، ويتحسر على أنه لا يستطيع الذهاب إلى ديوبند للعوامل السياسية بين الهند وباكستان، يقول فيها:

أهـلًا وسـهـلًا يـا نسيمُ ومرحبا
ذكَّرتني عهدَ الصَّبابةِ والصِّبا
حمل الشذى من ديوبند وأهلها
وأتى إلينا بالسلام وأطربا
فعرفتُ عَرفهمُ الشديَّ وبعده
أنكرتُ صبرًا عن فؤادي نُكِّبا
أرضٌ بها أشياخُنا قد خيَّموا
قد زرتُهم مذ حقبةٍ مُتصحِّبا
جنجوه دلي ديوبند وتانبن
سرهند والأجمير كانت أقربا
واليومَ قد حالت جبالٌ بيننا
حيران أبكي دونها مكتئبا
يا لهفَ نفسي هل أزورنْ ساعةً
دار العلومِ وهل أزورن عُصَبا
وأحنُّ من بُعدٍ إليهم ليتني
أجدُ السبيلَ إليهم كي أذهبا
لو كنتُ طيرًا طرتُ نحو رياضهم
وسجعتُ عندهم على بان الرُّبا
إنّي هنا وهمُ هناكَ وبيننا
قُللُ الجبالِ وصارَ أمري أصعبا
يا عاذلي دعني وذكرَ مشايخي
أنا لم أجدْ لسوى هواهمْ مذهبا
لا تلحيَنْ فيهم لما جرّبتنا
نجدُ الغرامَ بهم لذيذًا طيبًا
سَلْ عن أحبّتنا بدويندٍ ألا
دعْ عنك سلمى والربابَ وزينبا
قف بينَ هاتيكَ المغاني إذ بها
رَوحٌ وريحانٌ وراحٌ طرَّبا
وأنخْ مطيّكَ في الديار فإنها
دارٌ مباركةٌ وروضٌ أخصبا
هل كنتَ يا جنجوه إلا روضَنا
مُتنزِّهين به فصارَ محجَّبا
يا حسرتا بيني وبين مشايخي
بِيدٌ وسيلُ الشوقِ قد بلغ الزُّبى

أرضُ الأحبـةِ ضـاء فيـها أنجـمٌ
منها اهتدى مَن جاءها مستوهبا
ذو نـهـضـةٍ جـيّـاشـةٍ مَـوَّاجـةٍ
ربطتْ قلوبَ الناسِ إلا مَن أبى
إن زرتُـهـم رحَّـبـتُـم وأقـلْ لـهم
أهـلاً على رغـم الـوشـاة ومرحبا
غبتمْ وأنـتـم حـاضـرون بمهجتي
فبمهجتي أفـدي الحضور الغيَّبا

• من على البعد يحيي الشاعر مئوية دار العلوم ديوبند، تلك الكلية التي أنشئت سنة ١٨٦٦م، لتكون دارًا للدراسات الإسلامية، بعد فشل ثورة الهنود سنة ١٨٥٧م، فخاف العلماء على دينهم، وبدأوا في إنشاء المدارس والجامعات.

• عندما زرتُ ديوبند، والتقيت بمشايخ الدار وتناولت طعام الغداء معهم، وجرى الحديث عن الإسلام في الهند، وذكروا لي أنهم كانوا سنة ١٩٤٧م ضد تقسيم الهند إلى دولتين، ولكن الأمور لم تكن كما أرادوا، وهذه القصيدة تمثل رأي علماء الدين في الهند الموحدة قبل التقسيم.

• نظم شاعرنا قصيدة باسم «القصيدة الحسنى في أسماء النبي العظمى، يقول فيها:

حـمـدتُ الـلـه رب الـعـالمـيـنـا
على النعماء حمد المخلصينا
أصـلـي بـعـد حـمـد الـلـه تـتـرى
عـلـى الـهـادي نـبـي المرسلينا
فـيـا رب احـمـنـي مـن شـرِّ نفسي
وشـيـطـان ومـن كـانـوا خـؤونـا
ومـــن مـــرض وآفـــات وغـــمٍّ
ومـن فـتن دهـت جسمًا ودينـا
بـجـاه المصطفى الأسـنـى نقامًا
حـبـيـبـي رحـمـة لـلـعالمينـا
مـحـمـد الـنـقـي الـقـلـب حـيًّـا
ومـيـتًـا فـهـو أزكـى الطاهرينـا
جـــواد صـاحـب الـدرجـات بر
دلـيـل الـطـالـبـين الحـائـريـنـا
عـطـوف سـيـد الـثـقـلـين راج
ورحـــب الـكـف لـلـمسترفدينـا
مـفـيـلٌ مَـغـنـم عـبـدصـبـور
وإنَّ الـلـه عـنـد الـصـابـريـنـا
وكـــاف مـكـتـف قـطـب هـمـام
ومـكـتـفـي ولـــي الـصـالحـيـنـا
وحـــاتم أنـبـيـاء الـلـه طـرًا
وخـاتمـهـم فـتـب المنكرينـا
كـفـيـلٌ صـاحـب الـنـعـلـين ليث
وصـاحـب مـنـبـر وال يـلـينـا
رشـيـد صـاحـب الآيـــات يـهـدي
مـن اسـتـعـدوا فـرادى أو ثبينا
وأمـــرنـــا ونـاهـيـنـا وقـاض
طـبـيـب لحـظـه يـشـفـي الحـزيـنـا

وحمد أحمد المختص حمدًا
فإنَّ الحمد كان له قرينا

• وله قصيدة رثاء ونصائح، فهو يتخذ من الموت ذريعة لنصح الغافلين عن أمورهم، فيقول:

هلموا يراعًا مع كراريسَ وأسرِعوا
لأملي حديثَ البين والبينُ مُجزِعُ
حديثي أخلّائي حديثُ مماتكم
وهذا حديثٌ ذو شجونٍ مروِّعُ
يديرُ القضا هذا الحِمامَ على الورى
ولم يُنجِ منه الخلقَ حصنٌ ومِدفعُ
فيا خاطبَ الدنيا وطالبَها احذرَنْ
ويا جيرةَ الموتى أما آن أن تعُوا
ألا إنما الدنيا متاع يغرُّنا
تفرّقَ جمعًا بعدما يتجمعُ
فخذْ للمنايا - لا أبا لك - أُهبةً
ألم تدرِ أنَّ الموتَ ما ليس يُدفعُ
غَفَلْنا وليسَ الموتُ عنا بغافلٍ
يُغيرُ ولا يُبقي ولا هو يُخدعُ
ألا كل ما تبني لغيرك تبتني
وما تجمع الدنيا لغيرك تجمعُ
فطوبى لمن يبني لعقباه دائمًا
ويجمعُ للأخرى ولله يهجعُ
يُحبُّ سعيد الخيرِ والخيرُ منجدٌ
ويبغى الشّقيُّ الشرَّ والشرَّ يصرعُ
مضى البارعُ المرجوّ للعلمِ والعلى
ومن لم يزل يفتي الأنامَ ويخلعُ
ومات إمامٌ موتهُ موت عالمٍ
قلوبُ الورى من موته تتصدَّعُ
لبيبٌ نجيبٌ من نجيبٍ وكاملٍ
حكيمٌ طبيبُ القلبِ أزكى وأورعُ
نقيٌّ زكيٌّ القلبِ حيًّا وميتًا
تقيٌّ رفيعٌ وهو للفقه أرفعُ
لتبكِ المعالي والنهى مفتي الورى
ليبكِ الورى من كان بالحقِّ يصدعُ
أراد بك الرحمنُ خيرًا ومن يرد
به ذا يفقّهه ففي الخيرِ يسرعُ

• شاعر متمكن من اللغة العربية، ومن النظم بها، له قدرة كبيرة على صناعة الشعر كبيرة، وهو يتبع النظام القديم في النظم، من حيث القافية الموحدة والبحر العروضي، واستطاع أن ينسق بين الألفاظ والمعاني، ويجعلها تحاكي الفكرة وتدعمها بالألفاظ المعبرة، عنده قوة السبك، وأسلوب سهل الفهم، يستغل المناسبات للتوجيه والإرشاد، مع الحفاظ على قوة النظم وسيطرة الأسلوب.

• كان الرئيس جمال عبدالناصر، رئيس جمهورية مصر، معروفًا بصداقة جواهر لال نهرو، رئيس وزراء الهند، وكان بين البلدين تعاون وصداقة، فلما انتقل جمال إلى الرفيق الأعلى، نظم الشاعر قصيدة في رثائه، يقول فيها:

أسُعْدى تعالَي ما لبيتك آخرُ؟
ورفقًا بعانٍ هل خيالك زائرُ؟

ومهلًا قد استعذبت تعذيب قلبه
أما لك في شرع المودة زاخر؟
ليهنك سمع غير مصغٍ لعاذلٍ
وقلب جريح لا يمل محاذرُ
وصبّ يعد العشقَ مثل فريضة
فليس له غير الصبابة سامر
بكى ذو الهوى العذري بينًا وربما
يعاودنا وصلًا حبيبٌ مهاجرُ
ألا يا حَمام الأيك نوحي لبين من
فقدنا ولا نلقاه ما ذر زاهرُ
نعى للبرايا راديو عبدناصر
رئيس لجمهورية العرب ظافرُ
فدمع المعالي والمعارف مذرف
وربع العلى قاع وما فيه صافرُ
فوا حسرتا لو تنفع القلب حسرتي
ووالهفنا يا ليت لهفي يضافرُ
أمصر فقدت الزين والنور الذي
لنورك نور بل لروضك ناظرُ
ونجم السما بل بدرها بل ذكاءها
غيث العلى بل مزنه وهو ماطرُ
ومن ذا الذي لم يستفد من ضيائه
ولكن قليل في الأناسي شاكرُ
وما كان قيس هلكه هلك واحد
ولكن على الأقوام دارت دوائرُ
فطارت عقول والقلوب تصدعت
وزلزلت الغبراء إذ مات ناصرُ
وقد صافحت شتى القلوب وعانقت
بثورتك الكبرى كأنك ساحرُ
وزاد جمال الناس منك محمّل
وعزز دين المصطفى منك ناصرُ
وأبـــرّت أذهانا لتؤتي ثمارها
ولما دنا أن تجتني فاض عامرُ
وكنتَ لأهل الضادِ قلبًا وأيديا
وعقلًا وروحًا للرمائم ناشرُ
وغبتَ فغاب القلب والسمع والحجى
كأنك للأسماعِ والقلب آسرُ
لك المنة العظمى على الدين والورى
حبيب الورى منها ضريحك عاطرُ
وقد ودَّك الرحمنُ إذ ودّك الورى
وسيلهمُ دلّ أنك طاهرُ
كأنَّ رجال النيل إذ مت أنجم
تحبرن مما خرّ بدر محاورُ
فإن مت فاذهب والسلام عليكم
يعاودكم ما كبّر الله ذاكرُ
عليك من الله السلام ورحمة
وروح وريحان ووجهك ناضرُ

- قصيدة طويلة أبرز فيها الشاعر مكانة الرئيس عبدالناصر، وعدد مزاياه، وذكر حزنه وحزن الشعب المصري عليه، وبين من استفاد من وفاة جمال عبدالناصر، ومن تألم لوفاته.

- لخيال الشاعر محمد موسى دور في موسيقا الأبيات، وقد صنع صورًا فنية بلاغية، واستطاع خياله أن يشد إليه القارئ بجمال بعض الأبيات ورونقها، وهو كفاءة

جيدة في الحرص على قوة العبارة العربية، وعدم الانزلاق إلى التفاهة والضعف، ولا يوجد غموض في أبياته، ولا معاضلة في الجمل، وكان واضحًا وصريحًا على الرغم من العلاقة المتوترة بين الهند وباكستان.

- يبدو أن الثقافة العربية عند الشاعر قوية بما قرأ وحفظ من الشعر العربي القديم، وبما حفظ من القرآن الكريم والحديث الشريف، فظهر ذلك في ثنايا أبياته الشعرية، وكانت مشاعره جياشة تجاه زملائه في الهند، وخاصة في ديوبند، ويتذكر بعض مناطق الدراسات العلمية في أماكن هندية، واستطاع أن يوظفها في شعره، وتسير بحسب البحر العروضي والقافية.

****

محمد ناظم الندوي

١٣٣٣ - ١٤٢١ هـ / ١٩١٤ - ٢٠٠٠ م

- ولد الشيخ محمد ناظم الندوي[١] في ولاية بيهار سنة ١٣٣٣هـ، الموافق ١٩١٤م، بعد أن درس المراحل الأولى ذهب على لكناؤ فدخل دار العلوم، ندوة العلماء، وتتلمذ على يد الشيخ محمد تقي الدين الهلالي، وغيره من العلماء، وبعد تخرجه عمل مدرسًا للغة العربية، ثم رئيسًا للقسم، وأصبح عميدًا للجامعة فترة ما، وبعد تقسيم الهند ذهب إلى باكستان ليصبح شيخ الجامعة العباسية، ثم انتدبته جامعة المدينة المنورة للعمل بها، ثم عاد إلى باكستان ليكون نائب رئيس مجمع البحوث الإسلامي.

- أصدر مع زملاء له مجلة» الضياء»، وكان له دور كبير في نشر اللغة العربية في الهند ثم باكستان، وكانت له مراسلات مع علماء عصره، وشارك في تأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وقد أصدر بعض المؤلفات منها:

  - **المنهج الجديد لدراسة اللغة العربية،**
  - **ترجمة خطبات مدراس، في السيرة النبوية لسليمان الندوي.**
  - **باقة الأزهار، مقالات وقصص.**
  - **القصيدة الرائية.**

- من ضمن أشعاره ما نظمه حول الشعر بحد ذاته، يقول في قصيدة :

يا صاحبَ الشعرِ الجزيلِ تنوّعتْ
منك القوافي والبيانُ الأزهرُ
يا نابغَ العربِ الكرام تدفّقتْ
منكَ المعاني والكلامُ الأبهرُ
وملكْتَ ناصيةَ البيانِ وحُزتهُ
سلسَ القيادِ لك الجموح الأنفرُ

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٩: ٢٤٣. حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان ص ٣٣٠.

وملكت من قرض القوافي أمرَها
لم يعص أمرك معضلٌ يتعذّرُ
أبدعتَ في صوغ الكلامِ ونظمهِ
إبداع من يختار كيف يحبَّرُ
صغتَ اللطيفَ من المعاني صيغةً
زال الغموضُ بها فما يتستّرُ
وكشفتَ عن معنى كأنَّ رواءَهُ
روضٌ تبسّمَ أو صباحٌ مسفرُ
واخترت من لفظٍ بديعٍ رائعٍ
فكأنما حلَّ الربيعُ المزهرُ
ونشرتَ من أسرار ما أودعتهُ
شرحًا لما قال النبي الأطهرُ
راعيتَ معنى الشعر مع أوزانه
طبعًا وذلك ما يعزُّ ويندرُ
أحييتَ شعري في بلادٍ لم يكن
عنه بها نبأً أو اسمٌ يذكرُ
ورسالةُ الإسلامِ قد بلّغتها
قومًا تمنينا عسى أن يُخبروا
أعززْ بهم من أمّةٍ محبوبةٍ
اختارهم ربُّ السماء الأكبرُ

• هذه قصيدة شرح بها الشاعر طريقة بناء القصيدة الشعرية لمن يدّعي أنه شاعر، وهذه الحقيقة التي يجهل بعض الناس طريقتها وكنهها، فقد ذكر كل ما يتعلق بالشعر، بالإضافة إلى شعرية النص، وقوة سبكه. وغير ذلك من فنون النظم.

• للشاعر قصيدة مناجاة الله سبحانه وتعالى، وقد نظمها أثناء أدائه لحج بيت الله الحرام، يقول فيها:

بسكتُ يدي راجيًا منك غفرانا
وجنةَ فردوسٍ لديك ورُضوانا
وتبتُ إليك من جميع مآثمي
فرحماك رحماك وعفوًا وتحنانا
حداني الحنين سائقًا نحو بيتك العتيق
الذي قد شيد صدقًا وإيمانا
فطفتُ به شوطًا وشوطًا وثالثًا
وأربعة أشواط وقد تم حسبانا
ذكرتم خاليًا ففاضت مدامعي
ولدة دموع العين تسكب تهتانا
وعهدي بعيني لا تجود بعبرة
فأنّى لها نبع تبجس فيضانا
لعل دموع العين تغسل حوبتي
فتقبل توبتي وتنقي أدرانا
كأنَّ قلوب المؤمنين وقد هوت
إلى البيت طير أمّت الماء حومانا

• هناك كثير من الأحاديث الشريفة التي تتحدث عما في الجنة من المغريات، وما بها من أنهار وثمر وما لذَّ وطاب، وشاعرنا محمد ناظم، نظم قصيدة أورد بها كل ما في الجنة، بحسب ما ذكره القرآن الكريم، والأحاديث، يقول فيها:

طابَ الخلودُ والشباب المزهِرْ
لمن له دار البقاء كمستقَرْ

دارٌ بها الأعمال تحضر نعمةً
كحديقةٍ غنّاء يانعةِ الثمر
تأتي رغائبُهم سريعةَ يرغبوا
نُزُلًا من الله الكريم المقتدر
وإذا اشتهوا شيئًا رأوه امامهم
سرعان ما يأتي كلمحٍ بالبصر
حسناتهم يَمْثُلْنَ في أبهى الصّورْ
ومن المساكن والملابس والحبر
فنعيمها لم تلقَهُ عين البشرْ
كلّا وما بفؤادهِ أبدًا خطر
يجري المعينُ العذبُ تحتَ قصورهم
غللًا يفيضُ إلى الأصولِ من الشجر
دام النعيم فلا تزول ظلالُهُ
حيث الأحبة في الحدائق بالنهر
وما أهنا العيشَ الصفيَّ من الكدرْ
حيث المسرّةُ بالأحبة كالغرر
يتنافسون في رحيق معتصَرْ
يُسقوْنَه متقابلين على السُّرُر
ملء القلوب إخوّةٌ ومودةٌ
إذ لا ضغينةَ في الصدور ولا كدر
نِعم الحياةُ مع النواعم كالمها
تم السرور مع الأوانس كالقمر
روحٌ وريحانٌ وجنّةُ نعمةٍ
تصفو الحياةُ فلا ينغّصها الكدر
طابت معيشتهم وطابوا مضجعًا
سكنوا إلى البيض الكواعب كالدّرر
واتتهمُ النعمى فواكه والثمرْ
ومن الرياحين الجنيّةِ ما ازدهر
ولهم رواحٌ في الحدائق بالعشيْ
ولهم غدوٌّ للتنزه بالبُكر
لا يسكرون وبالحمَيّا ما دَرَوْا
طابت أحاديث الأحبة كالغرر
خمرٌ ولا سكرٌ وصحوٌ دائمٌ
طاب الحوارُ فلا البذاء ولا الهذر
يتنازعونَ في شرابٍ معتصر
حيث المجالس فوق فرشٍ من خضر
جلسوا ندامى شاربين أحبّةً
متراوحين على الصبوح المختمر
ولهم مسارب في الحدائق بالربا
متفرجين على المنابع والخمر
متقابلين على الأرائك إخوةً
متحدثين من الحوار بما يَسرّ

• قصيدة نظم للأحاديث والآيات الكريمة، ودور الشاعر هو تنظيم الألفاظ في قوالب البحر العروضي، وهذه تشبه ألفية النحو، فلا خيال شعري، ولا صور بلاغية.

• وله في وصف القلم، فقد أهدى الشيخ سليمان الندوي قلمًا إلى شاعرنا الشيخ ناظم، فنظم قصيدة في القلم يقول فيها:

أهدى إليَّ سيدي
قلمًا رشيقًا من دكن

أغلى من اللؤلؤ وأر
شقا من القد الحسن
هو خير ما يهدى إلى
من يبتغي الذكر الحسن
يا حبذا تلك العلى
من ماجد حبر الزمن
كم معدم نال به
مالاً عظيمًا في المحن
كم صاغر عزَّ به
ونال مجدًا بالوطن
كم مفحم ألقى به
خطبات سَحبان اللسن
كم خامل يسمو به
فيظل يعرف بالعلن
تفري الأمور بحده
ولمجده يعنو الزمن
يسقي الجديب بنبعه
فإذا به روض أعن
سيف صقيل في الوغى
موت ذريع بالزمن

• لا شك أن للقلم مكانة عند الكاتب والشاعر، وقال الله تعالى: «والقلم وما يسطرون» وقال: «إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم.» وشاعرنا وجد في القلم كل الخير والرفعة والمكانة الاجتماعية الكبيرة.

• تفتخر الهند بأثر خالد هو من صنع أحد ملوك المسلمين في الهند، وهو شاهجهان، ذلك هو تاج محل، وشاعرنا نظم قصيدة يصف بها ذلك الأثر العجيب، يقول فيها:

لله در ما بناه شاه جهان
هو بسمة تعلو على ثغر الزمان
أو زهرة بيضاء تزهو في الجنان
أو درّة تلمع في جيد الحسان
أو دمية من مرمر لممثل
متألق في صنعه ومفصل
صنع يكاد فنه يتكلم
ببراعة في نحته أو يبتسم
وكأنه فص جميل أروع
في خاتم الأرض يروق ويلمع
هو ماسة حجرًا وزهر روعة
يحار من يرنو إليه حيرة
ويروع منظره ويخلب لبه
متوسمًا حيران يلمس جنبه
وإذا نظرت إليه أول نظرة
أكبرته وقلت أجمل درّة

• كان الشاعر صديقًا للشيخ أبي الحسن الندوي وزميلًا له في ندوة العلماء، وقال عنه إنه قليل نظم الشعر، غير أن الشاعر الشيخ ناظم له قصائد متنوعة منها الاجتماعية والسياسية، والوصف والمديح، وقد استخدم بحور الشعر العربي، مع تنسيق بين اللفظ والمعنى.

- نظم شاعرنا قصائد متأثرًا بما حفظ من شعر العرب، ونظم في الوصف والرثاء، وقد استعمل خياله وصنع بعض الصور الفنية، وكان أسلوبه سهلًا ميسرًا، وأبياته معبرة عن الفكرة، غير أن موسيقاه قليلة وجزء من أبياته جميلة، وفيها رونق وجمال.

- أثنى على شعره بعض الزملاء له، كذلك بعض الكتاب، ولكن الصلة انقطعت مع زملائه بهجرته إلى باكستان، ليواجه القدر المحتوم سنة ٢٠٠٠م.

****

محمد هاشم السورتي

١٢٥٦ - ١٣١٥ هـ / ١٨٤٠ - ١٨٩٧ م

- هو الشيخ محمد بن هاشم بن محمد بن علي بن أحمد بن علي اللونتي السامرودي السورتي[1]، ولد في سامرود في الهند سنة ١٢٥٦هـ، الموافق ١٨٤٠م، وتتلمذ على أيدي الشيخ رحيم الدين بن محيي الدين، والشيخ عبدالله بن عبدالوهاب السورتي، والسيد علي أحمد السوندي، والشيخ حسين بن محسن اليماني، والشيخ نصير الدين أحمد، والمحدث نذير أحمد الدهلوي، وغيرهم، ودرس الفقه والأصول والعربية والفارسية، والأردو.

- له عدة مصنفات منها:
  - **نيل المنى في التقصير بمنى.**
  - **الأقوال الإيمانية في شرح الأربعين السليمانية.**
  - **ترجمة صحيح البخاري.**
  - **تسيير السير في وجوب التقليد على السعة والتخيير.**
  - **جواهر النظم.**
  - **كتاب في الفرائض.**
  - **ترجمة القصيدة التائية لأبي بكر المقري.**
  - **أرجوزة في علم النحو.**
  - **مصباح المجالس في مدح المني.**
  - **وله غير ذلك من الرسائل.**

- نظم قصيدة في مدح شيخه جمال الدين موسى السورتي، يقول فيها:

قد كنتُ من بعد سماع صفاتِه
فوجدتها أضعاف وصفِ فِخامِ
ورأيته علمًا دليلاً حجّة
لسالكي المنهاج خيرِ إمامِ
لما بلغْتُ الأربعين بغفلةٍ
وابيضَّ رأسي شيبه كثغامِ

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨: ٤٠٢. مؤسسة عبدالعزيز البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٩: ٣٠١.

أنـا غـافـلٌ مـتـكـاسـلٌ مـتـساهـلٌ
مـتـرهّـلٌ مـسـتـأهـلٌ لمـلامِ
فـصـرفـتُ فـي لـعـبٍ ولـهـوٍ كلّـها
وبـنـومٍ وشـربٍ وأكـل طـعـامِ
نـفـسـي جـمـوحٌ سـرحـةٌ أمّـارةٌ
بـالـسـوءِ لا تـلـوي بـغـيـر حـرامِ
حـتـى تـسـوّد واقـتـسـى لـذنـوبـها
قـلـبـي بـسـود نـكـاتـهـا كـسـخـامِ
وعـلـيـه ران بـشـؤمـها فـاشـتـدَّ كالـ
ـحـجـر الصليبِ على سـواد فحامِ
فكأنه حجرٌ بحجْري محْجَرٌ الشـ
ـشيطان بـالـوسـواسِ والإيـهـامِ
فمتى الرقيُّ يجوبُ عقْباتٍ لها؟
لـعـلـى بـعـيـر الجـاذب المحـرامِ
فـأخـذتُـه شـيـخَ الـطـريـق ومقـتـدى
أسـلـمـتُ فـي يـده وزمـامـي

• هذه قصيدة في الشيخ جمال الدين، وهو أستاذ الشاعر، الذي أخذ بيده على الطريق القويم، شرح في هذه القصيدة حاله وسلوكه قبل أن يلتقي بذلك الشيخ، فقد ارتكب المعاصي والمحرمات، ولكن قيّض الله له ذلك الشيخ المبجل ليرشده إلى الطريق الصحيح، لذا كان للشيخ فضل كبير على الشاعر.

• وأيضًا نظم قصيدة مدح بها شيخه المحدث نذير أحمد الدهلوي، استخدم الشاعر محمد بن هاشم الطريقة العربية القديمة في النظم، واختار قافية من قوافي الذلل، وأتى بالألفاظ المعبرة عن الفكرة، فهو يشير بطرف خفي إلى تأثير الأستاذ عليه، وتمكن من تناسق اللفظ والمعنى، واستعمل خياله في تصوير المواقف التي كانت في سنين حياته، غير أن الصور الفنية كانت قلية وليست واضحة بقدر سرد وقائع حياته، وغاب عن هذه القصيدة جمال الأسلوب، والسبك الجيد للأبيات، وحلاوة الفن الشعري، ولكن المعنى كان جيدًا، والهدف كان واضحًا مع شيء من الغموض في بعض الفقرات. وتوفي الشاعر سنة ١٣١٥هـ، الموافق ١٨٩٧م.

****

محمد يوسف البنّوري

١٣٢٦ - ١٣٩٧ هـ / ١٩٠٨ - ١٩٧٧ م

• ولد السيد محمد يوسف بن السيد محمد زكريا بن مير مزمّل شاه بن مير أحمد شاه البنوري الحسيني[١] في بيشاور (باكستان) سنة ١٣٢٦هـ، الموافق ١٩٠٨م، ينتهي

(١) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٤٢٧.حامد أشرف همداني، الشعر العربي في باكستان ص ٣٤٠.

نسبه إلى الإمام الحسين بن علي- عليه السلام- درس القرآن الكريم على يد أبيه وخاله، ثم ذهب إلى كابل (أفغانستان) في عهد الأمير حبيب الله خان، وكان طفلًا صغيرًا، ودرس المرحلة الإبتدائية، ودرس النحو والصرف والفقه وأصوله، والمنطق والمعاني، ثم ذهب إلى ديوبند وقرأ الحديث والتفسير في دار العلوم ديوبند، ثم أكمل دراسته في جامعة دابهيل بولاية غجرات، وكان أستاذه الكبير أنور شاه الكشميري، الذي استفاد منه كثيرًا.

- كان السيد محمد يوسف عضوًا في عدة جمعيات إسلامية منها:
  - عضو مجمع البحوث الإسلامية في القاهرة.
  - رئيس جمعية علماء الهند.
  - رئيس جمعية العلماء ببشاور.
  - عضو لجنة أوقاف بومباي.
  - رئيس المدرسين في الجامعة الإسلامية بدابيل.
  - مدير المدرسة العربية الإسلامية. عضو المجمع العلمي العربي بدمشق.
  - عضو جامعة كراتشي، في لجنتها الخاصة.
  - رئيسًا لوفاق المدارس العربية بباكستان.
  - وهو عضو أيضًا مراكز علمية أخرى مختلفة.
- للشاعر السيد محمد يوسف عدة مؤلفات منها:
  - معارف السنن، في شرح سنن الترمذي.
  - نفحة العنبر في حياة الشيخ أنور.
  - مقدمة فيض الباري، شرح صحيح البخاري.
  - يتيمة البيان في شيء من علوم القرآن.
  - المودودي وشيء من حياته.
  - فص الختام في مسألة الفاتحة خلف الإمام.
  - له مقدمات كثيرة قيمة، التي جمعت باسم «المقدمات البنورية».

- يتمتع الشاعر بقدرة كبيرة على النظم باللغة العربية، وكان محبًا للعربية ويفتخر بها، حتى ظنَّ علماء العرب أنه عربي قح، لا هنديًّا، وكان ينظم شعرًا في اللغات الثلاث؛ الفارسية والأردو والعربية، وقد نشرت مجلة «الإسلام» المصرية قصيدة له تتعلق بالإسراء والمعراج، يقول فيها:

هامَ الفؤادُ بحبِ الغيدِ وا أسفا
فمقلتي مزنُها بالوجدِ قد وكفَا
فالنفسُ تصلي بنارِ الحبِّ من ولهٍ
والعقلُ في شركِ الأهواءِ قد خطفا
قد كنتُ أحسبُ أنَّ العزَّ مبتعدٌ
عن الغرامِ وما إن خلتهُ شرفا
حتى غدا لي شغلًا شاغلًا أبدا
وصرتُ بالصدِّ والهجرانِ ملتحفا
فتارة طيف سلمى مؤنسي وهنًا
وتارة حب سعدى مضرمي أسفا
وتارة شغف الهيفاء مستعرٌ
ومثله شغف العجزاء قد قصفا
وتارة من عناق الطيف في طربٍ
وتارة من رضاب الطيف قد رشفا

قالوا عهدناك طبًّا سالكًا أبدًا
سبل الرشاد فهلّا دمت معتكفا
فقلتُ إنَّ الهوى صعبٌ صيانته
إن كنت مستترًا فالود قد كشفا
بيض الخرائد قد شيّبنني ولهًا
سود الغدائر قد أبدين لي الوحفا
خود وغيدٌ وعطباء وبهكنة
خدٌ وطرفٌ كحيل معصم وقفا
قد تسحر الخفرات الغيد رافلة
في الحلي غرًا كقلبي إذ دنا فهفا
ما البان والطللُ العافي ودمنته
سوى توقد قلب للغرام صفا
يا ويح قلبي أراه الهوى شعبًا
شتى ومظلمة الأرجاء فاختطفا
يصلي بها لهبًا يذكي بمنسكب
من دمعه أنّ غدا للحب مزدلفا
فالنفس حامية الأنفاس من شغف
والقلب في لجج الأهواء قد تلفا
والعقل مضطرب قد حار في شعبٍ
إذ ظلَّ لا يهتدي للهلك منصرفا
نفس غوت فهوت فيما تكابده
قلب غوى فهوى إذ حاله عرفا
لا ذكر لا فكر لا وعظ ينبهه
وما له مرشد إذ ضل معتسفا

• لقد بدأ الشاعر قصيدته على عادة الشعراء العرب القدامى بالنسيب، ثم يعرج على مديح رسول الله-صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- بقوله:

نَعَم بأشرف خيرِ الخلقِ كلّهمُ
بهديهِ يرتجى للسقم منه شفا
هو الرسولُ الذي أولى الأنامِ هدى
وشقَّ من نورهِ مما حوى صدفا
محمد صفوة الباري ورحمته
وأحمدُ خيرِ خلقِ اللهِ إذ وصفا
محمد جاءَ بالقرآنِ معجزةً
دامت لنا روضةٌ مخضرةٌ أنفا
فاقت حقائقها راقت دقائقها
تهديكَ نورًا مبينًا للقلوبِ شفا
وسيد العرب العرباء من مضرٍ
وسيد السادة الأمجاد والشرفا
وسيد الواطئين الأرض من بشر
طه وسيد من يأتي ومن سلفا
هو المتمم بعد الرسل أجمعهم
مكارمًا كان فيها خيرَ من خلفا
أين القلوبُ التي من قدره اطلعت
أين اللسان الذي يبدي بما اتصفا
الله أنزل في التنزيل مدحتَهُ
كفى بمدحته العلياء ما وصفا
والله ينعتُه في نظم معجزة
تتلى دوامًا فيا سبحان ما رصفا

• شاعر موهوب صنو لشعراء العرب، هكذا يكون المديح، حلو الطرح، جميل الألفاظ ومتناسق الكلمات، جيد السبك، وحلاوة في السمع، ونغم في الصور الفنية، وقد طبعت قصائده العربية باسم « القصائد البنورية». ولشاعرنا المبدع قصيدة أخرى تشتمل على ثلاثة وسبعين بيتًا من الشعر العربي الفصيح، يتحدث فيها عن شمائل رسول الله-عليه أفضل الصلاة والسلام- وصفاته العالية، يقول فيها:

طافَ الخيالُ من الحبيب فزارا
فاهتزّ قلبُ المستهامِ وطارا
سرت المسرّةُ في العروق جميعها
كدمِ الحياةِ سرى هناك ودارا
طيفٌ بدا يجلو الهمومَ رواحهُ
روح الحياةِ وسرّه إذ سرى
قر العيونِ بشيمةٍ من برقةٍ
فلهُ جمالٌ يعجبُ الأبصارا
لا غرو طيفٌ في الزمانِ مباركٌ
طيفُ النبيِّ الأبطحيِ ديارا
يا مدنفًا في حبهِ وجمالهِ
متحيِّرًا لكمالهِ إكبارا
ألقى عليكَ شمائلًا من حسنهِ
في عقدِ دُرٍّ يُعجبِ الأنظارا
هو أدعج كحلِ العيونِ وأبلج
أقنى أزج وأهدب أشفارا
طلق الجبين إذا تبسّم ضاحكًا
فاقت أساريرُ الجمالِ نضارا
فجبينهُ كالبدرِ يشرق دلجه
قد فاقَ بدرًا وجههُ إذ نارا
وتشعشعت أنوارهُ بجبينهِ
متهلّل سيماءهُ أنوارا
ما الشمسُ جرزاه وماذا بدرها
بجمالِ وجه للرسولِ أنارا

• حقيقة الشاعر أن تفكيره وخياله ينطلق من تفكير العرب وثقافتهم، القصيدتان رائعتان، وقد أبدع أيما إبداع في خلق صور جميلة، وعبارات لطيفة، وموسيقا منسابة كالحرير، أو كالماء الزلال، والشاعر فنان ومبتكر للصور والتراكيب اللغوية، أظهر في القطعتين مهارة فذة في النظم العربي، وأتى بما لم يأت به معظم الشعراء.

• أرسل الشاعر رسالة إلى صديقه الشيخ عبدالحق نافع يصف فيها كتاب «الروض الأنف» للسهيلي، يقول فيها:

بهاء العلم في روض نراهُ
وترتاحُ الكئيب إذا رآهُ
فروض الأنف من علوم
لمن يأتي بفهم أو أتاهُ

صغير حجمه مع كبر علمٍ
فمن يقرأ ويفهمه دراهُ
ففيه كنز علم أو جبال
بحار أو معين من ارتواهُ
فروض الأنف زانته علوم
من النحو البديع وما حواهُ
فروض قد حوى ثمر العلوم
فمن يقدر به يقطف جناهُ
ومن يطعم حلاوته بحظٍّ
يجد في قلبه ذوقًا سواهُ
يجد في صدره علمًا عظيمًا
من الأسرار من يقبل هداهُ
يجد في جيده مضنون علم
لمن يجلي رخيصًا من حلاهُ
وفيه من بديع العلم نور
فمن يهدي به يأخذ مناهُ
زهور أو بدور أو بحورٌ
فلا أدري بوصف ما دناهُ
ومن يفتح به باباً يصادف
خرائد سافرات في فناهُ
ومن يدخل به فصلاً يجدهُ
كنوزًا من صريف قد حواهُ
فقد جلت فوائده وعزت
ففيه من علوم منتهاهُ

- وهكذا يصف الشاعر هذا الكتاب القيم، وما فيه من علوم نافعة، ولكنه يطلق العموم، ولا يبين بعض التفاصيل من فصول الكتاب.

- استخدم الشاعر بحور الشعر العربي القديم، مع قوافي ذلل، فتيسرت أموره في اختيار الألفاظ المناسبة للفكرة، وصنع تناسقًا بين اللفظ والمعنى، وأدرك أهمية الخيال في الشعر فصنع صورًا خيالية فنية عجيبة، فترك الأبيات تهتز طربًا لجمالها، ورونقها الفتان.

- يبدو أن الشاعر يحفظ كثيرًا من الشعر العربي، فظهر ذلك في بعض الأبيات، كما ظهرت بعض العبارات التي وردت في بعض قصائد العرب، ولذا كان أسلوبه وطريقته مميزة عن سائر شعراء العربية في الهند، من ناحية جمال الأسلوب ودقة العبارات وسبك الجمل وتناسق الألفاظ.

- نظر الشاعر إلى أن الممدوح هو رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- لذا حاول أن يعطيه أجمل الصفات وأفضلها في وصفه للرسول، فجعله كالعروس ليلة زفافها، مع هيبة الرؤية، وعظم اللقاء، وهذا يدل على عمق تفكير الشاعر في كيفية وصف سلوك الرسول، وما يتمتع به من شمائل، ولم تكن القصيدتان تحتويان على الألفاظ النادرة، أو الحوشية، بل كانت سهلة المنال، قوية التأثير، فلا يوجد معاضلة ولا غموض في فهم الأبيات.

****

محمد يوسف السورتي

١٣٠٧ - ١٣٦١ هـ / ١٨٨٩ - ١٩٤٢ م

• هو الشيخ أبو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن علي اللونتي السامرودي السورتي[١]، ولد بسامرود سنة ١٣٠٧هـ، الموافق ١٨٨٩م، قرأ المختصرات من العلوم، ثم درس عند المولوي عبدالسلام الدهلوي، والمولوي عبدالوهاب الملتاني، والمولوي شرف الدين، ثم تعلم الأدب والعروض والقافية واللغة العربية على يد المولوي يوسف حسين الخانبوري، ثم رحل إلى حيدرآباد وقرأ عند الشيخ محمد طيب بن محمد صالح الكاتب، وقرأ المنطق والحكمة والأدب.

• كان الشيخ محمد متضلعًا في الأدب والشعر، والصرف والنحو، والأخبار والأنساب، وكان يحفظ آلاف الأبيات الشعرية، وكان متقنًا لمادة الأدب وتدريسها للطلاب، فعمل استاذًا في الجامعة الملية الإسلامية في دلهي، ثم ذهب إلى الجامعة الرحمانية في بنارس، وبعدها ذهب إلى بومباي وعمل في مدرسة لأهل الحديث، وكان محبًا لجمع الكتب والنوادر.

• له عدة مصنفات منها:

- مقدمة في الصرف.
- مقرب في النحو.
- الزيادات الوافية على الكافية الشافية.
- شرح ديوان حسان بن ثابت.
- أزهار العرب، ديوان شعر.
- ترتيب قاموس لغوي عربي-أردو.
- تصحيح كتاب الأفعال لابن القطاع.
- ترجمة تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات.
- تصحيح كتاب الكفاية لابن البغدادي.

• وله كتب أخرى. كما أنه نظم عدة قصائد ومقطعات، منها قصيدة رائية يقول فيها:

أقولُ لنفسي في الخلاء ألومها
لكِ الويل ما هذا التخشعُ والذكرُ
ومن أجلِ أن خانت عهودك عصبةٌ
يهمهم الدنيا وما إن لهم عذرُ
هم بسطوا تلك الأماني حقبة
فلما اطمأنَّ الأمرُ واستحصدَ الأمرُ
وبانت بناتُ الشوقِ يحنن نزعًا
وضم الحشا منها الحباب فلا صبرُ
وكانوا طويلًا يأملونَ خيانتي
فما خنتُ يومًا ولا غالهم مكرُ
على غيرِ شيءٍ قلبوا لي مِجنهم
وضحوا بقلبي ضحية ما لها نكرُ
ولم يرقبوا ولا الدين راعهم
ولا سطوة الله العزيز ولا العذرُ

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٦٢.. عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨: ٤٠٤.

ولا رحموني إذ منيتُ بشقوةٍ
ولا حفظوا في الودادِ فما درّوا
أتشكو فما الشكوى تفيدُ ولا البكا
بمغنٍ فتيلًا لا ولا شأنك الخترُ
ولا أنت ممن يكثرُ القيلَ في الخنى
ولا دأبُكَ التملاق يومًا ولا الهجرُ
أم السلو والهجرانُ من غيرِ بغضةٍ
أحبُّ بلي إنَّ السلو له إصرُ
وكم قد منيتُ من زمان بغصة
وفجعٍ ونقصٍ فاصطبرتُ لها صخرُ
فلا تُشمتي الأعداء يا نفسُ إنّني
صبورٌ على العسراءِ إن غرّني دهرُ

- قصيدة رائعة تعبر عن مكنون قلب الشاعر، وتظهر براعته، وقدرته الفنية في النظم العربي، وهذا شاعر مبدع ومفكر، واستطاع أن ينظم قصيدة تحتوي على كل أدوات النظم، واستخدم بحرًا عروضيًا، وقافية ذللًا، ووصف حاله بعد تلك المواجهة مع الخونة، وطغى خياله على أفكاره وجاء بعدد من الأبيات الرصينة، وجيدة السبك، والقدرة الفنية المتكاملة.

- له مقطوعة يذم بها قثاء التوك، ويمدح البطيخ، يقول:

لا تأكلنَّ إما مررت التوكا
قِثاءَهُ فإنَّ فيه النوكا
أقبحْ بهِ من منظرٍ يدهوكا
يظلّ في الإعياءِ منه فُوكا
واخضم من البطيخ ما يزهيكا
فإنه السردي الذي يدعوكا
للأكل والتطراب قد يندوكا

- يتميز الشاعر بقدرته على اختراع جوانب من الفن، فحفظه لآلاف القصائد الشعرية جعله ذا موهبة فريدة، وقدرة عالية على تنسيق الألفاظ، وصنع الجمل الفنية، واختيار القافية من الأمور المهمة في النظم، إذ كيف يستطيع أن يبني قصيدة دون التمكن من اختيار اللفظ المناسب، وشاعرنا كان موفقًا في اختيار القافية التي تتناسب مع الفكرة والبحر العروضي.

- لا شك أن الشاعر يمتلك قدرة كبيرة للنظم العربي، وحفظه للشعر مكنه من الإبداع في صنع القصيدة، فهو متمكن من بحور الشعر العربي، ومن القوافي كلها، ومن الحس الموسيقي، بحيث استطاع أن يخرج لنا صورًا فنية بلاغية تجعل القصيدة تتمتع بالجمال والفكر المتزن، والعمل الفني الخالص.

- القصيدة عند الشاعر عبارة عن قصة تتلاحق فصولها، ويستطيع بكل جدارة أن يجعل من القصيدة قصة!! فهو قادر على النظم، ويستطيع أن ينظم بحسب ما حدث له من الناس، وكأنه ينظم قصيدة شعرية، وهو يمتلك فكرًا نيّرًا، وخيال واسع لصنع قصيدة يستمتع القارئ بقراءتها، واستعمل الألفاظ العذبة، والجمل المعبرة عما يريد، وهذه مقدرة كبيرة للشاعر المبدع.

****

محمد يوسف الكاملبوري

٠٠٠ - ١٣٨٩ هـ / ٠٠٠٠ - ١٩٦٩ م

• ولد الشيخ محمد يوسف في بلدة أكهوري[١] (مديرية كاملبوري)، تلقى تعليمه الأولي في بلدته، ثم التحق بالجامعة الإسلامية في دابهل، وبعدها في عدة جامعات، حتى أتقن العلوم الشرعية، فعمل مدرسًا في المدارس للعلوم الشرعية، وألف رسالة في الميراث في الإسلام، وكتابًا حول المسائل المالية الإسلامية وله تكملة الحاشية على تخريج الزيلعي.

• شاعر مناسبات دينية، ولا يخرج عن أسلوب الدعوة والإرشاد، ويتتبع النمط العربي القديم في النظم، فهو يختار البحر الخليلي والقافية الموحدة، ومن قصيدة له بعنوان: عين معين، يقول فيها:

فلقَ المديحُ وذرَّ نورُ ذُكاءِ
وبدا مُحيّا الصبحِ بعد مساءِ
والأرضُ مشرقةُ الربى مخضرّةٌ
تزهو برونقِ وجهها ورُواءِ
موشيَّةُ الروضِ الأريض كأنها
خودٌ جلَتْ بمنصةٍ علياءِ
بادٍ بها من روضةٍ أنُفٍ بها
عينٌ مَعينٌ للهُدى وعلاءِ

• وصف جميل لفترة الصبح المشرقة، وبخاصة إذا كان الجو معتدلًا، والنسيم الهادئ يمر عبر أشجارها، في روضة جميلة. كما أن له قطعة بعنوان « لواعج الأشواق: يقول فيها:

تَبسّمَ برقٌ في بُكاء غمامةٍ
أسالَ دموع العين تشبه عَنْدَما
وأخرى غرامًا من لواعج شوقٍ من
أرى فيها بالمهاة وأرثما
قضيتُ بأعلاها كثيب بأسفلِ
وتصمى فؤاد بالنبال فتكتما

• وللشاعر قصيدة رثاء في أستاذه العلامة الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، يقول فيها:

خطبٌ ألمَّ فأسبلتْ أجفاني
والنائباتُ مثيرةٌ أشجاني
خَطبٌ أناخَ أجلُّ من حِدْثانِ
بالمسلمين ومِلّة الإيمانِ
هَمٌّ غوارِبُه مقلقِلَةُ الحشا
ألقت عليَّ كوارثَ الحِدثانِ
صُمَّتْ به الآذانُ ثم تصدَّعتْ
أكبادُهم بفوادح الأحزانِ
هَمٌّ مقيمٌ لا يزالُ أخو هوًى
يُعنى به إذ بالسهامِ رماني

(١) مؤسسة البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ١٩: ٣٥٦.

نـزلـتْ عـلـى الإسـلامِ كـلّ فـجـيـعةٍ
يُـخـشـى تـتـابـعُـهـا كـنـثـرِ جُـمـانِ
فِـتَنٌ عـلـى فـتنٍ كـلـيـلٍ مـظـلـمٍ
طـرقـتْ عـلـيـه مـا لـهـنَّ يـدانِ
أمسى غريبًا في الديار كما بدا
مِـن مـوتِ مَـنْ هـو حـامـلُ الـقـرآنِ
من موتِ من قد كان أعلمَ عصرِهِ
شيخِ الحديثِ وصاحبِ الإتقانِ
نبكي إمـامَ الحـق مـولانـا الـذي
ورث الـنـبـيَّ وعـلـمَـه الـرّبـانـي
حِـكـمٌ يمـانـيـةٌ فـقـدتُ مَـعـيـنَـهـا
لـمـا قـضـى بـالـروح والـريـحـانِ
مـولـى الأنـامِ وغـرَّةُ الأيـامِ
وخـلاصـة الأعـوامِ والأزمـانِ
أو كـوكـبٌ يـجـلـو بطلعته الدُّجى
أو شـامـةٌ فـي وجـنـة الأكـوانِ
ثـقـةٌ وراويـةٌ وحَـبْـرٌ مـاهـرٌ
شيخٌ رصـينُ الـعـلـمِ ذو الإحـسـانِ
عـيـنٌ مـعـيـنٌ لـلـحـديـثِ وفـقـهُـهُ
رِيُّ الـغـلـيـلِ سِـقـايـة الـعـطـشـانِ
خـيـرُ الـعـشـائـرِ والأخـايـرِ أسـوةٌ
ذخـرُ الـذخـائـرِ مـبـتـغَـى الإحـسـانِ
بـحـرُ الـبـحـارِ عـلـى عـذوبـةِ مـائـهِ
صـدرُ الـصـدورِ ونـخـبـةُ الأركـانِ
من ذبَّ عن دينِ النبيِّ وحوزة الـ
إسـلامِ فِـريـةَ مـفـتـرٍ ولـسـانِ
من ألـفَ الأسـفـارَ فـي سـبُـلِ الـهـدا
يـةِ نـاضـحًـا عـن أخـيَـرِ الأديـانِ
دفـع المطـاعـنَ حـينَ جَـدَّ مشَـمِّـرًا
عـن خـيـرِ ديـنِ نـبـيّـه الـعـدنـانِ
رضـي الإلـه وأحـمـدٌ مـخـتـارهُ
عـنـهُ بـأوسـع رحـمـةٍ وحـنـانِ
هـو رحـلـةُ الـعـلـمـاء والـلُّـجُّ الـذي
لا يـنـتـهـي مـن كـثـرة الـعـرفـانِ
ولـهُ الـفـضـائـلُ والـفـواضـلُ جـمّـةٌ
لا يُـرتـجـى إحـصـاؤهـا بـبـيـانِ
بَـرٌّ وبـحـرُ مـكـارمٍ ومـآثـرٍ
لـغـرائـبِ الـتـنـزيـل كـنـزُ مـعـانِ
ولـه أحـاديـثُ الـعَـلاءِ تـواتـرت
سـارت بـهـا الـركـبـان فـي الـبـلـدانِ
وإذا جرى في سردِ أخبار الـنـبيْ
ـيِّ رأيـتـه يـسـمـو عـلـى سُـفـيـانِ
في الجرح والتعديل والتحسين والتْ
ـتَـضْـعـيـف قـدرةُ أمـةٍ بـزمـانِ

• قصيدة طويلة أبدع بها الشاعر في رثاء فقيد العلم والعلماء الشيخ أنور شاه الكشميري، فقد أعلن عن حزنه وكآبته لوفاة الشيخ، ثم أخذ يعدد مزايا المتوفى، وسعة علمه وحفظه للأحاديث والفقه وشعر الشاعر بأن الأمة الإسلامية فقدت بوفاته عالمًا كبيرًا وفقيهًا لا يشق له غبار، فكانت مشاعره فياضة بالحزن والأسى.

- للشاعر دعوة لقادة المسلمين للنهوض وترك الكسل، وإحياء سياسة شرعية إصلاحية في خدمة الإسلام والمسلمين، فله مقطوعة، يقول فيها:

يا قادةَ الإسلامِ طال بقاؤكم
قوموا وأحيوا ملة الإسلامِ
أجروا نظامَ سياسةٍ شرعيةٍ
فيها صلاحُ رعيّةٍ وإمامِ
ومُرّوا عبادَ الله أن يتديَّنوا
وعليكم بصلاتكم وصيامِ

- دعوة دعاها كثير من المفكرين والأدباء والشعراء وغيرهم، ولكن لا مجيب لدعواتهم، ولم ينتهوا من باطلهم، ولم يبنوا عزة بلدانهم وكرامة أمتهم، وقد اهتم كثير من شعراء الهند بأحوال البلاد العربية والإسلامية، غير أن الواقع لا يسمح لهم بتنفيذ ما يدعو إليه هؤلاء الشعراء.

- يتمتع الشاعر بقدرة كبيرة على النظم باللغة العربية، فهو متمكن من أدوات النظم؛ من البحور التقليدية، والألفاظ المعبرة بحسب اختياره، وتناسق الألفاظ والمعاني المرادة، ولديه سبك جيد للأبيات، ولا غموض، أو معاضلة في الألفاظ، وخياله أخرج مجموعة من الصور البلاغية الفنية، والجرس الموسيقي ظاهر في الأبيات، ولكن اقتصر شعره على الجوانب الدينية، من رثاء ومديح ووصف، وغاب عنه الغزل والهجاء وبقية الأغراض الشعرية.

****

محمود الصديقي

١٣٢٢ - ١٤٠٤ هـ / ١٩٠٤ - ١٩٨٣ م

- ولد الشيخ محمود عبدالصبور بن عبدالمقتدر بن عبدالقادر بن فضل الله الصديقي[١] في مدينة غلشن آباد سنة ١٣٢٢هـ، الموافق ١٩٠٤م، تعلم من والده، ثم التحق بمدرسة ميدر، قرأ كتب الفقه والحديث على يد مولانا عبدالمقتدر البكري، وأخذ التفسير والكلام والفلسفة عن مولانا عبدالقدير الصديقي، وأخذ الأدب العربي من إبراهيم الرضوي، والسيد ني، وتعلم المنطق والهيئة من عبدالواسع الفلكي، والقراءة والتجويد على يد الشيخ فضل علي، ثم حاز على شهادة البكالوريوس في الآداب.

- عمل الشيخ بالتدريس بمدرسة كاما ريد، ثم في مدرسة أخرى، وبعدها التحق بالجامعة العثمانية ليحصل على الماجستير في الأدب العربي، فعمل محاضرًا في كلية ورنغل، ثم في كلية تشادرغات، ثم أصبح أستاذا مساعدًا في الجامعة العثمانية، ثم أصبح أستاذًا في بعض

(١) محمد سلطان محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي ص ٤٤٥.

الكليات، وتقاعد فعمل في المساجد، وفي بيته للطلاب، وله مؤلفات عدة منها:

- عاقبة الخيانة، مسرحية باللغة العربية.
- مفتاح التجويد.
- شرح قصيدة البردة، مخطوط.
- رسالة نغمة الشعر.
- رسالة في أمثال القرآن الكريم، وحكمه.
- دعاء المريد.
- ديوان شعر بلغة الأردو.

- له مقالات باللغة العربية والأردو في موضوعات متعددة، ونشرت بالمجلات والجرائد.

- له قصيدة: عرض الحال لسيد الأبطال، ويعني به الإمام علي بن أبي طالب- عليه السلام-، يقول فيها:

قم يا أبا تراب
وانظر إلى المصابِ
الأرض في التبابِ
والعيش في الصعابِ
أقدِمْ لرد الحالِ
يا صاحب المعالي
اليومُ مسلمونا
في عهد غابرينا
لله قانتينا
بالبر فائزينا
ذا الوصف في الرحال
من فكرة المآلِ
دم أنتَ في السماء
كالبدر في الضياء
كالطفلِ في العطاء
كالغيث في السخاء
مثلك في النوال
والله ما بدا لي
في خصمنا الجفاء
في طبعنا الرخاء
نفسي لك الفداء
فاحكم بما تشاء
بالروع والجلال
والفضل والجمال
مزق معانديناً
شتت مخاصمينا
وانظر مسابقينا
والطف بسائلينا
مدت يد السؤال
للفوز والنوال
يا مظهر العجائب
يا منبع الغرائب
يا دافع المصائب
يا قامع النوائب

بـــــــدّل مـــــســـــاء حـــالـــي
صـــبـــحًـــا بـــــلا زوالِ

• قطعة واحدة لا غير، ويبدو منها أنه متمكن من اللغة والنغم الشعري، ولكن الرجز لا يكون في مستوى القصيد، من حيث القدرة الشعرية عند الشاعر، فهو ناظم، وإن كانت عاطفته قوية، وموسيقاه واضحة في النظم، ولكن الحكم عليه ناقص لعدم وجود نص آخر لمعرفة قدرته الفنية.

****

محمود الطيب القاهري

١٠٧٨ - ٠٠٠ هـ / ١٦٦٧ - ٠٠٠٠ م

• ولد الشيخ محمود بن عبدالقادر الطيب القاهري[١] في كايل باتنم سنة ١٠٧٨هـ، الموافق ١٦٦٧م، درس العلوم الأولى في قريته، ثم على يد العلامة الشيخ صدقة الله أبا، وتعلم لغة الأردو والفارسية والعربية، وأخذ يقرض الشعر، وله قصيدة مشهورة باسم: كتاب رزانة العلم، يقول فيها:

رزانـــة الـعـلـم مـن كـانـت تـثـقـلـه
يمشي بـها خـاضـعًـا مـقـدار أثـقـالِ
ويسجد الغصن بالأثمار إذ حملت
أشـجـاره دالـيـا مـن بـعـد إدلالِ
ومـن لـه رفـعـة بـالـعـلـمِ والـنـسـبِ
لـه الـتـواضـع منها أحسن الصفةِ
أمـا تـرى أنجـمًـا فـي داخـلِ الـغـدر
تحـلّ لـيس لـهـا مـن ذاك مـن ضعةِ
ولـيس يـعـرف فـضـل الـعـلـم جاهله
ولـو قـريـبًـا إلـى مـن عـلـمـه الـديم
مـا لـلـضـفـادع خـيـشـومٌ لـنـوفـرة
بـل لـلـدخـاخـل مـن بـعـدٍ لـهـا شـمـمُ
كـمـثـمـرٍ مـائـل لـلـقـم يـنـتـفـع
بـثـمـره غـيـر مـن يـسـقـيـه مـنـتـظـرا
وذات خـلـق كـريـم لا تـفـارقـهـا
فـإنـهـا لـك مـن شـقـيـقـة الـروحِ
زوجـان مـن كـروان فـوق غـصـنـهـمـا
بـاتـا عـنـاقًـا ولـو فـي شـدة الـريـح
مـثـل الأوز ولا درّ وغـربـال
كـن يـافـتـى عـنـد تـعـلـيـم الأسـانـيـدِ

• شاعر متمكن من النظم العربي، ولكن مع شديد الأسف لم أقرأ له أبياتًا غير هذه القطعة، ولكن يظهر قدرته في

(١) تاج الدين المناني، اللغة العربية في تاميل نادو (بغداد: دار الفراهيدي) جامعة كيرلا ص ٣٣١.

النظم، وتمكنه من بحور الشعر العربي، وحفظه للألفاظ العربية، وقدرته على تناسق اللفظ والمعنى، لكنه وضع عدة قوافي في القصيدة، ربما ليسهل عليه النظم، أو لتناسب بعض الألفاظ للفكرة التي هو بصددها، والموضوع كان جيدًا، ويريد توصيل الفكرة للقارئ.

- أبدع الشاعر محمود في اختيار الموضوع، واختيار اللفظ والمعنى، كما أبدع في سبك الأبيات، ومع خياله الواسع في إخراج صور فنية بلاغية، فالقارئ يطرب لسماع موسيقا هذه الأبيات، وقد حشاها بالجرس الموسيقي، فظهرت جميلة المبنى والمعنى، وحرص الشاعر أن يضمنها أمثلة على المتعلم والجاهل، من خلال الطبيعة، التي يعيش فيها، ويلاحظ مخلوقاتها.

- واستعمال التمثيل لتقريب الفكرة من القارئ، أو السامع، وقد أحسن الاختيار بين التركيب اللفظي ودقة المعنى، كما أنه اعتنى بسلوك العالم، وسلوك غيره من الناس من حيث التواضع، والقدرة على التمتع بنعمة العلم، فهي من رب العالمين، فالعالم له أخلاق مختلفة عن الجاهل.

- يحاول الشاعر أن يبرز قدرة العالم ليتخذه الناس قدوة وطريقًا للسلوك والفهم للأمور، فالعالم يصمد أمام التجريح أو النقد، والجاهل يرد بالطعن والاستكبار، أمام تواضع العالم.

****

محمود محمد النقشبندي

١٣٣٨ - ١٤٠١ هـ / ١٩١٩ - ١٩٨٠ م

- ولد الشيخ المفتي محمود بن مولانا محمد صديق النقشبندي[1] في قرية «عبدالخيل بنيالا «سنة ١٣٣٨هـ، الموافق ١٩١٩م، درس في بلدته المراحل الأولى على يد والده، ثم على يد علماء عصره، ثم التحق بالمدرسة القاسمية بمراد آباد، بعدها ذهب إلى ديوبند، والتحق بدار العلوم، وتخرج سنة ١٩٤١م، وكان من أساتذته الشيخ مولانا فخر الدين، ومولانا سيد محمد ميان، ومولانا المقرئ عبدالله.

- عمل في التدريس إثر تخرجه في عدة كليات وجامعات، وكان آخرها مدرسة قاسم في ملتان، وبعدها اقتحم مجال السياسة وأصبح رئيس وزراء إقليم الحدود الشمالية، وكان يدافع عن قيم الإسلام في البرلمان الباكستاني. وله عدة مؤلفات منها:

  - **المتنبي القادياني.**
  - **شرح جامع الترمذي.**
  - **تفسير سورة الفاتحة.**

(١) حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان ص ٣٦٠.

• بالإضافة أنه أصدر أكثر من ٢٢ ألف فتوى. وله شعر باللغة العربية، ولم يذكر المصدر سوى قصيدة واحدة، نظمها وهو في السجن، يقول فيها:

وإنـــي فـي دارهـــا سكـن الـذي
أعـــان علـى تـقـيـيـم ديـن مـقـومِ
ففيها ابـن إسرائيل يوسف نـازل
عـلـيـه سـلام الـلـه لـيس بـأجـذمِ
وقـد سكـنـت فـيـهـا أئـمـة ديـنـنـا
وفـيـهـا أبـو فـقـهٍ كـثـيـر الـتـكـرمِ
وفـيـهـا ابـن تـيـمـيـة تـراه مـوثـقًـا
مـقـام كـريم أشـجـع مـتـلـثـم
وشيخ بـ «سرهند» المبارك منزلا
بها صار شيخًا قطب فضل معممِ
هناك رشيد جاء بالفضلِ والعلى
وعـرف مـحـمـود هـنـاك بـضـيـغـمِ
كـفـايـة مـولانـا وفـخـر زمـانـنـا
فـكـل سـمـا فـيـهـا مـــدارج سلـمِ
وفيها حسين أحمد تـراه توطنًا
بـــذاك تـــراه الـيـوم خـيـر ميـمـمِ
وفيها قضى عمرًا أمير شريعةٍ
وفـيـهـا أمـيـرُ الـهـنـد جـا بـتـقـدّمِ
فـلـولا أرى فـيـهـا مـآثـرَ سـارةً
ولـــو لـم أظـن الـــدار دار تـنـعـم
ولـو لـم أخـل فـيـهـا مـعـارج ذروة
ولـم أرتـقـب فـيـهـا حـصـول الـتـكـرمِ
ولـم أرجُ فيها النَّيْلَ نيلَ سعادةٍ
ولـم أنـتـظـر فـيـهـا نـزول الـتـرحـمِ
ولـم أحتسب ذاك الـورود فريضة
رضًـــا لـنـبـي مـاجـد ومـكـرمِ
وحـفـظًـا لـديـن قـيّـم وإمـاطـة
لـكـذب رجـيـم خـــادع وغـلـيـمِ
فلو لم يكن هاذاك ما سرت نحوها
ولـم أدخـل الـبـيـت المـقـفـل فـاعـلـمِ
ولم ترني المحبوس في السجن لحظة
وكـنـت جـمـيـعًـا بـالـرفـيـق الـعـظـمِ
وما كنتُ في رمضان مؤنس غربة
ولـم تـدر مـا حـال الأسـيـر المجمجمِ
ولـم تـرنـي قـاسـيـتُ كـآبـة عـزلـة
ومـا كـان جسمي للعدى بمسلمِ
فـأرجـو الـكـريم الـرب حسن تقبل
عسى الـلـه أن يـجـعـل خـيـر مـقـدمِ

• قصيدة فيها الكثير من الأسى والعنت، فقد قضى في السجن مدة من الزمن، وتعرض الشاعر لدخول السجن لمآسي، وقد وصف حاله، فلم يرض أن يكون غير ما هو عليه، استخدم بحرًا عروضيًا، وقافية ذللًا موحدة، ولكن موسيقاه قليلة، ربما الواقع فرض عليه الوصف دون الخيال، وسبك الأبيات جيدة، وتنسيق بين اللفظ والمعنى، وقدرة على اختيار اللفظ السهل الميسور، فلا غموض

في شعره، وأسلوبه كان متدرجًا سهلًا، غير معقد وليس غامضًا، لديه إمكانية كبيرة للنظم الشعر العربي.

****

محيي الدين بن علي

١١٨٦ - ١٢٥١ هـ / ١٧٨٧ - ١٨٣٥ م

• ولد القاضي محيي الدين بن علي[١] في مدينة كاليكوت سنة ١١٨٦هـ، الموافق ١٧٨٧م، درس العلوم الدينية، من فقه وأصول الفقه، وتعلم اللغة الأردو والفارسية والعربية، وله أشعار باللغة العربية، وعمل في التدريس، وكان معاصرًا للسيد شيخ بن محمد الجفري، وله مراسلات شعرية مع صديقه الشيخ عمر بن علي الالبلنكوتي، وكان الشيخ محيي الدين متابعًا لأحوال المسلمين، ففي الحرب العثمانية الروسية حقق السلطان محمود الثاني نصرًا على الروس، فانبرى الشاعر يشيد بموقف المسلمين، ويقول في قصيدة له طويلة:

فأحياهُ فينا رحمةً منه فائضًا
شذاهُ بمسكِ القدسِ في ذي وجنّةِ
بنواب هادينا سيوف السعادة
ووارث نجم الحق أهل السيادةِ
وإنّي وحقِّ الله لستُ بقائمٍ
بحمدٍ وشكر قط مثقالَ ذرة
فنعمته الصغرى عن الحمدِ جلّت
فكيف بعظمى نعمة أي نعمة

• ثم يصف السلطان محمود بقوله:

فبعد فهذا ذكر نصرة ديننا
بنصر إله العرش سلطان ملّة
رفيع النوى مولى ملوك الثرى علت
لرفعته رايات مجد بشهرة
كليثٍ مع الأشبال حلَّ بغابةٍ
لدى ما تلقى ما يضر بشبلة
فما كان يلقى من عدو مقابل
ولو مثل رمل كثرة غير أكلة
أنام الورى في ظل أمنٍ من الردى
أفاض عليهم سجل عدلٍ وبرة
منور محراب الشريعة رافعًا
منابرها علمًا وحكمًا بطاعة
حسيبٌ نسيبٌ محسنٌ متكرم
كريمٌ جوادٌ ماجدٌ ذو الكرامة
تقيٌّ نقيٌّ خائفٌ لإلهه
زكيٌّ ذكيٌّ باذلٌ لنصيحة
صفيٌّ وفيٌّ للحقوقِ لأهلها
بهيٌّ نجيٌّ في الجمالِ بغاية

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا، ص ١٠

بحرُ الندى شمس الهدى مذهبُ الردى
وسم العدى مجليّ الصدا ذو البصارة
وهم زمرة المُسكو القباح تعاقدوا
مخالفة المنصور من ذي الجلالة
فمنها جنود للجهادِ تموجت
فزلزلت الآفاقِ زلزال هيبة
بأرواحهم جادوا لرب البرية
فوجهها بالنصرة الأحمدية

• يشعر الشاعر أن واجبه مساندة البلاد الإسلامية، وإن كانت بعيدة عن بلاده، ولذا كانت مشاعره حميمية تجاه إخوته في الإسلام، ويراهم مثل أبناء وطنه. وفي قصيدة نظمها في رثاء أحد أعلام الهند، السيد شيخ الجفري، عندما انتقل إلى رحمة الله، وكان معاصرًا له، وتحتوي على أربعة وسبعين بيتًا، يقول فيها:

كم بيننا الغر مشغولٌ بغربتهِ
سيف القضا قطع الآمالِ بالذممِ
فصار مطلع الأحوال منتبهًا
عما لها عضَّ سنًا منه من ندمِ
نور الجمالِ تجلى في قلوبهم
كأس الوصال سقاهم ساقي الحكمِ
قد استقاموا بتقوى الله خالصةً
خوفًا رجاءً لوعد الله والنقمِ
حتى أتاهم دواعي الموتِ داعيةً
لقربِ رحمة رب غافر اللممِ
ومن عرائس قول الفن زينها
بحسن توشيحٍ معنى حلية الكلمِ
عرائس الوصلِ قد كانت مخدرة
منه بخدر كمالٍ فهو ذو الخطمِ
لكن ضيا نورها في كل أمكنة
كالشمس إذ طلعت من دون ما عثمِ
أغبرت الأرض الآفاق باكية
لموته والسما والحوت في الخضمِ
فأيّ آه على آهٍ على فقده
فابكوا عليه أيا إخوان دمع دمِ

• عبر الشاعر عن مكانة المتوفى، بكل إخلاص ومحبة، فتحدث عن الوضع العالم قبل الجفري، ثم إن دروسه قلبت الحال إلى أحسن حال، واستقام الناس بتقوى الله، فكان لكلام الجفري ومنطقه كالبلسم لقلوب الناس، ثم أخبر عن أسفه لفقد هذا العالم الكبير، ويدعو للبكاء لأجله، لأن الأرض والسماء تبكيه.

• اعتاد أهل كيرلا أن يتفاءلوا ببداية الأشهر القمرية، أو بالتوقيت العربي للشهور، لذا كان بداية كل شهر سعد مخير، فنظم الشاعر أبياتًا في هذا الأمر، يقول فيها:

وأول يوم كل شهرٍ مبارك
فأدم فيه خلقه فيحمدُ

ويطلب فيه الخير عند الأكابر

وعند السلاطين به الخير يوجدُ

مجالسة العلماء فيه مرغب

كذلك بيع والشرا فيه مسعدُ

• وهو مصداقاً لقول القدماء أو حديث شريف، البركة في البكور، بمعنى كل شيء مبكر ففيه بركة، وهذا ما اعتاد عليه المسلمون في الهند، وهو تطبيق لمقولة البركة في البكور.

• شاعرٌ له قدرة على استخدام بحور الشعر، ويمتلك المعجم اللغوي، ويستخدمه في صنع أبياته الشعرية، واستطاع الشاعر شحذ خياله وصنع بعض الصور الفنية في شعره، وتمكن من تنسيق اللفظ والمعنى، أما سبك الأبيات فكان في منتصف الطريق، فبعضها فيه تكلف، وبعضها جيد، وكانت موسيقا الأبيات متوسطة القدرة، مع بروز المعنى الجيد للفكرة.

• لحفظ القصائد العربية القديمة دور في الارتقاء بمستوى الأبيات، فكانت ثقافته عوناً له على التنسيق بين اللفظ والمعنى، فضلاً عن علو دراسة اللغة العربية في ثقافته الشعرية.

****

محيي الدين بن عمر ولي الله

١٢٠٨ - ٠٠٠ هـ / ١٧٩٣ - ٠٠٠٠ م

• ولد الشيخ محيي الدين بن عمر ولي الله بن عبدالقادر[١] سنة ١٢٠٨هـ، الموافق ١٧٩٣م، وعندما بلغ الثامنة من عمره توفي والده، درس الدراسات الإسلامية، وحفظ القرآن الكريم، واللغة العربية عند الشيخ تكية صاحب قاهرة باتنم، والشيخ علي الجبراني، وغيرهما.

• أحبَّ الشيخ محيي الدين اللغة العربية، ونظم أشعاره بها، وبعد ما توفي والده نظم قصيدة رثاء قال فيها:

عجبتُ لمن درى أنَّ المنيهْ

لواقعة وقوع الالتزامِ

ولا يدري بأي وقتٍ تأتي

وليس معد زادٍ باهتمامِ

سألتُ الدّهرَ توليدًا كمثله

أجابت أنني ذات العقامِ

• ونظم في سنة ١٢٢٤هـ، وهو في سنه السادس عشرة، قصيدة يقول فيها:

(١) ك. م. ع. أحمد زبير، أسرة الشيخ صدقة الله أبا ص ١٢٣. أحمد زبير، شعراء المديح من ولاية تاميل نادو ص ١٤٠.

تمام النظم في سنّ البلوغِ
ثمان سني وفاة أبي الهمامِ
فمعدود القصيدة شطر رقمٍ
سماه وخمّسَه جند الرقامِ
إلهي اغفر له رائيه قاري
ومصغيهِ إلى يوم القيامِ

• ومن هذه القطعة نرى أنه قد بدأ نظم الشعر عندما كان في فترة البلوغ، وهي فترة مبكرة من حياة الشاعر، وله تخميس القصيدة الطويلة، التي تسمى» القصيدة المحمدية» يقول فيها:

أولفُ نظمي باسم مولى مصمّدِ
أوّليَه تحميدًا بروم معمدِ
أحلى سلامًا دوم دهرٍ مُؤمّدِ
أصلّي على خيرِ الأنامِ محمدِ
صلاة أرجو لقاء محمد
بهيّ أنامَ ذكره لا يملهم
بحارُ ثناه الواصفين بكلهم
به أستشفع العاصون قد خفَّ كلهم
بيومٍ به لاذ النبيون كلهم
بظل لواء للشفيعِ محمد
خبت نار فرس من ولادته كذا
خوى تحت كسرى قيصر من شروق ذا
خلا بمقام مطلق بكذا كذا
خليل نجا من نار نمرود هكذا
كلهم و«نوح» نجبا لمحمد
لأنت إمامُ الأنبياء مؤيد
لأمتكم فضل عليهم مزيد
لأدعوك يا من هو للرسل سيدٌ
لأني عاص بالذنوبِ مقيدِ
فما لي سؤال غير جاه محمدِ

• واختتم قصيدته بهذا الدعاء:

أنا ابن عديل العامر العارف الولي
أسمي باسم سبط المصطفى جيلي جلي
أبي مع أمي إخوتي وأختي أشمل
إلهي بعفو واغفرن لهم ولي
وساير قرّاء مديح محمدِ

• وكان الشيخ محيي الدين بن عمر ولي الله قد نظم قصيدة في مديح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يقول فيها:

ألا الحمدُ لله الذي كوّن
الورى بكافٍ ونونٍ ثم أبدع ما يرى

وأجرى على المخلوقِ أم حبو كرى

أصلي مع التسليمِ دومًا مثابرا

على من به الأكوان نارت تضورا

- للشاعر قدرة على النظم باللغة العربية، وقد امتلك ناصية اللغة بمعرفة الألفاظ العربية ودلالاتها، وكان قد بدأ النظم صغيرًا، فكان يختار البحر ثم يختار القافية، وقوافيه ذلل، وطريقته تتبع بعض شعراء الهند في التخميس والتسبيع، فهو قارئ لتراث العرب وتراث المسلمين في الهند.

- استعمل خياله بعض الشيء، ولا يستطيع إطلاق كل خياله بسبب الموضوع الديني الذي ينظم به، فهو مقيد بالرثاء، أو المديح، فالقدرة هنا محدودة، ولكن فكرته كانت جيدة، وطريقة بناء الجمل الشعرية سليمة، إلا أن السبك كان متوسطًا، غير أن الألفاظ مناسبة ومتناسقة مع المعنى.

- لم نقرأ أي موضوع آخر نظم به الشاعر قصائد، مثل الوصف والغزل والهجاء، لذا الحكم على شعره حكمًا ناقصًا لنقص المادة الأولى للنقد، وهي الأشعار، وهو شاعر متمكن لما بيده من معان، وكلها دينية إسلامية، فلا ترى صورًا فنية، أو جرس موسيقي من خلال أبياته، ربما لثقافته الدينية دور في تقييد فكره في هذه الموضوعات الدينية.

****

محيي الدين علي الشيوري

١٣٤٠ - ٠٠٠ هـ / ١٩٢١ - ٠٠٠٠ م

- ولد الشيخ محيي الدين بن علي[1] في قرية شيور سنة ١٣٤٠هـ، الموافق ١٩٢١م، وبعد أن أنهى المرحلة الإبتدائية التحق بدروس المساجد، وعلى يد الشيخ محمد بن أحمد الشيرازي، ثم التحق بالكلية العربية دار العلوم بوازكات، وبعدها دخل الكلية العالية، ثم التحق بدار السلام بعمر آباد، وغادرها إلى المسجد الجامع مدرسًا، ثم بالكلية الإصلاحية، وعمل منظمًا للجماعة الإسلامية، وكان عضوًا في مجلس الشورى للجماعة، والتحق ايضًا بالكلية العربية دار الهدى، ثم بالكلية الإسلامية بكوتيادي، مدرسًا وقاضيًا.

- بدأ محيي الدين نظم الشعر وهو في مرحلة الدراسة، وكان شاعرًا ارتجاليًا، يستطيع النظم بدقائق، ونظم قصيدة تهنئة لافتتاح مسجد يدفاع يقول:

أيا يدفاع مالك ترقصينا

وتبدين السرور وتمرحينا

وقلت لنخرجنّك يا شعيبُ

أليكم بعد ما ورد المنونا

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا ص ٢٨٤.

• ويتذكر الشاعر حيث كان وقت بناء المسجد، فيقول:

مزقت قميصه وصرعت ضربًا
أيا صبرًا ثواه المؤمنونا
وقلتَ لنخرجنَّكَ يا شعيبُ
وكنت ظننت بالله الظنونا
أيا سرعان ما أخزى وأبلى
على طغواك وانتهض البنونا
بنوا تاجًا لعزك في مكان
يقص حديث جهل الجاهلينا

• وهذا المسجد كان من تبرع دولة قطر، وقد حضر الشيخ عبدالله الأنصاري، مدير الشؤون الإسلامية بدولة قطر لوضع حجر الأساس للمسجد. فقال شاعرنا:

حطوا الرحال بساحة الأنصاري
يخطو بكل حفاوة وحوارِ

• ثم يصف بلدة كوتيادي ويقول:

ففاحت نسيم علومها وتضوعت
وتنورت نورًا من الأنوارِ
أعجبَ بها من روضة مزدانة
بنوادرِ الأشجارِ والأزهارِ
حطت بساحتها القوافل رحلها
شمّا لزهرتها وقطفِ ثمارِ

• وزار قرية الشاعر السيد عبدالله بن زيد آل محمود، قاضي قضاة قطر، فحياه الشاعر بقصيدة يقول بها:

قاضي القضاة خضم لا شبيه له
يشفي الغليل إلى حلّ التعاقيدِ
سمت إلى الذروة العليا به قطر
وفاح منها نسيم الطيبِ والعودِ
يحكي شريحًا فلا يرجى قضاء ولا
يخشى الملامة في تنفيذ مقصودِ
شهمٌ همامٌ شجاعٌ باسلٌ بطلٌ
ومنصفٌ عادلٌ رأس الصناديدِ

• أبدع الشاعر في نظم قصائد التحية والتهاني لمن ساهم في بناء المساجد في ولاية الشاعر، وكذلك إنشاء المراكز العلمية، ومنها إنشاء الكلية العالية بشمناد، وهي بلدة قريبة من مدينة « كاسر كوت»، بولاية كيرلا، فنظم الشاعر تحية لهذه الكلية العريقة التي خدمت العلم والعلماء، يقول فيها:

شمناد عاد إليكِ العيدُ والسودُ
وماءُ جدك عز الدين مورودُ
شيخٌ إذا نزل الجدباء أخصبها
وفي حدائقها قنو وعنقودُ
ألقى عصاه إلى صخر بربوةٍ
وقالَ إنَّ معي ربٌّ هو الجودُ
ففاض زمزم ماء لا نفاد له
حتى القيامة للحجاج مرفودُ

- شاعر اجتماعي يهتم بالعلم والعلماء، ويهنئ كل من يساهم في رفعة بلده ويساعد الناس في التعليم، ونشر الدين الإسلامي، وتلك الكلية أسسها الشيخ عز الدين، فلابد للشاعر من أن يبعث بتحية لذلك الشيخ الذي ساهم في نشر العلم، وكان الشاعر محيي الدين اسم على مسمى، فهو رافد من روافد العلم.

- استخدم الشاعر البحور العربية القديمة في النظم باللغة العربية، وقوافيه كانت ذلـلًا، وسبك جيد للأبيات مع تناسق بين اللفظ والمعنى، على الرغم من بساطة القول، ربما للمناسبات دخل في ذلك، ولكنه عبر بالألفاظ المعبرة عما يجيش في صدره من فرح وسرور عما يراه من أعمال الخير.

- أخرج من خياله بعض الأفكار المناسبة، وصنع صورًا فنية، تناسب الموقف العلمي، وكان لتهنئة المساهمين في العلم مناسبة جيدة لنظم أبيات تليق بالمساهمين في العمل، تلك الأمثلة الشعرية كانت محدودة الهدف ومقصورة على المناسبات، غير أننا لم نقرأ له قصائد بعيدة عن تلك المناسبات السعيدة، بمعنى أنه لم يخرج عن نطاق المناسبة إلى إعمال فكره وخياله في صنع قصائد من فكره، لرأينا شيئًا مختلفًا.

- يمتلك الشاعر قدرة على النظم باللغة العربية، وهو حافظ لأوزان الشعر العربي، مع تمكنه من الألفاظ العربية، ومعانيها، لذا كانت ألفاظه متناسقة مع المعاني التي نظم بها، فقدرته كانت محدودة إلى حد ما، وليست مطلقة.

****

مختار أحمد المظفرفوري

٠٠٠ - ١٣٢٦ هـ / ٠٠٠٠ - ١٩٠٨ م

- ولد الشيخ الطبيب في مديرية مظفر فور[1]، قرأ العلم في مدينته، حتى أتقن اللغة العربية والفارسية والأردو، لم يذكر المصدر تاريخ ولادته، ولكن تاريخ وفاته سنة ١٣٢٦هـ، الموافق ١٩٠٨م، لم يكن معروفًا بين شعراء الهند، وإن كانت له قصيدة في رثاء السيد نذير حسين الدهلوي المحدث، ولم أقرأ أنه درس تحت يده، ولكن ربما كانت هناك علاقة شخصية مع السيد المحدث. له قصيدة وحيدة في رثاء السيد نذير أحمد الدهلوي المحدث يقول فيها:

فـاتَ مـورُ الـفـرقـةِ الـسبـحـانـيـهْ
إنـه أحـيـا الأصـول الـغـالـيـهْ
ربـنـا أكـرم بـهـذا وافـيًـا
أنـتَ المعطي الـعـافـيات الـعـاليه
فـيـضـه نـحـرٌ مـجـيـدٌ بـاقـي
فـضـلـهُ عـمَّ الـبـلاد الـصـافـيه

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١١٠.

كان بحر الخلق أو عين العلى
مثله معدوم عصر في العلاج

كان تاج المدركات الباقيه
مفخر أهل الفنون العاليه

مخزن الطلابِ بل شمس الوفا
أبقراط الدهر في نهر الشفا

شيخ أصحاب العقول الجاويه
بل رياض الحمة اليونانيه

رمزٌ في المجتبى نهر الصفا
عين فيض الطب أو عين العطا

صدر أرباب الثنايا الصافيه
ضوء قلب الحكمة اللقمانيه

مصدر الأسرارِ تاجُ الأوليـاء
نور بيت الطب جاءت نفسه

فخرُ دين الأمة الربانيه
فرع شرع الحكمة البقراطيه

كان أهل الفيضِ بل بحر الندى
استمع يا مقبلًا عام الكتاب

كان مفتي المنكرات العاريه
وهو شرح الواقعات الفانيه

ماتن «معيارُ حقٍ» مقرنٍ
واسمعوا عام الكتاب ثانيًا

شمس أفلاك الفتاوى الجاريه
شاعت المجموعة الرحمانيه

استمع يا مهتدي عام الوصال
ها وها قل يا صبيحي ثالثًا

فات بدر السنة الفرقانيه
جاء شرح الكيفيات الطاريه

قد تمنى شرح ندب السالك

فخر قسط الحكمة السنيائيه

قد وفى متنًا متينًا عاملاً

نور شرف الأمة القرآنيه

اسمه فضل الحسين الجامع

نعته رمز الصدور الصافيه

• الشاعر ناظم للألفاظ العربية، استخدم بحرًا خليليًا وقافية موحدة، وصف الكلمات بحب البحر والقافية، ولكنه لم يتطرق إلى الفن الشعري، فتكلف في النظم، وقسى على الكلمات، وأخرج شعرًا يخلو من التراكيب الشعرية، فلا خيال، ولا صور فنية، ولا موسيقا جميلة. فهو ناظم للكلمات العربية.

****

مرتضى البلغرامي

١١٤٥ - ١٢٠٥ هـ / ١٧٣٢ - ١٧٩٠ م

- هو الشيخ محمد مرتضى بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرزاق بن قادر بن ضياء الدين الحسيني الواسطي[١]، وينتهي نسبه إلى أحمد بن عيسى بن زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، نزح أجداده من العراق بعد هجوم التتار على بغداد وتدمير الدولة العباسية، وذهبوا إلى الهند.

- ولد في بلغرام سنة ١١٤٥هـ، ١٧٣٢م، تلقى المرحلة الأولى في بلدته، ثم ذهب إلى خير آباد، ثم إلى دلهي وأخذ العلم من ولي الله الدهلوي، ثم ذهب إلى سورت فقرأ عند الشيخ خير الدين السورتي، ثم ذهب إلى الحجاز سنة ١١٦٤هـ، الموافق١٧٥٠م، ثم سكن زبيد باليمن، واشتهر بها، وأخذ العلم من السيد أحمد بن محمد الأهدل، والشيخ عبدالخالق الزجاجي، والشيخ محمد بن علاء الدين الزجاجي، وأجازوه في المذاهب الأربعة، ومنها ذهب إلى مصر.

- ذهب إلى مصر سنة ١١٦٧هـ، الموافق ١٧٥٣م، وأخذ العلم من مشايخ مصر، ثم ذهب إلى الشمال ودرس عن المشايخ، ثم يمم جهة الصعيد وتعلم على أيدي شيوخ الصعيد، فأجازوه واعترفوا بسعة علمه، وتزوج في مصر وبدأ يكتب أشهر كتاب لغوي «تاج العروس من جواهر القاموس» في عشر مجلدات، وأتمه في أربع عشرة سنة وشهرين، وأقام وليمة للمشايخ وطلاب العلم وأطلعهم على الكتاب، فشهدوا بفضله اللغوي، ومكانته العلمية العالية.

- طار صيت السيد مرتضى في آفاق مصر، ثم عند العرب والمسلمين، وطلب كثيرًا منهم نسخًا من المعجم، فكان يحضر إليه طلاب الإجازات، والأسانيد والعلم، وكان كبار القوم يدعونه لولائمهم، وحفلاتهم، ويتبركون بلقائه، والاستماع إلى أحاديثه، وفي مجلسه يسجل الحضور، والتاريخ، وحتى النساء والصبيان، ويرشدهم إلى أهم المراجع والكتب.

- كتاب تاج العروس أهم كتبه، ولكن له كتب أخرى قيل أنها تصل إلى المئة كتاب، منها:
  - **إتحاف السادة المتقين شرح إحياء علوم الدين.**
  - **رفع الكل عن العلل.**
  - **المواهب الجلية فيما يتعلق بحديث الأولوية.**
  - **العروس المحلية في طرق حديث الأولية.**
  - **شرح الحرب الكبير للشاذلي.**
  - **إنالة المنى في سر الكنى.**
  - **القول المبتوت في تحقيق لفظ التابوت.**
  - **حسن المحاضرة في آداب البحث والمناظرة.**

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظرج٧: ٤٨٤. عبدالستار فراج، مقدمة تاج العروس الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء ١٩٦٥م، مؤمن بن حسن الشبلنجي، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار (بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٧٨م) ص ١٩٥. جمال الدين الفاروقي وآخرون، أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية ص ١٣٢.

- رسالة في أصول الحديث.
- رسالة في أصول المعمى.
- الاحتفال بصوم الست من شوال.
- إيضاح المدارك في نسب العواتك.
- إقرار العين فيمن نسب على الحسن والحسين.
- الابتهاج بذكر أمر الحاج.
- التعريف بضرورة علم التصريف.
- العقد الثمين في طرق الإلباس والتلقين.
- إتحاف الأصفياء بسلاسل الأولياء.
- إرشاد الإخوان إلى الأخلاق الحسان.
- ألفية السند.
- الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة.

• وهناك كثير من الرسائل والمصنفات الكثيرة، أورد عبدالستار فراج ١٠٧ كتابًا للزبيدي في مقدمة تاج العروس، ولكن نقتصر على هذا القدر من الكتب. وهو بالإضافة لما سبق فهو شاعر، ولكن ما نشره من شعر قليل، له قصيدة يمدح بها محمد أبا الأنوار، يقول فيها:

مدحتُ أبا الأنوارِ أبغي بمدحه
وفور حظوظي من جليل المآربِ
نجيبًا تسامى في المشارق نوره
فلاحت هواديه لأهل المغاربِ
محمد الباني مشيد افتخاره
بعز المساعي وابتذال المواهبِ
ربيب العلا المحض سيب نواله
سماء الندى المنهل صوب السحائبِ
كريم السجايا الغر واسطة العلا
بسيم المحّيا الطلق ليس بغاضبِ
حور كلَّ حلم واحتوى كل حكمةٍ
ففات مرام المستمر المواربِ
به ازدهت الدنيا بهاءً وبهجةً
ورانت جمالًا من جميع الجوانبِ
مخايله تنبيك عما وراءها
وأنواره تهديك سبل المطاربِ
له نسبٌ يعلو بأكرم والدٍ
تبلج منه عن كريم المناسبِ

• أكبر المعاجم اللغوية العربية هو «تاج العروس» المعجم الذي اشتهر به في العالم، غير أنه لم يكن مشهورًا بقرض الشعر، ومن أشعاره قصيدة رثاء نظمها في رثاء زوجته التي أحبها كثيرًا، ولكنها توفيت، فحزن كثيرًا عليها، وفي رثائه لها يقول:

خليليَّ ما للأنسِ أضحى مُقطَّعًا
وما لفؤادي لا يزالُ مروّعا
أمن غِيَرِ الدَّهرِ المُشتّ وحادثٍ
ألمَّ برحلي أم تذكَّرتُ مصرعا
وإلّا فراقٌ من أليفةِ مهجتي
زبيدةَ ذاتِ الحسنِ والفضلِ أجمعا
مضت فمضت عني بها كلّ لذة
تقرُّ بها عيناىَ فانقطعا معا
لقد شربت كأسًا سنشربُ كلنا
كما شربت لم يُجدِ عن ذاك مدفعا

فمن مبلغٌ صحبي بمكةَ أني
بكيتُ فلم أترك لعيني مدمعا

- قصيدة تموج بالأسى والحزن، مما يشير إلى تعلقه بها، فأقام لها ضريحًا، واشترى أرضًا بجانبه وبناها لسكن والدتها، وأحيانا يبات بها.

- وله قصيدة حول الفطنة والكياسة، يقول فيها:

كاف الكياسة مع كيِّسٍ إذا اجتمعا
يومًا لمرءٍ غدا في العصر سلطانا
بالكيّس يصبحُ مقضيّا حوائجهُ
وبالكياسةِ يولي الكيّسُ إحسانا
والكيّسُ منفردًا مُغنٍ لصاحبهِ
والكيّسُ منفردًا يوليهِ مجانا

- الشاعر اللغوي المؤلف مرتضى الزبيدي، يتمتع بالحكمة والعقل المدبر، فهو من تشد الرحال إليه علمًا وفطنة، وثقافة موسوعية، لذا كان شعره معبرًا عن ثقافته وعلمه، لذا ينظم في التوكل على الله في العمل. ففي قصيدة له في العمل والتوكل على الله سبحانه وتعالى، يقول فيها:

توكل على مولاكَ واخش عقابه
وداوم على التقوى وحفظ الجوارحِ
وقدّم من البر الذي تستطيعه
ومن عملٍ يرضاه مولاك صالحِ
وأقبل على جعلِ الجميلِ وبذله
إلى أهلهِ ما استطعت غير مكافحِ
ولا تسمع الأقوالَ من كلِّ جانبٍ
فلا بدَّ من مُثنٍ عليكَ وقادحِ

- في أواخر حياته احتجب عن الناس، وألغى الدروس، واعتكف في منزله إلى أن توفاه الله سنة ١٢٠٥هـ، الموافق ١٧٩٠م.

- وللسيد مرتضى قصائد أخرى، منها قصيدة يحث بها الشباب على النهوض والعمل الجاد لنيل المطالب، يقول فيها:

فانهض بأقدام على الإقدامِ
إن كنتَ للعلياءِ ذا مرامِ
وشمّر الساق على اجتهادِ
مثل اجتهادِ السادة العُبّادِ
واستنهض العمةَ في التحصيلِ
من كلّ شيخٍ عالمٍ نبيلِ
وارحل إلى من يستحق الرحلةَ
خلفَ الفراتِ أو وراء الدجلةَ
حيثُ انتهت أخباره إليك
فقصده محتمٌ عليكَ
واطرح رداء الكبر عن عطفيك
وقل لداعي العلم يا لبيكَ
واسع إليه ماشيًا أو راكبا
كما استطعتَ للتقى مصاحبا
وتوج العلمَ بتاج العمل
كيما به تجوز إرث الكسل
فإنه المقصود بالعلومِ
عند ذوي الفطنة والفهومِ
فإنها الأعمالَ بالنياتِ
وكونها لله خالصاتِ

وليس يرضى ربنا عباده

أشركت فيها معه عباده

- السيد مرتضى الحسيني علم من أعلام اللغة والأدب والثقافة العربية الأصيلة، طغت شهرة معجمه اللغوي على جميع أعماله وأشعاره، وقدم للعربية خدمة كبيرة بما أنتج من مؤلفات علمية رصينة، وخاصة في مجال اللغة العربية، ولم يكن الشعر إلا واحدًا من اهتماماته، ويبدو مدى عمق الأفكار التي يتبناها وينظم بها.

- دراسة السيد مرتضى اللغوية، وحفظه للمعجم اللغوي بكامله أهله لأن يكون شاعرًا فذًا يتمتع بقدرة كبيرة على نظم القصيد العربي، يتبع بحور الشعر التقليدية، فهو لها عارف وملم بها جميعًا، أما القوافي فهي تحت سيطرته؛ الذلل منها، أو النفر، أو الحوش، مع سبك جيد للأبيات، وتناسق بين اللفظ والمعنى، فالعاطفة الجياشة لا تمنعه من سبك الجمل، وتناسقها، بل إنَّ الألفاظ التي عبر بها عن فقده لزوجته تقطر أسى وحزنًا.

- السيد مرتضى الحسيني يمتلك قدرة واسعة لاستعمال خياله في وصف النفس، وآهاتها، فأخرج صورًا فنية بديعة، أضفت على القصائد جمال اللغة وسلطانها على قلوب القراء، فلا معاضلة بينها، ولا غموض في تركيب الجمل، وفي المديح لم يكن مبالغًا، وفي الحكمة كان موفقًا في تصور الفطنة مع الفطين، والتضرع إلى الله كان واقعيًا صادقًا في مشاعره.

****

مسعود سلمان اللاهوري

٠٠٠ - ٥١٥ هـ / ٠٠٠٠ - ١١٢١ م

- كان والده في خدمة السلطان إبراهيم بن مسعود الغزنوي[1] (٤٥١ - ٤٩٢هـ، ١٠٥٩-١٠٩٩م)، ولما كان الشيخ مسعود شاعرًا اختاره السلطان إبراهيم الغزنوي ليؤدب ولده، ولكن بعد فترة ارتاب به، وظنَّ أن الشاعر مسعود يتآمر عليه مع ملك شاه السلجوقي فحبسه في قلعة لمدة عشرين سنة حتى انتقل إلى رحمة الله سنة ٥١٥هـ، الموافق ١١٢١م.

- ذكر أن له ديوانًا باللغة الفارسية، كما أن له ديوان باللغة الهندية وديوان باللغة العربية، ولكن لم يصل إلينا سوى الديوان الفارسي، وبعض القصائد العربية، وذكر صاحب سبحة المرجان أنَّ له هذه الأبيات العربية:

وليلٍ كأنَّ الشمسَ ضلت ممرَّها

وليسَ لها نحو المشارق مرجعُ

نظرتُ إليهِ والظلام كأنه

على العين غربالٌ من الجو وقعُ

فقلتُ لقلبي طال ليلي وليسَ لي

من الهم منجاة وفي الصبرِ مفزعُ

(١) زبيد أحمد، الآداب العربية في شبه القارة الهندية ص٤٤٣. غلام آزاد البلغرامي، سبحة المرجان في آثار هندستان ج ٢: ٨٨.

أرى ذَنَبَ السرحانِ في الجوِّ طالما
فهل ممكن أنَّ الغزالةَ تطلعُ

- مع شديد الأسف لم أر قطعة أخرى عن الشاعر، ولم نعرف أكثر عن ظروف حياته، ولكن من خلال هذه الأبيات نستدل على أن له قدرة كبيرة على النظم العربي، ويستطيع أن يؤلف قصائد كثيرة، لولا الظروف التي أحاطت بحياته لكان أبدع ونظم أروع القصائد العربية.

- يمتلك الشاعر الموهبة في النظم، والتمكن من استخدام أدواته بكل مقدرة، وخياله واسع يستطيع صنع صور فنية بلاغية، ولكن لم نعثر له إلا على هذه القطعة.

****

مصطفى خان بختور

١٢٠٨ - ١٢٧١ هـ / ١٧٩٣ - ١٨٥٤ م

- مصطفى خان[1] هو من أحفاد القاضي حيدر خان، ولد في سرينغار سنة ١٢٠٨هـ، الموافق ١٧٩٣م، درس في بلدته وحفظ القرآن الكريم، وتلقى جميع الدروس الإسلامية، ولا يعرف المصدر شيئًا عن حياته، وامكانياته العلمية، ولكن لا شك أن تعلم اللغة الفارسية والعربية من متطلبات المرشد الديني، ومعظم الناس في كشمير يتمذهبون بالمذهب الحنفي، ويقدسون السيد عبدالقادر الجيلاني، لذا كان لشاعرنا قصيدة في مدح السيد الجيلاني، يقول فيها:

الشيخ عبدالقادر
ابن النبي الطاهر
الناصر المستنصر
صلوا عليه دائمًا
لقبه محيي الدين جا
بالجاه والتمكين جا
من عترة الياسين جا
صلوا عليه دائما
صدر العلى في الأولياء
بدر الدجى في الأصفياء
محبوب خير الأنبياء
صلوا عليه دائما
لا ريب حيّ في الكفن
جد حسين والحسن
سبط النبي المؤتمن
صلوا عليه دائما
يجري عليه قسمه
مثل اسم أعظم اسمه
وكجسم أحمد جسمه
صلوا عليه دائما

(١) محمد مظفر حسين الندوي، مساهمة أهل كشمير في اللغة العربية والأدب العربي ج١: ٣١٣-٣١٧.

في الجسم ما جلس الذباب
من رشحه طاب الثياب
من ولد أحمد بالصواب
صلوا عليه دائما
هو فخر أولاد الرسول
هو نور أبصار البتول
ها جده أصل الأصول
صلوا عليه دائما
قد صام لله الجواد
رمضان في وقت الولاد
ها جده أصل المراد
صلوا عليه دائما

• بهذه الطريقة الصوفية يكمل الشاعر قصيدته، مبجلا بالسيد عبدالقادر الجيلاني، ومادحًا له، وطالبًا منه الشفاعة يوم الحساب، ولكن الشاعر له قصيدة أخرى، يقول فيها:

دحور القن من مولى العبيدِ
فلا تستقصنا أنّا العبيدُ
دخلنا عنده قد فرّ فورًا
رقيبٌ في مواجهته قعيدُ
دموجٌ في جنابه الزيارة
بكلبه في الوفا أني عهيدُ
دراك القلب شوقًا في وجيفِ
هدينا قل لفيه يا بريدُ
دخور من بين أغيار لديه
لفرح باللقاء أنّى كبيدُ
دفي من ثقل رحل الحزن قدي
ومن أعماله ملَّ النجيدُ
دليلي في الطريق العشق خضرٌ
وفي غير الوداد اسمي رشيدُ
دنا في رغم جدّي يوم وضلي
من الهجرانِ ديجور شديدُ
دع الأغيار قاه الحسنى يومًا
على العشاق قد ضاق الوحيدُ
دلالة شغلها إذهاب وحوبا
على بابه لذا مات العميدُ
دبيب الماء يجري في دموعي
بحار من عيوني تستفيدُ
دوام الوصل من سلمى محالٌ
لديها الغير اكراهي يزيدُ

• شاعر جيد الشعر، وخاصة في قصيدته الثانية، فهو يمتلك قدرة كبيرة على النظم العربي، واستعمال البحر والقافية الذلل، وقد جال بخياله خلال أبياته وخلق صورًا فنية بديعة، وأسلوبًا جيدًا متماسك الأفكار، مع سبك قوي للأبيات، وجعل الألفاظ تتماشى مع الأفكار، ومن خلال خياله برزت الموسيقا العذبة الداخلية والخارجية، من خلال المحسنات البديعية.

• استطاع الشاعر أن ينظم قصيدة فنية راقية، مستعملًا أدوات الصنع الفني للقصيدة، وأسلوب سهل ميسور، لا

غموض في الأبيات ولا معاضلة، ولم يلجأ إلى حوشي الكلام، أو النادر من الألفاظ، وأظهر قدرته في تتبع شعراء العرب القدامى، في نسج أبياته، وصنع قصيدة جميلة فيها حلاوة وجمال.

****

منظور أحمد النعماني

١٣٥٥ - ٠٠٠ هـ / ١٩٣٦ - ٠٠٠٠ م

- ولد الشيخ منظور أحمد النعماني[١] في قرية «مانك والي» سنة ١٣٥٥هـ، الموافق ١٩٣٦م، بدأ الدراسة في بلدته، ثم التحق بجامعة مخزن العلوم بمدينة خان بور، وتخرج سنة ١٩٥٥م، وقد تتلمذ على يد الشيخ غوث بخش، ومولانا قمر الدين، ومولانا عبدالغني، ومولانا عبدالرؤوف الدرخواستي، وغيرهم، وبعد تخرجه عمل في التدريس بجامعة مخزن العلوم، ثم عمل في التدريس والإدارة في المدرسة العربية بقرية «ظاهر بير» .

- له بعض المصنفات، منها:
  - ترغيب الإخوان في تركيب القرآن.
  - نظم الدرر في مضامين الصور.
  - إيضاح العوامل شرح كتاب مئة عامل.
  - ديوان شعر باللغات الثلاث، الأردو والفارسية والعربية.

- للشاعر قصيدة في فضل العلم، يقول فيها:

أيا طلابَ علمٍ أبشروا به
فإنَّ العلمَ خيرٌ من سحابِ
فبالمطر حياة الأرض لكن
حياة الروح بالعلم الصوابِ
هو النور المنور كل قلب
ويجلو صدأ أذهان الطلابِ
وبستان يفوح منه روحٌ
وريحان وعقد من سخابِ
هو البحر المصفى من خليطٍ
يُروّي لينَ أرضٍ والصعابِ
وماء العلم أبيض من حليبٍ
وأحلى من عسول الشرابِ
هو الهادي لنا في كل فج
ويوصلنا إلى دار الثوابِ
هو الباقي لنا والمالُ فانٍ
هو الشافع لنا يوم الحسابِ
به نالت ذووهُ رفيع حظٍ
وسادوا بالعلوم على الرقابِ
فمنظوري ومحبوبي كتابٌ
سميري مؤنسي وبه حبابي

(١) حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان ص ٣٦٢.

• قصيدة جميلة معبرة عن العلم، وتشجيع للطلاب لمزيد من العلم، وبين بها فضل العلم يحثهم على طلبه والاستزادة منه. وللشاعر قصيدة رثاء في الشيخ محمد عبدالله الدرخواستي، يقول فيها:

وأنظمُ عقدَ الدمعِ من أجل غاربٍ
وجيهٍ كريمٍ بالمدارس راغبِ
سقى الله جدث العلم غيث فيوضه
ونوره بالفضل مثل الثواقبِ
فيا قبرُ هل واريتَ جبل عزيمة
ومخزن تفسير وبحر المواهبِ
وقد ملأ الآفاق في طولِ عمره
بعلم عرفان وضوء الكواكبِ
ويا خيرَ مدفونٍ تركت قلوبنا
حيارى وعطشى من فقود السحائبِ
شربت صبوح الوصل يا ساقي البحار
فصرتَ به سكران حتى العواقبِ
رحلتَ من الدنيا أبا الفضل وحده
وغادرت منظرًا بدمعٍ ساكبِ

• قصيدة رثاء جيدة السبك والوثاق، وعبر بها الشاعر عن ألمه بفراق أحد الإخوة الكرام، الذي رثاه بأفضل كلمات الرثاء، وعدد أفضاله ومكانته في المجتمع، ثم الدعوة له بالمغفرة والرحمة.

• يمتلك الشاعر قدرة كبيرة على النظم العربي، استخدم بحور الخليل بن أحمد، وقافية موحدة، وعبر عن رأيه في فضل العلم والرثاء، وله قطعة أخرى ترحيبية بوفد للتبليغ، يقول فيها:

أهلًا وسهلًا يا رياضَ المواهبِ
دعاة سبيل الرشد خير الثواقبِ
خرجتم لنشر الدين من عيش عاجل
وأشغال أموال وميل الرغائبِ
أمرتم بمعروف أناسي كلهم
نهيتم عن العصيان شر العواقبِ
وكنتم بقول الله أخيارَ أمةٍ
ونلتم بحسن القول أعلى المناقبِ
سررنا وبرّدنا قلوبًا بزوركم
سقانا بغيث الروح خير السحائبِ
سلوا الله للمنظور بالفوز والنجاح
وتدريس علم الدين خير المطالبِ

• كلمات ترحيبية جميلة لوفد من الدعاة، ولكن الشاعر بسيطة وواضحة في الترحيب، ولم يستعمل الخيال في نظمه، وهو شاعر يمتلك قدرة في النظم العربي، ولكن لا يوجد شيء من الصور الفنية، وأسلوبه كان عاديًا، ولكن هناك تنسيق بين اللفظ والمعنى، وسبكه للأبيات كان جيدًا، ولم يتطرق إلى موضوعات أخرى لمعرفة مدى قدرته على صنع الصور البلاغية، على الرغم من قدرته الجيدة في النظم العربي.

****

موسى بن زين الأيروري

١٣٥٥ - ٠٠٠ هـ / ١٩٣٦ - ٠٠٠٠ م

• ولد الشيخ موسى بن زين الدين[١] في قرية أيرور، القريبة من فونان، سنة ١٣٥٥هـ، الموافق ١٩٣٦ م، تعلم من أبيه المبادئ الإسلامية، ثم التحق بدروس المساجد، وفي سنة ١٩٥٦م التحق بكلية فاروق وتخرج سنة ١٩٦١م بشهادة أفضل العلماء، ثم عمل في التدريس في بلدته، وكان عضوا في لجنة تأليف الكتب المدرسية المدنية، وله أشعار باللغة العربية، ومنها أناشيد للأطفال.

• ينظم الشاعر قصائده في مناسبات، ولكنه لا يرثي أحدًا، ويمدح المسؤولين، بل جل شعره في الوجدانيات والوصف والمحبة والعمل لله، وله قصيدة في وصف الكلية العربية روضة العلوم، يقول فيها:

هبوب الصبا في الرياضِ يشير
بأنَّ الضياء سيأتي للزهورِ
تناجي النسيمَ الزهورُ بقرب الـ
ضياءِ فتبسمها عن ثغورِ
تزكي الهواء بطيب الأريج
وترسله فيعم السرور
لكل رياضِ ربيعٌ وصيف
ربيعك يبقى جميع الدهور
وكلُّ زهور ذبول لحين
زهورك تبقى وليس الفتور
لكل صباح مساء ظلوم
وإنَّ صباحكِ ليس يغور

• لا شك أنه مدح الكلية ولم يصفها، فهو أعطى الكلية مكانة كبيرة، ولكنه أيضًا يصف جمال جزيرة من الجزر القريبة من مدينة كوشن، ويشبهها بفتاة جميلة، وتتكون القصيدة من واحد وعشرين بيتًا، يقول فيها:

هي كاعبٌ في نحرها وجبينها
في جِيدها عتقٌ وفي الأسنانِ
إنّي عبرتُ بوسطها في حاجةٍ
بقيت فؤادي فيه لاطمئنانِ
دامت بكارتُها مدى الأعوامِ بل
زادت محاسنها مدى الأزمانِ
في كل ما فيها من الأنهارِ والـ
أشجارِ تحمل أثمن القنوانِ

(١) ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا، ٣٠٤.

ما تشتهيه النفسُ شوقًا والتي
فيها تَلَذُّ العينُ بالنشوانِ
وكأنَّ كل ربوعها وحقولها
للعاشقين مراتع السلوانِ
ما أنت لاجئة خلابة
يأوي تقاة من أولي الرضوانِ

• طلب الأستاذ زين الدين، أحد رؤساء اتحاد معلمي العربية في كيرلا، من الشاعر أن ينظم قصيدة من الشعر العربي لإنشادها في المجالس.

• نظم هذه الأبيات، التي وردت على خاطره:

إمي وقرضي إن سمعت تهازل
كمثيلِ طمث للنساء تزائل
طمث يجيء لمدة معدودة
فيدوم حتى الانقطاع السائل
طهرٌ أتى من بعده ولربما
يبقى زمانًا فهو طهرٌ طائل
فاصبر إلى أن تنقضي فلل الـ
أيام إنك أنت رجل فاضلُ
يا زين دين والأغاني قاطبة
يا من إليه السمع شوقًا مائل
وتظل ترفل بالأغاني حينما
نسفي إليك السمع أنت النائل
حاكت أغاريد الطيور بسجعها
وكأنها في كل قلبٍ وابل

• الشاعر موسى بن زين الدين شاعر وظف شعره لخدمة مجتمعه، فلم يتكسب بالشعر، لم ينزل به إلى الحضيض، فكان شعره للعلم والعلماء، والتربية والتعليم، وله قدرة على النظم، ويعلم بحور الشعر وقوافيه.

• قد استخدم خياله في الوصف والمديح، فظهرت بعض الصور الفنية، مع سجع جميل أدى إلى الجرس الموسيقي، والسبك الجيد للأبيات.

• الشاعر درس العربية بتعمق، وحفظ الأشعار العربية واشتهر بين زملائه بقدرته على النظم، وسعة خياله أدت إلى صنع أبيات في مناسبات مختلفة.

• ظهر أسلوبه البسيط في شعره، فلا غموض في قصائده، ولا معاضلة لفظية، ولم يستخدم النادر من الألفاظ والحوشي، ولكن هناك بعض الهنات في بعض الأبيات، تبدو بها الصنعة والتكلف في صناعتها.

****

ميرك شاه الكشميري

١٣٠٦ - ١٣٩٣ هـ / ١٨٨٨ - ١٩٧٣ م

- هو السيد ميرك شاه بن السيد شمس الدين بن السيد بدر الدين إبراهيم بن السيد محمد بن السيد أحمد[١]، وينتهي نسبه بالإمام الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد سنة ١٣٠٦هـ، الموافق ١٨٨٨م، حفظ القرآن الكريم، ودرس علومه الأولى في بلدته، ثم التحق بكلية دار العلوم ديوبند، وتعلم النحو والصرف، وعلم الفقه والأصول، ومن أساتذته مولانا مفتي محيي الدين، ومولانا محمد حسين الوفائي.

- التحق بجامعة البنجاب سنة ١٩١٩م، وحصل على شهادتها، المنشئ الفاضل، وراتب تشجيعي، ثم عمل في كلية دار العلوم بديوبند، سنة ١٩٢٠م، ثم درّس بالجامعة الإمدادية بمرادآباد، وعمل رئيسًا للدراسات الإسلامية في كلية « كرنال» ودار العلوم وجمعية العلماء.

- أقام السيد ميرك مساجد ومراكز دينية، واعتنق التصوف على الطريقة النقشبندية، التي استقاها من أبيه، والطريقة الجشتية من العلامة أشرف علي التهانوي، ثم عمل بالكلية الشرقية في لاهور، حتى وفاته سنة ١٣٩٣هـ، الموافق ١٩٧٣م.

- للشاعر السيد عدة مصنفات منها:
  - **شرح المعلقات السبع.**
  - **شرح قصيدة بانت سعاد، بالفارسي.**
  - **شرح قصيدة غوثية، بالفارسي.**
  - **ترجمة القرآن، بلغة كشمير.**
  - **لغات جديدة، عربي- أردو.**
  - **شرح موطأ مالك.**
  - **عقيدة المحدثين في حياة النبيين، أردو.**
  - **ترجمة كشف المحجوب، أردو.**
  - **شرح سلم العلوم في المنطق، أردو.**
  - **محيط الدائرة في علم العروض والقافية.**

- هذا بالإضافة إلى شعره الفارسي والعربي، ويتبع في شعره العربي منهج الخليل بن أحمد في البحور والقافية الموحدة، وله قصيدة يرثي بها أستاذه الشيخ حسين أحمد المدني، يقول فيها:

أذابَ القلبَ أنباءٌ أتتنا
بإيعادِ الدَّواهي واغتِمامِ
وإقلاقٍ وإيلامٍ وحزنٍ
وإفزاعٍ تحريرِ المنامِ
وإيحاشٍ وإدهاشٍ ويأسٍ
وإسهارٍ قرينٍ بالحِمامِ

(١) مظفر حسين الندوي، مساهمة أهل كشمير في اللغة العربية والأدب العربي، ج٢ك ١٦٤. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج٢١: ٧.حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان

ألا يا عينُ بكّي إذ رُزِئنا
كريمًا سنيدًا رأسَ الأنامِ
إمامًا هاديًا قمرًا منيرًا
مُزيحٌ نورُه ظلمَ الظلامِ
مُحيطًا بالعلا بحرًا ثجيجًا
عظيمًا بارعًا قليل العظامِ
رحيب الصدرِ ذا نسبٍ جليلٍ
رفيعَ القدرِ مرضيَّ المقامِ
زعيمَ القومِ هاديهم برشدٍ
لسانَ الجمعِ في وهْجِ الخصامِ
سميّا للحسينِ بنِ العليّ
وأحمدَ سيدِ الرسل الكرامِ
فدمعُ الهين جارٍ مذ نُعيتَ
وجزنُ القلب حظُّ المستهامِ
يبكّي طالبو درس البخاري
ومغترفو المعارفِ والزمامِ
ألا يا موتُ رفقًا ثم رفقًا
ألا تُبقي على سُبُل السلامِ
على علمٍ وعرفانٍ ومجدٍ
وجدٍّ واجتهادٍ واقتدامِ
وحزمٍ ثم عزمٍ ثم جودٍ
وصدقٍ في الشجاعة واقتحامِ
وبِرٍّ والسخا ووفاءِ عهدٍ
وتحديثٍ وفقهٍ والكلامِ
وتفسيرٍ وتذكيرٍ أنيقٍ
وإصلاحِ الخليقةِ واعتِصامِ
ألا يا موتُ مهلًا ثم مهلًا
ألم تعرفْه أم خدْنُ المقامِ
فقد أذهبتَ شيخًا مُستطابًا
ومَنْ ساسَ الورى وعلَا الأنامِ
وقد أبكيتَ جمعًا من رجالٍ
يُسمّى جلُّهم باسم الإمامِ
لمعقولٍ ومنقولٍ وفضلِ
وحَلِّ المعضلِ الصعب المرامِ
خلودُ المرءِ لم يُسمع قديمًا
ولا مولودَ باقٍ للدوامِ
ولا مخلوقَ إلا سوف يفنَى
ويبقى وجهُ خالقنا السلام
ومن أبقى بقايا صالحاتٍ
هو الباقي على رَمِّ العظامِ
فصبرًا أيها المختارُ صبرًا
فما ذي الدار إلا لانهدامِ
ويا رحمنُ رحموتًا وجودًا
ورضوانًا على الصدر الهمامِ
وطيِّبْ دارةً مثواهُ فيها
وأكرمْه بريحان النعامي

• قصيدة عبر الشاعر فيها عن مكانة العالم الذي غادر الدنيا، وما أبقاه للأجيال التي ستفقد مكانته في أنواع العلوم التي كان يدرّسها، ولكنها تقليدية، وتفيض بالمشاعر الجياشة، واتبع منهج الخليل في البحر والقافية الموحدة، غير أن الخيال فيها قليل جدًا، ربما لنوع الموضوع.

• وعندما توفي العالم الشيخ أنور شاه الكشميري، وهو أحد أساتذته، نظم قصيدة في رثائه، يقول فيها:

سقى الله رمسًا فيه بدرٌ منوّرُ
أضاءتْ به الآفاقُ إذ كان يُزهرُ
من الدّيمِ المرّارِ ما ذرَّ شارقٌ
عِهادًا تروّي غيثَه وتخضّرُ
قرارةُ بحرِ العلمِ أم رَمْسِ أنورٍ
قديسُ محيطِ القدسِ أم هو جوهرُ
وأحيا قلوبًا والمعارفَ بالحجا
كإحياء وَسْميّ رياضًا تنضّرُ
تغلغلَ في أعماق مالم يصلْ إلى
سطوحٍ له جهبيذُ دهرٍ يحبّرُ
حسيبٌ غريبٌ طالعًا طاب شرقُه
وتلفيه مهديًّا إذا ما يغوّرُ
كريمٌ إذا ما زرتَه زرتَ زاخرًا
له دَرُّ عرفانٍ يموجُ ويهدرُ
وراويةُ الآثارِ مسْندُ قرنِه
وشيخُ شيوخ القومِ والأمرُ أظهرُ
مفسّرُ آيات الكتابِ مبيِّنًا
بيانًا وتبيانًا يفوقُ ويبهرُ
محدِّثُ عصرٍ ما أتى بمثيله
وبحرٌ خضمٌّ للعلومِ ومصدرُ
عميقٌ أنيقٌ غائرٌ لا ترى له
شطوطًا وغوْرًا وانتهاءً فيُبْصَرُ
وإن جئتَه ترتادُ نقل مسائلٍ
تجدْ موج بحرٍ عبُّهُ قام يزخرُ
ففي جانبٍ أخبارُ سِتٍّ وجانب
أحاديثُ ما دون الصحيح يخبّرُ
وفي جانبٍ آثارُهم وعلومهم
وفي جانبٍ أسماؤُهم ونذاكرُ
يسمّي لك الأسماء تسميةَ الذي
رآهم وسمّاهم وصاحبُ ينظرُ
فيا ليتني لم أستمع لنعيه
ويا ليته لم تعتفِرْه مقابرُ
فيا عينُ بكّي شرقَ شمسٍ وغربَها
وجودي بدمعٍ سيلُه متواترُ
أبعد دفينٍ بالمصلّى يرى الورى
جبالَ علومٍ سُؤْلهم أينَ أنورُ؟

• قدرة جيدة للسيد ميرك في النظم العربي، ولكن قصائد الرثاء مقيدة بالمناسبة، ولا يستطيع أن يبرز كل قدراته الفنية في نظم الشعر، استخدم الشاعر بحور الشعر

العربي، وقافية محددة، وموضوع عاطفي معين، واختار الألفاظ الدالة على المعنى المراد، وكان سبكه للأبيات جيدًا، ولكن خياله كان ضعيفًا، فلم تخرج منه صور فنية بلاغية، لأن الموضوع مقيد.

- لدى الشاعر إحساس بالمعاني التي تطرق لها، مع تناسق مع الألفاظ الموحية، والمصدر لم ينقل لنا قصائد أخرى لمعرفة كيف سينظم قصائد في الغزل والهجاء والمديح وغيرها، لذا ليس هناك حكم على شعر الشاعر صحيح، ويبقى قاصرًا، ولكن يبدو أن لديه قدرة غير مستغلة.

- وصف المتوفي لعلمه وأدبه وما يتمتع به من قدرات علمية استفاد منها الدارسون، وكان لهم كالأب الحنون، ويشاركهم في همومهم، وينقل إليهم تجاربه في الحياة، ويبصرهم بعواقب بعض ممن يدعي العلم، أو ممن انحرف عن طريق الإسلام الصحيح، كل ذلك قد فقد مع رحيل الشيخ المتوفي، لذا كانت العاطفة الوحيدة التي ظهرت في القصائد.

****

ق

نازك الكشميري

١٠٩٧ - ٠٠٠ هـ / ١٦٨٥ - ٠٠٠٠ م

• ولد الملا نازك[1] في حي تاشوان، بسرينغر كشمير سنة ١٠٩٧هـ، الموافق ١٦٨٥م، درس العلوم الإسلامية، واللغتين العربية والفارسية، كما درس التفسير والحديث، وحفظ القرآن الكريم، وكان صوفيًّا، وكانت له مساجلات مع صديقه الصوفي الشيخ محمد السيالكوتي، وكان الملا نازك قد فقد أحد أبنائه، وكان شابًا، فتأثر كثيرًا بموته، فنظم قصيدة في رثائه باللغة العربية، منها قوله:

قد رأينا اليوم أنوارَ الحبيبْ
لا تكن فيما شهدنا من مريبْ
نحن نشرب دائمًا خمر الودود
ليس للزهارِ من هذا نصيبْ
نحن ندعو حاضرًا في خدمتك
يا دليل الحائرين ريب المجيب
مات في بيتك غريب نازكي
يا رحيم ارحم لأحوال الغريب

• وقد ذكر مؤرخ كشمير غلام حسن خيوهامي، لشاعرنا الملا نازك قطعة مناجاة، يقول فيها:

أنت مطلوبٌ ومعبودٌ لنا
أنت منظورٌ ومقصودٌ لنا
إن وعدتم باللقاء في الآخرة
وهو في الكونين مشهودٌ لنا
لا نرى في الكون إلا وجهك
أنت مشهور وموجود لنا
مذهب الزهاد منعوتٌ لهم
مشرب العشاق محمود لنا
لا زوال عارض للعارفين
نازكي الظل ممدود لنا

• أورد الدكتور فاروق البخاري، بعض أشعار الملا نازك في كتابه «تاريخ الشعر والأدب في كشمير»، ولكن يبدو من أشعاره أنه ناظم لكلمات عربية، تخلو من روح الشعر العربي الجميل، استخدم شاعرنا القافية الموحدة، والبحر العروضي، وفقد العاطفة الرقيقة والخيال الخصب.

• كانت عاطفته تجاه ابنه المتوفى، ولكن ليس بها حرارة الرثاء، غير أن كلامه سهل لا غموض فيه، ولا كلمات

(١) محمد مظفر حسين الندوي، مساهمة أهل كشمير في اللغة العربية والأدب العربي ج١: ١٩٩

نادرة وحوشية، وقدرته على النظم العربي قدرة بسيطة، ولكنه متمكن من اللفظ العربي، ويعرف استخدامه في نقل الفكرة التي يتحدث عنها، والمعلومات عنه شحيحة جدًا، وكذلك عن سنين حياته، وتفصيل دراسته، ولكن كونه صوفيًا فقد لزم نفسه بنظم أبيات عربية، أو فارسية يناجي بها ربه، دون أن تكون له موهبة الشعر، وحب للغة ينقله إلى التعمق في نظم الشعر.

****

ناصر حسين اللكناوي

١٢٨٤ - ١٣٦٠ هـ / ١٨٦٧ - ١٩٤١ م

- هو السيد ناصر حسين بن السيد حامد حسين بن المفتي محمد قلي الحسيني الموسوي[1]، ولد في لكناؤ سنة ١٢٨٤هـ، الموافق ١٨٦٧م، درس على يد أبيه القرآن الكريم والحديث الشريف، وقرأ عليه كتاب نهج البلاغة، وهو خطب الإمام علي، وأقواله، ثم ذهب إلى النجف الأشرف ودرس في الحوزة العلمية، وعاد إلى لكناؤ، ثم تتلمذ عند المفتي الشيخ محمد عباس بن علي الحسيني التستري، فأخذ عنه فنون الأدب واللغة، والمعارف الحكمية حتى برع في تلك الفنون.

- للشاعر السيد ناصر عدة مؤلفات منها:

- **نفحات الأزهار في فضائل الأئمة الأطهار، ١٦ مجلدًا.**
- **ما ظهر في فضائل الإمام علي في خيبر.**
- **مسند فاطمة بنت الحسين.**
- **نفحات الأنس في وجوب السورة.**
- **إسباغ النائل بتحقيق المسائل، تسع مجلدات.**
- **ديوان الخطب.**
- **ديوان الشعر.**
- **كتاب المواعظ.**
- **كتاب الإنشاء.**
- **أكمل كتاب أبيه: عبقات الأنوار في فضائل الأئمة الأطهار.**

- وترك له والده مكتبة ضخمة، وفيها آلاف المخطوطات العربية، زاد فيها كتبًا مخطوطات حتى كانت تدعى: المكتبة الناصرية، نسبة إليه، وله شعر رائق، وقدرة كبيرة على النظم العربي، فمن قصائده الجميلة، حيث يقول:

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨: ٤٨٨. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٢١: ٧٩. محسن الأمين، أعيان الشيعة ج١٠: ٢٠١. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٥٤.

وجَـفَ الـفـؤادُ بـلـذع حـبِّ معنفِ
مـن نـاحـلٍ صـبٍّ كـئـيـبٍ مـدنَـفِ
كـلـفٍ بـخـالـسةِ الـقـلـوب خـريـدةٍ
تـرنـو بـلـحـظٍ كـالـصـوارمِ مـرهَـفِ
فـتّـاكـةٍ بـنـفـوس أربـــاب الـهـوى
عـجّـانـةٍ لـهـمُ بـحـتـفٍ مـذعـفِ
قمراءُ وجهًا في تحندس شعرها
عـفـراء لـونًـا ذات قـدٍّ أهـيـفِ
أصمتْ له قلبًا مُعنًّى بالجوى
إذ أرسـلـتْ طـيـفًـا بـلـيـلٍ مـغـضـفِ
قد بات فيه يمصُّ ريقًا سلسلا
أهنى وأشهى كاحتساء القرقفِ
من بعد جفوتها وطولِ صدودها
سمحتْ بـذاك فـصـار كـالمـتـرشّـفِ
حتى إذا صاح الديوكُ وأخفقتْ
زُهْـرُ الـنـجـومِ درى بـأن لـم تسعفِ
بـل كـان ذا مـنـهـا لـتـسـعَـرَ لـوعـةً
فـي قـلـبـه المُـصـلَـى بـنـار شفشفِ
فـمـضـى وهـــام يـئـنُّ أنَّـــةَ مشتكٍ
ويـضـجُّ ضـجـةَ ذي رزاحٍ مـزرفِ
يبكي على دارٍ تَطمَّسَ رسمُها
لـم يـبـقَ مـنـهـا غـيـر حِـقـفٍ مشرفِ
سـارت ظـعـائـنـهـا فـمـا تـركـتْ بها
غـيـرَ المـهـا وسـوى نـعـافٍ نُـعـفِ
هـلّا سلوتَ عن الصبوِّ إلى الدُّمى
وبُـكـا الـطـلـول بـحُـرقـةٍ لا تنطفي
فلقد أسفتُ على العلوم تأسُّفًا
يـحـكـي زفـيـرَ المـرمـض المـتـلـهّـفِ
لـمـا رأيـــتُ ربـوعَـهـا قـد أقـفـرتْ
عـن أهـلـهـا طُـــرًّا كـقـلـعـةِ نـفـنـفِ
درســتْ مـعـالـمـهـا وبـاطـت أهـلـهـا
أطـلالُـهـا مُـحـيـتْ بـسـيـلٍ مـجـحـفِ
لـلـهِ أعـلـوهـا الـذيـن تَـحـمّـلـوا
عـنـهـا بـتـحـثـيـث المـنـايـا المـرهـفِ
قـد ساقـهـم عـن عـقـرهـا وفـنـائـهـا
قـــدر الإلـــه إلـــى نـعـيـمٍ مـتـرفِ
كـانـوا لـهـا كـالـشـمـس يـقـبـس نـورهـا
والآن تـكـسـى بـالـظـلام المـسـدفِ
زالـــت دعـائـمُـهـا وخـــرَّ أسـاسـهـا
ظـلـت شـرائـعُـهـا كـــأرضٍ حـرشـفِ

• ومن أشعاره فائقة السبك ومتانة القوة:

مـالـي أرى لـيـلـتـي حـفـت بـأنـوارِ
كـأنـهـا بـضـيـائـهـا ذات أقـمـارِ

أتلك ليلة ليلي إذ رأت قمرًا
فصيّرته بدورًا عند أنظارِ
خودٌ حصان مصان شخصها أبدًا
وضوء غرتها تستبرق أبصارِ
بانت لوامعها حتى بها أتلفت
أنجاد أرضٍ حماها بعد أغوارِ
لا يعرفُ الحي ممشاها وإن جهدوا
إلّا بطيبِ شذاها الفائح الساري
سمراء في دعج هيفاء في غنجٍ
قرعاء في أرجٍ بيضاء معطارِ
لمياء في شنبٍ كالراح من عنبٍ
تحدو على طربٍ من غيرِ إسكارِ

• قيل: إن أحد أدباء مصر قال عن بيته: لا يعرف الحي ممشاها وإن جهدوا ...أنه لو أثبت هذا البيت في ديوان امرئ القيس لمزج بكلامه، ولا ينفك عنه، فكان السيد ناصر شاعر عربي قوي الأبيات، وقدرة فائقة على النظم الجيد، وله قصائد أخرى منها، قصيدة يذكر بها عيد النيروز، وهو عيد عند الفرس والهنود، وهو بداية الربيع، يقول فيها:

حان الربيعُ بعدةٍ وعَتادِ
وأتى بعيدٍ أعظمِ الأعيادِ
يومٌ به أضحى الرياض كأنها
حللٌ مفوّفةٌ من الأبرادِ
قد عطّرت «ميدا» لباسَ خريدةٍ
أدنى ملابسها صبيغ الجادي
قد أطربتْ بورودها وزهورها
وبكل غصنٍ للصَّبا ميّادِ
قد صابَها الوسميّ ثم وليُّها
من بعد ما سُقيَت بصوبِ عِهادِ
قد وافق الأنهارَ غيثٌ إنّها
تجري كصبٍّ مستهامٍ صادِ
فحمائم البستانِ فيه هواتفٌ
وسواجع الكعتانِ فيه شوادِ
لا غروَ لو طربتْ وغنّت إنه
يومٌ أتى بالحظ والإسعادِ
يومٌ منيرٌ بين أيّامِ الورى
متوقّدٌ كالكوكب الوقّادِ
يومٌ له شرفٌ عليٌّ شامخٌ
يسمو عن الغاياتِ والأبعادِ
يوم أقرَّ بفضلهِ أهلُ النهى
من مشركٍ أو مسلمٍ منقادِ

• دراسة السيد ناصر حسين في إحدى الدول العربية أكسبته قوة النطق العربي، والدراسة الدينية أطلعته على

خبايا اللغة، فأتى بألفاظ نادرة، وتراكيب متعددة للجمل والألفاظ، وكذلك حفظه لكثير من القصائد العربية أهله ليكون شاعرًا متميزًا في الهند.

- استخدم الشاعر بحور الشعر العربي القديم، واختار الألفاظ المناسبة لأفكاره، وأخرج جملًا متراكبة، ومتعددة الأغراض، فهو يعرف الخليل بن أحمد وبحوره الشعرية، كما أنه حافظ للمعجم اللغوي، مع استعمال خياله الواسع ليصنع صورًا بلاغية فنية، يضاهي بها شعراء العرب.

- قدرة الشاعر على النظم أدى لأن يصنع جملًا مسبوكة، ومتناسقة بين اللفظ والمعنى، فهو شاعر فنان، أوجد القصائد المعبرة والجميلة، مع بيان الغرض منها، في أشكال متعددة، تبهر القارئ، ويشيع في وسطها الجرس الموسيقي، وتترنم الكلمات في ثنايا الأبيات العذبة.

- وهب الله الشاعر موهبة كبيرة وظفها في إنتاج قصائد لها رنين موسيقي، من حيث تناسق الكلمات، وتمازجها مع بعضها مما أدى إلى ان تكون القصيدة كتلة من الجمال والتكلفة في الصنعة، غير أن استعمال بعض الألفاظ النادرة احتاج إلى شيء من الشرح، وعصي الفهم على البعض، ولكنه شاعر قدير موهوب.

****

نجم الحسن الأمروهي

١٢٧٩ - ١٣٦٠ هـ / ١٨٦٢ - ١٩٤١ م

- ولد السيد نجم الحسن بن السيد علي أكبر حسين[1] في مدينة أمروهة سنة ١٢٧٩هـ، الموافق ١٨٦٢م، رحل إلى مرادآباد في طفولته، ودرس هناك كتب النحو والصرف على يد المولوي السيد تفضل حسين السنبهلي، وقرأ العلم على أيدي المولوي على النقي والسيد أبو صاحب، وتلقى الأدب على يد المفتي محمد عباس، الذي لقبه بـ» نجم العلماء»، وحصل على إجازة الحديث من المشايخ؛ السيد محمد كاظم الطباطبائي، والسيد إسماعيل صدرا، والشيخ عباس آل جعفر النجفي، والسيد محمد حسين المامغاني، والميرزا حسين الطهراني.

- لقبته مملكة بريطانيا بـ«شمس العلماء»، ثم عمل مدرسًا، وبعدها رئيس المدرسين في مدرسة مشاريع الشرائع بلكناؤ، ثم مديرًا للمدرسة العالية برامفور، وبعد ذلك فتح

(١) السيد محسن الأمين، أعيان الشيعة ج١٠: ٢٠٥. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٥٧.

مدرسة الواعظين بجهوده بمحمود آباد، كان يدرس اللغة العربية والأدب، والإنشاء في العربية والفارسية.

- له عدة مؤلفات منها:
  - سرادق العفة.
  - المحاسن.
  - النبوة والخلافة.
  - التوحيد.

- كان ينظم الشعر العربي، ومما نظم قصيدة أولها:

ما كنتُ أهوى أراكا قط أو بانا

إلّا لما لهما شبهٌ بليلانا

- وله أيضًا قصيدة طويلة، يقول فيها:

يا ليلةً أزرت بشمسِ نهارِ

فأضاءت الأقطارَ بالأنوارِ

هي ليلةٌ لما أتى في مثلها

فئة طغاة الفجر الأشرارِ

نحو النبيّ وأزمعوا أن يقتلوه

بقاضبٍ أو هارمٍ تبّارِ

يثبوا عليهِ إذا ينامُ ويطفئوا

نور الهدى بقواصفِ الأعصارِ

أمرَ الوصي فنام فوق فراشه

متغطيًا والجندُ حول الدارِ

قد بات يشري نفسه ثم اشترى

نعم الرضا أكرم بهذا الشارِ

قد بات كالليثِ الملبدِ آمنًا

والقومُ محدقة كذنبٍ ضارِ

- يصف الشاعر ليلة هجرة رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- من مكة إلى المدينة، وتآمر قريش عليه في تلك الليلة لقتله، ولكن الله أنقذه، ونام الإمام علي مكان الرسول- عليه السلام-، كما يصف حالة الإمام علي في تلك الليلة، وهو على فراش النبي.

- الشاعر السيد نجم الحسن متمكن من النظم العربي، وقد أعدّ عدة النظم من بحر عروضي، وقافية ذلل، واستطاع أن ينسق بين اللفظ والمعنى، وكان وصفه عظيمًا، وكلماته في موضعها الصحيح.

- امتلك الشاعر القدرة الكبيرة للنظم، وظهر خياله في قصيدته، وأبرز بعض الصور الفنية البلاغية، كما أن السجع أظهر الموسيقا، منها الداخلية والخارجية، حيث يبدو خياله في الوصف والواقع، فهو يملك اللغة والحس الموسيقي في أبياته، لذا كانت القطعة عبارة عن لوحة فنان، أو تصوير فيلم، وكان وصفه دقيقًا، وخياله رائعا،

وكان سبك الأبيات جيدًا، وتناسق الكلمات مع بعضها، ومع المعاني المرادة، فهو شاعر ذو رؤية تاريخية واقعية فنية، استطاع أن يُضمّن قصيدته ما ورد في التاريخ عن تلك الليلة.

****

نذير أحمد الدهلوي

١٢٤٧ - ١٣٠٩ هـ / ١٨٣١ - ١٨٩١ م

- هو الشيخ نذير أحمد بن سعادة علي بن نجابة علي الأعظم بوري الدهلوي[١]، ولد في بلدة بجنور سنة ١٢٤٧هـ، الموافق ١٨٣١م، درس في بلدته المختصرات على مولانا نصر الله الخويشكي، ثم ذهب إلى دلهي، فالتحق بالمدرسة الكلية، بعدها عمل في التدريس في البنجاب، ثم تولى نظارة المدرسة في كانبور، وساعد في نقل تعزيزات الهند إلى الأردو.

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨: ٤٩٣. مؤسسة عبدالعزيز البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج٢١: ٢١٨. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ١٢٧.

- استقدمه نواب مختار الملك، وزير الدولة الآصفية، إلى حيدرآباد، وتولى بعض الأعمال لمدة عشر سنوات، ثم تقاعد فعاد إلى دلهي، واعتزل في بيته. كان الشاعر نذير متضلعًا في اللغة العربية وفنونها، وكان عصاميًا، ونقل تفسير القرآن إلى اللغة المحلية، وله مؤلفات أخرى.
  - **وللشاعر مؤلفات منها:**
  - **ما يغنيك في الصرف.**
  - **مبادئ الحكمة، في المنطق.**
  - **الحقوق والفرائض.**
  - **مرآة العروس، وبنات نعش، والتوبة النصوح، وهي روايات قصيرة.**

- زار الأمير حبيب الله خان، حاكم أفغانستان الهند فقابله المولوي نذير أحمد في دلهي، وقد اجتمع مع العيد، فقال الشاعر:

عيدٌ وعيدٌ وعبدٌ صرْنَ مجتمعهْ

وجه الحبيب ويوم العيد والجمعهْ

- فاستحسن الأمير حضور بديهة الشاعر، فقبله الأمير وعانقه، ونظم الشيخ نذير قصيدة ترحيب بالأمير، يقول فيها:

جُمعت فيك التقى والملك والأدبا

والله إنا نرى في شأنك العجبا

ذكرتنا الخلفاء الراشدين فدم
على الهدى واتبع منهاجهم رغبا
إنّا لفي زمنٍ أهلهِ خبلٌ
لا يحسنون اكتساب العلم والطلبا
لا سيما المسلمون الغافلون فهم
يرجون أجرًا ولا يقضون ما وجبا
الدّهرُ ذو خَولٍ والمرء مرتهنٌ
يجري سواء بما ألفى وما كسبا
الله قدّرَ في الدنيا بحكمته
لكلِّ واقعة أو حادثٍ سببا
الأمرُ والحكمُ أيام مُداولةٌ
بين الخلائفِ والدنيا لمن غلبا
الحربُ ترفعُ أقوامًا وتخفضهم
وإنَّ للناس في تسليطهم نوبا
أما الحديدُ فقد زالت مهابته
كن حاملَ السيفِ أو من تحمل الخشبا
لا يعصمنَّك من ضربِ البنادق لا
وإن طبقت تحت الجوشن اليلبا
فالعلمُ في عصرنا اشتدت سواعده
وعنَّ أن لنا في جمعه أربا
وربما الله لا تحصى مواهبه
والعلمُ أكبر ما أعطى وما وهبا
بالعلمِ كرمنا والعقل فضَّلنا
لولاهما للقينا الكدَّ والنصبا
كلٌّ يريد علوا لا يليق به
فإنَّ في العلمِ سرًا كان محتجبا
المترفون هم الفساق أكثرهم
يبذِّرون تلاد المال والنشبا
إن ينتهوا ينتهوا عن سوء فعلهم
للعجز والضعف لا خوفًا ولا رهبا
أخلافُ قوم علوا في الأرضِ مرتبة
آمنوا بنبيٍّ شرف العربا
ضلوا طريق الهدى والدينَ قد نبذوا
وراءهم فاستحقوا المقت الغضبا
لتهلك القوم حتى لا معاش لنا
ولا كفافًا إذا لم نأله دأبا
الجهلُ فقرٌ وداء لا شفاء له
ولا نهاية إلّا الموت والعطبا
بالقل والذل دنيانا مكدَّرةٌ
والدين فينا ينادي الويل والحربا

• مما لا شك فيه أن الشاعر مجيد، وقادر على النظم باللغة العربية، ومتمكن من جميع أغراض النظم، وله قصيدة يمدح بها السير وليم ميور، في قوله:

تمنيت أن القلبَ كان لساني
يبوحُ بسرٍّ يحتويه جَناني
فإني إذا ما رمت إظهار شكركم
تقصر عنه منطقي وبياني
ولم أرَ قبلي قطُّ من نال غاية
تخلّف عنها أهل كل زمانِ
يلاطفه بحر الندى وعبابه
ويكرمه ليث الوغى وطعان
دعاني وأدناني وأعلى محلتي
وأجلسني من قربه بمكانِ
وزودني ما إن تنوء بعصبة
أولي قوة لُهذِ أشق عوانِ
نقودي فلي في ألفه ألفٌ حاجة
قضاء ديوني وافتكاك رهانِ
وغيرهما ما لا أكاد أعدها
وذا ساعتي صيغت من العقيانِ
أقلدها جيدي ليعلم أنني
لسر وليم في رقبة الإحسانِ

• وله قصيدة أخرى في مدح السير وليم ميور، يقول فيها:

لله دهري صار روضًا أدهما
وعهدته منذ اصطبحتُ جهنما
سهلًا تطؤه إذا ضربت بحزنه
علا تذوقه إذا تناول علقما
وترى المنيةَ منية والجدب خصبًا
والنوائب والصروف مسالما
والشملُ جمعًا والضغائن خلة
والحرب سلمًا والمضيق مراغما
أترعتَ نورًا يا زمانُ فكدت
تخطف اليمون وكنتَ ليلًا مظلما
لا تنكروا هذا التقرب حيرةً
لا تعجبوا هذا التحول إنما
هي حالة أيقنتُ قبلَ وقوعها
في الدهرِ لما أمّروا سر وليما
العالم الفطن اللبيب الأريحي
الحاذق الندس الأريب الأفهما
الأردع اللبق الهمام السيد الـ
ـحجاج ذي المجد المؤمل أكرما
الأوحد الملك الأغر الوجه رحْـ
ـب الخلق مقدامًا جوادًا جهضما
قد كان ذا الأمر الذي قُلّدته
بالحق إلا ما عليك محرما
اليوم عمَّ الملك أمن واستتبا
بٌ له مكملًا أو متمما

• يبدو أن الشاعر متمكن من النظم العربي، وله معرفة ببحور الشعر، ويمتلك الألفاظ المعبرة لأفكاره، استخدم

الشاعر قوافي ذلل، وصنع قصائدًا جيدة، وأطلق لخياله العنان فصدر منه بعض الصور البلاغية الفنية، وهو جيد السبك، ومادح جيد دون إسفاف، مع ملاحظة أنه بالغ في مدح الأمير حبيب الله.

- للشاعر قدرة كبيرة على منافسة قرنائه من الشعراء، وأبياته متناسقة اللفظ مع المعنى، وهو مرتبط بالواقع الهندي، حيث أنه يبدو تعاونه مع الحاكم الإنجليزي، لذا كان مادحًا للسير وليم، على الرغم مما فعله الإنجليز في الهند، ربما في بداية وجودهم وتغلغلهم في المجتمع الهندي.

****

نصير الدين الدهلوي

كان حيًّا سنة ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م

- ولد الشيخ نصيرالدين بن نجم الدين الحسيني السوني[١] بتي في دلهي، غير معروف تاريخ ميلاده، تلقى العلم على يد الشيخ إسحاق بن محمد أفضل العمري الدهلوي، وعلى أيدي غيره من العلماء، وانتمى إلى الطريقة الصوفية النقشبندية على يد الشيخ محمد آفاق العمري النقشبندي، ثم هاجر إلى السند سنة ١٢٥٠هـ، الموافق ١٨٣٤م، مع المجاهدين من أصحاب السيد أحمد بن عرفان.

- صنف الشيخ نصير الدين عدة كتب باللغات الثلاث؛ الفارسية والأردو والعربية، منها:
  - **الإمام أبو حنيفة وطرز استدلاله.**
  - **الاسم والنسب.**
  - **المناقب، باللغات العربية والأردو والفارسية.**
  - **له كتب أخرى بالأردو والفارسية.**

- كان صاحب همة وكثير الدعاء، شعره ديني، واجتماعي، ومن قصيدة نظمها في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يقول فيها:

بذكر المصطفى هادي الزمانِ
رجعتُ من البيان إلى العيانِ
هو القرآن من سور السجايا
صحابته كآيات المثاني
حبيبُ اللهِ خيرُ الخلقِ طرًا
كدّر الوسط في عقد الجمانِ

(١) محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٢٤١.. حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان ص٣٦٩.

عـزيـزٌ ذو المـكـارمِ والمـعـالـي
رفـيـع الـقـدرِ مـرتـفـع المـكـانِ
هـو الـهـادي إلـى سبـل الـسـلامِ
سـديـد الـقـول صـديـق الـلـسـانِ
مـعـين الخـلـق فـي هـمٍّ وغـمّ
مـن الـلـه الـعـزيـز المـسـتـعـانِ
مـسـوّي الـنـاس مـن بـيـض وسـودِ
وهـادي الخـلـق مـن قـاص ودانِ
هـو الـروح اسـتـنـاد بـه الـوجـود
هـو الإنـسـان فـي عـين الـزمـانِ
تـرى خـدي رسـول الـلـه حسنًا
بـنـور الاهـتـداء يـبـشـرانِ
لـه قـلـبٌ كـمـصـبـاحٍ مـنـيـرٍ
ولـلـقـرآن سـيـرتـه مـعـانـي
وبـعـثـتـه عـلـى خـلـقٍ عـظـيـمٍ
كـمـا نـصـت بمـحـكـمـة الـبـيـانِ
فـمـن والاهُ بـشـره الـودود
خـلـودًا تحـت أنـوار الجـنـانِ
ومـن عـاداه مـوعـده الجـحـيـمُ
سـتـجـعـلـه كـمـطـرود مـهـان
لـه نـار الـقـرى فـوق الـيـفـاع
مـضـيـف فـي المـواطـن بـالـبـنـانِ

نـظـرت إلـى جـمـيـع الخـلـق نـظـرًا
فـلـم يـدرك لـه فـي الخـلـق ثـانـي
مـغـيـث فـي مـفـاجـات الـبـلايـا
بـرحـمـتـه الـبـرايـا فـي الأمـانـي
أمـيـنٌ صـادقٌ فـي كـلِّ أمـرٍ
كـريـمٌ مـكـرمٌ فـي كـلِّ شـانِ
إمـامُ الخـلـقِ مـن شـرفِ وجـودٍ
شـفـيـعُ الـنـاسِ فـي بـرٍ وجـانِ
لـنـا فـي الـديـن والـدنـيـا نـصـيرٌ
بـإنـعـام ولـطـف وامـتـنـانِ

• قصيدة طويلة في مديح رسول الله-عليه أفضل الصلاة والسلام- بين فيها سمات وخصائص الرسول، ورسم لأعداء النبي الطريق إلى جهنم. وله أيضًا قصيدة أخرى، يقول فيها:

يـا مـدرك أحـوالـي
قد تعلم والله ما يخطر في بالي
لا تـكـذب فـي ذاك
في لجة آفات بالصون وجدناك
الـفـخـر لـه جـازا
من جاء على بابك قد نال وقد فازا
فـي الـعـشـق كـرامـات
من أخلصة يبقى لليائس روعات
مـا طـاوع مـن ولـى
محروم موالات لا صام ولا صلى

الـــفـــيـــض بـــأنـــوار

في باصرة الرائي من قبة مختار

- شاعر بسيط سهل الأبيات، ناظم للكلمات العربية، ولكنه سلك طريق النظم العربي القديم، بحر عروضي، وقافية موحدة، والموضوع محدد، أخرج بعض صفات النبي- عليه السلام- بكل وضوح، فلا غموض في ألفاظه، وسبك الأبيات جيد، ولكن بلا خيال، ولا صور بلاغية، سوى بعض التشبيهات، والوصف ليس جديدًا فقد تطرق إليه شعراء آخرون، والشاعر يمتلك القدرة الفنية للنظم، لكن قلة النماذج لا تعطي صورة صادقة لقدراته الفنية، وقدرة الشاعر على النظم جيدة، ولو كان له قصائد أخرى لكان الوضع مختلفًا.

****

نظر أحمد السهسواني

١٣٠٤ - ١٣٨٠ هـ / ١٨٨٧ - ١٨٦٣ م

- ولد الشيخ نظر أحمد بن السيد آل محمد بن السيد نذير أحمد الحسني النقوي[1] في مدينة سهسوان سنة ١٣٠٤هـ، الموافق ١٨٨٧م، درس في بلدته المراحل الأولى، وتعلم الصرف والنحو والأدب والمنطق والفلسفة، والحساب عند الشيخ إعجاز أحمد، وعند الطبيب محمود عالم، ثم ذهب إلى بهوبال وتعلم على يد السيد «ذو الفقار أحمد» الأدب والفنون والعلوم الأخرى، بها ذهب إلى دلهي ولاهور وأكمل تعليمه ودراساته، العقلية والنقلية عند المفتي «عبدالله التونكي»، و«النواب نذير أحمد خان»، وغيرهم.

- في رعاية أبيه بدأ الشاعر في التأليف والنظم، ومذاكرة الكتب والأمور الدينية والعلمية والأدبية، لذا كان متميزًا في الإبداع والعلم والحلم والتأليف، وكان على مقدرة تامة في النظم وكان ذوقه رفيعًا في اللغة العربية وفنونها، وكذلك باللغة الفارسية والأردو، والذي كان ينظم الشعر في اللغات الثلاث.

- كان للشيخ إعجاز أحمد تأثير كبير في أدب الشاعر ونظمه، كذلك استفاد كثيرًا من الشيخ محمد طيب عرب المكي في النظم العربي، وكانت رحلاته العلمية قد رفعت من قدراته الأدبية، واستطاع أن يخرج ثلاثة دواوين في اللغة العربية واللغة الفارسية والأردو، ومن شعره في اللغة العربية قصيدة نظمها بمناسبة زيارة ملك المملكة العربية السعودية، الملك سعود بن عبدالعزيز للهند سنة ١٩٥٥م، يقول فيها:

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٩٩.

أحـنُّ على يعلي لوجدٍ على بعدِ
إذا ما سوى وهنًا نسيم صبا نجدِ
تحـيّرتُ من زهـر الـريـاض شممته
إذا ما أرى عزمًا لها فاح على الوردِ
إذا مـا تغنت فـي الـغصونِ حمامةٌ
تـزيـدُ كـآبـات الـفـؤادِ مـن الـوجـدِ
ولمـا أرى الـورقـاء تـنـدبُ شجوها
قد اضطربت نـارُ الصبابة في كبدِ

- مشكلة المصدر أنه لا ينقل بعض القصائد المهمة في شعر الشاعر، ويكتفي بقطعة صغيرة لا تعبر عن فكر الشاعر ككل، ولا يستطيع الحكم على شعره، على الرغم من أن لدى الشاعر ديوان شعر باللغة العربية، ولكن من خلال هذه القطعة الصغيرة تتضح مقدرة الشاعر الفكرية، وإن كانت قاصرة، إلا أنه يبدو عليه التمكن من النظم العربي.

- يمتلك الشاعر قدرة النظم العربي، واستخداماته الفنية، وأدوات النظم التقليدية،، فقد اختار بحرًا عروضيًا لفكرة في باله، وأتى بألفاظ مناسبة ومتناسقة مع المعنى، ورصها في ذلك البحر، ولم تخل قطعته من موسيقي، وجرس موسيقي، وبعض الصور الفنية، غير أن قلة النماذج تحرم الناقد من الحكم الصحيح على الشعر، ويصبح الحكم قاصرًا.

****

نقيب أحمد أوجوي

١٣١٦ - ١٣٦٩ هـ / ١٨٩٨ - ١٩٤٩ م

- ولد الشيخ نقيب أحمد بن شريف أحمد الصديقي[1] في أوج (باكستان) سنة ١٣١٦هـ، الموافق ١٨٩٨م، درس المرحلة الأولى في بلدته، ثم ذهب إلى ديوبند ليلتحق بدار العلوم، ومكث خمس سنوات، ليدرس عند العلامة أنور شاه الكشميري، والشيخ محمد رسول خان الهزاروي، وتلقى اللغة والشعر عند الشيخ إعزاز علي، وذهب إلى «تهانه بهون» والتحق بمدرسة إمداد العلوم، ولازم الشيخ أشرف علي التهانوي، ورجع إلى بلدته سنة ١٩٣٠م، وعمل مدرسًا بعد تخرجه في بلدته، وظل في عمله عشرين سنة.

- له بعض الحواشي على بعض كتب الفارسية، وله قصائد بالفارسية والعربية، ومن شعره العربي قصيدة وجدانية في مديح الرسول الكريم، محمد الهاشمي العربي، يقول فيها:

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج٢١: ٣٧٨.

أيـهـا الـراقـدُ فـي لـذّاتـهِ
إن دنـا يـبـكـي مـخـافـة بـعـده

نَمْ هـنـيـئًـا إنَّ عـيـنـي لـم تـنَـمْ
إن نـأى فـالـنـأي قـطـاع الـنـسـم

لا تـلُـومـونـي عـلـى حـبِّ الـدُّمـى
فـاح سـري فـوح مـسـك بـاديًـا

أيـهـا الـلُّـوَّامُ مـن أهـلِ الـتّـهـم
مـن جـمـوع جـاريـات الـسـقـم

أيُّـهـا الـمـغـرورُ فـي لـذَّاتـه
كـيـف يـخـفـى مـا بـدت آثـاره

لا تـلـمْ فـالـلـومُ ضـربٌ مـن لَـمـم
مـن هـزال أو شـحـوبٍ أو هـرم

يـا خـلِـيَّ الـقـلـبِ عـن نـارِ الـهـوى
لـيس لـي إخـفـاء مـا تـحـت الـحـشـا

نَمْ هـنـيـئًـا إنَّ عـيـنـي لـم تـنـم
فـاعـذرونـي بـالـلـذيـذ المـبـتـسـم

حـرُّ قـلـبـي زاد مـن هـجـرانِ مَـنْ
صـرتُ ملقى فـي المـهـالـك والـنـوى

قـلـبـه قـد صـار مـنـي فـي شَـبَـم
مـرّ عـمـري فـي الـكـبـائـر واللـمـم

لاقـنـي يـومًـا حـبـيـبـي مـسـرعًـا
فـأبـلـغـن مـنـي تـبـاريـح الـصـبـا

قـائـلًا يـا لـلـنـقـيـبِ المـحْـتَـشَـم
إن تـسـر يـومًـا إلـى أرض الـحـرم

قـلـتُ يـا روحـي لـقـد أهـلـكـتـنـي
تـحـفـة ذات الـفـوائـح والـشـمـم

قـال لا تـحـزن بـذا جـفَّ الـقـلـم
فـي جـنـاب ذي الـنـبـاهـة والـشـيـم

مـا لـهـذي الـعـيـن تـبـكـي دائـمًـا
الـنـبـي الـهـاشـمـي المحـتـرم

مـا لـهـذا الـدمـع يـجـري كـالـديـم
ذي الـعـنـايـة والـضـخـامـة والـكـرم

يـا لـطـيـفَ الـخـلـق قـتّـال الـهـوى
قـل لـه مـن بـعـد ذلـك خـاضـعًـا

يـا شـريـف الـخـلـق ذا الـبـدر الأتـم
أيـهـا الـفـخـر الأعـارب والـعـجـم

يـا بـديـعَ الـحـسـن ذا الـوجـه الـحـسـن
يـرتـجـى مـنـك الـنـقـيـبُ لـنـظـرة

يـا نـظـيـر الـشـمـس قـلـبـي يـضـطـرم
لـفـتـة تـكـفـيـه يـا بـحـر الـكـرم

مـا لمـن يـهـواك سـلـوة سـاعـة
كـن شـفـيـعًـا حـيـن لا مـأوى لـه

لازمـان الـبـعـد لا وقـت الأمـم
يـا رسـول الـلـه يـا كـهـف الأمـم

يا رفيع القدر يا خير الورى
يا أمين الله حفاظ الذمم
يا إمام المرسلين وخيرهم
أنت مولى الخلق أنت المحترم
أنت شمس أنت بدر في الورى
أنت نور الله محاء الظلم
رحمة للخلق مهداة لهم
قبلة من ترب أرضك تغتنم
أنت ظلي يوم لا ظلّ لهم
أنت ساقٍ أنت هادٍ في العمم

• تصوير رائع لعلاقة بين اثنين، فالشاعر امتلك الخيال الواسع وسطر بفكره تلك العلاقة الحميمية بينهما، وكما هي العادة عند الشعراء يتخيل أنَّ له أعداء ولائمين له على حبه، غير أن فكر الشاعر يدعوك للتعاطف معه. ثم يعرج إلى رسول الله يمدحه ويتوسل إليه طالبًا شفاعته، ورضوان الله.

• وللشاعر قصيدة أخرى يصف فيها جمال المحبوبة، يقول فيها:

حبيبي ليس مثلُك في الزمانِ
وأنت فريدُ دهرك في الحسانِ
وخدُّك في الخدود نظيرُ بدرٍ
وقدُّك في القدود شبيهُ بان
فهذا الوجهُ أو بدرٌ منيرٌ
وهذا الشعر أو عِقْدُ جمان
وإنَّك عالمٌ بخفيِّ أمري
أيحتاج العيانُ إلى بيان
وما لي غيرُ ذكرك قوتُ نفسٍ
وما لي منك من دار الأمان

• معظم شعراء الشعر يرون أن مدح رسول الله، والشخصيات الإسلامية من مظاهر الإيمان ومحبة الإسلام ورسوله، لذا ترى أن معظمهم ينحون هذا المنحى، وشاعرنا واحد من هؤلاء الشعراء، لذا فقد نظم قصيدة في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يقول فيها:

بأبي نبيًّا صاحبَ الإرشادِ
هادي العبادِ لشرْعِه بسَدادِ
ما الشمسُ في كبدِ السماء كوجْهِه
لا البحرُ يشبهُه مع الإزبادِ
بَرْقٌ تألَّقَ نوره مُحِيَتْ به
ظُلَمُ الضلالِ وظلمةُ الإفسادِ
نورٌ تلألأ شرعُه انطمست به
آثار كفرٍ من جميعِ بلادِ

مـن ضـوء وجـهِ مـنيره وصفـائـهِ
مُـحِـيـتْ ظـلامُ الـشـركِ والإلحـادِ
يشفي الـعـلـيـلَ بـقـولـه وحـديـثُـه
يشفي الـغـلـيـلَ بفيضه وصـوادي
فـالحـق أنَّ نـبـيـنـا وصـفـيّـنَـا
شـمـسُ الـهـدايـة فـائـضُ الإرفـادِ

• في مدحه لرسول الله -عليه أفضل الصلاة والسلام- كان تقليديًا استعمل الكلمات نفسها التي استعملها الشعراء الآخرون، ولكن قدرته كانت جيدة في نظم الشعر العربي، واستطاع أن يختار الألفاظ المناسبة للبحر العروضي، وكان سبك الأبيات جيدًا فيها، وأبياته واضحة القصد، لا غموض فيها.

• شاعر له موهبة كبيرة، وحس شعري وقاد، وقدرة على امتلاك أدوات النظم بأشكال متعددة، وله تخميس قصيدة فنية يقول فيها:

كَـفَـى تجـريـدُ مـرءٍ لـلـتـحـلـي
وذا نـور فـيـهـدي لـلـتـجـلـي
أُعـاب عـلـى الـتـفـرد والـتـولـي
ألامُ عـلـى الـتـجـنـب والـتّـخـلـي
فـقـلـتُ لـهـم ألا هـذا شـعـاري
رأيـتُ الـنـاس زيـدًا ثـم عـمـرًا
سـهـرتُ الـعـمـرَ سـهـرًا ثـم سـهـرا
وطـيـف الأرض وعـرًا ثـم وعـرا
لـقـد طـوفـتُ فـي الآفـاق دهـرا
وجـبـتُ الـقـفـر والـبـيـد الـصـحـاري
صـمـتُ مـن الـبـقـاع ومـن لـديـها
عـجـمـتُ لـهـا فـمـا أرنـو إلـيـهـا
ودنـيـا قـمّـصـتـنـي حـلـيـتـهـا
وجـربـتُ الـبـلادَ ومـن عـلـيـهـا
ومـيـزت الـصـغـار مـن الـكـبـارِ
رأيـتُ بـلـيـغـهـم وكـذا فـصـيـحـا
عـرفـتُ حـسـيـنـهـم وكـذا قـبـيـحـا
ولـم أر قـط مـن غـمـي فـتـوحـا
فـإنـي لـم أجـد أحـدًا نـصـوحـا
يـقـيـنـي مـن وقـوعـي فـي عَـوارِ
فـلا يـسـتـب حـين عـزبـتُ عـنـه
ولـيـس يمـن بـي إن طـبـتُ عـنـهُ
ولا يـغـتـابـنـي إن خـبـت عـنـه
ولا يـغـتـابـنـي إن غـبـتُ عـنـه
ولا يـؤذي إذا هـو فـي جـوارِ
وجـدتُ الـخـيـرَ فـي قـطـعٍ وصـرمِ
فـمـا فـي الـنـاس مـن أربـاب سـلـمِ

وما لي مؤنس من أهل حلمِ
ولكن الكتاب كتاب علمِ
سميري في الليالي والنهارِ
يعاهدني إذا عصفت سمومي
ويطربني إذا اشتدت غمومي
ويأسوني إذا نقرت كلومي
يواسيني إذا هجمت همومي
ويؤنسني إذا أنا في الدمارِ
يناديني إذا أنا في البرايا
بعاونني إذا أنا في المنايا
دليلي في الوساوس والعمايا
خليلي في الهواجس والرزايا
أنيسي مؤنسي حامي الذمارِ
فليس نظيره خل لعمري
سعود شقاوتي وسفاء صدري
وكاشف ظلمتي ودواء عسري
طريفي تالدي وولي أمري
أحب ذخائري وكذا ضماري

- موهبة فذة يتمتع بها هذا الشاعر، وله مقدرة عجيبة في النظم العربي، فقد نظم القصيد العادي والمخمس، واستخدم البحور العربية، والقوافي الذلل، ونجح في توظيف خياله فصنع صورًا وموسيقا وفنًا عاليًا، ومن المديح إلى الوصف، إلى الغزل، إلى الرثاء، وكان شيخًا للعربية وناظمًا لها وأديبًا فيها، ضمن أدباء العرب.

- قدرة الشاعر كانت كبيرة، ويستطيع أن ينظم قصائد متعددة، ولديه حسن الصنع، والابتكار، فخياله كان رائعًا في صنع صور فنية بلاغية، تركت أثرًا في نفس القارئ، وكان الجرس الموسيقي واضحًا في بعض الأبيات، وتتضح الموسيقا الداخلية والخارجية من خلال قراءة أبياته الشعرية.

****

وحيد الدين الحيدرآبادي

١٢٨٨ - ١٣٤٤ هـ / ١٨٧١ - ١٩٢٥ م

• هو الشيخ مجمد وحيد الدين العالي بن الكاتب محمد كلان بن الشيخ رسول الحسن القرشي الهاشمي[١]، ولد في حيدرآباد سنة ١٢٨٦هـ، الموافق ١٨٦٩م، وتوفي أبوه وهو طفل صغير، فقامت أمه بتربيته ورعايته، بعد أن درس المراحل الأولى التحق بدار العلوم النظامية، وتعلم المنقول والمعقول من أساتذته، ثم رحل إلى شمال الهند للاستزادة من العلم، فتلقى العلوم العربية والأدب على يد السيد علي آغا الشوستري، والعلامة غلام محمد البنجاني، ثم درس الطب على يد الطبيب منصور علي خان المرادآبادي، ودرس الحديث عند الشيخ أحمد علي السهارنفوري.

• كان وحيد الدين تلميذًا خاصًّا عند السيد الشوستري، وتأثر به كثيرًا، وكان الأستاذ متعلقًا به لنجابته وذكائه، ودرس عنده جميع الفنون العربية والأدب، وكان يراسل بعض الأساتذة، وله صلات كثيرة مع زملاء له، وأصدقاء وأقارب لعائلته، ووصفت أخلاقه وتعامله مع الناس، وكيف كان لين الجانب، متواضعًا، وكان واسع الاطلاع على الثقافة، وله متابعة لأحوال المسلمين، وهو طبيب حاذق، وله شعر مجيد رائق، نظم أربع قصائد تحت عنوان واحد، هو: الجواهر الزاهرة في مدح النبي وآله الطاهرة، وله ديوان شعر بالفارسية، كما له بالعربية.

• من قصائده المشهورة في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- يقول في مستهلها:

هل من يبلغ من أهوى وأعشقه
عني تحية شوقٍ حين يرمقه
هل من يجيء بإنباء الأحبة من
أرض لها أرجٌ يذكو فأنشقه

• وبعد هذا المطلع يأتي إلى صلب الموضوع ليقول:

محمدٌ سيدُ الكونين ليس له
ندٌ ولا خالق الكونين يخلقه
كالورد زهرته والمسكُ نكهته
والبدرُ طلعته والدُّرُّ منطقه
خيرُ النبيين لا تحصى فضائله
فيحتويها بليغ القولِ مفلقه
طوق الرسالة تاج الرسلِ خاتمهم
طوبى لمن ذاك إخلاصًا يطوّقه
يا من هدانا إلى خير الطرائق من
دين وجاء بقرآن يحققه

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٧٢. محمد سلطان محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي ص٣٦٢. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج٢١: ٥٤٢. مركز عبدالله بن عبدالعزيز لخدمة اللغة العربية، الثقافة العربية في الهند ص ٣٥٣. محمد سميع أختر، مجلة المجمع العلمي العربي الهندي ص ١٤٥. محمد عبدالمقتدر حسان، تطور الحديث النبوي في حيدرآباد ص ٥٤.

• للشاعر الطبيب وحيد الدين اطلاع واسع على الأدب العربي، ومتابع للقصائد المشهورة عند العرب، ومنها قصيدة الفرزدق في مدح الإمام زين العابدين علي بن الحسين، فخمسها وحيد الدين، يقول فيها:

هذا الذي لا تنال الشمسُ شهرته
وليس ينكرُ من شام غرته
هذا الذي تلثم الأفلاك عقوته
(هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيتُ يعرفه والحلُّ والحرمُ)
هذا ابنُ من هو هادِ سيد الأمم
فاق الخلائق من عرب ومن عجمِ
هذا ابن من هو أهلُ الفضلِ والكرمِ
(هذا ابن خير عباد الله كلهمُ
هذا التقي النقيُّ الطاهرُ العلمُ)
من جده مصطفى كالبحر همته
والغيث رحمته والليثُ سطوته
نالت بإعلائه الأفلاك دوحته
(مشتقة من رسول الله نبعته
طابت مغارسه والخيم والشيم)
هذا الذي نوَّر الدنيا بطلعته
بيض الكواكبِ قد دانت لزهرته
هذا الذي أشرقت أنوار جبهته
(ينشق ثوب الدجى عن نور غرته
كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلمُ)
هذا الذي ساكنو البطحا به افتخرت
وفي قبائلهم أوصافه اشتهرت
هذا الذي منه آيات الهدى ظهرت
(ينمي إلى ذروة الدين التي قصرت
عن الأكف وعن إدراكها القدمُ)

• في تقليد للشاعر أبي البقاء الرندي في رثائه للأندلس، بعد أن شاهد وضع المسلمين في الهند، نظم شاعرنا قصيدة على البحر والروي ذاته، وهي قصيدة طويلة، يقول فيها:

هل في سبيلٍ إلى وصل الأولى بانوا
بيني وبينهمُ بيدٌ وقيعانُ
أو للزمانِ رجوعٌ للوصالِ إذا
كانت له كالرحى في الدور أحيان
أو للدموع رُقوءٌ وهي جاريةٌ
تدمي شؤونٌ أراقتها وأجفانُ
أو عن هموم أقاسيها بحبهمُ
لقلبيَ الهائمِ الولهانِ سُلوانُ
أنَّى خمودٌ لنارٍ في الغرام بها
ما في الجوانحِ والأحشاءِ لُهبانُ
من لي بشوقهمُ هادٍ يدلُّ إلى
أرضٍ بها لي أوطارٌ وأوطانُ
أينَ السروبُ التي سارت بها ظعنٌ
لي إثرها كان إعوالٌ وإرنانُ
بيضٌ كواعب شدَّت ركائبها
قلبي إليهنَّ مشتاقٌ وحنّانُ

إذا النسيمُ بأنفاسٍ لهنَّ سرت
تفوح كالمسكِ أنقاءً وكثبانُ
لم تخلُ دورهمُ لكن بها سكنت
بعد الخرائبِ أرآمٌ وغزلانُ
لولا تذكّر أيامٍ لهنَّ مضت
وشوقُ ربعٍ أقامت فيه جيرانُ
لما ذكا تحت صدري ما يحرّقه
ولم يذب لي قلبٌ وهو هيمانُ
أخشى زفيراً ووإعوالًا ينازعني
ألاّ يبوحَ بسرِّ الحب إعلانُ
عيني تفيض على صدرٍ به حُرقٌ
حبًّا لتُجمعَ أمواهٌ ونيرا
وفتيةٌ عذلوني حين هيَّج لي
نوحُ الطيور بكاءً فيه أشجانُ
تقولُ ما لك تبكي في اشتياقهمُ
لكل طيرٍ لها في الأيكِ ألحانُ
فقلتُ ويحكمُ مهلًا لأنيَ بي
حزنٌ تُسعِّرهُ كالنارِ أحزانُ
لمّا مضَوْا طفقت تعفو ديارُهم
كأنها مصحفٌ تمحوه أزمانُ
حتى غدت بمرور الدّهر طامسةً
تزعزع سُقُفٌ منها وجدرانُ
فقد وقفتُ بها ذا وحشةٍ وأسى
إذ أقفرتْ وبها أُدمٌ ووِحشانُ
قلبي به ألمٌ كالنار مضطرمٌ
والدّمعُ منسجمٌ والجفنُ ملآنُ

أدورُ ألثم تربًا في محلِّهمُ
كأنني فيه ذو الأشواقِ نشوانُ
يا راكبَ الخيلِ قد طارت به عجلا
بلِّغْ سلاميَ صحبي أينما كانوا
طول ادّكاري لهم ليلي يطول به
وإن يكن منهم للصبِّ نسيانُ
ما لي أرى زمنًا بالشر يُحزنني
وظلَّ يلقف قومي وهو ثعبانُ
أينَ الألى أدركوا بالسعي من رتبٍ
ما لا يُسامِتُهُ بدرٌ وكيوانُ
أينَ الألى ملكوا شرقًا كما ملكوا
غربًا وسادوا الورى حتى لهم دانوا
أين الألى طلعت شهب العلومِ بهم
حتى استنارت بها في الأرضِ بلدانُ
أين الألى رتقوا فتق الورى وحمَوْا
دينًا به نُسخت في الناس أديانُ
أين الألى نوَّرَ الأرجا سراجهمُ
وزال عتها بهم كفرٌ وطغيانُ
كم من ملوكٍ بهم حاق المنون وهم
أهلُ الجنودِ فحول الحربِ شجعانُ
كانت آرائكم تعلو السماء كما
كانت تضيء لهم كالشهبِ تيجانُ
يومًا حضرت إذا ماتوا منازلهم
وفوق نحري لدمع العين تهتانُ
شاهدتُ أبنية فيها تشير إلى
فضل الألى قد بنوها وهي درسانُ

لـم يـبـقَ مـن أثـرٍ فـيـهـا لأهـلـهـم
ولا عـمـاد ولا نـؤي وأعـطـانُ
فـنـابَ فـي الـدَّهـرِ أقـوامٌ منابهم
لـم يقتفوا إثرهم قطعًا إذا حانوا
خلفٌ أضاعوا هدى أسلافهم ونسوا
مـا قـد أتـاهـم بـه لـلـضبط قـرآنُ
حتى غـووا وعليهم نـخوة غلبت
فـيـسـتـزلـهـم بـالـخـتـلِ شـيـطـانُ
فـلا لـثـأيـهـم رأبٌ لأنـهـم
كُـلُّ امـرءٍ منهم فـي الـحـقِّ سهوانُ
إن حدَّثوا كذبوا إن خاصموا فجروا
وإن هـم ائـتـمـنـوا أفٍ لـهـم خـانـوا

- لا شك أنها قصيدة رائعة ينعى الشاعر بها أمة الإسلام، وهو يرى حالها من قائدة للعلم والعالم إلى دول مشتتة متخاذلة متصارعة، يلعب بها الغرب يمنة ويسرة، ولهم من أنفسهم أعداء، وحالهم أطمع الأعداء بهم، وتركهم يتقاتلون مع بعضهم، ولا يحاولون النهوض أو وقف النزاعات فيما بينهم.

- نظم الشاعر قصيدة طويلة في مدح رسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام- يقول في بدايتها:

بـدت بمحيا نـوره ظـلُّ يسطهُ
تـريـك كـأنَّ الـشمسَ من ثـمَّ تطلعُ

- وبعدها يتحدث عن المسلمين ليقول لهم:

وأنـتـم بـنـو أهـل الـفـخـامـة والعلى
إذا غـاب مـنـهـم أروعٌ قـام أروعُ
فـآبـاؤكـم سـادوا الأنـامَ شـرافـةً
ومـا فـيـهـم إلّا الـعـلا والـتـرفـعُ
بـه الأنـبـيـا إذ نـابـهـم مـا دهـاهـم
إلى الله ذي العرش المجيدِ تضرعوا
إذا مـا الـورى كـانـوا يتيهون غفلةً
بـدا عـنـهـم، شـر الـغـوايـة يُـدفـعُ
فـداه فـؤادي ثـم روحـي ومعشري
ومـا لـي وآبـائـي وأهـلـي وأجـمـعُ
هـو الـنـيِّـرُ الـوهـاج لاح لـنـا بـه
طـريـق إلـى الـلـه المهيمن مـهـيـعُ
لـقد أوضـح الـلـهُ الـسبيلَ ببعثه
إلـيـنـا ووجـه الـدَّهـرِ أسـود أسفعُ
وكـلُّ مـديـحٍ فـيـه قـولٌ محققُ
ومـا أجـره عـنـد الإلـهِ مضيعُ
عـلـيكَ سـلام الـلـهِ مـا لاح عـارضٌ
ومـا مومض الـبرقِ اليماني يلمعُ
وآلـك ثـم الـصحبُ والـتـابـعـين من
كـرامٍ بـهـم أصـل الـغـوايـة يقلعُ

- الشاعر وحيد الدين العالي شاعر متمكن من قدراته الفنية في نظم القصائد العربية، ومتتبع لأوضاع المسلمين، ويتأثر بأحوالهم السلوكية، ويراهم في كل البلاد الإسلامية، ومعاناتهم مع الاستعمار، وجهادهم في سبيل التخلص منه، وينظم قصيدة رثاء لمصطفى كامل، زعيم الحزب الوطني في مصر، يقول فيها:

لقد حلَّ رزءٌ بالبرية كارث
تهون الرزايا بعده والحوادثُ
نأى مصطفى عن أهل مصر بموته
فمن بعده للعزِّ والمجدِ وارثُ
وإن تفقّدَ القومُ الأجانب واحدًا
تجد من له في الفضلِ ثانٍ وثالث
ولكننا بالعكس من حيث لا نرى
بديل فقيد حين أرداه حادثُ
فمهما يغيبُ عنا كريمٌ فلا يقم
كريمٌ لأسمى قدره متوارثُ
فمن بعده في مصرَ يحمي الأنامَ من
بحور شرور موجها متلاطثُ
ومن بعده في اللم يفرغ جهده
إذا انتشرت للمفسدين المشاعثُ
ومن مثله يهوي المهاوي جاهدًا
لرفع الألى هم للعهودِ نواكثُ
سقى ربنا المولى بأمطار عفوه
مدى الدهر قبرًا جسمه فيه لابثُ

• على الرغم من صعوبة الروي «الثاء» إلا أن الشاعر غامر ونظم قصيدة بهذا الروي ونجح، مع بعض التصنع الخفيف، ولا ينسى وهو من سكان حيدرآباد، الدكن، الملك الذي أشاع العلم وبنى المراكز العلمية فيها، وهو الملك عثمان علي خان، فمدحه بقصيدة، يقول فيها:

بصدري لقلبٍ شوّقتهُ العوانسُ
ملاذ من نار الهوى ومقابسُ
فما ملك في الدَّهرِ حاز فخاره
ولم يلبس الثوب الذي هو لابسُ
وإن أحدٌ يسعى لنيل منالِه
فقد آب عنه خائبًا وهو آيسُ
إليه ورود الطالبين لجوده
كما ترد الماءَ الخوامسُ
فما كفّه عند العطاء بواكس
ولا وجهه من حيث يسأل عابسُ

• قدرة كبيرة على فن الشعر عند وحيد الدين العالي، استطاع أن ينظم قصائد متعددة القوافي، منها الذلل والحوش، ويخوض في بحور الشعر المختلفة ليؤلف صورًا جميلة النظم، وعظيمة القدر، وهو متمكن من أدوات النظم العربي بكل ثقة بإخلاصه، وقدرته على النظم العربي.

• ينافس الشيخ وحيد الدين شعراء العرب في النظم الجيد للشعر العربي، وقد تطرق لموضوعات كثيرة، لم يتطرق لها كثير من الشعراء، وامتلك قدرة النظم يهابها بعض الشعراء، ولكنه استطاع أن ينظم بها على الرغم من كونه يعيش في بلاد غير عربية.

• استخدم الشاعر بحور خليلية، مع قوافي متعددة، منها الذلل والنفر والحوش، وبعض هذه القوافي يتحاشاها الشعراء، وبسط خياله الواسع على قصائده فأخرج لنا صورًا فنية بلاغية، عظيمة القدر، مع حسن السبك للأبيات، وروعة الفن في النظم الجيد، وهندسة بلاغية كبيرة.

• كان للتناسق بين اللفظ والمعنى دور كبير في جمال الأسلوب وقوة النظم، بالإضافة إلى الموسيقى الداخلية والخارجية، وكان الجرس الموسيقي يبدو واضحًا في المحسنات البديعية، التي أدخلها فكانت قصائده تتميز بالمعاني الجيدة، والنظم المرتب، والفهم الواضح، دون غموض ولا معاضلة، ويحق لحيدرآباد الفخر أنها أنجبت شاعرًا مثل الشيخ وحيد الدين العالي، وبالتالي يحق للهند أن تفخر به.

****

وحيد القادري الموسوي

١٣٠٢ - ١٣٧٩ هـ / ١٨٨٤ - ١٩٥٩ م

• هو السيد شاه وحيد بن سيد محمد بن سيد مرتضى القادري الموسوي[١]، ولد في حيدرآباد سنة ١٣٠٢هـ، الموافق ١٨٨٤م، درس العلوم الأولى واللغات من علماء عصره، وتعلم الحديث والمعقول من مولانا الطبيب منصور علي خان، ومولانا عبدالرحمن المحدث السهارنفوري، ثم بايع جده السيد مرتضى القادري الموسوي على التصوف، وكانت حياته بسيطة، ولا يحب الجاه والمال والسمعة والشهرة.

(١) محمد سلطان محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي ص٢٢٠.

• كان السيد وحيد واعظًا ومرشدًا وبايعه كثير من الناس، لدماثة أخلاقه، وسلوكه بين الناس، وكان يعلم الناس في بيته، ويدرس الحديث، وتفسير القرآن الكريم، وكان يفتي على المذهب الحنفي، ولم يكن يسمح باستعمال مكبر الصوت، أو إعلان الرؤية بالإذاعة، وعدم السماح بسماع المزامير.

• كان السيد الشاه وحيد يقرض الشعر باللغة الأردية، ويتخلص فيه بالعارف، وديوانه «ديوان العارف» وبه بعض الأبيات العربية، ولم يخصص ديوانًا لقصائده العربية، وتركها مبثوثة في ديوانه، ومنها في تقريظ كتاب : إرشاد نوري « للشيخ سيد مخدوم الحسيني، شيخ الفقه في الجامعة النظامية، يقول:

يا أيها الأحباب والطلابُ
بشرى لكم بشرى بخير رفيقِ
جاء الكتابُ المستطابُ لسيد
مخدوم طالب كل رمز دقيق
صدر الأساتذة الذين تفضلوا
ولهم فخارٌ جاءهم بوثيق
فخذوهُ ثم اتلوه واستهدوا به
به ارتقوا في ذروة التحقيق
ثم اسمعوا من عارف تاريخه
إرشاد نوري سراج طريق

• تعبير بسيط، ورأي واضح، وعميق، حث الشاعر بهذه القطعة الطلاب للاستفادة من الكتاب، وقراءته، ثم يذهبون إليه لتفسير ما غمض عليهم منه، وكان أسلوبه

واضحًا لا غموض فيه، متناسق اللفظ والمعنى، وحافظ على النمط القديم من النظم، فالقافية موحدة وبحر عروضي، ولكن لا خيال فيه، ولا صور بلاغية، فهو ناظم لفكرة يريد توصيلها للطلاب.

****

ولي اللّه أحمد الدهلوي

١١١٤ - ١١٧٦ هـ / ١٧٠٢ - ١٧٦٢ م

- هو السيد قطب الدين أحمد ولي الله بن عبدالرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي[1]، ينتهي يتصل نسبة بالإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي زين العابدين بن الأمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب، ولد بقرية قريبة من دلهي سنة ١١١٤هـ، الموافق ١٧٠٢م، تلقى دروسه الأولى على يد أبيه الشيخ عبدالرحيم، وكان يذهب إلى دروس الشيخ محمد أفضل السيالكوتي، وعمل في التدريس اثنتي عشرة سنة، ثم ذهب إلى الحجاز سنة ١١٤٣هـ، الموافق ١٧٣٠م، وحج وزار الرسول، ومكث سنتين استفاد من لقاء علماء الحرمين الشريفين، ثم عاد إلى الهند.

- وجد أن المسلمين في الهند في ضياع بعد وفاة أكبر سلاطينهم أوربغ زيب، فبدأ الضعف يدب في أوصال الدولة الإسلامية، وهنا أدرك الإمام ولي الله أهمية إحياء علوم الدين، وخاصة الحديث، وعمل في هذا المجال، ومع علم التفسير، ونقل معاني القرآن الكريم إلى اللغة الفارسية، التي كانت سائدة في الهند، وأصدر أهم كتبه «حجة الله البالغة» على الرغم من الاعتراضات من بعض المشايخ.

- بدأ السيد ولي الله بتنقيح ما علق في التاريخ الإسلامي من خرافات وأوهام، ثم في الاعتدال المذهبي، ومحاولة التقريب بين آراء المذاهب الإسلامية، وأخذ يبين للمسلمين سبب ضعفهم في تشتتهم وتعصبهم، لذا رأى أن واجبه تنقيح النظريات والمذاهب، وإبعاد الشبهات والأوهام، ولم يكن يتعصب لمذهب على مذهب آخر، واشتغل بالتدريس في مدرسة والده، وبث فيها آراءه ومحاولاته الإصلاحية

- للسيد ولي الله الدهلوي عدة مؤلفات، منها:
  - **حجة الله البالغة، جمع فيه خلاصة آراء المذاهب الإسلامية.**
  - **إزالة الخفاء من خلافة الخلفاء، وهو في تاريخ الخلفاء في القرون الأولى.**

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٦: ٣٩٨. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ١٨٠. مركز الملك عبدالله ابن عبدالعزيز لخدمة اللغة العربي، الثقافة العربية في الهند ص٣٣٨. جمال الدين الفاروقي، أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية ص ٩٨.

- الإنصاف في بيان سبب الاختلاف،
- التفهيمات الإلهية، خطب ومقالات تتعلق بالدين والتصوف.

- كان الشاه ولي الله يعمل جاهدًا للم شمل المسلمين، وبيان أوجه قصورهم، وذكر أن الجهل هو العامل الأساسي في تفرق المسلمين، وابتعادهم عن تعاليم الإسلام، فهو أول من فرق بين الإسلام والمسلمين، لذا لجأ إلى نشر الثقافة الإسلامية المتوسطة دون تعصب، أو انحراف عما قرره الإسلام في القرآن والسنة الصحيحة.، وكان داعية للوسطية، فالإسلام واحد، والمذاهب آراء علماء، فلا يجب أن يتعصب الفرد لمذهب دون الآخر، فكلهم يصب في بوتقة الإسلام.

- السيد ولي الله الدهلوي شاعر مفلق، غزير العلم، ذو ثقافة واسعة، اطلع على آلاف القصائد العربية، ورأى أن النمط الجاهلي في بداية القصيدة قد تبعه شعراء آخرون في العصر الإسلامي، وحتى العصر الحديث، ولكن شاعرنا مثلما أراد التغيير في الفقه والحديث والدراسات الإسلامية نظر على الشعر وحاد عن التقليد إلى الابتكار والتجديد، فلا يعنيه الوقوف إلى الطلل، والنسيب في بداية القصيدة، إنما الموضوع هو الأهم، والذي يجب البدء به، فيقول:

إذا أخبرتَ يومًا عن ضياءٍ
فلا تلهج ببدرٍ أو ذُكاءِ
وإن تمدح بجودٍ أو سموّ
فلا تنظر بجودٍ أو سماءِ
ولا تذكر أخا طيٍّ ومَعنًا
إذا كلمتَ في معنى السخاءِ
ولا تنسب أخا بأسٍ لليثِ
ولا ذا الرفق للريح الرخاءِ
وإن بنيتَ في المنظوم وجدًا
فحاشا أن تشبب بالنساءِ
فتلك شرائعٌ للشعر قدمًا
وقد نسخت بختم الأنبياءِ

- هكذا كان مذهبه الشعري، فهو جديد في النظرة إلى أغراض الشعر، وبدايات القصيدة، فهو يرى أن شرائع الجاهلية قد انتهت بالإسلام، لذا نراه يتبع نمطًا جديدًا في نظم الشعر، وإن سبقه بعض الشعراء العرب في العصور المختلفة، ولكن آثار العصر الجاهلي كانت مستمرة عند بعض الشعراء.

- وعندما يذكر الديار والآثار فإنه يتذكر سيرة الرسول- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، والديار التي عاش بها، فيقول:

فهلّا قلتَ إذ حاولتَ مدحًا
ببأسٍ أو سخاء أو صفاءِ
أرى طيفًا يذكّرني عهودًا
بطيبة حيث مجتمع الرجاءِ
أثم به وبيضا من وميض
تألقَ في البقيعِ وفي قباءِ

أحس به نسيمًا من فتوحٍ
تنسم من كديّ أو كداءِ
تذكّرني أحاديث التصافي
مقاماتٍ بثورٍ أو حراءِ
تشوّقني لأحوالٍ تقضت
بسلعٍ أو نواح ببرحاءِ
تصورت الديارَ فهامَ قلبي
وهيَّج ذكرها من بكائي
روت عندي شمائل عن حبيبٍ
فأبكتني وزادت من عنائي
أيا قلبي بأحزاني تقطّع
فلا سلوان لي بعد النواءِ
ويا صدري بآلامي تشقق
فلا أرضى لنفسي بالبقاءِ
فهل من مشتري روحي بروحي
يروّحني بوعدٍ من لقاءِ
يبشرني بنعم بعد بؤسٍ
وإسعادٍ لها بعد الشقاءِ
وقالوا اخرج تنزّه في مروجٍ
لتسلو من تباريح البلاءِ
وما عذر المشوق إذا تلهى
خليُّ القلبِ في شرع الوفاءِ
بجب الحب قد أمسي رهينًا
فما بال الحدائق والفضاءِ
ومن قاسى أذى من ماء عينٍ
فهل يغنيه عين ماءِ
تعالى الله لا تحسبه فردًا
يفوق الناس طرًا في العلاءِ
ولكنَّ الحدائق قد تداعت
ممثلة أمام الأتقياءِ
وفي أمر الشفاعة حين يدعى
لها من بعد عذر الأنبياءِ
فيرحمهم بدعوته جميعًا
ويكرمهم بأصناف العطاءِ

- لقد حرر الشاعر السيد ولي الله نفسه من الوقوف على الطلل، ليصب حبه وشوقه لرسول الله-عليه أفضل الصلاة والسلام- ويعتبر هذا الحب والشوق لرسول الله، أما الوقوف على الطلل فما له من داعٍ وليس التشبيب بالنساء له غرض، ولكن لقاء الرسول هو الهدف الأسمى، والحب الأرفع.

- وفي قصيدة أخرى بائية، وهي طويلة أيضًا، تتكون من تسع وتسعين بيتًا من الشعر العربي، يقول فيها:

كأنَّ نجومًا أومضت في الغياهبِ
عيونُ الأفاعي أو رؤوس العقاربِ
إذا كانَ قلبُ المرءِ في الأمرِ خائرًا
فأضيقُ من نِسعَينِ رحب السباسبِ

وتشغلني عني وعن كل راحتي
مصائبُ تقفو مثلها في المصائبِ
إذا ما أتتني أزمةٌ مدلهمةٌ
تحيطُ بنفسي من جميع الجوانبِ
تطلبت هل من ناصرٍ أو مساعد
ألوذُ به من خوفِ سوءِ العواقبِ
فلستُ أرى إلّا الحبيبَ محمدًا
رسول إله الخلقِ جم المناقبِ
ومعتصم المكروب في كلِّ غمرةٍ
ومنتجع الغفران من كل هائبِ
ملاذُ عباد اللهِ ملجأ خوفهم
إذا جاء يومٌ فيهِ شيب الذوائبِ
إذا ما أتوا نوحًا وموسى وآدما
وقد هالهم إبصار تلك الصعائبِ
فما كان يغني عنهم عند هذه
نبيّ ولم يظفرهم بالمآربِ
هناك رسول الله ينجو لربه
شفيعًا وفتّاحًا لباب المواهبِ
فيرجع مسرورًا بنيل طلابه
أصاب من الرحمن أعلى المراتبِ
سلالة إسماعيل والعِرقُ نازلٌ
وأشرفُ بيتٍ من لؤي بن غالبِ
بشارة عيسى والذي عنه عبروا
بشدة بأس بالضحوك المحاربِ

ودعوة إبراهيم عند بنائه
بمكةَ بيتًا فيه نيل الرغائبِ
جميلُ المحّيا أبيض الوجه ربعةً
جليلُ كراديس أزج الحواجبِ
صبيحٌ مليحٌ أدعج العينِ أشكل
فصيحٌ له الإعجام ليس بشائبِ
وأحسنُ خلقِ الله خُلقًا وخِلقةً
وأنفعهم للناس عتد النوائبِ
وأجودُ خلق الله صدرًا ونائلا
وأبسطهم كفًا على كلِّ طالبِ
وأعظمهم حرًا للمعالي نهوضه
إلى المجدِ سامٍ للعظائمِ خاطبِ
ترى أشجع الفرسانِ لاذ بظهره
إذا احمرَّ بأس في بئيس المواجبِ
وآذاهُ قومٌ من سفاهة عقلهم
ولم يذهبوا من دينه بمذاهبِ
فما زال يدعو ربه لهداهمُ
وإن كان قد قاسى أشدَّ المتاعبِ
وما زال يعفو قادرًا عن مسيئهم
كما كان منه عند جذبة جاذبِ
وما زال طول العمرِ لله معرضًا
عن البسط في الدنيا وعيش المرازبِ

بديعٌ كمالٌ في المعالي فلا امرؤ
يكون له مثلًا ولا بمقاربِ

أتانا مقيم الدين من بعد فترةٍ
وتحريف أديانٍ وطول مشاغبِ

فيا ويلَ قومٍ يشركون بربهم
وفيهم صنوف من وخيم المثالبِ

ودينهم ما يفترونَ برأيهم
كتحريم حامٍ واختراع السوائبِ

ويا ويلَ قومٍ حرّفوا دين ربهم
وأفتوا بمصنوعٍ لحفظ المناصبِ

ويا ويلَ من أطرى بوصفِ نبيه
فسمّاه ربّ الخلقِ إطراء خائبِ

ويا ويلَ قومٍ قد أبارَ نفوسهم
تكلف تزويق وحب الملاعبِ

ويا ويلَ قومٍ قد أخف عقولهم
تجبر كسرى واصطلام الضرائبِ

فأدركهم في ذاك رحمة ربنا
وقد أوجبوا منه أشد المعائبِ

فأرسل من عليا قريش نبيه
ولم يك فيما قد بلوه بكاذبِ

ومن قبل هذا لم يخالط مدارس الـ
يهودِ ولم يقرأ لهم خط كاتبِ

فأوضح منهاج الهدى لمن اهتدى
ومنَّ بتعليم على كلِّ راغبِ

وأخبرَ عن بدء السماعِ لهم وعن
مقام مخوف بين أيدي المحاسبِ

وعن حكم ربّ العرش فيما يعيهم
وعن حِكمٍ تروى بحكم التجاربِ

وأبطل أصناف الخنى وأبادها
وأصناف بغي للعقوبة جالبِ

وبشّر من أعطى الرسول قياده
بجنة تنعيمٍ وحورٍ كواعبِ

وأوعدَ من يأبى عبادة ربه
عقوبة ميزانٍ وعيشة قاطبِ

فأنجى به من شاء منا نجاته
ومن خاب فلتندبه شر النوادبِ

فأشهدُ أنَّ الله أرسل عبده
بحقٍّ ولا شيء هناك برائبِ

وقد كان نور الله فينا لمهتدٍ
وصمصام تدميرٍ على كلّ ناكبِ

وأقوى دليلٍ عند من تمَّ عقله
على أن شرب الشرع أصفى المشاربِ

تواطى عقول في سلامة فكره
على كل ما يأتي به من مطالبِ

سماحة شرعٍ في رزانة شرعه
وتحقيقِ حقٍّ في إشارةِ حاجبِ

مكارم أخلاقٍ وإتمامُ نعمة
نبوة تأليف وسلطان غالبِ

نصدّق دين المصطفى بقلوبنا ... فأرسل رب الأرضِ بعد نبيه
على بينات فهمها من غرائبِ ... فتوحًا توازي ما لها من مناكبِ
براهينُ حقٍّ أوضحت صدق قوله ... وكلمه الأحجار والعجم والحصى
رواها ويروي كل شابٍ وشائبِ ... وتكليمُ هذا النوع ليس برائبِ
من الغيبِ كم أعطى الطعام لجائعٍ ... وحنَّ له الجذعُ القديمِ تحزنًا
وكم مرة أسقى الشراب لشاربِ ... فإنَّ فراق الحِب أدهى المصائبِ
وكم من مريضٍ قد شفاه دعاؤه ... وأعجب تلك الدر ينشق عنده
وإن كان قد أشفى لوجبة واجبِ ... وما هو في إعجازه من عجائبِ
ودرَّت له شاة لدى أم معبدِ ... وشقَّ له جبريل باطن صدره
حليبًا ولا تسطاع حلبة حالبِ ... لغسلِ سوادٍ بالسويداء لازبِ
وقد ساخ في أرضٍ حصان سراقة ... وأسرى على متن البراق إلى السما
وفيه حديث عن براء بن عازبِ ... فيا خير مركوبٍ ويا خير راكبِ
وقد فاح طيبًا كف من مس كفه ... وشاهد أرواح النبيين جملة
وما حلّ رأسًا حتى شيب الذوائبِ ... لدى الصخرة العظمى وفوق الكواكبِ
وألقى شقي القومِ فرث جزورهم ... وشاهد فوق الفوق أنوار ربه
على ظهره والله ليس بعازبِ ... كمثل فراش وافر متراكبِ
فألقوا ببدر في قليب مخبث ... وراعت بليغ الآي كل مجادلٍ
وعمَّ جميع القومِ شأو المداعبِ ... خصيملإ تمادى في مراء المطالبِ
وأخبر أن أعطاه مولاه نصرة ... براعة أسلوبٍ وعجز معارضٍ
ورعبًا إلى شهر مسيرة ساربِ ... بلاغة أقوالٍ وأخبارُ غالبِ
فأوفاه وعد الرعب والنصر عاجلا ... وسمَّاهُ رب الخلق أسماءَ مدحه
وأعطى له فتح التبوك ومأربِ ... تُبيّن ما أعطى له من مناقبِ
وأخبر عنه أن سيبلغ ملكه ... رؤوف رحيم أحمد ومحمد
إلى ما أرى من مشرق ومغاربِ ... مقفى ومفضال يسمى بعاقبِ

إذا ما أثاروا فتنة جاهلية
ومنهم رجال يدرسون كتابه

يقودُ ببحرٍ زاخرٍ من كتائبِ
بتجويد ترتيلٍ وحفظ مراتبِ

يقوك بدفه البأس أسرع قومه
ومنهم رجالٌ فسروه بعلمهم

بجيش من الأبطال غرّ السلاهبِ
وهم علمونا ما به من غرائبِ

أشداء يوم البأس من كل باسلٍ
ومنهم رجال بالحديث تولعوا

ومن كل قومٍ بالأسنة لاعبِ
وما كان فيه من صحيحٍ وذاهبِ

توارث إقدامًا ونبلاً وجرأةً
ومنهم رجالٌ مخلصون لربهم

نفوسهم من أمهاتٍ نجائبِ
بأنفاسهم خصب البلاد الأجادبِ

جزى الله أصحاب النبي محمد
ومنهم رجالٌ يُهتدى بعظاتهم

جميعًا كانوا له خير صاحبِ
قيام إلى دين من الله واصبِ

وآل رسول الله لا زال أمرهم
على الله رب الناس حسن جزائهم

قويمًا على أرغام أنف النواصبِ
بما لا يوافي عده ذهن حاسب

ثلاث خصالٍ من تعاجيب ربنا
فمن شاء فليذكر جمال بثينة

نجابة أعقابٍ لوالد طالبِ
ومن شاء فليغزل بحب الربائبِ

خلافة عباس ودين نبينا
سأذكرُ حتى للحبيب محمدٍ

تزايد في الأقطارِ من كل جانبِ
إذا وصف العشاق حب الحبائبِ

يؤيد دين الله في كل دورة
وأذكره وجدًا تقادم عهده

عصائب تتلو مثلها من عصائبِ
حواه فؤادي قبل كون الكواكبِ

فمنهم رجال يدفعون عدوهم
ويبدو محيّاه لعيني في الكرى

بسمر القنا والمرهفات القواضبِ
بنفسي أفديه إذًا والأقاربِ

ومنهم رجالٌ يغلبون عدوهم
وتدركني في ذكره قشعريرة

بأقوى دليل مفحمٍ للمغاضبِ
من الوجد لا يحويه علم الأجانبِ

ومنهم رجال بينوا شرع ربنا
وألفي لروحي عند ذلك هِزةً

وما كان فيه من حرام وواجبِ
وأنسًا وروحًا دون وثبي لواثبِ

وصلى عليك الله يا خير خلقه

ويا خير مأمولٍ ويا خير واهبِ

- وهب الله السيد ولي الله موهبة الشعر، وأفاض عليه بدراسة الأدب والعلم، وفتق ذهنه بالفكر النيّر، والعلم الغزير، ونظم الشعر بنفس طويل، وقدرة عجيبة على حشد كل الطاقات لخدمة الإسلام، وكون الشاعر ينظم قصائد طويلة مملوءة بالمعاني والقيم الروحية والنفسية والاجتماعية دليل على التمكن من الفن الشعري والأدبي والتاريخي، فقد عبر بكل جوانحه ومشاعره عن حبه لرسول الله- صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم-، فكان قمة في الرقي والالتزام بكل المعاني الفنية منها والحركية.

- الشاعر موهوب، ومقتدر في مجاله الديني المتجدد، وفنه الشعري المتوقد، استخدم كل أدوات النظم العربي، وحفظ بحور الشعر، وأتى بقوافي ذلل، وصنع أبياتًا متناسقة متكاملة، ألفاظه ملأت جمله بكل فكرة طرقها، ومن خياله صنع صورًا غنية بلاغية، فكان شاعر العرب والهند، استلهم تاريخ المسلمين وسيرة الرسول الكريم، ومكانة الآل والأصحاب، وأبرز صورًا من الفداء.

- تتجاذب موسيقا الشعر عنده بالألفاظ صاحبة الجرس الموسيقي، وظهرت موسيقاه الداخلية والخارجية، واسترسل في تطور الجمل متتبعًا فصول التاريخ الرسولي، وممجدًا الله على نعمة إرسال رسولنا محمد (ﷺ).

****

يحيى أحمد الدشتكي

١٠٤٨ - ١٠٩٢ هـ / ١٦٣٨ - ١٦٨١ م

• هو السيد محمد يحيى بن أحمد نظام الدين بن محمد المعصوم الدشتكي[١]، ولد في المدينة المنورة سنة ١٠٤٨هـ، الموافق ١٦٣٨م، توفيت والدته وهو في المهد، وتولت عمته تربيته وتنشئته، تلقى تعليمه في المدينة، ودرس اللغة العربية والفقه وأصوله، وبرع في نظم الشعر منذ أن كان صغيرًا، ثم رحل إلى والده في حيدرآباد، الهند، وهو شاب وبقي بها وتزوج إلى وفاته، سنة ١٠٩٢هـ، الموافق ١٦٨١م.

• ومن أشعاره قوله:

تـذكـرتُ أيـام الحـجـيـجِ فأسبلَتْ
جفوني دماء واستجد بِيَ الوجدُ
وأيـامـنـا بـالمشعرينِ الـتـي مضت
وبالخيف إذ حادي الركاب بنا يحدو

• ويقول أيضًا عن التباعد عن أرض الصبا وملاعب الإخوان:

ألا لا سقى اللهُ البعادَ وجورَهُ
فـإنَّ قـلـيـلًا مـنـهُ عـنـك خـطـيرُ
ووالـلـه لـو كـانَ الـتـبـاعدُ ساعةً
وأنـتَ بعـيدٌ إنـهُ لكثـيرُ

• وقد كتب قصيدة إلى أخيه علي صدر الدين المدني، يقول فيها:

أفـق أيـهـا الـقـلـبُ عـمّـا تُـحـاولُـهْ
فـإنَّـك مـهـمـا زدتَ زادَ تـشـاغُـلُـهْ
دع الـدَّهـرَ يفعل كيف شاءُ فقلما
يـرومُ امـرؤ شيئًا ولـيسَ يواصله
ومـا الـدَّهـر إلّا قـلـبٌ فـي أمـوره
فـلا يـغـتـرر فـي الـحـالـتـينِ معامله
ويـا طـالمـا طـابَ الـزمـانُ لـواجـدٍ
فـسـرّ وقـد سـاءت لـديـهِ أوائـلـه
رعـى وسـقـى الـلـهُ الـحـجـازَ وأهـلـه
ملـتـا تـعـمُّ الأرضَ سقيا هواطله
فـإنَّ بـه داري ودارُ عـزيـزة
عـلـيَّ ومـهـمـا أشـغـل الـقـلـب شاغله
ولـكـنَّ لـي شـوقًـا إلـى خـلّـتـي التي
مـتـى ذكـرت لـلـقـلـبِ هـاجـت بلابله
أبـيـتُ ولـي مـنـهـا حـنـيٌّ كـأنـنـي
طـريـحُ طـعـانٍ قـد أصـيـبـت مقاتله
هـوى لـك مـا ألـقـاهُ يـا عـذْبَـةَ اللمى
وإلّا فـصـعـبٌ مـا أنـا الـيـوم حامله

(١) علي بن معصوم المدني، سلافة العصر في محاسن الشعراء في كل مصر ص ٣٦. عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٥: ٤٤٩. محمد سعيد الطريحي، ملوك حيدرآباد ص ٩٣.

أكابدُ فيكَ الشوق والشوقُ قاتلي
وأسألُ عمن لم يجب من يسائله
تقى الله في قتلِ امرئ طالَ سقمه
وإلّا فإنَّ الهجرَ لا شك قاتله
صليهِ فقد طال الصدودُ فقلما
يعيش امرؤ والصَّدُّ ممن يقاتله
حزينٌ لما يلقاهُ فيك من الجوى
فها هو مضني مدنفُ الجسمِ ناحله
بلى إن يكن لي من عليٍّ وعزمه
معينٌ فإنّي كلما شئتُ نائله

• فراجعه عنها وقال:

إليك فقلبي لا تقرُّ بلابله
إذا ما شدت فوق الغصون بلابله
تهيَّج لي ذكرى حبيبٍ مفارق
زرود وحزوى والعقيق منازله
سقاهنَّ صوب الدمعِ مني وويله
منازل لا صول الغمامِ ووابله
يحلُّ بها من لا أصرح باسمه
غزالٌ على بعد المزارِ أغازله
تقسمه للحسن عبلٌ ودقةٌ
فرن وشاحاه وصمت خلاخله
وما أنا بالناسي ليالي بالحمى
تقضت وورد العيش صفو مناهله
ليالي لا ظبي الصريم مصارم
ولا ضاق درعًا بالصدود مواصله

وكم عاذلٍ قلبي وقد لجَّ في الهوى
وما عادل في شرعه الحب عاذله
يلومون جهلًا بالغرامِ وإنَّما
له وعليه بره وغوائله
فللهِ قلبٌ قد تمادى صبابةً
على اللومِ لا تنفك تغلي مراجله
وبالحلة الفيحاء من أبرق الحمى
رداح حماها من قنا الخط ذابله
تميس كما ماس الرديني مائدًا
وتهتز عجبًا مثل ما اهتزَّ عامله
مُهفهفة الكشحِ طاوية الحشا
فما مائد الغصن الرطيب ومائله
تَعلقتُها عصرَ الشبيبة والصِّبا
وما علقت بي من زماني حبائله
حذرتُ عليها أجل البعدِ والنوى
فعاجلني من فادح البينِ عاجله
إلى اللهِ يا أسماء نفسًا تقطعت
عليك غرامًا لا أزال أزاوله
وخطبُ بعاد كلما قلتُ هذه
أواخر كرَّت عليَّ أوائله
لئن جار دهرٌ بالتفرق واعتدى
وغال التداني من دهى البين غائله
فإني لأرجو نيل ما قد آمله
كما نال من يحيى الرغائب آمله

من النفر الغر الذين بمجدهم
تأطد ركن المجد واشتدَّ كاهله
لقد ألبستُ نفسي المعالي بروده
وزرتُ على شخص الكمال غلائله

- وله نظم من بيتين هما:

ألا يا زمانًا طال في تباعدي
أما رحمةً تدنو بها وتجودُ
لألقى الذي فارقت أنسي مذ نأى
فها أنا مسلوبُ الفؤادِ فريدُ

- وكتب رسالة إلى أخيه علي صدر الدين المدني، يقول فيها:

لعلى روحي وما لي فداء
وله مني الثنا والدعاء
هو ذخري إن خفتُ من ريبِ دهري
وهْو كهفي وملجَئي والرجاء
وهو الماجدُ الكريمُ المرجى
للمعالي وهو الهدى والضياء
كيف أنسى زمان أنسٍ تقضى
هو فيه السرور والسراء
دمتَ يا سيدي وكهفي عليًا
وملاذًا دامت لك العلياءُ

- سئل الإمام علي- عليه السلام- أيهما أفضل الأخ أم الصديق؟ فقال: ما أجمل الأخ حين يكون صديقًا، وما أجمل الصديق حين يكون أخًا... وهذا الذي كان بين الأخوين علي بن أحمد نظام الدين، ويحيى بن أحمد نظام الدين، فالعلاقة بين الأخوين ترجمها السيد يحيى بتلك الكلمات المعبرة عن الأخوة الحقيقية.

- الشاعر السيد يحيى شاعر مفلق، عظيم الشأن في الأدب والشعر، له قدرة فائقة على النظم العربي، وهو العربي الأصل، وتمكن من استخدام البحور الشعرية العربية، والقوافي من الذلل وغيرها، وجال بخياله وصنع صورًا فنية بلاغية، أدت إلى جمال الأسلوب، وحلاوته.

- وأسلوب الشاعر كان سهلًا ميسورًا، لا تعقيد فيه ولا غموض في تعبيراته،لم يستعمل الألفاظ النادرة والحوشية، فكانت كلماته بسيطة معبرة، وخاصة إذا تناسقت مع المعنى، وعبر بها الشاعر عما يشعر به من مشاعر المحبة، أو الذكريات الجميلة التي مرت في حياته، مع تذكر مرابع الصبا، والعلاقات الحميمة الأولى، وما فيها من لحظات تركت أثرًا في نفسه، وحتى بعد أن غادر الحجاز إلى الهند كانت الذكريات جزءًا من سلوكه في نظم الشعر.

- يبدو أن الشاعر مطبوع، فلم يقف عند معضلة شعرية، بل كانت الكلمات تنساب بين شفتيه ليصنع منها أبيات قصائده، فهو يمتلك قدرة كبيرة على النظم، وله قدرة على التأقلم مع الواقع، وتساعده دراسته العربية، وحفظه لكثير من القصائد العربية مما سهل له النظم، فأبدع في قصائده.

****

يحيى بن أحمد الرسولفوري

١٣٢٨ - ١٣٨٧ هـ / ١٩١٠ - ١٩٦٧ م

- ولد الشيخ محمد يحيى بن الشيخ أحمد حسين في رسولفوري[١] سنة ١٣٢٨هـ، الموافق ١٩١٠م، تعلم على يد والدته المرحلة الأولى، ثم دخل مدرسة إحياء العلوم بمباركفور فتعلم اللغة العربية، وبعض العلوم، ثم ذهب إلى دكا، حيث والده كان مدرسًا فتعلم عنده المرحلة المتوسطة، ثم التحق بمدرسة الشرع في سنبهل، وبعدها إلى المدرسة الإسلامية بأمروهة، فتتلمذ على يد الشيخ أنوار الحق الأمروهي وآخرين، وحاز على الشهادة، ثم بدأ يتعلم الطب على يد الشيخ محمد إسماعيل العباسي، ثم التحق بدار المبلغين بلكناؤ على يد الشيخ عبدالشكور الفاروقي.

- كان الشيخ يحيى متمكنًا من المعقولات كالمنطق والفلسفة والهيئة والهندسة، كما كان حاذقًا في المنقولات كالحديث والتفسير والفقه وعلم الكلام والأدب والبلاغة والشعر، إلى جانب ممارسته للطب. ثم عمل في التدريس في مدرسة جشمه رحمت بغازيفور، ثم في الكلية العربية برائيدرك، ومدرسة إحياء العلوم بمباركفور، حتى وفاته سنة ١٣٨٧هـ، الموافق ١٩٦٧م.

- للشاعر الشيخ يحيى بعض المصنفات منها:
  - **العمدة ترجمة زبدة، أردو.**
  - **تحقيق رؤية الهلال واختلاف المطالع.**
  - **شرح المعلقات السبع.**
  - **التقويم الأبدي وتقويم لمواقيت الصلاة.**
  - **قصائد شعرية متناثرة لا يضمها ديوان.**

- احتذى الشيخ محمد يحيى والده في حب الشعر العربي، ونظم عدة قصائد، فمن قصائده ما نظمه أثناء زيارة الملك سعود بن عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية، يقول فيها:

ألا يا أيها القومُ الكرامُ
أتانا الأوحدُ الملكُ الهُمامُ
تفضّل بالقدومِ بلاد هندٍ
فضاء الجو وانصرف الظلامُ
فليس الانتهاج لنا وحيدًا
بل انتهج الليالي والغمامُ
هو الملك المعظم ذو جلالٍ
وأقدار يَحَارُ به الأنامُ

- ألم يجد المصدر قصيدة أخرى غير هذه القطعة كنموذج لشعر الشاعر؟!!، فالشاعر لديه امكانية النظم العربي، في بحر عروضي، وقافية موحدة، ولكن هل يجوز الحكم على شعره من خلال قطعة قصيرة من الشعر؟!، دراسته

(١) نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٣٠٩.

العربية وتقليده لأبيه، وحفظه للقصائد العربية تمكنه من قرض الشعر، ولكن من غير أدلة أخرى فالنقد يكون قاصرًا، وقد ظهر شيئًا من خياله، وصورًا فنية في قطعته، كما أنه يوجد تناسق بين اللفظ والمعنى مع بعض التجاوز في المديح.

****

يعقوب البدايوني

١٣٠٦ - ١٣٦٨ هـ / ١٨٨٨ - ١٩٤٨ م

• ولد الشاعر الشيخ أبو الطيب يعقوب بخش راغب بن غوث بخش القادري البدايوني[١] في مدينة بدايون سنة ١٣٠٦هـ، الموافق ١٨٨٨م، وتوفي أبوه وهو صغير، فكفلته أمه وعمه، تلقى العلوم الأولى في بدايون، على يد علماء عصره، فدرس القرآن الكريم، والحديث الشريف، والفقه الإسلامي وأصوله، وتعلم العربية والفارسية، كما درس علم الفلك، وتعلم علم الكلام والمنطق، والفلسفة وعلم النجوم، والطب، وبعض العلوم العصرية.

• انضم الشاعر إلى الحركة الوطنية التي تطالب بالاستقلال، وساهم بالسياسة الهندية منذ عام ١٩٢١م، حتى ١٩٣٨م، وكان يمارس التدريس في بيته، وكان يكثر من القراءة والاطلاع، ويزور المكتبات المختلفة، ثم تم تعيينه محاضرًا في القسم الديني بجامعة عليكره في سنة ١٨٣٨م، وظل في وظيفته حتى وفاته.

• قام الشاعر يعقوب بترجمة كتاب البيروني المسمى: بقانون مسعودي، وثنى على الترجمة بعض العلماء من أمثال: الشيخ سليمان الندوي والسيد أبو نصر والبروفسور يوسف سليم، وغيرهم.

• أعطى الله الشاعر يعقوب بخش موهبة شعرية باللغتين العربية والأردو، وله قصائد باللغة العربية، وأغلبها مدائح نبوية، أو اجتماعية، ومنها قصيدة في مدح رسول الله- صلى الله عليه وآله وسلم- يقول فيها:

ظهرَ النبيُّ ففاضتِ الأنوارُ
وأضاءتِ الأريافُ والأوعارُ
قد عمَّ كل الكائناتِ ظهورُهُ
كالشمسِ فاحترقت به الأستارُ
فالكونُ أزهرُ كالرياضِ إذا بدا
وتفتقت من نوره الأزهارُ
وتلألأت من حسنه وجماله
وبهائه الأنجادُ والأغوارُ
صَلّتْ عليه وصدَّقت بكمالهِ
وبجاههِ وجلالهِ الأسفارُ

(١) مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج٢١: ٧٠٩. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٧٥.

سجدتْ له وعنت للطفِ كلامه الـ
أشجارُ والأحجارُ والأمطارُ
مِن رعبهِ ذابتْ قلوب عداتهِ
إذ سبّحت في نعته الأحجارُ
شهدت بصحّة ما ادعى أخبارُه
فتواترت في صدقه الأخبارُ
آياتُ بعثته تجلت للورى
فتمثلت لعقولنا الأسرارُ
رقَّت قلوبُ المؤمنينَ لحبه
سال الأتيُّ فماجت الأنهارُ
أضحت لهجرته المدينة طيبةً
كثر الخيلُ وطابت الأثمارُ
حتى يُرى في صاعها بل مُدِّها الـ
إنماءُ والبركاتُ والإكثارُ
لو تَحْلِبُ العشراءَ يُمنُ يمينهِ
درَّت له فكأنها المعشارُ
طاشت عقولُ أولي النُّهى في وصفهِ
والناس في أوصافه قد حاروا
والأرضُ ضاءت كالسماءِ بأنجمٍ
إذ أشرقت بصحابه الأمعارُ
عجبًا لوارث حاله قد أورقت
من رشح فضل وضوئه الأشجارُ
واعطفْ على قلبي بقطرة رحمةٍ
يا من جرت من كفّهِ الأنهارُ
أنشودة من راغبٍ في نعته
غنَّت بها في أيكها الأطيارُ

• لا شك أن الشيخ شاعر مفلق، ومتمكن من كل أسباب الشعر باللغة العربية، وجدير بالاهتمام من النقاد العرب، فقصيدته ذات سبك جيد متناسقة الألفاظ والمعاني. وله قصيدة أخرى يقول فيها:

يا صاحِ هل لي في الهوى ومحالِهِ
غيرُ التعلّل بالجوى ونكالِهِ
جالت فؤادي في الغرام همومُه
جولاتُها أخذت جوالةَ مالهِ
قلبي هيومٌ في هوى الدنيا فمن
يهديهِ من غُلوائه وضلاله؟
هذا الحبيب المصطفى هادي الورى
من جاء محبوبًا بكل خصاله
يا ربِّ صلِّ على الحبيبِ وآلهِ
آنًا فآنًا دائمًا كنواله
لا شأن لي قسمًا بشأن جماله
غير الهيامِ بذكره وخياله
ملأ القلوبَ محبةً ومهابةً
ذكر الحبيبِ وجاهِه وجلالهِ
نالَ الكمالَ فلا نظيرَ له ولم
يوجد له كفءٌ ولا لجمالهِ
هو مظهرٌ لاسم الجلالة كاملٌ
ظهرت صفات اللهِ في أفعالهِ
سبّاق غايات المكارمِ والعلا
فاقَ الخلائقَ كلّها بخصالهِ
شمس الضحى بدر الدجى ونجومه
صحبَ الهدى بيمينه وشمالهِ

لإفاضة الكونين قطرةُ فيضه
تكفي ويروي الكلَّ روحُ زُلالهِ
يا حبذا من يقتفي آثارَهُ
متتبعًا لفعاله ومقالهِ
روحي فدى نعل النبي وكيف لا
وعروق قلبي من خيوط قبالهِ
كم من ذليلٍ حاز عزَّ كرامةٍ
وحوى الولايةَ تابعًا لفعالهِ
طوبى لمن ينوي الصلاةَ بمسجدٍ
طوبى لنيَّته وشدِّ رحالهِ
كم من شموسٍ تحتَ أقدامِ الذي
يسري إليهِ وأنجمٍ بحيالهِ
صلى فكم صلّت ملائكةُ السما
من خلفه ويمينه وشمالهِ
يا ربِّ زد هيَمانَ قلبي وأسْقهِ
رشحًا قليلًا من معينِ وصالهِ

- شاعرٌ متميز في النظم العربي، في أرض لا يتكلم شعبها اللغة العربية، لديه موهبة كبيرة في الإحساس والنظرة العميقة للمديح النبوي، وأسلوب جميل متناسق الخطوات، وتسلسل الأفكار، قوي السبك في أبياته وجمله، استعرض ما في السيرة النبوية من أحاديث وصاغها بطريقة سلسة واضحة، وأطلق لخياله الواسع العنان ليصنع صورًا بلاغية جديدة في المديح النبوي.
- قدرته على النظم تشمل بحور الشعر العربي، وحفظه لكل الألفاظ المعبرة عن أفكاره، ولكن الصياغة جاءت متسقة مع الفهم البسيط للمديح، وبين في قصائده مدى اهتمامه بالأخلاق النبوية والقرآنية، ودعا المسلمين لاتباع تلك الأخلاق العالية، وكانت قوافيه ذللًا، فسهل الأداء، وأخرج أبياتًا جميلة، وشاع بينها حلاوة العبارة، وجمال الأسلوب العربي.
- اعتنى الشاعر بموسيقا الشعر فملأ القصيدة بالجرس الموسيقي، والرنة الجميلة للأبيات، ولكن الشاعر لم يخرج عن نطاق المديح النبوي، ولم نقرأ له قصائد أخرى في موضوعات أخرى، على الرغم من قدرته الكبيرة في النظم، وما يتمتع به من قدرة وخيال وأسلوب فاق كثير من الشعراء.

****

يعقوب الصرفي الكشميري

٩٢٨ - ١٠٠٣ هـ / ١٥٢٢ - ١٥٩٤ م

- هو الشيخ يعقوب بن الحسن الصرفي[1]، ولد في كشمير سنة ٩٢٨هـ، الموافق ١٥٢٢م، درس على يد أبيه المرحلة الأولى، وحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنوات، درس العلوم الإسلامية على يد الشيخ آني، ثم سافر

(١) محمد مظفر حسين الندوي، مساهمة أهل كشمير في اللغة العربية والأدب العربي ج١: ١٤٤. عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج٥: ٤٥٢. محمد مظفر حسين الندوي، أماثل كشمير ص١٣٣.

إلى سمرقند، وأصبح مريدًا للشيخ حسن الخوارزمي، ثم ذهب إلى الحجاز وتتلمذ على يد الشيخ شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني المكي، ودرس فصوص الحكم لابن عربي على يد الشيخ محمد حسن، والترمذي على يد الشيخ عبدالعزيز.

- عاد الشيخ الصرفي إلى كشمير، ورأى صراعًا بين السنة والشيعة، فاستدعى الصرفي ملك الهند السلطان أكبر إلى كشمير سنة ١٥٨٦م، وقد كانت كشمير مستقلة حتى ذلك التاريخ الذي أصبحت كشمير جزءًا من الهند، وله بعض المصنفات والرسائل العلمية منها:
  - تفسير القرآن الكريم.
  - شرح صحيح البخاري.
  - مغازي النبوة.
  - مسلك الأخبار.
  - مناسك الحج.
  - الروائح.
  - الوامق والعذراء.
  - ليلى المجنون.
  - جواهر خمسة على منوال خمسة الجامي.
  - شرح رباعيات الخيام.
  - رسالة في المقامات.
  - تعليقات على التلويح في أصول الفقه.

- وكان الشاعر يعقوب ينظم الشعر باللغة الفارسية والعربية، ومن شعره العربي، قصيدة تقريظ لكتاب سواطع الإلهام لأبي الفيض، الذي كان وزيرًا للإمبراطور أكبر، يقول فيها:

يا من هو قد جلَّ تعالى شانا
أنزلت على نبينا قرآنا
فاخترت بأفضالك من فسره
وامتاز بكشف سره تبيانا
يا من بسر الوحي أنت الأعلمُ
قد جاءنا منك الكتاب المحكمُ
يا من بفيضٍ كاملٍ خصصتَ من
علّمته ما لم يكن هو يعلمُ
ما في كتاب منزل لنبينا
محض الهدى متشابه ومُحْكمُ
أهل الهدى هم ما اهتدوا إلا به
ما ضلّ إلا ظالم بل أظلمُ
بصرن في هدي النبي المصطفى
ما هداه إلا طريق أقومُ
قد جاء بالنور الذي هو ساطعٌ
من منك في كشف الخفايا ملهمُ
قومٌ شقوا متعنتين كتابه
لسانهم عند التحدي أبكمُ
من فسر القرآن لا عن رأيه
عبدٌ عظيمٌ شأنه بل أعظمُ
هذا سراط مستقيم واضحٌ
ما فيه إغفال طريق معلم
إني أنا العبدالذي هو مذنبٌ
يا موئلي أنت الغفور الأرحمُ

• هذا تقريظ لكتاب «سواطع الإلهام»، ولكنه أيضًا طريقًا للتقرب من الوزير، حتى يكلم الملك أكبر لغزو كشمير. وللشاعر في التقريض نفسه أبياتًا في مدح أبي الفيض، يقول:

يـا مـن هـو مـنـزل عـلـيـه الـقـرآن
مـن فيضك إيـجـاد شـيـون الأعـيـانِ
قـــرآنـــك ثـــابـــتٌ قـــديم أزل
لا نـقـط عـلـيـه مـن مـداد الحـدثـانِ
مـن روضـة أفـضـالـك هـبّـت نسمات
لـــولا وصـلـت تـلـك الـــروح لمـات
جـاءتـك مـن الـلـه تـعـالـى كـلـمـات
مـا فـيـهـا الـرسـم نـقـات الـوسـمـات

• وصف الشاعر يعقوب أبا الفيض، وأطنب في الوصف، وشعر أنه لم يعطه حقه، فقال شعرًا:

لـبـشـرى لأهـــل الـــزمـــان المـعـلـى
وطـوبـى لـعـهـد الجـلـيـل المـكـانـه
لـقـد أظـهـر الـلـه فـيّـاض دهـرٍ
بـه خـصَّ فـيـضًـا عـظـيـم الـرزانـه
وقـد حـان أن يـبـرز الـلـه كـنـزًا
لـه كـان مـسـتـودعًـا فـي الـخـزانـه
إذ جـــاء مـــن كـــان أهـــلاً لـذلـك
إلـــى أهـلـهـا رد تـلـك الأمـانـه

• هذا تقريض ديني سياسي، التفسير عجيب، فهو يخلو من النقط، وجدير بالتقريض، وأبو الفيض وزير وله سلطة، وله مكانة عند الملك، لذا استخدم الشاعر التقريض ليصل إلى قلب المفسر، فيلبي طلبه في غزو كشمير.

• الشاعر متمكن وله قدرة كبيرة على النظم العربي، استخدم بحور الشعر، وقوافي موحدة، وأسلوب سهل للوصول إلى قلب الوزير، وكان لخياله دور في بعض أبياته، فصنع صورًا فنية، وتناسق بين اللفظ والمعنى.

****

يعقوب النانوتوي

١٢٤٩ - ١٣٠٢ هـ / ١٨٣٣ - ١٨٨٤ م

• ولد الشيخ محمد يعقوب بن مملوك علي في نانوته[1] سنة ١٢٤٩هـ، الموافق ١٨٣٣م، حفظ القرآن الكريم قبل بلوغه الحادية عشرة من عمره، وتعلم الفارسية، ثم سافر إلى دلهي، حيث والده يدرِّس في كلية دلهي، فقرأ المنقولات والمعقولات، وكان من أشياخه الشيخ أحمد علي السهارنفوري، والشيخ محمد قاسم النانوتوي، والشيخ الشاه عبدالغني المجددي، ودرس علم الحديث وعلومه.

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨: ٥٢٤. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٢٥٦. مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج ٢١: ٧٠٧. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٥٨.

• امتهن الشيخ يعقوب التدريس بمدرسة حكومية في أجمير، ثم في مدرسة شعبية، ولكن خلال ثورة الهنود ضد الاستعمار البريطاني سنة ١٨٥٧م اعتكف في بيته، وبعدها سافر إلى الحجاز للحج والزيارة، وبعد تأسيس دار العلوم بديوبند، تم اختياره ليكون رئيسًا لهيئة التدريس، ثم حج للمرة الثانية وبعدها بدأ يدرس الحديث في دار العلوم حتى وفاته سنة ١٣٠٢هـ، الموافق ١٨٨٤م.

• لم يكن الشاعر محمد يعقوب متفرغًا للشعر، ولكنه ينظم بين فترة وأخرى، فمن قصائده ما مدح به السلطان عبدالحميد العثماني، يقول فيها:

الوعظُ ينفعُ لو بالعلم والحِكمِ
فالسيفُ أبلغُ وعّاظٍ على القممِ
لولاه ما بلغ الدنيا لآخرها
وآضَ كلُّ وجود الدّهرِ في العدمِ
والسيفُ للضيمِ إعدامٌ بهيبتهِ
كالبدر يحلو الدجى بالنور في الظُّلَمِ
بهمّةِ الملِكِ المنصور منتصرٌ
سيفٌ لشربِ دم الكفار كل ظمي
أكرم به ملكًا للمسلمين غدَا
كهفَ الأنامِ مزيلَ الفقرِ والعدمِ
الخانُ سلطاننا عبدالحميد غدا
ذي الجودِ والفضلِ والإحسان والكرمِ
لو لم يكن معشرَ الإسلام نصرتُه
للدين ما كنتمُ في الأمنِ والسَّلَمِ
لولاه لم يبقَ للإسلام من شرفٍ
وصرتمُ بأبي لحمًا على وضمِ
خلافةُ السلف المنصور دائمةٌ
من آل عثمانَ خير الناس كُلِّهمِ
الناسُ في طينةٍ في الأصل واحدةٍ
وقدرهم لعلى الأقدار في الهممِ
حرية النفسِ للإنسان جوهرةٌ
فقيمةُ المرء يعلو منه في القيمِ

• يبدو أن أخبار الدولة العثمانية تصل إلى مسامع المسلمين في الهند، فيفتخرون بأي انتصار للدولة العثمانية، ويعتبرونه نصرًا للإسلام، ولذا نرى أن الشاعر يتعلق برموز إسلامية، وأول تلك الرموز أعظم رمز، فله المحبة والاحترام والتقديس والسلام، وهو شخصية رسول الله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم- فله قطعة يمدح بها رسول الله يقول:

يا ربِّ صلِّ على النبيِّ محمدِ
يس وطه ذي المكارم أحمدِ
بأبي وأمي ذا الرسول الأكرم
نفسي الفداء وما ملكت يدي
اليوم يا أملي ويا كلّ المنى
وشفاعتي ونجاح نفسي في الغدِ
أنتَ الكريمُ رؤوفنا ورحيمنا
يا سيدي يا سيدي ياسيدي
فبحبه أرجو النعيم بجنة
وحظيتُ في الدنيا بعيش أرغدِ
في فرحة من حبه ومسرة
لا زلتُ مُذ أدعو باسم محمدِ

• قطعة بسيطة تعبر عن حب الشاعر لرسول الله، وليس فيها خيال وصور فنية، وتخلو من الجمال اللفظي، ومثلها نظمه بعض الشعراء.

• الشاعر محمد يعقوب لديه إمكانيات للنظم العربي، ولكن لديه بعض النقص في النظم، كاستعمال خياله بشكل جيد لصنع صور فنية، على الرغم من إمكانياته، واستخدام البحر العروضي، وثروته اللغوية، ربما لأن الموضوع محصور في المديح، ولا موسيقى فنية في شعره، فيجب أن يبرز فنه وثقافته لبناء أبيات ذات قيمة أكبر من هذه النماذج، وبسبب قلة النماذج المعروضة يكون الحكم على شعره ناقصًا، وقطعة مدح رسول الله- عليه أفضل الصلاة والسلام- عبارة عن نظم فقط دون حس شعري، وقوة نظم، ففيها نقص كبير في نظمها.

****

يوسف حسين الخانبوري

١٢٨٥ - ١٣٠٩ هـ / ١٨٦٨ - ١٨٩١ م

• ولد القاضي يوسف حسين بن القاضي محمد حسن في خان فور[1] من أعمال هزارة سنة ١٢٨٥هـ، الموافق ١٨٦٨م، تعلم على يد أبيه أولًا ثم على أيدي أخويه القاضي عبدالأحد والقاضي أبي عبدالله محمد، بعدها ذهب إلى أفغانستان، ودرس عند الشيخ المجاهد عبدالكريم فقرأ عنده سنن النسائي، ثم عاد إلى بلاده، وذهب إلى دلهي ودرس عند المحدث نذير حسين الدهلوي، كما درس عند الشيخ حسين بن محسن الأنصاري، والشيخ إسحاق بن عبدالرحمن بن عبدالله النجدي، والشيخ إبراهيم بن سليمان المكي، وكلهم أجازوه.

• كان القاضي يوسف حسين إمامًا في التفسير والحديث، ومن المهتمين باللغة العربية، والأدب العربي، وله قصائد نبوية، يقول في إحداها:

سلي سُليمى كلَّ ذي المجدِ عن ذِكْري
أذو شرفٍ مثلي عهدْت بذا القُطرِ
أخو الهمّةِ العليا أصيلٌ مكرَّمٌ
ولي من عُهودِ المكراتِ مع الفخرِ
شديدٌ على أهلِ الضلالةِ غائظٌ
وبين أصاحيب الهدايةِ ذو البِرِّ
صبورٌ على البأساء والضُّرِّ ألتوي
ولستُ على رُزْءِ المذلَّةِ ذا صبرِ
وآباؤنا من أشرف القومِ سادةٌ
كرامُ أولي المجدِ المؤثَّلِ والذِّكْرِ

• يفتخر الشاعر بنسبه العريق، وباتصاله ببني هاشم، وإنَّ رسول الله منهم، وفي عليائهم، ويرى أنه يتحمل الصبر، لأنه شديد على أهل الضلالة، ويرى أن آباءه الكرام كانوا كذلك، على الرغم من نسبهم العالي. وله قصيدة أخرى يقول فيها:

(١) عبدالحي الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر ج ٨: ٥٢٦. محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند ص ٤٠٥. مؤسسة البابطين الثقافية، معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ج٢٢: ١٣٢. نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء ص ٢٢٣.

غـــابَ عـقـلـي بـــسَـــوْرةِ الـغـفـلاتِ
وتـــلا الـعـطْـبُ عـائـدَ الـسَّـكـراتِ
يـا صـبـاحًـا مـن مـحـنـةٍ يـا صـبـاحًـا
صـبَّـحـتـنـي بـنـكـبـتـي زلاتـــي
وبِـعـــادُ الـحـبـيـبِ أمـسـى بـيـأسٍ
كيف أصبحتُ كيف أمسَتْ هناتي؟
عـوَّقـتْـنـي عـن مـوطـنـي وقـبـيـلـي
إنَّ هـــذا لأعـــظـــمُ الـنـائـبـاتِ
هَـــوَتِ الـريـحُ فـي مـكـانٍ سـحـيـقٍ
بـي فـأيـنَ المـحـيـصُ عـن سَـوْآتـي
أبـعـدَتْـنـي عـن كـلِّ مـا أهـــواهُ
عـن عـهـودِ الـحـمـى وعـن امّـهـاتـي

- أبدع الشاعر في تصوير حالاته، وتصوراته لما حدث له من سوء بسبب غفلته وبعده عن العقل والرزانة في الأمور التي تحيط به، فالشاعر يمتلك قدرة كبيرة على النظم العربي، فاستخدم أدوات النظم من بحور الشعر العربي القديمة، وقوافي ذلل، وأتي بالجمال اللفظي، وغاص في بحور الشعر واللغة، وصنع صورًا فنية بلاغية، مع التناسق بين اللفظ والمعنى.

- تمكَّن الشاعر يوسف حسين من نظم قصائد جميلة الأبيات، عميقة المعنى، ذات جمال ورونق، وسبك للأبيات جميل، وأسلوب راق في سرد الأبيات وتتبع الفكرة، فهو شاعر يجذبه روعة النظم مما يدل على سعة الخيال، وقراءات عميقة للشعر العربي، وتأمل فيما يكتب من أفكار، وصدق العاطفة وتدفقها بكل سهولة ويسر، وهذا يدل على الطبع عنده، بلا تكلف ولا صنعة مملة.

- على الرغم من دراسته الدينية إلا أن الفلسفة والمنطق يبسطان سيطرتهما على فكره فأصبح عميق الفكر، بعيد النظرة، قوي العبارة، سليم الذوق، واختيار موفق للألفاظ والعبارات الشعرية.

****

الخاتمة

هؤلاء الشعراء ثلاثمئة شاعر هندي، نظموا قصائدهم، أو بعضها، باللغة العربية، وعند قراءة أشعارهم نجد أنهم ينقسمون إلى ثلاثة مستويات:

بعض هؤلاء الشعراء مستواه الشعري ضعيف، ولكنه عبر عن رأيه في مسألة تهمه بنظم كلمات عربية، استخدم بحور الشعر العربي القديم، وألفاظ عربية مناسبة للمعنى المراد.

بعض هؤلاء الشعراء متوسط القوة، لديه فكرة ويمتلك القدرة على النظم، مستخدمًا بحور الشعر العربي، مع ألفاظ مناسبة للمعنى، وفكرة راودته نظمها شعرًا متوسط القدرة، إذ اتخذ من الشعر مادة دون أن يطرح ما يتميز به الشعراء من خيال واسع، وتصور مبدع، ويصنع صورًا بلاغية فنية.

بعض شعراء الهند لديه الموهبة والقدرة على النظم باللغة العربية، واستطاع أن يبدع في قصائده، ويخرج للقارئ، أو السامع قصائد فنية عظيمة القدر، فيها شعرية الشعر، وفنية التصور الشعري بخلق صور فنية بلاغية تأسر القارئ، فهو شاعر تفتخر به الهند بحيث يستطيع أن ينافس شعراء العرب، بل ويبزهم في لغتهم، وبعض هؤلاء من أصول عربية، نزحوا إلى الهند واستوطنوها.

يبدع الشاعر بما وهبه الله من موهبة شعرية، وتظهر تلك الموهبة في صباه، ويغذيها بالقراءة والحفظ، ولا يكفي أن يكون الهدف نبيلًا ومحببًا إلى النفس، ولكن يجب أن يمتلك

القدرة الفنية على صياغة الشعر، ويعرف البحور الشعرية، ويمتلك الخيال الشعري ليصنع الصور الفنية.

بعض هؤلاء الشعراء كانوا من العرب النازحين إلى البلاد الهندية، فثقافتهم عربية خالصة، والبعض الآخر قد عاش فترة من حياته بين العرب، وتعلم منهم نظم الشعر، فهؤلاء يمتلكون قدرة أكبر من غيرهم من الشعراء، وهناك شعراء استلهموا نظم الشعر من كثرة قراءتهم للشعر العربي، وحفظهم لدواوين شعراء العرب القدامى، فهؤلاء تتميز قصائدهم بالجودة والقدرة الشعرية.

وبعد هذا الجهد الذي بذلته طالبًا رضا الله، وخدمة لدينه، متمثلًا في إبراز رجال اللغة العربية، التي هي لغة القرآن الكريم، ولغة سيد المرسلين سيدنا محمد- عليه أفضل الصلاة والسلام- وهو أفضل من نطق باللغة العربية وأبدعهم. والصلاة والسلام عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

****

المصادر والمراجع

- ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، نسخة دار الكتب (بيروت: دار المسيرة ١٩٧٩م).
- أبو الحسن الباخرزي، دمية القصر وعصرة أهل العصر ج ت: سامي العاني (الكويت: مكتبة دار العروبة ١٩٨٥م).
- أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، ت: عبدالأمير المهنا وسمير جابر (بيروت: دار الفكر د. ت).
- أحمد زبير، أسرة الشيخ صحقة الله أبا وخدماتها الدينية والعلمية (تشنائي، الهند: الكلية الجديدة ٢٠٠٣م).
- أحمد زبير، شعراء المديح النبوي في ولاية تاميل نادو، جزء من نسخة مصورة.
- الجامعة النظامية الإسلامية، الدراسات الإسلامية العربية (حيدرآباد: الجامعة النظامية الإسلامية د.ت).
- المجمع العلمي العربي الهندي، مجلة المجمع، المجلد ٣٧: العدد الأول ٢٠١٧-٢٠١٨م.
- تاج الدين المناني، اللغة العربية في تاميل نادو (بغداد: دار الفراهيدي)، جزء من نسخة مصورة.
- ثقافة الهند، مجلة (دلهي: المجلس الهندي للعلاقات الثقافية ٢٠٠٨م).

- جامعة كاليكوت، قسم اللغة العربية، إسهامات الهند للأدب العربي (كاليكوت، جامعة كاليكوت ٢٠١١م).

- جعفر الهلالي، معجم شعراء الحسين (بيروت: مؤسسة أم القرى ١٣٨٠هـ ش).

- جمال الدين الفاروقي، وآخرون، أعلام المؤلفين بالعربية في البلاد الهندية (دبي: مركز جمعة الماجد ٢٠١٣م).

- حامد أشرف همداني، شعراء العربية في باكستان (قسم التأليف والترجمة، جامعة البنجاب ٢٠١٢م).

- حكيم محمد نظام الدين، عقد اللآلي في مدح مولانا وحيد الدين العالي (حيدرآباد: نسخة مصورة غير كاملة).

- خالد سالم محمد، قاموس الكلمات الأجنبية في اللهجة الكويتية (الكويت: المولف ٢٠٠٩م).

- خير الدين الزركلي، الأعلام (بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٤م).

- دائرة المعارف العثمانية، نشرة خاصة أصدرتها دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن، الهند.

- زبيد أحمد، الآداب العربية في شبه القارة الهندية، ت: عبدالمقصود تلقامي (القاهرة: نهضة مصر) جزء مصور من الكتاب.

- شمس الدين محمد السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (بيروت: دار مكتبة الحياة د. ت.).

- عبدالحي بن فخر الدين الحسني، نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر (حيدرآباد: الهند: دائرة المعارف العثمانية ١٩٩٠م).

- عبدالرافع الباقوي الفاضل الجمالي، ديوان نفحة الوردة، صورة مصورة من الديوان..

- عبدالرحمن النرني، علماء ديوبند وخدماتهم في علم الحديث (ديوبند: أكاديمية شيخ الهند ١٩٩٨م).

- عبدالرحمن محمد أحمد الأريكلي، ديوان الأريكيات (كالكوت، كيرلا الهند: الكلية الرحمانية العربية د.ت.) صورة من الديوان.

- عبدالستار فراج، مقدمة تاج العروس (الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء ١٩٦٥م).

- عبدالقادر بن عبدالله العيدروس، النور السافر في أخبار القرن العاشر (بيروت: دار صادر ٢٠٠٦م) ط٢.

- عبدالقادر بن عمر البغدادي، خزانه الأدب، ت: عبدالسلام هارون (القاهرة: الهيئة المصرية ١٩٧٩م).

- عبدالماجد رفيق الجندي، رجال الأدب العربي في الهند (دلهي: موقع شباب الهند).

- علي صدر الدين المدني، سلافة العصر في محاسن الشعراء في كل مصر (القاهرة: الخانجي الكتبي ١٣٢٤هـ، ١٩٠٦م).

- عماد الدين الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر، في ذكر فضلاء أهل فارس، ت: عدنان آل طعمة (طهران: مركز نشر ميراث مكتوب ١٩٩٩م).

- غلام علي آزاد البلغرامي، سبحة المرجان في آثار هندستان ت: محمد فضل الرحمن الندوي (عليكره، الهند: جامعة عليكره الإسلامية١٩٨٠م) ج٢.

- كامل سلمان الجبوري، معجم الشعراء (بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٢م).

- مؤسسة عبدالعزيز سعود البابطين الثقافية، معجم شعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين (الكويت: مؤسسة البابطين ٢٠٠٨م).

- مؤمن بن حسن الشبلنجي، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار (بيروت: دار الكتب العلمية ١٩٧٨م).

- محسن الأمين، أعيان الشيعي، ت: حسن الأمين (بيروت: دار التعارف ١٩٨٦م).

- محمد الكتبي، فوات الوفيات (بيروت: دار صادر ١٩٧٣م).

- محمد بن الحسن الحر العاملي، أمل الآمل (بيروت: مؤسسة الوفاء ١٩٨٣م ج١).

- محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (بيروت: دار المعرفة د.ت.).

- محمد بن فضل الله المحبي، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر (بيروت: دار صادر د. ت).

- محمد ثاقب الندوي، مجلة المجمع العلمي العربي الهندي، (عليكره: جامعة عليكره، العدد ٣٨، ٢٠١٨ - ٢٠١٩م).

- محمد رفيق بن محمد علي، تطور اللغة العربية في ولاية تاميل نادو وتأثير حضارة العرب فيها (حيدرآباد، الهند: جامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية د. ت.) مخطوط.

- محمد سعيد الطريحي، ملوك حيدرآباد (الكوفة: أكاديمية الكوفة ٢٠٠٥م).

- محمد سلطان محيي الدين، علماء العربية ومساهماتهم في الأدب العربي في العهد الآصفجاهي (حيدرآباد- الهند: الجامعة النظامية ٢٠٠٥م).

- محمد صدر الحسن الندوي، المدائح النبوية في الهند (أورنغآباد، الهند: معهد الدراسات الإسلامية ٢٠٠٧م).

- محمد صلاح الدين العمري، المنتقى من مقالات سيد أحمد خان (علي كره - الهند: مجمع السير سيد العلمي ٢٠٠٧م).

- محمد عبدالمقتدر حسان، تطور الحديث النبوي في حيدرآباد (حيدرآباد، الهند: كلية اللغات والدراسات الهندية، جامعة آزاد ٢٠١٣م)، (مخطوط).

- محمد عبيدالله الأسعدي القاسمي، دار العلوم ديوبند (ديوبند، الهند: أكاديمية شيخ الهند ٢٠٠٠م) .

- محمد فيصل يم. بي.، تطور الشعر العربي في كيرلا منذ الاستقلال (حيدرآباد، الهند: جامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية د. ت.) مخطوط.

- محمد مظفر حسين الندوي، أماثل كشمير (سري نجر. الهند: بيت الحكمة الندوية٢٠٠٤).

- محمد مظفر حسين الندوي، مساهمة أهل كشمير في اللغة العربية والأدب (لكنؤ، الهند: المكتبة الندوية ٢٠٠٤م).

- مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، اللغو العربية في الهند (الرياض: مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز ٢٠١٤م).

- مركز عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الثقافة العربية في الهند (الرياض: مركز الملك عبدالله، ٢٠١٥م).

- معين الدين الأعظمي، منهج الفراهي في تفسير القرآن (حيدرآباد الهند:١٩٩٠م).

- نثار أحمد الأعظمي، ريحانة الشعر والشعراء (لكنؤ- الهند: المؤلف ٢٠١٠م).

- ويران محيي الدين الفاروقي، الشعر العربي في كيرلا(كاليكوت، الهند: جامعة كاليكوت ٢٠٠٣م).

- ياسر عبدالجواد المشهداني، تاريخ الدول الإسلامية في آسيا (عمان: دار الفكر ٢٠١٠م).

****

المحتوى

(غ)

- غلام أحمد المتنبئ ٥
- غلام النبي الفاروقي ٧
- غلام النصير الجلاسي ٨
- غلام علي آزاد البلغرامي ١٠
- غلام قادر السربازي ١٧
- غلام محمد جلوانوي ١٨
- غلام محيي القصوري ١٩
- غلام نقشبند اللكناوي ٢٠

(ف)

- فضل حق آبادي ٢٥
- فضل محمد السواتي ٢٨
- فضيل الجلال الكالبوي ٣٢
- فيض أحمد البدايوني ٣٢
- فيض الحسن السهارنبوري ٣٥
- فيوض الرحمن الديوبندي ٤٠

(ق)

- قاسم شاه البخاري ٤٥

(ك)

- كفاية الله الدهلوي ٤٩
- كنجامو بابا البالكي ٥٠

(ل)

- لطافت الرحمن السواتي ٥٥

(م)

- مجيب خان بشير الحيدرآبادي ٦٣
- محمد إبراهيم فاني ٦٤
- محمد أبوالصلاح الباقوي ٦٧
- محمد أبو كمال الكادري ٦٩
- محمد أحمد التونكي ٧١
- محمد أحمد الفاكهي ٧٤
- محمد أحمد الكدنجي ٧٥
- محمد أحمد الكوتلنغادي ٧٨
- محمد أحمد الكيلاني ٧٩
- محمد أحمد النهروالي ٨٣

- محمد إقبال القادري ٨٤
- محمد الآصفي الكجراتي ٨٨
- محمد الحسيني الكالبوي ٨٩
- محمد الحسيني المدني ٩٢
- محمد الحلي الهيكلي ٩٣
- محمد الفلكي مسليار ٩٦
- محمد المالكي ١٠٠
- محمد أنيس الكشميري ١٠٤
- محمد بحرق الحضرمي ١٠٦
- محمد بن أحمد (العروس) ١١٠
- محمد جان بن يعقوب ١١٣
- محمد حسين الأنصاري ١١٤
- محمد حسين الجزائري ١١٨

- محمد خواجة الحيدرآبادي ١١٩
- محمد شريف آبادي ١٢٠
- محمد شفيع الديوبندي ١٢٢
- محمد طيب القاسمي ١٢٦
- محمد طيب المكي ١٢٧
- محمد عابد السندي ١٢٩
- محمد عالم القلعداري ١٣١
- محمد عبدالعزيز الكالكوتي ١٣٢
- محمد عرفان الطوكي ١٣٤
- محمد علي الأصفهاني ١٣٨
- محمد علي الحشري ١٣٩
- محمد علي اللكناوي ١٤٦
- محمد علي المئوي ١٤٧

- محمد فاروق الجرياكوتي ١٤٨
- محمد فيض الله المئوي ١٤٩
- محمد قاسم الشيرازي ١٥٠
- محمد مخدوم القادري ١٥٣
- محمد مسليار ترنغالي ١٥٤
- محمد مهدي المصطفى ١٥٦
- محمد موسى بازي ١٥٩
- محمد ناظم الندوي ١٦٤
- محمد هاشم السورتي ١٦٨
- محمد يوسف البنّوري ١٦٩
- محمد يوسف السورتي ١٧٤
- محمد يوسف الكاملبوري ١٧٦
- محمود الصديقي ١٧٨

- محمود الطيب القاهري ١٨٠
- محمود محمد النقشبندي ١٨١
- محيي الدين بن علي ١٨٣
- محيي الدين بن عمر ولي الله ١٨٥
- محيي الدين علي الشيوري ١٨٧
- مختار أحمد المظفرفوري ١٨٩
- مرتضى البلغرامي ١٩١
- مسعود سلمان اللاهوري ١٩٤
- مصطفى خان بختور ١٩٥
- منظور أحمد النعماني ١٩٧
- موسى بن زين الأيروري ١٩٩
- ميرك شاه الكشميري ٢٠١

(ن)

- نازك الكشميري ٢٠٧
- ناصر حسين اللكناوي ٢٠٨
- نجم الحسن الأمروهي ٢١١
- نذير أحمد الدهلوي ٢١٣
- نصير الدين الدهلوي ٢١٦
- نظر أحمد السهسواني ٢١٨
- نقيب أحمد أوجوي ٢١٩

(و)

- وحيد الدين الحيدرآبادي ٢٢٧
- وحيد القادري الموسوي ٢٣٢
- ولي الله أحمد الدهلوي ٢٣٣

ص مج

(ي)

- يحيى أحمد الدشتكي ٢٤٣
- يحيى بن أحمد الرسولفوري ٢٤٦
- يعقوب البدايوني ٢٤٧
- يعقوب الصرفي الكشميري ٢٤٩
- يعقوب النانوتوي ٢٥١
- يوسف حسين الخانبوري ٢٥٣
- الخاتمة ٢٥٥
- المصادر والمراجع ٢٥٧
- المحتوى ٢٦٣

****

ص مج

الفهرس العام

- التصدير ٣
- إهداء ٥
- المقدمة ٧

(أ)

- إبراهيم بن صالح الهندي ..... ٣٧ ..... ١
- إبراهيم عباس النجفي ..... ٤١ ..... ١
- أبوالرحمة محمد الفيئي ..... ٤٥ ..... ١
- أبوالفضل بن عبدالقادر ..... ٥٠ ..... ١
- أبوالفيض الناكوري ..... ٥١ ..... ١

ص مج

- أبوالنعمان عبدالرحمن آزاد ..... ٥٤ ..... ١
- أبوبكر بن محيي التامرشيري ..... ٥٦ ..... ١
- أبوبكر بن محيي الفرمدفي ..... ٥٧ ..... ١
- أبوبكر بن محيي الكالكوتي ..... ٦٠ ..... ١
- أبوبكر رمضان الشالياتي ..... ٦٢ ..... ١
- أبوبكر محمد المدفتوري ..... ٦٤ ..... ١
- أبورشيدة أبوبكر الحكيم ..... ٦٧ ..... ١
- أبوسلمى جمال الدين ..... ٦٩ ..... ١
- أبوعطاء السندي ..... ٧٢ ..... ١
- أبوليلى محمد بن ميران ..... ٧٦ ..... ١
- أبومحفوظ المعصومي ..... ٨٢ ..... ١
- أجمل محمود الدهلوي ..... ٨٦ ..... ١

ص مج

- أحمد الشعراني التررورنغادي ..... ٨٨ ..... ١
- أحمد الواعظ الكشميري ..... ٨٩ ..... ١
- أحمد أمين بن فضل الله ..... ٩٤ ..... ١
- أحمد بن الحسن الغنوجي ..... ٩٧ ..... ١
- أحمد بن علي البسكري ..... ١٠٠ ..... ١
- أحمد بن علي الشيرازي ..... ١٠٤ ..... ١
- أحمد بن كنج الكدفتوري ..... ١٠٨ ..... ١
- أحمد بن محمد الجوهري ..... ١١١ ..... ١
- أحمد حسين الرسولبوري ..... ١١٦ ..... ١
- أحمد حسين القلعداري ..... ١١٨ ..... ١
- أحمد خان الرامبوري ..... ١٢٠ ..... ١
- أحمد رضا خان البريلوي ..... ١٢١ ..... ١

ص مج

- أحمد شهاب الدين البيشاوري ..... ١٢٤ ..... ١
- أحمد عبدالقادر الكوكني ..... ١٢٧ ..... ١
- أحمد محمد التهانيسري ..... ١٣٣ ..... ١
- أحمد مصطفى الكوباموي ..... ١٣٥ ..... ١
- أحمد نظام الدين معصوم ..... ١٣٧ ..... ١
- أختر شاه خان أمروهي ..... ١٤٣ ..... ١
- إدريس محمد الكاندهلوي ..... ١٤٤ ..... ١
- إسحق إبراهيم القنوجي ..... ١٤٨ ..... ١
- إسحق علي الهزاروي ..... ١٥٠ ..... ١
- إسماعيل بن المفتي ..... ١٥٢ ..... ١
- أشرف علي الحسيني ..... ١٥٦ ..... ١

ص مج

- أصغر علي الكاكوردي ..... ١٦٠ ..... ١
- إظهار الحق الأمروهي ..... ١٦٤ ..... ١
- إعجاز أحمد السهسواني ..... ١٦٥ ..... ١
- إعزاز علي الأمروهوي ..... ١٦٧ ..... ١
- أفضل محمد فقير ..... ١٧٢ ..... ١
- إقبال أحمد الأعظمي ..... ١٧٦ ..... ١
- أكمل الدين البدخشي ..... ١٧٧ ..... ١
- ألطاف حسين حالي ..... ١٧٩ ..... ١
- إلهي بخش الكندهلوي ..... ١٨٣ ..... ١
- أمير رضا حسن خان ..... ١٨٦ ..... ١
- أمين أحمد المدراسي ..... ١٨٨ ..... ١
- أمين الدين الكاكوروي ..... ١٩٠ ..... ١

ص مج

- أمين غلام الكشميري ١٩١ ١
- إنشاء الله بن ماشاء الحسيني ١٩٣ ١
- أنوار الحسن الشيركوتي ١٩٣ ١
- أنور شاه الكشميري ١٩٤ ١
- أوحد الدين البلغرامي ٢٠١ ١

(ب)

- باقر بن أبي الحسن اللكناوي ٢٠٧ ١
- باقر بن علي الحسيني ٢٠٩ ١
- باقر مرتضى المدراسي ٢١١ ١
- باقر يوسف الموسوي ٢١٥ ١
- بدرالدين محمد الدماميني ٢١٦ ١
- بركة الله عشقي الماهروي ٢١٩ ١

ص مج

- بشير حسن الزيدي ..... ٢٢٠ ..... ١
- بير محمد الآمرتسري ..... ٢٢٢ ..... ١

(ج)

- جمال الدين المالكي ..... ٢٢٧ ..... ١
- جمال الدين بن نور الدين ..... ٢٢٩ ..... ١
- جمال الدين محمد الكجراتي ..... ٢٣١ ..... ١
- جميل سعيد التهانوي ..... ٢٣٢ ..... ١
- جواد ساباط الساباطي ..... ٢٣٧ ..... ١

(ح)

- حامد حسين الحسيني ..... ٢٤١ ..... ١
- حامد ميان الرضوي ..... ٢٤٢ ..... ١
- حبيب أبو بكر بن شهاب ..... ٢٤٤ ..... ١

ص مج

- حبيب الرحمن العثماني ..... ٢٤٩ ..... ١
- حبيب الرحمن الأعظمي ..... ٢٥٢ ..... ١
- حبيب الله حبي النوشهري ..... ٢٥٤ ..... ١
- حبيب عبدالله المديحج ..... ٢٥٦ ..... ١
- حسن شدقم الحسيني ..... ٢٥٧ ..... ١
- حسين بن شهاب الشامي ..... ٢٥٨ ..... ١
- حسين علي شدقم ..... ٢٦٠ ..... ١
- حسين محمد باعلوي ..... ٢٦٤ ..... ١
- حميد الدين الفراهي ..... ٢٦٧ ..... ١
- حيدر حسين اللكناوي ..... ٢٧٢ ..... ١
- حيدر علي الرضوي ..... ٢٧٤ ..... ١

ص مج

(خ)

- خورشيد حسن الأمروهي ٢٧٩ ١
- خسرو سيف الدين الدهلوي ٢٨١ ١

(ذ)

- ذو الفقار أحمد البوفالي ٢٨٥ ١
- ذو الفقار علي الديوبندي ٢٨٦ ١

(ر)

- رحمة علي خان الكجراتي ٢٩٣ ١
- رضي الدين الصاغاني ٢٩٥ ١
- رفيع الدين عبدالوهاب ٢٩٨ ١

(ز)

- زين الدين علي المعبري ٥ ٢

ص مج

(س)

- سام شهاب الدين سليمان ..... ١٣ ..... ٢
- سبط الحسن الجائسي ..... ١٦ ..... ٢
- سعد الله الحنفي المرادآبادي ..... ١٧ ..... ٢
- سعيد بن بكار سيدوتي ..... ١٩ ..... ٢
- سعيد يعقوب المجددي ..... ٢١ ..... ٢
- سليمان بن أبي الحسن ..... ٢٣ ..... ٢
- سيد نبي سيد إسماعيل ..... ٢٧ ..... ٢
- سيف الدين بن حسين ..... ٣٠ ..... ٢
- سيف بن حسين القطيعي ..... ٣٢ ..... ٢

(ش)

- شاه الحميد بن سيد محمد ..... ٣٧ ..... ٢
- شاه حيدر الحسيني ..... ٣٨ ..... ٢

ص مج

- شاه محمد حليم عطا ..... ٤١ ..... ٢
- شبلي النعماني ..... ٤٤ ..... ٢
- شبير حسين الجون فوري ..... ٤٦ ..... ٢
- شيخ بن محمد الجفري ..... ٤٧ ..... ٢
- شير علي شاه البيشاوري ..... ٥١ ..... ٢

(ص)

- صالح سالم باحطاب ..... ٥٩ ..... ٢
- صدر الحسن محمد الندوي ..... ٦٢ ..... ٢
- صدر الدين الكشميري ..... ٦٦ ..... ٢
- صدقة الله سليمان صادق ..... ٦٧ ..... ٢
- صديق حسن القنوجي ..... ٧١ ..... ٢
- صلاح الدين بن سليمان ..... ٧٥ ..... ٢

ص مج

(ض)

- ضياء الحق أصغر علي ..... ٧٩ ..... ٢
- ضياء الدين العمري ..... ٨٣ ..... ٢
- ضياء الدين بن عبدالنبي ..... ٨٤ ..... ٢

(ط)

- طاهر إبراهيم الرضوي ..... ٨٩ ..... ٢
- طاهر بن سيف الإسماعيلي ..... ٩١ ..... ٢
- طفيل محمد البلغرامي ..... ٩٢ ..... ٢
- طلا محمد البشاوري ..... ٩٤ ..... ٢

(ظ)

- ظفر أحمد العثماني ..... ١٠١ ..... ٢
- ظهور أحمد البنجابي ..... ١٠٦ ..... ٢
- ظهور الحق بن الحسن ..... ١٠٩ ..... ٢

ص مج

(ع)

- عالم بن حسين الهندي ..... ١١٥ ..... ٢
- عباس الموسوي اللكناوي ..... ١١٨ ..... ٢
- عبدالأول كرامة الجنبوري ..... ١٢٢ ..... ٢
- عبدالباسط المدراسي ..... ١٢٥ ..... ٢
- عبدالجبار بن بدر العمربوري ..... ١٢٨ ..... ٢
- عبدالجبار بن عبدالله الغزنوي ..... ١٣٠ ..... ٢
- عبدالجليل بن أحمد الحسيني ..... ١٣٢ ..... ٢
- عبدالجميل البيشاوري ..... ١٣٤ ..... ٢
- عبدالحميد الصادقبوري ..... ١٣٧ ..... ٢
- عبدالحي أحمد السورتي ..... ١٣٩ ..... ٢
- عبدالحي بن فخر الحسني ..... ١٤١ ..... ٢

ص مج

- عبدالرافع الباقوي الجمالي ..... ١٤٣ ..... ٢
- عبدالرحمن آزاد المئوي ..... ١٤٦ ..... ٢
- عبدالرحمن الأريكلي ..... ١٤٧ ..... ٢
- عبدالرحمن الأمروهي ..... ١٥١ ..... ٢
- عبدالرحمن الديوبندي ..... ١٥٣ ..... ٢
- عبدالرحمن الغازي بوري ..... ١٥٦ ..... ٢
- عبدالرحمن الفضفري ..... ١٥٧ ..... ٢
- عبدالرحمن الكاشغري ..... ١٦٠ ..... ٢
- عبدالرحمن الكاملفوري ..... ١٦٢ ..... ٢
- عبدالرحمن الكجراتي ..... ١٦٥ ..... ٢
- عبدالرحمن الكدفلي ..... ١٦٦ ..... ٢
- عبدالرحمن الكريادي ..... ١٦٧ ..... ٢

ص مج

- عبدالرحمن الكنياتي ..... ١٦٩ ..... ٢
- عبدالرحمن اليماني ..... ١٧٣ ..... ٢
- عبدالرشيد الكشميري ..... ١٧٥ ..... ٢
- عبدالسلام سليم الهزاروي ..... ١٧٦ ..... ٢
- عبدالسلام علي نوشهري ..... ١٨٠ ..... ٢
- عبدالعزيز أحمد الملتاني ..... ١٨٢ ..... ٢
- عبدالعزيز الجالندهري ..... ١٨٤ ..... ٢
- عبدالعزيز الميمني ..... ١٨٦ ..... ٢
- عبدالعزيز ولي الله الدهلوي ..... ١٩٢ ..... ٢
- عبدالعلي الإسماعيلي ..... ١٩٥ ..... ٢
- عبدالعلي خان الرامبوري ..... ١٩٧ ..... ٢
- عبدالغفور البسكوهري ..... ١٩٨ ..... ٢

ص مج

- عبدالغفور نير الدانابوري ١٩٩ ٢
- عبدالقادر الحضرمي ٢٠١ ٢
- عبدالقادر الكندوري ٢٠٤ ٢
- عبدالقادر المليباري ٢٠٥ ٢
- عبدالقادر بن سيد محمد ٢٠٩ ٢
- عبدالقادر خيرالدين العمادي ٢١١ ٢
- عبدالقادر شريف الحسيني ٢١٢ ٢
- عبدالقادر طه الأنوري ٢١٣ ٢
- عبدالقادر عمر ولي الله ٢١٦ ٢
- عبدالقادر محمد نيني ٢١٩ ٢
- عبدالقدير الصديقي ٢٢١ ٢
- عبدالله أفضل العمادي ٢٢٦ ٢

ص مج

- عبدالله البنغالي الندوي ..... ٢٢٧ ..... ٢
- عبدالله الشائق المئوي ..... ٢٢٨ ..... ٢
- عبدالله الكشميري ..... ٢٣٠ ..... ٢
- عبدالله الكوكني ..... ٢٣١ ..... ٢
- عبدالله خان العلوي ..... ٢٣٥ ..... ٢
- عبدالله علي التونكي ..... ٢٣٧ ..... ٢
- عبدالله محمد النوراني ..... ٢٣٩ ..... ٢
- عبدالله محمود الدرخواستي ..... ٢٤٢ ..... ٢
- عبدالمعطي حسن الهندي ..... ٢٤٤ ..... ٢
- عبدالمقتدر الدهلوي ..... ٢٤٨ ..... ٢
- عبدالمنان الدهلوي ..... ٢٥٢ ..... ٢
- عبدالمنعم الجاتغامي ..... ٢٥٧ ..... ٢

ص مج

- عبدالنبي الكجراتي ٢٦٠ ٢
- عبدالوحيد الزروبوي ٢٦١ ٢
- عبيدالله أمين الميدني ٢٦٣ ٢
- عثمان بن علي حسن ٢٦٤ ٢
- عزيز الرحمن العثماني ٢٦٦ ٢
- عصمة الله الرحماني ٢٦٧ ٢
- عطاء المنعم البخاري ٢٦٨ ٢
- عطاء يعقوب الغزنوي ٢٧٢ ٢
- علوي الكوتوري ٢٧٥ ٢
- علي آغا التوستري ٢٧٩ ٢
- علي جلال الكشميري ٢٨٣ ٢

ص مج

- علي حسام المتقي الهندي ٢٨٩ ٢
- علي حسن المرزوقي ٢٩٠ ٢
- علي عباس الجرياكوتي ٢٩٣ ٢
- علي فريد الكشنوري ٢٩٥ ٢
- علي معصوم الدستكي ٢٩٨ ٢
- علي نعمة البهلواروي ٣٠٣ ٢
- علي النقي اللكناوي ٣٠٥ ٢
- عمار بن بركات الحسني ٣٠٩ ٢
- عمر علي المليباري ٣١١ ٢
- عمر ولي الله عبدالقادر ٣١٦ ٢
- عيسى بن أبي بكر المدني ٣١٨ ٢

ص مج

(غ)

- غلام أحمد المتنبئ ..... ٥ ..... ٣
- غلام النبي الفاروقي ..... ٧ ..... ٣
- غلام النصير الجلاسي ..... ٨ ..... ٣
- غلام علي آزاد البلغرامي ..... ١٠ ..... ٣
- غلام قادر السربازي ..... ١٧ ..... ٣
- غلام محمد جلوانوي ..... ١٨ ..... ٣
- غلام محيي القصوري ..... ١٩ ..... ٣
- غلام نقشبند اللكناوي ..... ٢٠ ..... ٣

(ف)

- فضل حق آبادي ..... ٢٥ ..... ٣
- فضل محمد السواتي ..... ٢٨ ..... ٣

ص مج

- فضيل الجلال الكالبوي ..... ٣٢ ..... ٣
- فيض أحمد البدايوني ..... ٣٢ ..... ٣
- فيض الحسن السهارنبوري ..... ٣٥ ..... ٣
- فيوض الرحمن الديوبندي ..... ٤٠ ..... ٣

(ق)

- قاسم شاه البخاري ..... ٤٥ ..... ٣

(ك)

- كفاية الله الدهلوي ..... ٤٩ ..... ٣
- كنجامو بابا البالكي ..... ٥٠ ..... ٣

(ل)

- لطافت الرحمن السواتي ..... ٥٥ ..... ٣

ص مج

(م)

- مجيب خان بشير الحيدرآبادي ٦٣ ٣
- محمد إبراهيم فاني ٦٤ ٣
- محمد أبوالصلاح الباقوي ٦٧ ٣
- محمد أبو كمال الكادري ٦٩ ٣
- محمد أحمد التونكي ٧١ ٣
- محمد أحمد الفاكهي ٧٤ ٣
- محمد أحمد الكدنجي ٧٥ ٣
- محمد أحمد الكوتلنغادي ٧٨ ٣
- محمد أحمد الكيلاني ٧٩ ٣
- محمد أحمد النهروالي ٨٣ ٣

ص مج

- محمد إقبال القادري ٨٤ ٣
- محمد الآصفي الكجراتي ٨٨ ٣
- محمد الحسيني الكالبوي ٨٩ ٣
- محمد الحسيني المدني ٩٢ ٣
- محمد الحلي الهيكلي ٩٣ ٣
- محمد الفلكي مسليار ٩٦ ٣
- محمد المالكي ١٠٠ ٣
- محمد أنيس الكشميري ١٠٤ ٣
- محمد بحرق الحضرمي ١٠٦ ٣
- محمد بن أحمد (العروس) ١١٠ ٣
- محمد جان بن يعقوب ١١٣ ٣
- محمد حسين الأنصاري ١١٤ ٣

ص مج

- محمد حسين الجزائري ..... ١١٨ ..... ٣
- محمد خواجة الحيدرآبادي ..... ١١٩ ..... ٣
- محمد شريف آبادي ..... ١٢٠ ..... ٣
- محمد شفيع الديوبندي ..... ١٢٢ ..... ٣
- محمد طيب القاسمي ..... ١٢٦ ..... ٣
- محمد طيب المكي ..... ١٢٧ ..... ٣
- محمد عابد السندي ..... ١٢٩ ..... ٣
- محمد عالم القلعداري ..... ١٣١ ..... ٣
- محمد عبدالعزيز الكالكوتي ..... ١٣٢ ..... ٣
- محمد عرفان الطوكي ..... ١٣٤ ..... ٣
- محمد علي الأصفهاني ..... ١٣٨ ..... ٣
- محمد علي الحشري ..... ١٣٩ ..... ٣

ص مج

- محمد علي اللكناوي ..... ١٤٦ ..... ٣
- محمد علي المئوي ..... ١٤٧ ..... ٣
- محمد فاروق الجرياكوتي ..... ١٤٨ ..... ٣
- محمد فيض الله المئوي ..... ١٤٩ ..... ٣
- محمد قاسم الشيرازي ..... ١٥٠ ..... ٣
- محمد مخدوم القادري ..... ١٥٣ ..... ٣
- محمد مسليار ترنغالي ..... ١٥٤ ..... ٣
- محمد مهدي المصطفى ..... ١٥٦ ..... ٣
- محمد موسى بازي ..... ١٥٩ ..... ٣
- محمد ناظم الندوي ..... ١٦٤ ..... ٣
- محمد هاشم السورتي ..... ١٦٨ ..... ٣
- محمد يوسف البنّوري ..... ١٦٩ ..... ٣

ص مج

- محمد يوسف السورتي ..... ١٧٤ ..... ٣
- محمد يوسف الكاملبوري ..... ١٧٦ ..... ٣
- محمود الصديقي ..... ١٧٨ ..... ٣
- محمود الطيب القاهري ..... ١٨٠ ..... ٣
- محمود محمد النقشبندي ..... ١٨١ ..... ٣
- محيي الدين بن علي ..... ١٨٣ ..... ٣
- محيي الدين بن عمر ولي الله ..... ١٨٥ ..... ٣
- محيي الدين علي الشيوري ..... ١٨٧ ..... ٣
- مختار أحمد المظفرفوري ..... ١٨٩ ..... ٣
- مرتضى البلغرامي ..... ١٩١ ..... ٣
- مسعود سلمان اللاهوري ..... ١٩٤ ..... ٣
- مصطفى خان بختور ..... ١٩٥ ..... ٣

ص مج

- منظور أحمد النعماني ..... ١٩٧ ..... ٣
- موسى بن زين الأيروري ..... ١٩٩ ..... ٣
- ميرك شاه الكشميري ..... ٢٠١ ..... ٣

(ن)

- نازك الكشميري ..... ٢٠٧ ..... ٣
- ناصر حسين اللكناوي ..... ٢٠٨ ..... ٣
- نجم الحسن الأمروهي ..... ٢١١ ..... ٣
- نذير أحمد الدهلوي ..... ٢١٣ ..... ٣
- نصير الدين الدهلوي ..... ٢١٦ ..... ٣
- نظر أحمد السهسواني ..... ٢١٨ ..... ٣
- نقيب أحمد أوجوي ..... ٢١٩ ..... ٣

ص مج

(و)

- وحيد الدين الحيدرآبادي ..... ٢٢٧ ..... ٣
- وحيد القادري الموسوي ..... ٢٣٢ ..... ٣
- ولي الله أحمد الدهلوي ..... ٢٣٣ ..... ٣

(ي)

- يحيى أحمد الدشتكي ..... ٢٤٣ ..... ٣
- يحيى بن أحمد الرسولفوري ..... ٢٤٦ ..... ٣
- يعقوب البدايوني ..... ٢٤٧ ..... ٣
- يعقوب الصرفي الكشميري ..... ٢٤٩ ..... ٣
- يعقوب النانوتوي ..... ٢٥١ ..... ٣
- يوسف حسين الخانبوري ..... ٢٥٣ ..... ٣

ص مج

- الخاتمة ..... ٢٥٥ ..... ٣
- المصادر والمراجع ..... ٢٥٧ ..... ٣
- المحتوى ..... ٢٦٣ ..... ٣
- الفهرس العام ..... ٢٧٣ ..... ٣

✷✷✷✷

عناوين مكاتب
مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين الثقافية

الكويت: ص. ب **599** الصفاة **13006**
هاتف: 22406816 (965+)
22415172 (965+)
فاكس: 22455039 (965+)

مصر: القاهرة – ص. ب **509** الدقي **12311** الجيزة
هاتف: 33030788 (202+)
فاكس: 33027335 (202+)

إيطاليا: روما – شارع توسكولانا **(650)**
هاتف: 57335212 (3906+)
فاكس: 57335366 (3906+)

الموقع الإلكتروني للمؤسسة: www. albabtaincf.org
البريد الإلكتروني: info@albabtaincf.org